

المؤرخ العربي

مجلة فصلية تاريخية محكمة تعنى بشؤون التراث والتاريخ العربي والعالمي

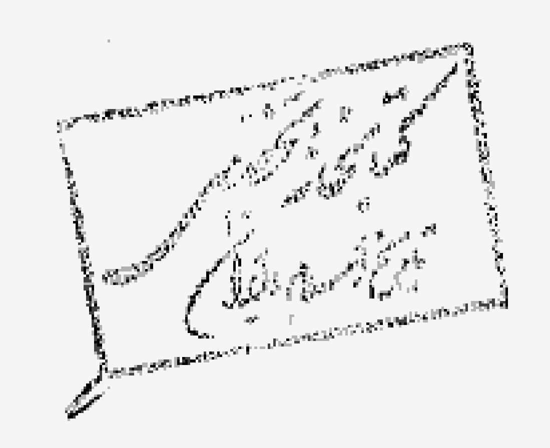


تصدر عن الأمانة العامة لاتحاد المؤرخين العرب - بغداد

العدد ٣٥ - السنة الرابعة عشرة

١٤٠٩هـ - ١٩٨٨م


بسم الله الرحمن الرحیم



المؤرخ العربي

مجلة فصلية تاريخية محكمة تعنى بشؤون التراث والتاريخ العربي والعالمي



تصدر عن الأمانة العامة لاتحاد المؤرخين العرب - بغداد

العدد ٣٥ - السنة الرابعة عشرة
١٤٠٩هـ - ١٩٨٨م

ترسل البحوث باسم مدير التحرير
ص . ب : (٤٠٨٥) بغداد ـ الجمهورية العراقية
مجلة المؤرخ العربي ـ اتحاد المؤرخين العرب
ت :(٤٤٤٨٠٠٦)

الاشتراكات السنوية في مجلة المؤرخ العربي والمنشورات التاريخية

١ ـ الدوائر الرسمية وشبه الرسمية في داخل العراق (٥٠) دينار، وفي خارج العراق (١٥٠) دولاراً أمريكياً .

٢ ـ للمؤرخين في داخل العراق (٢٠) دينارا ، وفي خارج العراق (٦٠) دولارا أمريكيا .

٣ ـ لطلبة التاريخ في داخل العراق (١٠) دنانير ، وفي خارج العراق (٣٠) دولارا أمريكيا .

شروط نشر البحوث في المجلة

١ ـ أن يعتمد البحث الأسس العلمية في إعداد وكتابة البحوث .

٢ ـ أن يكون منسجما مع أهداف اتحاد المؤرخين العرب .

٣ ـ ألا يزيد عدد صفحاته عن (٥٠) صفحة .

٤ ـ ألا يكون قد سبق نشره أو قبل للنشر في مجلة أخرى ، على أن يقدم كاتب البحث تعهدا يؤكد ذلك مرفقا برسالة مع البحث موجهة الى مدير التحرير .

٥ ـ تقبل البحوث في جميع فروع المعرفة التاريخية ، وباللغتين العربية والانجليزية .

٦ ـ يطبع عنوان البحث على ورقة مستقلة ، ويفضل أن يكون مختصرا ، ويثبت اسم الباحث أو أسماء الباحثين الكاملة والعنوان لكل منهم .

٧ ـ يطبع البحث على وجه واحد من الورقة ، وتأخذ كل ورقة رقمها الخاص ، ويقدم بنسختين .

٨ ـ بالنسبة للبحوث المقدمة الى المؤتمرات أو الندوات وان كان مستلا من رسالة يؤشر بذلك في حاشية البحث .

٩ ـ لأمور فنية خاصة بالطباعة يجب أن توحد الهوامش الخاصة بالبحث من أول هامش في البحث الى آخر هامش فيه ، وتعطى تسلسلا واحدا .

١٠ ـ يحال البحث المقدم للنشر الى خبير مختص ، ويعاد الى كاتبه لإجراء التعديلات المقترحة إن وجدت ، على أن يعاد الى مدير التحرير في غضون خمسة أيام .

١١ ـ رتبت البحوث لاعتبارات فنية وهي تعبر عن آراء أصحابها مع التأكيد على أن مجلة المؤرخ العربي منبر تاريخي قومي تنطق باسم القضية العربية الكبرى ، والبحوث التي ترد للمجلة لا تعاد الى أصحابها في حالة عدم نشرها .

١٢ ـ يرجى تدوين اسم الباحث وعنوانه ، وعنوان بحثه باللغة الانكليزية .

هيئة التحرير


مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

الهيئة الاستشارية لمجلة المؤرخ العربي



المقـــــدمة

يسرنا أن نصدر هذا العدد الجديد من مجلة المؤرخ العربي الذي يضم مجموعة مختارة من البحوث بأقلام نخبة من المؤرخين ، وهي تعالج جوانب شتى من تاريخنا العربي الزاهر وآثارنا الخالدة ، على مر العصور ، اضافة الى أبواب المجلة الثابتة . ونود ان نشير هنا الى أن الهيئة العربية لاعادة كتابة تاريخ الأمة التي تضطلع بمهمة قومية كبيرة تتمثل في وضع أسس منهجية جديدة نابعة من صميم التاريخ العربي وواقعه وتسعى لإيجاد مدرسة فلسفية عربية في تفسير التاريخ ، تختلف تماما عن منهجية المدارس الفلسفية الغربية والشرقية التي انطلقت في تفسيراتها من بيئات غريبة تختلف تماما عن البيئة العربية وحقيقة تاريخها ، فالتاريخ العربي لايمكن أن يفهم حركته الذاتية الا العرب أنفسهم ولا يمكن لأي فلسفة أجنبية أن تفهم العمق الحقيقي والجوهر العقلي للتاريخ العربي مهما بلغت من درجات الرقي والتقدم الفكري ، لأنها منطلقة من معتقدات وأفكار لاتمت بصلة للواقع العربي ولا للبيئة العربية التي هي مسرح الحدث التاريخي ، ولا يمكنها أن تفهم العوامل التاريخية الداخلية التي تحرك الأحداث ، وهذا يعلل لنا سبب ظهور الكثير من المؤلفات التاريخية التي تعالج التاريخ العربي وتدعي الموضوعية ، ولكنها في حقيقتها متأثرة من قريب أو بعيد بتلك الفلسفات الأجنبية المتناقضة والبعيدة عن الحقيقة التاريخية العربية الإسلامية ، واذا ما علمنا أن أغلب المدارس الفلسفية الأجنبية كانت مدارس ذات أهداف تخدم أغراضا معينة ، لذا فان المواطن العربي أصبح ينظر الى تاريخه وهو متأثر بتلك الفلسفات نظرة سلبية تسيرها أهداف الدراسات الاستشراقية تلك .

وانطلاقا من هذا الفهم السلبي الذي يحس به المؤرخ العربي ويراه ، بادرت الأمانة العامة لاتحاد المؤرخين العرب الى معالجة هذا المفهوم الخاطيء ، حيث اعتبرت من أولى أهدافها إيجاد مدرسة فلسفية عربية واعية منطلقة من القيم والمباديء ذاتها التي صنعت ذلك التاريخ ، ولذلك شهدت الأمانة العامة لاتحاد المؤرخين ولادة هيئة عربية لاعادة كتابة التاريخ العربي هي « الهيئة العربية العليا لاعادة كتابة تاريخ الأمة » وواصلت الهيئة أعمالها ونشاطها بكمة عالية وبمثابرة كبيرة ودقيقة ، وتمخضت تلكس الجهود عن عقد لقاء عربي كبير في بغداد في نهاية عام ١٩٨٧ وتحت شعار « نحو مدرسة عربية لفهم التاريخ وكتابته » حيث تم وضع الاسس والضوابط الكفيلة لاعادة كتابة تاريخ الأمة العربية كتابة أصيلة بأيدي المخلصين من أبناء الأمة ، منبعثة ومنطلقة من قيم الأمة ومبادئها وتفنيد كافة الآراء والنظريات الفلسفية المختلفة التي أفرزتها مختلف المدارس التاريخية الفلسفية في العالم ، ووضع الأسس لمنهج فلسفي عربي في علم التاريخ ، تقوم بتفسير أحداثه ووقائعه بمنظار عربي إسلامي أصيل يستند على القيم والمباديء التي خلفت ذلك التاريخ وكتابته ، وكما توجد في العالم مدارس ونظريات فلسفية فكرية لتفسير التاريخ وكتابته كذلك ينطلق تجمع علماء التاريخ العربي والإسلامي ، التي سيكون لها شأنها ورأيها ومكانتها بين مدارس التاريخ في العالم ، وبما أننا أبناء أمة عظيمة في التاريخ البشري فيجدر بنا أن نضع أسساً قويمة لبناء مدرسة فلسفية للتاريخ .

ولابد لنا ان نشير الى أن الندوة تدارست جوانب التاريخ العربي كافةً وغطت بحوثها مختلف المراحل التاريخية وتوزعت على المحاور الآتية :

١ ـ منهج كتابة التاريخ العربي .

٢ ـ استجلاء الظواهر الايجابية في التاريخ القومي .

٣ ـ دراسات متخصصة حول إعادة كتابة تاريخ الأمة العربية .

٤ ـ الآفاق المستقبلية للدراسات التاريخية .

وقد شارك في اللقاء النخبة البارزة والمتميزة من مؤرخي الأقطار العربية بلا استثناء ، بالاضافة الى أكثر من مئة عالم أثري من الوطن العربي الكبير .

واخيرا تسعى الأمانة العامة للاتحاد الى إصدار كتاب شامل في القريب العاجل يضم كافة البحوث والقرارات والتوصيات التي أقرت في الندوة ، تلك الندوة التي تميزت من بين الندوات التي عقدها الاتحاد تميزاً واضحا ومؤثرا ، سواء على مستوى الاعداد والتنظيم أو على صعيد المشاركة والنتائج .

نسأل المولى جلت قدرته أن يرشدنا الى مافيه خير هذه الأمة العظيمة والله الموفق .

أ . د . مصطفى عبدالقادر النجار

الأمين العام لاتحاد المؤرخين العرب

رئيس تحرير المجلة



محتويات العدد

● بحوث التأريخ القديم والآثار

● بحوث تأريخيه مترجمة

● سيرة مؤرخ

● ندوة العدد

● الوثائق والمخطوطات

● عروض الكتب والرسائل الجامعية

تأريخ المنازعات والحروب بين العراق وإيران

تأليف : شاكر صابر الضابط — عرض : معتز صبحي عبدالحميد

١٧ ـ الأمير عبدالقادر رائد الكفاح الجزائري

تأليف : الدكتور يحيى بو عزيز — عرض : كفاح كاظم الخزعلي

١٨ ـ لباس الحرب عند المقاتل العربي حتى نهاية العصر العباسي (رسالة ماجستير)

تأليف : ابراهيم سرحان الشمري — عرض : رفاه جاسم السامرائي

١٩ . مخطوطات التأريخ والتراجم والسير

تأليف : أسامة ناصر النقشبندي — عرض : نافع منجل الراجحي

وظمياء محمد عباس

● من نشاطات وتشكيلات الاتحاد العلمية

● بحوث باللغة الانكليزية

١ ـ الشرق الأوسط العربي في القرن العشرين ـ نظرات تأريخية هلموت مايجز ـ جامعة هامبورغ ـ المانيا الغربية

٢ ـ الدراسات الغرب آسيوية في اليابان ياسوماسا كورودا ـ جامعة هاواي ـ الولايات المتحدة


مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

بحوث التاريخ الحديث والمعاصر

إن المعاصرة لا تعني الانقطاع عن الماضي المجيد ، كما أن العودة إلى الماضي العربي لا تعني التشكيك بحاضر الأمة وحوافزها الخلاقة التي تستطيع تجاوز المحن والأزمات مهما عظمت ..

سياسة الكويت الخارجية
خلال القرن الثامن عشر

د . ميمونة خليفة العذبي الصباح
كلية الاداب جامعة الكويت

مقدمة

ظهر الاهتمام بتاريخ الكويت منذ زمن قريب ، وقد قام عدد من الباحثين الكويتيين والعرب والاجانب ، في السنوات الماضية ، بدراسات متعددة تناولت عدة مجالات من تاريخ الكويت ، الا ان هذه الدراسات كانت تتسم بالجهود الفردية ، وتتعرض لجوانب من تاريخ الكويت في فترات معينة ، وبخاصة المراحل المعاصرة منه .

اما المراحل السابقة ، اي الفترة من مطلع القرن الثامن عشر الى منتصف القرن التاسع عشر ، فلا زال يكتنفها الغموض ، ومما يزيد في هذا الغموض عدم توفر المصادر التي يمكن ان تلقي الضوء على المسيرة التاريخية للكويت .

هذه الدراسة ضمن محاولاتي لاعادة كتابة تاريخ الكويت بطريقة علمية موضوعية ، وبصورة شاملة ومتكاملة ، من خلال المصادر الاساسية ، ومنها الوثائق العثمانية والبريطانية ، الى جانب الاستعانة بالدراسات السابقة التي تناولت جوانب معينة من تاريخ الكويت ، سواء الاجنبية منها ، أو العربية ، ثم المصادر والمراجع المعتمدة ، والموثوق بها .

واتضرع الى الله العزيز الحكيم ان يوفقني الى تحقيق هذه الغاية والهدف النبيل الذي اسعى اليه لكتابة تاريخ الكويت بصورة متكاملة .

سياسة الكويت الخارجية

كان من أهم ما اتسمت به سياسة الكويت الخارجية منذ استقرار العتوب(*) فيها وتأسيس حكمهم على ارضها ، سر السلم الذي تشتق منه وجودها واستقرارها ونموها ، وبالتالي فانها حرصت على الالتزام به والمحافظة عليه ، في ذات الوقت الذي تمسكت فيه بالحياد وعدم التورط في العداء مع القوى والدول المجاورة أو الانحياز ، الى واحدة من تلك القوى المتصارعة في المنطقة لكي لا يجرها هذا الميل الى الدخول في حرب لا تريدها . ولم تدخل الكويت حربا الا دفاعا عن نفسها .

ولا شك أن تقيد الكويت بهذه السياسة منذ تلك الفترة المبكرة من عمرها يعود الى ادراك حكام الكويت منذ البداية ، ان الحياد هو الضمان الافضل لاستمرار بقاء ووجود دولة صغيرة ، ومن هذا المنطلق ، وعبر تاريخها ، باستثناء فترة الحماية البريطانية عليها انتهجت الكويت سياستها الخارجية على اساس نهج حيادي في الصراع مع القوى المحيطة بها .. عرفت الكويت أن حيادها يضمن استقلالها السياسي ، بالمفهوم السائد في حينه ، كما يحافظ هذا الحياد على كيانها الاقليمي بصورة دائمة ، وبالرغم من أن الكويت سعت في البداية للحفاظ على التوازن في علاقتها مع الدول الكبرى والمحيطة بها دون ان تحصل من تلك الدول على نص مكتوب تتقيد فيه هذه الدول الاكبر بضمان استقلال الكويت السياسي والمحافظة

(*) العتوب : هم مجموعة من العشائر ينتمون الى قبيلة عنزة العربية ، وقد هاجروا من موطنهم الاصلي في منطقة الهدار في نجد ضمن هجرة عنزة الكبرى في النصف الثاني من القرن السابع عشر ، وبعد ان طافوا بكثير من البلدان في الجزيرة العربية استقروا في الكويت مع مطلع القرن الثامن عشر .

على كيانها الاقليمي [1] الا أن هذه السياسة التي اتبعها حكام الكويت نجحت بالفعل في تأكيد استقلال الكويت .

اما بالنسبة للاستقلال الذي حرصت عليه الكويت منذ عهدها المبكر فلابد من التطرق الى اشارات بكنجهام (Buckingham) [2] حول استقلال الكويت ، وذلك على الرغم من أن هذه الاشارات جاءت في فترة لاحقة لتأسيس حكم آل الصباح ، فقد زار الرحالة الانكليزي المذكور المنطقة في مطلع القرن التاسع عشر (عام ١٨١٦م) ولفت نظره أن تكون الكويت حتى في تلك الفترة المبكرة من تاريخ المدينة « قد احتفظت باستقلالها دوما ، حتى في الوقت الذي خضعت فيه هرمز ومسقط والبحرين والاحساء لحكم أجنبي ، والقطيف والبصرة اللتان كانتا تخضعان للاتراك ، خضعتا لحكم البرتغال من قبل » . وأهل الكويت معروفون بأنهم أكثر أهل الخليج حبا للحرية والاقدام [3] .

ولا شك أن تلك شهادة مشرفة للكويت وأهلها من رحالة أوروبي ينتمي الى دولة مستعمرة لها من الاطماع الشيء الكثير في الكويت والمنطقة بأسرها .

ويؤكد تمتع الكويت بالاستقلال على الدوام ايضا الكابتن بلي (Pelly) المقيم السياسي الانكليزي في الخليج الذي كان من حسن حظ الكويت أن يزورها عام ١٨٦٣م ويدون عنها ملاحظات هامة جدا ومفيدة لاعطاء صورة تاريخية واضحة عنها في تلك الفترة التي عزت فيها المصادر التاريخية المهتمة بالكويت لا سيما الوثائقية منها وكانت ملاحظات « بلي » دقيقة جدا تنطق عن درايته التامة بالمنطقة [4] وهو يشير الى استقلال الكويت من خلال عرض له في صدر تقريره لأنواع الحكومات في منطقة الخليج وأي منها تتبع شاه فارس ، وأي منها تتبع السلطان العثماني ، ثم وضع جدولا باسماء امارات أخرى سماها بالامارات التي تخضع فعليا لشيوخها دون أي خضوع من هؤلاء الحكام لشاه أو سلطان ، وأكد أنها خاضعة لزعماء عرب مستقلين ، وكان من بين تلك الامارات الاخيرة امارة الكويت . [5] .

ومن ناحية أخرى ، فالى جانب حرص الكويت على استقلالها ، وما اتصفت به سياستها الخارجية من حرص على السلام والحياد فقد كان من اولويات سياستها في تلك الفترة المبكرة اقامة علاقات ودية مع مختلف القوى التي تجاورها ، غير أنها أكدت من خلال معالجتها للاحداث ومن خلال علاقتها الوثيقة بجيرانها أن هذه الصداقة يجب ان لا تعني بحال من الاحوال الخضوع لحكم أجنبي . وتأكيدا لما ذهبنا اليه بهذا الشأن نجد الكويت وسط ذلك التيار المتصارع من القوى في المنطقة تمارس نوعا من الاستقلال الذاتي على الرغم من محافظتها على ولائها لبني خالد وللدولة العثمانية المتمثلة بولاية البصرة .

وبذلك نجد أن سياسة الكويت اتسمت بالحكمة والتعقل في التعامل مع كافة القوى في المنطقة وفي الحفاظ على استقلالها وحريتها وحيادها وصداقتها للجميع فعرفت كيف تبني علاقتها الطيبة مع جيرانها في الوقت الذي لا تسمح فيه لأي من هذه القوى بالاعتداء عليها .

ولا شك أن سياسة الكويت الحالية التي تقوم على العلاقات الطيبة مع الجميع مع الاحتفاظ بالحياد والسلام وحفظ التوازن والتي حافظت بواسطتها على استقلالها تعود الى تلك الفترة المبكرة مع الاختلاف في تقبل تلك المفاهيم والعمل بها تبعا لاختلاف الزمن والظروف المتغيرة .

وقد أشاد « بلي » بتلك السياسة التي انتهجتها الكويت منذ البداية فيقول «..وسياسة الكويت الجارية هي الحفاظ على الأمن والسلام داخل المدينة وخارجها أي مع جيرانها ، وهي لا تدفع زكاة

---

(١) د. حسن الابراهيم (الكويت) دراسة سياسية ، ص ٤٠ ـ ٤١ .

(٢) بكنجهام : رحالة انكليزي يتحدث بغزارة عن الخليج العربي وهو مصدر مفيد لا سيما فيما يتعلق برحمة بن جابر الجلاهمة ، كما أنه يورد تفاصيل هامة عن الكويت في صفحات ٣٧٠ و ٤٦٢ و ٤٦٣ عن أبو حاكمة ، تاريخ الكويت الحديث ، ص ١٩٨ .

(٣) *Buckingham : Travels in Assyria etc. p. 370.*

(٤) *Lewis Pelly-Recent four around the nothern portion of*

(٥) *Pelly Remarks : 70-74*

للامير فيصل (الوهابي) لكنها تحتفظ بعلاقات صداقة معه »[1] .
ويثني « بلي » على الشيخ صباح بن جابر لحسن ادراكه لمفاهيم السياسة المحلية في الخليج ، كما كان يدركها والده الشيخ جابر وذلك من خلال قصة سردها الشيخ صباح على الكولونيل «بلي» الذي سجلها بالانكليزية وترجمتها « عندما بلغ والدي المائة والعشرين من عمره ، ناداني اليه ، فقال : يا ولدي انك تعلم انني سأفارق الحياة . انني اموت فقيرا دون أن أترك لك ثروة أو نقودا ، غير انني كونت في حياتي صداقات حقيقية خالصة مع اناس عديدين ، عليك أن تعتمد على هؤلاء . انظر الى القوى المختلفة من حولك في منطقة الخليج تجد أنها قد تساقطت بسبب الظلم وسوء الادارة ولكن امارتي كانت دائما تقوى وتتسع . تمسك بسياستي ، ومع أنك محاط بقبائل كانت ذات يوم معادية،و ي ما زالت حتى يومنا هذا مستقرة أو متحضرة ، فلسوف تتقدم مشيختك وتزدهر » .

وكان مما لفت نظر « بلي » ايضا وشد اعجابه في شخص الشيخ صباح بن جابر بن عبدالله الصباح سعة افقه واطلاعه على أمور كانت تجرى بعيدا عن دار حكمه . ذلك أن الشيخ وقومه كانوا على صلة بما يجري من أحداث أوروبا نتيجة لاطلاعهم على صحيفة عربية كانت تصدر في باريس ولعل هذا الاطلاع على الاخبار الاجنبية والمحلية وهو الامر الذي أدهش بلي [2]. وهو أمر مدهش فعلا .

هذا وكان لابد أن يسترعي النمو السريع الذي شهدته الكويت في تلك الحقبة انتباه القوى الاخرى في الخليج العربي لا سيما وأن الكويت قد اعتمدت اعتمادا كليا على سياستها الخارجية في تنمية اقتصادها وذلك نتيجة لقلة مواردها الطبيعية خاصة المياه مما جعل ميادين الكسب المادي تنحصر في التجارة وحركة النقل البحري والبري مع الجهات الخارجية بصورة رئيسية . وتبعا لذلك فقد اضطرت الى الاحتكاك بالقوى المحيطة بها سلبا وايجابا ، فوقفت بعض القوى المجاورة منها موقف المعاداة بعد أن عجزت عن منافسة موانيها التي أثر ازدهارها على موانىء تلك الدول تأثيرا عكسيا ، لذلك اتجهت الى الانتقام منها ومهاجمتها كلما سنحت لهم الفرص لتنفيذ خصومتهم [3] . بينما وقف البعض الآخر من القوى المحيطة بالكويت موقف اللامبالاة فلم يكن لها تأثيرا يذكر على نمو الكويت السياسي والاقتصادي ، بل لعل الكويت استفادت مما أصاب تلك القوى واستغلت نقاط ضعفها لصالحها فكانت مصائب قوم عند قوم فوائد ، ولابد لنا من معالجة طريقة تعامل الكويت وعلاقاتها مع هذه القوى كل على حدة لكي نتبين كيف تمكنت الكويت من الصمود امام جميع المخاطر والتحديات وكيف واصلت اطراد نموها وازدهارها وسط ذلك الزخم المتصارع من القوى الاكبر المحيطة بها الذي يتمثل ببلاد فارس والدولة العثمانية والشركات الانكليزية والهولندية والفرنسية وبني خالد بعد أن بزغ نجم الحركة الوهابية صار لابد من ضمها الى تلك القوى ، بالاضافة الى القوى البحرية العربية .

قبيلة بني خالد :

هي قبيلة كبيرة ومن أقوى القبائل العربية التي كانت تقطن السواحل الشمالية من الخليج العربي في ذلك الوقت وكان سلطانها يمتد من شبه جزيرة قطر جنوبا حتى البصرة شمالا بمحاذاة ساحل الخليج من ناحية ووسط الجزيرة العربية من ناحية أخرى ولقد بقيت هذه القبيلة التي فرضت سيطرتها منذ أوائل القرن السادس عشر [4] ، ونمت على شكل شبه تنظيم سياسي حين اصبح شيوخها بشكل رسمي هم حكام شرقي جزيرة العرب منذ القرن السابع عشر حين انتزعوا الحكم من الولاة العثمانيين حتى قرب نهاية القرن الثامن عشر حين استولى الوهابيون على ديار بني خالد .

ويرجع بنو خالد في اصولهم الى عرب الشمال والعدنانيين الذين تنزل قبائلهم في ديار نجد وساحل العدان الممتد الى اطراف الكويت الشمالية . ونظرا لنشأة الكويت في ظل حماية بني خالد ولكونهم هم أصلا أصحاب تلك البقعة من الارض التي قامت عليها الكويت

---

(١) Pelly : Remarks-74
(٢) د. أبو حاكمة ، نفس المصدر ، ص ٢٠٢ ـ ٢٠٦ .
(٣) رنده المصري قطينة ، في مجلة الوثيقة التاريخية البحرينية العدد الأول ، ص ١٨٩ .
(٤) د. جمال زكريا قاسم موقف الكويت من التوسع السعودي في نجد وسواحل الاحساء (مستخرج من مجلة الجمعية المصرية للدراسات التاريخية) . المجلد ١٧ سنة ١٩٧٠ .

الحديثة حين منحوها للعتوب وسمحوا لهم بالاستقرار فيها واقامة حكمهم وامارتهم فيها ، لذلك رأينا أن نبدأ الحديث عن علاقات الكويت الخارجية بالتطرق لعلاقتها بحماتها بني خالد في ديار حكمهم في منطقة الحسا وشرقي الجزيرة العربية حيث كان بمقدورهم أن يتحدوا تحرشات جميع القوى الخارجية الخطرة مما أتاح الفرصة للكويت في ظل هذا الامن الخالدي أن تنشأ وتترعرع بدون خوف .[1]

أما عن نوع العلاقة التي قامت بين العتوب وبني خالد فعلى الرغم من نظرة المؤرخين المعاصرين على أن الكويت قد خضعت خضوعا مباشرا لحكم بني خالد اعتمادا على روايات بعض الرحالة الذين زاروا المنطقة في ذلك الوقت مثل « نيبور » **Carsten Niebuhr** الذي لم يزر الكويت وانما سجل ملاحظاته اعتمادا على ما سمعه عنها حيث يقول نيبور (غرين)[2] محكومة من شيخ معين ـ تابع لشيخ الاحساء لكنه يطمح بالاستقلال . وفي مثل هذه الحالات وحين يتقدم شيخ الاحساء بمقاتليه يتراجع سكان غرين بممتلكاتهم الى جزيرة فيلكا الصغيرة »[3] .

غير اننا نشك في تبعية الكويت المباشرة لبني خالد في أي وقت من الاوقات ، وذلك أن اعتماد المؤرخين فيما ذهبوا اليه بهذا الخصوص على الرحالة الاوروبيين يجعل الامر موضع شك فنظرة الرحالة لم تكن صحيحة فيما يتعلق بالتبعية المباشرة أو غير المباشر لعدم تفهمهم الكامل لطبيعة الحكم القبلي التي تختلف اختلافا كليا عن نظم الحكم الاوروبية للبلاد التي جاءوا منها . كما أن فترة بقائهم في المنطقة دائما تكون قصيرة جدا ولا تتعدى المرور وقد يبنون أحكامهم على السمع دون أن يزوروا البلاد التي يتكلمون عنها مثل حالة الرحالة نيبور والرحالة بكنجهام وغيرهما ونظرا لعدم الاهتمام بدراسة تاريخ المنطقة في تلك الفترة وعدم وجود المؤلفات الاوروبية بلغاتهم التي تعينهم على دراسة أحوال المنطقة ونظمها فغالبا ما تكون احكامهم قاصرة وغير مسلم بها لا سيما اذا صدر الحكم على أمور غريبة عنهم في بلاد لم يقوموا بزيارتها أصلا .

فبالنسبة لما ذكره نيبور عن حكم بني خالد المباشر للكويت فلم نجد في الاحداث المحلية ما يثبت هذا الحكم المباشر بصورة فعلية . كما لم يسجل لنا التاريخ هجمات لبني خالد على الكويت وحروب قاموا بها اثناء محاولاتهم لاستعادة سلطتهم على الكويت أو لمجابهة محاولات شيوخ الكويت للاستقلال ، والتي يذكر نيبور أنه في حالة وقوعها يتراجع سكان الكويت (غرين) الى جزيرة فيلكا . وبالتالي لا يمكن الاعتماد على ما ذكره الرحالة الاوروبيون بهذا الخصوص في الوقت الذي يمكن الاعتماد على ما سجلوه عن أحوال المدينة بصفة عامة من خلال مشاهداتهم الشخصية وعلى ما تعرضت اليه المدينة من أحداث وقعت أثناء تواجدهم سواء كانت هذه الاحداث داخلية أم خارجية . كما أن نيبور نفسه عاد وأكد تمسك الكويتيين باستقلالهم بالرغم من ذلك النزاع الذي يدور بينهم وبين شيخ الاحساء واشار الى أن شيخ الكويت كان يمارس استقلاله بالرغم من تبعيته لشيخ الاحساء[4] .

والى جانب ذلك فان « نيبور » عندما أشار الى تبعية شيخ الكويت لحكام الاحساء لم يبين نوع التبعية التي يقصدها فقد يكون القصد من اشارات « نيبور » نوع من التبعية الأسمية وأن شيوخ بني خالد يحاولون تأكيدها وتحويلها الى تبعية فعلية في أوقات قوتهم وهذا أمر لا نختلف معه عليه . فقد كانت الكويت تعترف بنوع من التبعية الاسمية لبني خالد . وتستظل بحمايتهم التي كانت في حاجة ماسة لها في بداية نشأتها ، تماما كما هو الحال بالنسبة للدولة العثمانية .

ونستطيع أن نؤكد أن حماية بني خالد للكويت كانت شكلية وأن الكويت كانت تحكم منذ البداية بواسطة حكامها من آل الصباح وذلك من خلال اتفاقية الصداقة وحسن الجوار التي عقدها حكام بني

---

(١) د. *أبو حاكمة ، نفس المصدر* ، ص ١٩ ـ ٢١ .

(٢) غرين أو القرين : ـ الاسم الذي كان الاوربيون يطلقون على الكويت .

(٣) ***Carsten Niebuhr, Travel through Arabia and of the countries in the East, translated by Robert Heron, Vol. 2 (Edinburgh and London, 1972) p. 127.***

(٤) ***Neibuhr, Op. cit., vol. II, p. 103 ff.***

خالد مع الشيخ عبدالله بن صباح الأول نيابة عن والده وحددوا بواسطتها نوعية العلاقة التي تربطهم بالكويت وبآل صباح في الفترة الأولى لاستقرار العتوب في الكويت . فلو كان الأمر كما تصور البعض وكانت الكويت تابعة مباشرة لبني خالد وتحكم من قبل الحكام في تلك الاسرة لما احتاج الامر الى عقد اتفاقية مهما كان نوعها مع شيخ الكويت ، ولما كانت لذلك الشيخ أصلا صفة تخوله عقد معاهدات والدخول في اتفاقيات كشيخ أو حاكم للكويت .

كما أن تبعية الكويت المباشرة لبني خالد تتعارض مع ما ذكرته الرواية المحلية من ذهاب الشيخ صباح الاول على رأس وفد من العتوب عند استقرارهم الى الولاة العثمانيين في العراق لتقديم الولاء والتأكيد على أنهم سيحافظون على الأمن والسلام في المنطقة ولن يسلكوا أي مسلك يخالف ذلك .

هذا وقد كانت علاقة العتوب ببني خالد ودية حتى قبل أن يستقروا بالكويت حيث اشترك العتوب مع بنى خالد في فتح القطيف عام ١٦٧١م ، (الموافق ١٠٨٢هـ) ، مما جعل الامير براك بن عريعر ينعم عليهم بنخيل (بستان من النخيل) في القطيف مكافأة لهم [١] ، الى جانب أنهم سمحوا لهم بالاستقرار في قطر الخاضعة لهم وفي ظل حكامها من آل مسلم ثم استجابوا لطلبهم وأذنوا لهم بالاقامة في الكويت مع منحهم حمايتهم في مواجهة المخاطر التي تحيط بهم في تلك الفترة .

وهكذا كانت العلاقات الاولية بين بنى خالد والعتوب ودية للغاية فقد اعتمد العتوب في نمو مستقرهم الجديد السريع بشكل كبير على حماية بني خالد وتشجيعهم للتجارة وهذا ما أكده وكلاء شركة الهند الشرقية في تقاريرهم المرسلة من الخليج الى بومباي ولندن حين أشاروا الى حرص أمراء بني خالد على استتباب الأمن والسلام في ديارهم حتى تكون الطرق التجارية متمتعة بالطمأنينة والأمان [٢] .

وفي الوقت الذي تركزت فيه السلطة السياسية في ساحل جزيرة العرب الشرقي بيد بني خالد في النصف الاول من القرن الثامن عشر ، كانت بلاد نجد منقسمة على نفسها ، اذ أن الوحدة منعدمة بين سائر مدنها ، فكل أمير كان مستقلا استقلالا تاما يتصرف في شئون مدينته كما يشاء ، حتى حين ظهرت قوة الدرعية على حيز السياسة العامة في نجد عام ١٧٤٥ ، بعد لجوء (محمد بن عبدالوهاب) اليها وتحالفه مع محمد بن سعود على نشر دعوته ، واقامة دولة الموحدين في نجد ، فان تلك القوة الجديدة التي اخذت في الامتداد بحماس لم تستطع الوقوف من بني خالد موقف المهاجم ، بل وقفت منها موقف المدافع وعلى مدى عشرين سنة [٣] . وقد أبدى شيوخ بني خالد في مناسبات كثيرة عداءهم للحركة الوهابية منذ أن قامت وكانوا على جانب كبير من القوة بحيث كان بمقدورهم أن ينقلوا المعركة دائما الى قلب نجد واستمر وضعهم على ذلك من القوة والتحدى حتى بدأ مركزهم يتعرض للانهيار السريع ، نتيجة للصراعات الاسرية التي انهكت قواهم ، والتي قد يكون للسعوديين دخل كبير في اثارتها ، في الوقت الذي اشتدت فيه هجمات الوهابيين على أرض الاحساء ، ابتداء من عام ١٧٦٥ وزاد سعيرها بنوع خاص عام ١٧٩٣م (١٢١٨هـ) حتى تم لهم القضاء النهائي على نفوذ بني خالد في الاحساء وشرقي الجزيرة العربية عام ١٧٩٥م (١٧١٠هـ) ، حين وصلت أسرة بني خالد الى درجة من الاعياء الداخلي ، فضلا عن أنها اصبحت غير قادرة على التصدى للتحركات السعودية المتتالية ، والتي اتصفت بطابع شديد من العنف والقوة [٤] .

وكان بنو خالد قبل سقوطهم وفي الفترة الاولى لاستقرار العتوب قد سعوا الى ربط الكويت بعجلتهم فاتصلوا بشيخها (صباح بن جابر) وعقدوا مع ولده عبدالله اتفاق صداقة وحسن جوار حصل بمقتضاه (آل صباح) على اعتراف من حكام الاحساء لهم بحكم الكويت واتفقوا معه على أن يصادقوا اصدقاءهم ويعادوا خصومهم وحددوا تبعية العشائر القائمة على الحدود بين الجانبين وفق رغبة (الخوالد) . ويبدو أن الشيخ صباح قبل بهذا الاتفاق رغم ما تضمنه

---

(١) الشيخ عبد الله ابن خالد آل خليفة تعليق على مقالات البحرين قديماً وحديثاً لسيف مرزوق الشملان ـ مجلة الوثيقة العدد الثالث ـ السنة الثانية .
(٢) جاكين بيرين ، كتشاف جزيرة العرب ، ص ١٦٥ .
(٣) د. أبو حاكمة ، نفس المصدر ، ص ٤٦ .
(٤) د. جمال زكريا ، المصدر السابق ، ص ٩٤ .

من قيود ، على أن تتاح له الفرصة مستقبلا للتخلص منه وقد تحقق ذلك بالفعل عندما نجح السعوديون الموحدون في الاطاحة بحكم بني خالد فتخلصت الكويت من شروط الاتفاق المذكور [١] . ولكن كان لابد أن تتأثر الكويت من هجمات الوهابيين المتشددة على بنى خالد وكان تدهور أوضاع الاخيرين لابد أن يؤدي الى تعرض العتوب في الزبارة والكويت الى خطر محقق يتأتى عن هجوم الوهابيين المنتظر .

ومما لا شك فيه أن بني خالد كانوا الحاجز الكبير الذي حفظ الكويت من الخطر الوهابي حتى نهاية القرن الثامن عشر . غير أنه بسقوط بني خالد صار اخضاع السعوديين للكويت بعد عام ١٧٩٣م أمراً كثير الاحتمال . وبالفعل شهدت السنوات التالية لسقوط الاسرة (الخالدية) هجمات سعودية متكررة على الكويت اشتدت في عنفها وتصلبها طوال فترة اقامة الوكالة الانكليزية التابعة لشركة الهند الشرقية البريطانية بالكويت (١٧٩٣ ـ ١٧٩٥م) .

وكان من الطبيعي ان يطالب السعوديون بتسلطهم على المناطق الخاضعة لنفوذ بني خالد والتي ترتبط بهم بأي شكل من الأشكال ، وهذا يعني أن تصبح الكويت منطقة من مناطق النفوذ السعودي على الساحل الشمالي للخليج العربي . ولكن امارة الكويت استمرت محتفظة بوضعها المستقل رغم كل الهجمات العنيفة التي تعرضت لها من قبل السعوديين اصحاب القوة المتسلطة على سواحل الخليج العربي . فلم يؤد سقوط اسرة بني خالد والقضاء على نفوذهم الى اخضاع الكويت وتقويض استقلالها بل يمكن أن نذهب الى أكثر من ذلك فنقرر باطمئنان ان سقوط بني خالد كان عونا كبيرا في انطلاق الكويت نحو مرحلة جديدة من مراحل استقلالها وتدعيمه وتأكيده [٢]

فعلى الرغم من أن آل صباح تمكنوا من ممارسة نفوذهم المستقل في مستقرهم الجديد الا أنهم في المراحل الاولى من بدء استقرارهم في وطنهم الجديد الذي اتخذوه بنوع من التبعية لحكم بني خالد ولو كانت تلك التبعية اسمية ، ولذلك كان من المتوقع حينما داهمت بني خالد الغزوات السعودية في الفترة من ١٧٨٥ الى ١٧٩٥ أن يبادر التابع لنجدة متبوعة ، لكن الشيخ عبدالله بن صباح كان مترددا بين أمرين :

الأول : تقديم العون لبني خالد والانضمام لهم في حربهم مع السعوديين ومعنى ذلك أن يستمر على ولائه لهم .

الثاني : مساعدة السعوديين في إسقاط أسرة بني خالد .

وقد يكون الشيخ مقدراً أن الأمر الثاني سيترتب عليه انطلاق الكويت في احدى المراحل الهامة لتأكيد استقلالها وتخلصها من أي نوع من التبعية لبني خالد ، إلا أنه مما لا شك فيه أن الشيخ عبدالله كان يدرك في ذات الوقت قوة الضغط السعودي لا سيما في تلك المرحلة التي اندفع فيها الموحدون بشكل تعصبي بالغ بهدف نشر الدعوة الوهابية في سواحل الخليج العربي وما سيترتب على ذلك بالضرورة من تعرض امارته لخطر مجاورتها لنفوذ السعوديين في الأحساء ، خاصة وأن الشيخ بدأ يحس بالآلام التي يتعرض لها شعبه نتيجة تعرض الكويت بشكل واضح وجدي لمناوشات السعوديين القاسية خصوصا بعد قدوم القائد السعودي ابراهيم بن عفيصان بجماعة من قبائل الخرج والعارض والسدير الى الكويت [٣] وقيامه بمهاجمتها وحصوله على قدر كبير من الاسلاب ، لذلك كله حرص الشيخ عبدالله أن يبدو في مسلكه وقوفه على الحياد في الصراع الدائر ولكن من المؤكد أنه كان يتعاطف مع القوتين المتحالفتين وهما العثمانيين وبني خالد في صراعهما ضد السعوديين [٤]

وكان تقدير شيخ الكويت أن امارته تتمتع باستقلال ذاتي في ظل العثمانيين وبني خالد ولكنه لا يضمن أن تستمر مشيخته متمتعة بذلك الاستقلال في ظل السيطرة السعودية ، على أنه من ناحية أخرى كان حريصا على ألا يظهر من خلال تقديم الكويت عونها للعثمانيين وبني خالد تأكيدا لتبعيتها لهاتين القوتين ، لذا قرر أن

(١) د. بدر الدين الخصوصي الأهمية الاستراتيجية للكويت في العصر الحديث دراسة منشورة في مجلة كلية الآداب جامعة الكويت العدد السادس ديسمبر ١٩٨٤ ، ص ٨ وما بعدها .

(٢) د. جمال زكريا ، نفس المصدر ، ص ٩٦ .

(٣) د. عثمان بن سند ، سبائك العسجد في أخبار أحمد نجل رزق الأسعد ، ص ٨ .

(٤) للمزيد من التفاصيل يمكن الرجوع الى مقال الأب انستاس الكرملي عن الكويت في مجلة المشرق ، العدد العاشر لسنة ١٩٥٢ ، ص ٤٥ .

يكتفي بتقديم المساعدات لشيخ المنتفق الذي كلف من قبل والي بغداد باعداد قوة كبيرة بالتحالف مع شيوخ بني خالد لمقاتلة السعوديين وتم ذلك بالفعل حين جمع الشيخ عبدالله جميع امكانيات الكويت البحرية في خدمة العمليات الحربية ، واستخدمت السفن الكويتية لنقل قسم كبير من قوات الشيخ ثويني الى الاحساء ، إلا أن النتيجة لم تكن طيبة ومشجعة على أية حال[١]، إذ تفرقت تلك القوات وقتل ثويني في احدى المعارك الطاحنة التي نشبت بينه وبين السعوديين[٢]، وعقب ذلك نجح السعوديون في الاستيلاء على الاحساء وتأكيد نفوذهم في المقاطعات الشرقية للجزيرة العربية . مما ترتب عليه أن أصبحت الكويت ملامسة للقوة السعودية التي راحت تتاخمها من الجنوب . وعلى الرغم من أن الكويت استفادت من سقوط أسرة بني خالد على المدى الطويل في تأكيد استقلالها والتخلص من الارتباط الذي كان قائما بينها وبين هذه الاسرة في عهد الشيخ صباح الأول ـ والذي أشرنا اليه سابقا ـ إلا أن شيوخ الكويت اعتبارا من ذلك التاريخ أخذوا يتعرضون لهجمات سعودية مباشرة وعنيفة[٣].

ولما كانت مدن العتوب ودويلاتهم الصغيرة قد نشأت وتأسست في ظل حماية بني خالد وأن هذه المدن عندما نمت وازدهرت وازدادت أهميتها وتوسعت وضمت إليها أراضي جديدة بفتح البحرين بعد الزبارة ولما لم يرد ما يفيد تغيير مسلك شيوخ بني خالد تجاه زعماء العتوب في كل من الكويت والزبارة والبحرين . لذا فقد استمرت العلاقات الودية قائمة بين بني خالد والعتوب بل ان الأخيرين قدموا مساعدتهم لبني خالد في اللحظات الأخيرة من تاريخ حكم بني خالد . وما الاقامة المؤقتة لزيد بن عريعر في الكويت عام ١٧٩٣م عندما لم يكن بمقدوره أن يقف أمام هجوم الوهابيين على أراضيه في منطقة الاحساء إلا مثالا على تقديم الكويت المساعدة للخوالد وكذلك براك بن عبدالمحسن عام ١٧٩٥ ، عندما هرب من الاحساء لنفس السبب ولا شك أن الكثيرين من سكان الاحساء الذين هربوا اتقاء لخطر الوهابيين قد لجأوا الى مدينة الزبارة الحصينة كما أنه من المؤكد أن قبائل بني خالد البدوية كانت تتجه صوب أراضي الكويت شمالا كلما هزمها الوهابيون ، أما الحضر من بني خالد فكانوا يتجهون بمراكبهم الى الزبارة والأماكن الساحلية المشابهة لها ، وكان العتوب يتصرفون في تلك الأحوال وفقا للقواعد العربية القاضية بحماية المستجير في ذات الوقت الذي كانوا يزيدون فيه من قواتهم المقاتلة واستعداداتهم الحربية نتيجة لادراكهم أن دورهم لا شك قادم لا سيما بعد قبولهم لأولئك اللاجئين مما جعل السعوديين يعملون بوضوح في سبيل اخضاع الدويلات العتبية لسلطانهم .

العلاقات بشركة الهند الهولندية :

قامت علاقات ودية وثيقة بين شركة الهند الشرقية الهولندية التي أقامت لها مستعمرة في جزيرة خرج الايرانية وبين الكويت[٤]، فقد قامت صداقة بين رئيس الوكالة التجارية الهولندية البارون بنفهاوزن (Kniphausen) والشيخ عبدالله بن صباح شيخ الكويت[٥] وقد بلغت هذه الصداقة الى حد التأثير على علاقة الكويت بالشركة[٦] التي قويت وأدت الى قيام تعامل وترابط كبير بين الطرفين الى درجة دعت بعض الرحالة الاوروبيين الذين زاروا المنطقة مثل الدكتور ايفز (Ives) الى الاعتقاد بأن شيخ الكويت يدين للبارون بالشيء الكثير أو أنه واقع تحت نفوذه متخذين من طريقة تصرف البارون مع الشيخ حين قام بالتفاوض معه لتسهيل مرور الدكتور ايفز ورفاقه عبر الكويت الى حلب دليل خضوع الشيخ لنفوذ البارون كما زعم لوريمر (Lorimer) وربما وقع الأخير

(١) د. جمال ، نفس المصدر ، ص ٩٦ ـ ٩٧.

(٢) حسين بن غنام ، روضة الأفكار والافهام ، جـ ٢ ، ص ١٦٥ وما بعدها.

(٣) لوريمر ، دليل الخليج ، جـ ٣ ، ص ١٥٠٨.

(٤) خالد المسعود الزيد ، المصدر السابق ، جـ ١ ، ص ٢٣.

(٥) خالد المسعود الزيد ، نفس المصدر ، جـ ١ ، ص ٣٧ ـ ٤٠.

(٦) المقصود بالتأثير هنا هو أن الصداقة القائمة بين البارون وشيخ الكويت قد انعكست على توطيد العلاقات الودية بين الكويت والشركة وليس كما قد يتبادر للذهن من أن البارون كان له بعض التأثير على الكويت من خلال صداقته للشيخ .

في الخطأ بعد أن قرأ حرفية الكلمات التي أوردها ايفز من أن الشيخ « كان واقعا تحت تأثير البارون » ، ففي الحقيقة أن الشيخ لم يكن تابعا للبارون بحال من الأحوال وأن ما قام بينهما من علاقات كانت قائمة على قدم المساواة ، وبهدف المنفعة والمصالح المشتركة ، فالبارون والشيخ كانا يستفيدان من نقل التجارة عبر الصحراء على الجمال بطرق تتجنب المرور بالبصرة . وكان الغرض من تجنب البصرة أن لا يستفيد متسلمها من المكوس الجمركية التي كان يفرضها على البضائع المارة بمدينته لا سيما وأن البارون يكن للمتسلم شيئا من الكراهية نتيجة خروجه من البصرة قبل سنوات قليلة مطرودا على أثر الخلاف الذي نشب بينه وبين ذلك المتسلم . وهذا ما جعل للبارون فائدة قصوى من جراء خسران المتسلم لتلك المكوس التي كانت كبيرة نسبيا . أما شيخ الكويت فكان بدوره يستفيد فائدة كبرى من ذلك الخلاف ويعمل على تصعيده نظرا لتحول الكثير من السفن الهولندية وغيرها الى ميناء الكويت لتفريغ شحنتها من البضائع فيها بدلا من البصرة ، وكانت هذه البضائع تصدر الى الشام وأوروبا[1].

ومن حادثة الدكتور «ايفز» وغيرها يتضح لنا قيام علاقات كبيرة بين شركة الهند الشرقية الهولندية وبين الكويت وأن هذه العلاقات قائمة على التعاون في المجال التجاري وقيام صفقات تجارية متعددة بين الجانبين . إلا أننا لا نستطيع تحديد حجم هذا التعاون التجاري على وجه الدقة بالرغم من تأكدنا من وجوده . والى جانب الممارسات التجارية التي قامت بين الطرفين فان هناك نشاطا كبيرا تعاون خلاله الجانبان في نقل التجارة عبر الصحراء وبواسطة البحر من الكويت الى حلب وأوروبا . فقد أصبحت الكويت في النصف الثاني من القرن الثامن عشر محطة للقوافل المسافرة بين حلب وشرقي الجزيرة العربية . فكانت القوافل المارة بالكويت تحمل معها بضائع الهند التي كانت تصل الكويت على السفن الكويتية التي كانت تحمل معها الى جانب البضائع الركاب المسافرين الى حلب ممن يكونون قد وصلوا شمال الخليج قادمين من الهند أو جنوب الخليج[2].

ولا شك أن هذه التجارة عبر الخليج الى الهند وذلك النشاط في حركة البضائع والأفراد التي تحملها سفن التجار الكويتية ثم القوافل الى الكويت تشكل مصدر الدخل الأكبر بالنسبة للكويت .

وبصفة عامة فقد استفادت الكويت فائدة كبيرة من المساهمة في النشاط التجاري الملحوظ لشركة الهند الشرقية الهولندية في ذات الوقت الذي استفادت به فائدة أكبر من التعامل من شركة الهند الشرقية الانكليزية التي بدأ نجمها في الارتفاع ابتداء من ذلك الوقت حتى تمت لها السيطرة الكاملة على النشاط التجاري والاقتصادي في الخليج في القرن التاسع عشر بعد أن تمكنت من القضاء على منافسة القوى الاوروبية الأخرى لها ثم أخذت تمارس فرض نشاطها السياسي في المنطقة في الفترة اللاحقة .

ومن الجانب الآخر فقد استفادت شركة الهند الشرقية الهولندية من العلاقات الطيبة التي نشأت بينها وبين الكويت بصورة كبيرة في اقامة تعامل تجاري معها فعقدت معها صفقات كبيرة بهذا الصدد في محاولة للاستعانة بالكويت كمركز لتصريف بضائعها واتخذت من تجار الكويت واسطة لهذا الغرض كما اتخذت من الكويت محطة لقوافلها المارة عبر الصحراء الى الشام وحلب ثم الى أوروبا . كما لم تقل أهمية ميناء الكويت البحري عن طريقها الصحراوي فارتادته سفنها وحملت السفن الكويتية بضائع الشركة من الهند الى الأسواق الأخرى في الجزيرة العربية والعراق والشام وأوروبا .

لذلك كله كانت للكويت أهمية خاصة في نظر الشركة ومسئوليتها وتجلى هذا الاهتمام بوضوح في تقارير أولئك المسئولين الحافلة عن الكويت والتي لم تترك صغيرة ولا كبيرة إلا وعنيت بها مما ترك لنا مادة علمية مهمة جدا عن تاريخ الكويت في تلك الحقبة من الزمن التي لم نجد فيها من يهتم بالكويت ودراسة تاريخها إلا قلة من الرحالة الاوروبيين الذين طافوا في المنطقة . وهذا ما صعد فائدة تقارير مسئولي شركة الهند الشرقية الهولندية ومن هذه التقارير تقرير

---

(١) د. أبو حاكمة ، المصدر السابق ، ص ٣٠.

(٢) *Dr. Ives, Voyages 201-216.*

« نيفهاوزن » مدير الشركة ومساعده السالف الذكر عن المنطقة الساحلية للخليج والذي اهتم بالكويت بشكل خاص[١].

ولا شك أن ذلك الاهتمام من أولئك المسئولين راجع الى تقديرهم لأهمية الكويت بالنسبة لتجارة شركتهم وذلك نظراً لموقعها الاستراتيجي الممتاز على خط مواصلات الشركة البحرية والبرية ولمهارة تجار الكويت ونشاطهم في مجال النقل للأفراد والبضائع.

ولم ينحصر اهتمام شركة الهند الشرقية الهولندية بالكويت على النواحي التجارية ونشاط النقل البري والبحري بل شمل هذا الاهتمام مجالات أخرى كثيرة فقد قام « فان نيفاوسن » (المقيم السياسي الهولندي في البصرة) بتخطيط لتعدين الكبريت في الكويت وذلك عام ١٧٥٤[٢].

وبهذا نجد أنه كانت لشركة الهند الشرقية الهولندية اهتمامات كبيرة شملت مجالات كثيرة ومتعددة مما دفع الشركة الى اقامة علاقات ودية وثيقة مع الكويت.

ومهما كانت لشركة الهند الشرقية الهولندية من آمال باقامة مشاريع في الكويت إلا أن بريطانيا تمكنت من تبديد هذه الآمال تدريجيا حين استطاعت السيطرة على تجارة الخليج والتحكم بحركة النقل فيه وعبر أراضيه الصحراوية والقضاء على المنافسة الاوروبية لها في هذه المجالات وفق خطوات عملية ومدروسة باتقان حتى تمكنت في النهاية من القضاء على منافسة كافة الأطراف، وأولها حليفه الأمس هولندا وحكمت حلقات نفوذها ومصالحها في الخليج الذي غدا أشبه بالبحيرة الانكليزية وذلك بعد أن عقدت الاتفاقيات المانعة مع دوله وعن طريق تلك الاتفاقيات غير المتكافئة حصلت على احتكارات كاملة لكافة المصالح الحيوية في دول الخليج العربي وكانت اتفاقيتها المانعة (الحماية) مع الكويت عام ١٨٩٩م.

علاقة الكويت بالدولة العثمانية:

تعتبر الكويت أقرب امارات الخليج العربي للدولة العثمانية في العراق إلا أنه لم يثبت وجود سيطرة عثمانية فعلية عليها. وقد اقتصر الأمر على مجرد نوع من التبعية الاسمية، وذلك أن المستوطنين الأول في الكويت من العتوب بزعامة آل الصباح لم يجدوا مناصا من تأمين مركزهم بالاعتراف بشيء من الولاء للوالي العثماني في العراق[٣]. وذلك في بداية مرحلة استقرار العتوب في الكويت[٤]. وبذلك أقرت الكويت للدولة العثمانية نوع من السيادة الاسمية دون أهمية تذكر لتلك السيادة ولا تدخل من جانب الدولة العثمانية في الشئون المحلية[٥].

وكان التحرر من التبعية العثمانية عامل سائد ومؤكد في سياسة شيوخ الكويت في غضون القرن الثامن عشر[٦]، وحتى بعد منتصف القرن التاسع عشر (١٨٦٩م) وحتى حين يتعرضون للخطر الخارجي فانهم لا يلجئون الى الدولة العثمانية وإنما يعتمدون على أنفسهم في رد ذلك الخطر، وهذا ما حدث حين تعرضت الكويت للهجمات الوهابية في أواخر القرن الثامن عشر وبداية القرن التاسع عشر.

ولتأكيد استقلال الكويت عن الدولة العثمانية فاننا نجد أن هناك حتى من المسئولين العثمانيين أنفسهم من يعترف بهذا الاستقلال. فمثلا نجد مدحت باشا (والي بغداد منذ ١٨٦٩م) اعترف باستقلال الكويت وذلك بالرغم من أنه كان يعمل منذ توليه ولاية بغداد على تنظيم علاقة العراق العثماني بالخليج العربي بحيث يضمن سيادة الدولة العثمانية على الكويت وبقية امارات الخليج العربي والجزيرة العربية. وقد جاء اعتراف مدحت باشا في مذكراته (ترجمة حالة)[٧] حين ذكر في معرض وصفه لأحوال الكويت « ومع أن جميع أهلها مسلمون إلا أنها لم تكن مرتبطة بأية جهة، وبالرغم من

---

(١) ترجمة التقرير عن الهولندية والمنشور في مجلة الوثيقة التاريخية البحرينية ـ العدد الثالث ـ ص ١٥.

(٢) مجلة الوثيقة التاريخية البحرينية، (مؤتمر البحرين عبر التاريخ)، جـ ٣، ص ٦٧.

(٣) د. جمال زكريا قاسم ـ الخليج العربي (دراسة لتاريخ الامارات العربية)، ١٨٤٠ ـ ١٩١٤ ـ ص ٢٥٥ ـ القاهرة ١٩٦٦.

(٤) د. مصطفى النجار ـ التاريخ السياسي لعلاقات العراق الدولية بالخليج العربي ـ ص ١٣٨ (منشورات مركز دراسات الخليج) ـ البصرة ـ عام ١٩٧٥.

(٥) سيد نوفل ـ الأوضاع السياسية لامارات الخليج العربي ـ ص ١٥٢ ـ ١٩٥٣.

(٦) *F. O. /78/5113 India Office to Foreign Office, 24 March 1987.*

(٧) مذكرات مدحت باشا (ترجمة حالة) من وثائق وزارة الخارجية الكويتية.

محاولات نامق باشا الوالي السابق لالحاقها بالبصرة وتشبثه بادارتها عن طريق تكليف أهلها بقبول ذلك ، إلا أنها لتمتعها بادارة مستقلة مستثناه مجردة من جميع التكاليف ، وخشية من تحميلهم الضرائب ورسوم الجمارك لم يوافقوا على تغيير حالهم وفضلوا البقاء على وضعهم ... وبالنظر لمساعدة موقعهم الجغرافي فانهم يؤلفون مملكة أشبه ما تكون بالجمهورية حيث يحكمون أنفسهم بأنفسهم منذ القدم .. وكانت سفنهم تبحر للتجارة غالبا تحت الراية الخاصة بمملكتهم[1] إلا أنهم يضطرون في بعض الأحيان الى رفع العلم الفلمنكي (الهولندي) تارة والانكليزي تارة أخرى لتأمين سلامتهم » .

وقد أكد مدحت باشا جميع ماذهبنا اليه من استقلال الكويت عن كافة الأطراف حتى عن الدولة العثمانية نفسها ودعا الى ايجاد التنظيمات التي تجعل الكويت ولاية مستقلة ذاتيا من ولايات الدولة العثمانية مع اعفاءها من الضرائب والمكوس وذلك في رسالة منه الى الصدر الأعظم[2]. فرفع الصدر الأعظم ما جاء في رسالة مدحت باشا الى السلطان[3] الذي استحسنها وأصدر أوامره بتنفيذها[4] ونظرا لوقوع هذه الأمور في وقت لاحق لفترة دراستنا لذا فلن نتناولها بالتفصيل . وبالاضافة الى هذا الاعتراف من أحد كبار المسئولين العثمانيين (مدحت باشا ـ والي بغداد) فاننا نجد عدم وجود دلائل للتبعية العثمانية في الكويت مثل الدفع الضريبي أو الجزية من الكويت للدولة العثمانية[5]. وعدم وجود حاميات عسكرية أو مراكز عسكرية عثمانية[6]. عدم وجود أي موظف رسمي عثماني في الكويت بل أن الشيخ مبارك رفض في وقت لاحق محاولة الدولة العثمانية لتعيين مديرا عثمانيا لميناء الكويت[7]. كما أن شيوخ الكويت ألجأوا الثائرين على السلطات العثمانية[8] ـ كما سنرى ـ وهذا دليل واضح لاستقلالها عن الدولة العثمانية . ولا يوجد أي اتصال فعلي بين الكويت والدولة العثمانية ، وظل أمراء الكويت بمنأى عن السيطرة العثمانية يشكلون وحدة مستقلة حرصت على حريتها وازدهار تجارتها[9].

إن هذا الاستقلال لم يمنع وجود تعاطف ومودة من شيوخ الكويت للدولة العثمانية على أساس تقارب روحي انطلاقا من كونها دولة الخلافة . ومن كون السلطان يمثل رأس العقيدة الاسلامية . وهذا ما نلمسه من خلال تتبعنا للأحداث ومن ذلك ما نجده من تعاطف الكويت مع البصرة أثناء الحصار العثماني لها (١٧٧٥ ـ ١٧٧٦م) فعلى الرغم من اضطرارها للوقوف موقف حيادي درءاً للخطر الفارسي عن الكويت بل وتقديمها بعض المساعدات للفرس على مضض كتلك التي قدمتها لمساعدة صادق خان (قوة قوامها مائتي رجل) فان ذلك لم يكن عن طيب خاطر بل ان تعاطفها كان مع الدولة العثمانية وكثيرا ما استقبلت مراكبها للاصلاح في ميناء الكويت[10]. كما نجد ذلك التعاطف من خلال تقرب شيوخها للدولة العثمانية ورفعهم الراية العثمانية عام ١٨٣٦م على قصرهم وذلك نتيجة لمحاولات بذلها الانجليز لمد نفوذهم الى امارتهم[11]. ومع ذلك فان رفع الكويت للراية العثمانية لم يعن اعترافها بالسيادة العثمانية بل انها وبقية امارات الخليج (كما يذكر كمبول) "Col. Kemball" المقيم السياسي البريطاني في الخليج العربي ، كان من الصعب على سفنها أن تبحر تحت أعلامها الخاصة نظراً لعدم وجود

(١) قد يقصد بالراية الخاصة ، الراية العثمانية مع وضع كلمة « كويت » على أحد جانبيها تمييزاً لها أو هي الراية الخاصة بالفعل أي الراية الحمراء تتوسطها كلمة « كويت » .

(٢) رسالة من والي بغداد الى الصدر الأعظم (ص ١ ، م ١) من دفتر المهمة العثماني بتاريخ ٨ ذي القعدة ١٢٨٦هـ / يناير ١٨٦٩م .

(٣) كتاب من الصدر الأعظم الى السلطان العثماني بتاريخ ٢٥ ذي الحجة ١٢٨٦هـ ـ ١٨٦٩م .

(٤) كتاب من رئيس كتاب الى الصدر الأعظم رداً على كتابة السلطان وذلك في ٢٦ ذي الحجة ١٢٨٦هـ ـ ١٨٦٩م .

(٥) ***F. O. 78/5113 Viceroy to Foreign Office, telegraphic 12 Feb. 1899.***

(٦) ***F. O. 78/5114 From Sir O'Connor to the Marquis Salisbury, No. 440 9 Sept. 1899, Secret.***

(٧) ***F. O. 78/5114 Foreign Office to Viceroy No. 6 Secret, 9 Sept. 1899.***

(٨) *د. جمال زكريا قاسم ـ المصدر السابق ـ ص ٢٦٣ ـ ٢٦٤ .*

(٩) *البيان الثالث لحكومة الكويت (بمناسبة مطالبة عبد الكريم قاسم بضم الكويت) الصادر بتاريخ ١٩٦١/٧/١٥ .*

(١٠) *د. مصطفى أبو حاكمة ـ المصدر السابق ـ ص ٧٧ ـ ٧٨ .*

(١١) *حافظ وهبة ـ جزيرة العرب في القرن العشرين ـ ص ٨٣ .*

اعتراف دولي بهذه الأعلام . كما أن علم الدولة العثمانية لم يكن يقترن في الأذهان بالدولة العثمانية بل انه يمثل الراية الاسلامية وهي مظهر روحي لاحترام دولة الخلافة الاسلامية(١).

وأكد كمبول استقلال الكويت عن الدولة العثمانية حيث استدل من واقع الأمور أن سكان الكويت قاوموا بنجاح جميع المحاولات التي بذلت لجعلهم تحت السيادة العثمانية وتحت نفوذ القضاء العثماني وأنهم حافظوا على استقلالهم . وأشار كمبول الى أنه حقيقة أن سكان الكويت يعترفون بالسيادة العثمانية إلا أن ذلك لا يتعدى كونه اعترافا اسميا(٢) . هذا وكانت علاقات الكويت بالدولة العثمانية ودية على الدوام لا يكدرها إلا قيام شيوخ الكويت ببعض الأعمال من واقع استقلالهم مثل قبول اللاجئين وحين ذاك يصطدمون بالدولة العثمانية وهذا ما حدث حين الجأت الكويت مصطفى أغا متسلم البصرة حين أجبرته قوات باشا بغداد هو وأتباعه على الالتجاء الى الكويت على أثر محاولته الرامية لحكم البصرة حكما مستقلا عن بغداد وأيده في ذلك الشيخ ثويني بن عبدالله أمير المنتفك وقد دارت مراسلات عديدة بين بغداد والكويت لتسليم اللاجئين وكان لصموئيل مانستي Menesty (رئيس الوكالة البريطانية في البصرة) دورا رئيسيا للتوسط بين الجانبين فكتب الى الشيخ عبدالله الصباح كتابا بهذا الصدد ذكر فيه « لقد قمت مؤخرا بزيارة باشا بغداد في معسكره ... فأشار الى أن علاقة قديمة ربطت ومازالت تربط أهل الكويت بالبصرة . ولكنه عبر عن دهشته وغضبه العظيمين تجاه سلوككم في منح الحماية لأناس كانوا ثائرين عليه ، وفروا ليتجنبوا العقاب الذي يحتمه ذنبهم . وحذر من أنه ما لم تسلمهم اليه أو تأمرهم بمغادرة الكويت فانه سيعتبركم عدوا له . ويرسل اليكم حملة عسكرية مدعمة بقوات طلبها من بومباي يقودها بنفسه الى القرين(٣) .

فأجاب الشيخ على رسالة مانستي برسالة بين فيها « أن الكويت ملك للباشا وأن سكانها مستعدون لخدمته . ولكنكم تعرفون حق المعرفة أن عاداتنا تلزمنا بحماية أي مستجير بنا ومن العار التخلي عنه أو تسليمه الى أعدائه ... واني أعتمد على صداقتكم في ايضاح الأمر على حقيقته للباشا »(٤) . وبالفعل أقنع مانستي الباشا بالعدول عن ارسال الحملة التي كان يزمع القيام بها وساعد مانستي في مهمته ترك اللاجئين الكويت الى نجد(٥).

وإذا كنا استندنا الى بعض الاشارات لالتجاء الفارين من الدولة العثمانية الى الكويت لتأكيد استقلال الكويت عن الدولة العثمانية فلابد من التركيز بهذا الشأن على انتقال الوكالة البريطانية (أو المركز البريطاني التجاري) نفسها الى الكويت في ٣٠ أبريل عام ١٧٩٣م وظلت فيها حتى أغسطس عام ١٧٩٥م نتيجة لخلافات بينهم وبين الموظفين العثمانيين(٦) واختيار الكويت يشير الى دلالتين :الأولى : أن موظفي الوكالة ارتاحوا للتعامل مع الكويت أثناء انتقال بعض نشاطهم اليها خلال حصار الفرس للبصرة (١٧٧٥م ـ ١٧٧٦م) والثانية : والأهم ـ عدم خضوع الكويت لأية سلطة عثمانية(٧).

وبالرغم من كل دلائل الاستقلال القاطعة فان حكمة شيوخ الكويت تدعوهم الى بناء علاقات ودية مع الجارة القوية الدولة العثمانية وكثيرا ما كانت تساهم في حملات الدولة العثمانية البرية والبحرية مثل حملة ثويني باشا شيخ المنتفك عام ١٧٩٧م حين أرسله والي بغداد لمهاجمة الوهابيين في الاحساء فتوقف في الجهرة الكويتية لجميع مستلزمات الحرب . وقد ساهمت الكويت في هذه الحملة ولكن لا يعرف بالتحديد ماهية مساهمتها ولابد أنها أسلحة وبعض المراكب لأن الحملة كانت بحرية وكان دافع الكويت للمساهمة في هذه الحملة

---

(١) *Whigham : The Persian Problem, P. 101-103.*

(٢) *Frazer : India under Curzon and after, PP. 97-98.*

(٣) القرين : هو الاسم الذي كان يطلقه الأوروبيون على الكويت التي عرفت به عند مجيئهم الى الخليج وذلك نسبة الى الساحل الذي تقوم عليه والذي ينحنى في اتجاه دائرة مكونا ما يشبه القرن .

(٤) د. مصطفى النجار ـ المصدر السابق ، ص ٣٨ ـ ٣٩ .

(٥) *Factory Record, Persia and Persian Gulf, Vol. 18 serial No. 1532 Letter dated 17th April 1989.*

(٦) *Ibid, letter dated 30th April 1789.*

(٧) *Factory records, Persia and Persian Gulf, Vol. 19. letter No. 1652, dated 18th July 1795.*

والحملات الأخرى هو ما قاسوه من هجمات الوهابيين على بلادهم . وبعد فشل هذه الحملة نتيجة اغتيال قائدها أبحرت حملة عثمانية أخرى في أواخر السنة التالية (٢ ديسمبر ١٧٩٨م) بقيادة متسلم البصرة الكيخا علي باشا[١] . وقد سلكت الحملة طريقا بريا وبحريا في تقدمها نحو الاحساء فسارت نحو الجهرة حيث قدم لها شيخ الكويت عبدالله الصباح معونات بحرية ساعدتها كثيرا[٢].

ولابد من الاشارة الى أن من الأسباب الرئيسية التي عملت على تمتع الكويت باستقلالها عن الدولة العثمانية واحتفاظها على الدوام بهذا الاستقلال دون محاولات تذكر من الدولة العثمانية لتحويل سيادتها الاسمية الى سيادة فعلية لا سيما خلال القرن الثامن عشر[٣] هو الأوضاع السياسية المهلهلة السائدة في العراق العثماني مما مكن الكويت أن تحتل مكانا مرموقا في عالم الخليج دون خوف من الجارة الكبرى . فقد شهدت البصرة منذ أواخر القرن السابع عشر ومستهل القرن الثامن عشر فترة اضطرابات وفتن استمرت حتى نهاية النصف الأول من القرن الثامن عشر . وقد صاحب هذه الاضطرابات انتشار وباء الطاعون الذي أفنى البصرة وخربها خرابا أدى الى هجرة بعض أهاليها ، وبهذا لم تكن أوضاع العراق العثماني بأحسن حال من جيرانهم الفرس . لذا فلم يكن بمقدورهم بالتالي أن يلعبوا دورا ذا بال في هذه الحقبة من الزمن ، بالاضافة الى أن قوتهم لم تكن قادرة على تحدي قوة بني خالد على السواحل الشرقية للجزيرة العربية . ويكفي أن نذكر أن البصرة خلت من السكان بسبب الطاعون والمجاعة واضطهاد حكامها العثمانيين وتسلطهم[٤].

ومن ناحية أخرى لا يفوتنا أن نذكر التأثير الكبير لاحتلال الفرس للبصرة (١٨٧٦م ـ ١٧٧٩م) على أوضاع العراق العثماني وما ترتب على ذلك من اضعاف النفوذ العثماني في الخليج والجزيرة العربية ودحر أي محاولة لهم لمد نفوذهم هناك . فقد كان لاحتلال البصرة نتائج عكسية واضحة بالنسبة للنفوذ العثماني في المنطقة بينما كانت له في المقابل نتائج ايجابية كبيرة بالنسبة لنمو الكويت وازدهارها السياسي والاقتصادي . ذلك أن احتلال البصرة دفع بكثير من أهلها للهجرة الى الكويت ـ لا سيما أولئك الذين كانوا من أصول نجدية وعربية ـ فزادت تلك الهجرة من سكان الكويت بشكل ملحوظ ، مما زاد من مسئولياتها السياسية تجاه القادمين الجدد وترتيب أمور استقرارهم ، واتخاذ ترتيبات أمنية لمواجهة أي محاولة فارسية للامتداد الى الكويت ، هذا بينما أدى ذلك الاحتلال الى تلاشي أي محاولة من سلطات البصرة الى تحويل تبعية الكويت الاسمية لها الى تبعية فعلية أو محاولة ضمها[٥].

ومن ناحية أخرى فان احتلال الفرس للبصرة حول الأنظار الى الكويت مما دعم مركزها السياسي لدى القوى المحلية (العربية) والقوى الأجنبية المتمثلة بالشركات التجارية مثل شركة الهند الشرقية الانكليزية وشركة الهند الشرقية الهولندية وهكذا سنحت الفرصة للكويت للظهور والبروز في المنطقة ، كما أن الكويت لم تتأثر سلبيا نتيجة الاحتلال ، لأن حكامها عرفوا كيف يتصرفون أثناء الحصار فاتبعوا سياسة ذات حدين في ارضاء طرفي النزاع[٦].

ومن جميع ما تقدم يمكن أن نصف السيادة العثمانية على الكويت بأنها سيادة اسمية لا تظللها أي سلطة فعلية ولا يتبعها أي مظهر من مظاهر النفوذ فلا خراج ولا ضرائب ، ولا وجود لقوة عسكرية ولا موظف مدني عثماني بل تصرفت الكويت في ظل السيادة الاسمية للدولة العثمانية تصرف الدولة المستقلة كاملة السيادة فاستقبلت ممثلي الدول الأجنبية وأقامت علاقات مع الأطراف الخارجية وعقدت معهم المعاهدات والاتفاقيات ـ مثل اتفاقية الصداقة مع بني

---

(١) د. مصطفى النجار ـ امصدر السابق ـ ص ٤١ .

(٢) *Lorimer, Gazette letter of the Persian Gulf, IV, Table 9 p. 1004.*

(٣) ظهرت بعض المحاولات العثمانية لتحويل سيادتها الاسمية على الكويت الى فعلية عندما حاول نامق باشا ذلك عام ١٨٦٦م ثم مدحت باشا عام ١٨٦٩م ولكن نظرا لكون هذه المحاولة خارجة عن فترة دراستنا كما أنها لم تسفر عن شيء يذكر لذا فلن نتناولها في دراستنا هذه .

(٤) د. أبو حاكمة + المصدر السابق ـ ص ٤١ .

(٥) مقال للباحثة بعنوان (نشأة الكويت وتطورها في القرن الثامن عشر) مجلة دراسات الخليج والجزيرة العربية ـ العدد السادس والأربعون ـ رجب ١٤٠٦هـ الموافق ابريل ١٩٨٦م .

(٦) رنده المصري = مقالة بعنوان « الكويت » (دراسة تحليلية) مجلة الوثيقة التاريخية ـ العدد الأول ، السنة الأولى ، رمضان ١٤٠٢هـ ـ الموافق يوليو ١٩٨٢م .

خالد ثم معاهدة الأمن والسلام مع بريطانيا عام ١٨٤١م ـ الى غير ذلك من أركان السيادة التي تمتعت بها الكويت بصورة كاملة وغير منقوصة .

وانحصرت مظاهر السيادة العثمانية بتلقي ولاء الكويت الديني وتقديم المساعدات في المناسبات اللازمة واصدار فرمان باسم وارث العرش الذي يختاره آل الصباح دون أن يكون لها يد في اختياره ثم رفع الكويت للعلم التركي مع اضافة كلمة كويت على أحد جانبيه .

بداية الاتصالات البريطانية بالكويت :

يمكن اعتبار عام ١٧٧٥ هو بداية الاتصال البريطاني المباشر بالكويت وذلك لأنه أسبق تاريخ مدون لهذا الاتصال كما أنه مثبت بواقعة مادية هي احتلال الفرس لمدينة البصرة في ذلك العام . فبدأ ارسال البريد الصحراوي الانجليزي عبر الخليج الى حلب يتوجه عن طريق الكويت بدلا من الزبير ، وذلك على الرغم من أن الفرس لم يحتلوا الزبير إلا بعد ذلك بأكثر من عامين وبالتحديد عام ١٧٧٨م كما أن النظرة البريطانية الى الكويت في ذلك الوقت على أنها تابعة للبصرة[١].

ولم يقتصر اهتمام الانكليز بالكويت على كونها محطة لارسال بريدهم بل واهتمت بها شركة الهند الشرقية الانكليزية لأغراض تجارية فقد حلت المشكلة التي واجهتها الشركة في تصريف بضائع الهند وسورات في بلدان الشرق الأوسط بعد احتلال البصرة . وهذا ما تكشفه لنا رسالة القنصل البريطاني في حلب الى المستر لاتوش الوكيل البريطاني في البصرة بتاريخ ١١ يونيه ١٧٧٦ . فقد ذكر فيها « أنه اذا كان بالامكان بقاء القرين محايدة فانه يمكن للقوافل أن تسافر اليها ، وأن تحمل البضائع منها الى حلب . وانها ذات موقع جيد يمكنها من أن تكون خلفا للزبير غير أن هذا لن يتأتى من دون بقائها مستقلة »[٢].

وقد أيد المستر لاتوش رأي القنصل البريطاني في حلب مبينا وجهة نظره الخاصة : « بأنه يدرك تماما أن بدء اتصال برّي مع حلب وبغداد عن طريق القرين لهو حدث يتطلعون اليه بكل شوق لأنه سيمدهم بمخرج لبضائع البرتغال وسورات المكدسة في بومباي والتي تنتظر تجار البصرة لا سيما وأن القرين لازالت بعيدة عن عبث الفرس »[٣].

وعلى أية حال فقد استفادت الكويت من هذا الوضع الجدي فائدة تجارية كبرى فأصبحت مركزا تجاريا عظيما كما توقع لها القنصل البريطاني في حلب . وذلك الى جانب ما ثبت من أن الكويت استفادت من استعمالها كمحطة يسلم منها البريد الصحراوي فقد جرت العادة على أن تؤجر الشركة موظفي بريد الصحراء السريع من الزبير ولكن حين خلفت الكويت الزبير أصبح هؤلاء الموظفين يختارون منها[٤]. إلا أن البريد لم ينتظم في البداية لعدم وجود ممثلين للشركة فيها . فكلف المستر لاتوش اللفتنانت تويس Twiss قبطان السفينة (تربيل Terrible للقيام بهذه المهمة . وبذلك استفادت الكويت من احتلال الفرس للبصرة مثلما استفادت في السابق من مرض الطاعون الذي حل بالأخيرة عام ١٧٧٣ ـ ١٧٧٤ فانتقل اليها عدد من التجار ومعهم المال اللازم للتجارة لتمويل صناعة السفن[٥]. وفي عام ١٧٧٨ رفض الشيخ عبدالله تسليم الضابط الفرنسي المسيودي بورج الذي التجأ اليه لرجال الوكالة البريطانية في البصرة[٦] مراعيا بذلك قواعد الضيافة العربية ، إلا أنه عاد ووافق على القبض عليه بعد أن تبين له أنه محتال ، وحرصا منه على علاقته الطيبة بالانكليز التي تعرضت

---

(١) لوريمر دليل الخليج النسخة المترجمة ، جـ ٣ ، ص ١٥٠٤ ـ ١٥٠٥ .

(٢) *خطاب من القنصل البريطاني في حلب الى المستر لاتوش في البصرة بتاريخ ١١ يونيه ١٧٧٦م .*

(٣) *خطاب من لاتوش الى مجلس المديرين في لندن بتاريخ ٢٤ يوليو ١٧٧٦ . والخطابين مأخوذين عن د. أبو حاكمة . تاريخ الكويت ، ص ١٧٣ ـ ١٧٤ .*

(٤) *رسالة الباحثة للدكتورة بعنوان العلاقات البريطانية الكويتية في الفترة ١٩٢٢ ـ ١٩٦١ (غير منشورة ص ٢) .*

(٥) *Marlowe, The Persian Gulf in the Twentieth century. P. 24.*

(٦) *Capper, Observation, P. P. 99-101.*

للتصدع نتيجة لهذا الحادث[1]. وفي ٢٤ أبريل ١٧٩٣ انتقل المخزن التجاري البريطاني (الوكالة التجارية) الى الكويت نتيجة للعقبات التي وضعها في وجهه السلطات التركية وبقي في الكويت حتى ٢٦ أغسطس ١٧٩٥[٢]. فكان لهذا الانتقال أثر كبير في ازدياد نمو الكويت وتطور اقتصادها . ويقول المستر بريدجز **Brydges** أحد موظفي شركة الهند الذي التجأ الى الكويت ١٧٩٤ ، ان الشيخ قدم للمخزن كل التسهيلات وان المخزن كان مزودا بحرس من الهنود لحراسته خصوصا من اعتداءات السعوديين (الوهابيين)[٣].

وتطورت علاقة الانكليز بالكويت الى الأحسن حين كانوا يعترضون سبيل المراسلات الفرنسية بعد أن زاد نشاطهم في الهند والمحيط الهندي وكانت الحرب قد أعلنت بين انجلترا وفرنسا . وقد استفادت انجلترا من صداقة المستر مانيستي (**Menesty** رئيس المخزن) والشيخ عبدالله الصباح بهذا الصدد في القضاء على المخططات الفرنسية الرامية الى استخدام السفن الكويتية في حمل مبعوثيها ورسائلهم ، وفي القضاء على محاولة الفرنسيين في أن يجعلوا من الخليج العربي طريقا غير صالح لاستخدام الانكليز .

وعلى الرغم من توثق العلاقات البريطانية الكويتية بشكل أكبر في فترة لاحقة والتي أدت في نهاية القرن التاسع عشر الى توقيع اتفاقية الحماية إلا أننا لابد أن نقف في سياستنا عند هذه الفترة التي تنتهي عندها الفترة المحددة للبحث والواقعة في القرن الثامن عشر[٤].

علاقة الكويت ببلاد فارس :

ان الأوضاع السياسية التي كانت تسود بلاد فارس في مطلع القرن الثامن عشر قد عملت على أن تحتل الكويت مكانا مرموقا في عالم الخليج بعد حين ، فقد مهدت أحوال فارس المضطربة وغير المستقرة خلال الربع الأول من ذلك القرن[٤] سبل النمو والاستقرار والازدهار للكويت بحرية ودون أدنى خوف من تلك الدولة المتسلطة والتي كانت في زمن قوتها تتحين الفرص لتفرض سيطرتها على الجانب الغربي من الخليج العربي . إلا أنها في تلك الفترة كانت مشغولة في محاولة لملمة شمل أجزائها المهلهلة ومعالجة أوضاعها المتردية نتيجة تعرضها للغزو الأفغاني ثم العثماني ثم الروسي على التوالي . لذا فقد كان من الطبيعي أن يتحرر الخليج العربي من أية سيطرة فارسية . فبالاضافة الى الغزو الخارجي الذي تعرضت له بلاد فارس كانت أوضاعها الداخلية أكثر سوءا . فقد دب الهرم الى جسم الدولة الفارسية نتيجة للفوضى والفتور والاضطراب في سياستها الداخلية وتفشي الفساد في الدولة الصفوية مما أغرى الشعوب الواقعة تحت نيرها أن تطالب بالاستقلال وتسعى لنيله. وأن تقوم بحركات عسكرية للتخلص من سيطرة الفرس[٥] مما زاد من ضعف الدولة وفت في عضدها وجعلها تنصرف عن محاولة فرض سيطرتها على الدول المجاورة نتيجة لانشغالها بأمورها الخاصة وذلك الى جانب عدم احكام مواصلاتها . كل هذه العوامل وغيرها فسحت المجال واسعا أمام العتوب في الكويت لانشاء دولتهم والعمل على نموها وتقدمها والمحافظة على استقلالها عن كافة الأطراف بل ان العتوب طمحوا الى ما هو أكبر من ذلك وهو عملهم على تحرير البحرين من الحكم الفارسي[٦] بعد أن اطمأنوا الى ضعف فارس من جهة والعراق في ظل حكم الأتراك من جهة أخرى ، وهما البلدان الوحيدان اللذان كان بمقدورهما بما لهما من قوة عسكرية أن يلعبا دورا هاما في سياسة الخليج العربي في هذه الحقبة من الزمن غير أن لا الأتراك ولا الفرس كانوا في وضع يمكنهم من أن يلعبوا مثل ذلك الدور الهام والحيوي في تاريخ المنطقة وهكذا خلا ميدان الخليج العربي السياسي في تلك الفترة من أية قوة كبرى تفرض هيمنة كلية عليه ومن هنا صار في مقدور المدن الناشئة كالكويت أن تتطور وتتقوى دون أن تتعرض لخطر حكام فارس أو الأتراك[٧]

(١) *Brydges, Wahauby, P. P. 175-176.*

(٢) السير ارنولد ويلسون الخليج العربي (النسخة المترجمة) (ترجمة عبد القادر يوسف) ، ص ٤٠٢ .

(٣) *Brydes, An account of His Majesty's to the court of Parsian pp. 12-16.*

(٤) *L. Lockhart, Nadir Shah, A Critical Study, pp. 1-17.*

(٥) محمد حجازي ـ تاريخ ايران ـ ١٣٤٦هـ (باللغة الفارسية) ، ص ١٧٩ .

(٦) د. علي ابا حسين ـ دراسة في تاريخ العتوب ـ مجلة الوثيقة التاريخية ـ العدد الأول ، ص ١٠٠ .

(٧) د. أبو حاكمة ـ المصدر السابق ـ ص ٤٢ .

ان الخليج العربي لم يأخذ دورا مرموقا في الاهتمامات الفارسية إلا بعد عام ١٧٢٦م عندما سيطر نادر شاه على فارس جميعها ، وبدأ يتطلع بأنظاره الى مدن الخليج العربي ، وتبنى حينذاك (سياسته البحرية) في الشمال والجنوب ، أي باتجاه بحر قزوين والخليج العربي . وحتى هذه السياسة فشلت بسرعة لعدم توفر البحارة الفرس اللازمين لمواكبة ذلك الطموح والأطماع السياسية . ذلك أن قوام أسطوله كان يقوم على البحارة الهنود والبرتغاليين المرتزقة[١]. أما الميناء الذي كان يتجمع فيه ذلك الأسطول فهو ميناء بوشهر الذي أطلق عليه نادر شاه عام ١٧٣٤م اسم بندر نادريه نسبة إليه .

وفي النصف الثاني من القرن الثامن عشر كان الحكم في ايران قد آل إلى كريم خان الذي كان يمثل أقوى ادارة قامت في الخليج ، فكانت قاعدته الأساسية شيراز ثم بسط نفوذه على البلاد جميعا فيما عدا بعض المناطق البعيدة المتطرفة ومن الجهات القليلة التي لا تخضع له خضوعا كاملا تلك المتاخمة للخليج مثل عربستان وبالرغم مما وصل اليه كريم خان من قوة ونفوذ إلا أن مركزه في الداخل كان دقيقا وحرجا بحيث لا يسمح له بالتأثير في الأحداث الخارجية ، إذ كان مشغولا مدة حكمه القصير بقمع حركات التمرد في الداخل ، وكانت الكويت قد بدأت في البروز[٢]. بعد أن استقرت أمورها في الداخل ونظمت شئونها فسعت بكل جهدها الى الظهور في عالم الخليج فتحقق لها ما أرادت تحقيقه لنفسها من نمو وتطور بسرعة كبيرة وذلك بفضل العوامل الخارجية المحيطة بها والتي منحتها الأمن والسلام في تلك الحقبة من الزمن التي كانت فيها بأشد الحاجة لمثل هذان العاملان الهامان لاطراد نموها وتقدمها .

أما الخطر الحقيقي الذي كان يهدد الكويت في هذه المرحلة من تاريخها فقد جاء من الجانب الفارسي من الخليج العربي ولكنه لم يأت من الفرس بل من العرب مثل عرب بني كعب الذين كانت مدينتهم الدورق مركز سلطتهم وقوتهم وكانوا ينزلون الى الشرق والجنوب الشرقي من البصرة وكانوا لا يداومون على ولاء لأحد ، فهم طورا مع الفرس وطورا آخر مع الأتراك وأحيانا مع الطرفين في آن واحد[٣]. والخطر الآخر تمثل في عرب بندرريق ثم بوشهر وكانت هذه القبائل العربية الثلاث التي تحكم المدن الثلاث هي التي ترسم الخريطة السياسية للجزء الجنوبي من بلاد الفرس في العقد السابع من القرن الثامن عشر .

ويمكن القول أن العلاقات كانت قائمة باستمرار بين ساحل فارس الجنوبي على الجانب الفارسي من الخليج العربي وشرقي الجزيرة العربية ، نظرا لأن ذلك الساحل كان مأهولا بالعرب الذين كانوا على اتصال دائم بعرب شرقي الجزيرة الذين كانوا هناك . ولما أراد نادر شاه أن يوطد أقدامه على ساحل الخليج الشرقي ، اعتمد على مشاته الفرس ، ثم لما أراد أن يبسط نفوذه خارج حدود فارس عبر الخليج العربي ، اعتمد على ضباط من القرى لقيادة سفنه التي كان يسيرها ملاحون من العرب وهو متعمد بذلك على أبعاد العنصر العربي من جيشه البري ، وأسند اليه أعمالا ثانوية في بحريته ، فكان مآل تلك السياسة الى الفشل ، إذ أنه لم يتمكن من أن يفرض تفوقه في مياه الخليج حيث فتك الجنود العرب برؤسائهم الفرس وسلموا الأسطول الى اخوانهم العرب .

وعند تسلم كريم خان الحكم عام ١٧٥٧م عمل على تركيز السلطة في يده بشكل كامل ووطد علاقاته مع العرب النازلين بفارس فطلب منهم العون في كفاحه لتوطيد نفوذه في منطقة الخليج العربي إلا أن العرب لم يتعاونوا مع كريم خان بمحض ارادتهم بل انهم تسببوا له بكثير من المشاكل[٤].

وهكذا ساهمت أوضاع بلاد فارس بصورة عامة في تسهيل مهمة العتوب في الكويت وفي تمكينهم من تأسيس مدينتهم وتوطيد حكمهم والعمل على اعلاء شأن بلدهم ـ فكان ضعف الفرس وانعدام

---

(١) *Sykes, A History of Persia. 271.*

(٢) لوريمر ـ دليل الخليج ـ القسم التاريخي ، ص ٢٢٥ ـ ٢٢٦ .

(٣) *Niebuhr, Voyage en Arabie, II, 178-188.*

(٤) د. أبو حاكمة ـ نفس المصدر ـ ص ٦٦ ـ ٦٧ .

نفوذهم الى جانب انعدام نفوذ القوى الكبرى الأخرى وهي الدولة العثمانية في العراق مما أتاح الفرصة أمام المدن الصغيرة النامية مثل الكويت والزبارة أن تتطور دون خوف من خطر قوة أكبر منها قد تتدخل في شئونها وتفرض عليها سلطانها، فتحد من حريتها واستقلالها ونشاطها ونموها واطراد تقدمها.

وقد انحصر جهد العتوب الجاد والمضني في العمل على مواجهة تحديات القوى العربية الثلاث وهم بنو كعب وعرب بندر ريق وبوشهر الذين تمكن العتوب في النهاية من النجاح في مقاومتهم والقضاء على خطرهم والحفاظ على استمرار استقلال بلدانهم في الكويت والزبارة وتخليص البحرين منهم وضمها للمدن العتبية كقوة جديدة ناشئة.

وبالاضافة الى تلك القوى القبلية الثلاث الكبيرة كان هناك جماعة أخرى هم عرب الهولة النازلون على الجزء الجنوبي من الخليج والمنتشرون في جزر قشم وقيس وهرمز وغيرها من الجزر الصغيرة الواقعة في جنوب الخليج العربي وبما أنهم لم يلعبوا دورا يذكر في فترة دراستنا الممتدة عبر القرن الثامن عشر والتاسع عشر لذا لن نتطرق بالحديث عنهم في هذا البحث.

بنو كعب:

هم قبيلة شهيرة من سبيع ترجع في أصلها الى نجد ومنها هاجر الكعبيون الى أقصى بقعة في شمال الخليج العربي، حيث نزلوا الافشار في العراق[1] وبلغوا درجة كبيرة من القوة وارتفاع الشأن في منتصف القرن الثامن عشر وكان شيخهم آنذاك سليمان الذي بلغت شهرته أوروبا نتيجة لصراعه مع الانكليز واستيلائه على بعض سفنهم واستمر الشيخ سليمان يحكم بني كعب حتى عام ١٧٦٦م. ثم انتقلت هذه القبيلة الى شط العرب واستوطنت مدينة (قبان) ثم لم تلبث أن تمكنت أثناء حكم الشيخ سليمان من الاستيلاء على مدينة الدورق في أعقاب مقتل نادر شاه عام ١٧٤٧م بعد أن أبدلت تسميتها الى (الفلاحية) وقد نجح الكعبيون في اقامة إمارة لهم تذبذبت في ولائها السياسي بين العثمانيين والفرس[2]. فقد كان على حكام بني كعب أن يراوغوا الطرفين للاحتفاظ باستقلالهم، ونجح الشيخ سليمان في الحفاظ على استقلال بلاده دون أن يدفع خراج لأي من الدولتين. بل ان الدولتين تسابقتا في محاولة كسب ود الشيخ سليمان هذا. كما نجح الكعبيون في تكوين أسطول بحري كبير ساعدهم في مد نفوذهم على المناطق المجاورة[3]. ويقال أن انتقالهم من العراق على أثر نشوب خلاف بينهم وبين الدولة العثمانية التي طردتهم من أراضيها فتوجهوا الى الأراضي الايرانية بعد ذلك[4].

وقد انقسم الكعبيون الى قسمين: قسم منهم أقام في المحمره وعابدان وقد تألف من عشائر (المحسن) و (الدريس) و (النصار) وغيرها. والآخر أقام في الفلاحية (الدورق) وتألف من عشائر (مقدم) و (العساكرة) وغيرها[5] وهؤلاء الأخيرين هم الذين نشبت بينهم وبين الكويت معركة الرقة.

وقد تعرضت مشيخة الكويت الناشئة وفي وقت مبكر من تاريخها الحديث لخطر الغزو من قبل الكعبيين الذين كانوا يزاولون نوعا من النفوذ على بعض المدن والقبائل النازلة على شواطىء الخليج العربي ممن كانت تصلهم السفن الكعبية.

وقد تزايد خطر بني كعب وتعدى تهديدهم للقبائل الى تهديد نفوذ متسلم البصرة وتجارة شركة الهند الشرقية الانكليزية لذا اتحد متسلم البصرة مع مسئولي الشركة في محاولة لاخضاعهم إلا أن كريم خان حاكم فارس تدخل لحمايتهم محتجا بأنهم من أتباعه المتمتعين بحمايته كما هي الحال بالنسبة لشيخ بوشهر الشيخ نصر آل مذكور الذي تمتع بحماية كريم خان كذلك[6]. وكان هدف كريم خان من منح

(١) *Niebuhr, Voyage en Arabie, II, 178-188.*

(٢) د. بدر الدين الخصوصي ـ المصدر السابق ـ ص ١٠٥.

(٣) مصطفى عبد القادر النجار ـ التاريخ السياسي لامارة عربستان العربية ١٨٩٧ ـ ١٩٢٥ ـ ص ٤١ ـ ٤٤.

(٤) سيف مرزوق الشملان ـ من تاريخ الكويت ـ ص ١١٩.

(٥) حسين الشيخ خزعل ـ تاريخ الكويت السياسي ـ جـ ١، ص ١٠٨٢.

(٦) *Parsons, Abraham : Travels in Asia and Africa (LOndon 1808) pp. 196-198.*

هذه الحماية لبني كعب وآل مذكور هو الاعتماد على أسطولها البحري اعتمادا كليا لأنه لم يكن كريم خان يملك أسطولا بحريا ولما تزايد خطر بنو كعب وحلفائهم وآل مذكور شيوخ بوشهر على العتوب وضمن محاولات الأخيرين الجادة لدرء هذا الخطر فقد عملوا على كسب صداقة رجال شركة الهند الشرقية الانكليزية ومتسلم البصرة العثماني في ذات الوقت الذي أبقوا فيه على صداقة بني خالد حماتهم الأولين وذلك في محاولة للتمتع بحماية هذه القوى الكبرى الثلاث في المنطقة في ذلك الحين نظرا لأن قوة العتوب البحرية الذاتية لم تكتمل بعد ، غير أن قوة بني خالد في ذلك الوقت قد بدأت في الاضمحلال بحيث لم تكن قادرة على حماية العتوب ، وذلك ما تأكد حين لم تحل تلك القوة لبني خالد دون هجوم بني كعب على ميناء القطيف الخالدي وتدميره ونهبه . فعاد بنو كعب الى عاصمتهم الدورق محملين بغنائم القطيف الوفيرة[١]. وذلك على الرغم من قيام بنو كعب بهذا الهجوم منفردين ودون مساعدة حليفهم شيخ بوشهر والذي كانوا يعملون معه في تحالف خاضع لكريم خان يحركهم كأداة كيفما شاء ضد العثمانيين وغيرهم من القوى المتنافسة في منطقة الخليج العربي وهذا ما اتضح بوضوح أثناء حصار الفرس للبصرة عام ١٧٧٥م.

وعلى الرغم من أن شيخ الكويت عبدالله بن صباح تصرف بحكمة أثناء حصار الفرس للبصرة وحاول أرضاء الطرفين . ولم يعمد الى إثارة غضب أي منهما بل لعله استجاب لكثير من طلبات الفرس على مضض في محاولة لدرء خطرهم وخطر حلفائهم عن الكويت الناشئة . ففي الوقت الذي كان الشيخ يحتفظ فيه بعلاقات صداقة طيبة مع متسلم البصرة الذي يكن له كل مودة ومحبة فانه أراد فيه أن يخطب ود الجانب الآخر في الصراع فاستجاب لطلب شيخ بني كعب في تسليمه السفينتين الحربيتين التابعتين لباشا بغداد واللتان وصلتا الى الكويت محملتان بجمع من الأتراك والعرب يقدر تعدادهم بنحو مائتين وثلاثين رجلا ـ كما يستدل من رسالة بعث بها وكلاء الهند الشرقية الانكليزية بالبصرة الى مجلس المديرين بلندن ـ وتشير نفس الرسالة الى أن الشيخ عبدالله قد أرسل جماعة قوامها مائتا رجل لمساعدة صادق خان . وتؤكد الرسالة أن هذه المساعدة لم تكن عن طيب خاطر الشيخ ، إلا أن تلك المحاولات من جانب الشيخ لم تؤد الى ما كان يرمي اليه الشيخ منها ، فلم تثمر في درء خطر الفرس وحلفائهم عن الكويت الذين استمروا في مهاجمة سفن العتوب التجارية والتعرض لها وسلب ما يستطيعون سلبه ، مما دفع العتوب واضطرهم الى اتخاذ موقف عدائي من أنصار الفرس والعودة للعداوة التقليدية بينهم وبين بني كعب بل تطور الموقف الى أكثر من ذلك حين خلقت عداوة مستجدة بينهم وبين شيخ بوشهر على ما سنرى[٢].

وبالرغم من أن أسباب ذلك الصراع الذي نشأ بين العتوب وعرب بني كعب غير واضحة[٣] تماما إلا أنها على أية حال كانت بسبب الغيرة من ازدهار العتوب ومنافستهم القوية لموانىء بني كعب .

معركة الرقة :

هي أول معركة في تاريخ الكويت ـ بغض النظر عن معركة فتح البحرين التي لم تقع في الكويت ـ ويعتقد أن وقوع معركة الرقة كان عام ١٧٨٣م[٤]. أما أسباب هذه الموقعة الحربية فهي طمع بني كعب في الكويت ورغبتهم الأكيدة باخضاعها وإباء أهل الكويت الخضوع وتمسكهم باستقلالهم وتحديهم لمظالم بنو كعب[٥]. فقد استرعى انتباه بنو كعب ازدهار الكويت وتطورها السريع وبعد أن عجز (بنو كعب) عن مجاراتها ، ومنافسة موانيها التي ازدهرت وتفوقت على سواها من الموانىء المجاورة ، واستحوذت على معظم التجارات القادمة من مختلف الأقطار[٦]. وذلك نتيجة للسياسة الحكيمة التي اتبعها شيخها الشيخ عبدالله بن صباح في البقاء على حياد الكويت وإقامة علاقات طيبة مع كافة القوى التجارية الاوروبية[٧]. مثل شركة الهند

---

(١) *A Letter from Mr. Latouche, Moore & Abraham (The Basra Residency) to the Court of Directors, London dated 13th of May 1774, from the factory records Persia and the Persian Gulf Vol. 17, despatch No. 1074.*

(٢) د. أبو حاكمة ـ نفس المصدر ـ ص ٧٩ ـ ٨٠ .

(٣) خالد سعود الزيد ـ نفس المصدر ـ ص ٥٤ .

(٤) خالد سعود الزيد ـ المصدر السابق ـ ص ٥٤ الهامش ـ جـ ٣، ص ٢٤٢ .

(٥) الشيخ يوسف القناعي ـ صفحات من تاريخ الكويت ـ ص ١١ ـ ١٢ .

(٦) رنده المصري ـ الكويت (دراسة تحليلية) منشورة في مجلة الوثيقة التاريخية البحرينية (العدد الأول ، ص ١٧٨ ـ ١٩٥) .

(٧) عبد العزيز الرشيد ـ المصدر السابق ـ ص ٨٨ .

الشرقية الانجليزية مع حرص الشيخ على تبني سياسة تجارية ناجحة مما زاد في اطراد نمو الكويت وتطورها التجاري وازدهارها الاقتصادي وتضاعف هذا الازدهار التجاري والاقتصادي حين انتقلت للكويت نشاطات وكالة شركة الهند الشرقية الانجليزية من البصرة نتيجة لحصار الفرس للمدينة المشهورة فأثار هذا الازدهار والتفوق التجاري والاقتصادي حسد بنو كعب وتطلعهم لاخضاع الكويت بقصد التمتع بخيراتها والقضاء على منافستها القوية لموانيها وموانى حلفائهم ، وفي محاولة للاقدام على هذه الخطوة قبل أن تبلغ الكويت أشدها وتضاعف قوتها فتتمكن من مقاومة عدائهم وصده[(١)]

وفي محاولة بنو كعب احتلال الكويت تذرعوا لذلك بحيلة لتغطية مطامعهم وغايتهم فتقدموا يخطبون (مريم) ابنة الشيخ عبدالله لأحد أبنائهم وهم يعلمون أن طلبهم لم يجاب . وحين استشار الشيخ عبدالله أعيان الكويت أظهروا له أشد الاباء والامتناع وحذروه من الانصياع لبني كعب والخضوع لما يريدون لادراكهم أن الأخيرين يعولون على هذه المصاهرة في ربط الكويت ببلادهم وأخذ الكويتيون للحرب أهبتها ، وأودعوا نسائهم وأموالهم في سفن حتى إذا ما هزموا يهرب الآخرون بالنساء والسفن ويتركون البلد خاوية . وساروا هم بسفن أخرى لملاقاة عدوهم وبعد مسيرهم خاف الشيخ عبدالله عليهم من تغلب عدوهم وندم على ما فرط ندما عظيما ، دفعه الى أن يبعث من يعيدهم قبل أن يشتبكوا واياهم في قتال لا سيما وأن جماعة (آل خليفة) ـ كما تشير بعض المصادر ـ كان من رأيها إتمام تلك المصاهرة ارضاء للكعبيين اعتقادا منهم بعدم مقدرة العتوب على مواجهة الخصوم على أن رأي آل خليفة لم يمنع الكويت من مواجهة تحدي الكعبيين[(٢)]. كما لم يمنعهم عن ذلك خوف الشيخ عبدالله على أبناء شعبه فبدلا من أن يطلب رسول الشيخ من القوة الكويتية العودة ويثنيهم عن عزمهم في مواجهة العدو ، حثهم على ذلك قائلا : إن الشيخ عبدالله يقول لكم « سود الله وجوهكم الى الآن أنتم لم تناجزوا العدو أتظنون أن المرء يموت قبل يومه » فأثار هذا الكلام حماس الكويتيين وشد من عزيمتهم وحفز شجاعتهم وإقدامهم فجرت معركة حامية الوطيس بين الفريقين في الرقة وهي منطقة من البحر يقل فيها الماء وقت الجزر بحيث لا تستطيع السفن المتوسطة الحجم المرور منها[(٣)] وهذا ما أوجد صعوبة لدى سفن بني كعب كبيرة الحجم لا سيما وأن المعركة جرت في وقت توقفت فيه الرياح مما أفقد السفن الكعبية حرية الحركة وأتاح الفرصة للسفن الكويتية لكي تحيط بسفن الخصوم وتشعل فيها النيران فانهزم الكعبيون على ذلك النحو ، وتمكن الكويتيون من الاستيلاء على بعض سفن الأعداء وأسلحتهم[(٤)] ومن بينها بعض المدافع التي حملوها معهم الى الكويت حيث نصبوها على ساحل مدينتهم كذكرى عزيزة غالية لذلك الانتصار الكبير[(٥)]

ويقال أن أهم الأسباب في انتصار الكويتيين خطتهم الحكيمة في الهجوم حين هاجموا سفن القادة أولا فنجحوا في ذلك مما أدى الى تداعي قوة الجند نتيجة لقتل قادتهم فركنوا الى الفرار خوفا من ملاقاة نفس المصير . كما أن دراية أهل الكويت بطبيعة جزر الماء في ذلك الموقع من وطنهم وطريقة تسيير السفن بواسطة المجاديف إذا ما سكن الهواء كل ذلك مكنهم من النصر على أعدائهم الذين يجهلون تلك الأمور . وبذلك فشل الهجوم الكعبي على الكويت التي نجحت في رد المعتدين والانتصار عليهم ومن أهم ما يمكن الخروج به من ملاحظات تحليلية لمعركة الرقة ونتائجها المشرفة على قلة ما جاء عنها في المصادر المعاصرة لها بل والمعاصرة لنا بحيث لا تورد إلا اشارات

---

(١) سيف مرزوق الشملان ـ المصدر السابق ـ ص ١١٩ .

(٢) *Hopwood : The Arabian Peninsula p. 32.*

(٣) عبد العزيز الرشيد ـ المصدر السابق ـ ص ٨٩ .

(٤) الشيخ يوسف القناعي ـ نفس المصدر ـ ص ١٢ .

(٥) د. بدر الدين الخصوصي (الأهمية الاستراتيجية للكويت في العصر الحديث) دراسة منشورة في مجلة كلية الآداب جامعة الكويت العدد السادس ـ ديسمبر ١٩٧٤) ، ص ٨ .

قليلة وقصيرة عن هذه المعركة إلا أننا يمكن أن نتبين خطوطا رئيسية وواضحة لا تغيب عن الباحث المدقق في تتبعه لهذه المعركة الاولى في تاريخ الكويت الحديث وهي :

١) إباء الكويتيين وشجاعتهم واصرارهم على الحفاظ على استقلال بلدهم ورد الأعداء عنها مهما كلفهم ذلك من تضحية بالأرواح والأموال .

٢) بالرغم من حكمه الشيخ عبدالله بن صباح المشهود له بها وحسن تصرفه تجاه الأحداث الجسام إلا أنه كان يصر دائما على استشارة أهل الرأي من شعبه حتى في شئون الحرب .

٣) ان الكويت كانت تمتلك في ذلك الوقت المبكر من تاريخها أسطولا كبيرا ومجهزا تجهيزا طيبا فقد تضافرت عدة عوامل على ظهور قوة الكويت البحرية أهمها كون العتوب تجارا فكانوا يزيدون من سفنهم التجارية كلما نمت تجارتهم والتي نمت بشكل واضح وكبير بعد حصار الفرس للبصرة ولا شك أن تلك الزيادة في عدد السفن التجارية صحبها زيادة في عدد السفن الحربية وتجهيزا حربيا لبعض السفن التجارية ذاتها وذلك لحماية أسطول الكويت التجاري لا سيما وأن هذه الحماية أصبحت أمرا لازما لا مفر منه لمواجهة حملات النهب والسلب الذي كان يتعرض لها الاسطول أثناء رحلاته التجارية والتي تفاقمت بعد موت كريم خان حاكم ايران (عام ١٧٧٩م) الذي كان يتمتع بهيبة في المنطقة جعلت أولئك الذين يمارسون هذه الأعمال يتوقفون عن القيام بأعمال السلب والنهب في الخليج خصوصا تلك القبائل العربية التي كان لكريم خان بعض النفوذ والسلطة عليهم لذا فقد اشتد الصراع بينها بعد وفاة كريم خان وزادت أعمال القرصنة والسلب على السفن العربية التي تنقل التجارة في الخليج[1] مما دفع الدول البحرية على شاطىء الخليج الى الاستعداد لمواجهة تلك الأعمال وحماية تجارتها منها كانت الكويت من أبرز تلك المدن .

٤) على الرغم من أن عهد الشيخ عبدالله بن صباح كان عهد كله سلم ورخاء فلم تبدأ الكويت خلاله أحدا بالعداء . وكانت سياستها تقوم على السلم والأمن والابتعاد قدر الامكان عن الحروب اتقاء لشرورها ودفعا لبلاويها إلا أنها استعدت لحماية نفسها ورد الأعداء عنها عند مواجهتها بالعداء من قبل القوى الأخرى وهذا ما كان من ردها للمعتدين من البحْر أمثال بني كعب والذي تولاه أسطول الكويت بقدرة واتقان بينما كان الشيخ عبدالله بنفسه ومعه أبنائه يقودون العتوب في صد الأعداء من البر (كما سنرى) هذا ولم تنته العداوة التقليدية التي نشأت بين بني كعب والكويت والتي كان أوضح أسبابها الطمع والحسد من ازدهار الكويت ونموها السياسي والاقتصادي والرغبة في امتلاكها والتمتع بخيراتها والقضاء على منافستها لموانيهم ثم ان تأسيس العتوب للزبارة التي زادت من رخائهم وثراؤهم مما زاد من طمع بنو كعب بهم ورغبتهم في احتلال مدنهم لا سيما الكويت القريبة منهم والأكثر ازدهارا وتطورا . لذا هدد بنو كعب الكويت وتجارتها لأنهم لم يخشوا بأس أسطولها الذي كانوا قادرين على مواجهته بل انهم كانوا قادرين على الوقوف في وجه أساطيل الشركة الانكليزية وحاربوا كريم خان زند شاه فارس قبل وفاته عندما ضم قوته الى قوة الشركة وحاول عام ١٧٥٩ دون طائل إخضاع الشيخ سليمان شيخ بني كعب[2] كما فشلت حملة تركية انكليزية مشتركة في القضاء على بني كعب والاستيلاء على مدينتهم الدورق عام ١٧٦٥ وحتى الوهابيين لم يكونوا قد بلغوا من الوضع ما يمكنهم من التحرك نحو شرقي الجزيرة في هذه الفترة الواقعة ما بين عامي ١٧٦٠ ـ ١٧٧٥م .

لذا استمر تهديد بنو كعب للعتوب وتجارتهم فأدت المناوشات التي وقعت بين تحالف بني كعب مع شيوخ أبو شهر وشيخ بندر ريق من ناحية وبين العتوب من ناحية أخرى الى جانب الصراع بين القواسم وعرب مسقط وشيخ هرمز وشيخ جزيرة خرج بالاضافة الى اضطراب الأحوال في العراق العثماني وبلاد فارس مما أدى الى تحرك العتوب نحو البحرين واحتلالها وتقليص نفوذ شيخ بوشهر عليها وهذا ما أدى بدوره الى إشعال العداوة التقليدية بين العتوب من جهة وبني كعب وآل مذكور من جهة أخرى .

---

(١) د. ابو حاكمة ـ نفس المصدر ـ ص ٩١.

(٢) *Wilson, The Persian Gulf, 184.*

العلاقات مع شيخ بوشهر :

تخضع بوشهر لحكم آل مذكور وهم من عرب المطاريش العمانيين وكان شيخهم آنذاك هو الشيخ نصر آل مذكور ويشير نيبور الى أصل عرب بوشهر ما ترجمته « ان العرب الزبارنازلين في منطقة بوشهر ليسوا من الهولة ولقد امتازت بينهم ثلاث أسر اثنتان منها كانتا تنزلان في بوشهر منذ أمد بعيد جدا ، أما الثالثة والمسماة بالمطاريش فقد جاءت مؤخرا من عمان حيث كانت تعمل في صيد السمك وسرعان ما تضافرت الأسر الثلاث واستطاعت أن تستولي على زمام الأمور في بوشهر كما هو الأمر القائم حاليا وهذا لا شك قد تم قبل عام ١٧٦٥م بكثير » .

ولم يكن الشيخ نصر يحكم تلك المدينة وجزء البحرين فحسب بل انه كان يمتلك ممتلكات واسعة (خرم شهر) التي كان يحكمها باسم كريم خان ، والذي لم يكن ليطمئن للشيخ نصر إلا بعد أن ترك أولاده رهينة لديه وقد استفادت شيراز من محالفة الشيخ نصر لها نتيجة لوجود ممتلكاته في (خرم شهر) .

هذا وقد فاقت الأسباب التي دعت حكام بوشهر لمعادات العتوب تلك الأسباب التي تجمعت لدى حلفائهم من بني كعب وذلك أن بوشهر كانت أكثر تأثرا منذ البداية بالنجاح التجاري الذي أحرزته مدينة البصرة بعد انتقال نشاط شركة الهند الشرقية الانكليزية اليها في العقد السابع من القرن الثامن عشر وكان هذا التأثر من أهم الأسباب التي أدت الى توتر العلاقات وتأزمها بين الباشا العثماني وحاكم بوشهر وذلك الى جانب تأثرها الكبير الناتج عن ازدهار تجارة العتوب في الكويت ومنافستهم لتجارتها بحيث كان انهيار تجارة بوشهر أمرا محتوما[1]. لذلك أخذت تنظر الى الكويت بعين الحقد والحسد وتتحين الفرص لتنفيذ عداوتها بالهجوم عليها وهذا ما دفعها لمخالفة الفرس وبنو كعب ضد الكويت ومناصرة الأخيرين في هجومهم على الكويت أثناء معركة الرقة وذلك بالرغم من أن الشيخ نصر كان قد لجأ في وقت سابق الى العتوب في الكويت واستنجدهم في فتح البحرين الذي تم عام ١٧٥٣م ولا شك أن في ذلك دليل واضح على أن الشيخ نصر كان مدركا لقوة العتوب في الكويت ومقدرا لها وأنه في حاجة الى مساعدتهم بعد أن بلغوا ذلك القدر من القوة والنفوذ في الخليج العربي نتيجة لازدهار تجارتهم وتطور سفنهم حجما واستعدادا الى جانب نمو مدينتهم وتقدمها لذلك استنجد بهم الشيخ نصر المذكور طالبا مساعدتهم في فتح البحرين على أن يعفيهم في مقابل ذلك من دفع أية ضريبة على ممارسة الغوص في مغاصات البحرين وكان العتوب يتقنون عملية الغوص[2] .

ولا ندري ما اذا كانت الكويت قد استجابت لهذا الاستنجاد أم لا وذلك لأن رد الكويت لم يرد في التقرير الهولندي لمدير شركة الهند الشرقية الهولندية نيفهاوزن (Kniphausen) ومساعده (جان فان هولست) عام ١١٧٠هـ ـ ١٧٥٦م والذي رفعاه الى الحاكم العام للشركة (جيكوب وسبل) ووصفا فيه أحوال المنطقة الساحلية للخليج وسكانها والذي أشار الى استنجاد الشيخ نصر بالكويت لفتح البحرين كما أن رد الكويت على هذا الاستنجاد لم يرد في أي مصدر آخر لنعرف ما إذا كانت الكويت استجابت له أم لا ولنقرر بالتالي ما إذا كان موقف بوشهر العدائي للكويت كان أحد أسبابه رفض الكويت لهذا الاستنجاد فنضم هذا السبب الى الأسباب الأخرى التي أشرنا اليها آنفا .

ومهما يكن الرد على هذا الاستنجاد فقد انضمت بوشهر الى القوى الأخرى في الجانب الشرقي من الخليج العربي وهم بنو كعب وعرب بندر ريق في عدائهم للكويت وتطلعهم لاخضاعها والسيطرة عليها في محاولة للقضاء على منافستها لتجارتهم وتفوقها عليها . وبالرغم أن بوشهر لم تقم بهجوم مسلح مباشر على الكويت إلا أنها بلا شك قد ساعدت حلفائها بنو كعب في هجماتها المسلحة على السفن الكويتية التي تجوب الخليج تنقل التجارة والأفراد ـ ونهب وسلب ممتلكاتها ثم ساعدت بنو كعب كذلك في هجومهم على الكويت في معركة الرقة .

هذا ويشير مستر لاتوش الى طلب الشيخ نصر شيخ بوشهر

---

(١) د. ابو حاكمة ـ المصدر السابق ـ ص ٦٧ ـ ٧٧.

(٢) *A Letter from Mr. Latouch (The Basra Residency) to the Court Directors, London dated 4th Nov. 1782, Vol. 17, despatch No. 1230.*

الصلح مع شيخ القرين (الكويت) وذلك قبل فتح العتوب للبحرين بقليل غير أن شيخ الكويت رفض اجابة طلبه إلا إذا دفع نصف دخله من البحرين وقدرا كبيرا من الجزية سنويا عن بوشهر[1].

ولا شك أن المطلب للصلح الذي تقدم به الشيخ النصر للشيخ عبدالله بن صباح يؤكد مدى القوة التي تمتعت بها الكويت في تلك الفترة والتي دفعت حاكما قويا مثل الشيخ نصر يملك أسطولا ضخما وقويا أن يطلب الصلح معها ومكّنها من رفض هذا الطلب للصلح وتقديم شروطا صعبة ولا يخشون بذلك تهديد القوة التي راح الشيخ نصر يعدها للهجوم عليها ردا على رفضهم الصلح معه فلا شك أن عتوب الكويت كانوا على ثقة بقدرتهم على رد هذا الهجوم المنتظر كما استطاعوا أن يتحدوا بني كعب ويردوا هجومهم على بلدهم في معركة الرقة وينتصرون عليهم .

كل ذلك جعل الصراع يشتد على النفوذ والسلطة في المنطقة والذي أدى الى تمكن العتوب من الاستيلاء على البحرين عام ١٧٨٢م والقضاء على سلطة ونفوذ الشيخ نصر فيها .

بندر ريق :

الى الشمال من بوشهر قامت مشيخة بندر ريق التي كان شيخها يتمتع بنفوذ يمتد الى أبعد من حدود مدينته بندر ريق والمدن المجاورة لها ويصل حتى أماكن أخرى في (خرم شهر) .

وكان شيخ بندر ريق حليفا لشيوخ بني كعب وشيوخ بوشهر لذا فقد عاون الأخير عام ١٧٥٣م في احتلال البحرين وربما كان من أسباب هذا التعاون الى جانب كونهما حلفاء أنهما يشتركان في الانتماء الى قبائل عربية عمانية فشيخ بندر ريق ينتمي الى قبيلة بني صعب بينما ينتمي شيخ بوشهر الى قبيلة المطاريش وقد كان حاكم بندر ريق في العقد السابع من القرن الثامن عشر مير مهنا نجل مير ناصر وكانت هذه الاسرة تنتمي الى المذهب السني إلا أن مير مهنا نظرا لعلاقاته الوثيقة مع شاه ايران رأى أن من مصلحته ومصلحة بلده أن يتحول الى المذهب الشيعي وأن يتزوج من ايرانية شيعية فكان من نتيجة ذلك أن أصبح العرب ينظرون الى أسرة مير مهنا على أنها فقدت عراقتها .

وقد لعب مير ناصر وولده مير مهنا دورا بارزا في أحداث الخليج العربي لا سيما في الفترة ما بين عام ١٧٥٣ وعام ١٧٦٩ وذلك أن مير ناصر قد سمح في عام ١٧٥٣م للهولنديين باتخاذ جزيرة خرج التابعة له مقرا لوكالتها التجارية (وكالة الهند الشرقية الهولندية) ثم قام البطل العربي مير مهنا بدور وطني كبير حتم عليه أن يحارب ضد الهولنديين والفرس والانكليز على التوالي وذلك أنّه بعد مدة قصيرة من اقامة الهولنديين في جزيرة خرج وقع خلاف بين رئيسها البارون نيفهاوزن **(Kniphausen)** ومير ناصر بعد أن رفض الأول أن يزيد الايجار الذي نصت عليه اتفاقية تأجير الجزيرة للوكالة الهولندية[1]. مما أوجد عداوة بين الجانبين استمرت قائمة حتى حينما تولى مير مهنا مشيخة بندر ريق بعد أن قتل والده عام ١٥٧٨م وفي الوقت ذاته كانت علاقة مير مهنا مع الفرس لا تقل سوءا عن ما هي عليه مع الهولنديين غير أنه احتفظ بعلاقات ودية وثيقة مع باشا بغداد العثماني ومع متسلم البصرة كما ساءت علاقة مير مهنا بشركة الهند الشرقية الانكليزية مما جعله في وضع محرج لكن لا يهمنا من كل هذه الامور سوى علاقة مير مهنا بالفرس والتي اضطرته للجوء الى الكويت عام ١٧٦٩م وذلك أن مير مهنا بعد أن تخلص من الهولنديين بطردهم من جزيرة خرج اشتد النزاع بينه وبين كريم خان الذي أحكم الحصار عليه مما أجبره على الهرب والالتجاء الى الكويت متسترا بظلام الليل حاملا معه بعض المقربين اليه وشيئا من كنوزه مبحرا في سفينة سريعة الى الكويت التي وصلها في الليلة التالية في طريقه الى البصرة[2].

ولعل لجوءه الى الكويت جاء بعد تحسن علاقته معها وبعد أن انفرط ذلك التحالف العدائي للكويت والذي كان طرفا فيه مع بنو كعب وآل مذكور وقد يكون تحسن العلاقات مع الكويت ناتج عن أن الأخيرة قد أقامت علاقات حسنة مع شركة الهند الشرقية الهولندية في جزيرة خرج فلما طرد مير مهنا الهولنديين من تلك الجزيرة

---

(١) د. أبو حاكمة ـ نفس المصدر ـ ص ٧١ .

(٢) لوريمر ـ دليل الخليج القسم التاريخي ـ العدد ٣، ص ٥٥ .

رغب في الاحتفاظ بتلك العلاقات الطيبة لا سيما وأن علاقته من حليفاه السابقان (بني كعب في الفلاحية وآل مذكور في بوشهر) لابد أن تكون قد تأثرت نتيجة لسوء علاقته مع كريم خان .

ومهما يكن الأمر فقد رحبت الكويت به كلاجيء وكانت على استعداد أن تحميه رغم ما بدر منه من عداوة سابقة إلا أن مير مهنا رغب في مواصلة سفره الى البصرة حيث ظن أنه سيكون هناك بمأمن من كل خطر لا سيما وأنه كان لا يزال محافظا على المعاهدة القائمة بينه وبين والي بغداد الخاصة بعدم التعرض لأية سفينة متجهة الى البصرة أو عائدة منها هذا وقد أحسن المتسلم استقباله وأكرم وفادته باعتباره صديقا لسيدة باشا بغداد[1] تبعا لرواية الرحالة الانكليزي المعاصر بارسونز (Abraham Parsons) إلا أن لوريمر يختلف مع الأخير حين يؤكد أن المتسلم التركي قد غدر بالمير مهنا وأعدمه شنقا في منتصف ليلة ٢١ مارس ١٧٦٩[2]. ولا نريد أن نتتبع قصة مير مهنا لنتأكد أيا من الروايتين صحيحة فإن أكثر ما يهمنا في موضوعنا هو لجوء مير مهنا الى الكويت .

العلاقات الكويتية البحرينية :

ترتبط الشقيقتان الكويت والبحرين بروابط أخوية متينة وثيقة العرى ثابتة البنيان لا يمكن تفكيكها أو تفتيتها مهما كانت الظروف التي تمر بها أو الأحداث التي تتأثر بها . فهناك روابط القربى الكبيرة التي تشد الأسرتين الحاكمتين في كلا البلدين لبعضهما البعض ، فان لهما أصلا واحدا ونسبا واحدا ، حيث تنتميان الى نفس القبيلة وهي قبيلة عنزه العربية الكبرى . يقول الشيخ محمد بن عيسى آل خليفة « اننا آل خليفة وآل صباح كلنا عنزه من قبيلة العمارات أبناء تغلب بن وائل »[3] . ونستطيع أن نذهب أكثر من ذلك فنقول ان للأسرتين رباط قربى أكبر من انحدارهم من قبيلة واحدة فهما تنتميان الى نفس الفخذ (جميلة) بل والى نفس الفرع (شملان)[4] ولا نستبعد أن يربطهما جد واحد حيث كانت عزوتهم وشهرتهم حين هجرتهم من موطنهم الأصلي كما يقول الشيخ عبدالله بن خالد آل خليفة واحدة هي (الادسالم) أي أولاد سالم وبقيت حتى بعد انتصار آل الصباح في معركة الرقة (يذكر الشيخ عبدالله أنها وقعت عام ١٧٨٢) وفتح آل خليفة للبحرين عام ١٧٨٣م[5] .

والى جانب روابط القربى القوية بين الأسرتين الحاكمتين والعتوب عموما من سكان البلدين فان تاريخ الكويت والبحرين واحد لا يتجزأ منذ القدم حيث شملت مملكة دلمون الكويت (فيلكا) وكثيرا من أجزاء الخليج العربي ثم في التاريخ الوسيط حين كان حاكم البحرين يشمل بنفوذه أجزاء كبيرة من منطقة الخليج العربي منها الكويت ثم كانت الكويت والبحرين أكثرا اتحادا والتصاقا ببعض في التاريخ الحديث بحيث لا يستطيع دارس تاريخ الكويت الا أن يبدي بهجرة العتوب بزعامة آل صباح وآل خليفة وآل جلاهمة من موطنهم الأصلي (الهدار) في نجد متحدين تحت اسم واحد هو (جماعة العتوب) ومرورهم بعدة أماكن متفرقة حتى وصلوا الى الكويت وأسسوا مدينة الكويت فيها وتقاسموا الأمور فيها من سياسية وتجارية وشئون البحر فاختصت كل أسرة من هذه الأسر بشأن من الشئون . وعملوا على نمو الكويت وتقدمها وازدهارها فلما تم لهم ذلك وسعوا نفوذهم ومدوا سلطانهم الى كل من الزبارة والبحرين مشتركين ومتحدين في كل هذه الأحداث الهامة في تاريخ الكويت والبحرين لذا فلا يمكن فصل تاريخ أيا من البلدين عن الأخر مهما حاول الباحث واجتهد في ذلك نتيجة لاختصاصه بدراسة واحدة من البلدين ، ودارس تاريخ البحرين الحديث سيصادف نفس الوضع الذي قابله عند دراسة تاريخ الكويت الحديث .

أما أسباب هجرة آل خليفة من الكويت والتي حدثت حوالي عام ١٧٦٢[6] فقد اختلف حولها المؤرخين حتى من أسرتا آل الصباح وآل

---

(١) *Parsons, Abraham : Op. Cit. 196-198.*

(٢) لوريمر ـ المصدر السابق ـ المجلد الثاني ـ ص ٢٦٥٥.

(٣) رسالة جوابية من الشيخ محمد بن عيسى آل خليفة الى سيف مرزوق الشملان بتاريخ ٤ ذو الحجة ١٣٧٤هـ منشورة في (من تاريخ الكويت) ، ص ١٠٤ .

(٤) نورية الصالح علاقات الكويت السياسية بشرقي الجزيرة العربية والعراق العثماني ١٨٦٦ ـ ١٩٠٢ ، ص ١٥ .

(٥) المقالة السابقة للشيخ عبد الله بن خالد آل خليفة الوثيقة العدد الثالث ، رمضان ١٤٠٣هـ الموافق يوليه ١٩٨٣م .

(٦) د. علي أبا حسين في رسالة جوابية بتاريخ ٧ ربيع الثاني ١٤٠٥هـ الموافق ٣ ديسمبر ١٩٨٤م ، رقم ط ١/٩١/١٩٨٤ .

خليفة فبينما يجمعون على أنها جاءت بسبب بن كعب فانهم يختلفون في تفاصيل هذا السبب بحيث يصفه كل جانب بشكل مغاير عن الجانب الآخر ففي حين يذكر الشيخ عبدالله بن خالد آل خليفة أنه سمع من كبار عشيرته آل خليفة ان سبب الهجرة كان محددا ، وذلك أن احدى سفن الشيخ محمد بن خليفة آل خليفة وفيها أحد أبنائه (لا يعلم هل هو خليفة أو أحمد أو مقرن) كانت راسية في الدورق وكانت تحمل تمرا فهاجمها قطاع الطرق ليلا بهدف نهبها ونشبت بين المهاجمين وأصحاب السفينة معركة انتهت بقتل أحد الهاجمين وهم من بني كعب . وغادرت السفينة مرساها بسرعة وعادت للكويت فطلب بنو كعب بتسليم ابن الشيخ محمد لأخذ الثار منه لقتيلهم فرفض الشيخ محمد تسليم ابنه واقترح عليه الشيخ عبدالله بن صباح أن يأخذوا الابن في مسيرة ويذهبوا الى بني كعب ويطلبوا منهم الصفح على أن يدفعوا لهم دية القتيل فلم يوافق الشيخ محمد على ذلك الرأي وقال انه مستعد لدفع الدية مهما بلغت لكنه لن يسلم ابنه خاصة وأن بنو كعب هم الذين بدأوا العدوان . فاشتد الخلاف بين بني كعب والشيخ عبدالله نتيجة لذلك الرفض مما دعا الأخير الى الالحاح على الشيخ محمد بتسليم ابنه على أساس أنه ليس في مقدورهم محاربة بنو كعب فأدى ذلك الى مغادرة الشيخ محمد آل خليفة مع من رافقه من العتوب وتوجه الى أقاربه وأصهاره العتوب من آل بنعلي الذين هاجروا من الكويت في وقت سابق وسكنوا الفريحه في قطر فسكن عندهم وأسس مدينة الزبارة في وقت لاحق واستقل بها عن قطر[١] .

وفيها يورد المؤرخ الكويتي الشيخ يوسف القناعي (صفحات من تاريخ الكويت) تأييد لبعض ما ذهب اليه الشيخ عبدالله بن خالد آل خليفة اذ يشير الى أن أصح الأقوال في سبب هجرة آل خليفة هو ماحصل من التعدي على أهل الكويت من بني كعب ابن عامر فلم يطق الشيخ محمد بن خليفة هذه الاهانة فهاجر الى الزبارة[٢] .

هذا وتعزو الرواية المحلية الأخرى تلك الهجرة الى أن الخلاف تطور بين بني كعب وشيخ الكويت الى مرحلة حدت بالأولين الى فرض شروط على الشيخ رآها آل صباح مقبولة وشايعهم بعض العتوب في ذلك ورآها آخرون ومن جملتهم آل خليفة غير مقبولة مما حدا بالاخيرين الى الهجرة . حيث قال شاعرهم : هب الهبوب وطير الشر وانجال[٣] . واللي يبقى حاشا الردى[٤] والذلة ، فأجابه شاعر آل صباح ومن أقام معهم :

هب الهبوب وطير الشر وانجال[٣]
والـلي بقى حاشي الردى[٤] والـذلـة
فاجاب شاعر آل الصباح ومن اقام معهم :ـ
هب الـدبـور وطـير الـتـين وانـجـال
ولا بـقـى الا مـصـحـح[٥] الحـب كـله[٦]

ويؤكد رواية الشيخ عبدالله آل خليفة النبهاني فيقول « ان الشيخ محمد بن خليفة كان قد حصل له جور وتعديات من أمراء المحمره من بني كعب الذين كان لهم نفوذ ومطامع في تلك الجهات ، مما زهده في سكنى الكويت وحبب اليه الرحيل ، فهاجر بقومه ونزل بهم في الزبارة من بر قطر[٧] .

أما الكولونيل ديكسون (Dickson) فيورد رواية مغايرة نقلا عن الشيخ عبدالله السالم الصباح (الحاكم الأسبق للكويت) أن جماعة آل خليفة كان من رأيها اجابة طلب الكعبيين للمصاهرة مع حاكم الكويت الذي تقدموا به قبل معركة الرقة اعتقادا منهم بعدم قدرة العتوب على مواجهة بني كعب في حالة رفض طلبهم[٨] . وأن هذا الخلاف في الرأي بين آل الصباح وآل خليفة كان دافعا للجماعة الأخيرة على الهجرة من الكويت عام ١٧٦٦م كما يذكر هوب ود (Hopwood)[٩] .

---

(١) الشيخ عبد الله بن خالد المقالة السابقة بمجلة الوثيقة نفس العدد ، ص ٢٠ ـ ٢١ .
(٢) الشيخ يوسف القناعي صفحات من تاريخ الكويت .
(٣) انجال ـ مقلوب انجلي أي انكشف .
(٤) حاشا الردى ـ نال الردى .
(٥) مصحصح ـ خالص .
(٦) عبد العزيز الرشيد نفس المصدر ، ص ٨٩ ـ ٩٠ .
(٧) النبهاني تاريخ البحرين ، ص ١١٩ .
(٨) *Dickson : Kuwait and her Neighbours, p. 27.*
(٩) *Hopwood, op. cit. p. 40.*

وفي رواية أخرى لجماعة من آل خليفة مختلفة حتى عن رواية الشيخ عبدالله بن خالد آل خليفة السابقة حيث يعزون تلك الهجرة لأسباب سياسية خاصة بالحكم فيذكرون : انه سبق لفيصل جد خليفة حكم المنطقة التي أقام فيها العتوب قبل نزولهم الى الكويت وقد قام فيصل هذا بتزويج احدى كريماته لجابر ، (والد الشيخ صباح ابن جابر) عقب اختيار صباح كأول حاكم للعتوب في الكويت على أمل أن يصبح الحاكم الذي سيخلفه من أسرة (فيصل) . فلما اختير (عبدالله) أصغر أبناء (صباح) للحكم رحل آل خليفة من الكويت[1] .

هذا ويمكن الأخذ بأي من الروايات السابقة لتقاربها واجماعها على كون السبب المباشر للخلاف والهجرة هو اعتداءات بني كعب ، وردود فعل كلا من الأسرتين عليها ومهما اختلفت تلك الروايات في تفسير ردود الفعل تلك حسب ميلها لآل الصباح أو لآل خليفة الا أننا لا يمكن أن نقبل الرواية الأخيرة بأي حال من الأحوال لأنها تجانب المنطق وتخرج عن سير الأحداث التاريخية التي مرت بها الأسرتين كما أنها لم ترد في رواية أو مصدر آخر . فاذا حللنا هذه الرواية نجد أنها غير صحيحة ابتداء من كون أي من الأسر العتبية لم تحكم أي منطقة من المناطق التي مروا بها قبل وصولهم الى الكويت وتأسيس حكمهم فيها وكان استقرارهم في كل البلاد التي مروا بها تحت ظل حكامها سواء طال هذا الاستقرار أو قصر . كما أن المصادر تشير الى وفاة جابر والد الشيخ صباح الأول في الزبارة (في قطر) قبل وصول العتوب الى الكويت وهذا ما يؤكده المنطق والأحداث فلو كان جابر حيا حين استقر العتوب في الكويت وبسن يسمح له بالزواج لولي هو حاكم على الكويت بدلا من ابنه ، ثم لو افترضنا أن الشيخ صباح تولى الحكم ووالده على قيد الحياة وأن فيصل اراد المصاهرة بقصد أن يؤول الحكم الى أسرته فلماذا لم يزوجها الشيخ صباح نفسه . ثم حتى لو آل الحكم الى أحد أبناء ابنه فيصل فان هذا الابن هو من سلالة آل صباح وليس من سلالة آل خليفة لأن الابن ينسب الى أبيه وليس الى أمه . وأخيرا فانه من المعروف لدى الجميع أن أول مصاهرة بين آل الصباح وآل خليفة كانت حين تزوج خليفة بن محمد بن خليفة من (مريم) ابنة الشيخ صباح بن جابر ، وذلك أن والد خليفة هذا وهو الشيخ محمد بن خليفة قد توفي في الكويت في العقد الثالث من القرن الثاني عشر الهجري الموافق للعقد الثاني من القرن الثامن عشر . ولما كان الشيخ خليفة صغيرا في السن عند وفاة والده الشيخ محمد لذا فقد رعاه عمه الشيخ صباح وزوجه ابنته[2] .

وأقرب رواية الى الواقع ومسايرة الأحداث تلك التي وردت في ملاحظات (فرانسيس واردن) عن العتوب . فقد أشار الى أن الكويت عندما بلغت مستوى عاليا من التطور والازدهار أبان الخمسين عاما الأولى من نشأتها ، رغب الفرع التجاري في التحلل من التحالف القديم لكي ينفرد أصحابه بالتمتع بالغنى والحصول على الثروة[3] . لذلك اضطر هذا الفرع التجاري أن يسلك طريق المواربة لتحقيق مبتغاه . وذلك عند ما صور الشيخ (خليفة بن محمد) للجماعتين الأخريين مخابل الثراء التي تتراءى لعينيه من الانتقال الى سواحل ذلك الجزء من الخليج حيث يكثر اللؤلؤ ، وانهم اذا أنشأوا مستوطنا في بقعة مجاورة استطاعوا أن يباشروا استخراج اللؤلؤ بأنفسهم ، فاذن شيخ الكويت للشيخ خليفة بمغادرة الكويت مع قسم من جماعته حيث نزلوا في الزبارة . وحصلوا على قسم هام من مصايد اللؤلؤ ، حيث تمكن الشيخ خليفة من استدعاء بقية جماعته الى هذا المستوطن الجديد ، ومع مرور الزمن انفصلت جماعة (آل خليفة) تماما عن الجماعتين الأخريين واستقلت بالزبارة[4] .

هذا ومهما اختلفت المصادر في تفاصيل أسباب هجرة آل خليفة عن الكويت والتي أوردناها جميعا ورجحنا ما رأيناه أكثر واقعية الا أننا يمكننا أن نقول بعد ذلك وباطمئنان أنه لم ينتج عن هجرة آل خليفة أي خلاف بينهم وبين آل الصباح أو ضرر لبلديهما وانما نتج عن هذه الهجرة زيادة في تعاون الأسرتين باطار من المحبة والمودة والوفاق

(١) د. أبو حاكمة ، تاريخ شرقي الجزيرة العربية ، ص ٩٣ .

(٢) المقالة السابقة للشيخ عبد الله بن خالد آل خليفة ـ نفس المصدر ، ص ١٨ .

(٣) *Mr. Warden : The rise and progress of the Arab Tribes of the Persian Gulf, Vol. No. 4 pp. 362-363.*

(٤) *Extract, op. cit. No. 5 pp. 362 f.*

في العمل لكل ما فيه مصلحة بلديها وتقدمها ورخاءها فقد مد جماعة العتوب نفوذهم الى مناطق أخرى ووسعت من سلطتها في هذه المناطق الجديدة مما عاد عليها بالغنى الكبير نتيجة لامتلاك تلك المستوطنات الجديدة (الزبارة) ثم البحرين فيما بعد وصلاحية موانيها ذات الموقع الاستراتيجي الممتاز مما ساهم في ازدهار تجارتهم وتطور نشاطهم في النقل البحري .

ومهما يكن من أمر هجرة آل خليفة فالثابت ان هذه الجماعة عند ما تركت الكويت في الفترة بين ١٧٦٢[١] و١٧٦٦[٢] وكان على رأس هذه الجماعة الشيخ (خليفة بن محمد) ، قد سلكت طريق البحر نحو جزر البحرين للاقامة هناك[٣] ، الا أن حكامها من (آل مذكور) حالوا بينهم وبين ذلك[٤] . فاتجهوا الى شبه جزيرة قطر ، وأقاموا في الزبارة[٥] ، على مقربة من جزر البحرين حيث أخذوا يتطلعون منها الى تلك الجزيرة لاخضاعها لنفوذهم .

الاستعداد لفتح البحرين :

وبنزول آل خليفة منطقة الزبارة بقطر ـ على ذلك النحو ـ أصبحوا على مقربة من الجيران في البر والبحر على حد سواء ، فمن ناحية البر كان (الخوالد) يتركزون في الاحساء ، وهؤلاء لا خوف منهم فقد سبق للعتوب التحالف معهم ، وهناك (آل مسلم) أصحاب النفوذ والسلطان الفعلي في قطر ، وبما أنهم قد سبق لهم الاصطدام بالعتوب قبل رحيلهم الى الكويت خلال هجرتهم من موطنهم الأصلي (الهدار) لذا فلم يكن مستبعدا أن ينشب نزاع بينهم وبين آل خليفة لا سيما وأن الأخيرين رفضوا دفع الزكاة لهم[٦] .

وأعدوا عدتهم للاستقلال بالزبارة . كما أن العشائر القطرية الأخرى كانت على استعداد لمناوئة العتوب الذين شاركوهم خيرات بلادهم بل فاقوهم نشاطا وخبرة مما أكسبهم المزيد من الغنى والثراء .

ولذا وازاء تلك الأخطار التي أحاطت بعتوب الزبارة كان عليهم الاستعداد والاعتماد على النفس في الدفاع عن مركزهم الجديد فأقاموا العديد من الحصون والأسوار[٧] لحماية مدينتهم ، ولم يعولوا كثيرا على تحالفهم مع (الخوالد) لانشغال الاخيرين في نزاعهم الأسرى من ناحية وصراعهم مع الوهابيين من ناحية أخرى واهتم آل خليفة الى جانب ذلك بتنمية مواردهم الاقتصادية وذلك لمواجهة التحديات التي تعترضهم وقد وجدوا أن ذلك لا يتحقق الا بالاكثار من سفنهم العاملة في صيد اللؤلؤ وتخفيض الرسوم الجمركية وبعد فترة عجزت الزبارة عن تلبية احتياجات مجتمع (العتوب) الجديد الذي تزايد أفراده بشكل كبير بانضمام جماعات أخرى اليه في أعقاب احتلال الفرس للبصرة (١٧٧٦ ـ ١٧٧٩) واضطرار أعداد كبيرة من مواطنيها الى الهجرة نحو موانيء الخليج المختلفة وبصفة خاصة تلك التابعة للعتوب في الكويت والزبارة نظرا للتسهيلات الكبيرة التي كانت توليها هذه الجماعة للتجارة . وذلك الى جانب قدوم جماعات من شبه الجزيرة العربية لضغط الموحدين واستقرارها في الكويت والزبارة كذلك[٨] .

فكان من الطبيعي ازاء تزايد عدد سكان « الزبارة » على ذلك النحو أن يتجه العتوب بانظارهم نحو البحرين والتي تمثل لهم مركز الثروة والرخاء في منطقة الخليج العربي لشهرتها بمغاصات اللؤلؤ

---

(١) د. علي أبا حسين في رسالته الجوابية السابقة لي .

(٢) *Albaharna, The Arabian Gulf States, p. 3.*

(٣) د. أبو حاكمة محاضرات في تاريخ شرقي الجزيرة العربية في العصور الحديثة ، ص ١٢٨ ـ ١٣١ .

(٤) د. أبو حاكمة ، نفس المصدر ، جـ ١ ، ق ١ ، ص ١٢٩ ـ محاضرات ص ٧٩ .

(٥) يذكر الشيخ عبد الله بن خالد آل خليفة أنه سمع من المرحوم الشيخ محمد بن عيسى رواية عن المرحوم راشد بن فاضل آل بنعلي أن بنعلي أثناء هجرتهم من الكويت التي سبقت هجرة آل خليفة حاولوا المرور بالبحرين ومنعهم آل بومهير من ذلك أي أن الذين حاولوا المرور بالبحرين والاستقرار فيها هم آل بنعلي وليس آل خليفة بن (٨) عثمان بن سند المصدر السابق ، ص ١٢ .

(٦) أمل الزياني البحرين من ١٧٨٣ ـ ١٩٧٣ ، ص ٤٣ .

(٧) تمكن آل خليفة خلال عامين من نزولهم (الزبارة) من بناء سور المدينة وقلعة مرير .

(٨) د. بدر الدين الخصوصي دراسات في تاريخ الخليج العربي الحديث والمعاصر ، جـ ١ ، ص ١٠٨ ـ ١١٠ .

ووفرة الزرع والنخيل بها ، لذا فكروا بالتوسع نحوها ومد سلطتهم اليها ولم يتطلعوا في ذلك الى التوسع الداخلي في شبه جزيرة قطر نتيجة لتبعية أجزاء منها لبني خالد الذين تربطهم بهم علاقات طيبة ، فلم يكونوا راغبين بالاساءة الى تلك العلاقات ، أما الأجزاء الأخرى التابعة للعشائر القطرية فقد كان العتوب مدركين لمدى الجهد الذي يتوجب عليهم بذله لاخضاعهم ، كما كانوا مدركين أن نجاحهم في ذلك الى جانب صعوبته فانه وقتي لأن التحرك الوهابي نحو شرقي شبه الجزيرة العربية كان قد اشتد وأحاط الزبارة بخطره . لذا فلم يكن أمام عتوب الزبارة من سبيل يطرقونه سوى البحرين التي سيحققون الكثير من المكاسب المادية باخضاعهم ، كما أنها كانت في مأمن بعض الشيء من الموحدين السعوديين لوجود الحاجز المائي ، ثم أن الطريق اليها أكثر يسرا من التحرك الى الداخل فهم يمتلكون السفن القادرة على اخضاعها ، وهم بوجودهم في (الزبارة) أقرب اليها من آل مذكور حكام بوشهر الذين كانوا يزاولون السلطة والنفوذ على تلك الجزر ، والذين كانوا يتحينون الفرص المناسبة لشن هجماتهم على عتوب الزبارة[١] . خلال الفترة الواقعة بين عام ١٧٧٧ و١٧٨٢ بعد أن زادت قوتهم وازدهارهم الاقتصادي ومنافستهم لهم بتحول القسم الأكبر من تجارة البحرين اليها . مما حدا بآل مذكور بالوقوف منهم ذلك الموقف العدائي[٢] . وقد شجع ذلك الموقف من آل مذكور (عتوب) الزبارة على بذل المحاولات الجادة من جانبهم لاخضاع البحرين منتهزين فرصة النزاع القائم بينهم وبين حكام البحرين من آل مذكور معتمدين على ما أسسوه من قوة بحرية بحكم الممارسة والواقع الذي وجدوا أنفسهم فيه بعد رحيلهم عن الكويت .

وفي الوقت الذي وقف فيه شيوخ (بني كعب) و (بندريق) و(هرمز) و(القواسم) الى جانب (آل مذكور) انضمت العشائر القطرية الى جانب عتوب الزبارة كما كان من الطبيعي أن ينضم اليهم بقية العتوب من آل صباح والجلاهمة[٣] .

معركة الزبارة :

وفي معركة الزبارة اتخذت قوات العتوب موقف الدفاع في بداية المعارك التي نشبت بشأن البحرين ، ولكنهم نجحوا في الاستيلاء على احدى سفن الخصوم[٤] ، مما أجبر الأخيرين على الخروج لمهاجمة الزبارة ومحاصرتها ، الا أنهم فشلوا في ذلك وأخذت سفنهم تتردد ما بين الزبارة والبحرين وهنا حاول (راشد بن مطر) شيخ القواسم في (جلفار) التوسط بين الجانبين غير أنه فشل في وساطته مثلما فشلت وساطة (شيخ بندريق) التي سبقتها . لذلك تحركت قوات بوشهر نحو الزبارة للاستيلاء على قلعتها[٥] ، ولكنها ووجهت بمقاومة باسلة من العتوب مما اضطر الأعداء الى الفرار على أثر هزيمتهم[٦] ، وقتل بعض قادتهم في معركة الزبارة عام ١٧٨٢م هكذا وقعت معركة الزبارة .

فتح البحرين :

يشير د . أبو حاكمه الى أن العتوب ظلوا بعيدين عن تلك المعركة (الأولى) وذلك نتيجة لكونهم ينتظرون أن ينزل بهم هجوم بوشهر قبل الزبارة نظرا لقرب مدينتهم من ديار بني كعب وبوشهر . كما يبدو أن أنباء الهجوم على الزبارة قد وصلتهم متأخرة وبعد أن القوا القبض على مركب تابع لبوشهر يحمل أنباء هزيمة جيوش الأخيرة في الزبارة وأوامر الى ابن الشيخ نصر المتصرف بشئون البحرين بأن يبذل كل ما في وسعه للدفاع عن المدينة حتى يتيسر لوالده أن يمده بالعون وبذلك تسنى لعتوب الكويت معرفة ما يجري في الزبارة والبحرين[٧] .

---

(١) د. أبو حاكمة تاريخ شرقي الجزيرة العربية ، ص ١٤٣ ـ ١٤٤ ، محاضرات ، ص ١٠٥ ـ ١٠٦ .
(٢) *IOR : Brief history of Bahrain Islands.*
(٣) *Hopwood : op. cit. p. 40.*
(٤) *Extracts, op. cit. No. II, p. 364.*
(٥) د. بدر الدين الخصوصي دراسات في تاريخ الخليج العربي ، جـ ١ ، ص ١١٠ .
(٦) *Belgrave : The pirate, p. 124.*
(٧) د. أبو حاكمة ، تاريخ الكويت الحديث ، ص ٩٢ ـ ٩٣ .

لذلك أبحر أسطول الكويت المكون من مراكب كبيرة وبعض المراكب الصغيرة الى الزبارة لنجدتها[1] متخذين بذلك اجراء سريعا وحاسما لمساعدة آل خليفة فتوجهوا الى البحرين واستولوا على قلاعها الرئيسية وقطعوا خط الرجعة على أسطول الشيخ نصر المهزوم .

ويذكر المستر لاتوش (Latouch) (مقيمية البصرة) في رسالة منه الى ديوان الادارة بلندن (مؤرخة ٤ نوفمبر سنة ١٧٨٢) ما ترجمته « هاجم أهالي القرين والزبارة مؤخرا البحرين ونهبوا ، مثلما استولوا على عدة سفن تابعة لبوشهر وبندر ريق في مدخل النهر (شط العرب) ورد الشيخ نصر على ذلك بجمع قوة بحرية وأخرى برية من بوشهر وبندر ريق وموانيء فارسية اخرى . وتظاهر (الشيخ نصر) بأنه ينوي الثأر لهذه الاعتداءات بشن هجوم على الزبارة . وكتب الى علي ميرزا علي خان في أصفهان لكي يمده بالمال . ورغما عن مظاهر الحماس ، يقال بأنه (الشيخ نصر) أرسل مؤخرا الى القرين في طلب الصلح ولكن (شيخ القرين) رفض الموافقة على هذا الطلب ما لم يدفع له الشيخ نصر نصف دخل البحرين ، وأيضا اتاوة سنوية كبيرة عن بوشهر « ويمضي لاتوش في سرد الأحداث قائلا » لم تمض سنوات كثيرة على الوقت الذي كانت فيه القرين مجبرة على دفع اتاوة كبيرة لبني كعب ، أما الزبارة فكان اسمها قل أن يعرف ، ولكن عندما هاجم الفرس البصرة تحول أحد شيوخ القرين (خليفة ابن محمد آل خليفة) الى الزبارة مع كثيرين من كبار القوم ، وتحول أيضا عدد من تجار البصرة الى هناك ، وبهذه الطريقة دخل جزء كبير من تجارة اللؤلؤ وتجارة الهند الى هناك (الزبارة) والى القرين خلال الزمن الذي استولى فيه الفرس على البصرة . ولقد زادت قوة هذه الأماكن (هذين المكانين) زيادة عظيمة وأصبحوا قوة كان من شأنها أن تحديا بني كعب زمنا ما ، وتفوقا عليه (أي الشيخ نصر) بمزايا عظيمة وأصبحوا لا يخشون من القوة التي يهددهم بجمعها ضدهم »[2] .

وعلى الرغم من عدم معرفتنا الى أي معركة من المعارك التي دارت بخصوص البحرين يشير كل من لوريمر ومستر لاتوش الى أن اشتراك الكويت بهذه المعركة يؤكد لنا مدى مساهمة الكويت الفعالة في فتح البحرين . وهذا ماتؤكده أيضا كافة المصادر الأجنبية الرسمية المعاصرة ومنها ماجاء في مختارات حكومة بومباي : ٣٦٥ أن لوريمر 839,1,1 في وصفه لهذا الفتح يقول ان الحملة الكويتية أسرعت الى المنامة عاصمة البحرين ، واستولت على المدينة وأشعلت فيها النيران وعزلت (الحامية الفارسية)[3] من القلعة .

ولا نعرف على وجه الدقة هل شارك عتوب الزبارة اخوانهم عتوب الكويت في هجوم الأخيرين الأول على المنامة في البحرين اذ لم نجد في التقارير الأجنبية (مسئولي شركة الهند الشرقية وحكومة بومباي) ما يشير الى مشاركتهم . وذلك عى الرغم من أن الرواية المحلية لآل خليفة تعزو فتح البحرين الى أحمد بن محمد بن خليفة والقبائل العربية النازلة بر قطر وعتوب الجلاهمة وهي تنفي أن يكون لعتوب الكويت أي دور في الفتح الا أننا باعتمادنا على ما أشرنا اليه من تقارير رسمية نؤكد باطمئنان كامل أن الدور الأساسي في هذا الفتح كان لعتوب الكويت حيث ندعم تأكيدنا هذا على ماسبق الاشارة اليه من تقارير رسمية الى جانب التقارير الأقدم عن الفتح وهي تلك التي كتبها المستر فرنسيس واردن (Warden) والكابتن تلور (Taylor) والتي تشير بوضوح الى أن دور الكويت كان هاما وحاسما[4] .

وبهذا الفتح مد العتوب نفوذهم وسلطانهم الى منطقة أخرى هامة (البحرين) فأصابوا بذلك نجاحا سياسيا كبيرا الى جانب ما حققوه بهذا الفتح من مكسب وازدهار اقتصادي ناتج عن غنى البحرين الكبير بأصداف اللؤلؤ بالاضافة الى أن هذا الفتح دعم نجاحهم وتطورهم التجاري ونشاطهم في مجال النقل البحري وهو ما حققوه خلال النصف الأول من القرن الثامن .

---

(١) *Lorimer, op. cit, I, I, p. 839.*

(٢) *Mr. Latouche (The Basra Residency) to the Court of Directors. London, 4th Nov.*

(٣) الحامية الفارسية التي يشير اليها لوريمر في تقريره هي حامية الشيخ نصر وهي من العرب في الغالب لا الفرس .

(٤) انظر تقريرها في منتخبات حكومة بومباي (٢٤) : ١٨ ـ ٢٩ .

ولكن مما لاشك فيه أن ذلك النجاح السياسي والازدهار الاقتصادي قد جلب معه منافسات شديدة ومنازعات جديدة لم يكن لها وجود قبل عام ١٧٨٢ . وذلك أنه بالاضافة الى أعداء العتوب الثلاثة التقليديين وهم (بنو كعب) و(عرب بوشهر) و(عرب بندر ريق) فقد ضم الفتح الى قائمة أعداء الكويت بالذات الشيخ راشد شيخ رأس الخيمة وابنه . والشيخ عبدالله شيخ هرمز الذين صاروا أعداء للقوة العتبية النامية ، كما أن خطرا أعظم من ذلك تعرض له عتوب البحرين تمثل في سلطان مسقط الذي كان قد ادعى في وقت سابق السيادة على البحرين . ولكن هذا الخطر الأخير لم يتضح بصورة كاملة الا في نهاية القرن الثامن عشر[١]. وفي محاولة من الكويت لحماية البحرين ضد اعتداءات سلطان مسقط أخذت سفنها تتردد على موانيء البحرين محل وجودها هناك القواسم الى تحويل نشاطهم ضد السفن البحرينية الى سفن ايران على الجانب الآخر من الخليج .

العلاقات الكويتية الوهابية

تعريف الوهابية :

الوهابية هي حركة دينية اصلاحية إسلامية سنية دعا اليها الشيخ محمد بن عبدالوهاب . وكان لها آثار عميقة إنعكست على الأوضاع السياسية في شرقي الجزيرة العربية باكملها ، بل وتعدى هذا الاثر شرقي الجزيرة العربية الى بقية امارات الخليج العربي . وكان ذلك خلال الفترة ما بين ١٧٦٥ و١٨٠٠ ميلادية .

وتقوم هذه الدعوة الدينية على الوحدانية ، وعدم الشرك بالله بأية صورة كانت وبما ان الشيخ محمد بن عبدالوهاب حين دعا الى دعوته تلك لم يبتدع اي شيء جديد ، لذا فهي خالية من أي تعاليم جديدة غير موجودة في الاسلام[٢] ولابد من اعتبارهادعوة للعودة الى تعاليم الدين الصحيحة كما نزلت في القرآن الكريم كتاب الله (سبحانه وتعالى) وفي سنة رسوله محمد (ﷺ)[٣] فقد هدف الشيخ محمد بن عبدالوهاب من هذه الحركة الاصلاحية ان يخلص المسلمين من الآثام التي وقعوا فيها عندما تركوا الالتزام بالشريعة الاسلامية المنزلة بالقرآن الكريم وتحللوا من التقيد من كثير من واجباتهم الدينية . لذلك توجه الشيخ محمد بن عبدالوهاب الى مواطنيه والى كافة المسلمين بدعوة للعود الى تفهم اصول الدين الصحيحة والتقيد بجوهر تعاليمه المستمدة من كلام الله[٤] (سبحانه وتعالى) في قرآنه المجيد ومن أقوال الرسول والصحابة (الخلفاء الراشدون) وقد اصبحت هذه الحركة تعرف باسم الوهابية على الرغم من ان هذا اللقب اطلقه عليها خصومها واستعمله البحاثة الاوروبيين نقلا عنهم عندما تناولوا هذه الحركة في أبحاثهم ـ أما أصحاب الحركة فيطلقون على انفسهم الموحدين ، وهم سنيين من اتباع ابن حنبل (كما شرحه ابن تيمية[٥] الذي هاجم عباده الأولياء وماتبعها من زيارة قبورهم والتبرك بها وتقديم النذور اليها ـ الى غير ذلك من الخرافات الطارئة على الاسلام . وذلك في كثير من كتاباته لاسيما الرسائل[٦].

وقد ولد الشيخ محمد بن عبدالوهاب في العينية بنجد . أما تعليمه الديني المبكر فقد تلقاه عن والده الشيخ عبدالوهاب بن محمد قاضي العينية وعن علماء اخرين ، ومن خلال اسفاره الكثيرة في العالم الاسلامي توصل الى ان الاسلام في طريقه الى الاضمحلال اذا لم يعد المسلمين الى مبادىء دينهم الحقيقية وتعاليمه الاساسية .

وحين عاد محمد بن عبدالوهاب الى بلدته العينية وبدأ ينشر دعوته فيها طرده الشيخ سلمان بن محمد آل حميد امير بن خالد . فانتقل الى الدرعية حيث اقام فيها نهائيا . ولم تكسب دعوة محمد بن عبدالوهاب قوتها الا حين احتضنه محمد بن سعود امير الدرعية والذي اصبح بدوره المؤسس السياسي للحركة . فقد تضافرت القوة الروحية

(١) د. أبو حاكمة ، نفس المصدر ، ص ٩٣ ـ ٩٤ .
(٢) د. أبو حاكمة ، المصدر السابق ، ص ١٠٣ ـ ١٠٤ .
(٣) لم يتفهم كثير من الباحثين الأوربيين المعاصرون للشيخ محمد بن عبد الوهاب دعوته وأصولها لذا حفلت كتاباتهم عنها بالكثير من الأخطاء والتي دعت بعض الكتاب الأوربيون الآخرون من الذين كتبوا بعدهم ومنهم : *Burchardt : Notes on the bedouins and Wahabys, p. 277.*
(٤) لمع الشهاب في سيرة محمد بن عبد الوهاب ، ص ٢٦٣ ـ ٢٧٧ .
(٥) د. حسن الابراهيم المصدر السابق ، ص ٣٦ ـ ٣٧ .
(٦) أحمد بن صالح بن تيمية ـ مجموعة الرسائل الكبرى ـ القاهرة .

لمحمد بن عبدالوهاب مع قوة سيف ابن سعود لتضيف فعالية كبرى للحركة وتبعث فيها الحيوية والاندفاع الى تحقيق اهدافها ونشر تعاليمها واتسمت بطابع العنف والقوة . ففي الوقت الذي احتفظت فيه بمظاهرها الدينية فانها اصبحت في حقيقتها حركة سياسية قومية متطرفة ، تستهدف الوحدة ، واقامة امبراطورية عربية وطرد النفوذ الأجنبي الفارسي والتركي من المنطقة[1] . وفي سبيل تنفيذ ذلك اصطدم الوهابيون بمعظم جيرانهم فكل من لم يكن وهابيا اتهم بالشرك والضلال . وكان لابد ان تكون بداية تلك الحروب والنزاعات مع جيرانهم القريبين بني خالد اصحاب السلطان والنفوذ الواسع في كثيرا من الأجزاء الشرقية من جزيرة العرب ، فارادوا ان يقضوا على ذلك النفوذ ويخضعون تلك الممتلكات الواسعة لحركتهم فيتمكنون بذلك من الامتداد الى ابعد من تلك الممتلكات في الخطوة التالية . لاسيما وانهم يحملون لشيوخ بني خالد عداء سابق نتيجة لطردهم للشيخ محمد بن عبدالوهاب من العينية . ومادام بنو خالد يملكون القوة التي تمكنهم من تحدي قوة الوهابيين فان الكويت بقيت بعيدة عن متناول الوهابيين . وقد لجأ كثير من بني خالد في فترة لاحقة وبسبب تولي الهزائم عليهم من قبل الوهابيين الى محميتهم السابقة الكويت حيث وجدوا الملجأ البعيد عن ديار الوهابيين ، غير ان كرم ضيافة الكويتيين لبني خالد جرت عليهم عداء الوهابيين ، وجعلتهم يتعرضون لمواجهتهم الحربية . لاسيما في الفترة بين ١٧٩٢ ـ ١٧٩٥ حين استطاع الوهابيون ان يقضوا على مقاومة بني خالد ويقوضوا حكمهم في الاحساء ويركزوا اهتمامهم على العراق والأجزاء الأخرى من الخليج العربي بما في ذلك الكويت والزبارة[2] . حينذاك دخلت الكويت في صراع طويل مع قوات الوهابيين . وبالرغم من ان قوة الكويت لا يمكن مقارنتها بقوة الوهابيين من حيث الامكانيات البشرية والمادية الا ان الكويت استطاعت ان تقاوم بشجاعة ورباطة جأش الغزوات العديدة للوهابيين وان تحافظ على استقلالها .

ومما سبق نتبين ان الحركة الوهابية نشأت اصلا في نجد اي في وسط شبه الجزيرة غير انها اخذت تؤثر على اوضاع الخليج منذ ان امتد نفوذها الى الاحساء عام ١٧٨٧م وقد استغرقت عملية توحيد نجد أربعين عاما من ١٧٤٧ ـ ١٧٨٦ ـ لذا فقد مضى مؤسس الدولة (محمد بن سعود) سني حكمه دون ان يتمكن من تحقيق الوحدة وما ان تمكن خلفه عبدالعزيز بن محمد بن سعود من القضاء على جميع عناصر المقاومة في نجد حتى تطلع الى الاحساء والى غيرها من اقطار الخليج .

ولابد ان نحكم على الحركة الوهابية بمقياس عصرها فتقرر انها اسدت خير الى اقليم نجد فانقذته من حالة الفوضى والتفكك التي كانت تسوده . بل ويمكن القول ان تلك الحركة غدت تعبيرا عن شعور وطني نجدي غامض .

أما في اقطار الخليج فقد اختلف تقديرها باختلاف البيئات ، ففي المدن والامارات التجارية مثل الكويت والزبارة والبحرين ساد روح الاستياء من هذه الدولة العسكرية التي تفرض سلطتها بالقوة وترهق السكان بالضرائب والمكوس المختلفة باسم الجهاد مما يؤثر على ازدهار التجارة وحريتها[3] .

الهجمات الوهابية على الكويت :

يمكن اعتبار سقوط حكومة بني خالد كبداية للعلاقات المباشرة بين الكويت والسعوديين . ولا يمكن اعتباره بأية حال بداية خضوع الامارة للنفوذ السعودي[4] فقد ترتب على نجاح السعوديون في الاستيلاء على الاحساء وتأكيد نفوذهم في المقاطعات الشرقية للجزيرة العربية وترتب على ذلك ان اصبحت الكويت ملامسة للقوة السعودية التي اخذت تتاخمها من الجنوب[5] . وقد تكون الكويت استفادت من سقوط بني خالد في التخلص من الارتباط القائم بينها

---

(١) د. حسن الابراهيم ، نفس المصدر ، ص ٣٧.

(٢) أحمد بن عبد الحليم بن تيمية نفس المصدر .

(٣) د. صلاح العقاد التيارات السياسية في الخليج العربي ، ص ٥٧ ـ ٥٩ .

(٤) د. جمال زكريا قاسم ـ موقف الكويت من التوسع السعودي في نجد وسواحل الاحساء / مستخرج من مجلة الجمعية المصرية للدراسات التاريخية ـ المجلد السابع عشر سنة ١٩٧٠ ـ ص ٩٥ ـ ٩٧ .

(٥) حسين بن غنام روضة الأفكار والافهام في مرتاد حال الامام ، جـ ٢ ، ص ١٦٥ .

وبين هذه الأسرة في أول انشائها الا أن الكويت اخذت تتعرض لهجمات الوهابيين العنيفة[١] .

هذا ولم يكن لجوء الفارين من بني خالد من بطش السعوديين الى الكويت هو السبب الوحيد في تعرض الأخيرة للهجمات الوهابية . فالوهابيون في تعاليمهم الاساسية ذكروا انهم سيوجهون حروبهم الى أية بقعة فيها شرك وبدع . فكانت الكويت شأنها شأن غيرها من المسلمين من غير الوهابيين تعتبر من بقع الشرك حسب معتقدات الوهابيين وذلك الى جانب الغني الوفير في المدن العتبية والذي لفت انظار الوهابيين ودعاهم الى محاولة الاستيلاء على اموال العتوب الذين لم يكونوا بحال من الأحوال وهابيين او ممن التزموا وتقبلوا المبادىء الوهابية[٢] وقد شن الوهابيون اول غاراتهم المتعددة على على الكويت عام ١٧٩٣ م وكثرت هجمات عليها خلال الفترة من ١٧٩٣ ـ ١٧٩٥ في الوقت الذي انتقلت فيه الوكالة البريطانية مؤقتا من البصرة الى الكويت . لكنهم لم يحققوا اي نجاح يذكر[٣] . الا انها اثارت حالة من الرعب هناك . ويعتقد بعض المؤرخين انه كان لوجود الوكالة التجارية البريطانية في الكويت في الفترة من ١٧٩٣ ـ ١٧٩٥ اثر كبير في حماية الكويت من السقوط في قبضة السعوديين . فقد رأى المستر مانستي (Manisty) (القائم بأعمال الوكالة انذاك) ان يبقى طرادا صغيرا في ميناء الكويت لحماية الوكالة من الخطر السعودي ، كما وضعت فرقة من الحرس الهنود يقودها ضابط هندي على الشاطيء . وذلك على الرغم من ان الوثائق الرسمية البريطانية قد حرصت على ان تنفي نفيا قاطعا قيام الوكالة البريطانية العامة ـ التي كانت تقرر عدم التدخل في الصراعات الداخلية في الخليج العربي ـ باي تدخل وان الوكالة كانت حريصة على ان تقف موقف الحياد في الصراع بين الوهابيين والكويت خوفا على بريدها الصحراوي من التعرض لانتقام السعوديين .. وهذا ما اكده المستر بريدجز **Brydges** المسئول الثاني بالوكالة في الكويت في كتابه عن الوهابيين **Wahauby** اذ بين ان الكويت دافع عنها أهلها فحسب ، وان الذي حماها هو شجاعتهم وثقتهم الكاملة في شيخهم عبدالله بن صباح ، الشيخ الوقور ، المهيب الطلعة الذي كانوا ينظرون اليه نظرتهم الى والد لا حاكم . وقد نجح هذا الشيخ الجليل بعدله وسماحته من ان يجنب امارته الخضوع للسعوديين[٤] . الا ان بعض المؤرخين ممن يؤكدون دور الوكالة الفعال في رد الهجمات السعودية يستندون الى ما ذكره احد الموظفين في الوكالة البريطانية ويدعى المستر رينود **Reinaud** من ان المستر مانستي اصدر أوامره خلال عمليات الغزو السعودي للكويت عام ١٧٩٥ بانزال مدفعين من الطراد الانكليزي ، وطلب من الجنود الهنود الاشتراك مع اهالي الكويت في صد السعوديين عن الامارة ، فكان رد الفعل المنتظر مهاجمة السعوديين لبريد بريطانيا الصحراوي والذي حدى بمانستي الى ارسال رينود الى الدرعية وتكليفه بمقابلة الامير السعودي في عاصمة . فكان رينود بذلك أول أوروبي يزور عاصمة الوهابيين السعوديين الأولى .

وقد نتفق مع الاخيرين في الاخذ برواية رينود لأن الوكالة كانت بطبيعة الحال تخشى على أموالها المودعة بالكويت فيما لو حدث غزو وهابي والتي كانت ستصبح غنيمة مشروعة في عرف الوهابيين باعتبارها (أموال الكفار) فضلا عن وجوب الالتزام الأدبي من الوكالة ان تشترك بالدفاع عن المدينة اعترافا بجميل الشيخ الذي افسح لها مكانا في بلاده[٥] . ولكننا مع ذلك لابد ان نؤكد ان الدور الرئيسي في الدفاع عن الكويت قام به الكويتيون انفسهم بتشجيع وقيادة شيخهم الحكيم الذي حرص على السلم في نفس الوقت الذي لم يرضى لبلاده بالذل والتسليم والخضوع لاجنبي ورفض التنازل بأي شكل من الأشكال عن استقلال بلاده ويبدو ان عتوب البحرين لم يتمكنوا من مساندة ابناء عمومتهم آل صباح وذلك لبعد المسافة بين الكويت والبحرين من جهة والأخيرة والزبارة من جهة اخرى

---

(١) لوريمر دليل الخليج ، جـ ٣ ، ص ١٥٠٨ .

(٢) د. أبو حاكمة نفس المصدر .

(٣) *Kelly, Britain and the Persian Gulf, LOndon 1928, of Chapter 1.*

(٤) ***Brydges, Sir Harford Jones : An account of His Majesty's mission to the court of Persia 1809-1808 to which is appended a brief history of the Wahauby Vol. 2, p. 12.***

(٥) د. جمال زكريا نفس المصدر ، ص ٩٨. *Burckhardt : op. cit. pp. 211/332.* ابن بشر جـ ١ ، ص ١٠٢ ـ ١١١ . وابن غنام ، جـ ٢ ، ص ١٩١ ـ ٢٧٣ .

خلفت صعوبة في ارسال قوات للنجدة برا وبحرا . بالاضافة الى ان طبيعة القتال الوهابي كانت تعتمد على الغارات السريعة ، ونظام الكر والفر في الحرب فاعتمد الوهابيون على قدرتهم في تجميع قواتهم وتفريقها في سرعة فائقة[١] . ويشير المؤرخان الوهابيان ابن بشر وبن غنام ان اول غارة وهابية ضد الكويت وقعت سنة ١٢٠٨هـ/١٧٩٣م وكان يقودها ابراهيم بن عفيصان الذي انتصر منذ امد غير بعيد على بني خالد في عدة معارك . وكان قوام جيش ابن عفيصان عرب من نجد من الخرج والعارض وسدير[٢] اما الغارة الثانية فقد حدثت سنة ١٢١٢هـ/١٧٩٧م واشترك فيها ـ بخلاف سابقتها ـ اهل الاحساء في جانب الوهابيين . ويذكر المؤرخين الوهابيين ان اهل الكويت خرجوا لملاقاة الوهابيين خارج اسوار مدينتهم ، وكان من بين الغنائم اسلحة ثمينة عاد بها ابن عفيصان ورجاله الى بلدانهم بعد ان قتلوا ثلاثين من اهل الكويت[٣] .

أما الغارة الوهابية الثانية على الكويت فقد وقعت عام ١٢١٢هـ/١٧٩٧م كما ذكرنا الا انه يمكن القول بصفة عامة ان الغارات الوهابية لم تنقطع منذ عام ١٧٩٣ وكما اختلف مسئولي الوكالة البريطانية اللذان كتبا عن الغارات الوهابية على الكويت (بريدجز.ورينود) حول دور الوكالة في الدفاع عن الكويت فانهما عادا للاختلاف عند وصفهما للمعارك الدائرة بين الجانبين . ففي حين يذكر بريدجز ان الهجوم الأول الذي قام به الوهابيون على الكويت كان قوامه خمسمائة رجل ، انهزموا على اثر طلقة واحدة من مدفع قديم كان الشيخ قد انزله من احدى سفنه الى البر[٤] . يدعى المستر رينود ان قوام الجيش الوهابي ٢٠٠٠ جمل يحمل كل منها رجلين ، أولهما مسلح ببندقية والثاني بحربه يحمي زميله حين يحشو بندقيته[٥] .

وبالرغم من ان السعوديين واصلوا عملياتهم الحربية ضد الكويت الا ان تلك المناوشات لم تؤد الى نتيجة ايجابية . بل ان الكويت تمكنت من احراز انتصارات اقتصادية هامة ضد السعوديين خلال السنوات التالية . وذلك حينما ادت المشاكل والحروب المستمرة بين الوهابيين والقبائل التي اخضعوها لسلطانهم في الاحساء الى تحول طريق تجارة الهند الى أواسط شبه الجزيرة العربية عن مجراه الطبيعي .

ونحن لا نريد أن نتناول موقف كافة الأطراف من الدعوة السعودية ونجاحها الديني والسياسي في نشر تعاليمها ومد سلطانها ونفوذها الى أبعد من مكان انبعاثها في أواسط الجزيرة العربية الا بقدر ما يتعلق ذلك الموقف لأي جهة بالكويت وأثره عليها . وأول ما يهمنا في هذا المجال موقف الدولة العثمانية من التقدم الوهابي وذلك لما لهذا الموقف من نتائج وانعكاسات على الكويت في مواجهتها للوهابيين فقد كان العثمانيين يحكمون الاحساء قبل بني خالد ، وكانت تربطهم بجزيرة العرب مصالح دينية ، ولها شيئاً من النفوذ السياسي على مناطق شرقي الجزيرة العربية وامارات الخليج العربي ، لا سيما الكويت الجارة القريبة جداً ، ذات الموقع الاستراتيجي على الخليج العربي . وعلى وجه العموم فقد أساء الدولة العثمانية امتداد النفوذ الوهابي حتى حدود البصرة وأطراف الشام بحيث لم يصبح أمامها مفر من الاشتباك معهم ، ومواجهتهم بجدية وحزم لوقف امتدادهم وخطرهم عن الأراضي الخاضعة لسلطانها في الوطن العربي[٦] .

وقد تقدم الوهابيون للاستيلاء على شبه جزيرة قطر بعد أن ثبتوا أقدامهم في الاحساء . غير أن ذلك لم يكن في غفلة من العثمانيين في العراق الذين تنبهوا لخطر تزايد النفوذ الوهابي فحركوا حملة لمواجهة الوهابيين بقيادة ثويني باشا (شيخ المنتفك) عام ١٧٨٧ . وبعد فشل هذه الحملة واصل الوهابيون حملاتهم واعتدائهم على أطراف العراق فأرسل العثمانيون ثويني مرة أخرى بحملة عام ١٧٩٦ حيث لقي مصرعه . فقام الوهابيون بغزوة قادها سعود مغيراً بجماعته على الشمال فهاجموا حتى العراق . فلما رأى سليمان باشا (والي بغداد) الخطر الوهابي يدق بابه لم يجد بداً من اعداد حملة ضد الوهابيين . عهد

---

(١) *Buckhart : Op. Cit. pp. 211-232.*

(٢) ابن بشر المرجع السابق ، جـ ١ ، ص ١٠٢ ـ ١١١ .

(٣) ابن غنام المرجع السابق ، ص ١٩١ .

(٤) انظر *The Wahauby p. 12.*

(٥) انظر كذلك *Montaliche correspondentz pp. 234-235.*

(٦) د. جمال زكريا ـ نفس المصدر ـ ص ٩٩ .

بقيادتها الى علي باشا . وقد تقدم فرسان الحملة عن طريق البر قاصدين الاحساء ، أما المشاة والمدفعية والذخائر فقد حملتها السفن الى البحرين ثم الى موانيء الاحساء ، حيث استقبلت بكل ترحيب .. ولا نريد الدخول في تفاصيل الحملة وسنعالجها بقدر ما تلقيه من ضوء على تاريخ الكويت ويذكر صاحب لمع الشهاب بان الحملة استأجرت مائتي مركب من الكويت لاستخدامها في عملية نقل شحناتها من المؤن والأسلحة والأغذية . ولا شك أن في استخدام موانيء العتوب وسفنهم دلالة واضحة على انحيازهم الى جانب العثمانيين[1] وقد ورد في مختارات بومباي أن العتوب كانوا ينوون المشاركة في الحملة بالاضافة الى عرب المنتفق وقبائل البصرة . غير أنه لا توجد تفاصيل عن ماهية تلك المشاركة في حملة علي باشا عام ١٧٩٨م . ويبدو أن العون الذي قدمه العتوب كان عوناً بحرياً . ولم يكن هذا العون أمراً مستغرباً من العتوب لكونه يأتي في اطار محاولاتهم الرامية للقضاء على الخطر الوهابي الذي كان يتهدد ديارهم . وهذا ما يفسر لنا مساعدة الشيخ جابر لابراهيم باشا القائد المصري اثناء حصاره للدرعية التي أشرنا اليها فيما مضى والتي وقعت في وقت لاحق لحملة علي باشا وبالتحديد كانت عام ١٨١٨ .

أما سر بقاء الكويت محتفظة باستقلالها وبقائها خارج منطقة النفوذ الوهابي بعد اخضاع الوهابيين للزبارة . فلا شك أنه يعود الى كون الوهابيين منهمكين بعد سنة ١٧٩٦م في رد الهجمات التي يشنها عليهم شرفاء مكة من ناحية وثويني شيخ المنتفق من ناحية أخرى . بالاضافة لعدم احتفاظ العتوب بجيش يتخوف منه الوهابيون على نفوذهم القائم في شرق الجزيرة العربية . فكان بمقدور الأخيرين ارسال قوات الى ميدان المعركة في أي وقت يشاؤون لا قبل للعتوب على ملاقاتها[2]ولكن لم يكن معنى ذلك أن العتوب في الكويت كانوا على ذلك القدر من الضعف الذي توقعه الوهابيين . بل رأينا الكويت تواجه الوهابيين في المعارك السابقة بشجاعة ورباطة جأش . وهو أمر شهد لهم فيه حتى المؤرخين الوهابيين أنفسهم الى جانب المؤرخين الآخرين ممن عاصروا تلك الأحداث من عرب وأوربيين .

واذا قيل أنه قد يكون لعلاقة القربى التي تربط شيوخ الكويت بآل سعود أثر في احتفاظ الكويت باستقلالها فاننا نرى أن ذلك غير صحيح بدليل أن علاقات القربى لم تمنع غزوات الوهابيين المتكررة على الكويت . كما أن القوى الأخرى التي كان لها أثر خلال الربع من القرن الثامن عشر في حفظ استقلال الكويت مثل بني خالد ، واقامة الوكالة البريطانية في الكويت ، قد تلاشت واختفت مع مطلع القرن التاسع عشر فقد انقصمت شوكة بني خالد نهائياً ، الى جانب كون المصالح البريطانية في الكويت قد انتفت بعودة الوكالة الى البصرة ، وبالتالي لم يعد ما يلزمها بالمساهمة بالدفاع عن الكويت . وهو أمر مشكوك فيه في حينه . كما لم يفد الكويت مجاورتها للبصرة في الاحتماء بسلطان والي البصرة أو شيخ المنتفك فلم يكن بمقدور لا هذا ولا ذاك الصمود أمام هجمات الوهابيين المتلاحقة ، لذا لا بد أن يكون الفضل كل الفضل في بقاء الكويت مستقلة عن سلطان الوهابيين يعود للكويت ذاتها ، ودون معاونة أي طرف خارجي ، فقد كانت الكويت لا تزال قوية في مطلع القرن التاسع عشر بحيث كان بمقدورها أن ترد أي خطر بحري عليها . في حين لم يكن للوهابيين قوة بحرية سوى قوة حلفائها القواسم وحتى تلك القوة لم يكن بمقدورها أن تدحر أسطول الكويت . وكذلك لم يكن بامكان الوهابيين أن يحتلوها عنوة براً لنفس الأسباب[3] ، اذ لا ريب أن الكويت كانت تملك وسائل دفاعية تستطيع بواسطتها رد أي اعتداء خارجي عليها ، اذ كان بمقدورها ان تجند للدفاع عن النفس ما بين ٥٠٠٠ و ٧٠٠٠ مقاتل[4] . هذا من الامكانيات العسكرية براً وبحراً ، ولكن يجب أن لا تنسينا تلك الامكانيات ما كان يتمتع به الشيخ عبد الله بن صباح من حكمة وسداد رأي وقدرة سياسية وحسن تدبير وادارة وهو أمر شهد له جميع معاصريه .

وبالرغم من استمرار هجمات الوهابيين على الكويت في مطلع القرن التاسع عشر الا أن تناولها يخرجنا عن فترة دراستنا .

(١) د. أبو حاكمة نفس المصدر ، ص ١٢٨ ـ ١٢٩ .

(٢) *Brydgestoc (Mr. Jacob Bosanguet) the court of directors, London Vol. 21 dated 1st Dec. 1798.*

Lorimer, Gazetter, I, i 1006.

Milles, Colonel S. B., The Countries and Tribes of the Persian Gulf, II, p. 297.

(٣) د. أبو حاكمة ، نفس المصدر ، ص ١٤٧ ـ ١٤٨ .

(٤) *Milles, Colonel S. B., The countries and tribes of the Persian Gulf, II, p. 297.*

الخاتمـــــة

لعل أهم ما يمكن التوصل اليه من خلال هذه الدراسة هو أن الكويت استطاعت الحفاظ على استقلالها وتأكيده بكيانها المحدد بأرضها وشعبها كما استطاعت مواجهة كافة التحديات والمخاطر بكفاءة واقتدار يفوق حجمها وامكاناتها المادية،وذلك بفضل السياسة الخارجية الحكيمة المتزنة التي اتبعها حكامها من آل الصباح منذ تأسيسها . والتي كانت أوضح معالمها،الاعتماد على السلم والحياد والابتعاد عن الدخول في منازعات أو الانحياز الى أي جهة ضد جهة أخرى . بالاضافة الى بناء علاقات ودية متينة مع الجميع ما استطاعت الى ذلك سبيلا ، على أن لا يكون في هذه العلاقات أي معنى للخضوع والتنازل عن السيادة . فملكت الكويت ناصية أمرها ونجحت في اختيار طريقها الصواب وسط ذلك الموج المتعاظم من الصراع والتنافس والتلاحم . فتمكنت الكويت من معايشة كل ما يحيط بها من مخاطر وتحديات بعزيمة وقوة . واستطاعت الكويت أن تمسك زمام شئونها الخارجية والداخلية . ولم يكن حفاظها على استقلالها ليجعلها تعيش في عزلة عما حولها بل انها وازنت بين حرصها على هذا الاستقلال وبين نشاطها في المجال الخارجي وعلاقتها مع القوى المحيطة وذلك أن قلة مواردها الطبيعية والزراعية فرضت عليها الاعتماد بشكل كبير على سياستها الخارجية لتعويض نقص مواردها بتوجهها الى المجال الخارجي بنشاطات اقتصادية مختلفة عن طريق البحر لتنهل من خيراته ما حرمتها الصحراء القاحلة منه . وسعت بمسيرة جادة نحو النمو والازدهار فحققت في فترة قصيرة ما لم يحققه غيرها في فترات طويلة .

وقد أمضى العتوب القرن الثامن عشر وهم يبذلون الجهود الصادقة الحثيثة لتنمية بلادهم وتركيز أنفسهم وتأسيس حكمهم وتدعيم نفوذهم والدفاع عن بلادهم فكان من نتيجة هذه الجهود أن احتلت الكويت مكانة مرموقة بين مشيخات الخليج والجزيرة العربية آنذاك . وقد اعتمدت الكويت في تقدمها على التجارة والملاحة والنقل البحري والغوص الى غير ذلك من النشاطات البحرية .

ولفت تطور الكويت السريع ونموها وازدهارها السياسي والاقتصادي أنظار المحيطين بها وأثار حسد وحقد بعض القوى القريبة فوقفت من الكويت موقفاً عدائياً وأخذت تتحين الفرص للقضاء عليها وعلى منافستها لموانيهم وتقويض مكانتها والاستيلاء على ما فازت به من مكاسب اقتصادية كبيرة . وذلك بعد أن عجزوا عن منافستها والفوز بما فازت به في مجال التجارة والغوص والنقل البحري ، فاتجهوا الى الانتقام منها بدون أي ذنب تكون قد اقترفته بحقهم .

وكانت أنظار الحكام شاخصة الى الكويت وآمالهم معلقة بالاستيلاء عليها وقد حاولوا ذلك بطرق شتى ولكنهم لم ينالوا منها شيئاً ولم يفوزوا بما يبتغون وكان أول من فتح عينيهم عليها هم شيوخ بني كعب والنصار الا أنهم فشلوا في تحقيق محاولاتهم الرامية للقضاء على استقلال الكويت والاستيلاء على كيانها النامي وحققت الكويت كل نجاح في التصدي ومواجهة الطامعين والمعتدين بالرغم من قلة امكاناتها الحربية والمادية .

وقد ساعدت أوضاع العراق العثماني المهلهلة على أن تحتل الكويت مكاناً مرموقاً في عالم الخليج العربي دون أن تخشى محاولات الدولة العثمانية لفرض أي نفوذ أو سيادة عليها أو تحويل سيادتها الاسمية الى سيادة فعلية وذلك نتيجة لانشغال الولاة العثمانيين بالفتن والاضطرابات التي سادت البصرة خلال القرنين السابع عشر والثامن عشر بالاضافة الى وباء الطاعون . ثم احتلال الفرس للبصرة (١٧٧٦ ـ ١٧٧٩م) الى غير ذلك من الأمور التي ساعدت الكويت على اطراد النمو والتطور في كافة المجالات واحتفظت باستقلالها ورخائها .

ومن الظروف التي ساعدت الكويت على النمو والازدهار وسط ظروف آمنة مستقرة ضعف بلاد فارس فقد دب الهرم بالدولة الصفوية في مطلع القرن الثامن عشر فلم تتعرض الكويت لجشع حكام فارس واعتداءاتهم دون أن تقع تحت سيطرتهم .

ومن ذلك يتبين أن الكويت تمكنت بفضل سياستها الخارجية الحكيمة والمتزنة من مواجهة كافة المخاطر والتحديات والتغلب عليها بارادتها القوية وكفاح شعبها وصبره وعمل حكامها الدائب والمستمر لما فيه مصلحة بلدهم وازدهارها . وكانت تلك السياسة هي حجر الأساس الذي قامت عليه الكويت الحديثة وما سياسة الكويت الخارجية في الوقت الحاضر التي رفعت أسمها عالياً الا امتداد لتلك السياسة التي اختطتها لنفسها منذ تأسيسها وحرصت على تطبيقها بدقة خلال القرن الثامن عشر والتاسع عشر .

تم بحمد الله وعلى الله التوفيق



مراجع ومصادر البحث

وثائق غير منشورة

أولاً ـ الوثائق العربية :

١ ـ تقرير سري اعداد وزارة الخارجية الكويتية عن وضع الكويت بالنسبة للدولة العثمانية معتمد على مذكرات مدحت باشا نفسه .

ثانياً ـ وثائق مترجمة الى العربية من الوثائق العثمانية :

١) الوثيقة العثمانية رقم (١١١) من دفتر المهمة بأرشيف رئاسة الوزراء العثماني باسطنبول ، ص ٧١٣ ٢٦ رجب١١١٣هـ/ ١٧٠١م .

٢) مذكرات مدحت باشا ترجمة حاله (من وثائق وزارة الخارجية الكويتية) .

٣) كتاب من مدحت باشا الى الصدر الأعظم بتاريخ ٨ ذي القعدة سنة ١٢٨٦هـ الموافق ٢٨ كانون ثاني (يناير) سنة ١٨٦٩م (مقترحات مدحت باشا بشأن الكويت) .

٤) كتاب الصدر الأعظم الى السلطان بتاريخ ٢٥ ذي الحجة سنة ١٢٨٦هـ الموافق سنة ١٨٦٩م .

٥) كتاب من رئيس كتاب السلطان الى الصدر الأعظم (رداً على كتابه) ٢٦ ذو الحجة ١٢٨٦ هـ/ ١٨٦٩م .

ثالثاً ـ وثائق انكليزية :

أ ـ وثائق الوكالة التابعة لشركة الهند الشرقية (فرع البصرة) :

1. Factory record : Persia and Persian Gulf, Vol. 17. despatch No. 1074 (1774-1788) (The Basra Residency).

2. Factory Record : Persia and Persian Gulf, Serial No. 1532.

3. Ibid. Vol. 19 Letter No. 1652.

وثيقة منشورة : البيان الثالث لحكومة الكويت (بمناسبة مطالبة عبد الكريم قاسم بضم الكويت) الصادر في ١٩٦١/٧/١٥ .

ب ـ وثائق حكومة الهند :

١) تقرير شامل عن أحوال الكويت في الفترة بين ١٨٧١م ـ ١٩٠١م . وثيقة رقم (٢٣) مجموعة م ف ٢ من وثائق حكومة الهند الموجودة في المكتبة المركزية في منطقة المباركية التجارية ـ شارع عبد العزيز آل سعود تاريخ ١٩٠١/١٠/٨م .

٢) وثيقة رقم (٧) من المجموعة م ف ٢ تاريخ ١٨٩٧/٩/٨م .
Letter from Col. Mead to India Office.

٣) وثيقة رقم (٣) من المجموعة م ف ٢ ـ الموجودة في المكتبة المركزية ١٨٩٧/٢/٢٤م .

٤) وثيقة رقم (٢) من المجموعة م ف ٢ تاريخ ١٨٩٧/٢/٢٢م .

٥) وثيقة رقم (٦) من المجموعة م ف ٢ ١٨٩٧/٧/٣م .

٦) وثيقة رقم (١٢) من المجموعة م ف ٢ ـ مذكرة عن الكويت اعداد ج. س. وايت Whyte تاريخ ١٩٠٠/١٢/٣٠م.

٧) وثيقة رقم (٢٤) من المجموعة م ف ٢ تاريخ ١٩٠١/١٠/١١م .
Saldanha, J. A. Selection from State papers, Bombay regarding the East India Company connection with the Persian Gulf, (Calcutta 1908).

جـ ـ وثائق من سجلات وزارة الخارجية البريطانية :

Great Britain Public Record.

الملفات التالية :

F. O. 195/1944.

F. O. 602/2.

F. O. 78/5113.

F. O. 78/5114.

رابعاً : ـ وثيقة منشورة : ـ البيان الثالث لحكومة الكويت (بمناسبة مطالبة عبد الكريم قاسم بضم الكويت) الصادر في ١٩٦١/٧/١٥ .

خامساً : ـ المراجع والمصادر العربية

١) ابن بشر (عثمان) : عنوان المجد في تاريخ نجد ـ في مجلدين القاهرة ١٣٤٩هـ ١٩٣٠م .

٢) ابن سند (عثمان بن سند البصري) رجعت للمجلد (٢) : سبائك العسجد في أخبار أحمد نجل رزق الأسعد (بومباي ١٣١٥هـ ـ ١٨٩٧م) وهناك نسخة خطية بالمتحف البريطاني .

٣) ابن غنام (حسين بن غنام الاحسائي) : روضة الأفكار والأفهام لمرتاد حال الامام وتعداد غزوات الاسلام نسخة مصورة .

٤) لمع الشهاب في سيرة محمد بن عبد الوهاب (مجهول المؤلف) بيروت ١٩٦٧م دار الكتب ، القاهرة .

٥) أبو حاكمة (د. أحمد مصطفى) (١) تاريخ الكويت الحديث (١١٦٣ ـ ١٣٨٥هـ ـ ١٧٥٠ ـ ١٩٦٥م) الطبعة الأولى ـ الكويت ـ منشورات دار ذات السلاسل (١٩٨٤م) .

٢) محاضرات في تاريخ شرقي الجزيرة العربية في العصور الحديثة ـ القاهرة ١٩٦٩م .

٦) الابراهيم (د . حسن علي) : الكويت ـ دراسة سياسية ـ دار البيان للنشر ـ الكويت ـ دار النهضة للنشر ـ بيروت ١٩٧٤م .

٧) الخصوصي (د . بدر عباس) (١) دراسات في تاريخ الخليج العربي الحديث والمعاصر جـ ١ الطبعة الثانية ـ الكويت ـ ١٩٨٤م مطبوعات دار السلاسل .

(٢) الأهمية الاستراتيجية للكويت في العصر الحديث ـ دراسة منشورة في مجلة كلية الآداب ـ جامعة الكويت ـ العدد السادس ـ ديسمبر سنة ١٩٨٤ ، ص ٨ وما بعدها .

٨) خزعل (حسين) تاريخ الكويت السياسي ـ جـ ١ ، بيروت ١٩٦٢م .

٩) الخترش (فتوح عبد المحسن) تاريخ العلاقات السياسية البريطانية ١٨٩٠ ـ ١٩٢١م ـ الكويت ـ منشورات دار السلاسل ـ الطبعة الأولى سنة ١٩٧٤م .

١٠) الداود (محمود علي) الخليج العربي والعلاقات الدولية ١٨٩٠م ـ ١٩١٤م ـ القاهرة ١٩٦١م .

١١) الدباغ (مصطفى) قطر ماضيها وحاضرها ـ بيروت ١٩٦١ .

١٢) الرشيد (عبد العزيز) تاريخ الكويت ـ بيروت ١٩٧١ .

١٣) الزياني (أمل) البحرين ١٧٨٣ ـ ١٩٧٣م .

١٤) الزيد (خالد سعود) الكويت في دليل الخليج (جي. ج. لوريمر) الطبعة الأولى ـ الكويت ١٩٨١م .

١٥) الشملان (سيف مرزوق) من تاريخ الكويت ـ القاهرة ١٩٥٩ .

١٦) الشيباني (محمود شريف) امارة قطر العربية ـ بيروت ١٩٦٢ .

١٧) الصالح (نورية) علاقات الكويت السياسية بشرقي الجزيرة العربية والعراق العثماني ـ الكويت دار السلاسل ١٩٧٧م .

١٨) العقاد (د. صلاح) التيارات السياسية في الخليج العربي ـ القاهرة ١٩٦٥م .

١٩) الفرحان (راشد) مختصر تاريخ الكويت وعلاقته بالحكومة البريطانية والدول العربية ـ القاهرة ١٩٦٠م .

٢٠) قاسم (د. جمال زكريا) (١) الخليج العربي (دراسة لتاريخ الامارات العربية) ١٨٤٠ ـ ١٩١٤ ـ القاهرة ١٩٦٦م .
(٢) دولة بوسعيد في عمان وشرق أفريقيا (١٧٤ ـ ١٨٦١) القاهرة ١٩٦٧ .

٢١) قدورة (زاهية) تاريخ الخليج العربي الحديث ـ بيروت ١٩٧١م .

٢٢) القناعي (الشيخ يوسف) صفحات من تاريخ الكويت ـ الطبعة الثانية ـ دمشق ١٣٧٤هـ ـ ١٩٥٤م .

٢٣) النبهاني (محمد خليفة) التحفة النبهانية في تاريخ الجزيرة العربية في اثنى عشر جزءاً :
(١) تاريخ البحرين (القاهرة ١٣٤٢هـ / ١٩٢٣م) .
(٢) الكويت وعلاقتها بعربستان والبصرة (١٨٩٦هـ / ١٩٥١م) ـ القاهرة عام ١٩٧١م .

٢٤) النجار (د. مصطفى عبد القادر النجار) (١) التاريخ السياسي لعلاقات العراق الدولية بالخليج العربي ـ منشورات مركز دراسات الخليج بجامعة البصرة (١٩٧٥م) .
(٢) التاريخ السياسي (امارة عربستان العربية ـ القاهرة ـ ١٩٧١) .

٢٥) المنصور (د. عبد العزيز) التطور السياسي لقطر في الفترة بين ١٨٦٨ ـ ١٩١٦م ـ الكويت ـ دار السلاسل ـ الطبعة الأولى ـ ١٩٧٥م .

٢٦) نوار (د. عبد العزيز سليمان) تاريخ العراق الحديث من نهاية حكم داود باشا الى نهاية حكم مدحت باشا (القاهرة ـ ١٩٦٨م) .

٢٧) نوفل (د. سيد) الأوضاع السياسية لامارات الخليج العربي وجنوب الجزيرة العربية ـ بيروت ـ ١٩٦٩م .

٢٨) نخلة (محمد عرابي) تاريخ الاحساء ـ رسالة ماجستير ـ غير منشورة .

٢٩) وهبه (حافظ) جزيرة العرب في القرن العشرين ـ القاهرة ١٩٣٥م .

سادساً : المصادر الأجنبية المترجمة الى العربية :

١) بيرين (جاكلين) اكتشاف جزيرة العرب : خمسة قرون من قرون المغامرة والعلم ـ ترجمة قدري ملعجي ـ بيروت ١٩٦٣م .

٢) لوريلرج ج. ـ دليل الخليج ـ القسم التاريخي جـ ٣ ـ ترجمة ديوان حاكم قطر ـ الدوحة ـ ١٩٦٧م .

٣) ولسن (أرنولد) الخليج العربي ـ ترجمة د. عبد القادر اليوسف ـ الكويت ـ منشورات مكتبة الأمل الكويت ١٩١٩ (الاصل لندن ١٩٥٩ م) .

ثامناً : ـ المقالات المنشورة في الدوريات العلمية ؛

١) أبا حسين (د. علي) دراسة في تاريخ العتوب ـ مجلة الوثيقة التاريخية البحرينية ـ العدد الأول ـ رمضان ١٤٠٢هـ يوليو ١٩٨٢م .

٢) آل خليفة (الشيخ عبد الله بن خالد) تعليق على مقالات البحرين قديماً وحديثاً لسيف مرزوق الشملان ـ مجلة الوثيقة ـ العدد الثالث ـ السنة الثانية ـ رمضان ١٤٠٣هـ يوليو ١٩٨٣م .

٣) الخصوصي (د. بدر الدين الخصوصي) الأهمية الاستراتيجية للكويت في العصر الحديث ـ دراسة منشورة في مجلة كلية الآداب جامعة الكويت ـ العدد السادس ـ ديسمبر ١٩٨٤ ، ص ٨ وما بعدها .

٤) قاسم (د. جمال زكريا) (١) موقف الكويت من التوسع السعودي في نجد وسواحل الاحساء ـ مستخرج من مجلة الجمعية المصرية للدراسات التاريخية ـ المجلد ١٧ سنة ١٩٧٠م .

٢) رحمة بن جابر ـ كلية الآداب ـ جامعة عين شمس ـ المجلد العاشر ـ ١٩٦٤م .

٥) قطينة (رنده المصري) الكويت (دراسة تحليلية) منشورة في مجلة الوثيقة التاريخية ـ العدد الأول ـ رمضان ١٤٠٢هـ يوليو ١٩٨٢م . ص ١٧٨ ـ ١٩٥ .

٦) الكرملي (الأب انستاس ماري) مقالة (الكـويت) في مجلة المشرق البيروتية العدد العاشر ـ ١٩٠٤م ـ بيروت .

٧) الصباح (د. ميمونة) مقال بعنوان (نشأة الكويت وتطورها في القرن الثامن عشر ـ مجلة دراسات الخليج والجزيرة العربية . العدد السادس والأربعون ، الصادر في ابريل ١٩٨٦م / رجب ١٤٠٦هـ .

تاسعاً : الدوريات العربية :

١) جريدة الاصلاح ـ بيروت ـ العدد ٦٨ بتاريخ مايـو ١٩١٣م ـ مقالة بعنوان ـ انجلترا والكويت .

٢) جريدة صدى بابل (العراقية) عددها الصادر بتاريخ ٥ رجب ١٣٢٩هـ ـ ٢ تموز / يولية ١٩١١م .

عاشراً : المراجع الأجنبية :

1. Al-Baharna H. The Legal States of Arabian Gulf States London 1968.

2. Brydges (Sir Harford Jones) : An account of His Majesty's mission of the Court of Persia. 1807-1881. "To which is appended a brief history of the Wahauby" 2 Vols. London 1834.

3. Brydges to (Mr. Jacob Bosanguet) : The Court of Directors, London, Vol. 21 dated 1st December, 1881.

4. Belegrave C. : The Pirate Coast. London 1966.

5. Burchart M. : Notes on the Bedouins and Wahaubys.

6. Bukingham James Silk. Travel in Assyria etc (London 1930).

7. Ives, Edward from England to India, in the year 1753 (London 1773).

8. Fraser (Lovat) : India under Curzon and after. London 1901.

9. Lockhart, L. : Nadir Shah a critical study based mainly upon contemporary sources (London 1938).

10. Lorimer, J. J. : Gazetteer of the Persian Gulf, Oman and Central Arabia, (reprinted from original in the India Office library) Vol. 2, Holland 1970.

11. Low-History of the India Office Navey.

12. Lutsky : Modern History of the Arab.

13. Milles Colonel S. B., The Countries and Tribes of the Persina Gulf. Vol. I (London 1919).

14. Niebuhr, Casten : Travels in Arabia and other countries in the East, translated in to english by Robert Hersan (Two. Vols. Edinburgh, 1797).

15. Hopwood D. : The Arabian Peninsula (London 1972).

16. Parsons. Abraham, Travels in Asia and Africa (London 1808).

17. Pelly. Lewis : (Record tour around the northern portion of the Persian Gulf), Transactions of Bombay Geographical society. No. 35, (1863-1864).

18. Sykes P. M. : A History of Persia, Vol. 2 (3rd Edition) London 1969.

19. Whigham. H. J. : The Persina Problem, New York : Charles Scribner & Sons, 1903.

20. Wilson, Arnold T. : THe Persian Gulf : An Historical sketch from the earliest times to the beginning of Twenthieth century, (Oxford : The Clarendon Press).

فى الدولة الليبرالية

د . علي عبد الرزاق الزبيدي

معهد الدراسات القومية والاشتراكية ـ الجامعة المستنصرية

المقدمة

قد تكون الصفحات التالية في غير محلها مالم يتم منذ البداية تحديد السؤال الذي قاد اليها بأقصى قدر ممكن من الوضوح ، ما الذي نعنيه بالدولة الليبرالية ؟ أهي الدولة التي تترك الفرد وشأنه له الحرية المطلقة فيما يختار لحياته الخاصة وحريته ضامنة أمنه داخلها وخارجها فقط ؟

هل نجحت الدولة الليبرالية في تقديم ما يطمح اليه الفرد مكتفية بدورها السلبي فقط ؟ أم أوجبت الضرورة تدخلها لتنظيم الحياة الاجتماعية والاقتصادية بعد أن عجز الأفراد عن تنظيمها وخاصة الاقتصادية منها ؟

ما هو موقف المفكرين الليبراليين في عصرنا الحاضر تجاه الليبرالية الجديدة ، ثم ما الذي يميزها عن المفاهيم الأخرى وأعني الموقف الماركسي من الدولة ؟

بالتأكيد أن ما وصلت إليه المجتمعات الليبرالية من تقدم وتميزها عن كافة المجتمعات والدول الأخرى في العالم بما لها من قوة وتأثير يقودنا إلى دراسة مفهوم الدولة الليبرالية .

الليبرالية التقليدية :

أولا) نشأة الدولة وتطورها :

لا يوجد منا من شاهد الدولة ، إلا أنه في نفس الوقت لا يوجد من ينكر أنها حقيقية ، خاصة إذا لاحظنا الدور والمكانة المتزايدة التي تأخذها في حياتنا اليومية ، كما أن تاريخ الدولة ما هو إلا ملخص لتاريخنا ووجودنا الحاضر ، ماهو إلا مستقبلنا سواء أكان في الجانب السيء منه أم الحسن فنحن لانستطيع الانفصال عنها بأي شكل من الأشكال . [(١)]

إن دراسة نشأة الدولة يؤدي بنا إلى الذهاب بعيدا والتصور الذي يخلقه في تلك المجتمعات البشرية السحيقة في القدم [(٢)] وبداية السلطة فيها والتي لا نستطيع تسميتها بالسلطة السياسية ـ فمنذ آلاف السنين عاش الانسان على الأرض في تجمعات ثم ما لبثت هذه التجمعات أن التقت كرها أو عن إرادة منها في وحدات أكبر أي غلبة النظام على تلك التجمعات . [(٣)]

إلا أن نشوء هذا الشكل البسيط للدولة يعتبر من أهم التطورات التي عاشتها البشرية ، وان كانت هناك العديد من الآراء والتفسيرات في نشأة الدولة إلا أن الغموض ما زال يكتنفها ومع ذلك من الممكن القول إن نشأة الدولة لم يكن نتيجة عبقرية شعب

---

(١) *BURDEAU Georges : "L'Etat" Le seuil, Paris, 1970, P. 13.*

(٢) انظر روبرت م. ماكيفر : « تكوين الدولة » دار العلم للملايين بيروت ، ١٩٦٦ ، مترجم عن الانكليزية .

(٣) *Febvre L. : "De L'Etat historique a L'Etat vivant" Introduction, Tomex de L'Encyclopedie Fransaise : L'Etat.*

كذلك طعيمة الجرف « نظرية الدولة » دار النهضة العربية ، القاهرة ١٩٧٨ ، ص ٢٣ وما بعدها .

معين وليس بالصدفة بل كانت نتيجة عملية تاريخية طويلة الأمد . وتحديدا يمكن القول ان العصور القديمة شهدت ما يشبه الدولة في الوقت الحاضر كما هو الحال في وادي الرافدين ووادي النيل قبل خمسة آلاف سنة .

كما شهدت العصور الوسطى وبعد سقوط الامبراطورية الرومانية تحت ضربات البربر وعدم سيطرتها على أوربا أدي إلى إنهاء السلطات وامتصاصها بقيام الملكيات العقارية الكبيرة ضمن القانون الاقطاعي بجانب سلطات الكنيسة .

كما ظهرت صورة الدولة القومية بعد حرب القرن من ١٣٣٧ وحتى ١٤٥٣ في أوربا بين بريطانيا وفرنسا لتجعل من فرنسا بلدا واحدا في ظل لويس الحادي عشر في ١٤٧٧ والذي يؤشر بداية الروح القومية .[٤]

ويعتبر القرن السادس عشر بداية التنظيم للبشر وليس صدفة أن ينضج في هذا القرن مفهوم الدولة ، حيث ظهر مفهوم الحدود في الفترة التي ظهر فيها مفهوم الدولة وإذا كانت الدولة تسبق ما يسمى بتأسيس السلطة فإن هذه العملية لم تكن هي الأخرى صدفة فقد كانت نتيجة لمجموعة من الظروف اجتمعت في فترة معينة وقد كانت ممكنة وضرورية أيضا .

في هذه الظروف كما قلنا تشكل أو تكون الشروط الموضوعة لفكرة الدولة ولكنها غير كافية لظهور الدولة بدون وجود الأرض والشعب والسلطة التي تقوده وكل هذه المعطيات تكون عناصرها إضافة إلى الوحدة النفسية والجسدية التي تعيشها المجموعة فبجانب الأرض نرى في كل البلدان القديمة أن الأمة هي التي خلقت الدولة فقد شكلت الأمة وبشكل بطيء الروح والمؤسسات الموحدة عن طريق الشعور القومي ، كل ذلك يسهل العملية الفكرية لتأسيس السلطة .[٥] ونجد الآن أن هذه النبذة السريعة جدا لا تكفي أن تعطينا ولادة كافية للدولة فمن الضروري أن يرافقها رد فعل على السلطة نفسها . فالدولة فكرة ولذلك فإنها تثير في الفكر العديد من ردود الفعل ومن خلال الفترة الطويلة التي حكم فيها الانسان منذ القدم نرى أن المحكومين يرون في شخص مختار عهدت إليه السلطة أي الشخص الذي يحكم ويقود ما يميزه عن سائر الآخرين فليس هناك من يستطيع مناقضته وتكون القوة التي يملكها هي المبرر الكافي للخضوع إليه .[٦]

لذلك نرى أن الدولة بحاجة إلى تلك القوة وكما يقول THERIHNG إن غياب القوة المادية هو الخطيئة القاتلة للدولة ، الخطيئة التي لا يمكن غفرانها ولا يمكن تحملها فالدولة بدون قوة مادية للإكراه هي في تناقض مع نفسها .

وقد قامت العديد من النظريات التي تناولت نشأة الدولة ، ولعل أشهر تلك النظريات هي نظرية العقد الاجتماعي . وتذهب هذه النظرية إلى أن الدولة قد قامت نتيجة اتفاق مقصود واختياري من جانب الناس البدائيين الذين خرجوا من حالة الطبيعة وهي تفترض أنه كان هناك عهد في التاريخ البشري لا وجود فيه للدولة مطلقا ولا وجود لقانون سياسي ومن هؤلاء هوبس وجون لوك وجان جاك روسو .

فهوبس يرى أن أساس الدولة هو القبول ومن خلال العقد الاجتماعي والذي يحدد رضاء الناس على إنشاء الدولة ويمنحونها سلطة إصدار الأوامر والملاحظ أنه في اللحظة التي تم فيها اختيار الحاكم الأعلى (صاحب السيادة) أصبح افراد المجتمع رعية لهذا الحاكم يؤتمرون بأوامر ليس لها عصيان او مقاومة إلا في حالات استثنائية محدودة كما أن تنفيذ التعاقد بين الأفراد وكما يقول هوبس (إنه أكثر من الرضى أو الاتفاق فهو وحده حقيقة لهم جميعا في شخص واحد بعينه ، أقيم بتعاقد كل انسان مع الآخر على نحو ما كان كل انسان يقول للآخر إني أخولك السلطة وأتنازل عن حقي في حكم نفسي لهذا الانسان شرط أن تتنازل عن حقك له وتخول السلطة لكل أعماله على نمط مشابه وحين تم هذا أطلق على جمهور الناس الذين اتحدوا في شخص واحد اسم الدولة أو المجتمع المدني) .

فالدولة إذن تقوم حين يتنازل الناس جميعا لصاحب السيادة عن سلطتهم فتتركز في يده سلطة عظيمة يخافونها ويشكل بها

(٤) *PEUCH Jacques : "Politique" (Lere annee de liceence en Droit 1978-1979) Universite de Nice. P. 98 et 99.*

(٥) قد يحدث العكس أي أن تكون الدولة هي التي تشكل الأمة كما هو الحال في بعض دول أفريقيا ، حيث سبق مفهوم الدولة مفهوم الأمة .

(٦) *HAURIOU Andce et Gicquel "Droit constitutionhel et institutions politiques" Montchrestien, Paris, P. 100.*

إرادتهم جميعا لصيانة السلام في الداخل وتحقيق التعاون المشترك ضد أعدائهم في الخارج . [٧]

أما جان لوك فيرى أن المجتمع قد قام على التعاقد الاختياري والذي ينبع من الاحساس بالحاجة إلى الحماية المتبادلة لحياتهم وأملاكهم وبذلك يتنازل كل عضو عن حقوقه الطبيعية ليضعها في يد الجماعة فتتولى هي القيام بذلك .

وبذلك تقوم الحكومة بعملها لتقديم الخير العام للشعب . أما روسو فيرى أن الدولة تنبثق من قبول الأفراد لها باعتبارها شاملة السلطة وأن كل إرادة من إرادة الأفراد تشكل جزءا من إرادة الدولة أثناء ممارستها لسلطتها ورأى الشعب يكون هو المصدر الأول والأخير لها . وهو الذي يراقب عمل الحكومة واستمرارها في أداء واجبها الذي وكله لها . [٨]

وكما يقول روسو « بدل أن تنفد جهودنا وقوتنا في مقاتلة بعضنا البعض علينا أن نوحدها ونجمعها ونداقع عن كافة أعضاء الجماعة ونقف في وجه العدو المشترك ونعمل على إيجاد نوع من الانسجام والتآلف فيما بيننا .

ثانيا) الدولة شر ضروري :

ان الليبرالية هي نظرية الحرية ، كما أنها في نفس الوقت نظرية سياسية من خلال نقطة انطلاقها حيث كانت نتيجة جهود الطبقة الوسطى الفكرية للتخلص من قفص المجتمع التقليدي المستبد المقيد لحريتها .

ومن الصعب تحديد تاريخ معين لنشأة الليبرالية فجذورها تمتد عميقة في التاريخ ومع انتصار الثورات الديمقراطية وإعلان السيادة الشعبية استلهمت هذه الثورات روح المذهب الفردي واتخذت منه أساسا فلسفيا لنظم الحكم التي قامت في كل من امريكا واوربا [٩] . فقد قامت وبشكل تدريجي حكومات مسؤولة أمام برلمان منتخب وإن كان حق الانتخاب مقيدا في بداية الأمر إلا أنه ما لبث أن توسع

ثم كان هناك فصل للسلطات ثم انتهاء دور الكنيسة بانتفاء دين الدولة حين فصلت الكنيسة عن الدولة فصلا تاما ، وإن كان لاسكي يرى أن للدين بعد انتهاء س ة الكنيسة في القرون الوسطى جذورا روحية لليبرالية ولم تتوقف الطبقة البرجوازية عن الدعوة إلى إطلاق يدها من العمل خاصة وأن القرن الثامن عشر قد شهد تطورا في الاختراعات أعطى دعما لهذه الطبقة .

أما مصادر هذا الفكر فهي كل من مدرسة القانون الطبيعي التي تدعو إلى الاهتمام بالفرد وضرورة قيام الدولة بتوفير كافة الشروط للعمل والابداع إضافة إلى دعوتها الى الاعتراف بالملكية باعتبارها حقا مقدسا .

والمدرسة الحرة للاقتصاد ، وهي تبدأ بما انتهت اليه المدرسة الأولى وتدعو إلى تقرير حقوق اقتصادية للأفراد باعتبارها حقوقا مستمدة من الطبيعة وكل ذلك يقودنا إلى دراسة النظرية الفردية وبالتالي إلى ذكر الانتقادات التي وجهت إليها .

تستند النظرية الفردية على ثلاث أسس هي :

(١) الأساس الأخلاقي :

ترى الليبرالية أنه من الخير للانسان أن يترك حرا لكي يتمكن من استعمال جميع قواه الطبيعية ، لأن المجتمع الذي يجعل المنافسة حرة بين الأفراد يحقق للانسان غرضه الأخلاقي في الحياة وإن تدخل الدولة يقتل الثقة في الأفراد ويجعلهم غير قادرين على الاعتماد على أنفسهم .

وبما أن الدولة شر لابد منه فيجب ألا يكثر دور أو تدخل الدولة عن القدر اللازم لتمكين الانسان من تنمية قواه .

(٢) الأساس الاقتصادي :

إن كل فرد يسعى إلى تحقيق مصالحه الشخصية ويستثمر رأس ماله بالطريقة التي يراها أنفع له أو يختار العمل الذي ينال منه

---

(٧) د. محمد عبد المعز نصر « في النظريات والنظم السياسية » دار النهضة العربية / بيروت سنة ١٩٧٣ ، ص ٧٢ .

(٨) *BE LACHARRIERE Rene : "Etudes sur la theorie democratique, Payot, Paris, 1963, P. 45-61.*

(٩) *FLAMANT MAURICE : "Le liberalisme" P. U. F, Paris 1979, P. 3et sui.*

(١٠) د. أنور أحمد رسلان « الديمقراطية بين الفكر الفردي والفكر الأشتراكي » دار النهضة العربية ، القاهرة ، سنة ١٩٧١ ، ص ١٣٠ ـ ١٥١ .

أكبر أجر ، إذ أن العرض والطلب سيعملان عندئذ في توجيه رأس المال والعمل فيحققان أكبر الأرباح وأعلى الأجور ، ويجب كذلك ألا تتدخل الدولة في تحديد الأسعار لأن العرض والطلب هما اللذان يحددان السعر وأن تترك التجارة الخارجية حرة .

وكذلك إن أي تدخل للدولة سيعيق التقدم لعدم الكفاءة والشكليات غير الضرورية التي تتبعها .

(٣) الأساس العلمي :

تؤكد النظرية الفردية على أن البقاء دائما يكون للأصلح لذا يجب أن يطبق على حياة المجتمع البشري ونتيجة لذلك يجب القضاء على الضعفاء وبذلك يكون السبيل الطبيعي للتقدم !!

لاشك أن النظرية الفردية قد ساهمت في التقدم الذي حصل في القرن الماضي حيث لم يسبق أن حدثت وفرة في الإنتاج مثلما حدثت في هذه الفترة فقد تطورت المواصلات وتحررت التجارة المحلية والدولية كل ذلك أدى إلى الإنتاج الكبير ، كما ساهمت في توفير السلع بأسعار جيدة ونعني بذلك انخفاض الأثمان إلى الأمر الذي أدى إلى سلسلة من التغيرات التي ساهمت مساهمة كبيرة في الرفاهية ورفعت مستوى بعض الأمم المعاشي بشكل كبير .

ومن الجديد بالذكر توضيح الانتقادات التي وجهت لهذه النظرية حيث لم تصمد تجاهها ولعل من أبرزها هو :

(١) أن الحاجة وتعقد مقتضيات الحياة هي التي تقتضي تدخل الدولة فهي قد نشأت تلبية لحاجات الفرد لذا فإن اعتبارها شرا ضروريا ليس بالشيء الصحيح ولذلك فإن تدخل الدولة بشكل لا يقتل المبادرة والإبداع هو الشيء الضروري .

(٢) أن تعريف الحرية هو قدرة الفرد على فعل ما يريده أو ما يقوله أما فولتير فيقول : « عندما أقدر على ما أريد فهذه حريتي » .

فعدم تدخل الدولة لتحد من بعض الحريات هو نوع من الفوضى الاباحية فلابد من تدخلها لتنظيم حريات الأفراد .

(٣) إن أساس النظرية يستند على فكرة المنافسة الحرة وهذه إن كانت صالحة للأقوياء فهي ليست صالحة للجميع ، فالمشاريع الصغيرة لا تستطيع التنافس مع المشاريع الكبيرة لذلك فإن استمرار المنافسة بهذا الشكل يؤدي إلى دمارها وبالتالي إلى تشريد العمال وأرباب العمل معا .

(٤) إن القاعدة التي تقول البقاء للأصلح ليست انسانية فلا يمكن تطبيق هذه القاعدة على الكائنات البشرية فذلك يؤدي إلى تمجيد الوحشية .

إضافة إلى صواب الانتقادات التي وجهت إلى النظرية الفردية فإن تعرض التقدم الاقتصادي إلى الهزات أي الدورات التجارية التي أدت الى انتشار الاضطرابات في اقتصاد هذه البلدان الأمر الذي أدى إلى هزات سياسية .

ونتيجة للتقدم الصناعي والتجاري ظهرت الطبقة العاملة أقوى بكثير من السابق الأمر الذي جعلها عنصر ضغط إضافة لما للماركسية من دور في هدم الرأسمالية ، فكان لابد من التدخل لتحسين أوضاع العمال .

كل ذلك أدى إلى ظهور فكرة تدخل الدولة لتصحيح بعض الأخطاء والتدخل الذي لا يقتل حرية الفرد ومبادرته والذي يضمن بنفس الوقت عدم تعرض المجتمع إلى هزات خطرة أو إلى عدم ضياع الفرد أو المشروع الصغير وضمان التقدم للمجتمع وهذا ما يطمح إليه المذهب الليبرالي الجديد .

الليبرالية الجديدة :

يرى الليبراليون عدا المتطرفين منهم أنه نتيجة لعدم مسايرة الليبرالية التقليدية للتطور الذي شهده العالم كان السبب في ولادة ليبرالية جديدة تلاءم وظروف المجتمع الجديد وهي ليبرالية ما بعد الحرب العالمية الثانية .

إن دور الدولة في ظل النظرة الجديدة(١١) لليبرالية كان كبيرا وجب عليها أن تلعبه فلها تعود مهمة أساسية هي تحديد الإطار

---

(١١) انظر : د. محمد عبد المعز نصر : المصدر السابق ص ٢٢٥ وما بعده وكذلك د. بطرس بطرس غالي و د. محمود خيري عيسى « المدخل الى علم السياسة » مكتبة الانجلو المصرية / القاهرة / سنة ١٩٧٦ الطبعة الخامسة ص ١٧٣ وما بعدها .

القانوني للمؤسسات التي يدور فيها النشاط الاقتصادي والذي أدى إلى تدخل الدولة المستمر إلا أن الدولة في سياستها الاقتصادية تنتشر بشكل كبير إذن ماهو هذا الموقف الليبرالي الجديد من ذلك ؟

يرى مفكرو الليبرالية أن هناك خوفا من تركيز السلطة حيث ان الإدارة للمؤسسات الكبيرة تصبح لها سلطة فإن كانت خاصة فإن المنافسة والخصام يبقى عليها كما هي إلا أن تأميمها هو الذي يخشى منه لذا فإنهم يحددون دور الدولة بالشكل التالي :

(١) على الدولة أن تعمل كل جهدها ضد التضخم والانكماش .

(٢) على الدولة أن تحد وبشكل معتدل من سلطة الاحتكار وبشكل تتابعي .

(٣) على الدولة أن تؤمم فقط الاحتكارات التي لا يمكن تركها للقطاع الخاص .

(٤) من المفروض أن تتحمل الدولة بنفسها كافة الخدمات العامة .

(٥) يتوجب على الدولة أن تعطي الفرص والموارد بالتساوي .

(٦) من الواجب على الدولة أن تطبق التخطيط التأشيري من أجل التقليل من المخاطر التي قد تحدث .

(٧) من المفضل على الدولة أن تطبق التخطيط المركزي عندما يقتضي أن يكون هناك عمل تغيير بنائي .

(٨) على الدولة أن تتدخل عندما يكون هناك خلل في ميكانيكية السوق [١٢] .

من ذلك نلاحظ ما تجده الليبرالية من خلال وضع الفرد في المقدمة وتمجده حتى يصبح هو الحقيقة ، وحسب ما تراه فإن الأفراد هم الذين يصنعون المجتمع وإن سعادة الفرد هي التي تقوم عليها رفاهية المجتمع .

وهكذا نرى أن دور الدولة هو أن تقف بعيدا أي تحمي الفرد من خلال ضمان أمنه وراحته وحريته [١٣] .

وإذا كان هناك تطور في هذا الموقف أي تدخل الدولة في تنظيم الحياة الاقتصادية والاجتماعية إلا أنه يبقى ضمن الإطار الذي لا يؤثر على الفرد بالصورة التي تقيده لا اجتماعيا ولا اقتصاديا ولا سياسيا .

كما لاحظنا أن فشل الليبرالية التقليدية في طرح الصيغ العالمية لتنظيم المجتمع ومن خلال إبقائها على اعتبار الدولة شرا ضروريا وإعطائها دورا سلبيا أدى بالنتيجة إلى انتهاء مصداقية النظرية الفردية الأمر الذي أدى الى طرح الليبرالية الجديدة (الديمقراطية التعددية) .

وسيتم تناول الموضوع من خلال بعض وجهات نظر المفكرين الليبراليين فجورج بيردو يحدد ماذا نعني بالدولة .

ثم جيسكار ديستان من خلال دوره كرئيس لدولة ليبرالية إضافة إلى كونه مفكرا وقد طرح دورا جديدا للدولة مؤكدا صواب النهج الجديد من خلال الأمثلة الملموسة .

وأخيرا فإن ريمون ارون طرح المقارنة بين الماركسية والليبرالية الجديدة من خلال دور الدولة (الدولة الطبقة والدولة الأداة) ومن خلال الطبقة العليا الحاكمة في كلا المجتمعين .

أولاً) ماذا نعني بالدولة :

يحدد المفكر الفرنسي جورج بيردو الدولة بأنها :

(١) الدولة هي فكرة تجمع كل المفاهيم الحديثة للسلطة فالانسان قد اخترع الدولة لكي لا يخضع إلى انسان آخر ولذلك نرى أن الدولة قد انبثقت من ضرورة تخليص علاقة السلطة من العلاقات الشخصية للسيطرة وبالتالي فان الدولة تكون مستقلة بخصائصها وصفاتها وكذلك بعيدة عن أخطاء الذين يمارسون السلطة .

---

(١٢) *Flamant. M : op. cit, P. 102.*

(١٣) لمزيد من الايضاح انظر د. نعيم عطية : « في النظرية العامة للحريات الفردية » . الدار القومية ، القاهرة ، ١٩٦٥ .

وبهذا يؤكد بيردو على عدم شخصانية السلطة ويعتبرها من أهم صفات الدولة الليبرالية[١٤].

(٢) الدولة هي مؤسسة ، وهذه المؤسسة هي مشروع في خدمة الفكرة بحيث تكون منظمة بشكل تكون فيه الفكرة مجسدة في المشروع وهذا يقتضي قوة (أداة إكراه) وكذلك فترة زمنية هي أعلى من الفترة الزمنية للأفراد الذين تهتم بهم .

ومن هنا تتأتى ضرورة الاستمرار وتقوية الانسجام للجماعة ، فالسياسة تقسم البشر بالتأكيد ولكن الدولة هنا وجدت من أجل تحديد اطار وحدود المواجهات التي تقسم البشر فرجال الدولة يتكلمون أو بالأحرى ينطقون بالممنوع باسم هذه المؤسسات ودورهم هنا منفذون بواسطة الدولة أي هناك عدم وجود الشخصانية في علاقات السلطة[١٥].

(٣) الدولة هي حكم ، يذهب بيردو الى أنه من خلال القول بأن الدولة هي تأسيس لفكرة فإن هناك خطر فقدان الدولة باسم هذه الفكرة . ومن أجل حماية الدولة من نظرة خاطئة أو فردية للحياة والمجتمع فالدولة تقوم برفض هذه الفكرة .

ففي المجتمع هناك العديد من المتناقضات والتي تؤدي بشكل حتمي الى بعض الانشداد والتوتر الداخلي ، وهنا تظهر الحاجة الماسة للدولة للقيام بدور القوة الوحيدة القادرة لاستمرار النظام ، والقوة الوحيدة القادرة على أخذ دور الحكم في المنافسات على السلطة[١٦].

وهنا ينكر البعض هذا الدور للدولة ، فالدولة حسب وجهة نظرة تكون منحازة بالطبيعة ، والليبرالية هي أداة البرجوازية حسب رأيهم إلا أن معطيات الواقع الحالي تؤكد انتقال السلطة سلمياً وقيام الدولة بدور المحكم في التنازع ففي فرنسا مثلاً بعد فوز اتحاد اليسار المكون من الحزب الشيوعي والاشتراكي والراديكالي في انتخابات مارس ١٩٨١ لعبت الدولة الليبرالية الفرنسية هذا الدور حيث استلم السلطة اليسار بعد ربع قرن من سيادة وهيمنة اليمين .

(٤) الدولة هي الديمقراطية التمثيلية ، تعتبر الديمقراطية التعددية (الأنظمة الحالية في أوربا الغربية وبالذات فرنسا وإيطاليا حيث وجود الأحزاب المعارضة والمناقضة) على العكس من الليبرالية التقليدية والماركسية لا تذهب إلى إحداث تمزيق أو خرق للمجتمع بل هي في الحقيقة تعبير عن إرادة الأمة ويذهب هذا الرأي في جذوره إلى العقد الذي بدأه هوبس ولوك وروسو .

فالدولة هي دولة الأحزاب أو الحزبيين أو متعددة الأحزاب وهي أيضاً من أهم الصفات التي تميزها عن الدولة الماركسية دولة الحزب الواحد[١٧].

فالمنافسة موجودة بين القوى تحمي وتبعث الروح في الحياة السياسية من خلال وجود معارضة تحمل إمكانية تغيير الوضع القائم مما يجعل الفرص متكافئة بين الأحزاب للوصول الى السلطة عندما يختار الشعب وبشكل ديمقراطي الاتجاه السياسي[١٨].

ثانياً) الديمقراطية التعددية والدولة :

يرى ديستان أن أي مذهب ما هو إلا محاولة لتحليل الواقع وتوجيه العمل . وأن كلا المذهبين الماركسي والليبرالي قد فشلا في ذلك ولو بنسب متفاوتة .

فالنظامان ومنذ أكثر من قرن في صراع ، لم يحاول كل منهما الخروج من القوالب التي ارتضاها غطاء فكرياً . وفي الوقت نفسه نرى أن هناك تعديلاً في العديد من النظريات في مجال العلوم وفي ذلك يقول ديستان : « ان الليبرالية التقليدية والماركسية تفلتان بسهولة من قبضة البحث العلمي وأن التحيز يغلب عليهما إلى اليوم وبالاضافة الى ذلك أنهما لم يعودا يمثلان الوقائع المحسوسة في مجتمعنا إلا تمثيلاً ضعيفاً لكونهما يتكيفان بصعوبة لإيجاد حلول لمشاكلنا الوقتية[١٩].

(١٤) *Burdeau Georges op. cit. P. 14.*
(١٥) *Idem, P. 15-30.*
(١٦) *Idem, P. 104-114.*
(١٧) *Idem, P. 130 et sui.*
(١٨) *HAURIOU : op. cit, P. 101.*
(١٩) فاليري جسكار ديستان (الديمقراطية الفرنسية) ، منشورات عويدات بيروت ، ١٩٧٧ ، ص ٣٦ .

فالليبرالية وإن كانت قد نجحت في تحقيق العدالة والمساواة في الحقوق السياسية إلا أن الحقوق الفعلية لم تكن كذلك وتخطيء الماركسية من جانبها أيضاً في أن تاريخ الشعوب في الصراع الطبقي وعندما تمنح طبقة واحدة دوراً .

لذلك يرى ديستان أن عجز الماركسية ورفض الليبرالية لعدم تلبيتها لحاجات الانسان جزئياً ، يفوض البحث عن البديل ومن ذلك يرى ديستان أن المجتمع يجب أن يكون انطلاقاً من الانسان من خلال ثلاثة اتجاهات :

(١) ينبغي للمجتمع أن يعمل لتحقيق وحدته بفضل العدالة بدل أن يقبل بتجزئته إلى أقسام أو مجموعات يسيطر بعضها على البعض الآخر .

(٢) أن يكون مجتمع مواطنين أحراراً ومسؤولين .

(٣) أن يكون مجتمع اتصال ومشاركة[٢٠] .

من الملاحظ أن الاهتمام بتكامل شخصية الانسان ودوره من منظور ديستان يكون من خلال توفير احتياجاته كفرد وبشعوره بقيمة وامتلاكه للحرية بشكل مطلق بجانب توفير الحاجات الأساسية للجماعة .

كما أن الضمانات التي تم توفيرها للفرد واسعة سواء من خلال لضمان الاجتماعي أو التأمين الصحي أو كافة أشكال العجز .

كما ويركز ديستان على مسؤولية الفرد وحقه في اتخاذ المبادرة حيث أن الطبيعة البشرية ومن خلال تكوينها تظهر الحاجة إلى إثبات الشخصية والتفوق على الذات وهي أساس تقدم الشعوب ومنجزاتها وينتقد ديستان الليبرالية التقليدية بكونها لا تعرف السلطة إلا بكونها سلطة سياسية فقط . في الوقت الذي تكون هناك سلطات عامة والأساسية منها سلطة الدولة ، سلطة الاقتصاد سلطة المنظمات الجماهيرية ، سلطة الإعلام[٢١] .

لذا يرى ضرورة احترام هذه التعددية وأن يكون هناك فصل بينها وبين المجتمع الديمقراطي ويكون ذلك من خلال :

(١) البناء التعددي للسلطة السياسية ، ومعنى ذلك تعدد الأحزاب والفصل الحقيقي بين السلطات أي استقلال السلطة التنفيذية والتشريعية والقضائية كل عن الأخرى ويكون ذلك بضمان الدستور .

(٢) يفترض البناء التعددي سلطة محلية حقيقية تبدأ في حدود القوى وبالتالي إزالة المركزية والعمل بكل حزم وشجاعة بأسلوب اللامركزية .

(٣) يفترض البناء التعددى التعددية فى وسائل الاعلام ، أى التنوع في الصحف ، كذلك التعددية في أجهزة الإذاعة والتلفزيون وقيام أجهزة إذاعة وتليفزيون مستقلة استقلالاً كاملاً .

(٤) رفض مبدأ التأميم للمشاريع الاقتصادية خاصة العشوائية إلا أنه في نفس الوقت لا تسمح الدولة بمحاولة الالتفاف على مبدأ المنافسة الذي ينتج أفضل الأنواع وأرخصها من جانب بعض الاحتكارات ، وقد قدمت فعلاً إلى القضاء بعض المؤسسات نتيجة لرفضها عضواً أساسياً في المفهوم الديمقراطي للحياة الاقتصادية .

(٥) وجود النقابات وتعددها واستقلاليتها عن الدولة يؤمن توازناً فعالاً وضرورياً . فبالاضافة للنقابات المدافعة عن العمال هناك النقابات المدافعة عن فئات عديدة في المجتمع مثل المستهلكين والمؤجرين ... الخ .

لذا فإننا نجد أن هناك ما يشبه الرقابة الشعبية يمارسها الشعب في ظل نظام الديمقراطية التعددية[١] .

وأخيراً يبقى من الضروري معرفة ما توصلت إليه الدولة الليبرالية الجديدة (الديمقراطية التعددية) يؤكد ديستان من خلال كونه رئيساً لدولة ليبرالية (فرنسا) إضافة إلى دوره كمفكر ليبرالي إلى أنه لا وجود للحرية والنظام إلا بوجود مؤسسات سياسية منظمة وذات صفة تمثيلية .

(٢٠) المصدر السابق ، ص ٤٧ .
(٢١) المصدر السابق ، ص ٩٠ .
(٢٢) المصدر السابق ، ص ١٣٨ .

وبذلك فإن ما يطرحه الفكر الماركسي على أن وجود الدولة ليس ضرورياً في مجتمع خال تماماً من الإجحاف والحرمان والتبعية. وقد تضمحل الدولة فيجد المجتمع أمنه ونظامه في ذاته ويصبح في غنى عن سلطة سياسية للحفاظ عليه ما هو سوى الخيال.

إلا أنه في الحقيقة وباسم إقامة مجتمع بدون دولة نجد وفي أوسع بقعة في الكون سلطة هي أكثر أشكال السلطة مركزية عرفتها الانسانية فهل يمكن أن يكون الانسان وديعاً تحت ظل نظام بهذه الصورة ؟.

الملاحظ أن الدولة في المجتمعات التعددية لا تزول وإنما يتم حصرها وأن السلطة العامة هي وحدها القادرة على حماية البشر من تجاوزات السلطة المنفردة، وهنا يلتقي الفكر الماركسي بالليبرالي بكون الدولة ليست سوى أداة أو آلة وإن كانت الدولة الليبرالية هي في خدمة الأمة وفي الفكر الماركسي هي في خدمة طبقة معينة وأداة قهر لطبقات أخرى.

والملاحظ أن هذا الجهاز قد تناقل بين أيدي من الممكن القول عنها أنها ليست من طبقة واحدة. أما دور ووظيفة الدولة فيرى ديستان أنه من المستحيل رسم حدود للدولة ليست لها الحق في تجاوزها أي أن ترسم رسماً نهائياً لأن وظائف الدولة لا يمكن تحديدها مسبقاً.

ويرى ديستان أن للدولة الليبرالية ميزات محددة فهي ليست استبدادية كما أنها ليست دولة طبقية والوصول إليها يكون بالصيغة الهادئة أو الانتخابات.

ما يميز الدولة في المفهوم الليبرالي أنها دولة القانون كما يذهب ديستان ويعود ذلك الى التجارب التي عاشتها أوربا[٢٣].

فعبر التاريخ وفرنسا بالذات فبالرغم من أن الدولة قد قامت بأعمال وإنجازات كبيرة وعظيمة إلا أنها في نفس الوقت قد تركت ذكريات مؤلمة وخاصة في فترة الملكية التي عاشتها فرنسا عندما قال لويس السادس عشر (الدولة هي أنا) فقد كانت الدولة غارقة بالامتيازات ومتقلبة ودموية في نهاية الثورة الفرنسية والعهد الامبراطوري أو المستخفة الظالمة ثم أخيراً وكما يرى جيسكار ديستان شكل الدولة بين الحربين العالميتين والتي شهدت الاشتراكية الفرنسية فترة حكمها بالمهملة المتراخية[٢٤].

ولذلك فإن الدولة الليبرالية لا بد أن تكون دولة القانون، فلا يحد السلطة إلا السلطة لذلك فإن فصل السلطات يتيح للقضاء أن يأخذ دوره في الفصل في شرعية المقررات القانونية التي تصدرها السلطة التنفيذية وللمجلس الدستوري الحق في الاعتراض والرفض أي أن مبدأ تقييد الدولة بالقانون يجبر ماسكي السلطة بعدم التجاوز حيث أن هناك حدوداً لا يمكن لهم تجاوزها أي أن الدولة الليبرالية محترمة من خلال التزامها بالواجبات التي تؤتمن عليها ومن خلال ممارستها للسلطة ويتأتى هذا الاحترام عن طريق عدالة القرارات والتصرفات ااالتي تصدر منهم، وهذا عنصر مهم في عملية بقاء الدولة الليبرالية محايدة.

كذلك إن ما يميز الدولة الليبرالية أيضاً أنها ليست دولة طبقة ففي الدولة الماركسية تجد أن الدولة هي دولة العمال والفلاحين فقط، في الوقت الذي يتكون الشعب من شرائح وفئات عدة إضافة الى هذه الطبقة.

وأخيراً اذا كانت الثورة (الطريق الدموي) هو السَلوك أو الطريق الوحيد للسيطرة أو للوصول الى السلطة في المجتمعات غير الليبرالية فان ميكانيكية الانتخابات والسلوك الهادىء في تناوب الحكام ينهي دور العنف والوحشية فليس هناك صراع بين الخير والشر على حد تعبير ديستان بل منافسة أفراد وجماعات يعملون معاً لما فيه خير المجموع[٢٥].

ثالثاً) آرون ومقارنة بين الدولة الليبرالية والماركسية :

لعل من خلال طرح آرون موضوع المجتمع الصناعي وما يرد فيه من أهمية من خلال المقارنة بين النظام الليبرالي والماركسي ما

(٢٣) تعرف دولة القانون بكونها « نظام قانوني بموجبه تخضع السلطات العامة بشكل فعلي الى (مراقبة قضائية) على ضوء مبدأ العدالة أو المساواة.

(٢٤) فاليري جيسكارديستان، المصدر السابق.

(٢٥) المصدر السابق، ص ١٥٠.

يستحق التناول فيحدد آرون النظام الرأسمالي من خلال المؤشرات التالية :

* أن تكون وسائل الانتاج موضوع ملكية خاصة .

* تنظيم الاقتصاد فيه ينطلق من التوازن بين الانتاج والاستهلاك أي غير مركز .

* انفصال العمال عن أرباب العمل انفصالاً تاماً .

* أن يكون الباعث الأساسي نشدان الربح .

* توزيع الدخل ليس بشكل تخطيطي[٢٦] .

وينطلق آرون في طرح وجهة نظره للدولة الليبرالية الحديثة مقارناً فيقول :

(١) دور الدولة :

ينحصر دور الدولة في تدخلها في الاقتصاد لتغيير التوزيع الاختياري للمداخيل ولتحافظ على التشغيل الكامل في نفس الوقت أي أن تدخل الدولة هو تدخل تصحيحي وإحدى ميزات التطور وهي ليست ميزة المجتمع الرأسمالي للقرن الماضي .

كما أن هذا التدخل يزداد أكثر فأكثر في الحياة الاقتصادية وهي تعيد توزيع المداخيل بحسب الاعتبارات الاجتماعية ، كما تقوم بتأميم بعض الصناعات إلا أن هذا الذي يجري داخل النطاق الغربي لا يؤدي الى تخطيط شامل ولا إلى ظواهر مماثلة لما يجري من النظام السوفيتي .

وفي ذلك يؤكد آرون الى أن من غير المنطقي اعتبار النظام السوفيتي « هو مستقبل الاقتصاديات في الغرب »[٢٧] .

(٢) الدولة الطبقة أو الدولة الأداة :

يرى آرون أن هناك نقطة جوهرية بالنسبة للفلسفة الماركسية ، فلسفة الطبقات ، هي الدمج ما بين الدولة وسيطرة طبقة ، إن النقطة الرئيسية في الفكر الماركسي هي التأكيد على وجود طبقة مسيطرة في المجتمع بينما الدولة ليست سوى آلة بواسطتها تمارس الطبقة سلطتها .

(٣) الطبقة العليا :

يناقش آرون الفوارق بين المجتمع الليبرالي والماركسي فيما يخص الطبقة العليا فيقول :

تسمى هذه الطبقة في البلدان الرأسمالية بالبرجوازية ، وفي المجتمع السوفيتي يسميها بعضهم طوعاً بالبيروقراطية ويندد التروتسكيون بالشدة نفسها بالبرجوازيين والبيروقراطيين وأيا كانت العبارة المستعملة فهناك كما يقول آرون مسألة واقع ، ففي كل من النمطين توجد أقلية من الرجال في قمة السلم الاجتماعي ويحدد مكانها والمقام الذي تنعم به أو المداخيل التي تتقاضاها أو السلطة التي تمارسها ، إلا أن الأقلية في المجتمع الرأسمالي تمتلك الثروة الفردية ولا تمتلك بشكل دائم السلطة بينما في المجتمع السوفيتي فإن البيروقراطية هي تعبير عن الدولة نفسها[٢٨] .

وأخيراً ، فإن آرون يردد ما يقوله ماركس بوصفه الدولة بكونها ذلك الجسم الغريب الطفيلي الرهيب الذي يغطي ويكسو جسم المجتمع على غرار غشاء ويسد جميع مساماته .

---

(٢٦) ديمون آرون : « المجتمع الصناعي » منشورات عويدات ، بيروت ، ١٩٨٠ ترجمة عن الفرنسية ، ص ٨٦ .
(٢٧) ريمون آرون : « صراع الطبقات » منشورات عويدات ، بيروت ، ١٩٦٥ مترجم عن الفرنسية ، ص ١٩ .
(٢٨) المصدر السابق ، ص ١٢٠ .

الخاتمـــة

لقد استطاع الفكر الليبرالي أن يتكيف مع التطورات التي حصلت في القرن الحالي ، ولم يقتصر دور الدولة على ضمان حرية الفرد ، ولم تعد ذلك الشر الضروري فالدولة الليبرالية :

(١) استطاعت أن تحل الصراع الموجود بين القوى الاجتماعية والسياسية بطريق هادىء بدون عنف وعن طريق ميكانيكية الانتخاب أي تناوب القوى عند أخيار الشعب وكما يقول ايفور يمنك (أن الكلاب التي تعوي في البرلمان قد تتمكن من أن تنهش الآخرين اذا لم يكن ثمة برلمان) .

(٢) تشهد الأحزاب الشيوعية في أوربا الغربية وبالرغم من تخليها عن أهم مبادىء الماركسية « دكتاتورية البروليتاريا » وايمانها بالصراع الديمقراطي انحساراً كبيراً وعلى سبيل المثال فان ٢٨٪ من الشعب الفرنسي بعد الحرب العالمية الثانية يصوت إلى جانب الحزب الشيوعي بينما الانتخابات البلدية الأخيرة لم يصل إلا إلى ١١٪ فقط أما الانتخابات التشريعية التي جرت في الشهر الماضي فقد وصل الى نفس مستوى اليميني المتطرف ١٠٪ .

(٣) استطاعت الدولة الليبرالية الحفاظ على عنصر المبادرة والابداع لدى الفرد بالرغم من تدخلها الواسع وقيامها بتأمين بعض الاحتكارات التي لا يستطيع القطاع الخاص القيام بها .

(٤) استطاعت الدولة الليبرالية أن تلغي مفهوم أو وجود الطبقة المسحوقة من خلال الضمانات الاجتماعية التي توفرها للفرد والعائلة من ذوي الدخل المحدود .

(٥) الحفاظ على عنصر المنافسة في محاولة لتقديم أفضل السلع وأرخص الأسعار وقدمت إلى القضاء عددا من الشركات التي قامت بالتحايل على هذا المبدأ .

(٦) وأخيراً بنفس الوقت الذي استطاعت الدولة الليبرالية أن تقدم للفرد ما عجزت بعض الأنظمة أن تقدمه فانها فشلت في دور مهم كان عليها القيام به وحاجة أساسية للفرد بل حق للفرد وهو ضمان عمل ، فالبطالة التي تعم الدول الغربية ونتائجها السلبية تشكل أخطر الأمراض التي تنهش في جسدها ففي فرنسا على سبيل المثال هناك ما يقارب الثلاثة ملايين عاطل عن العمل .

المصـــادر

المصادر العربية :

(١) د. أنور أحمد رسلان : الديمقراطية بين الفكر الفردي والفكر الاشتراكي ، دار النهضة العربية ، القاهرة ، ١٩٧١ .

(٢) د. بطرس بطرس غالي و د. محمود خيري عبس : « المدخل في علم السياسة » مكتبة الانجلو المصرية ، القاهرة ، ١٩٧٦ .

(٣) غاليري جيسكار ديستان : « الديمقراطية الفرنسية » منشورات عويدات بيروت ، ١٩٧٧ ، مترجم عن الفرنسية .

(٤) روبرت م. ماكيفر : « تكوين الدولة » دار العلم للملايين ، بيروت ١٩٦٦ ، مترجم عن الانجليزية .

(٥) طعيمة الجرف : « نظرية الدولة » دار النهضة العربية ، القاهرة ١٩٧٨ .

(٦) ريمون آرون : « المجتمع الصناعي » منشورات عويدات ، بيروت ، ١٩٨٠ مترجم عن الفرنسية .

(٧) ريمون آرون : « صراع الطبقات » منشورات عويدات ، بيروت ، ١٩٦٥ مترجم عن الفرنسية .

(٨) نعيم عطية : « من النظرية العامة للحريات الفردية » الدار القومية القاهرة ، ١٩٦٥ .

(٩) د. محمد عبد المعز نصر : « من النظريات والنظم السياسية ، دار النهضة العربية ، بيروت ، ١٩٧٣ .

المصادر الفرنسية :

1¾ BURDEAU GEORGES : "L Etat," Seuil. Paris, 1970.

2. DU LACHARRIERE RENE : "Etudes sue La theorie democratique" Payat, Paris. 1963.

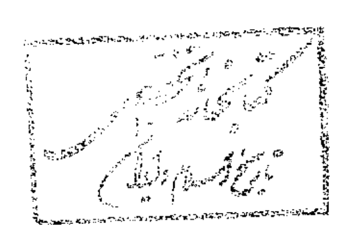
3. DE VABRES D. Jacques : "L Etat", P.U.F, Paris, 1980.

4. FEBRRE L. "DE L'Etat historique a L'Eat vivan" Introduction, Tome X de L'Encyclo pedie Fransaise : L'Etat.

5. FIAMANT Maurice : "Le Liberalisme" P. u.F, Paris, 1979.

6. HAURIOU Andre et GICQUEL Jean : "Droit constitconnel et institions politipues, Montchrestien, Paris. 1980.

7. PEUCH Jaeques : "Politipue" (Iere annee de Licence en Droit 1978-1979) Universite de Nice.



يهود مصر

عادل حامد الجادر

مركز الدراسات الفلسطينية ـ جامعة بغداد

مقدمـــة :

على الرغم من أن القلة العددية لليهود المصريين فقد كانوا دوما جزءا متمما لسكانها ، امتزجوا في حياة البلاد العامة باللغة والتقاليد والعادات وظروف الحياة الاقتصادية والاجتماعية والسياسية وهذا عكس ما أثبتته الوقائع التاريخيـة الأكيدة في عـلاقة اليهـود في المجتمعات الأخرى وخاصة الأوربية اذ عاش اليهود في أحياء خاصة نسمى « الجيتو » نتيجة اضطهاد هذه المجتمعات الأوربية لليهود . لقد عاش المصريون واليهود جنبا إلى جنب بصداقة وتفاهم منذ أقدم الأزمنة بينما تعرض اليهود الى مجازر متعددة في أوربـا الشرقيـة والغربية في العصور الوسطى والحديثة . وكانت دائما الديار العربية ملجأ لهم ليعيشوا فيه بأمان وسلام .

ومنذ ظهور الحركة الصهيونية وعقد المؤتمرات الصهيونية بدأت الحركة الصهيونية بتوجيه الاهتمام بالطوائف اليهودية المنتشرة في العالم لكسبها وضمهـا إلى جانب الحـركة الصهيـونية عن طـريق تنظيمات صهيونية محلية وربط هذه التنظيمات بالمنظمة الصهيونية الأم .

ومنذ قيام الكيان الصهيوني عام ١٩٤٨ اتجه والمنظمة الصهيونية العالمية نحو يهود الأقطار العربية ومنهم يهود مصر ، بشن حملات ترغيبية وترهيبية نحوهم لزعزعة وجودهم في المجتمع العربي لحملهم للهجـرة الى فلسطين المحتلة . ان استقـرار الأوضاع الاقتصـادية والاجتماعية والسياسية والثقافية لليهـود المصريـين يساعـد على تقويم أبعاد العمل الصهيوني بين يهود البلاد العربية ويضع أمامنا المؤشرات الضرورية لمواجهة الصهيونية على كافة المستويات .

يهود مصر قبل ظهور الحركة الصهيونية ١٨٩٧

من المعروف أن علاقة اليهود القدماء مع مصر علاقة قـديمة ، تعود للعهد الفرعوني ، وقد اختلفت هذه العلاقة تبعا لاختلاف وضع فلسطين بالنسبة إلى مصر من ناحية ، والصلات التي قامت بين كل من مصر وفلسطين وشعـوب الشرق الأدنى المجـاورة من ناحيـة أخرى[١] .

وتشير الأدلة التاريخية إلى أن اليهود كلما ضاق بهم الأمر ، كانوا ينشدون مصر أو كانوا يهاجرون إليها للاقامة في بعض أنحـائها . وعندما دهمهم آشور كانت مصر أضعف من أن تنصرهم بل أضعف من أن ترد عن نفسها بابل آشور ، ووفد نبوخذ نصر على رأس جيوش ملك بابل وأنـزل الهزيمـة بالملك نخـاو الثاني ملك مصـر (٦٠٩ ـ ٥٦٣ ق.م) في موقعة قرقميش عام ٦٠٥ ق.م وأجلاه عن فلسطين ، آل ملكها الى بابل ، وفي ٥٨٦ ق.م اجتاحت الجيوش البابلية فلسطين ودمرت « يهوذا » وهيكلها تدميرا تاما وشاملا وكانت يهودا تأمل أن يسارع ملك مصر « ابريس » وهو خفرع في التوراه ، إلى نجدتها .

وقد فتح أبريس صدره لليهود الذين نجوا من اجتياح الجيوش البابلية . فقد كان الحكام المصريون يشجعون الأجانب على المجيء إلى مصر للاشتغال بالتجارة وعلى أي حال فان المصادر القديمة تحدثنا بأن اليهود انتشـروا في أرجاء منفيس والفيـوم ودهشور والبهنـا والاشمونيين وإخميم وطيبة وابيدوس وادفو والفنتتين وأسوان .

وقد جاءت جمـاعة إلى مصر بعد أن انتـزع الاسكندر سـوريا وفلسطين من الفرس عام ٣٢٢ ق.م .

(١) راجع بهذا الصدد د. مصطفى كمال عبد الحليم « اليهود في مصر في عصري البطلمة والرومان » ، القاهرة ١٩٦٨ ، ص ٤ .

ك وفي العهد الروماني شجع بطليموس الأول اليهود على الاستقرار في الاسكندرية كما أكّد لهم يوليوس قيصر حقوقهم السياسية وامتيازاتهم عام ٤٨ ق.م ، وبعد سقوط القدس على يد تيتوس ٦٦ م . أرسل اليهود أسرى بالآلاف إلى مصر للأعمال الشاقة ، وتعرضوا بعد ذلك إلى تقلبات متعددة حتى كان الفتح العربي لمصر ، حيث تحسنت أوضاعهم ولاقوا ازدهارا لم يعرفوه منذ أمد ، وانتقلت جماعة منهم إلى الفسطاط بعد أن أصبحت عاصمة لمصر[٢] .

وفي مطلع العصر الحديث لم يتأثر وضع اليهود بالفتح العثماني لمصر عام ١٥١٧ ، بل على العكس تمتع كثير منهم بنظام الامتيازات وفضلوا حماية دولة أوربية على الجنسية العثمانية البعيدة السلطة ، وفي وقت لاحق شجع التسامح الديني الذي اشتهر به ، محمد علي باشا (١٨٠٥ ـ ١٨٤٨) واهتمامه ببناء مصر الحديثة ، على قدوم الأجانب إلى مصر بأعداد كبيرة ، وقد وجد الكثير من اليهود فرصا كثيرة للعمل في الحياة المالية والتجارية والمشاريع والمؤسسات العامة مع تلك الجاليات الأجنبية فضلا عن عملها في مؤسسات الدولة ووظائفها ، وعمدت الطائفة الى بناء مدارسها ومستشفياتها ومعابدها ومؤسساتها الخيرية . وقد وصف أوضاع اليهود في القرن التاسع عشر كثير من المؤرخين والرحالة منهم E.W.Lane في كتابه (Manners and Customs of Modern Egyptions) عام ١٨٣٥ وكذلك الرحالة بنيامين الثاني الذي زار مصر ووصف أحوالها في كتابه (Eight Years in Asia and Africa) ، وقد وجد بنيامين الثاني في الاسكندرية ٥٠٠ أسرة من اليهود الوطنيين و ١٥٠ أسرة من اليهود الايطاليين ، كما وجد في القاهرة ٦٠٠ أسرة من الوطنيين و ٢٠٠ أسرة من الايطاليين . ووجد في دمياط (٥٠ أسرة) أما ابن سفير الذي زار مصر والذي سجل ملاحظاته في كتاب (خمس سنوات في الشرق) عام ١٨٥٦ ، فقد وجد أن معظم يهود الاسكندرية وعددهم (٢٠٠٠) يقيمون فيها بعد حفر ترعة المحمودية ، ووجد في المحلة (٢٠ أسرة) وفي ميت غمر (٢٠ أسرة) وزفتة (٥ أسر) وبنها (١٠ أسر) والفيوم أسرة واحدة ، أما القاهرة فقد وجد فيها ٦٠٠ أسرة من اليهود الوطنيين و ٦٠ أسرة ايطالية و ١٥٠ أسرة من القرائين .

لقد فتح خلفاء محمد علي شأنهم شأن سلفهم أبواب مصر أمام الأجانب بدعوى تحقيق التقدم للبلاد والسير بها في طريق الحضارة حتى سمح عام ١٨٥٨ للأجانب بامتلاك الأرض واستثمار رأس المال ، وكان معظم المستثمرين من اليهود الأجانب في مصر ، وكثر أعداد اليهود حتى بلغ عددهم لإحصاء عام ١٩٤٧ نحو ٦٥,٦٣٩ نسمة[٣] .

كان ما يقرب من ثلاثين ألفا منهم يحملون جوازات سفر أجنبية (ايطالية أو فرنسية أو يونانية أو فارسية أو بريطانية) ونحو خمسة آلاف حاصلين على الجنسية المصرية ، أما الباقي فلا جنسية لهم .

وكان السبب في حصول الكثيرين منهم على جنسية أجنبية هو فوائد نظام الامتيازات الذي لم يكن يكفل لهم فقط حماية القناصل الأجانب ، بل كان يعفيهم أيضا من الخضوع للمحاكم المصرية ، إضافة الى حقوق استثنائية أخرى .

الوضع القانوني والاجتماعي لليهود :

كفل نظام الملل المعروف في العهد العثماني حقوق والتزامات الطوائف الدينية ، وفي عهد الحماية البريطانية على مصر تقرر بموجب القانون رقم ٨ لعام ١٩١٥ ، أن لكل طائفة (مجلسها المحلي) المكلف بمعالجة الأمور ذات الصفة الشخصية كالزواج والطلاق والارث حسب التقاليد الطائفية . وأعطى دستور ١٩٢٣ ضمانات جديدة للطوائف والأقليات بإقراره مبدأ المساواة في الحقوق المدنية والسياسية دون تمييز بسبب الأصل أو اللغة أو (الدين) ومنحه حرية الاعتقاد والرأي والصحافة والتعليم وحق استعمال أي لغة فيها ، كما كفل لهم تسوية أمورهم الشخصية حسب تقاليده على يد سلطاتهم الدينية . في مصر كان اليهود ينقسمون إلى طائفتين : طائفة

---

(٢) *Schechtman J. B., on Wings of Eagles, New York. 1960. P. 185.*
وانظر قاسم عبده قاسم ، اليهود في مصر ، منذ الفتح العربي حتى الغزو العثماني ، المؤسسة العربية للدراسات والنشر ، بيروت ١٩٨٠ .
(٣) *Ministry of finance and Economy, statistical Census Department : Population Census of Egypt 1947. Government Press-Cairo 1954.*
عن سهام نصار ، اليهود المصريين بين المصرية والصهيونية ، بيروت ١٩٨٠ ، ص ١٢ ـ ١٣ .

اليهود القرائين[٤] ، وكان عددهم محدودا جدا ، وطائفة اليهود الحاخاميين أو الربانيين[٥] وهم أغلبية اليهود في مصر وتمتعت باعتراف السلطات الرسمية بها كطائفة .

والربانيون ينقسمون بدورهم إلى طائفتين : طائفة في مدينة القاهرة وطائفة في مدينة الاسكندرية ، وكان لكل واحدة منها حاخامها ومجلسها المحلي المنتخب ، أما طائفة القاهرة الربانية فكانت تنقسم إلى طائفتين : طائفة اليهود السفاراديم (أي اليهود الشرقيين الذين ينتمون في أصلهم إلى حوض البحر المتوسط وآسيا) ، واليهود الاشكنازيم (وهم اليهود الغربيون الذين وفدوا على مصر من أوربا) . وكان لكل طائفة مجلسها الطائفي وحاخامها الخاص ، وأما طائفة الاسكندرية فكان لها مجلس عام للطائفة .

بالإضافة إلى هؤلاء كانت هناك عائلات يهودية في بعض المدن المصرية الكبرى مثل بورسعيد والاسماعيلية والسويس وطنطا والمنصورة والمحلة الكبرى وبني سويف والأقصر وكوم امبو ... وغيرها .

وقد تركز اليهود بصفة رئيسية في مدينتي القاهرة والاسكندرية فيما يسمى بحارة اليهود ، وكان هذا الحي يشكل قطاعا من الأحياء الفقيرة ، ويضم مئات المنازل والمحال التجارية والمصانع التي كانت كلها ملكا لهم ، وبالرغم من ذلك بدأ أغنياء اليهود يهجرون هذا الجيتو ليعيشوا في الأحياء الراقية غير اليهودية .

ويمكننا أن نقسم اليهود من الناحية الاجتماعية إلى ثلاث طبقات :

الطبقة الأولى ـ وتضم عددا من الأسر الغنية المعروفة بتراثها ومركزها في المجتمع وعلاقاتها الشخصية بأهل البلاد من اقطاعيين وذوي نفوذ وسياسيين ، ومن هؤلاء أسر قطاوي وموصيري ورولو وسوارس وهراري ووهبة ومنشه وشيكوريل .. وغيرها .

وتحت هذه الدائرة المترفعة تأتي الطبقة الثانية ، حيث نجد عددا لا بأس به من الرجال الأغنياء في تجارة القطن والصيرفة والبورصة والصحافة وتجارة التصدير والاستيراد وأصحاب المحال التجارية المتخصصة وكانت لهاتين الطبقتين حياتها الاجتماعية والثقافية المنفصلة عن أهل البلاد الأصليين ، وكان معظمهم يستخدم الفرنسية لأنها كانت لغة الصالونات في ذلك الوقت ولأن الاتجاه العام كان نحو الثقافة الغربية وخاصة الفرنسية فقد أثر هذا الاتجاه على مزيج حياتهم اليومية حيث طرأ تغيير كبير في عاداتهم وملابسهم وأذواقهم .

وفي قاعدة البناء الاجتماعي كان اليهود الفقراء باعة جائلين أو حرفيين صغارا ، يتكلمون اللغة العربية وأدى اختلاطهم مع جيرانهم إلى أنهم اقتبسوا عاداتهم وأعطوا أبناءهم أسماء عربية .

وإذا قارنا مستوى الطائفة اليهودية بالمعدل العام لمستوى الحياة في مصر لوجدنا أنها كانت تتمتع بمستوى جيد ، ولم يعرف اليهود الفقر المدقع .

لقد تمتع اليهود في ظل دستور ١٩٢٣[٦] ، بحقوق المواطنين في انشاء مؤسساتهم الخاصة سواء لتأدية شعائرهم الدينية أو دعم وضعهم الاقتصادي والاجتماعي والثقافي فكانت لهم مستشفياتهم ومستوصفاتهم الصحية وأنديتهم الرياضية .

ومن الناحية الدينية وجد اليهود كل مساعدة لبناء معابدهم وإقامة محافلهم ، فمنذ بداية القرن العشرين انتشرت المعابد والمحافل اليهودية في القاهرة والاسكندرية وباقي المدن المصرية وساعد على اقامتها عدم وجود قيود صارمة لا تثقل الأرض التي كانت تمنحها لهم الحكومة المصرية مجانا في أغلب الأحيان .

---

(٤) اليهود القراؤن هم الذين يؤمنون بالتوراة ويتبعون تعليماته فقط ، ويرفضون التفسير الذي وضعه الربانيون للكتاب المقدس فيما يسمى بالتلمود ، وقد ظهر المذهب القرائي في بغداد في القرن الثامن للميلاد ثم انتشر بعد ذلك بين اليهود في سوريا ومصر وباقي دول العالم .

(٥) أليهود الربانيون تقوم معتقداتهم الدينية على التعاليم القديمة كما تم تفسيرها في التلمود ، وهم يشكلون غالبية اليهود ، ويختلفون والقراؤن في نقاط متعددة من السلوك ، والقراؤن هم الذين يؤمنون بالتوراة وتعليماتها فقط ، ويرفضون التفسير الذي وضعه الربانيون للكتاب المقدس فيما يسمى بالتلمود ، وقد ظهر المذهب القرائي في بغداد في القرن الثامن للميلاد ثم انتشر بين اليهود في سوريا ومصر وباقي دول العالم . راجع سهام نصار ص ١٣ وعلي ابراهيم عبده ص ١٦٤ .

(٦) اعطى دستور ١٩٢٣ الطوائف والأقليات ضمانات جديدة باقرار مبدأ المساواة في الحقوق المدنية والسياسية دون تمييز بسبب الأصل أو اللغة أو الدين ، وبنصه على حرية الاعتقاد والرأي والصحافة والتعليم كما كفل لهم تسوية أحوالهم الشخصية على حسب تقاليدهم وعلى يد سلطاتهم الدينية .

وهكذا بلغ عدد المعابد التي أقيمت في القاهرة حتى سنة ١٩٥٠ ، ٢٩ معبدا ، أهمها معبد الاسماعيلية الكبير بشارع عدلي ، وفي الاسكندرية بلغ عدد المعابد عشرين معبدا على حين انتشرت معابدهم في مختلف المدن التي كانت يقطنها أبناء الطائفة .

وفضلا عن ذلك أقام اليهود عددا من المحافل من أهمها محافل بني بريت بالقاهرة ومحفل الياهو ضابي بالاسكندرية .

وفي مجال الخدمات الاجتماعية أنشأت الجمعيات التي هيمن عليها كبار الرأسماليين اليهود لتقدم المعونة والرعاية للفقراء من أبناء الطائفة مثل جمعية نجور حوليم والمستشفى الاسرائيلي اللذين تأسسا لتقديم الرعاية الطبية للمرضى اليهود وخاصة المحتاجين منهم ، وجمعية ماتان باستير التي تأسست عام ١٩٣٣ من أجل تقديم التسهيلات المادية والمعنوية للفتيات الفقيرات اللائي تقف الدولة حائلا دون زواجهن وملجأ ابن ميمون للعجزة الذي تأسس عام ١٩٣٤ وغيرها من الجمعيات والأندية التي تولت مسؤولية رعاية شباب الطائفة مثل أندية المكابي الرياضي وجمعيات الشبان وجماعات الكشافة واتحاد الشبيبة اليهودية .

وضع اليهود الاقتصادي :

مارس اليهود نشاطهم في جو من الحرية والرعاية ، إذ كانوا يلقون كل العطف من جميع فئات الشعب والعون من السلطات الحاكمة ، كما كانوا بيتمتعون بجميع حقوق المواطنين . إلا أنهم استغلوا هذه الرعاية فتوصلوا بشتى الوسائل الملتوية لانعاش مشروعاتهم ، كذلك توجهوا إلى المشاركة في نشاط الصهيونية العالمية ودعم جهودها في محاولاتها الاستيلاء على فلسطين .

إن ارتفاع مستوى التعليم بين اليهود واختلاطهم بالأجانب قد فتح أمامهم فرصا واسعة للعمل ، فشمل نشاطهم مجالات العمل الاقتصادي كافة في التجارة والصناعة والزراعة والمصارف وغيرها . حتى استطاعت عدة أسر يهودية رأسمالية أن تتحكم فترة طويلة في الاقتصاد المصري وتمويله وتطويره .

ففي عام ١٨٨٠ كان اليهود على صلة وثيقة بالدوائر الحاكمة في مصر ، فقدموا لها الدعم المالي وقاموا بدعم المشروعات الصناعية التي أنشئت في ذلك الوقت نظرا لأن غالبيتهم كان من أصحاب البنوك . ومن ناحية أخرى قام المستثمرون اليهود بشراء مساحات واسعة من الأراضي بمقتضى القانون الصادر عام ١٨٥٨ الذي سمح للأجانب بامتلاك الأرض ، وكونوا شركات كبيرة لاستغلال هذه الأراضي مثل شركة كوم امبو التي اشتغلت بزراعة قطاعات كبيرة من الأراضي .

وكانت أعمال الصيرفة والربا من أهم مجالات العمل التي اشتغل بها اليهود ، ففي عهد الخديوي اسماعيل ازداد عدد المرابين في مصر بصورة كبيرة وكان معظمهم من اليهود الذين انتشروا في البلاد حتى انه في عام ١٩٤٢ كان الرأسماليون اليهود يساهمون في ادارة ١٠٣ شركات من مجموع ٣٠٨ ويسيطرون على جانب ضخم من رؤوس أموالها كما كان العاملون فيها يهودا .

ويتضح لنا مدى تغلغل اليهود داخل الهيئات والمؤسسات المالية إذا علمنا أن سوق الأوراق المالية (البورصة) ومصلحة الجمارك ومعظم البنوك كانت تغلق أبوابها في أيام الأعياد والمناسبات الدينية اليهودية .

ومن ناحية أخرى يلقى البعض ما ترتب على القروض الأجنبية من أحداث سياسية أدت الى الاحتلال البريطاني لمصر سنة ١٨٨٢ . على اليهود ، فهم يرون أن البلاد لم تكن بحاجة الى الاستدانة ، ويقول جابوييل شارم أحد الكتّاب الفرنسيين الذين عاصروا عهد اسماعيل ودرس حالة مصر في عهده : « ان السماسرة ـ ومنهم اليهود ـ كانوا يدفعون الخديوي اسماعيل الى عقد القروض المتتالية من بيوت المال اليهودية الأوربية »[٧] .

أما تجارة الذهب والقطن والمنسوجات فكانت في قبضة اليهود تقريبا إذ يشير التقرير السنوي للمندوب السامي البريطاني في مصر عام ١٩٠٥ إلى أن نسبة كبيرة من تجارة الأقمشة كانت في أيدي اليهود ، كما كان ٩٠٪ من سماسرة القطن في البورصة من اليهود في مصر .

---

(٧) عبد المنصف محمود : اليهود والجريمة ـ المجلس الأعلى للشؤون الاسلامية ١٩٦٧ ، ص ١٥٨ ، نقلاً عن سهام نصار ص ١٨ .

يكشف لنا الاقتصادي المصري طلعت حرب ، مؤسس بنك مصر حين أورد في كتابه « علاج مصر الاقتصادي » عام ١٩١١[٨] .

« ان الأهالي « المصريين » كانوا على حالة من البساطة في المعاملة لا يدخل بينهم أجنبي ، يقرضون بعضهم بلا كمبيالات أو صكوك ، وكانت حياتهم قانعة لا بذخ فيها ولا اسراف . وقد فكر بعض الماليين الأجانب في عام ١٨٨٠ في تأسيس بنوك رهون عقارية منظمة ، وقام بالفعل بنكان من هذا النوع ، الأول برأسمال فرنسي وخاضع للقوانين المصرية وهو « البنك العقاري المصري » أسسه ثلاثة من كبار المرابين اليهود المقيمين في مصر وهم سوارس ورولو وقطاوي ، بالاتفاق مع ثلاثة من أكبر بنوك فرنسا هي بنوك الكريدي ليونين وسوسيتيه جنرال والكونتوار ناشيونال دي سكونت ، وقد امتد نشاط هذا البنك الى الأهالي بشكل مخيف فبلغت السلفيات التي أجراها منذ انشائه حتى شهر تشرين أول ١٩١٠ نحو ٥٢,٥ مليون جنيه تحت رهن ١٥١,٤٢٣ فدانا ، أي يرتهن حوالي ثلث المساحة المزروعة في مصر كلها ، وبلغت أرباح هذا البنك عام ١٩١٠ فقط مبلغ ١,٦٥٥,٣٣١ جنيها منها ١,١٥٥,٥٩٢ جنيها من حصيلة فوائد السلفيات وحدها » .

ويعزز طلعت حرب كلامه بعدد من الاحصاءات كان أهمها توزيع ملكية الأطيان ، عام ١٩١٠ ، على المصريين والأجانب ظهر منه أن عدد الملاك الوطنيين كان ١,٣٨٤,٣٨٦ مالكا يمتلكون ٤,٧٤٣,٥٥٩ فدانا منهم ٧٨٠,٨٧٩ مالكا لأقل من فدان و ٤٦٢,٣٦٨ يملكون أقل من خمسة أفدنة ، وكان عدد الملاك الأجانب ٧٥٧٨ يمتلكون ٧٢٠,٢٣٠ فدانا منهم ١٦٥١ يمتلكون ٦٧٥,٩١٧ فدانا بمتوسط قدره ٤٣٣ فدانا . وبلغت قيمة الدين العام بفوائده المختلفة في آخر كانون الأول ١٩١٠ مبلغ ٩٤,٧٧٢,٢٠٠ جنيه .

ويذكر الدكتور عبد العظيم رمضان في كتابه « صراع الطبقات في مصر » أن اليهود استطاعوا بمهارتهم وخبرتهم في مجال التجارة أن يحلوا محل البيوت المصرية التجارية الكبرى التي كانت تعمل على أوسع نطاق قبل مطلع القرن أمثال بيوت الماوردي والجمال وعبدالخالق مذكور ، فعن طريق اتفاق السماسرة اليهود مع المصانع الأوربية وأخذ الوساطة بين المورد الأجنبي والمستورد المصري أخذت البيوت المصرية تتراجع ليحل محلها شيكوريل وبنزايون وعدس واوروزدي بك (عمر أفندي) ثم أخذوا يسيطرون على تجارة الصادر والوارد عن طريق الوكلاء من اليهود .

وفي ميدان الصناعة ساهم اليهود في الصناعات الزراعية كحلج القطن وكبسه واستخراج الزيوت وصناعة السكر ، كما أسهموا في انشاء العديد من الشركات مثل شركة المطاحن وشركة الملح والصودا ، وشركة توليد الكهرباء والثلج وشركة صناعة الخردوات والنحاس وصباغة الحرير وغزله بالاسكندرية إضافة إلى عملهم في مجال السياسة بإنشائهم الفنادق وادارتها ، كما دخل كثيرون منهم مجالات تصدير العاديات والتحف والهدايا واستيرادها ، كما أنشأوا دور السينما والملاهي .

وقد أصدرت الحكومة المصرية عدة تشريعات غايتها زيادة إشرافها وزيادة أعداد المصريين العاملين فيها ، فقد نص قانون الشركات الذي صدر في عام ١٩٤٧ على أن يكون معظم مدراء الشركات من المصريين وعدد العاملين من المصريين لا يقل عن ٧٥٪ من العمال في أي شركة . وأن يحصلوا على ٦٥٪ من الرواتب الاجمالية ، وأن تكون نسبة المصريين في مجلس الادارة في كل شركة ٤٠٪[٩] .

تعليم اليهود في مصر :

استفادت الطائفة اليهودية من رعاية الحكومة واهتمت في تعليم أبنائها . وقد أسست منذ عام ١٨٦٠ مدرستين لأولادها وبناتها ، احداها بالقاهرة وكان يؤمها ١٧٥ طالبا والثانية بالاسكندرية وعدد طلابها ١٤٥ طالبا . سبعون من الذكور وسبعون من الاناث والباقون من جنسيات مختلفة .

غير أن معظم ، أولاد اليهود وبناتهم كانوا يذهبون الى المدارس التي ينشئها الغربيون أكثر من ذهابهم إلى مدارس الطائفة ، وكانوا

(٨) يعقوب خوري ، اليهود في البلدان العربية ، دار النهار للنشر ، بيروت ١٩٧٠ ، ص ٢٩ .

(٩) *Cohen, J. Hayyim : The Jews of the Middle East. P. 49, 88.* عن سهام نصار ، ص ١٩ .

يعتبرون التعليم محض سلاح يضربون به في معترك الحياة ولذلك صرفوا جل عنايتهم للحساب والحساب التجاري ثم يندفعون بعد ذلك في ميادين العمل والكسب .

وقد أنشأ الاتحاد الاسرائيلي (الاليانس)[10] مدارس في القاهرة والإسكندرية (١٨٩٥) ، وفي عام ١٩٢٣ تأسست مدرسة ابراهيم بيتش بمصر الجديدة وكان عدد طلابها (٩٠٠ تلميذ ابتدائي وثانوي) ، كما تأسست مدرسة حضانة في حارة اليهود ، وفي عام ١٩٣٤ تأسست مدرسة ابتدائية بحي عابدين أسستها راشيل يعبيس وكان عدد طلابها (٣٥٠) تلميذا ، وفي عام ١٩٣٦ فتح ليسيه السكاكيني وفيها ١٥٠ تلميذا ابتدائيا ، كما أن فيها قسما للاختزال والآلة الكاتبة ودراسات تجارية . وقد اهتمت الطائفة بالتعليم المهني فأنشأت المدارس الصناعية ساهم بتأسيسها كبار الأثرياء (سيلمون شيكوريل) لتدريب العمال والصبيان على الحرف الدقيقة وخلق مهارات فنية . وفي الإسكندرية أسست مدارس عديدة في عام ١٩١٩ مدرسة (ويلا بير جولا) بحي رأس التين وفي عام ١٩٢٣ مدرسة (جان بلاديم) في حي الكمرك حيث يقطن فقراء اليهود ، وفي ١٩٢٥ مدرسة ليسيه الاتحاد اليهودي للتعليم أنشأها البارون الفرد منشه على منهج الليسيه الفرنسية ، وفي عام ١٩٢٦ دار الطفولة السعيدة بسيدي بشر للعناية بالأطفال اليتامى والفقراء وتلقت هذه المدارس مساعدات كثيرة من الطائفة ومن الحكومة[11] .

وكان برنامج المدارس اليهودية أوربيا خالصا ولغة التعليم الأساسية هي الفرنسية وكانت الانكليزية موضوعا اجباريا[12] ، ولذلك كان خريجو هذه المدارس لا يعرفون العربية جيدا بينما كانت معرفتهم باللغة والثقافة الفرنسية لا تقل عن مستوى أي مواطن فرنسي له ثقافة مماثلة .

الصحافة اليهودية والنشاط الثقافي :

مع بداية النشاط الصهيوني في مصر عام ١٨٩٧ بدأ اهتمام اليهود بالصحافة ولكن اعترضتهم عقبات كثيرة منها مشكلة اللغة التي كانت المسؤول الأول عن فشل المحاولات التي بذلت لنشر الدوريات الصهيونية . إضافة إلى أن اليهود المصريين في معظمهم لم يكونوا متعصبين للصهيونية ، لذلك نجد أن الصحف التي أصدرها اليهود خلال الفترة من انعقاد المؤتمر الصهيوني العالمي الأول حتى تصريح بلفور لم تعمر طويلا بسبب هذه المشكلات .

ومع نشوب الحرب العالمية وصدور بلفور شهدت مصر نشاطا صهيونيا مكثفا عبر عن نفسه بالمنظمات الصهيونية التي أنشئت والصحف الصهيونية التي أصدرت ، ففي هذه المرحلة تأسست المنظمة الصهيونية عام ١٩١٧ بعد جهود تزعمها المحامي اليهودي ليون كاستروا الذي أصدر عام ١٩١٨ المجلة الصهيونية لتكون لسان حال تلك المنظمة وكانت هذه المجلة تنطق باللغة الفرنسية واتخذت نجمة داود ستارا لها . وكانت هذه المجلة تعلن صراحة أن هدفها هو خلق وطن للشعب اليهودي في فلسطين يتحدث فيه اليهود بلغتهم ويحققون لانفسهم بداخله الحرية والعدالة ويجعلون من القدس قلب اليهودية النابض .

وفي عام ١٩١٧ أصدرت الطائفة اليهودية أيضا مجلة ناطقة باللغة الفرنسية تدعى النهضة اليهودية لتكون منبرا تعبر من خلاله عن أفكارها ومصالحها وقد استمرت هذه الصحيفة في الصدور نحو ثلاث سنوات ثم توقفت . أما أبرز الصحف اليهودية فهي :-

١ ـ صحيفة «اسرائل :

بدأ الصهاينة يشعرون بحاجة إلى صدور صحيفة يهودية باللغة العربية تتولى الدفاع عن اليهود وتسعى للتفاهم مع الشعب العربي بلغته حتى يفهم حقيقة مطالب اليهود ، وتقوم أيضا بالرد على الدعاية

(١٠) الاليانس كلمة فرنسية تعني التحالف والاليانس الاسرائيلي الدولي تنظيم يهودي تأسس في باريس عام ١٨٦٠ بهدف الدفاع عن الحريات المدنية والدينية لليهود ، وتنمية المجتمعات اليهودية المختلفة عن طريق التعليم والتدريب المهني وإغاثة اليهود في الأزمات ، وقد أسس التحالف شبكة تعليمية واسعة في البلقان وآسيا وشمالي أفريقيا وفلسطين .

(١١) أحمد محمد غنيم ، أحمد ابو كف ، اليهود والحركة الصهيونية في مصر ، ١٨٩٧ ـ ١٩٤٧ ، ص ٣٥ ـ ٣٨ .

(١٢) *Schechtman op. cit., P. 186.*

التي تنشر سواء في مصر أو الأقطار العربية لإثارة الرأي العام ضد اليهود ..

إضافة إلى ذلك « كانت هناك حاجة أيضا الى صحيفة عربية يقرؤها اليهود المنتشرون في مصر وباقي الأقطار العربية المجاورة ممن لا يعرفون سوى اللغة العربية حتى لا يكونوا فريسة لتأثير صحف بلادهم المنحازة ضد قضية آبائهم وأبنائهم » .

لهذه الأسباب صدرت صحيفة « اسرائل » عام ١٩٢٠ وكانت تصدر بالقاهرة والاسكندرية صباح كل خميس بثلاث لغات هي العربية والعبرية والفرنسية ، إلا أن الطبعة العبرية لم تدم سوى فترة قصيرة على حين ظلت الطبعة الفرنسية تصدر حتى عام ١٩٣٩ . وقد استمرت الطبعة العربية بالصدور لمدة أربعة عشر عاما مؤيدة لإقامة الوطن القومي اليهودي في فلسطين واهتمت بنشر أخبار النشاط الصهيوني في فلسطين وأخبار الحركة الصهيونية العالمية وأخبار اليهود في العالم وإهتمامها بالعمل على النهوض بشؤون الطائفة اليهودية في مصر ، ونشر الأهداف الصهيونية وقد كانت توزع في سوريا ولبنان والعراق وفلسطين وشمال افريقيا .

إضافة إلى المجلة الشهرية « الأخبار الماسونية » أصدرها موسى جرونشتين عام ١٩٢١ وكانت تعني بنشر اخبار المحافل الماسونية وبتعريف القراء بمعنى الماسونية ومبادئها وأهدافها .

وفي عام ١٩٢٤ أصدر لوسيان سيكوتو مجلة ناطقة بالفرنسية تدعى « الفجر » ، وخلال الحرب العالمية الثانية اتخذت « رابطة مكافحة العداء للسامية » من « الفجر » لسان حالها ، فأخذت تروج على صفحاتها لمبادىء الحركة الصهيونية وتهاجم أعداء السامية وخاصة المانيا وايطاليا .

٢ ـ مجلة الاتحاد الاسرائيلي :

أصدر اليهود القراءون مجلة « الاتحاد الاسرائيلي » عام ١٩٢٤ وهي مجلة علمية أدبية اسبوعية مصورة على نفقة « جمعية الاتحاد للاسرائيليين القرائين بمصر » .

وقد أهتمت المجلة بالوطن القومي اليهودي ولكن من الناحية الدينية لتعطي أفكارها قوة مستمدة من العقيدة الدينية اليهودية ، فكانت مهتمة بنشر أخبار اليهود في فلسطين ونشاطهم الصهيوني تحت عنوان (أخبار أرض الميعاد) كما شجعت على هجرة اليهود القرائين المصريين إلى فلسطين .. واستمرت المجلة بالصدور لمدة خمس سنوات حتى توقفت في ١٩٢٩ .

٣ ـ صحيفة الشمس :

صدرت صحيفة الشمس في عام ١٩٣٢ وهي أسبوعية جامعة ناطقة باللغة العربية ورئيس تحريرها المسؤول هو سعد يعقوب مالكي ، الذي كان يعمل رئيسا لتحرير جريدة « اسرائيل » ولها اتجاهات صهيونية بارزة ، وقد قال فيها أحد الصهاينة الدكتور الفريد يلوز عن فضل الصحيفة على اليهود [١٣]. « لقد جمعت « الشمس » شتاتنا فأصبحنا قوة لا يستهان بها ، وسنظل بفضل « الشمس » محترمي الجانب قادرين على القيام بواجبنا نحو الوطن والدين نحو مصر واسرائيل » .

وجدير بالملاحظة أنَّ هذه الصحيفة استعانت الى جانب الكتاب اليهود المصريين ببعض الكتاب الصهيونيين في فلسطين امثال ابراهيم المالح والياس ساسون وايزاك شموس من موظفي الوكالة اليهودية وكمراسلين للصحيفة كما تلقت دعم موسى شرتوك رئيس القسم السياسي بالوكالة اليهودية .

ولم تدرك الحكومة المصرية أهمية الدور الذي أدته هذه الصحيفة التي ظلت تعمل من أجل أهدافها بهدوء إلا بعد قيام الكيان الصهيوني عام ١٩٤٨ وبعد أن تقدمت الجامعة العربية إلى ادارة المطبوعات بشكايات ضد هذه الصحيفة تتهمها بأنها دأبت على الطعن في رجال العروبة والجامعة العربية والدس على القضايا العربية عامة والدعوة إلى تأييد مطامع الصهيونية في فلسطين وبأنها ممولة من الحركة الصهيونية في مصر ، لهذه الأسباب أصدرت الرقابة قرارها بتعطيل صحيفة الشمس اعتبارا من ١٩٤٨/٦/١١ .

٤ ـ صحيفة الصوت اليهودي :

صدرت صحيفة الصوت اليهودي في الاسكندرية عام ١٩٣١

(١٣) د. سهام نصار ، مصدر سابق ، ص ٦٣ ، ومابعدها .

باللغة الفرنسية والذي أصدرها البير ستراسلسكي رئيس فرع التصحيحيين في مصر ، ممولة من قبل الرأسماليين اليهود في الاسكندرية ومؤيدة من قبل الحاخام دافيد براتو حاخام الطائفة اليهودية بالاسكندرية .

٥ ـ صحيفة المنبر اليهودي :

كذلك صدرت باللغة الفرنسية صحيفة أخرى في الاسكندرية هي « المنبر اليهودي » وصاحبها يهودي بولندي الجنسية يدعى مندل كلكشتين ، هاجر فيها بعد إلى فلسطين وترك مسؤولية إصدار الصحيفة إلى جاك رابين بوصفه رئيس التحرير .

وكانت تعبر عن الفكر الصهيوني وبث الدعوة الصهيونية وظلت تصدر حتى عام ١٩٤٨ حين أصدرت الرقابة أوامرها بتعطيلها في ١١ حزيران ١٩٤٨ [١٤] .

وقد أصدرت جمعية الشبان القرائين بالقاهرة عام ١٩٣٧ مجلة الشبان القرائين باللغتين العربية والفرنسية ، وكان ابراهيم يعقوب مزراحي الشهير بالبرت مزراحي قد أصدر سنة ١٩٤٤ صحيفة التسعيرة إزاء النجاح والمكاسب التي حققها مزراحي استطاع أن ينشيء عام ١٩٤٦ داراً للنشر هي « وكالة مصر للصحافة » وتولت هذه الدار إصدار « التسعيرة » ثم « المصباح » و « الصراحة » اللتين أصدرهما مزراحي . ثم صدرت في عام ١٩٤٥ مجلة نصف شهرية تدعى « الكليم » .

وفي عام ١٩٤٥ أصدرت دار « الكاتب المصري » وكانت مملوكة إلى أربعة إخوة من اسرة هواري اليهودية ، وقد أسندت رئاسة تحرير المجلة الى الدكتور طه حسين ، الذي كان يتولى الإشراف على القسم الثقافي بالدار التي كانت تقوم بنشر المؤلفات والكتب المترجمة .

وفي عام ١٩٤٦ صدرت عن وكالة مصر للصحافة التي يمتلكها البرت مزراحي مجلة الصباح تهتم بالأمور السينمائية والمسرح . وفي عام ١٩٥٠ اصدرت وكالة مصر للصحافة ، صحيفة الصراحة وهي جريدة سياسية وفدية لصاحبتها صول مزراحي .

لقد لعبت اليهودية دورا في توجيه الشعور اليهودي ، كما قامت بدور كبير في الدعوة للوطن القومي اليهودي في فلسطين ، وحث يهود الشرق للتأثير على الرأي العام الصهيوني والعربي بغية إقناعه بأهمية التفاهم والتعاون مع اليهود والتخلي عن معارضة المشروعات الصهيونية .

وعلى صعيد الثقافة فقد أسس عدد من المثقفين اليهود (جمعية مصر للدراسات التاريخية اليهودية) لدراسة العلوم المتصلة بتاريخ اليهود في الشرق وعلى الأخص دراسة تاريخ وآداب اليهود في مصر ضمت عددا من المشتركين لإجراء البحوث ونشرها ودراسة المخطوطات وإلقاء المحاضرات وقد أقامت عام ١٩٥٣ سلسلة احتفالات بمناسبة مرور ٨٠٠ سنة على مولد أبن ميمون ونشرت كتابا عن أفكاره وتاريخه ، وكان من أعضاء الجمعية مراد فرج الذي وضع كتابا بالعربية عن الشعراء اليهود والعرب ، واسرائيل ولفنسون استاذ اللغات السامية لكلية دار العلوم .

ومع ازدياد اهتمام يهود مصر بفلسطين فقد بذلت جهود لإحياء الثقافة العبرية فانشئت في القاهرة جمعية (أصدقاء الجامعة العبرية في القدس) من يهود مصر .. كما أنشئت بين ١٩٢٥ ـ ١٩٣٥) عدة مؤسسات منها النادي العبري بعدف الدعاية للغة العبرية ، كما تجمع قدماء تلاميذ المدارس اليهودية في اتحاد للحث على سماع المحاضرات والاقبال على المطالعة [١٥] .

وضع اليهودالسياسي :

ادي اليهود دورا في الحياة السياسية في مصر كنواب البرلمان وكمسؤولين في القصر ، وقد عاش اليهود في كنف ورعاية الحكام الذين تقبلوا على حكم مصر منذ عهد محمد علي حتى قيام ثورة يوليو عام ١٩٥٢ بدرجة تجعلنا نعتبر هذه الفترة بحق العصر الذهبي من خلال العلاقات والصلات الطيبة التي أقاموها مع كل حاكم جديد ارتقى عرض البلاد . إضافة إلى أنهم استطاعوا أن يقيموا علاقات طيبة أيضا مع الحركة الوطنية في مصر ، ومن ثم اكتسبوا ثقة الوطنيين المصريين .

---

(١٤) أبو كف ، ص ٤٦ ـ ٥٠ ، كذلك راجع : *Fargeon, M., Le Juifsen Egypte. Depuis Les Origines Jusqu'a ce Jour Le Cairo 1938. P. 181-182.*

(١٥) غنيم ابو كف ، ص ٣٩ ـ ٤٠ و : *Fargeon, op.cit., PP. 181-182.*

فمنذ ظهور الحركة الوطنية بعد الحرب العالمية الاولى كقوة مناهضة للاحتلال البريطاني ظهرت بعض الشخصيات اليهودية التي انضمت الى الوطنيين المصريين في نضالهم من أجل الاستقلال ، امثال ليون كاسترو الذي انضم الى صفوف الوفد ، وكان صديقا شخصيا لسعد زغلول ورافقه في المفاوضات في لندن ، وقام بمهمة المتحدث الرسمي لحزب الوفد في أوربا ، ثم عاد الى مصر عن طريق صحيفته اليومية الوفدية الناطقة بالفرنسية « الحرية » حمله ضد الانكليز من أجل الاستقلال ، ولكنه عاد في نفس الوقت واحدا من أقطاب الصهيونية في مصر ، فقد أسس أول فرع للمنظمة الصهيونية في مصر عام ١٩١٧ ، وأصدر مجلة ناطقة بالفرنسية تدعى « المجلة الصهيونية » عام ١٩١٨ ولكنه ظهر فيها بعد عام ١٩٣٧ وهو يؤدي دورا هاما في اتحاد أنصار السلام(١٦) .

وبلغ إسهام اليهود في الحياة السياسية المصرية القمة بتعيين أول وزير يهودي في تاريخ مصر الحديث ألا وهو يوسف قطاوي باشا الذي شغل منصب وزير المالية في حكومة سعد زغلول سنة ١٩٢٤ ثم اختير وزيرا للمواصلات في حكومة احمد زيور باشا عام ١٩٢٥ . وكان تعيينه وزيرا تقديرا أدبيا للطائفة اليهودية ، ودليلاً على التسامح والمساواة اللذين تمتعت بهما الطائفة . إضافة إلى أن يوسف قطاوي ساهم في المفاوضات بين مصر وبريطانيا بشأن تحقيق الجلاء وذلك مع اللورد كرزون في لندن عام ١٩٢٢ .

وشارك اليهود في وضع القوانين التي تنظم سير الأمور في البلاد فقد عين يوسف قطاوي عضوا في لجنة الثلاثين التي ألفتها وزارة عبدالخالق ثروت سنة ١٩٢٢ لوضع الدستور وقانون الانتخاب ، كما عين زكي عريبي المحامي اليهودي ضمن اللجنة التي شكلتها ثورة يوليو ١٩٥٢ لوضع الدستور المؤقت للبلاد .

ومن ناحية أخرى أسهم اليهود في الحياة البرلمانية المصرية وشهد البرلمان المصري نوابا وأعضاء أمثال يوسف قطاوي باشا وابنه رينيه قطاوي بك والحاخام حاييم ناحوم افندي ، ويوسف بتشوتوبك ، ويوسف دوبيكيوتو .

ومارس عدد كبير من المثقفين اليهود نشاطهم في الحياة الادارية . فكان حراري باشا وهو يهودي بريطاني مراقب حسابات عام بوزارة المالية واصلان قطاوي سكرتيراً عاماً لمصلحة الأملاك التابعة لوزارة المالية ومندوبا عن الحكومة المصرية في شركة قناة السويس ومندوبا للحكومة في البنك الأهلي المصري ، وأخوه رينيه عضو مجلس النواب عن دائرة كوم امبو وعضو الجمعية الزراعية الملكية . كما عمل محامون يهود أمام المحاكم المختلطة والأهلية ، فضلا عن المهندسين في مختلف الدوائر الذين نالوا شهرة واسعة والأطباء بمختلف الاختصاصات في المستشفيات ودور الصحة وكذلك العلماء والكيميائيون(١٧) .

علاقات اليهود بأهل البلاد من المسلمين والأقباط :

لم تكن هناك أسباب للاصطدام بين اليهود وباقي سكان البلاد . إلا أن الأهداف الصهيونية في فلسطين خلقت نوعا من الامتعاض في نفوس المصريين تجاه بعض اليهود الذين قاموا بنشاطات لصالح الصهيونية وتجاه الذين سبق أنْ هاجروا إلى فلسطين للانضمام الى صفوف المنظمات الصهيونية والواقع أن الوكالة اليهودية اعترفت في آذار ١٩٤٦ في تقرير تقدمت به إلى اللجنة الانجلوأمريكية أن « ظروف اليهود عامة في مصر أفضل بكثير منها في أي بلد آخر قمنا بمعاينته حتى الآن »(١٨) .

لقد عاش اليهود بمصر في أمان لهم نشاطهم المفتوح في جميع المجالات فكنائسهم ومدارسهم ومؤسساتهم الخيرية ونواديهم الرياضية تعمل بحرية وبيدهم المراكز الكبرى في الاقتصاد ، وكانت العلاقات التي تربطهم بالأهالي ودية . ولم يكن هناك أي شعور عدائي ضد اليهود كطائفة بل لقد استثمر الحاخام ناحوم منذ تعيينه صلاته الودية مع الشخصيات المصرية لرفع شأن الطائفة ، حتى إن الاحتفال بمرور ٨٠٠ سنة على ولادة ابن ميمون تم تحت رعاية الملك فؤاد بينما ساهمت كل من الحكومة المصرية وكلية الطب المصرية والمجمع اللغوي(١٩) بتغطية نفقات الاحتفال .

---

(١٦) سهام نصار ، مصدر سبق ذكره ، ص ٢٠ وما بعدها .

(١٧) *Landshut, S., Jewish S., Jewish Commanities in the Muslem Countries of the Middle East, London 1950. P. 28.*

(١٨) *Shehechtman P. 187.*

(١٩) *Bashan, R., "Jews Plight in Arab Countries". Israel Magazine, Vol. I, No. 9, 1968. P. 5.*

وحتى نهاية الحرب العالمية الثانية كانت فكرة قيام توتر بين اليهود وسائر سكان مصر تبدو بعيدة الحدوث ، إلا أن التيار المتزايد للشعور القومي الذي كان يطالب بعودة السيادة المصرية الكاملة وجلاء الحاميات البريطانية عن البلاد وإلغاء الامتيازات الأجنبية ، قد سار إلى أبعد من ذلك وهو مقاومة كل ما هو أجنبي ، وهذا المظهر للحركة القومية لم يكن من طبيعة معادية لليهود ، وهكذا فإن أصل البلاء في العالم العربي هو الغرب وليس اليهود [٢٠] . وفي رأي آخر ذكر أن أهم شيء يريده المصريون حينذاك هو التخلص من الحكم البريطاني ، ولكن طالما كان أقوياء اليهود يعدون كجزء من الغزو البريطاني فلابد ان يصبح اليهود موضع اتهام حتى قبل مشكلة فلسطين ولكن بصفتهم اوروبيين [٢١] .

وعلى الرغم من ذلك ، فإن الأقلية اليهودية المنغرسة جذورها في التاريخ المصري كانت قوية ، وارتباطاتها مع كل مظاهر حياة البلاد عميقة ، إلى جانب أن العلاقات الشخصية بين أفراد الطبقة العليا من اليهود وبين العائلات المصرية (مسلمين وأقباط) كانت ودية وحتى أحداث فلسطين لم تؤثر على حياتهم اليومية [٢٢] .

النشاط الصهيوني في مصر :

كان ليهود مصر علاقات قوية بفلسطين منذ القديم لعوامل دينية واقتصادية ولكن الحركة الصهيونية حاولت أن تستغل ذلك لمد نشاطها إلى يهود مصر .

فعلى الرغم من فشل الجهود التي بذلها هرتزل لدى القيصر الألماني والسلطات العثمانية للحصول على ميثاق يمنح اليهود حق استعمار فلسطين ، فقد تابع جهوده الدبلوماسية لدى الدول الاستعمارية فوجّه أنظاره إلى انكلترا حيث كانت الحركة الصهيونية تلقى تشجيعا من قبل كبار السياسيين الاستعماريين [٢٢] .

لقد اقترح هرتزل على بعض الساسة الانكليز إقامة مستعمرة يهودية خاضعة للتاج البريطاني في شبه جزيرة سيناء أو في قبرص كقاعدة انطلاق لاحتلال فلسطين متى سنحت الفرصة .

وقد تمكن هرتزل من مقابلة جوزف تشمبرلين أحد عتاة الاستعماريين البريطانيين والمعروف بمؤازرته للحركة الصهيونية دون تحفظ . وفي هذه المقابلة أبدى تشمبرلين موافقته على مشروع هرتزل لاستعمار قبرص وسيناء في ظل العلم البريطاني شريطة أن يحظى مشروع استعمار سيناء بموافقة اللورد كرومر المعتمد البريطاني في مصر . ويقضي هذا المشروع بمنح اليهود حق امتياز على الأراضي الواقعة في شبه جزيرة سيناء والتي تحيط بمنطقة العريش في مساحة تبلغ (٦٣٠) ميلا مربعا [٢٣] .

ويرجع نجاح هذا الاتفاق أساسا إلى النفوذ الواسع الذي كان يتمتع به صهيوني بريطاني هو « ليوبولد جرينبرج » عضو اللجنة التنفيذية للمنظمة الصهيونية .

وكانت بداية محاولة تنفيذ هذا المشروع توصية تسلمها جرينبرج من وزارة الخارجية البريطانية لتقديمها إلى اللورد كرومر المندوب السامي البريطاني في مصر في ذلك الوقت والتفاهم معه بشأن مفاتحة الخديو في أمر المشروع .

ووصلت إلى مصر لجنة عرفت باسم « اللجنة الصهيونية » كان هرتزل من ضمن أعضائها . وقابلت اللورد كرومر الذي اتفق معها على تقديم المشروع للخديو .

وما أن وافق الخديو عباس حلمي الثاني مبدئيا على المشروع حتى أرسل اللورد كرومر مندوبا عنه للاشتراك مع اللجنة الصهيونية ، التي ذهبت إلى العريش لدراسة المنطقة على الطبيعة والبحث في مدى امكانياتها وملاءمتها للاستيطان الجماعي .

وكان من المقرر إذا ما أسفرت نتيجة الدراسة الميدانية عن صلاحية المنطقة أن يحصل الصهيونيون على امتياز إدارتها إدارة ذاتية تحت السيادة البريطانية لمدة ٩٩ سنة .

نقلاً عن ابراهيم عبد ، يهود الأقطار العربية ، ص ٧٨ .

(٢٠) *Grum, B., Behind the silken Curtain, New York 1947 P. 150.*

(٢١) المصدر السابق . *Landshut op. cit., p. 32.*

(٢٢) د. عبد الوهاب الكيالي ، تاريخ فلسطين الحديث ، المؤسسة العربية للدراسات والنشر ، بيروت ١٩٧٣ ، ص ٣٨ ـ ٣٩ .

(٢٣) راجع أحمد محمد غنيم وأحمد أبو كف : اليهود والحركة الصهيونية في مصر ١٨٩٧ ـ ١٩٤٧ .

وقد سجل هرتزل ما حدث يوما بيوم خلال هذه الفترة في مذكراته ، وفي ربيع عام ١٩٠٣ عادت البعثة من منطقة العريش إلى القاهرة بنتائج مبشرة . وذهب تيودور هرتزل وهو مملوء بالأمل تشجعه وعود المساعدة التي مناه بها عدد ليس بقليل من الماليين اليهود المقيمين في القطر المصري ، وخاصة في الاسكندرية .

وقد قررت الحكومة المصرية أنها لا تستطيع منح هذا الامتياز للصهيونية على أساس أن المنطقة المقترح استيطانها جرداء قاحلة ليس بها ماء وهي قطعا ستحتاج إلى مياه النيل ، في وقت تحتاج فيه البلاد أشد الحاجة إلى كل قطرة من قطرات مياهها . ويمكن القول بأن هذه المعارضة التي نشأت في مصر بالنسبة لهدف الصهيونية الأساسي كانت في الواقع أول معارضة عربية لإقامة وطن قومي صهيوني .

كان وصول هرتزل الى مصر فتحا لأعين اليهود الى مصر وتبشيرا بقيام حركة صهيونية سياسية تهدف إلى احتلال فلسطين وإزاحة العرب عنها ، وإقامة وطن قومي للصهيونية فيها .

وشهدت مدينة الاسكندرية بداية النشاط الصهيوني ، فقد بدأت التحركات الأولى لهذا النشاط عام ١٩٠٨ عندما أسس عدد من اليهود بالاسكندرية جمعية صغيرة باسم ابناء صهيون وتأسيس جمعية أخرى عام ١٩٠٩ ضمت عددا من يهود المدينة القادمين من روسيا عرفت باسم « زائير زيون » .

ولقد قام الصهيونيون داخل هذه الجمعيات بتوحيد صفوفهم فأسسوا عام ١٩١٣ « الاتحاد الصهيوني » يضم هذه الجمعيات في حظيرة واحدة .

وحينما نشبت الحرب العالمية الأولى تدفقت على مصر وخاصة مدينة الاسكندرية أعداد كبيرة من اليهود القادمين من فلسطين ، بالنظر لأن الدولة العثمانية طردت الأشخاص الذين لا يحملون الرعوية العثمانية وكان كثير من اليهود الذين أقاموا في فلسطين لا يحملون الجنسية العثمانية . وقد أعطى هؤلاء دفعة مهمة للعمل الصهيوني في مصر .

المنظمة الصهيونية في مصر :

في عام ١٩١٧ استطاع محام هجر تركيا إلى مصر عقب الحرب العالمية الاولى وهو « ليون كاسترو »[٢٤] أن يؤسس رسميا أول فرع للمنظمة الصهيونية العالمية في مصر تحت اسم « منظمة الصهيونية بمصر » تولى رئاستها جاك موصيري بينما شغل ليون كاسترو منصب سكرتير اللجنة المركزية ، وفي عام ١٩١٨ أصدر « المجلة الصهيونية » لتكون ناطقا بلسانها في مصر .

وكانت أولى الخطوات التي خطاها ليون كاسترو هي تجميع الجمعيات اليهودية وربطها بفرع المنظمة ثم أقامت المنظمة فروعاً لها في المدن المصرية كالقاهرة وبورسعيد لكسب اليهود المصريين إلى المنظمة الصهيونية والدعاية لإقامة الوطن القومي اليهودي في فلسطين . وفي مقر الصهيونية أسس كاسترو فرعا للصندوق القومي اليهودي « كيرن كايميت » .

الفيلق اليهودي :

مع أن المنظمة الصهيونية العالمية قد اتخذت في بداية الحرب العالمية الأولى موقف الحياد الظاهر بين المعسكرين المتحاربين ومسك العصا من الوسط حتى تتضح الأمور إلا أن فريقاً من الصهاينة الذين فروا من فلسطين ، أعلن بدافع الحقد على الدولة العثمانية عن رغبته في الانضمام إلى جيوش الحلفاء وتزعم هذه الفكرة ضابط صهيوني اسمه « يوسف ترومبلدور » وتصور أيضا أن اتخاذ مثل هذا الموقف سيزكي مطالب اليهود بعد الحرب إذا ما انتصر الحلفاء .

وفي عام ١٩١٥ دعت لجنة اللاجئين بالاسكندرية إلى اجتماع حضره نحو مائتي شاب . وتناقش الحاضرون بشأن تكوين فرقة يهودية تنضم للقوات البريطانية على شريطة أن تحارب في الجبهة الفلسطينية وتوجه وفد منهم يضم ترومبلدور وفلاديمير جابوتنسكي وليونتان لمقابلة الجنرال ماكسويل قائد القوات البريطانية في مصر وحضر المقابلة موسى قطاوي باشا رئيس الطائفة اليهودية بالقاهرة

(٢٤) ليون كاسترو ولد عام ١٨٨٤ في أزمير وحصل على دبلوم مدرسة المعلمين بباريس سنة ١٩٠٢ ، ثم عمل مدرساً في تركيا من سنة ١٩٠٣ الى سنة ١٩٠٦ ثم سافر الى باريس حيث حصل على ليسانس الحقوق سنة ١٩١١ ومنذ حضوره إلى مصر بعد هذا التاريخ مارس مهنة المحاماة .. راجع سهام نصار ، ص ٢٢ وأبو كف ، ص ٢٢ .

في ذلك الوقت [٢٥] . واقترح عليهم ماكسويل تكوين فرقة لإرسالها إلى تركيا إلى أن ينيسر فتح جبهة في فلسطين . وتم اختيار الكولونيل باترسون قائدا لهذه الفرقة . وكان باترسون نصيرا لليهود يوليهم تقديرا عميقا ومودة صادقة . كما كان صديقا حميما للصهيوني الشهير اسرائيل زانغويل .

وتألفت في الاسكندرية هذه الفرقة التي كانت تضم ٥٠٠ متطوع من بينهم ٣٥٠ من اللاجئين ، ١٥٠ من يهود الاسكندرية وسميت هذه الفرقة « فرقة البغالة » وأدت أثناء حملة غاليبولي خدمات كثيرة .

حتى صدر الامر بتسريحها في آذار عام ١٩١٦ بعد أن باءت هذه الحملة بالفشل .

وبعد حل هذه الفرقة صدرت الأوامر في لندن ٥ آب ١٩١٧ بتكوين فيلق يهودي ، وأعلن رسميا تكوين الكتيبة (٣٨) التي أسندت رئاستها إلى الكولونيل جون هنري باترسون وتقرر إرسال هذه الكتيبة إلى مصر لاستكمال تدريباتها استعدادا للزج بها إلى ميدان القتال فوصلت إلى الاسكندرية في شباط عام ١٩١٨ . حيث أقامت لها الطائفة اليهودية هناك استقبالا حافلا ، وحينما وصلت هذه الكتيبة إلى القاهرة أقيم لها حفل استقبال آخر في المعبد اليهودي الرئيسي في المدينة . واستكملت تدريباتها إلى حين تحركت إلى فلسطين .

وفي نيسان ١٩١٨ وصلت الكتيبة (٣٨) من الفيلق اليهودي الى مصر ثم رحلت إلى فلسطين في حزيران من نفس العام .

وكانت عمليات تجنيد اليهود في الفيلق اليهودي قد امتدت لتشمل معظم يهود العالم . اقرح باترسون فتح ابواب التجنيد امام يهود مصر وفلسطين بغية تكوين كتيبة يهودية منها وتم ذلك بالفعل حيث تم افتتاح مكاتب خاصة بتجنيد اليهود في كل من القاهرة والاسكندرية وقامت حملة دعائية كبيرة لحث يهود مصر على التطوع ، وتكونت الكتيبة (٤٠) من يهود مصر وفلسطين وقد انتقلت هذه الوحدة العسكرية اليهودية إلى فلسطين حيث انضمت الى الجيش البريطاني تحت اسم « فرقة المشاه الملكية » .

يهود مصر وتصريح بلفور :

بمناسبة صدور تصريح بلفور عام ١٩١٧ أقامت المنظمة الصهيونية بمصر حفلا بهذه المناسبة وأعلن رئيس المنظمة جاك موصيري بخطاب ألقاه في ختام الحفل أعلن فيه ، أن الصهيونية تلك الفكرة الخيالية قد أصبحت حقيقة واقعة « وناشد يهود مصر أن يستيقظوا من خمولهم ويعطوا المسائل اليهودية اهتمامهم وأقامت جمعية زائير زيون حفلا آخر تحت رعاية المنظمة الصهيونية الآنفة الذكر حضره أحمد زيور باشا ووفود تمثل ٢٠ منظمة مختلفة في مصر وفلسطين والحاخام ديللا بيرجولا حاخام الاسكندرية . وقد أنشد الحاضرون النشيد الوطني اليهودي (هاتكفا) وفي ختام الحفل أرسلوا برقيتين إلى لويد جورج رئيس وزراء بريطانيا وحاييم وايزمان رئيس المنظمة الصهيونية العالمية .

وجاء في برقيتهم الى اريد جورج ما يلي [٢٦]

« أبدى اجتماع حاشد ضم ٨٠٠٠ يهودي عقد بمدينة الاسكندرية حماسا منقطع النظير أثناء تلاوة تصريح بلفور وأعرب عن امتنانه العظيم لحكومة صاحب الجلالة » .

أما في البرقية المرسلة الى حاييم وايزمان فقد جاء فيها :ـ

« أن هذا الاجتماع الحاشد ليهود الاسكندرية وافق بالإجماع إعادة بناء فلسطين كوطن قومي لليهود .. » .

إن المنظمة الصهيونية في مصر مشغولة بالاستعداد لدفع الامدادات إلى فلسطين بمجرد الحصول على تصريح من السلطات البريطانية .

ظل اليهود في مصر يحتفلون بذكرى صدور تصريح بلفور كل عام ، ففي ٤ تشرين ثاني ١٩١٨ بعثت اللجنة المركزية للمنظمة الصهيونية بمصر رسالة إلى السير ريجنالد وينجت المندوب السامي البريطاني تعرب فيها باسم يهود القاهرة والاسكندرية وطنطا

---

(٢٥) أبو كف . ص ٢٥

(٢٦) راجع سهام نصار . ص ٢٥ ـ ٢٦ .

وبورسعيد والمنصورة عن أعمق مشاعر الامتنان والاخلاص الشديد .

وقد أسست المنظمة الصهيونية لجنة لغوث اليهود في فلسطين كانت تحظى باعتراف السلطان ، وكانت تعمل بالاتفاق مع اللجنة المركزية لغوث اليهود البولنديين والفلسطينيين في لندن ، والمكتب الصهيوني في كوبنهاجن وقد انتقلت هذه اللجنة إلى فلسطين لتنظيم أعمال الإغاثة لليهود هناك .

وفي نيسان ١٩١٨ قامت اللجنة برئاسة حاييم وايزمان بزيارة مصر واجتمعت اللجنة باليهود المصريين حيث عرض عليهم الأفكار التي يمكن أن تدعم اللجنة ، والبرنامج الذي يقترح تنفيذه عندما تصل إلى فلسطين ، إلا أنه تجنب الخوض في المسائل الجدلية ، وناشد اليهود المصريين ألا يعارضوا الصهيونية التي يؤيدها غير اليهود كالانكليز والفرنسيين ، وأشاد وايزمان بما قدمته الطائفة اليهودية المصرية للاجئين اليهود مناشدا إياهم ببذل مجهود أكبر وتعاون مادي ومعنوي خدمة للمشروع الصهيوني .

وعلى أثر مؤتمر سان ريمو وصدور نظام الانتدابات أصبحت فلسطين تحت الانتداب البريطاني ، فكان ذلك دفعة قوية للنشاط الصهيوني في مصر . ففي عام ١٩٢١ كان في القاهرة وحدها خمس جمعيات صهيونية وبلغ عدد دافعي الشيكل **Shekel** أي رسوم العضوية في المنظمة الصهيونية ـ في مصر ألفين .[(٢٧)]

وفي عام ١٩٢١ أعيد تشكيل المنظمة الصهيونية بمصر حيث تولى رئاستها جوزيف شيكوريل بينما شغل ليون كاسترو منصب النائب الأول للرئيس . وقد تأثر اليهود المصريون بالمشاكل التي شهدتها الحركة الصهيونية العالمية ، فقد اعتبر المتطرفون تصريح بلفور وصك الانتداب التزاما بريطانيا لتحقيق الوطن القومي اليهودي ، وأن تهاونها في تنفيذ هذا التصريح معناه خيانة للصهيونية لا يمكن أن تغتفر ، بصرف النظر عن النتائج ، وبصرف النظر أيضا عما يحدث سوء علاقات بين بريطانيا وبين العرب . كان فلاديمير جابوتنسكي ١٨٨٠ ـ ١٩٤٠ وهو الذي يمثل أقصى اليمين في المنظمة الصهيونية العالمية ، أبرز معارض لسياسة المنظمة الصهيونية العالمية التي وجهها وايزمان وجهة معتدلة تجنبا لإحراج بريطانيا ، وقد استقال جابوتنسكي اولا من اللجنة التنفيذية للمنظمة الصهيونية العالمية في كانون الثاني عام ١٩٢٣ احتجاجا على سياسة « الكتاب الأبيض » الذي صدر عام ١٩٢٢ متهما زملاءه في المنظمة بفقدانهم الواقعية السياسية لأنهم يسايرون بريطانيا دون فائدة ، مع أنها تسوف في تنفيذ تصريح بلفور .

وإثر استقالة جابوتنسكي أسس حزب التصحيحيين في باريس عام ١٩٢٥ انضم اليه البير ستراسلسكي الصحفي اليهودى المصري المولود في القاهرة عام ١٩٠٢ من أصل روسي الذي كان يزمع تكملة دراسته والتخصص في الاقتصاد السياسي . التقى بفلاديمير جابوتنسكي ، وقد انبهر ستراسلسكي بشخصية جابوتنسكي ، وجذبته أفكاره الصهيونية المتطرفة فكان أن كرس كل وقته لكي يتتلمذ عليه .

وعاد ستراسلسكي الى مصر في أوائل عام ١٩٢٩ ، ليؤسس فيها فرعا لحزب التصحيحيين يبشر بدعوته المتطرفة ، ويحمل لواء المعارضة داخل صفوف فرع المنظمة الصهيونية العالمية في مصر .

وبدأ ستراسلسكي يتصل بالعناصر المتطرفة من اليهود في القاهرة ممن تزعزعت ثقتهم في سياسة المنظمة الصهيونية العالمية ، والتي ستؤدي حتما ـ في رأي التصحيحيين ـ إلى خنق الحركة الصهيونية وقد استطاع ستراسلسكي أن يجمع حوله لفيفا من الشباب اليهود ومن طلائع المتحمسين الذين يملأ جوانحهم الشعور بالرسالة الصهيونية ، ويعتبرون أنفسهم بناة الوطن القومي الصهيوني ، او على الأقل معيدي بناءه . ومن الشبان :ـ

ـ فيكتور حزان المحامي

ـ الاخوان ناثان وموريس هلبمان ، وهما من تجار المجوهرات في منطقة قناة السويس .

ـ وساطون ليفي الموظف بالبنك الأهلي .

ـ وفيتا كوهين من بورسعيد

ـ وكارلو روزنتال الذي كان يعمل بشركة كوتسا للكحوليات

ـ ورفائيل سادوفسكي ، الذي كان طالبا في ذلك الوقت

---

(٢٧) سهام نصار ، ص ٢٧ .

وهؤلاء أسسوا فرع حزب التصحيحيين في مصر الذي تولى رئاسته البير ستراسلسكي ، بينما عهد بأمانته العامة إلى الشاب رفائيل سادوفسكي .

ولقد قدم أثرياء اليهود في مصر الدعم المالي الكبير للحركة الصهيونية ومن هؤلاء رالف كرين وهو واحد من كبار الملاك العقاريين ومن القلائل الذين سيطروا على تسويق الحاصلات الزراعية المصرية وتصديرها للخارج ، منذ بداية القرن العشرين .

هذا بالاضافة الى أن ابناء عائلة موصيري قد نذروا ثرواتهم وجهودهم لتأييد هذا الحزب الصهيوني ماليا وأدبيا .

وقد كان لنشاط التصحيحيين رد فعل واضح على الحركة الصهيونية في مصر ، والتي لم تكن حتى ذلك الوقت قد بلغت درجة واضحة من التبلور والنضج فقد ألهب تطرف التصحيحيين حماس الحركة الصهيونية بوجه عام ، مما جعلها تتجه إلى مزيد من التحرك والانطلاق وبدا ذلك واضحا حين دعت المنظمة الصهيونية العالمية الهيئات اليهودية في مصر لانتخاب مندوب يمثلها في مؤتمر زيوريخ عام ١٩٣١ ـ المؤتمر الصهيوني السابع عشر ـ فقد قام التصحيحيون بترشيح فلاديمير جابوتنسكي ليمثل مصر في المنظمة وتقدمت مدام اجيون كمنافسة له ، وقد اكتسح التصحيحيون المعركة الانتخابية ، وفازوا بأغلبية الأصوات . إذ حصل مرشحهم على ما يقرب من سبعمائة صوت ، بينما لم تحصل مدام أجيون على أكثر من ثلاثمائة .

وقد أصدر التصحيحيون صحيفه أسبوعيه سياسية باللغة الفرنسية هي « الصوت اليهودي » اتخذت مقرا لها بشارع الشيخ ابو السباع بالقاهرة وقد كان هذا المقر منتدى للاجتماعات والندوات السياسية الصهيونية وكانت تعقد فيه كل أسبوع حلقة للاستماع إلى أخبار الحركة الصهيونية وتتلوها مناقشات سياسية .

على أنه بعد أن انفصل جابوتنسكي من المنظمة الصهيونية العالمية عام ١٩٣٥ وأسس « المنظمة الصهيونية الجديدة » حول ستراسلسكي حزب التصحيحيين في مصر إلى فرع تابع للمنظمة الصهيونية الجديدة ثم أسس فرعا آخر في الاسكندرية عام ١٩٣٦ .

اتسمت الثلاثينات بنشاط صهيوني واسع المدى في العالم وفي مصر بالذات . فقد قامت فروع القاهرة للاتحاد الدولي للشبيبة اليهودية والنادي اليهودي بالعمل في أوساط الشباب كما قام بعض زعماء الصهاينة بزيارة القاهرة أمثال حاييم وايزمان وناحوم سوكولوف والبروفسور سليج وبروتسكي وفيرا كاتزمان .

وفي الاسكندرية التي أصبحت مركزا للنشاط الصهيوني في هذه الفترة تم عقد اجتماعات عديدة تحدث فيها سوكولوف ومسز أريئيل بنزايون وماير ديزنجوف وجروسمان ومستر ومسز اسرائيل ثيموسى سيف وأسست مسز بنزيون جمعية لجمع التبرعات لكيرن هايسود كما تم افتتاح مكتبه صهيونية بالاسكندرية عام ١٩٣٢ .

وعلى أثر تقرير لجنة « بيل الملكية » بشأن العلاقات العربية ـ اليهودية في فلسطين مر فلاديمير جابوتنسكي على الاسكندرية وعقد مؤتمرا صحفيا بفندق سيسل يوم ٥ تموز سنة ١٩٣٧ تناول فيه المشكلة الفلسطينية واعلن استنكاره لفكرة التقسيم وأكد على إصرار المنظمة الصهيونية الجديدة على إقامة دولة يهودية في الحدود التاريخية لاسرائيل ودعا إلى ضرورة تنظيم الهجرة على نطاق واسع . وقد اشار جابوتنسكي في مؤتمره الصحفي بأنه لا يمكن الحصول على موافقة العرب الا بعد اقامة الدولة الصهيونية قسرا وجبرا ، وفرضها على معارضيها[٢٨] .

وبناء على ذلك أصدر فيلكس بنزاقين المحامي بوصفه رئيسا لفرع المنظمة بالاسكندرية نشره باللغة الفرنسية هاجم فيها تقرير لجنة بيل ، وطالب بالتمسك بتحقيق تصريح بلفور .

ومع حلول الأربعينات اشتد في مصر النشاط الصهيوني في شتى الميادين العلنية والسرية . ففي أثناء الحرب العالمية الثانية كانت البلاد تعج بجنود الحلفاء الذين كان من بينهم جنود يهود سيطرت الأفكار الصهيونية على عقولهم فاندفعوا بحماس يدعون لتأسيس الوطن القومي في فلسطين ويسرت لهم المنظمة الصهيونية في مصر سبل الالتقاء بشباب الطائفة .[٢٩]

---

(٢٨) احمد محمد غنيم ، مصدر سابق ، ص ١٠٤ ـ ١٠٥ .

(٢٩) سهام نصار ، مصدر سابق ، ص ٢٨ .

ومن جانب آخر لعب جهاز مخابرات (الهاجاناه) المعروف باسم « علياه بيت » والذي كان مختصا بتهريب المهاجرين اليهود الى فلسطين وكانت له شبكة في مصر .

ولهذا الغرض قام عملاء (علياه بيت) باستئجار فيلا خارج الاسكندرية لتكون قاعدة لعمليات التهريب وتسهيل هجرة اليهود الى فلسطين .

توفي فلاديمير جابوتنسكي في مدينة نيويورك عام ١٩٤٠ ، وبوفاته لم تستطع المنظمة الصهيونية العالمية الجديدة أن تنتخب رئيسا يخلفه وذلك لتعذر عقد مؤتمر صهيوني عالمي بسبب ظروف الحرب العالمية الثانية .

وهنا اقتصرت المنظمة على إنشاء مكاتب رئيسية لها في كل فلسطين ، وبريطانيا والولايات المتحدة الامريكية وجنوب افريقيا ، وقد تولى الدكتور أربيه التمان رئاسة مكتب القدس والمستر ابراهام فر رئاسة مكتب لندن والكولونيل مندلسون رئاسة مكتب جنوب افريقيا[٣٠] .

وبهذا التنظيم أصبح فرع المنظمة في مصر تابعاً لمكتب القدس ، وللتوجيه المباشر لرئيسه الدكتور التمان ، وبحكم هذه العلاقة فقد اصبح التمان يتردد كثيرا على القاهرة والاسكندرية لما كان لمكتب مصر من أهمية .. نظرا لما يمكن أن يقدمه للمنظمة من عون . وقد استطاع أن يجمع التبرعات من أثرياء اليهود بلغت عدة آلاف من الجنيهات .

وقد قام الدكتور التمان بعقد مؤتمرات وإلقاء محاضرات في مصر حول النشاط الصهيوني العالمي والمصري بشكل خاص .

فقد عقد مؤتمرا عام ١٩٤٤ في مدينة الاسكندرية حضره ثمانون صهيونيا في المنظمة الصهيونية الجديدة ، أكد في هذا المؤتمر أنه في حالة فشل الصهيونيين في الحصول على مطالبهم بالوسائل السلمية ، فإنهم سيضطرون إلى الالتجاء إلى العنف ، وحمل السلاح من اجل تحقيق أهدافهم .

وعندما علمت سلطات ألامن في مصر بهذا الاجتماع وأدركت مدى خطورته ، أرسل جورج جيز باشا وكيل حكمدارية الاسكندرية ـ في ذلك الوقت ـ كتابا الى الكولونيل جايلز مدير القسم الجنائي السياسي بحكومة فلسطين في القدس . روى له تفاصيل ما دار في هذا الاجتماع .. وطلب من الكولونيل جايلز التنبيه على الدكتور بأن يمر عليه لمقابلته إذا حضر الى القطر المصري ، كي يتفاهم معه في هذا الشأن ويحذره من مغبة مثل هذه الاجتماعات ، وما يدور فيها من مناقشات .

ولقد حضر التمان فعلا وقابل جيز باشا ولم ينكر ما دار في هذا الاجتماع وعقب التمان بحزم أن « المنظمة الصهيونية الجديدة » تضع في اعتبارها أولا وأساسا إنشاء الوطن القومي في فلسطين .. ولا تمانع في ضم فلسطين الكومنولث البريطاني ، مع منحها استقلالا ذاتيا وهدد التمان بأنه إذا لم تستجب الحكومة البريطانية لهذه المطالب ، فإن الصهيونيين سيتكفلون بتحقيقها بوسائلهم الخاصة .

امام هذا الموقف المتشدد تراجع جيز باشا ، وقال إنه كموظف في الحكومة المصرية لا يعنيه إلا الابتعاد بيهود مصر عن التورط في مشاكل اليهود الفلسطينيين ، حتى لا يؤثر ذلك على علاقتهم بالشعب المصري وحكومته[٣١] .

الصهيونية والحركة الشيوعية :

نجحت الحركة الصهيونية في ايجاد بؤر لها في اقطار متعددة من الوطن العربي في العراق وسورية ومصر والسودان والمغرب العربي ، والملاحظة الجوهرية على هذه البؤر أنها نشأت في مجالين وركزت عليها طوال تطورها التاريخي حتى الوقت الراهن[٣٢] .

الاول ـ الأقليات القومية
الثاني ـ الأقليات الدينية

ففي مصر نشأت التنظيمات الشيوعية الأولى في أوساط اليهود

---

(٣٠) أحمد محمد غنيم ، مصدر سابق ، ص ١٠٨ .
(٣١) راجع ، أبو كف ، ص ١١١ .
(٣٢) د. نزار عبد اللطيف الحديثي ، الأمة العربية والتحدي ، دار الحرية للطباعة ، بغداد ١٩٨٥ ، ص ٩٧ .

المصريين وأبناء الجاليات الاوربية المهاجرة[٣٣] وكان لليهود دور كبير في الحركة الشيوعية في مصر يعبر عنه هنري كوريل اليهودي الذي أسس الحزب الشيوعي المصري ، لذلك أثرت خلفية أعضاء اليهود المرتبطين بالحركة الصهيونية العالمية في سياسته وبرز هذا التأثير في الموقف من القضيه الفلسطينية سنة ١٩٤٨ وبالذات الموقف من إقامة الكيان الصهيوني حيث برز في الحزب السيوعي المصري اتجاهان :ــ

الاول :ــ يرى أن هناك جانبا اشتراكيا وتقدميا في الحركة الصهيونية وأنه من الممكن أن يكون عامل تخصيب في كل النظم العربية التي كانت آنذاك اقطاعية وخاضعة للاستعمار وهو أمر من شأنه أن يعجل بعملية التطوير الاجتماعي في المنظمة لذلك وافق أصحاب هذا الرأى على التقسيم وكان الاتحاد السوفيتي يؤيد هذا الاتجاه .

الثاني :ــ كان يرى في الصهيونية امتداد للامبريالية والاستعمار وإذا كانت هناك بعض القوى الاشتراكية والماركسية مشاركة في هذه العملية فليس لها وزن كبير[٣٤] ، والواقع أن اليهود في مصر عملوا باتجاهين باتجاه أقصى اليسار ومنهم انبثق اليسار المصري عموما ، وباتجاه أقصى اليمين ومنه نشأت المنظمات الصهيونية في مصر[٣٥] ، ومع هذين الاتجاهين نشطت الحركة الماسونية نشاطا بارزا .

بوادر ردود الفعل اليهودية المضادة للصهيونية :

بازدياد النشاط الصهيوني بدأ يظهر في أوساط بعض شباب مصر تيار للوقوف ضده وتكونت (جماعه معادية للصهيونية) كان يمثلها قطاوي باشا نفسه . وقد شرح وجهة نظره أمام أحد اعضاء اللجنة الانكلو اميركية ووجه الاتهام إلى الصهيونيين ، وانه « لو حصل يهود فلسطين على آمالهم السياسية فقد يكون هذا خطراً على يهود البلاد العربية »[٣٦] .

وقد تجلت بوادر ردود فعلٍ عربية ضد هذا النشاط الصهيوني أدت الى تردي العلاقات بين العرب واليهود في مصر[٣٧] وذلك أثناء مظاهرة جرت في تشرين الثاني ١٩٤٥ بمناسبة مرور ٢٨ سنة على وعد بلفور وتطورت إلى اعمال عنف وجهت إلى اليهود وغيرهم من الأجانب الغربيين مهما كانت جنسيتهم وعقيدتهم . ولم تكن لهذه الحادثة نتائج خطيرة . وحين قدمت الوكالة اليهودية تقريرها إلى اللجنة الانكلواميركية ذكرت أن « يهود مصر يعيشون في أمان »[٣٨] .

إلا أن هذا لم يثن الصهيونيين عن عزمهم فأخذوا يعملون بين الطبقات الفقيرة من يهود مصر من أجل حملهم على الهجرة إلى فلسطين عن طريق إغرائهم بالأموال والوعود الكاذبة عن الغنى والرفاهية اللذين يلقونها من الدولة الاسرائيلية في فلسطين . كما أن العملاء الصهيونيين الذين انبثوا بين صفوف يهود مصر قاموا بشتى الوسائل لتحريض السكان العرب ضد السكان اليهود آملين بأن ذلك سيؤدي إلى هجرة اليهود عن البلاد ومن ثم إلى فلسطين وقام هؤلاء العملاء بتفجير القنابل في المتاجر التي يملكونها من أجل الادعاء بان المصريين هم الذين قاموا بهذه الاعمال . وفي اليوم الاول من آب عام ١٩٤٩ حدث انفجاران في متجرين في القاهرة نتج عنهما اصابة ٢٨ شخصا بجروح وبعد التحقيق اتضح أن أصحاب هذين المتجرين كانوا قد نشروا في اليوم السابق بيانا استنكروا فيه الأعمال الارهابية الصهيونية .

---

(٣٣) لطفي الخولي ، مصر والوطن العربي ، مجلة الوطن العربي ، العدد ١٤٤ في ١٩٧٩/١١/١٥ ، ص ٣٠ ، ٣١ .
عن د. نزار الحديثي ، الأمة العربية والتحدي ، ص ٩٧ .

(٣٤) لطفي الخولي ، مصدر سابق .

(٣٥) د. عبد العظيم رمضان ، صراع الطبقات في مصر ، ص ٤٠ .

(٣٦) راجع علي ابراهيم عبدة ، وخيرية قاسمية ، يهود الأقطار العربية ، مركز الأبحاث ، بيروت ١٩٧٠ ، ص ١٨١ .

(٣٧) يقال أن جمعية مصر الفتاة وجهت قبل المظاهرة انذار الى الطائفة اليهودية في مصر تطلب فيه أن تعلن الطائفة انفصالها عن اليهود الصهيونيين في فلسطين والا فسوف تتهم بعمل عدائي ضد البلاد العربية .
نقلاً عن ابراهيم عبدة ، ص ٤٠ : *Landshut, op. cit, p. 32.*

(٣٨) على ابراهيم عبده ، مصدر سابق .

وقد أظهر زعماء اليهود وخاصة الأعضاء اليهود في البرلمان خلال هذه الفترة ولاءهم لمصر وعداءهم للصهيونية بينما حث حاييم ناحوم يهود مصر بالدفاع عن بلادهم ضد الصهيونية والتبرع لعرب فلسطين .

هجرة يهود مصر إلى فلسطين المحتلة :

ثبت لدى السلطات المصرية أن المحرضين على حوادث العنف كانوا من العملاء الصهاينة فأصدرت أوامرها باعتقالهم . إلا أن الأساليب الملتوية التي استخدمتها الصهيونية حتى ذلك الحين كانت قد تركت آثارها في العلاقات بين سكان البلاد من اليهود وغير اليهود لذلك قامت موجة كبيرة من الهجرة المغادرة من مصر .

عند بداية حرب فلسطين في أيار ١٩٤٨ كانت السلطات المصرية قد منعت الهجرة لحاملي جوازات السفر دون الحصول على سمة خروج من وزارة الداخلية . ولا شك أن هذا القانون ساهم في انخفاض الهجرة بالنسبة لليهود الذين كانوا ينوون الهجرة إلى فلسطين المحتلة . إلا أن السلطات سرعان ما رفعت الحظر عن الهجرة في شهر آب ١٩٤٩ ، مما أدى الى حصول الهجرة اليهودية بشكل واسع . وحتى شهر تشرين الثاني ١٩٤٩ كانت قد تمت هجرة اكثر من ٢٠ ألف يهودي من مصر[٣٩] .

وتوجه المهاجرون إلى البلدان الاوربية وخاصة ايطاليا وفرنسا . ولا شك ان العدد الأكبر اتجه فيما بعد إلى فلسطين . وقد ورد في الأهرام في شهر كانون الثاني ١٩٥٠ أن المهاجرين يتجهون إلى فلسطين بعد وصولهم الى ايطاليا وفرنسا .

ويبدو أن الهجرة استمرت بأعداد أقل خلال عام ١٩٥٠ حين وصل أكثر من سبعة آلاف مهاجر يهودي مصري إلى فلسطين المحتلة وانخفض عدد القادمين إلى فلسطين المحتلة إلى حوالي الفي مهاجر عام ١٩٥١ .

ولقد لعبت الوكالة اليهودية دورا كبيرا في دفع يهود مصر للهجرة عن طريق عملاء لها في مصر . ويقول الياس كوهين وهو يهودي مصري يناهض الصهيونية إن مراكز الوكالة اليهودية في باريس وروما قامت بضغوط غير مباشرة على اليهود في مصر عن طريق بعض التجار اليهود الذين كانوا يذهبون إلى البلدان الاوربية . ويقول أيضا إن الوكالة اليهودية عملت على تحقيق الهجرة عن طريق وكيل سفريات في مصر كان يعطي اليهود الذين يودون الهجرة تذاكر سفر « مجانية » بحيث يغادرون بالباخرة من الاسكندرية إلى مرسيليا ومنها إلى فلسطين وكان وكيل السفر هذا يقبض ثمن تذاكر السفر من المركز الصهيوني في فرنسا[٤٠] ، ومع أن السلطات المصرية كانت تعلم بأن أكثرية الذين غادروا البلاد كانوا يتجهون إلى فلسطين فهي لم تمنع الهجرة كليا خوفا من حالة الاضطراب التي قد تنجم عن ذلك . وهكذا فلم تكن الهجرة كبيرة من مصر حتى ذلك الحين بخلاف ما كانت من العراق واليمن . إلا أن هذه الهجرة ادت إلى انخفاض عدد السكان اليهود الى ٥٠ ألف نسمة عام ١٩٥٢ .

وضع اليهود في العهد الجمهوري :

جاءت ثورة عام ١٩٥٢ ، فضمنت المساواة لجميع المواطنين دون تمييز على أساس الجنس أو الدين أو العقيدة ، كما ضمنت الحرية والحماية للأجانب . وأثبت قادة الثورة أنه ليس في مصر الحديثة أي مكان للتعصب الديني العنصري . وأعلنت الثورة على العالم في أول بيان اذاعته بتاريخ ٢٣ تموز من ذلك العام مسؤوليتها عن أملاك وحياة ومصالح الاجانب في مصر ، وكانت بذلك تهدف إلى قطع الطريق على الدعايات والمزاعم المغرضة . ثم أصدرت التشريعات التي تكفل حياة الأجانب وإقامتهم واستثمار أملاكهم وممارسة مهنهم[٤١] .

---

(٣٩) الياس سعد ، الهجرة اليهودية الى فلسطين المحتلة ، مركز الأبحاث ١٩٦٩ ، ص ١١٥ .

(٤٠) *Berger, Elmer, Who knows Belter Must say so,. The American for Judaism New York, 1955, P. 19.*

(٤١) *Dr. J., Khoury, La Palestine Devant Le Monde, 1953, P. 48.*
نقلاً عن يعقوب خوري ، ص ٢٢ .

وقد قام قادة الثورة بزيارة المؤسسات اليهودية في مصر لتوطيدالثقة في قلوب الأقلية اليهودية . وفي ايلول ١٩٥٣ قام محمد نجيب بزيارة الكنيس اليهودي في القاهرة بمناسبة عيد رأس السنة اليهودية ، وكنائس الطوائف المسيحية وأعلن ان المصريين سواسية أمام القانون دون اية تفرقة بين أتباع الأديان السماوية الثلاثة اليهودية والمسيحية والاسلام(٤٢) .

ولا شك أن جهود السلطات المصرية نجحت في الحد من تدفق المهاجرين المغادرين . إلا أن العمليات الصهيونية الاستفزازية استمرت والصورة لم تسلم من نشاط العملاء والجواسيس ، فاكتشفت خلايا خطرة تتكون من اليهود الذين كانوا يغادرون البلاد إلى اوربا ومنها يتجهون إلى المنطقة المحتلة في فلسطين ، حيث كان يتم تدريبهم على اعمال التجسس ثم يعودون الى مصر لمباشرة نشاطهم .

وقد استطاعت السلطات المصرية ان تضع يدها على خلايا يهودية للتجسس في خمس سنوات متوالية : في شهر تشرين ثاني عام ١٩٥٣ وفي شهر شباط ١٩٥٤ وفي شهر كانون الاول ١٩٥٥ ، وفي شهر نيسان ١٩٥٦ ، وعقب العدوان الثلاثي عام ١٩٥٦ ، اتخذت مصر حفاظا على امنها وسلامتها إجراءات خاصة(٤٣) : فاعتقلت ٢٨٨ يهوديا ، دفعتهم الشبهات نظرا لنشاطهم المريب بأجهزة التجسس ، وحجزتهم في الابنية اليهودية المدرسية تحت الحراسة الوقائية . ومن الملاحظ أن كثيرين من اليهود الأجانب تعاونوا مع جيوش الغزو في بورسعيد تعاونا سافرا ، وغادروا البلاد مع القوات المعتدية خشية محاسبتهم عما ارتكبوه من جرائم وفظائع .

رغم أن الاجراءات المصرية لم تتجاوز ذلك ، فقد تعالت أبواق الصهيونية وأجهزة إعلامها بادعاءات ومزاعم من اضطهاد اليهود في مصر وطردهم منها مما حمل مراسلي الصحف الأجانب على التحقيق في وضع اليهود في مصر ، فنشرت نيويورك تايمس في ٢٧ من تشرين ثاني ١٩٥٦ تصريحا للسيد عبد القادر حاتم مدير الاستعلامات في مصر نفى فيه تعرض الرعايا الأجانب في مصر الى سوء المعاملة ، وأشار الى أنه صرح لهؤلاء الرعايا بمغادرة البلاد بناء على طلبهم رغم أن كثيرين منهم أثاروا غضب الشعب ، عندما هاجموا المواطنين المصريين في بورسعيد أثناء مقاومتهم لقوات الغزو .

وأكدت وزارة الداخلية أنه لن يطلب إلى اليهود المصريين مغادرة مصر ، وأنهم لا يتعرضون لأي مضايقات ، وأن مصر لم تتخل عن تراثها الذي يعود بجذوره إلى اعماق التاريخ والذي يتسم بروح التسامح ، وخاصة فيما يختص بالجالية اليهودية التي تعيش فيها .

وبتاريخ ٤ من كانون اول ١٩٥٦ أكد السيد زكريا محي الدين وزير الداخلية أنه لا يوجد اي اضطهاد عنصري او ديني ضد اليهود في مصر ، ولم يقبض على أحدٍ من اليهود أو يطرد من مصر إلا من ثبت أن ميوله صهيونية وولاء لاسرائيل . أما اولئك الذين لا يعتبرون خطرا على الأمن والسلام فهم يتمتعون بالحرية ويمارسون أعمالهم كما كانوا في السابق ، دون أية مضايقة .

وأعلن وزير الداخلية أنه لم تتم مصادرة أية ملكية يهودية وأن الاجراء الوحيد الذي اتخذ كان وضع اموال اليهود الأثرياء تحت الحراسة خشية تهريبها . فكانت تجارتهم تدار بنشاط وتعود أرباحهم اليهم(٤٤) .

على أن المصادر تشير إلى أن الهجرة اليهودية من مصر تزايدت بعد العدوان الثلاثي ١٩٥٦ ، وقد طالت هذه الهجرة بشكل خاص اليهود الدين حملوا جنسيات فرنسية وبريطانية كما طالت بعض اليهود من أصل مصري .

وقد غادر حوالى ٢١ ألف يهودي مصري البلاد خلال فترة ما بين تشرين الأول ١٩٥٦ وآذار ١٩٥٧(٤٥) . وتدعي المصادر الصهيونية أن هذه الهجرة حدثت بسبب الضغط والاضطهاد اللذين مارستها السلطات المصرية ضد اليهود . ومع أنه ليس هناك اية أدلة تشير إلى أي نوع من هذا إذ أن الحكومة دأبت على تأمين سلامة السكان

(٤٢) الياس سعد ، مصدر سابق ، ص ١١٦ .

(٤٣) يعقوب خوري ، اليهود في البلدان العربية ، دار النهار للنشر ، بيروت ١٩٧٠ ، ص ٢٠ وما بعدها .

(٤٤) المصدر السابق . انظر كذلك علي محمد نظيف ، أعوان اسرائيل في مصر ، دار المعارف بمصر ، ١٩٥٥ .

(٤٥) *Schechtman, Joseph B., Op. Cit. P. 199.*

اليهود رغم الارتباك الذي خلفه العدوان الثلاثي ورغم جميع الأعمال الاستفزازية التي قام بها عملاء الصهيونية من يهود مصر لصالح اسرائيل .

ويبدو أن الهجرة استمرت خلال ١٩٥٨ ـ ١٩٥٩ إذ بلغ عدد الذين غادروا منذ العدوان الثلاثي حتى مطلع عام ١٩٦٠ أكثر من ٣٦ ألف يهودي ولم يذهب هؤلاء المهاجرين إلى اسرائيل مباشرة بل آثر العدد الأكبر منهم الاقامة في بلدان اوربا الغربية أو امريكا في حين توجه حوالى ١٨ ألف مهاجر يهودي منهم الى فلسطين المحتلة خلال ١٩٥ ـ ١٩٥٨[٤٦] ، وهكذا فمجموع الذين غادروا مصر بعد اغتصاب فلسطين حتى عام ١٩٦٠ يبلغ حوالى ٤٥ ألف يهودي اتجه حوالي ٣٥ ألف منهم إلى فلسطين المحتلة وكان حوالي نصف المهاجرين قد غادروا خلال الحكم الملكي في حين غادر النصف الآخر بعد العدوان الثلاثي ، وفي هذه الحقبة من الزمن زار مصر الكاتب اليهودي الأمريكي الفريد ليلينتال مؤلف كتاب (ثمن اسرائيل) وقابل المسؤولين فيها كما التقى بكثير من اليهود . وفي مؤتمر صحفي عقده في ١٠ من كانون ثاني ١٩٥٧ ، أدلى بتصريح قال فيه إنه أبرق إلى مستر دالاس ، وزير خارجية الولايات المتحدة الامريكية ، ليبلغه أنه لم يجد في مصر أي شعور باضطهاد السامية . واشار الى ان المعلومات التي نشرت في مجلة « تايم » الامريكية بتاريخ ٣ من كانون اول ١٩٥٦ ، ان ٣٠,٠٠٠ يهودي ، قد اجبروا على مغادرة مصر في ٢٤ ساعة ، معلومات غير صحيحة . وأضاف قائلا : لقد أكد لي الرئيس جمال عبد الناصر وأعضاء حكومته انهم لا يعتبرون جميع اليهود صهيونيين كما أكد لي السيد وزير الداخلية أنه ليس هناك في مصر أي اضطهاد عنصري أو ديني ضد اليهود وأن الطيبين منهم والأوفياء قد ساهموا في نهضة البلد وان المصريين يرغبون في بقائهم حتى يكونوا جزءا من الحياة المصرية .

وقد أثنى السيد ليلينتال على تسامح المسلمين التقليدي حيال اليهود الذين عاشوا دائما بسلام إلى جانب المسلمين وبخاصة أولئك الذين وجدوا في البلاد العربية ملجأ لهم في القرن الخامس عشر إثر طردهم من اسبانيا والبرتغال ، وكذلك الذين تركوا بلدانهم بعد قيام الثورة الاشتراكية في روسيا والحكم النازي في المانيا .

وذكر أن الاجراءات ذات الطابع الأمني التي اتخذتها السلطات المصرية تتسم بالمنطق السليم ، إذ أن التابعين لجنسيات الدول المعتدية والصهيونيين أصبحوا يشكلون تهديدا للأمن . وأن إجراءات الحكومة المصرية تشبه ما تم اتخاذه في الولايات المتحدة الامريكية أثناء الحرب العالمية الثانية حين تم القبض على اليابانيين بل قبض أيضا على من كان من أصل ياباني .

وهكذا صرح ليلينتال بالحرف الواحد :

« إني مقتنع بأنه لا يوجد اضطهاد عنصري ضد السامية في مصر » . كما أدلى حاخام مصر الأكبر حاييم ناحوم افندي بتصريح أنكر فيه على قادة الصهيونية حملتهم على مصر ، وذكر أنه ليس لهم حق التكلم باسم يهود مصر ، ونفى ادعاءاتهم مؤكدا أن الجالية اليهودية تعيش في مصر حرة في منأى عن أي ضغط أو اضطهاد ، وأقر بفضل الحكومة المصرية وتسامحها ، وموقفها الكريم من يهود مصر .

ولا يزال إلى اليوم من التقاليد المتبعة في مصر أن يحضر الاحتفال بعيد الفصح الذي يقام في الكنيست اليهودي ممثل عن رئيس الدولة .

كما يدعي حاخام اليهود الى احتفالات ، الامانة العامة للجامعة العربية التي يحضرها ممثلوا الأديان من الطوائف الأخرى ومنها الاحتفال الذي تقيمه بمناسبة تأسيسها في ٢٢ من آذار من كل عام .

وفي حديث للرئيس الراحل جمال عبد الناصر في شهر آذار ١٩٦٩ ، أدلى به الى بن . ل . سولز برجر ، مراسل صحيفة نيويورك تايمز[٤٧] تضمن الايضاحات عن وضع اليهود في البلاد العربية جاء فيه أن في مصر حوالي خمسة آلاف يهودي منهم قرابة مائة من المحتجزين لأنهم صهيونيون ولهم صلات مع اسرائيل . وقد اعتقلوا بعد حرب ٥

(٤٦) المصدر السابق ، ص ٢٠١ .
(٤٧) صحيفة الأهرام يوم ١٩٦٩/٣/٣ ، نقلاً عن يعقوب خوري ، ص ٢٧ .

حزيران ١٩٦٧ ، وأن الذين يريدون مغادرة البلاد من اليهود يستطيعون مغادرتها وهناك كثيرون حصلوا على إذن بمغادرة البلاد والباقون يعيشون كمصريين لهم كل الحقوق وأن الاسرائيليين يثيرون دعايات كثيرة ضدنا .

وأشار الرئيس في حديثه الى تقرير عن زيارة الصليب الأحمر الى قطاع غزة فذكر أن هناك ٦٠٠ عربي في سجون غزة ، واستطرد قائلا إذا تحدثنا عن بقية الأراضي المحتلة وجدنا أن هناك آلافا اعتقلهم الاسرائيليون ، لكن ذلك كله ينسى ثم يتركز الكلام حول من احتجزناهم من اليهود لدواعي الأمن وهم قله قليلة .

وأضاف أن اليهود يقولون إننا معادون للسامية وهذا غير صحيح فنحن انفسنا ساميون ونحن ننظر إلى اليهود في بلادنا على انهم مصريون واليهود الذين يعيشون في الدول العربية يشعرون دائما بأنه من ألافضل لهم أن يبقوا في الدول العربية على أن يذهبوا إلى دول اخرى . لأن آباؤهم وأجدادهم هنا الاف السنين دون أي تفرقة .

وفي حديث آخر للرئيس الراحل جمال عبد الناصر الى شبكة التلفزيون الأهلي الأمريكي بتاريخ ٢٢ من نيسان ١٩٦٩[٤٨] ، أجاب عن سؤال لمدير تحرير صحيفة نيويورك تايمس حول قبول اسرائيل الأعداد الكبيرة من العرب إلى اراضيهم ، فذكر أن اليهود والعرب مسيحيين ومسلمين كانوا يعيشون في الشرق الأوسط منذ قرون .. منذ آلاف السنين . لقد عاش اليهود ويعيشون في مصر على الرغم من الدعاية التي استخدمت ضدنا ف بلادك (مخاطبا مدير تحرير الصحيفة) في أننا لا نعامل اليهود معاملة حسنه .. يمكنك أن تجوس في البلاد كلها وأن ترى اليهود . لقد طلب بعضهم مغادرة البلاد ووافقنا . ولكنهم عادوا ورفضوا مغادرة البلاد وقالوا إنهم يريدون البقاء هنا ، لقد قبضنا على يهود ، حوالى ثمانين يهوديا ، ولكن بعد الحرب قبضنا أيضا على مسلمين ومسيحيين لدواعي الأمن في البلاد . والاسرائيليون يعتقلون حاليا أكثر من سبعة آلاف عربي في الأراضي المحتلة وغزة .

وفي حديث للتلفزيون الفرنسي في مستهل شهر نيسان[٤٩] ١٩٦٩ قال الرئيس جمال عبد الناصر ، بعد أن اشار إلى مولد موسى في مصر وعيسى في فلسطين ومحمد في المملكة العربية السعودية ، « نحن لم نفرق في يوم من الأيام بين العربي المسلم والعربي المسيحي والعربي اليهودي ، بل إن المسلمين والمسيحيين واليهود عاشوا جنبا إلى جنب في هذه المنطقة بدون أي خلافات حتى أتت الخلافات الأخيرة بين اليهود من جانب والمسلمين والمسيحيين من جانب آخر في فلسطين بسبب إنشاء وطن قومي لاسرائيل .

ونشير الى أن عدد اليهود في مصر بلغ بعد حرب حزيران ١٩٦٧ (٢٥٠٠) يهودي ويوجد في مصر (٧٠٠) يهودي بينما يتوزع الباقون على فلسطين المحتلة (٣٥) الف البرازيل حوالى (١٥) ألف وفرنسا حوالي (١٠) آلاف والولايات المتحدة (٩) آلاف والارجنتين حوالي (٩) آلاف وبريطانيا (٤) آلاف[٥٠] .

الارهاب الصهيوني في مصر :

الفلسفة الصهيونية تعتبر كل يهودي يعيش في « الدياسبورا[٥١] الشتات ـ وبدون النظر إلى انتمائه الوطني ورعويته القومية ، هو في نفس الوقت مواطن اسرائيلي ، عليه تقديم العون والمساعدة لاسرائيل .

وقد حدد الحاخام اليهودي الأكبر في بريطانيا (عمانوئيل حاكوبوفيتز) في كلمة القاها قبل ثلاثة أيام من عدوان اسرائيل على البلدان العربية في عام ١٩٦٧ ، مهمات اليهود في العالم بالكلمات التالية :ـ

« ينبغي علينا أن نفعل كل شيء من أجل أن لا يبقى في العالم يهودي واحد يتهرب عن القيام بواجبه .. وعلى الشباب أن يكونوا مستعدين للمعارك وعلى الآخرين أن يكونوا مستعدين حالا ، بمكالمة تلفونية من اسرائيل ، للتوجه إلى هناك واحتلال أماكنهم كمجندين في الجيش ويجب على الآخرين جميعا أن يدفعوا ضريبة عن كل

---

(٤٨) صحيفة الأهرام في ١٩٦٩/٤/٢٣ .

(٤٩) المصدر السابق في ١٩٦٩/٤/٣ .

(٥٠) الموسوعة العبرية ، ترجمة مركز الدراسات الفلسفية ١٩٨٦ .

(٥١) الدياسبورا ـ تعبير يهودي يشير الى المنفى . المقصود هنا بالمنفى ، البلدان الأخرى ـ عدا اسرائيل ـ والتي يتشتت فيها اليهود .

شخص يهودي وإذا هم شاءوا فإن علينا جميعا أن ننضوي تحت قيادتهم[٥٢] . »

إن الفكرة المسماة بـ (الولاء المزدوج) هي فكرة تنشط المنظمات الصهيونية في ترويجها والدعاية لها ، وهي بهذا الشكل تستغل كسلاح لتنفيذ أهداف اسرائيل السياسية . إن القادة الصهاينة يطالبون يهود العالم بالولاء المطلق لهم ، وقد عبر عن ذلك بن عوريون رئيس وزراء اسرائيل الأسبق قد عبر في خطابه الموجه إلى « مجلس العمل الصهيوني » المنعقد في القدس عن هذه القاعدة بالشكل التالي :

« يجب أن تكون لدى الصهاينة في الدول الأخرى الشجاعة للدفاع عن دولة اسرائيل ، حتى وإن كانت حكومات بلدانهم معارضة لذلك »[٥٣] .

ومن الواضح أن لديها ركام كبير في مثل هذا النوع من النشاطات وذلك لأنه لسنوات طويلة سبقت قيام « اسرائيل » كانت هذه المنظمات في الغالب تستغل مواقع أعضائها في حكومات دول عديدة لخدمة أهداف السياسة الصهيونية .

أما اليهود المصريون فقد ساهم العديد منهم في خدمة الحركة الصهيونية مساهمة فعالة ، عن طريق أعمالهم الفكرية وإمكانياتهم المادية ، على الرغم من تعارض ذلك مع الأماني القومية العربية . لقد استجاب العديد من اليهود المصريين إلى اغراءات الصهيونية العالمية وتعاليمها فأخذ من يعتبرون أنفسهم من بناة الوطن على عاتقهم الترويج لمبادىء الصهيونية ، وقد نالوا تأييد أثرياء اليهود فحصلوا منهم على الدعم اللازم لمشروعاتهم ونشاطهم واستجابة لحملات جميع التبرعات إسهاما من يهود في تحقيق أطماع الصهيونية في فلسطين . ونظموا معهم اجتماعات عدة كان يحضرها بعض زعماء الصهيونية في الخارج لمناقشة خطة المستقبل ووسائل الاستيلاء على الأرض في فلسطين لاقامة دولة يهودية عليها ، وتنظيم الجنود اليهود بعد تسريحهم من جيوش الحلفاء والحث على ضرورة تضامن اليهود وحشد المهاجرين اليهود إلى الوطن العربي وفلسطين ، فضلا عن ربطهم بأجهزة الصهيونية العالمية لتنظيم اتصالهم بها وتأمين تعاونهم معها .

وفي إطار اتصال اليهود المصريين بالمنظمات الارهابية من المثير تتبع التنظيم الارهابي وجذوره التاريخية في فلسطين وانتقاله إلى مصر .

فنتيجة الهجرات اليهودية إلى فلسطين سعت الحركة الصهيونية إلى إجلاء العرب عن أراضيهم بقوة السلاح . وتأسست الهاجاناه بإشراف الوكالة اليهودية بدعوة حماية مستعمراتها المتزايدة .

وعندما تصاعد الخلاف بين أنصار جابوتنسكي وانصار وايزمان في المنظمة الصهيونية العالمية انعكس هذا الخلاف على الهاجاناه فأنشقت في ١٩٣٧ إلى جناح يؤمن بمبادىء جابوتنسكي اطلق على نفسه « الارغون تسافي ليؤمي » أي المنظمة العسكرية القومية .

وظلت الارغون تمارس أعمال الارهاب والعنف ضد العرب ، وضد حكومة الانتداب في نفس الوقت ، إلى أن اندلعت الحرب العالمية الثانية فأصدر جابوتنسكي بيانا إلى اليهود لوقف أعمال الارهاب ضد الانكليز جاء فيه :

« يهدد عدو متوحش بولندا قلب المنفى اليهودي حيث يقطن منذ ألف عام تقريبا ثلاثة ملايين يهودي يدينون بالولاء للبلاد وللأمة البولندية ، تواجه نفس التهديد فرنسا موئل الحرية ..

«ولقد قررت انكلترا أن تعتبر هذه الحرب حربها ولا ننس نحن اليهود أن انكلترا منذ عشرين عاما ـ وحتى وقت قريب ـ كانت رفيقتنا في صهيون ، ولذلك فإن مكان الأمة اليهودية هو في جميع الجبهات التي تحارب فيها لتلك الأمم ، من أجل ارساء المجتمع الذي يعتبر كتابنا المقدس وثيقته العظمى » .

ولم يلق موقف جابوتنسكي تأييد الجميع ، فقد خرجت عليه فئة انشقت من الارغون في حزيران عام ١٩٤٠ أطلقت على نفسها

---

(٥٢) فؤاد يسواف جيلينسكي ، الشبكة السوداء ، ترجمة مركز الدراسات الفلسطينية ١٩٧٥ ، ص ٣ . انظر في جانب النشاط الصهيوني المالي في مصر ، علي محمد نظيف ، أعوان اسرائيل في مصر ، دار المعارف ١٩٥٥ .
(٥٣) المصدر السابق ، ص ٤ .

« المحاربون من أجل حرية اسرائيل » وتعرف هذه الجماعة باسم جماعة « شتيرن » نسبة إلى ابراهام شتيرن زعيم المنشقين ، الذي كان مساعدا لدافيد راتزيل قائد الارغون .

تميزت هذه الجماعة بتنظيمها الحديدي وكانت منظمة على هيئة حلقات لا تزيد الواحدة منها على عشرة أشخاص . ولا يعرف عضو الحلقة أحدا في الجماعة غير أفراد حلقته .

وهذا التنظيم يؤمن بأن الوسيلة الوحيدة لإقامة الوطن القومي اليهودي هي إخراج الانكليز أثناء الحرب ليتركوا فلسطين .. وفي هذا السبيل دبرت عدة جرائم اغتيال لكبار موظفي الانتداب .. وشنت حملة ارهابية امتدت حوالي ثلاث سنوات ونصف .

وقد امتد نشاط هذا التنظيم الى مصر فأقامت تنظيما متكاملا اشترك فيه بعض الصهيونيين المصريين وقام بتنفيذ عدة عمليات في القاهرة والاسكندرية وفي معسكرات الجيش البريطاني ، مثل اغتيال اللورد موين ومحاولة نسف مؤتمر الجامعة العربية الذي عقد بقصر انطونيادس بالاسكندرية ، وتهريب الأسلحة والذخائر والمفرقعات من المعسكرات إلى مركز العصابة في فلسطين .

وقد كشف مصرع اللورد والتر موين وزير الدولة البريطاني في القاهرة بتاريخ ٦ من تشرين ثاني ١٩٤٤ الذي اغتالته عصابة شتيرن الارهابية عن وقائع مذهلة بينت الدور الخطير الذي قام به غلاة الصهيونية وزعماء اليهود في مصر ومدى تعاونهم مع هذه العصابة وتنفيذ رغباتها وأوامرها وتوزيع نشراتها السرية التي كانت تصلهم عن طريق ممثليها الوافدين الى مصر كمتطوعين في صفوف الجيش البريطاني[٥٤] .

الفضيحة :

هذه التسمية « الفضيحة »[٥٥] اطلقتها الصحافة الاسرائيلية ، بسبب القيود التي تفرضها الرقابة على فشل عملية تخريبية نفذتها شبكة سرية يهودية ضد مؤسسات امريكية وغيرها في مصر سنة ١٩٥٤ . وفي أعقاب فشل هذه العملية التي كلفت حياة عدة أشخاص ، نشب خلاف حاد في صفوف القيادتين السياسية والعسكرية . ودار هذا الخلاف حول السؤال : من الذي أصدر الأوامر بتنفيذ هذه العمليات ومن الذي أخفى على الآخر المسؤولية عن ذلك . وقد تطور هذا الخلاف الى حالة اضطراب سياسي عرف فيما بعد بقضية لافون .

وكانت الشبكة السرية قد شكلت في مصر من قبل ضابط الاستخبارات الاسرائيلي (ابراهام دار) الذي كان قد وصل إلى القاهرة سنة ١٩٥١ وهو مزود بجواز سفر بريطاني باسم (جون دارلنج) وتولى بعد وصوله تنظيم مجموعة من الشبان اليهود ينتمون إلى حركات شبيبة صهيونية في وحدة سرية كانت المهمة المناطة بهذه الوحدة القيام بسلسلة من العمليات الخاصة داخل مصر أثناء الحرب ، وتشكلت الخلية من مجموعتين المجموعة الأولى تعمل في القاهرة ، والثانية في الاسكندرية . وقد اختير لكل مجموعة منهم قائدا مجهزا بجهاز اتصال لتلقي الأوامر والتعليمات من اسرائيل . وقد توجه بعض أفراد الخلية إلى اسرائيل عن طريق فرنسا لتلقي التدريب هناك ، وبالفعل فلقد تم تدريبهم على استخدام أجهزة الاتصال والحبر السري والعمليات التخريبية وحتى عام ١٩٥٣ عاد جميع أفراد الشبكة الى مصر . كانت مسؤولية إدارة وتوجيه هذه المجموعة تقع ضمن نطاق الاستخبارات العسكرية . وبعد عودة ابراهام دار إلى اسرائيل عين قائد جديد للشبكة هو ابراهام زاينبرج الذي قدم نفسه أمام أعضاء الشبكة في القاهرة والاسكندرية باسم (روبيرت) . وكان قد زود بجواز سفر الماني باسم (باول فرانك) . في تلك الفترة كانت مسألة جلاء بريطانيا من منطقة السويس مطروحة بقوة . وقد طرحت على الاستخبارات العرية في جيش الدفاع الاسرائيلي فكرة محاولة عرقلة عملية الانسحاب عن طريق القيام بسلسلة من العمليات التخريبية ضد أهداف أمريكية وبريطانية وكان الهدف هو حمل بريطانية على إعادة النظر في قرارها بالانسحاب في ٢ تموز ١٩٥٤ ، نفذت أول عملية وضعت قنابل حارقة في صناديق البريد في حي الرمل بالاسكندرية وفي ١٤ تموز وضعت قنابل حارقة في المكتبات الامريكية في القاهرة

---

(٥٤) تفاصيل مقتل اللورد مورين وتورط يهود مصر في عملية اغتياله ، راجع أحمد أبو كف . مصدر سبق ذكره .

(٥٥) زئيف شيف وإيتان هبار ، المعجم العسكري الاسرائيلي ، دار نشر زمورا ١٩٧٥ ، ترجمة مركز الدراسات الفلسطينية ، ص ٤٠٠ ـ ٤٠١ .

والاسكندرية ، وفي ٢٣ تموز وهو يوم ذكرى قيام الثورة تم توسيع نطاق العمليات . فلقد انطلقت عدة مجموعات من أفراد الشبكة إلى دور السينما في القاهرة والاسكندرية ومخزن في محطة القطار بالقاهرة وزرعوا القنابل وقد ألقي القبض بعد ذلك على جميع أفراد الشبكة اليهودية وبينهم الدكتور موشي مرزوق وشموئيل عزار ومارسيل نينيو وفيكتور ليفي وروبيرت داسا ومئير زعفران ومئير ميوحاس وايلي يعقوب وتسفار كوهين . كما اعتقل يهودي مصري آخر يدعى يوسف كرمونا كما اعتقل مئير بينان وهو ضابط برتبة نقيب في جيش الدفاع الاسرائيلي ووكيل المخابرات الاسرائيلية والذي كان على صلة مباشرة مع أفراد الشبكة اليهودية .

وفي ١١ كانون الاول ١٩٥٤ جرت في القاهرة محاكمة أفراد الشبكة فانتحر بينان في سجنه وفي ٢٧ كانون الثاني ١٩٥٥ أصدرت المحكمة العسكرية في القاهرة أحكامها بالإعدام على الدكتور مرزوق الذي كان يعمل طبيبا في المستشفى اليهودي في القاهرة وشموئيل عزار مدرس في الاسكندرية ، أما بقية أفراد الشبكة فقد صدرت احكام بالسجن المؤبد ومدد تتراوح بين ٧ إلى ١٥ سنة .

العلماء الألمان :

فوجئت « اسرائيل » في ٢١ تموز ١٩٦٢ باطلاق صاروخ أرض ـ أرض من نوع الظافر والقاهر . وفي نفس اليوم أعلن الرئيس الراحل عبد الناصر أن بوسع هذه الصواريخ أن تصل إلى جنوب بيروت . وجاءت هذه المفاجأة متعارضة مع تقدير الموقف الذي كان يسود الأوساط الاسرائيلية بشأن القدرة التكنولوجية المصرية . وقد أخذ الموساد على عاتقه مهمة توفير المعلومات المتاحة في هذا المجال واتضح أن علماء وفنيين المان يعملون في مصر في برنامج الصواريخ المصرية . واتضح ان البرنامج كان يشمل تطوير (٩٠٠) صاروخ . وكانت المشكلة الرئيسية التي تواجه البرنامج هي مشكلة توجيه هذه الصواريخ والتي لم تجد الحل حتى نهاية ١٩٦٢ [٥٦] .

وفي منتصف شهر آب ١٩٦٢ توجه نائب وزير الدفاع شمعون بيريس إلى وزير الدفاع الالماني فرانس جوزيف شتراوس وطلب اليه التدخل لوقف عمل العلماء الالمان في مصر ، بينما قررت الجهات الأمنية الاسرائيلية عرقلة وإحباط المشروع المصري الالماني وعلى هذا الأساس نفذت عدة عمليات مباشرة بواسطة شعبة العمليات الخاصة في الأقطار المعادية ، والتي كانت في حينه جزءا من الاستخبارات التابعة لرئاسة الأركان العامة ، أما الموساد فقد بدأ حملة لحمل العلماء الالمان في مصر على ترك عملهم هناك . وفي ٢٠ آذار ١٩٦٣ اعلنت غولدا مئير وزيرة الخارجية أمام الكنيست ونيابة عن جميع أعضائها ، ان نشاط العلماء الالمان يشكل خطرا على أمن اسرائيل . وقد أدى هذا البيان الى حدوث أزمة أدت الى استقالة رئيس جهاز الموساد ايسير هاريل في ٢٥ آذار ١٩٦٣ .

وفي ١ أيلول من نفس العام قررت حكومة « اسرائيل » ضرورة الاستمرار في العمليات الموجهة ضد العلماء الالمان في مصر وفي ١١ أيلول ١٩٦٣ أقرت لجنة الخارجية والأمن التابعة للكنيست موقف الحكومة .

وباتداء من خريف ١٩٦٢ ومطلع عام ١٩٦٣ ثم العمليات التي نفذت في عام ١٩٦٤ بدأت حملة استهدفت وقف نشاط العلماء فقد نفذت سلسلة عمليات منها إرسال طرود ناسفة إلى العلماء الألمان في القاهرة ، مما أدى إلى إصابة عدد من العلماء ومساعديهم . كما أن هذه العمليات أدت الى عرقلة برنامج الصواريخ المصري ، وأعاق عملية الحصول على الأجهزة والمواد المطلوبة وردعت العلماء الألمان من الاستمرار في نشاطهم .

وكانت تدير هذه العمليات شبكة تزعمها وول ولفغانغ لوتز ، وهو اسم مستعار ، واسمه الحقيقي جور آريه وهو برتبة رائد بالجيش الاسرائيلي وقد أوفده الموساد إلى القاهرة وقد تولى إرسال الطرود الناسفة إلى العلماء الألمان مما نجم عن ذلك إصابة عدد من الأشخاص وقد شاركته في هذه العمليات (فتلرود نومان) .

ان المخابرات الاسرائيلية تقوم بتنظيم شبكات للتجسس داخل أراضي كافة الأقطار العربية . وفي بعض هذه البلدان حيث تشكل الجالية اليهودية عددا ضئيلا من الأشخاص ، أو لا يكون باستطاعة

(٥٦) زئيف شيف وإيتان هبار ، (العلماء الألمان) ، المعجم العسكري الاسرائيلي ، ترجمة مركز الدراسات الفلسطينية ، ص ٣٠٠ ـ ٣٠٢ .العلماء الألمان . راجع : استيف أبتان ، عين تل ابيب ، ترجمة مطاع صفدي ، دار العودة ، بيروت ، ص ١٠١ ـ ١٢٠ .

ممثلي هذه الجاليات التسلل الى مصادر الأخبار المهمة ، يقوم الاسرائيليون بتجنيد العملاء المحليين والاجانب فعلى سبيل المثال تمكنت سلطات الامن في مصر من كشف شبكة تجسس اسرائيلية تعمل داخل مصر وذلك في آب ١٩٦٩ حيث كانت تتكون من خمسة أشخاص ثلاثة منهم من رعايا المانيا الاتحادية أما الاثنان الآخران فمن رعايا مصر . لقد كانت مهمة أعضاء هذه الشبكة جمع المعلومات عن القوات المسلحة المصرية ، وعن الاوضاع السياسية داخل مصر وكل ما يدخل في اهتمام المخابرات الاسرائيلية ، ومن ثم رفع هذه المعلومات إلى ممثلي المخابرات الاسرائيلية المقيمين في أوربا . وذلك عن طريق السفرات التي كان يقوم بها أفراد الشبكة إلى فرنسا أو المانيا الاتحادية ، حيث كانت تأخذ طريقها فيها بعد إلى داخل اسرائيل . وقد أصدرت السلطات القضائية في مصر حكم الموت على يوسف حمدانة أحد اعضاء الشبكة المصريين ، أما بقية الاعضاء فقد صدر عليهم الحكم بالسجن لمدة ١٥ عاما .

تحتل مصر موقعا استراتيجا هاما في مخططات الكيان الصهيوني ، وقد اكتسبت مصر هذا الموقع عن جدارة ليس فقط لأنها جزء غني من « أرض الميعاد » وإنما أيضا بحكم موقعها المؤثر في قيادة الوطن العربي الذي يعي الصهاينة تماما أن وحدته تمثل خطرا على وجود دولتهم[٥٧] .

ورغم أن السياق التاريخي للحقبة الأخيرة يشير إلى أن الصهيونية تسعى لتحقيق أهدافها الاستعمارية بخطى متصلة ، ففلسطين (تحت سيطرة اليهود) كانت بالنسبة للعرب في أوائل هذا القرن مجرد وهم لا يقوى على مواجهة واقع الأغلبية العربية في فلسطين وأمام التداعي العربي ، تبدو الصهيونية الآن أكثر طموحا لتحقيق أحلامها ، وهي بعد لم تتخل عن أفكارها القديمة ، يقول مناحيم بيغن « نحن وعدنا بهذه الأرض في الكتاب المقدس ولنا الحق فيها » .

وفي المفهوم اليهودي (الديني) تعني الأرض المقدسة كل الأرض التي عاش فيها اليهود ، أي العراق وسورية ومصر والمدينة المنورة .

ولا يزال الصهاينة ينشرون من الخرائط التاريخية ما يشير الى أن سيناء لم تكن ضمن الحدود المصرية في العهد العثماني ، عدا ذلك الجزء الممتد من السويس إلى العريش إلى المنطقة الغربية الشمالية من سيناء ..

أما بقية المناطق فقد ألحق قسم بمتصرفية القدس والآخر بولاية الحجاز وما المشكلة المثارة الآن حول « طابا » المصرية إلا وجها من أوجه هذه الأطماع ، ولقد عبر بن غوريون عام ١٩٥٧ عن أطماع الصهيونية عندما احتلت قوات الغزو الصهيوني سيناء فقال « هذه أرض اسرائيل » بل إنه اطلق على شرم الشيخ « م ف١ ع ش شلومو » .

وإذا كان الاستيلاء على أراضي مصرية هدفا استراتيجيا في السياسة الصهيونية فإن هناك مخططات « دون الاستراتيجية » تسعى هذه السياسة لإنجازها في المرحلة القريبة لتخدم بها أهدافها النهائية ، خاصة بعد اتفاقيات كمب ديفيد .

---

(٥٧) نقلاً عن أحمد الصاوي « الأطماع الصهيونية في مصر » مجلة اليقظة العربية العدد الخامس ، القاهرة تموز ١٩٨٥ ، ص ٤٦ ـ ٦١ .

الخاتمــــة

ان البلاد العربية بما فيها مصر كانت مأوى وموئلا للمضطهدين من اليهود في المجتمعات الغربية فأحسنت وفادتهم وساوتهم بأبنائها على كافة الأصعدة ولم تكره أحدا منهم على مغادرة مصر .

إن المنظمة الصهيونية العالمية واسرائيل باتهامها السلطات المصرية بمعاملة اليهود معاملة سيئة لتؤلب الرأي العام العالمي ضد العرب بصورة عامة وضد السلطات المصرية بصورة خاصة . والضغط على يهود مصر لحملهم على الهجرة إلى فلسطين المحتلة وتهيئة أسباب وعوامل هجرتهم ، تحقيقا لأطماعها التوسعية ، وإخفاء ممارساتها التعسفية والإرهاب ضد الشعب العربي الفلسطيني في فلسطين المحتلة .

إن معاداة السامية ليست حركة ضد اليهود بل هي سلاح في أيدي تنظيمات اليهود تشهرها في وجه من يريدون أن ينالوا منه فردا كان أو جماعة أو دولة .

إن هدف الحركة الصهيونية هو إقامة دولة يهودية في فلسطين وجميع يهود العالم فيها وتوفير أسباب الحياة والرفاه لها على حساب الأمة العربية والشعب العربي الفلسطيني وهذا المشروع يرمي إلى تحقيق أهداف استعمارية تكفل لها وللدول الامبريالية السيطرة الاقتصادية والسياسية على الأقطار العربية والشعب المصري .



المصادر

١) أحمد محمد غنيم وأحمد أبو كف ، اليهود والحركة الصهيونية في مصر ، ١٨٩٧ ـ ١٩٤٧ ، دار الهلال ، القاهرة .

٢) استيف ايتان ، عين تل ابيب ، ترجمة مطاع صفدي ، دار العودة ، بيروت ١٩٧٠ .

٣) الياس سعد ، الهجرة اليهودية الى فلسطين المحتلة ، مركز الابحاث ، منظمة التحرير الفلسطينية ، بيروت ١٩٦٩ .

٤) زئيف شيف وايتان هبار ، المعجم العسكري الاسرائيلي ، دار نشر زمورا ١٩٧٥ ، ترجمة مركز الدراسات الفلسطينية .

٥) سهام نصار ، اليهود المصريون بين المصرية والصهيونية ، دار الوحدة ، بيروت ١٩٨٠ .

ك ٦) د . عبدالعظيم رمضان ، صراع الطبقات في مصر ، القاهرة .

٧) عبدالمنصف محمود ، اليهود والجريمة ، المجلس الأعلى للشؤون الاسلامية ، القاهرة ١٩٦٧ .

٨) د . عبدالوهاب الكيالي ، تاريخ فلسطين الحديث ، المؤسسة العربية ، للدراسات والنشر ، بيروت ١٩٧٣ .

٩) علي ابراهيم عبده ، خيرية قاسمية ، يهود الأقطار العربية ، مركز الأبحاث ، منظمة التحرير الفلسطينية ، بيروت ١٩٧٠ .

١٠) علي محمد نظيف ، أعوان اسرائيل في مصر ، دار المعارف بمصر ١٩٥٥ .

١١) فؤاد يسواف جيلينسكي ، الشبكة السوداء ، ترجمة مركز الدراسات الفلسطينية بجامعة بغداد ١٩٧٥ .

١٢) د . قاسم عبده قاسم ، اليهود في مصر ، منذ الفتح العربي حتى الغزو العثماني ، المؤسسة العربية للدراسات والنشر بيروت ١٩٨٠ .

١٣) د . مصطفى كمال عبدالعليم ، اليهود في مصر في عصري البطالمة والرومان ، مكتبة القاهرة الحديثة ، القاهرة ١٩٦٨ .

١٤) مؤسسة الدراسات الفسطينية المعاهدة المصرية الاسرائيلية ، بيروت ١٩٧٩ .

١٥) الموسوعة العبرية ، شركة اصدار الموسوعات ، ترجمة مركز الدراسات الفلسطينية ١٩٨٦ .

١٦) د . نزار عبداللطيف الحديثي ، الأمة العربية والتحدي ، دار الحرية للطباعة ، بغداد ١٩٨٥ .

١٧) يعقوب خوري ، اليهود في البلدان العربية ، دار النهار للنشر ، بيروت ١٩٧٠ .

المجلات :

مجلة اليقظة العربية ـ العدد الخامس ـ القاهرة ١٩٨٥ .

مجلة قضايا عربية ـ بيروت ـ تشرين الثاني ١٩٨٠ .

المصادر الاجنبية :ـ

1. Berger, E., Who Knows Better Must Say So: New York 1955.

2. Crum, C. Bartly: Behind the Silken Curtain, New York 1974.

3. Cohen, J. Hayyim: The Jews of the Middle East.

4. Fargeon, M., Le Juifsen Egypte. Depuis Les Origines Jusqu'a Ce Jour Le Caire 1938. P. 181-182.

5. Landshut, S., Jewish Communities in the Muslem Countries of the Middle East London 1950.

6. Schechtman, J.b., On Wings of Eagles, New York. 1960.

بحوث التاريخ العربي والاسلامي

ومن لم يَعِ التاريخَ في صدرهِ

لم يدرِ حُلْو العيش من مُرِّهِ

ومن وعيَ أخبارَ مَنْ قد مضى

أضاف أعماراً الى عمرهِ

نظام الإدارة في المغرب والأندلس أيام المرابطين

د . صالح محمد فياض أبو دياك

كلية الآداب ـ جامعة اليرموك

ملخص البحث

بين البحث أهمية الإدارة باعتبارها الأسلوب العملي للنظام السياسي ، مبيناً أهمية خططها ، فخطة الكتابة تعد من أبرز الخطط الإدارية ، لهذا حرص الأمراء المرابطون على اختيار أفضل الكتاب ممن مهروا في صناعة الكتابة والانشاء ، وكان جلهم من الأندلسيين . وجرى على هذا النهج الموحدون الذين جاءوا من بعدهم .

أما خطتا الوزارة والولاية ، فقد راعوا فيهما القرابة والصهر والولاء ، ويرجع ذلك لأهمية الخطتين في الدولة ، وهذا ما ادركه الخلفاء الموحدون وسلكوه .

والملفت للنظر عدم بقاء ولاتهم في مناصبهم مدة طويلة من الزمن ، اذ سرعان ما يقومون بتغييرهم ، ولعل هذا راجع الى عدم الاطمئنان إليهم ، لا سيما وأنهم كانوا شديدي المراقبة لهم ، يعاقبون من تهاون منهم مهما كانت منزلته عند السلطان .

ومن النقاط المهمة في البحث ، ادراك الأمراء لأهمية الفقهاء والأخذ بآرائهم والعمل بمشورتهم قصد التقرب منهم ، إرضاء لله ولأبناء الامة .

ويبدو أن عدم وضوح بعض الخطط الادارية في إدارتهم ، يرجع الى قصر عمر دولتهم ، والى الحروب المستمرة التي قاموا بها ضد الإسبان دفاعاً عن إخوانهم المسلمين بالأندلس ، مع بساطة عيش الحكام وحرصهم الشديد على تطبيق الاحكام والشعائر الدينية ، وانزال مذهب مالك منزلة سامية في التشريعات وسن القوانين .

تعد الأعمال الإداريه ذات صفه ثانويه اذا ما قيست بالأعمال السياسية ، فهي الترجمة العملية لأي نظام سياسي ، ولما كان حديثنا عن نظام الإدارة في المغرب والأندلس أيام المرابطين ، لذا وجب علينا الإشارة إلى مفهوم الإدارة في الإسلام أيام دولة الرسول عليه السلام ، والخلفاء الراشدين رضوان الله عليهم ، حيث كان نظام الإدارة عندهما نظاما مركزيا ، باعتبار أن الحاكم مسؤول عن تنفيذ القوانين ، وأن العلاقه بينه وبين عماله علاقه مباشره ، وأن أي تمرد على أولئك الولاة يعد تمردا على الحاكم نفسه ، من هذا المنطلق آمن الخليفه عمر بن الخطاب بهذا المفهوم وعبر عن إيمانه بقوله :ـ والله لو عثر بعير بالعراق لكنت مسؤولا عنه[1] . ولعل الظروف التي مرت بها الدوله الاسلاميه ابتداء من عهد الرسول الكريم وانتهاء بآخر خليفة من الخلفاء الراشدين ، جعلت نظام الادارة فيها نظاما مركزيا يشرف الخليفه فيه على الولاة ويراقب أعمالهم ، يساعده في عمله هيئة من أهل الحل والربط ، ويمكننا أن نسميها في وقتنا الحاضر

(١) العدوي ـ ابراهيم ، النظم الاسلامية (مقوماتها الفكرية ومؤسساتها التنفيذية في صدر الاسلام والعصر الأموي) القاهرة ١٩٧٢ ، ص ١٩٦ .
(٢) نفسه ص ٢٠٤ .

ب ـ (الرقابة الادارية)(٢) وأولت الدولة الإسلامية منذ قيامها زمن الرسول الكريم اهتماما كبيرا في تطبيقها ، فكان عليه السلام يراقب العمال ويستمع الى شكاوي المتظلمين من أبناء الأمة ،وجرى على هذا النهج من بعده الخليفه أبو بكر الصديق ، وتبعه الخليفة عمر فقد خطب يوما بعماله قائلا :ـ « ألا وإني لم أبعثكم أمراء ولا جبارين ، ولكن بعثتكم أئمة الهدى يهتدي بكم ، فأدروا على المسلمين حقوقهم ، ولا تضربوهم فتذلوهم ... ثم قال أيها الناس أني أشهدكم على أمراء الأمصار أني لم أبعثهم الا ليفقهوا الناس في دينهم ويقسموا عليهم فيأهم ، ويحكموا بينهم ، فان أشكل عليهم شيء رفعوه »[٣] .

وكان يعزل الوالي إذا شكاه أهل البلد أو الإقليم ، وربما عزله خوفا من افتتان الناس به مثلما حصل مع زياد بن أبيه ، حينما قال له زياد : « أعن عجز عزلتني يا أمير المؤمنين أم عن خيانة . فقال لا عن هذا ولا عن ذاك ، ولكني كرهت أن أحمل على الناس فضل عقلك ... »[٤] .

ولما جاءت الدولة الأموية استبدلت نظام المركزية في الإدارة باللامركزية ، ولما انقرضت وحلت محلها الدولة العباسية أعادت نظام المركزية في الإدارة حسب ما كان معمولا به أيام الرسول والخلفاء الراشدين [٥] . يتبين لنا مما تقدم ان نظام المركزية واللامركزية في الادارة الاسلامية مر في مراحل زمنية متعددة ، فكانت كل دولة تأخذ بأحد النظامين حسب الظروف المحيطة بها .

أما عن نظام الادارة في المغرب والاندلس أيام المرابطين ، فكان نظامها مركزيا ، ويرجع السبب الى رغبة أمرائها في تقليد السلف الصالح من الحكام ، ورغبتهم في الابتعاد عن الألقاب الفخمة بسبب قرب عهدهم من البداوة [٦] وتجميع السلطات في أيدي أمرائهم[٧] مع الاستعانة بهيئة استشارية من أهل الحل والربط مكونة من الفقهاء والكتاب وأبناء عمومة الأمير ، وزعماء المرابطين من قبيلة لمتونة واعيان قبائل صنهاجة ، الذين يلازمونه في قصره ويتنقلون معه عند تجواله في الولايات ، يبدون آراءهم في الأمور المطروحة للمناقشة ولا يبتون فيها ، ولعل عملهم أشبه بعمل الوزراء وان لم يتسموا بذلك[٨] ، فالوزارة عندهم لم تكن محددة ، وصلاحيات الوزير لم تكن معروفة ، ففي عهد الأمير يوسف بن تاشفين وجد عدة وزراء ، منهم ، محمد بن عبدالغفور الذي يسميه صاحب (الحلل)[٩] بالوزير ، رغم أن صلاحياته لم تتعد كتابة نص التولية ، الذي أصبح ابنه عليا بموجبه وليا للعهد ، وهو بعمله هذا أميل الى عمل الكاتب من الوزير ، وان كانت مهنتا الكتابة والوزارة في عهدهم مرتبطتين ببعضهما البعض يصعب التمييز بينهما ، فقد يكون الكاتب وزيرا وقد يكون الوزير كاتبا .

ومن الذين مارسوا مهنة الوزارة أيام الامير علي بن يوسف ينتان بن عمر الذي كان قائدا للحشم[١٠] وشفيعاً للمهدي بن تومرت اثناء استجوابه من قبل الفقهاء في حضرة الأمير ، ويبدو أنه كان صاحب منزلة رفيعه عند الأمير وكلمته مسموعه عنده ، فهو جندي من الطراز الاول وعضو في (الأخوة المرابطية) حسب ما جاء في كتاب النظم الاسلامية[١١] .

أما أبنه اسحاق البالغ من العمر ثمانية عشر عاما ، فقد عمل وزيرا في بلاط الامير علي بعد موت أبيه ، وكان على جانب من الذكاء والمعرفة بعلم الحدثان ، وقد انتشر خبره بين الناس مما لفت نظر الأمير علي ، فسأله عن ذلك فأجاب بمعرفته للأمور الخفية ، وطلب من الأمير أن يختبره ، وأجرى له الامير اختبارا تحقق فيه من صحة

---

(٣) نفسه ص ٢٠٦ .
(٤) طبلية القطب محمد ، نظام الادارة في الاسلام ط (٢) القاهرة (١٩٨٥) ص ٧٣ ـ ٧٤ .
(٥) نفسه ص ٦٤ ـ ٦٥ .
(٦) سعدون عباس نصرالله (دولة المرابطين في المغرب والأندلس) دار النهضة العربية بيروت ط (١) سنة ١٩٦٧ ، ص ١٦٧ .
(٧) حسن ابراهيم حسن ، تاريخ الاسلام السياسي والديني والثقافي والاجتماعي ـ دار إحياء التراث العربي ، بيروت ط (١) سنة ١٩٦٧ جـ ٤ ، ص ٣٣١ .
(٨) حسن ابراهيم ، تاريخ الاسلام ، جـ ٤ ص ٣٣٠ .
(٩) مؤلف مجهول ، الحلل الموشية في ذكر الأخبار المراكشية ، تحقيق ـ علوش ، الرباط سنة ١٩٣٦ ، ص ٦٣ .
(١٠) لقبهم المهدي بالحشم (النساء) لأنهم يشبهوهن في تغطية الوجوه والتلثم ، راجع ابن قطان ، نظم الجمان ، تحقيق ـ محمود علي مكي ، المطبعة المهدية ـ تطوان ـ المغرب د ـ ت ، ص ٤٥ .
(١١) ب ـ هوبكنز ، النظم الاسلامية في المغرب في القرون الوسطى ، تعريب ـ أمين توفيق الطيبي ، الدار العربية للكتاب ـ ليبيا ـ تونس ، ١٩٨٠ ، ص ٤٢ وما بعدها .

معرفته[١٢] ، وممن كان أجدر بهذا اللقب دون سواه ، مالك بن وهيب بن أسبط وأسباط من أهل المرية بالاندلس . فقد تسمى بالوزير زمن الأمير يوسف ، ومن بعده ابنه الأمير علي وان عده بعض المؤرخين من الكتاب دون الوزراء ، وقد تفوق على أقرانه بسعة علمه وحسن مشاركته في جميع العلوم ، الا انه كان لا يظهر الا ما يتفق مع ذاك العصر ، وكان له مؤلفات من أهمها ، كتاب سماه « قراضة الذهب في ذكر لئام العرب » ضمنه لئام العرب في الجاهلية والإسلام ، وضم الى ذلك ما يتعلق به من الأدب ، فجاء الكتاب لا نظير له في فنه ، وله كتاب آخر اسمه الثمرة لبطليموس في الأحكام ، وكتاب المجسطي في علم الهيئة ، وعليه حواش بتقييده أيام قراءته على رجل من أهل قرطبة اسمه حمد الذهبي[١٣] ، وكان له معرفة بعلم الحدثان مما ساعده على معرفة شخصية المهدي الذي أشار على الامير باعتقاله ، لكنه لم يستمع لرأيه .

وعاش الرجل أيامه الأولى في الأندلس مغموراً ، إلى أن رحل عنها متجها الى المغرب ، وهناك اتصل بالاميرة زينب زوج الأمير يوسف بن تاشفين وصار من رجال حاشيتها ، ثم أصبح من كتابها ، ولما توفيت نقله الامير الى بلاطه وجعله كاتبا عنده ، فأتقن عمله مما لفت نظر الامير اليه ، ونال ثقته عنده بسبب هدوئه وحصافته واتقانه للغة البربرية والعربية ، فكان ترجمانا له ومن خاصة بطانته مما جعل له أهمية كبيرة عنده يأخذ برأيه ، ويستمع الى أقواله ، فهوالذي أشار على الأمير بمطالبة ابن عباد باعطائه قاعدة لجيوشه في الجزيرة الخضراء ، وبناء على إشارته طالب الأمير يوسف ابن عباد بذلك فأجابه ابن عباد الى طلبه واعطاه ثغراً في الجزيرة[١٤] .

وتولى منصبه بعد وفاته أيام الامير علي الكاتب الشهير محمد بن سليمان بن القصيرة المعروف بأبي بكر بن القصيرة الذي كان وزيرا للمعتمد بن عباد ، ثم أصبح من أبرز كتاب الأمير يوسف بن تاشفين ، وهو ممن جمع بين منصب الكتابة والوزارة في دولة الأمير يوسف وولده الأمير علي وكان مقره في الحاضرة مراكش[١٥] ، ويعد هذا الكاتب الوزير من الوزراء المركزيين الذين كانوا من خاصة بطانة الامير يقيمون معه في الحاضرة مراكش[١٦] وبقي في منصبه الى أن توفاه الله أيام الامير علي سنه ٥٠٨ هـ/ ١١١٤ م ، ومثل هذا المنصب كان صاحبه يسمى بالحاجب ، واحيانا بالوزير ، واحيانا أخرى بذي الوزارتين ، إذ كان مسؤولا عن الوزارة والكتابة لكن رغم ذلك كانت صلاحياته محدودة .

ويصف ابن الصيرفي[١٧] في بلاغة ابن قصيرة ومهارته في الكتابة فيقول :ـ الوزير الكاتب الناظم الناثر القائم بعمود الكتابة والحامل للواء البلاغة ، الذي لا يشق غبارة ، ولا تخمد أنواره ، اجتمع له براعة النثر وجزالة النظم[١٨] .

وفي استخدام الامير يوسف لهؤلاء الوزراء وأمثالهم دل على بعد ادراكه رغم عدم معرفته للغة العربية .

أما ابنه الامير علي فقد أشاد صاحب (المعجب) بحسن اختياره لعدد من الكتاب الأندلسيين بقوله : ـ « ولم يزل أمير المسلمين علي بن يوسف يستدعي أعيان الكتاب من جزيرة الاندلس ، وصرف عنايته الى ذلك ، حتى اجتمع له منهم ما لم يجتمع لملك ، كأبي القاسم بن الجد المعروف بالاحدب[١٩] ، وأبي بكر محمد بن محمد المعروف بابن القبطرنة[٢٠] وأبي عبد بن أبي الخصال وأخيه أبي مروان ، وأبي محمد

---

(١٢) ابن عذاري ـ المراكشي ، البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب ، تحقيق ـ إحسان عباس ، دار الثقافة بيروت ١٩٦٧ ، جـ ٤ ، ص ١٠١ .

(١٣) المراكشي ـ عبد الواحد ، المعجب في تلخيص أخبار المغرب ، تحقيق ـ محمد سعيد العريان ، محمد العربي العلمي دار الكتاب ـ الدار البيضاء ـ المغرب ط (٧) ، ١٩٧٨ ، ص ٢٧١ .

(١٤) عنان ـ عبد الله ، عصر المرابطين والموحدين في المغرب والأندلس ، ط (١) القاهرة ١٣٨٣هـ / ١٩٦٤م ، جـ ١ ص ٥٢ ـ ٥٣ ، النظم الاسلامية ، ص ٤٢ وما بعدها .

(١٥) السلاوي ، أبو العباس احمد الناصري ، الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى ، دار الكتاب ـ الدار البيضاء المغرب سنة سنة ١٩٥٤ ، جـ ٢ ، ص ٣٣ ـ ٣٤ ، ص ٣٧ .

(١٦) حسن ابراهيم حسن ، تاريخ الاسلام ، جـ ٤ ، ص ٣٣١ .

(١٧) هو أبو زكريا يحيى بن محمد بن يوسف الانصاري الغرناطي ، يكنى بأبي بكر ، ويعرف بابن الصيرفي ، صاحب كتاب « الأنوار الجلية في أخبار الدولة المرابطة » ، كان كاتباً عند الأمير تاشفين بن علي يوسف بن تاشفين ، عنه ، راجع ، ابن الخطيب .

(١٨)

(١٩)

(٢٠)

عبدالمجيد بن عبدون .... وكان ـ من أنبههم عنده وأكبرهم مكانة لديه : أبو عبدالله محمد بن أبي الخصال ، وحق له ذلك ، اذ هو آخر الكتاب ، وأحد من انتهى اليه علم الأدب ...[٢١] يستدل من ذلك أن هناك نخبة من الكتاب والأدباء ممن مارست الكتابة والوزارة في الاندلس أيام ملوك الطوائف ، فأبو محمد عبدالمجيد بن عبدون ، كان قد ولي الوزارة للمتوكل بن الافطس[٢٢] ، ثم قدم الى المغرب وعمل كاتباً في بلاط الامير يوسف ثم في بلاط ابنه الامير علي من بعده ، وصبغ منصبه بصبغة سياسية ، ونجد المقّري حينما يدعو ابن برد (الوزير الكاتب) والمراكش يسمى ابن عبدون بـ (الوزير) فقد كانا يتمتعان بهذه الصفة من قبل أيام وجودهما في الاندلس[٢٣] والملاحظ لم نجد من الكتاب الذين مارسوا مهنة الكتابة أو مهنة الكتابة والوزارة معاً أيام الدولة المرابطية كاتباً واحداً من البربر ، ومع هذا فان سلطاتهم لم تكن تتعدى الأمور الفنية من كتابة الكتب الرسمية ، حيث نجد عدداً كبيراً من الرسائل الصادرة عن ديوان الانشاء إن جاز لنا القول والموجودة في مصنفات متعدده مثل « قلائد العقيان » و « مطمع الأنفس » لابن خِلّكان ، و « الذخيرة » لابن بسام و« نفح الطيب » للمقري بالاضافة الى إحدى وعشرين رسالة ذكرها ليفي بروفنسال ـ في مجموعة لم تنشر بعد[٢٤] ، وهذه الرسائل كتب بعضهم منها بأسلوب جزل الألفاظ ، صحيح المعاني ، دون النظر الى السجع الذي أحدثه الكتاب المتأخرون ، من هؤلاء ابو محمد عبدالمجيد بن عبدون الذي كتب رسالة للأمير علي يخبره فيها بفتح مدينة شنترين[٢٥] على يد القائد سيرين بن أبي بكر قال « أدام الله أمير المسلمين وناصر الدين ، أبا الحسن علي بن يوسف بن تاشفين ، خافقة بنصرة الدين أعلامه ، نافذة في السبعة الاقاليم أقلامه ، من داخل مدينة شنترين ، وقد فتحها الله تعالى بحسن سيرتك ..... الى أن يقول ـ وهذه القلعة التي انتهينا إلى قرارها واستولينا على أقطارها أرحب المدن أمدا للعيون ، وأخصبها بلداً في السنين ، لا يريمها الخصب ولا يتخطاها ...)[٢٦] . الخ القول ومن مثل ابن عبدون ، وابن ابي الخصال ، الكاتب ابو جعفر بن عطية الذي كان يقيم مع حضرة الامير علي بمراكش ، ثم مع ابنه من بعده الامير تاشفين ، الى أن هزمهم الموحدون وأصبح يعمل في بلاط أمير المؤمنين عبدالمؤمن بن علي بعد انقراض دولة المرابطين ، لكن القدر لم يمهله حيث قتله الخليفة عبدالمؤمن في خبر اورده صاحب المعجب[٢٧] .

أما كتاب الاقاليم المسمون بالوزراء الاقليميين[٢٨] ، فكانوا لا يقلون جودة ومهارة في صناعة الانشاء والكتابة عن الكتاب المركزين ، من هؤلاء الأديب الحكيم محمد بن الصائغ المعروف بان باجه ، الذي كان وزيرا وكاتبا عند والي مدينتي بلنسية وسرقسطة الواقعتين بشرق الاندلس ابو بكر بن ابراهيم ابن تيفلويت المسوفي ، والكاتب أبو عامر بن عقيد[٢٩] ، الذي كان من أبرز كتاب والي مدينة مرسيه ومن حولها ابراهيم بن يوسف بن تاشفين[٣٠] .

وبالجملة فإن الكتاب الوزراء المركزيين أو الإقليميين لم تكن سلطاتهم تتعدى الاستشارة في بعض الأمور . أما الوزراء من أشياخ المرابطين أمثال سير بن أبي بكر للمتوني القائد العسكري المعروف والاداري الناجح ، الذي عينه الأمير يوسف بن تاشفين حاكماً عاماً على ما ضمه من الاندلس لامارته ، وأوصاه بأن يعين على كل بلد يخضع لسلطانه حاكما من لمتونة ، ولعل إمارته من الامارات الخاصة التي كانت في الدولة الاسلامية السابقة للدولة المرابطية . ففيها يقوم الامير على تدبير الجيوش وسياسة الرعية وحماية الحدود والذب عن الحرمات . وليس له ان يتعرض للقضاء ولا للأحكام ولا لجباية الخراج والنفقات ، وقد انفرد لهذه الخطط بالاندلس قضاتها الذين

(٢١)
(٢٢)
(٢٣)
(٢٤)
(٢٥)
(٢٦)
(٢٧)
(٢٨)
(٢٩)
(٣٠)

كانت لهم اليد الطولى والكلمة المسموعة في الدولة[٣١]، ويبدو ان عدد الوزراء من أشياخ لمتونة وصنهاجة قد كثر أيام الأمير بن تاشفين بن علي وابنه الامير ابراهيم[٣٢].

أما عن الولاة ، فقد سيطر الطابع القبلي على دولة المرابطين من الناحية الادارية ، فكان أمير المرابطين لا يعين على الولايات إلا ولاة من لمتونه بخاصة وصنهاجة[٣٣] بعامة ، فقد عين الأمير المرابطي أبو بكر بن عمر ابناء عمومته وأقاربه على الأقاليم التابعة لنفوذه ، فعين ابنه ابراهيم بن أبي بكر بن عمر على سجلماسة[٣٤] ، ويوسف بن تاشفين على بلاد غمارة وفارس . وعندما اغتصب الأمير يوسف الملك من ابن عمه الأمير أبي بكر بن عمر ، ودان المغرب لسلطانه عين على ولايات دولته ولاة من بنيه وأبناء قومه، فعين سير بن أبي بكر اللمتوني على مكناسة ومكلاته وفازاز ، وعمر بن سليمان السوفي على فارس وأحوازها ، وداود بن عائشة لى سجلماسة ودرعة ، وابنه تميم بن يوسف بن تاشفين على مدينة مراكش واغمات وبلاد السوس والمصامدة وتادلا[٣٥] وتامسنا ، وابنه ابو بكر على سبتة ، وابن مزدلي على تلمسان ، وأبقى من دخلوا في طاعته دون قتال على ولاياتهم أمثال ، المهدي بن الجزنائي أو الكزنائي صاحب بلاد مكناسة[٣٦] الذي أبقاه بعمله تحت إشراف ابن عمه وزوج أخته سير بن أبي بكر اللمتوني[٣٧] .

وكانت الأندلس أيام الحكم المرابطي تقسم الى ست ولايات ، أشبيلية ، وغرناطة ، وقرطبة ، وبلنسية ، وسرقسطة التي سقطت بيد الفرنجة سنة ٥١٢هـ / ١١١٨م[٣٨] وكانت مدينة قرطبة تتمتع في بداية الأمر بمكانة خاصة عند الأندلسيين ثم انتقل مركز الثقل الى مدينة غرناطة أيام الأمير علي بن يوسف ، ونظراً لمكانة قرطبة عند أهل الأندلس أجبر الأمير علي على جعل الحاضرة مدينة قرطبة بدلاً من مدينة غرناطة ، بينما اتخذ الموحدون مدينة أشبيلية مركزاً لقيادتهم في الأندلس طيلة وجودهم فيها .

وهناك نص كتبه الكاتب الوزير ابن أبي الخصال على لسان الأمير علي بن يوسف لولده تاشفين ، سنة ٥٢٦هـ / ١١٣١م ينص على ضم ولاية قرطبة لولده واتخاذها حاضرة له نورد منه ما يتفق مع طلب الأمير باتخاذ قرطبة حاضرة ، والاطلاع على أسلوب الكاتب الوزير بن أبي الخصال الذي يعد من كبار الكتاب ، لمهارته في صنعة الكتابة والانشاء ، وحسن اطلاعه ومعرفته في علم القرآن والحديث والأثر . ومما جاء في هذا الكتاب قوله : ـ « من أمير المسلمين وناصر الدين علي بن يوسف بن تاشفين ، أعزه الله بتقواه ، وأمده بتوفيقه وهداه كتابنا كتب الله لك معاني ومباني الخيرات ، ومهد لك مراقي الأعمال الصالحات ، من مراكش حرسها الله تعالى ، لعشرة بقين من رجب الفرد سنة ست وعشرين وخمسمائة ، وقد رأينا والله نسأله الخيرة فيها نرتبه ، والتوفيق في كل ما نضعه ، ان نجمع لك قرطبة وأعمالها إلى ذلك العمل الذي أنت فيه . فاذا وقفت على كتابنا هذا ، فنهض بنفسك على بركة الله هناك . واجعل قرطبة دار سكناك وقرارة مثواك . وعلى مقدار ما زدناك من العمل فازدد من التيقظ لاتساع ذرعك وامتداد مسعاك . واستعن بالله في اعلانك واسرارك ، وخذ من أوقات ليلك لأوقات نهارك ، واجعل لنظرك حظاً من سهرك ولفكرك مستمنحاً من تدبرك ، واستظهر بحسن المشورة في مواطن الاشتباه ، فان الله سبحانه يقول لرسوله ﷺ : « وشاورهم في الأمر فاذا عزمت فتوكل على الله » . واستخلف على غرناطة عند انفصالك عنها أبا محمد الزبير بن عمر ، أعزه الله بتقواه ، وألزمه من استشعارك

---

(٣١)
(٣٢) مؤلف مجهول ، الحلل الموشية في ذكر الأخبار المراكشية ، تحقيق ـ سهيل زكار عبد القادر زمامة ، دار الارشاد الحديثة ـ الدار البيضاء المغرب ، سنة ١٩٧٨م ، ص ١٢١ ـ ١٣٥ .
(٣٣) سعدون نصر الله ، دولة المرابطين في المغرب والأندلس ، ص ١٦٤ .
(٣٤) العبادي ـ أحمد مختار ، الصفحات الأولى من تاريخ المرابطين ، مجلة كلية الآداب ، جامعة الاسكندرية ، ع ٢١ ، س ١٩٦٧ ، ص ٧٢ ـ ٧٥ .
(٣٥) الاستقصا ، جـ ٢ ، ص ٢٧ ـ ٢٨ .
(٣٦) ابن عذاري ، البيان المغرب ، تحقيق ـ احسان عباس ، دار الثقافة بيروت سنة ١٩٦٧ ، جـ ٤ ، ص ٢٩ .
(٣٧) هو أبو بكر علي بن يوسف اللمتوني ، عين والياً على أشبيلية سنة ٥١٧هـ / ١١٢٣م ، وبقي في ولايته ثلاث سنين ثم عزل عنها واستعوض بمنصب القائد العام للجيوش المرابطة في الأندلس ، وبقي في هذا المنصب مدة سنتين ، ثم عزل وسجن لموقفه السلبي من ابيه لحرمانه من ولاية العهد واعطاءها لأخيه تاشفين وذلك سنة ٥٢٢هـ / ١١٢٨م عنه ، راجع عبد الوهاب بن منصور ، اعلام المغرب العربي ، جـ ١ ، ص ٢٤٢ .
(٣٨) الحجي ـ عبد الرحمن ، التاريخ الأندلسي ، دار القلم ، بيروت ، دمشق ، الرياض ، الكويت ، ط (١) سنة ١٩٧٦ ، ص ٤٤٨ وما بعدها .

مراقبة الله تعالى من الذي نلزمك إياه ، واعهد اليه بشاكلة ما نعهد اليك والمستعان الله لا رب سواه »[٣٩] .

وآثر المرابطون القرابة والاصهار على غيرهم في تعيين الولاة والقادة منهم في الولايات التابعة لهم[٤٠] ، ومنحهم الأمراء كثيراً من الامتيازات منها ، حرية التصرف في عزل وتعيين من دونهم من الموظفين المحليين ورجال السلطة ، والقيام بتجهيز الحملات العسكرية داخل ولاياتهم إما لفض الثورات والقضاء على الشغب ، أو لمناجزة العدو ، لكن بعضهم غالى في تصرفاته ، منهم ، القائد مزدلي اللّمتوني الذي أخضع مدينة تلمسان وما حولها لسلطان المرابطين بعد أن تنازل العباس بن يحيى أمير زناته عنها فعين ابنه يحيى واليا عليها سنة ٤٦٨هـ / ١٠٧٥م[٤١] ، لكن بعضهم تركوا شؤون ولاياتهم الداخلية لأهلها بسبب ظروف الحرب التي كانوا يعيشونها ، من هؤلاء : محمد بن عائشة الذي ترك لأهل مدينة مرسية حق اختيار من يتولى شؤون مدينتهم ، مكتفيا بامارة شرق الأندلس ، وقيادة الجيوش ، وذلك لاضطراره إلى الخروج من مقر إمارته في أوقات الحرب أو عند توجهه الى بلنسية أو جزيرة شقر طلبا للراحة[٤٢] .

وعلى الرغم من ذلك كان الولاة يخضعون لمراقبة شديدة من أمراء الدولة ، فقد عرف عن أمير المسلمين يوسف بن تاشفين ، ومن أتى من بعده من أمراء الدولة ، بمراقبتهم الشديدة للولاة وتغييرهم إن اقتضى الأمر أو عزلهم إن لم يحسنوا السيرة مع الرعية التي كانت مصلحتها تفوق كل اعتبار عنده بدليل كثرة تركيزه على الرعية في وصاياه للولاة عند تعيينهم وحثهم على الأخذ بيد الضعيف المظلوم والضرب على يد الظالم الغشوم .

وجرت العادة ان لا يعين (أمير المسلمين) واليا إلا بعد مقابلته وسبرغوره والاطلاع على الجوانب الايجابية في شخصيته ، من ذكاء وخبرة وحسن تجربة في أمور الادارة ، ودليل ذلك ما قاله الأمير علي بن يوسف لابن فاطمة عند تعيينه والياً على مدينة بلنسية ، قال : ـ « .. وانت أعزك الله ممن يستغني باشارة التذكرة ، ويكتفي بلمحتها التبصرة ، لما تأوي اليه من السياسة والتجربة » . وأوصاه بتقوى الله والتزام الحق واستخدام الرفق ليعم الخير والنفع بين أفراد الأمة ، وطالبه بنشر الأمن والعدل بين الناس والضرب على أيدي المفسدين العابثين لردهم عن غيِّهم .

وفي هذا يقول : ـ « .. فاتخذ الحق إمامك ، وملك يده زمامك ، وأجر عليه في القوي والضعيف أحكامك ، وارفع لدعوة المظلوم حجابك ، ولا تسد في وجه المضطر المظلوم بابك .. ـ الى أن يقول : ـ .. ومن تثبت عليه من عمالك زيادة أو فرق في أمرها عادة ، أو غيّر رسماً ، أو بدلّ حُكْماً ، أو أخذ لنفسه درهماً ظلماً فأعزله عن عمله ، وعاقبه في بدنه ، وألزمه رَدَّما أخذه تعديا إلى أهله .. » .

وورد في النص الذي كتبه بن أبي الخصال على لسان الأمير علي لولده تاشفين والي مدينة قرطبة ما يحمل نفس المضمون الذي ذكره في نصه المرسل لوالي مدينة بلنسية ابن فاطمة ، وكان من ضمن ما قال : ـ « وأول ما نوصيك به تقوى الله ، فاجعلها بردة شعارك وعقدة إضمارك ـ الى أن يقول ـ .. والناس كلهم سواء في أول النشأة والحال ، وانما يتميزون بالمساعي والأعمال ، الى أن يقول : ـ وان من عزم الأمور ، وحزامة التدبير ، ان يلحضوا بعين الكلاءة ... بكل سوء ومساءة . والله المستعان ، وعليه التُّكْلان ، لا رَبَّ غيره »[٤٤] .

وعلى هذا النهج جرى الأمراء المرابطون في معاقبة الولاة أو عزلهم اذا قصروا في عملهم أو أساءوا السيرة والتصرف في ولاياتهم ، من هؤلاء ، وانون بن بكر والي الجزائر الشرقية أيام الأمير علي بن يوسف عندما أجبر الناس على ترك ثغر ميورقة وانشاء مدينة داخل الجزيرة بعيدة عن البحر عوضاً عنه لأغراض عسكرية استصوبها بعد الهجوم الذي تعرضت له الجزيرة من أساطيل المدن الايطالية جنوة والبيزة ، لكن أهل الجزيرة رفضوا اقتراحه ، فساءت معاملته للناس مما اضطرهم للقيام بالثورة ضده والصبض عليه وتسليمه للأمير علي بن

(٣٩) ابن عذاري ، البيان المغرب ، جـ ٤ ، ص ٨٧ .
(٤٠) الاستقصا ، جـ ٢ ، ص ٦٣ .
(٤١) ابن عذاري ، البيان المغرب ، جـ ٤ ، ص ٢٩ .
(٤٢) عبد العزيز ـ سالم ، مدينة مرسية ، س ١٩٦٩ ، ع ٣ ، ص ١٠ ـ ١١ .
(٤٣) ابن عذاري ، البيان المغرب ، جـ ٤ ، ص ٦٣ ـ ٦٤ ، سعدون ـ عباس نصر الله ، دولة المرابطين .. ص ١٦٥ ـ ١٦٦ .
(٤٤) نفسه ، ص ٨٧ .

يوسف بعد أخباره بما حصل ، فاستجاب الأمير علي لهم وعين بدلاً منه محمد بن غانيه سنة ٥٢٠هـ / ١١٢٦م وأمر بارسال الوالي السابق الى الحاضرة مراكش لينظر في أمره[٤٥].

وهناك مثال آخر حدث مع ابراهيم بن يوسف بن تاشفين المعروف باسم ابن تاعيشت الذي عُيِّنَ على مدينة سبتة ، ثم عزله عنها وعينه على مدينة مرسية خلفاً للقائد عبد الله بن عائشة ، الذي بقي فيها الى يوم نكبته من قبل أخيه الأمير علي الذي استصفى أمواله بسبب تقصيره في أمور ولايته وما نتج عن هذا التقصير من هزيمة المسلمين في معركة كتنده (cutanda) التي خاضوها ضد الأسبان سنة ٥١٤هـ / ١١٢٠م[٤٦].

ورسخ أمراء الدولة في دولتهم التقاليد البدوية الصحراوية التي كانوا يزاولنها في مواطنهم الأولى قبل تسلمهم سلطان المغرب وبسط نفوذهم على الكثير من بقاع الأندلس تمثلت في مواصفات كان لا بد من توفرها فيمن يرشح للامارة ، منها أن يكون من قبيلة لمتونة ومن بيت وَتْنطَرْ (بفتح الواو والتاء والطاء وسكون الراء والنون) ، وأن يكون ذا كفاية حربية ، وأن يسير في سياسته وفق تعاليم مذهب مالك ، وأن يستعين في إدارة دولته برؤساء القبائل وكبار الفقهاء .

ويبدو أن مضمون هذه التقاليد كان فيها السلب والايجاب ، فقد أوجدت تنافساً بين أفراد الأسرة الحاكمة من أجل الوصول الى الحكم ، شأنهم في ذلك شأن الأمويين والعباسيين والفاطميين من قبلهم ، ولعل هذا يرجع الى العصبية القبلية التي كان لها دور أساسي في اقامة المُلْك وتدعيم أركانه ، وفي هذا يقول ابن خلدون : ـ « .. ثم أن الاستعانة بأولي القرابة من أهل النسب أو التربية أو الاصطناع القديم للدولة كانت أكمل ، لما يقع في ذلك من مجانسة خلقهم لخلقة ، فتتم المشاكلة في الاستعانة »[٤٧] .

وقد يعمد الأمراء الى نقل مفاجيء لولاتهم ، إما لطول بقائهم في ولاياتهم ، مثلما حصل مع والي أشبيلية أبي بكر بن علي ، الذي وليها من سنة ٥١٨ ـ ٥٢٢هـ / ١١٢٤ ـ ١١٢٨م ، وأمّا لأهمية الولاية التي يتولاها الوالي كولاية فاس التي تأتي في المرتبة الثانية في ولايات الدولة المغربية بعد ولاية الحاضرة مراكش ، ففي سنة ٥٤٩هـ / ١١٥٤م قام الأمير يوسف بن تاشفين بنقل واليها عبد الله بن فاطمة[٤٨] اللمتوني الى ولاية أشبيلية بالأندلس ، وإمّا لظروف تمر بها الدولة أو حاكمها فتدفعه الريبة والشك الي تغيير الولاة[٤٩] ، فالأمير يوسف بن تاشفين عندما أصيب بمرض عزل ابن الحاج عن ولاية غرناطة وعين عليها بدلاً منه أبا بكر بن ابراهيم اللّمتوني .

وظهر عند الدولة المرابطة ظاهرة جديرة بالاهتمام ، وهي أنّه عندما كان يتولى أمير مرابطي الحكم كان يلجأ إلى القيام بتنظيمات ادارية جديدة تقوم على عزل بعض الولاة وتولية غيرهم أو عزل معظمهم عن ولاياتهم وتوليتهم ولايات أخرى بدلاً منها . وهذا الاجراء لم يختلف عن نهج مؤسسي الدولة أمثال أبي بكر بن عمر ويوسف بن تاشفين ، بل هي سياسة متكاملة ينفذها الأمراء المرابطون كل حسب زمانه وظروفه ، فعندما بويع أمير المسلمين علي بن يوسف بن تاشفين عزل عن ولاية قرطبة أبا عبد الله محمد بن الحاج اللّمتوني ووليَّ مكانه أبا عبد الله محمد بن أبي زلفي ، وفي سنة ٥٠١هـ / ١١٠٧م عزل الأمير علي أخاه تميم عن بلاد المغرب وولاه

(٤٥) الحجي ـ عبد الرحمن ، التاريخ الأندلسي ، ص ٤٤٨ وما بعدها .

(٤٦) عبد الوهاب ـ بن منصور ، اعلام المغرب ، جـ ١ ، ص ٥٦ ـ ٥٧ ، ابن قطان ، نظم الجمان ، ص ٨٢ حاشية رقم (٥) .

(٤٧) ابن خلدون ، المقدمة ط (٣) القاهرة ـ د ـ ت ، جـ ٢ ، ص ٦٦٣ .

(٤٨) أبو محمد عبد الله بن فاطمة من أعظم قواد المرابطين وأشهر رجالاتهم في الأندلس اشترك في الحملة التي استنقذ المرابطون فيها بلنسية بعد وفاة السيد القنبيطور إذ أنه قاد جيشاً أمد به القائد مزدلي وذلك سنة ٤٩٥هـ / ١١٠١م ، وفي سنة ٤٩٧هـ / ١١٠٣م ، اشترك مع ابن الحاج في غزو طليطلة وطلبيرة . ثم ولي بلنسية ، وشرق الأندلس بعد ذلك واستولى في نفس السنة على مملكة بن رزين الصغيرة وفي سنة ٥٠١هـ / ١١٠٧م اشترك في فتح اقليش . وفي سنة ٥٠٣هـ / ١١٠٩م عزل عن بلنسية وولي غرناطة . ثم انتقل بعد ذلك الى فاس بالمغرب عاملاً عليها في سنة ٥٠٤هـ / ١١١٠م . وفي سنة ٥٠٩هـ / ١١١٥م عاد الى الأندلس عاملاً على اشبيلية يحكمها الى أن توفي سنة ٥١١هـ / ١١١٧م . راجع ، محمود علي مكي وثائق تاريخية جديدة عن عصر المرابطين ، صحيفة معهد الدراسات الاسلامية بمدريد سنة ١٩٥٩م ـ ١٩٦٠م ، ص ١٥٢ ـ ١٥٥ .

(٤٩) ابن عذاري ، البيان المغرب ، جـ ٤ ، ص ٤٥ .

(٥٠) تميم بن يوسف بن تاشفين أخو الأمير علي بن يوسف ولي حكم غرناطة بين سنتي ٥٠٠ ـ ٥٠٣هـ / ١١٠٦ ـ ١١٠٩م ثم نقل الى ولاية تلمسان بالمغرب ، وأعيد بعد ذلك الى ولاية غرناطة بالأندلس مرة أخرى فيها بين سنتي ٥١٥ و ٥١٦هـ / ١١٢١ ـ ١١٢٢م وبعدها نقل الى أشبيلية فحكمها سنة وبضعة أشهر ، ثم أصبح عاملاً على قرطبة وغرناطة سنة ٥١٩هـ / ١١٢٥م في الوقت الذي قام به الفونسو الأول بحملته ضد الأندلس ، ويبدو أن أخاه علياً عزله عن غرناطة لقلة بلائه في هذه الحملة ، وفي تاريخ وفاته خلاف والارجح أنه توفي سنة (٥٢٠)هـ / ١١٢٦م . راجع ، ابن قطان ، نظم الجمان ، ص ٩ ، حاشية رقم (١) .

على بلنسية وأعمالها في شرق الأندلس ، وولي مكانه أبا عبد الله محمد بن الحاج اللمتوني الذي كان واليا على مدينة فاس وسائر أعمال المغرب لمدة ستة أشهر ، وعين زوج أخته أبا بكر بن ابراهيم ابن تيلفويت المسوفي على غرناطة[٥١] سنة ٥٠٠هـ / ١١٠٦م ثم نقله الى سرقسطة وبلنسية الواقعتين بشرق الأندلس ، وولىّ أبا عبد الله محمد بن أبي بكر اللّمتوني عليقرطبة سنة ٥٠٠هـ / ١١٠٦م بعد أن عزل محمد بن الحاج الذي جرده من جميع امتيازاته وجَمَّد حركاته ، ثم عاد وعفا عنه ، وعينه على مدينة فاس التي لم يلبث فيها إلا قليلاً ، ثم نقله الى مدينة بلنسية بالأندلس سنة ٤٠٣هـ / ١٠١٢م ، بدلاً من واليها عبد الله بن فاطمة ، وعيَّن أبا عبد الله بن عائشة[٥٢] على مدينة مرسية بالأندلس ، وعزل أخاه ابن مزدلي عن ولاية غرناطة وعينه على مدينة تلمسان وأعمالها بالمغرب الأوسط حيث استقر بها . وعيَّن مزدلي بن يويلنكان بن حسن بن محمد بن تورجورت الذي لم يصل في نسبه الى قبيلة لمتونة على مدينة قرطبة وغرناطة والمرية وما انضم اليها من القرى والحصون ، وعانى الوالي مزدلي من الدسائس التي حاكها بعض الوشاة الحاسدين له الشيء الكثير ، لكنها باءت بالفشل[٥٣] . وعندما مات الأمير سير بن أبي بكر اللمتوني والي أشبيلية سنة ٥٠٧هـ / ١١١٣م ، واستشهد الأمير مزدلي في معركة خاضها ضد الأسبان سنة ٥٠٨هـ / ١١١٤م عندما كان والياً على غرناطة وقرطبة والمرية ، عين الأمير علي ولديه مكانه ، فعين الأمير عبد الله على غرناطة ، والأمير محمد على قرطبة ، وعند استشهاد محمد بن مزدلي في معاركه ضد الأسبان عين مكانه أبا بكر يحيى بن تاشفين ، وعين بدلاً من الأمير الراحل محمد بن الحاج والي سرقسة سنة ٥٠٨هـ / ١١١٤م[٥٤] ، أبا بكر بن يحيى ابراهيم المعروف بابن تيلفويت .

وعين الأمير علي بن يوسف ابنه تاشفين على ولاية غرناطة والمرية واضاف اليه ولاية قرطبة بعد أن عزل عنها عبد الله بن جنونة سنة ٥٢٤هـ / ١١٢٩م ، وعين في السنة نفسها أصغر أولاده يتنان على مدينة بلنسية بدلاً من واليها محمد بن يوسف المعروف باسم يدر ، وفي سنة ٥٢٥هـ / ١١٣٠م عين أبا محمد عبد الله بن أبي بكر على قرطبة بعد أن تنازل ابنه تاشفين عنها ، وعين يحيى بن علي بن غانية على مدينة مرسية[٥٥] .

وفي سنة ٥٢٦هـ / ١١٣١م عين ابن غانية المسوفي على الجزائر الشرقية (دانية وميورقة) ، وولده تاشفين على القسم الغربي من الأندلس ، وأبا بكر ابراهيم بن تافلوت المسوفي على قسمها الشرقي[٥٦] .

وعرف عن الأمراء المرابطين أنهم كانوا يجتمعون بأعيان الأمة كلما سنحت لهم الفرصة ، ففي جواز الأمير علي بن يوسف الى الأندلس سنة ٥١٣هـ / ١١١٩م لقتال ابن رذمير الأسباني الذي استولى على قلعة أيوب الواقعة في القسم الشرقي من الأندلس ، قدمت وفود أهل المنطقة للسلام عليه ، فسألهم عن أحوالهم وأحوال بلادهم والثغور فعرَّفوه بما هو حاصل[٥٧] .

أما منصب صاحب الشرطة فهو من المناصب الادارية المهمة ، لكن معلوماتنا عنه قليلة فقد ذكر صاحب كتاب « التشوف » أثناء ترجمته « لابن العريف » أنه سمي بهذا الاسم نسبة إلى والده الذي

(٥١) ابو بكر بن ابراهيم ابن تيلفويت المسوفي ، وقد وردت عند صاحب الاستقصا بابن تاقلوت زوج أخت الأمير علي الذي ولاه على غرناطة سنة ٥٠٠هـ / ١١٠٦م ثم عزله عنها وعين بدلاً منها على سرقسطه وبلنسية بشرق الأندلس واتخذ الأديب الحكيم محمد بن الصائغ المعروف بابن باجه وزيراً ومستشاراً له . راجع ، عبد الوهاب ـ بن منصور أعلام المغرب ، جـ ١ ، ص ٢٢٩ ـ ٢٣٠ .

(٥٢) هو أبو عبد الله محمد بن يوسف بن تاشفين أخو أمير المسلمين علي يعرف بابن عائشة كان من أعظم قواد المرابطين ، كلف بمهمة إستتباب الأمن في شرق الأندلس بعد أن عاث بها القنبيطور فساداً ، ولي مرسية في أواخر القرن الخامس للهجرة ، والسنوات الأولى من القرن السادس . ويشير ابن قطان الى اشتراكه بمعركة اقليش سنة ٥٠١هـ / ١١٠٧م . وفي سنة ٥٠٤هـ / ١١١٠م ـ يقوم من مرسية لنجدة محمد بن الحاج حامي سرقطة ، حينما الح عليها الفونسو المحارب ملك أرغون بالحصار ، اشترك بعده حملات منها الحملة التي انتهت بهزيمة البورت وقد انتصر فيها ابن عائشة بعد أن فقد بصره ، فاستدعاه أخوه أمير المسلمين اليه .

راجع ، فرانسيسكو كوديرا « أسرة بني تاشفين » دراسات نقدية عن تاريخ الأندلس ، مجلد ٧ ، د ـ ت ، ص ١٠٥ ـ ١٠٩ .

(٥٣) ابن عذاري ، البيان المغرب ، جـ ٤ ، ص ٥٦ ـ ٦٠ .

(٥٤) نفس المصدر ، ص ٦٠ ـ ٦٢ .

(٥٥) ابن قطان ، نظم الجمان ، ص ١٨١ حاشية رقم (٢) .

(٥٦) ابن خلدون ، تاريخ ابن خلدون ـ دار العلم ـ بيروت د ـ ت ، جـ ٦ ، ص ١٨٨ .

(٥٧) السلاوي ، الاستقصا ، جـ ٢ ، ص ٦٨ .

كان رئيساً لحرس الليل في مدينة طنجة ، ولمّا كان ابن العريف[٥٨] قد توفي سنة ٥٣٦هـ / ١١٤١م ، فان وفاة والده يمكن أن تكون قد حدثت حوالي سنة ٥١٥هـ / ١١٢١م ، أثناء حكم الأمير علي بن يوسف بن تاشفين[٥٩] .

أما الوظائف المالية ، فيبدو أنه كان لدى المرابطين رئيس للخزانة ، الا أنه ليس ثمة معلومات عنه أو عن لقبه أو عن أسماء من شغل في هذا المنصب ، وليس لدينا دليل لتقدير المحاصيل قبل حصدها وجني الثمار قبل قطفها من قبل موظفين مختصين يعرفون « بالخراص »[٦٠] .

أما عن القبالات ، فكانت مرتبطة بالمتقبلين[٦١] الذين شن عليهم الخليفة الموحدي حملة كبيرة عند حديثه عنهم في رسالة بعث بها الى ولاته يخبر بها ما سمعه من كثرة المغارم والمكوس التي كانت موجودة في عهد المرابطين واستبدلها بأخذ الزكوات حسب سنن الشريعة[٦٢] .

ونال الفقهاء منزلة سامية عند الأمراء المرابطين ، وسميت عند بعض المؤرخين بالدولة الفقهية ، بالأمير علي بن يوسف كان لا يقطع أمراً دون مشورتهم ، واذا عين قاضياً طلب منه أن لا يبت في حكم الا بحضور أربعة من الفقهاء ، ولم يزل الأمر على ذلك ، اليهم ترجع أمور الناس صغيرها وكبيرها ، مما أدى الى رفع شأنهم وانصراف الناس اليهم ، فعظمت ثروتهم وكبر جاههم وصار الأمراء لا يقطعون أمراً دونهم ، فالأمير يوسف بن تاشفين كتب الى ولاته وقضاته في بلاد المغرب والأندلس يطلب منهم جمع المال من أبناء الأمة ليستعين به على جهاد الأسبان ، وكان من ضمنهم قاضي المرية أبو عبيد الله محمد بن يحيى المعروف بابن البراء ، الذي كلفه بفرض أتاوة على أهل مدينة المرية عندما كان قاضياً عليها ، فامتنع القاضي ابن البراء عن فرضها لأنها غير شرعية ، فرد الأمير يوسف بأن القضاة والفقهاء عنده قد أجازوها أسوة بما فعله الخليفة عمر بن الخطاب الذي أقرها في عهده ، فرد عليه القاضي بكتاب ، طالبه فيه أن يذهب الى المسجد الجامع ويحلف أمام العلماء بان ليس عنده في بيت المال مال ينفقه عليهم ، عندها يستجيب لطلبه . وفي هذا يقول : ـ « .... فليدخل أمير المسلمين المسجد الجامع بحضرة من هناك من أهل العلم ، وليحلف أن ليس عنده في بيت مال المسلمين درهم ينفقه عليهم ، وحينئذ تجب معونته ... » . ولما وصل كتابه إلى أمير المسلمين لم يراجعه في ذلك[٦٣] .

ووجد من القضاة من زاول أعمال الحسبة مثل بن معيشة الذي أراق دنان الخمر وعاقب من يشربها .[٦٤] ، كما زاولها القاضي علي بن سليمان حينما أحرقت أسواق مدينة فاس سنة ٥٣٩هـ / ١١٤٤م ونهبت بعض المحلات ، فقام بالتشديد على أهل الريبة حتى أخذ منهم ما سرقوه من أموال وأمتعة[٦٥] . ومع هذا لم يسلم القضاة من التشهير أو القتل ، فالقاضي ابو عبد الله بن الحاج قتل في المسجد في شهر صفر سنة ٥٢٩هـ / ١١٣٤م أثناء تأديته صلاة الجمعة في السجدة الأولى من الركعة الأولى ، وقتل قاتله في الحين في صحن المسجد[٦٦] ، والشاعر أبو جعفر أحمد بن محمد المعروف بابن النبي من أهل مدينة جيان بالأندلس قد شهر بالقاضي عبد الله محمد بن حمد بن قاضي قرطبة بقوله : ـ

أدجّالُ هذا أوانُ الخروج
ويا شمس لوحي من المغربِ

---

(٥٨) هو أبو العباس أحمد بن محمد بن موسى بن عطا الله الصنهاجي المعروف بابن العريف ، كان صاحب فضل وزهد في الدنيا يقصده الناس من كل ناحية ، وقد سعى به بعض الوشاة عند أمير المسلمين علي بن يوسف ، فاستدعاه الى مراكش وما أن وصلها حتى فارق الحياة في صفر سنة ٥٦٣هـ / ١١٦٧م ودفن بالقرب من الجامع القديم الواقع في وسط المدينة مراكش في مكان يسمى بروضة القاضي موسى بن أحمد الصنهاجي ، عنه راجع ، الاستقصا ، جـ ٢ ، ص ٧٥ وما بعدها .

(٥٩) هوبكنز ، النظم الاسلامية ، ص ٢٤٤ .

(٦٠) نفسه ، ص ١٠٤ وما بعدها .

(٦١) نفسه ، ص ١١٥ .

(٦٢) عنان ، تاريخ المرابطين ، جـ ١ ، ص ٥٥٤ وما بعدها .

(٦٣) السلاوي ، الاستقصا ، جـ ٢ ، ص ٦٥ وما بعدها .

(٦٤) ابن قطان ، نظم الجمان ، ص ٢٢٣ ، حاشية رقم (٢) .

(٦٥) نفسه ، ص ٢٤٦ .

(٦٦) نفسه ، ص ٢١٧ ، حاشية رقم (٢) .

يـريــد ابـن حمـد يـن أن يـعـتـفـي
وحـدواه أنـأى مـن الـكـوكـب
اذا سئـل الـعـرف حَـكَّ إستـه
لـيـثـبـت دعـواه في تـغـلـبِ[٦٧]

أما ولاية المظالم ، فلم تسعفنا المصادر في معرفة من تولاها سوى اسحاق بن ينتان بن عمر ، ولعل سبب توليته ترجع الى فراسته وقرابته من الأمير علي بن يوسف بن تاشفين[٦٩] . وبعد ، نستنتج مما تقدم أن أمراء الدولة كانوا حريصين على تعيين الأبناء والأقرباء والأصهار في مراكز الدولة ، وأن النظام الاداري عندهم كان نظام مركزيا يقضي بجمع السلطات بيد الأمراء القائمين على تنفيذ القرارات ، حيث يصعب على ولاتهم تطبيقها دون الرجوع اليهم رغم صبغتهم العسكرية ، وان منهجيتهم الإدارية كانت قائمة على المراقبة المستمرة لولاتهم وعدم بقائهم زمناً طويلاً في مناصبهم خوفاً من تمردهم ، وأنهم لم يتوانوا في عقاب من يتهاون منهم في القيام بمسؤولياته ، وهذا يدل على حسن ضبطهم للأمور . أما في استخدامهم للكتاب والوزراء البارزين من الأندلسيين الذين زاولوا مهنة الكتابة والوزارة في بلادهم ، فقد دلَّ على حصافتهم وبُعْد إدراكهم ، كما دلَّ حرصهم في الدفاع عن الدين وتطبيق شعائره وتقريب الفقهاء منهم والأخذ بآرائهم في سن القوانين وحسن تطبيقها ، وفي الدفاع عن دار الاسلام بالجهاد المستمر ضد الأسبان لارضاء الله والأمة .

الا أننا نرى أن الكثير من المرافق الادارية لم تتضح معالمها ، ويرجع هذا ـ في رأينا ـ إلى قصر عمر الدولة ، والى انشغالهم في الحروب المستمرة ضد الأسبان في الأندلس لرد هجماتهم عن اخوانهم المسلمين فيها ، وقرب عهد الدولة من البداوة وابتعادها عن الألفاظ الفخمة ورغبتها في بساطة العيش .



(٦٧) ينتسب القاضي ابو عبد الله ابن حمدين الى تغلب ابنة وائل . راجع ، نظم الجمان ، ص ٢٥٢ وما بعدها .
(٦٨) عن اسحاق . راجع ، ليفي ـ بروفنسال ، فهرس « وثائق لم تنشر من تاريخ الموحدين » ، باريس سنة ١٩٢٨م .
(٦٩) هوبكنز ، النظم الاسلامية ، ص ٢٤٠ وما بعدها ، الحلل ، تحقيق ـ علوش ، الرباط سنة ١٩٣٦م ، ص ١٣ .

ثبت بأسماء المصادر والمراجع

حسن ابراهيم حسن .

* تاريخ الاسلام السياسي والديني والثقافي والاجتماعي - دار إحياء التراث العربي ، بيروت ط (١) سنة ١٩٦٧م جـ ٤ .

الحموي - ياقوت .

* معجم البلدان ، بيروت ١٩٧٩م ، جـ ٣ .

الحجي - عبد الرحمن .

* التاريخ الأندلسي ، ط (١) - دار القلم - بيروت ، دمشق ، الرياض ١٩٧٦ .

ابن خلدون - عبد الرحمن .

* المقدمة ط (٣) القاهرة - د - ت - جـ ٢ .

* تاريخ ابن خلدون - دار العلم - بيروت د - ت - جـ ٦ .

ابن الخطيب لسان الدين .

* أعمال الاعلام ، فيمن بويع قبل الاحتلام من ملوك الاسلام - جـ ٣ ، تحقيق - أحمد مختار العبادي ، محمد ابراهيم الكتاني ، ط الدار البيضاء - المغرب ١٩٦٦م .

السلاوي ، ابو العباس أحمد الناصري .

* الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى ، دار الكتاب - الدار البيضاء - المغرب ١٩٥٤ ، جـ ٢ .

سعدون عباس نصر الله .

* دولة المرابطين في المغرب والأندلس « دار الأندلس العربية ط (١) بيروت ١٩٦٧م .

سالم - عبد العزيز .

* مدينة المرسية ، مطبوعات دار الآثار بالاسكندرية ع (٣) سنة ١٩٦٩م .

الشنتريني - أبو الحسن علي بن بسام .

* الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة ، تحقيق - احسان عباس ، الدار العربية للكتاب - ليبيا - تونس ، سنة ١٩٧٧م القسم الثاني - المجلد الأول .

طبلية - القطب محمد .

* نظام الادارة في الاسلام ط (٢) القاهرة - سنة ١٩٨٥م .

ابن عذاري المراكشي .

* البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب ، تحقيق - احسان عباس ، دار الثقافة - بيروت ١٩٦٧ ، م ج ٤ .

عنان - عبد الله .

* عصر المرابطين والموحدين في المغرب والأندلس ، ط (١) القاهرة سنة ١٩٦٤م ، جـ ١ .

العدوي - ابراهيم .

* النظم الاسلامية « مقوماتها ومؤسساتها التنفيذية في صدر الاسلام والعصر الأموي » القاهرة ١٩٧٢م .

العبادي - أحمد مختار .

* الصفحات الأولى من تاريخ المرابطين ، مجلة كلية الآداب - جامعة الاسكندرية ، ع (٢١) سنة ١٩٦٧م .

ابن قطان .

* نظم الجمان - تحقيق - محمود علي مكي ، ط - تطوان - المغرب - د - ت .

كوديرا - فرانسيسكو .

* « أسرة بني تاشفين » دراسات نقدية عن تاريخ الأندلس ، مجلد

٧ د ت

ليفي ـ بروفنسال .

* رسائل رسمية (٣) الرباط سنة ١٩٤١م ، مقدمة وتحليل في مجلة هسبريس سنة ١٩٤١م .

* وثائق لم تنشر من تاريخ الموحدين ـ باريس سنة ١٩٢٨م .

مؤلف مجهول .

* الحلل الموشية في ذكر الأخبار المراكشية ، تحقيق ـ علوش ـ الرباط ١٩٣٦م ، تحقيق ـ سهيل زكار ، عبد القادر زمامه ـ الدار البيضاء ـ المغرب سنة ١٩٧٨م .

المراكشي ـ عبد الواحد .

* المعجب في تلخيص أخبار المغرب ط ـ القاهرة ١٩٤٩م ، تحقيق ـ محمد سعيد العربان ، محمد العربي ط ـ ٧ ـ دار الكتاب ـ الدار البيضاء ـ المغرب ١٩٧٨م .

المقري ـ أحمد بن محمد التلمساني .

* نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب ، تحقيق ـ احسان عباس دار صادر بيروت ١٩٦٨ ، جـ ٤ .

بن منصور ـ عبد الوهاب .

* أعلام المغرب العربي ، الرباط ١٩٧٨م ، جـ ١ .

مكي ـ محمود علي .

* وثائق تاريخية جديدة عن عصر المرابطين ، صحيفة معهد الدراسات الاسلامية بمدريد ، سنة ١٩٥٩ ـ ١٩٦٠م .

مؤنس ـ حسين .

* سبع وثائق جديدة عن دولة المرابطين في صحيفة معهد الدراسات الاسلامية (٣) سنة ١٩٥٥م .

هوبكنــــز ـ ب .

* النظم الاسلامية في المغرب في القرون الوسطى ، تعريب ـ أمين توفيق الطيبي ، الدار العربية للكتاب ـ ليبيا ـ تونس ، ١٩٨٠م .

الوجود العربي في كانم في السودان الأوسط حتى القرن السابع هـ/١٣ م

د . صباح ابراهيم الشيخلي

جامعة بغداد/ كلية الآداب

مصادر البحث :

ان دراسة الوجود العربي في منطقة كانم[١] في السودان الأوسط أمر شائك ومعقد ، وذلك لكثرة الصعاب التي تواجه الباحث نتيجة لتداخل المسائل وتشابكها ، ولقلة المادة المتاحة وبعثرتها . أما عن طبيعة المصادر المتاحة والمعلومات المتوفرة عن موضوع البحث ، فلابد للباحث من الرجوع الى كتب الجغرافيين والمؤرخين العرب أمثال اليعقوبي ، وابن حوقل ، والبكري والادريسي ، وابن بطوطة ، وابن خلدون ، والعمري ، والقلقشندي ، والمقريزي وغيرهم . حيث نجدهم يشيرون الى مثل هذا الموضوع ، ولكن الملاحظ أن معلوماتهم لا تكفي لرسم صورة متكاملة عن تطور الوجود العربي في منطقة كانم ، إلا أن ذلك لا يمنع من القول بأن المعلومات التي جاءت في المصنفات والمؤلفات العربية تعتبر مادة فريدة وأصيلة عن تاريخ المنطقة الوسيط .

أما المصادر المحلية التي تخص تاريخ هذه المنطقة ، فبالرغم من صعوبة الحصول عليها ، فان المتوفر منها قد غلب عليه طابع الاسطورة أو الخيال ، إلا أن ذلك لا يقف حائلاً دون استخلاص الكثير من الحقائق والصورة الحية اعتماداً عليها . نذكر من هذه المصادر « تاريخ الماي أدريس الومة وغزواته »[٢] تأليف الامام أحمد بن فرتوا مؤرخ بلاط برنو زمن أدريس الومة ، وهذا الكتاب مكرس لنشاطات هذا الحاكم العسكرية ، وفيه معلومات مفيدة عن تاريخ منطقة كانم . ومن المصادر المحلية « ديوان سلاطين برنو »[٣] الذي ألف في بلاط سلطان برنو من قبل الشيخ سفرمة عمر بن عثمان في أوائل القرن الثالث عشر الميلادي ، والملاحظ على هذا الكتاب أنه لم يلتزم جانب الحياد في كثير من الجوانب التي كتب عنها ، لا سيما عند مقارنته بما جاء من معلومات في الكتب العربية الوسيطة ، لذا يجب أن يكون الباحث حذراً في استخدامه .

ومن الوثائق المحلية التي يستطيع الباحث الاعتماد عليها في الكتابة عن تاريخ كانم ما يعرف بـ « المحرم » وهو مجموعة من الرسائل (ظهير أو مرسوم) احتوت على امتيازات وراثية منحت من قبل حكام كانم الى العلماء ورجال الدين المسلمين وعوائلهم ومن يمت لهم بصلة مقابل الخدمات التي يقدمونها . ومن الامتيازات التي تمنحها هذه المحارم ، الاعفاء من الضرائب ، والاعفاء من الخدمة العسكرية وغيرها . ومن الطبيعي أن تحتفظ الأسر ذات العلاقة بمثل هذه الوثائق وتسعى لتجديدها لدى حكام المنطقة المتعاقبين . وبالرغم من أن بعض هذه « المحارم » يرجع تاريخها الى وقت مبكر ، إلا أن طول تداولها قد يجعلها عرضة للتزوير في أصولها وتاريخها ، لذا

---

(١) تقع كانم الى الشمال والشمال الشرقي من بحيرة تشاد الكبرى وتعتبر ضمن حدود تشاد الحالية . وتقع بعض اجزاءها لجمهورية النيجر أيضاً وهي في عرف الكتاب العرب الوسيطين تشكل جزءاً مما عرف عندهم بالسودان الأوسط .

(٢) نشره بالمر *H. R. Palmer* تحت عنوان *Ta'rik Mai Idris* كما ترجمه المؤلف المذكور في كتابه *Sudanes Memoris (Kano' 1930) Waghaz Wathihi (London, 1967) Vol. 1, pp. 15-75.*

(٣) كان بارث *H. Barth* ، في رحلته في الصحراء الأفريقية والمناطق جنوبها عام ١٨٥٣ ، أول من استفاد من مخطوط هذا الكتاب . انظر : *Travels, II, PP. 633-71.*

ثم ترجم هذا الكتاب الى الانكليزية من قبل بالمر *Palmer* في كتابه : *Bornu, Sahara and Sudan (London, 1936)*

يجب أن يكون استخدامها بصورة حذرة[٤]. ومن الجدير بالقول أن هذه الوثائق تحتوي على الكثير من المعلومات التاريخية عن منطقة كانم ، بل يمكن اعتبارها أكبر دليل على الوجود العربي الاسلامي في المنطقة موضوع البحث ، لأنها تشير الى هجرة رجالات العلم والدين العرب الى كانم[٥] وهذا ما سنحاول توضيحه فيما بعد .

صلات العرب الاولى ببلاد كانم :

لابد في البدء من القول أن كانم الواقعة في منطقة بحيرة تشاد كانت تتمتع بموقع متميز حيث تقع على ملتقى عدة طرق تربطها شرقا بمصر ، وشمالا بمناطق الشمال الافريقي والبحر المتوسط . كما تربطها بدواخل القارة الافريقية من الجنوب والغرب بطرق أخرى ، وكان قسم كبير من هذه الطرق هي السُبل التي أوصلت العرب الى هذه المنطقة . ولقد كان الطريق الصحراوي الذي يربط كانم بمناطق الشمال الافريقي هو الجسر الأول والأهم الذي أوصل العرب الى هذه المنطقة فهو طريق قديم ومعروف يربط شمال القارة بقلبها دونما صعوبة ، إلّا طول الطريق ومصاعب الصحراء .

بدأ العرب بعد وصولهم الى شمال أفريقيا في القرن الأول للهجرة (السابع للميلاد) يتطلعون للسيطرة على الصحراء المؤدية الى مداخل بلاد السودان الأوسط وكانم ، وهي صحراء فزان التي كانت سبيلاً لوصول العروبة والاسلام من الشمال الى الجنوب[٦] ففي عام ٢٢هـ/ ٦٤٢م اتجهت كتائب من الجيش العربي الداخل الى شمال أفريقيا بقيادة عمرو بن العاص الى زويلة عاصمة فزان بقيادة القائد العربي عقبة بن نافع الفهري . أعقب هذه الحملة الاستطلاعية حملة عسكرية أوسع عام ٤٢هـ/ ٦٦٦م استطاع فيها عقبة من حمل العرب الى مناطق السودان الواقعة جنوب فزان ، وهو اقليم كوار الواقع الى الشمال من منطقة كانم[٧]. وكان من نتائج هذه الحملة اخضاع القبائل الصحراوية للحكم العربي بشكل ثابت وايصال الاسلام اليهم ، وهذا ما جعل العرب معروفين لسكان الصحراء ، وفتح الطريق أمامهم للوصول بنشاطاتهم السياسية والتجارية والدينية الى تلك المناطق والمناطق الواقعة جنوبها وهي كانم .

لم تشر الكتب العربية بعد حملة عقبة بن نافع الى مناطق فزان وكوار الى أي جهد عسكري قام به العرب الى هذه المناطق ، لكننا نجد ما يشير الى أن تدفق العرب الى مناطق فزان وبلاد السودان (كانم) جنوبها قد استمر مع الأيام بفعل عوامل عديدة نحاول أن نفصلها .

التجارة والوجود العربي في كانم :

ان العلاقات التجارية بين الشمال الافريقي ومنطقة كانم (السودان الأوسط) كانت قائمة منذ القدم على الرغم من وجود صحراء بينهما ، إلا أنها لم تمنع الاتصالات بين الاقليمين[٨]. وقد ازداد النشاط التجاري بعد دخول العرب المسلمين الى أفريقيا ، وأصبحت التجارة عبر الصحراء الوسيلة المهمة في تدفق العروبة والاسلام الى المناطق الواقعة جنوبا (بلاد السودان) .

ان كانم الواقعة في مركز هام لالتقاء طرق القوافل المارة عبر أفريقيا كانت قد وفرت لاسواق أفريقيا والعالم الاسلامي في العصر الوسيط ما يحتاج اليه من الرقيق المستخدم في البيوت والمزارع[٩] أو كجند في الجيوش الاسلامية[١٠]، إذ كانت تجارة الرقيق هي

---

(٤) انظر *J. S. Trimingh am, A History of West Africa (London, 1963), P. 110.*

(٥) ترجم بالمر *Palmer* عدداً من هذه المحارم في كتابيه المذكورين اعلاه *Bornu, Sahara and Sudan (London, 1936).* *Sudanes Memoirs, Vol. II (London, 1967).*

كما ترجم عدداً من الرسائل العربية والمعاهدات والقصائد الشعرية العربية الخاصة بتاريخ كانم ـ برنو ، وسوف يكون اعتمادنا في البحث على الكتاب الثاني لبالمر .

(٦) انظر حسين مؤنس ، فزان ودورها في انتشار الاسلام في أفريقيا ، مجلة كلية الآداب ، الجامعة الليبية ، العدد الثالث (١٩٦٩) ص ٨٧ .

(٧) ابن عبد الحكم ، فتوح مصر والمغرب (ليدن ، ١٩٢٠) من ص ٤ ـ ١٩٥ .

(٨) عن التجارة الصحراوية في أفريقيا قبل الاسلام انظر: *R. C. C. Law, The Garamantes and trans-Saharan enterprise in Classical time", Journal of African History, Vol. VIII (1967), PP. 182-200.*

(٩) أبو اسحق ابراهيم بن محمد الاصطخري ، المسالك والممالك (القاهرة ، ١٩٦١) ، من ص ٤ ـ ٣٥ : ابو القاسم بن حوقل ، صورة الأرض (بيروت ، ١٩٣٨) ص ٦٧ .

(١٠) انظر *J. E. P. Hopkins, Medieval Muslim Government in Barbary (London, 1958), PP. 72-3, 75, 78.*

لا بد من الاشارة الى أن طبيعة تجارة الرقيق في التاريخ العربي الاسلامي مختلفة تماماً عن تجارة الرقيق وما قام به الأوربيون من عملية استرقاق البشر في أفريقيا ، ويكفي لنا أن نشير الى أن القرآن الكريم يحوي على الكثير من التعاليم الخاصة بحسن معاملة الرقيق ، كما يعطي لهم الكثير من الفرص للتحرر .

أساس التبادل التجاري بين شمال أفريقيا وكانم[١١].

ومنذ القرن ٢ و ٣هـ/ ٨ و ٩م على أقل تقدير نجد وجوداً للتجار العرب في مناطق كانم ، حيث جذبتهم تجارة الرقيق اليها ، ولا سيما أن الطريق التجاري الذي يربط كانم بالشمال عبر صحراء فزان كان معروفاً وسهلاً[١٢]. ولعل أقدم الاشارات التي وصلتنا عن النشاط التجاري العربي عبر صحاري فزان ومع مناطق السودان جنوبها كوار وكانم هي ما جاء عند اليعقوبي عند كلامه على زويلة عاصمة فزان حيث يقول :

« وراء ذلك بلد زويلة مما يلي القبلة ، وهم قوم مسلمون أباضيون كلهم يحجون البيت الحرام ، وأكثرهم رواية ويخرجون الرقيق السودان في الميريين والزغاويين والمرويين وغيرهم من أجناس السودان لقربهم منهم ، وهم يسبونهم وبلغني أن ملوك السودان يبيعون السودان من غير شيء ولا حرب ، ومن زويلة الجلود الزويلية ، وهي أرض نخل ومزروع ذرة وغيرها ، وبها اخلاط من أهل خراسان ومن البصرة والكوفة . ووراء زويلة على خمس عشرة مرحلة مدينة يقال لها كوار بها قوم من المسلمين من سائر الأحياء أكثرهم بربر وهم يأتون بالسودان » [اليعقوبي ، البلدان ، ص ٣٤٥] .

ومن نص اليعقوبي يتبين أن مدينة زويلة كانت تلعب دوراً بالغ الأهمية في تجارة الرقيق ، فهي على ما يبدو مركز لتجميع الرقيق الأسود وتصديره . مكان الرقيق كما هو واضح من النص يجلب من مناطق كانم ، فأضاف الرقيق المذكورة بالنص ، لا سيما زغاوة ، هم من سكان كانم في تلك الفترة[١٣]. ولأجل الأهمية البالغة لتجارة الرقيق خلال العصر الوسيط نرى أن زويلة أصبحت مركز استقرار للتجار العرب . ولا سيما من أهل البصرة والكوفة والأباضية من أهل الشمال الافريقي يمارسون فيها نشاطاتهم التجارية ، بل أن هذه النشاطات ، كما يبدو من النص المذكور أيضا ، قد اتسعت جنوباً الى مناطق كوار السودانية من أجل جلب الرقيق .

منذ القرن ٣هـ/ ٩م وحتى القرن ٥هـ/ ١١م أصبحت التجارة عبر فزان تحت سيطرة الأباضية ، وقد مارس هؤلاء تجارة الرقيق مع كانم . فالدولة الرستمية الأباضية التي قامت في بلاد المغرب (في القرن ٢هـ/ ٨م) قد استخدمت طريق فزان من أجل التجارة مع بلاد السودان لا سيما تجارة الرقيق[١٤]. ويبدو أن هناك صلات تجارية قديمة بين كانم وجبل نفوسة (الجبل الغربي الآن) . فالحاكم الأباضي لهذا الجبل أبو عبيد عبدالحميد الجناوي في (القرن ٣هـ/ ٩م) كان يتكلم لغة كانم بالاضافة الى معرفته بالعربية والبربرية[١٥]، ولابد أن تكون معرفة هذا الحاكم باللغة الكانمية متأتية من صلات الأباضية بكانم . ويعتقد بعض الباحثين « أن العلاقة بين الأباضية في شمال أفريقيا ومناطق السودان كانت اقتصادية بالدرجة الاولى ، أي أن التجارة كانت الحافز الأهم في عبور الأباضية الصحراء وتحمل المشاق ووصولهم الى السودان ، يضاف الى ذلك حافز نشر الاسلام »[١٦]، كما لا ننسى أن نشير الى أن الحكومات الأباضية الصغيرة التي نشأت في مدينة زويلة حتى القرن ٥هـ/ ١١م قد وجهت اهتمامها الى التجارة بين الشمال الافريقي وكانم عبر الصحراء »[١٧].

---

(١١) انظر ابراهيم حركات ، « دور الصحراء الأفريقية في التبادل والتسويق خلال العصر الوسيط » ، مجلة البحوث التاريخية ، مركز جهاد الليبيين للدراسات التاريخية ، السنة الثالث ، العدد الأول (يناير ، ١٩٨١) ، ص ٣٣.

(١٢) أحمد بن أبي يعقوب بن واضح اليعقوبي ، كتاب البلدان (ليدن ، ١٨٩١) ، ص ٣٤٥.

(١٣) اليعقوبي ، تاريخ اليعقوبي (النجف ، ١٩٦٤) ، ج ١ ، من ص ٧ ـ ١٦٨ . حيث يذكر أن زغاوة هم سكان وحكام كانم .

(١٤) ابن الصغير المالكي ، ذكر بعض الأخبار في الائمة الرستميين ، نشر وتحقيق ***De Motylinski, Actes de XIVe Congress International Des orientalists (Alger, 1905) P. 13, 48, 52.***

(١٥) ابو العباس الشماخي ، السير ، كما جاء في كتاب : **T. Lewi cki Arabic external sources for the hisiory of Africa to the South of Sahara (Wroclaw, 1969), P. 9.**

(١٦) ادريس صالح الحرير ، العلاقات الاقتصادية والثقافية بين الدولة الرستمية وبلدان جنوب الصحراء الكبرى وأثرها في نشر الاسلام هناك » ، مجلة البحوث التاريخية : مركز جهاد الليبيين ، السنة الخامسة ، العدد الأول في (يناير ، ١٩٨٣) ، ص ٧٧.

(١٧) انظر ***B. G. Martin, "Kanem, Bornu and Fezzan Notes on the Political history of trade route", Journal of African History, Vol. x (1969), P. 19.***

استمر النشاط التجاري العربي مع كانم في القرن ٥هـ/ ١١م و ٦هـ/ ١٢م ، واستمرت زويلة عاصمة فزان تمارس دورها كوسيط في تجارة الرقيق بين كانم وشمال أفريقيا[١٨]. ويبدو أن حركة التجارة في فزان قد ازدهرت في القرن ٦هـ/ ١٢م حيث يشير الادريسي الى أن التجار الداخلين الى صحراء فزان وزغاوة كانوا يخرجون سنوياً الى بلاد المغرب الأقصى بأعداد لا تحصى من السودان ، ويذكر أن الكانميين «كصنف من الرقيق السودان »[١٩]. ولعل السبب في ذلك يعود الى جملة من المتغيرات التي حدثت في الشمال الافريقي منها هجرة العرب الهلالية القادمين من مصر الى بلاد المغرب في منتصف القرن ٥هـ/ ١١م وما تبع مجيئهم من فوضى سياسية واقتصادية ، وفشل المرابطين والموحدين في السيطرة على تجارة البحر المتوسط وسيطرة المدن الايطالية خاصة جنوة على التجارة فيه[٢٠]. كانت حصيلة ذلك كله أن سيطرت دولة كانم على صحراء فزان وأصبحت النشاطات التجارية عبرها تحت رحمتها[٢١]، إلا أن ذلك لم يمنع التجار العرب من الاستمرار في علاقاتهم التجارية مع كانم[٢٢].

وأخيرا لابد من القول أن النشاطات التجارية العربية عبر صحراء فزان لقرون طويلة قد أوصلت العرب الى مناطق كانم ، وهذا ما تؤكده احدى المخطوطات المحلية المعنونة بـ « قصة الماي أدريس » فتذكر : « أن عرب فزان كانوا يصلون الى كانم بصفة تجار يحملون البضائع منها وإليها »[٢٣]. وحري بالقول أن تردد التجار العرب الطويل على مناطق كانم لابد أن يؤدي في النهاية الى استقرار مجموعات عربية واسلامية فيها . وان كنا لا نملك اشارات صريحة الى الاستقرار الدائم للتجار العرب في كانم ، لكننا نرى في انتشار الاسلام في كانم ، واسلام الاسرة الحاكمة فيها في القرن ٥هـ/ ١١م ، لابد أن يكون حصيلة النشاطات التجارية العربية ، لا سيما وأن البعد الجغرافي لكانم عن مراكز نشر الدعوة الاسلامية في الشمال الافريقي يجعلنا نوجه اهتمامنا الى النواحي الاقتصادية .

الهجرات العربية وأثرها في الوجود العربي في كانم :

في البدء لابد من القول أن حركتي التجارة والهجرة العربية ـ الاسلامية متشابكة ومرتبطة بعضها ببعض بل أن احداها تكمل الأخرى . فمنطقة بحيرة تشاد والتي تقع فيها كانم كانت منطقة خصبة اجتذبت اليها منذ القدم الكثير من العناصر السكانية[٢٤]. ونظراً لخلو المنطقة من العوائق الطبيعية فقد أدى ذلك الى تسهيل الهجرة اليها وساعد على استقرار كثير من المجموعات البشرية فيها ومن ضمنهم العرب . وقد شهدت منطقة كانم سيلاً من الهجرات لم ينقطع من ناحية الشمال (بلاد المغرب) ومن ناحية الشرق (حوض النيل) لا سيما بعد دخول العرب ـ المسلمين الى مصر وأفريقيا الشمالية في القرن ١هـ/ ٧م . وسوف نحاول فيما يلي التركيز على الهجرات القادمة من الشمال ، لا سيما وقد ذكرنا أن أول وجود للعرب في كانم يرجع الى عام ٤٦هـ/ ٦٦٧م وهي السنة التي وصلت فيها طلائع العرب ـ المسلمين بقيادة عقبة بن نافع الى أقليم كوار ، وأن الطريق الذي سلكه عقبة وأتباعه كان يربط كانم بمناطق طرابلس في بلاد المغرب وعبر صحراء فزان .

كانت أسباب دخول العرب الى كانم متنوعة ، فبالاضافة الى العامل التجاري في توغل العرب الى الصحراء ومناطق السودان جنوباً كما فصلنا سابقاً ، فإن العوامل السياسية والبشرية والدينية قد ساهمت في تدفق العناصر العربية الى مناطق كانم .

---

(١٨) أبو عبيد البكري ، المغرب في ذكر بلاد أفريقيا والمغرب (الجزائر ، ١٨٥٦) ، ص ١١ ؛ مؤلف مجهول ، الاستبصار في عجائب الأمصار ، نشره سعد زغلول عبد الحميد (الاسكندرية ، ١٩٥٨) ، ص ١٤٩ .

(١٩) الشريف الأدريسي ، وصف أفريقيا الشمالية والصحراوية ، نشره هنري بيريس (الجزائر ، ١٩٥٧) ، ص ١٣ ، ٢٠ .

(٢٠) انظر عز الدين موسى ، النشاط الاقتصادي في المغرب الاسلامي خلال القرن السادس الهجري (القاهرة ، ١٩٨٣) ، ص ٣٤٧ ، ٣٨٣ .

(٢١) أبي الحسن علي بن موسى ابن سعيد المغربي ، كتاب الجغرافية ، تحقيق اسماعيل العربي (بيروت ، ١٩٧٠) ، ص ٩٥ .

(٢٢) عبد الرحمن بن خلدون ، تاريخ العبر (بيروت ، ١٩٥٩) ، ج ٦ ، ص ٤١٢ ، ج ٧ ، ص ١٠٨ .

(٢٣) *Palmer, Sudanes memoirs, Vol. II, P. 43.*

(٢٤) من العناصر البشرية التي قدمت الى مناطق كانم الفلانيين والصو الذين يحتمل أن يكونوا من أصل نيلوتي (من حوض النيل) والكانمبو وهم خليط من الصو والبربر والكانوري وهم خليط من العرب والزنوج والبربر ، يضاف الى ذلك الجماعات العربية .

فبالنسبة الى العامل السياسي ، نلاحظ أن الأحداث السياسية في الدولة العربية الاسلامية قد دفعت بعض العناصر العربية الى الهجرة الى بلاد السودان ومنها كانم ، باعتبارها مناطق نائية بعيدة عن نفوذ السلطة المركزية . وتأكد لنا مخطوطة محلية بعنوان « وسط أفريقيا » دور العامل السياسي في الهجرة من شمال أفريقيا الى كانم حيث تشير الى أن أعداداً كبيرة من البشر جاءوا الى السودان الأوسط من شمال أفريقيا بعد التغيرات والحروب الكثيرة التي حدثت فيها[٢٥].

ويبدو أن الخوارج الأباضية كانوا من بين أول وأكثر المجموعات التي أجرتها الظروف السياسية على ترك الشمال (بلاد المغرب) والهجرة جنوباً الى الصحراء وبلاد السودان . ومن الملاحظ أن عقيدة الخوارج الأباضية قد انتشرت في بلاد المغرب منذ القرن ٢هـ/ ٨م ، ونتيجة الفوضى السياسية التي أشاعتها في المنطقة ، قامت الدولة العباسية بالتصدي لها ، وقد تم اندحار الخوارج الأباضية سياسياً في طرابلس والقيروان على يد الحاكم العباسي محمد بن الأشعث الخزاعي (١٤٤ ـ ١٤٨هـ)[٢٦].

كانت نتيجة هذا الفشل السياسي للأباضية في الشمال أن انسحبت مجموعات منهم الى الصحراء واستقرت في مدينة زويلة (عاصمة فزان) وكان يترأس هؤلاء الأباضية شخص يسمى عبدالله بن حيان الأباضي ، وقد وجه ابن الأشعث عام ١٤٥هـ/ ٧٦٢م حملة الى فزان لقمع حركة الأباضية هؤلاء فيها[٢٧]. ومن الجماعات الأباضية التي استقرت في فزان في القرن ٤هـ/ ١٠م شخص يدعى عبدالله بن خطاب الهواري الأباضي . وقد استطاع هو وبنو عمه أن يؤسس له حكومة صغيرة في عام ٣٠٦هـ/ ٩١٨م في مدينة زويلة[٢٨].

كما يجب أن نشير الى أن الدولة الرستمية الأباضية في تاهرت في الشمال الافريقي ، كانت لها علاقات وطيدة مع الصحراء والمناطق الواقعة جنوبها ومن ضمنها كانم[٢٩]. وظل نفوذ الأباضية في صحراء فزان طوال القرن ٤ و ٥هـ/ ١٠ و ١١م ، وكانت لهم السيطرة على الطريق الصحراوي الذي يربط كانم بالشمال الافريقي عبر فزان[٣٠]. ولابد أن الوجود الأباضي الطويل في صحراء فزان قد ساعد على تسرب العناصر العربية الى الجنوب حيث كانم . وان كنا لا نملك في المصادر العربية الوسيطة اشارة الى ذلك ، فان المصادر المحلية قد ذكرت ذلك بصورة صريحة . ففي مخطوطة « وسط أفريقيا » نجد العبارة الآتية : ان القبائل العربية قد جاءت الى وسط أفريقيا أيام حكم الأباضية »[٣١].

ومن الجماعات التي هاجرت الى مناطق كانم بفعل الظروف السياسية الأمويون حيث يذكر البكري أن أهل كانم « يزعمون أن هناك قوماً من بني أمية صاروا اليهم عند محنتهم بالعباسيين وهم على زي العرب وأحوالهم » [البكري ، المسالك والممالك ، ص ١١] .

وبالرغم من أن البكري في القرن ٥هـ/ ١١م قد عرض للوجود العربي في كانم بصيغة الشك ، وهذا ناتج على ما نعتقد الى عدم زيارته الى منطقة كانم ومشاهدته للعرب بعينه . لكن هذا النص يعتبر تطوراً خطيراً في قضية الوجود العربي في كانم فهذه المرة الاولى التي يشير فيها كاتب عربي الى استقرار العرب في المنطقة ، ويشبه هذا ما جاء في المصادر المحلية في كانم التي تربط نسب الأسر الحاكمة فيها بالأمويين[٣٢].

أما فيما يخص العامل البشري في الهجرة الى مناطق كانم ، فلعل الزيادة السكانية التي حصلت في شمال أفريقيا ، لا سيما في القرن ٥هـ/ ١١م ، قد أدت الى اندفاع الكثير من العناصر البشرية جنوباً الى الصحراء وبلاد السودان . ففي منتصف القرن المذكور اندفعت

---

(٢٥) *Palmer, Sudanes mamoirs, Vol. II, P. 54.*

(٢٦) للتفاصيل انظر : أبو زكريا يحيى بن أبي بكر ، كتاب سير الأئمة وأخبارهم ، تحقيق وتعليق اسماعيل العربي (الجزائر ، ١٩٧٩) ، من ص ٤ ـ ٤٦ .

(٢٧) انظر عن ذلك ابن عذاري المراكشي ، البيان المغرب في اخبار الأندلس والمغرب (بيروت ، ١٩٦٧) ، ج ١ ، ص ٧٣ .

(٢٨) الادريس ، المصدر السابق ، ص ٢٤ .

(٢٩) انظر الحرير ، المصدر السابق ، ص ٨٦ .

(٣٠) *Martin, op. cit, P. 19.*

(٣١) *Palmer, Sudanes memoirs, Vol. II, P. 54.*

(٣٢) *Ibid, Vol. I, P. 6, 8.*

القبائل العربية الهلالية (المستقرة في الحوف الشرقي من مصر منذ القرن ٢هـ/ ٨م) الى بلاد المغرب وبأعداد كبيرة جداً ، منتشرة في كل مكان من الشمال الافريقي والصحراء[٣٣].

وفيما يخص الصحراء ، وهو الذي يهمنا ، باعتبارها المنفذ الى بلاد السودان وجنوبها فان النصوص العربية التي بين أيدينا تثبت لنا بما لا يدع مجالاً للشك بأن العرب الهلالية قد انتشروا في صحاري المغرب وأولها صحاري فزان ، التي تحد كانم من الشمال . ويبدو أن أعداد العرب الهلالية التي تسربت من الشمال الى فزان كانت كبيرة بحيث سيطرت على كل الصحراء ، وفي هذا يقول الادريسي :

« مدينة زويلة مدينة صغيرة وبها أسواق ومنها يدخل من بلاد السودات ، والمسافرون يأتونها بأمتعة من جهاتها وجل من أمور يحتاج اليها والعرب تجول في أرضها وتضر بأهلها قدر الطاعة ... وكل هذه الأراضي التي ذكرناها ملك بأيدي العرب ... » [الادريسي ، نزهة المشتاق ، ص ص ٢ ـ ١٣٣] .

ويبدو أن العرب الذين انتشروا في صحراء فزان بعد القرن ٥هـ/ ١١م بدأوا ينافسون سكان المنطقة على عناصر الحياة فيها وهو الماء والكلأ ، مما أدى الى اندفاع سكان فزان جنوباً الى مناطق السودان وفي هذا يخبرنا ابن سعيد المغربي :

« بلاد كوار هم سودان مسلمون ... وفي شرقي كوار بحيرة السول وكثيرا ما كانت تقع الفتن بين سكان كوار ، وبرابرة الصحراء وأعراب فزان على هاتين البحيرتين » (بحيرة كوار وبحيرة سول) [ابن سعيد ، الجغرافية ، ص ١١٤] .

كما نجد في « محرم تودا » الذي نشره بالمر Palmer الى أن العناصر الفزانية وصلت الى مناطق كوار . ويذكر منهم بنو مختار حيث استقروا في هذه المنطقة[٣٤]. ويبدو أن نتائج وصول العرب المسلمين الى مناطق كوار السودانية قد ظهرت واضحة في القرن ٧هـ/ ١٣م إذ نجد أن سكان هذه المنطقة قد أصبحوا مسلمين « وقد تخلق أهل كوار بأخلاق البيض في لبس الصوف والقطن والبرود »[٣٥]، وهذا دليل على تبني المنطقة للسمات الحضارية العربية الاسلامية .

والأهم من ذلك كله هو أن الوجود العربي في مناطق فزان والسودان جنوبها بعد القرن ٥هـ/ ١١م يعني بالتأكيد الوجود العربي في مناطق كانم . فالمصادر المحلية في السودان الأوسط تؤكد لنا أن هناك صلات قوية بين عرب فزان وأهل كانم[٣٦]. كما أن نتائج الوجود العربي في السودان الأوسط جاءت حاسمة فقد أعلنت مملكة كانم اسلامها في القرن ٥هـ/ ١١م ، وهذا ما سنفصله فيما بعد .

الى جانب الهجرات الجماعية العربية ، لابد أن نشير الى أن هناك هجرات فرادية أيضاً الى منطقة كانم ، إذ قام الكثير من العلماء ورجال الدين العرب برحلات الى بلاد السودان ومن ضمنها كانم من أجل نشر الدين الاسلامي . وهو الهدف السامي الذي خرج العرب من أجله من جزيرتهم . ومن المصادر المحلية المسماة « المحارم » ما يؤكد هجرة واستقرار هذه الطبقة من الناس في كانم . ففي المحرم الخاص بأسرة مسبارمة ، نجد أن الشيخ الحكيم محمد مسبارمة بن عثمان الحميري ، كان قد عبر البحر الأحمر من اليمن الى أفريقيا واستقر في كانم أيام الماي علي (ت ١٥٠٣م) وقد قربه هذا الحاكم وأصبح وزيره ولازمه ليل نهار ، كما يذكر المحرم أن عالماً عربيا آخر جاء الى الماي علي وهو أحمد بن بشير واستقر في منطقة كانم[٣٧]. كما هاجر بعض علماء المالكية من مصر واستقروا في كانم ، ويبدو أن لوجود هؤلاء العلماء الأثر الكبير في انتشار المذهب المالكي في كانم[٣٨] والمتتبع للهجرات العربية الى مناطق السودان الأوسط

---

(٣٣) عن أسباب قدوم العرب الهلالية وانتشارهم في بلاد المغرب والصحراء لاحظ الفصل الثاني من أطروحة الباحثة غير المنشورة بعنوان : *Arab Military and Commercial Penetration in the Maghrib and its sahara... (Manchester university, 1981).*

انظر أيضاً : د. راضي دغفوس ، العوامل الاقتصادية لهجرة بني هلال وبنو سليم من مصر ، المؤرخ العربي ، العدد ٢٠ (١٩٨١) ، من ص ١٣ ـ ٤٥ .

(٣٤) *Palmer, op. cit, Vol. III, P. 5.*

(٣٥) ابن سعيد ، المصدر السابق ، ص ١١٤ .

(٣٦) انظر مخطوط « قصة الماي دومانة الديبالي أبو زوجة أمر بلاله » *Palmer, op. cit, Vol. II, PP. 42-3.*

(٣٧) *Ibid, Vol. III, pp. 16-7.*

(٣٨) ابراهيم صالح بن يونس ، تاريخ الاسلام وحياة العرب في أمبراطورية كانم ـ برنو (الخرطوم ، ١٩٧٠) ص ٥٨ : انظر أيضاً : *Trimingham, op. cit, p. 115.*

يلاحظ استمرارية هذه الهجرات سواء كانت جماعية أو فرادية ، وهذا ما يؤكد قضية الوجود العربي في منطقة كانم .

مظاهر الوجود العربي ـ الاسلامي في كانم :

لدراسة موضوع الوجود العربي في كانم ، لابد من معرفة أمرين : أولهما انتشار الاسلام في كانم ، وثانيهما الاسرة الحاكمة المسلمة في كانم والنسب العربي الذي حملته ، وكلاهما خير دليل على الوجود العربي في هذه المنطقة .

إذا كان تأثير الاسلام في كانم قد بدأ مبكراً منذ القرن ١هـ/ ٧م بفعل الاتصال العربي بالمنطقة ، فان انتشار الاسلام الواسع المنظم حدث في القرن ٥هـ/ ١١م وما بعده ، حيث قام حكم اسلامي في كانم ، أما قبل ذلك فقد كانت المنطقة خاضعة لحكم وثني بزعامة زغاوة .

فيما يخص زغاوة فأخبارها كثيرة وغامضة ، وهم على ما يبدو بدو السودان[٣٩] الذين كانوا يسكنون شرقي السودان النيلي (الى الشمال من دارفور) ولعلهم هاجروا في بداية القرن ٢هـ/ ٨م غرباً وانتشروا في مساحة رحبة تمتد من دارفور حتى بحيرة تشاد وكوار[٤٠] والى قبيلة زغاوة يرجع تأسيس مملكة كانم . وأول من أشار الى ذلك هو اليعقوبي في القرن ٣هـ/ ٩م ، حيث وصف زغاوة بأنهم سكان وحكام كانم[٤١] . وبشهادة من المهلبي نجد أن زغاوة كانوا دائماً في المنطقة الواقعة الى الشرق من بحيرة تشاد وأن مملكتهم من ممالك السودان العظيمة تهيمن على منطقة واسعة[٤٢] . والذي يهمنا من شأن زغاوة هو حقيقة عدم توسع انتشار الاسلام ونشوء مملكة اسلامية في منطقة كانم مادامت زغاوة تسيطر على المنطقة ، ويمكن أن نفسر ذلك بالصورة التالية . أن الوجود العربي في منطقة كانم خلال حكم زغاوة كان مؤقتاً ، فالقادمون العرب ومعظمهم من التجار لم يقيموا طويلا ، لأن تواجدهم واستقرارهم ، كما أشرنا سابقا ، كان في زويلة المركز التجاري الهام في صحراء فزان وفي كوار السودانية ، كما أن بُعد كانم وانعزالها عن مراكز الدعوة الاسلامية في الشمال الافريقي قد ساعد حكام زغاوة في فرض نظام يقوم على معتقد وثني يقدس الملك . ويعطينا المهلبي بعض التفاصيل عن هذا الموضوع نقتبس منها قوله :

« ومملكة زغاوة عظيمة من ممالك السودان ، وهم يعظمونه (ملكهم) ويعبدونه من دون الله ويتوهمون أنه لا يأكل الطعام . وديانتهم عبادة ملوكهم يعتقدون أنهم يحيون ويميتون ويمرضون ويصحون ... »[٤٣] .

إذن النظام السياسي في كانم كان يحول دون توسع انتشار الاسلام ، فلابد من تغير سياسي ، وهذا ما حدث في القرن ٥هـ/ ١١م . فقد تولى مقاليد الحكم في كانم أسرة مسلمة وزال حكم زغاوة . كما ارتبط صعود الاسرة المسلمة في كانم بانتشار واسع للاسلام في المنطقة . فالبكري الذي كتب كتابه في النصف الثاني من القرن ٥هـ/ ١١م لم يذكر زغاوة ، لكنه أشار الى أن أهل كانوا لازالوا وثنيين[٤٤] . والاشارة الاولى عن تغير نظام الحكم في كانم جاءت من الادريسي القرن ٦هـ/ ١١م فقد أشار الى وجود زغاوة خارج كانم وعن صلات بين زغاوة وكانم ، ولكنه لم يذكر شيئاً عن الوضع الديني في المنطقة[٤٥] . أما ابن سعيد في القرن ٧هـ/ ١١م فقد سجل بصورة صريحة وجود حاكم مسلم في كانم يعمل على نشر الاسلام ، فهو يقول :

« ومن مدن الكانم المشهورة مانان ... وفي شرقها وجنوبها قاعدة الكانم جيمي ... وفيها سلطان كانم المشهور بالجهاد وأفعال الخير ،

---

(٣٩) جعل ابن خلدون الزغاوة من الطوارق الملثمين سكان الصحراء (تاريخ ج ٦ ، ص ١٦٨) ، ويبدو انهم جمعوا بين الصفات الزنجية والحامية، *Trimingham, op.cit, p. 110.*

(٤٠) انظر ايضاً ابراهيم طرخان ، امبراطورية البرنو الاسلامية (القاهرة ، ١٩٧٥) ، من ص ٦ ـ ٤٧ .

(٤١) اليعقوبي ، تاريخ ، ج ١ ، من ص ٧ ـ ١٦٨ .

(٤٢) ياقوت الحمدي ، معجم البلدان (بيروت ، ١٩٥٧) ، م ٣ ، ص ١٤٢ .

(٤٣) الحموي ، المصدر نفسه ، م ٣ ، ص ١٤٢ .

(٤٤) البكري ، المصدر السابق ، ص ١١ .

(٤٥) الادريس ، المصدر السابق ، من ص ٢ ـ ١٣ .

محمدي من ولد سيف بن ذي يزن . وكانت قاعدة جدوده الكفرة قبل أن يسلموا مدينة مانان ثم أسلم جده الرابع على يد فقهاء الاسلام في بلد كانم » [ابن سعيد ، الجغرافية ، ص ٩٥] .

وبهذا يكون ابن سعيد قد ربط اسلام كانم باسلام ملكها . وهكذا نجد من قراءتنا للمصادر العربية الوسيطة ، لا سيما الجغرافية منها ، ان القرن ٥هـ/ ١١م قد شهد تغيرات هامة كان لها علاقة بتوسع انتشار الاسلام ، وتحول زغاوة من طبقة حاكمة ، حيث فقدت امتيازاتها ، إلى مجموعة بشرية تعيش في منطقة محدودة الى الشرق من كانم ، كما حدد ذلك الادريسي[٤٦].

والسؤال الذي يفرض نفسه هنا ما الذي حدث في القرن ٥هـ/ ١١م وأدى الى صعود ملك مسلم الى السلطة وزوال نفوذ زغاوة ؟ إن الصعوبة التي تواجهنا في الاجابة عن هذا السؤال تكمن في عدم معرفتنا بالظروف التي أحاطت اعتلاء أول حاكم مسلم للسلطة في كانم . هل تسلم الحكم من سلفه الوثني عن طريق الارث أو عن طريق القوة ؟ وهل كان مسلماً قبل أن يتسلم السلطة أم أسلم بعد ذلك .

إذا عدنا الى ما جاء في « ديوان سلاطين برنو » وهو الوثيقة الرسمية الخاصة بالأسرة المسلمة التي حكمت كانم (الأسرة السيفية) نجدها لم تدون أحداث هذا العصر مع قربه منها ، واكتفت بالاشارة الى انتقال الحكم الى « بني حماي حماة الاسلام »[٤٧].

على أية حال فلابد أن هناك جملة عوامل أدت الى وصول أسرة مسلمة الى الحكم في كانم ، وهي كما نعتقد عوامل دينية وسياسية واقتصادية . فإذا رجعنا الى قضية الوجود العربي الطويل في كانم نجده بالتأكيد مسؤولاً عن التغير الذي حدث في المنطقة في القرن ٥هـ/ ١١م . فكل النصوص التي بين أيدينا تؤكد أن العرب ـ المسلمين المستقرين في كانم كانوا المسؤولين عن الانتشار الواسع للاسلام في كانم وصعود ملك مسلم الى السلطة وتفرق أتباع النظام القديم . فإذا كان البكري قد اكتفى بالإشارة الى وجود عرب أمويين في كانم ، كما أشرنا أعلاه ، فإن العمري يعتبر هؤلاء مسؤولين عن انتشار الاسلام في المنطقة بقوله : « إن الاسلام انتشر في كانم على يد شخص يدعى الهادي العثماني ، ادعى أنه من ولد عثمان بن عفان »[٤٨].

ومن النصوص المعاصرة لأحداث التغير في كانم نجد في كتاب « الاستبصار » تحديداً لزمن انتشار الاسلام في كانم بعام ٥٠هـ[٤٩]، وربما ينطبق هذا مع ما جاء في المخطوط القديم الذي حصل عليه ابراهيم صالح بن يونس والذي يحدد تاريخ ٤٨٠هـ سنة لوصول أول ملك مسلم وهو أومي أو حومي الى السلطة[٥٠]. ويبدو أن أحداث هذه الفترة كانت حاسمة في نشر الاسلام وترسيخه في منطقة كانم ، حيث نجد أن اسلام حكام كانم قد تبعه جهادهم في سبيل نشره بصورة واسعة وهذا ما يشير اليه ابن سعيد في القرن ٧هـ/ ١٣م بقوله :

« سلطان الكانم المشهور بالجهاد وأفعال الخير ، محمدي من ولد سيف بن ذي يزن . وكانت قاعدة جدوده الكفرة قبل أن يسلموا مدينة مانان ثم أسلم منهم جده الرابع على يد فقهاء الاسلام في بلد الكانم . ولهذا السلطان هناك مثل سلطنة تجوه ومملكة كوار ومملكة فزان وقد أيده الله وكثر نسله وعساكره . والثياب تحمل اليه من الحضرة التونسية وعنده الفقهاء » [ابن سعيد ، الجغرافية ، ص ٩٥] .

ان قول ابن سعيد يؤكد لنا أن العرب الموجودين في كانم ـ لا سيما الفقهاء ـ هم المسؤولون عن اسلام ملكها . ولدينا في المصادر المحلية

(٤٦) وصف افريقيا ، ص ١٣ .

(٤٧) *D. Lange, "Proges de L'islam et changement Politique au kanem", Journal of African History, XIX, 4 (1977), p. 501.*

ويرجع *Lange* عدم تدوين أحداث القرن ٥هـ / ١١م في الديوان الى تحزب كتابة الى الأسرة الحاكمة السيفية ، التي لم تسمح لهم بتسجيل أحداث سابقة على أكثر احتمال .

(٤٨) العمري ، المالك والممالك ، نقلاً عن طرحان ، امبراطورية البرنو ، ص ٧٥ ، انظر أيضاً : *Trimingham, op. cit, p. 115*

هناك مخطوطة عربية ترجع كتابتها الى القرن ١٧م عثر عليها الفرنسي دوميزير في تمبكتو تقول : أن أربعة جنود من جيش عمر بن عبد العزيز الخليفة الأموي جاءوا من اليمن الى مناطق السودان الأوسط وأسسوا أسرة مالكة في المنطقة . طرحان ، المصدر السابق ، ص ٦٦ . ومن المحتمل أن هؤلاء قد اختلطوا بسكان المنطقة وتوسع نفوذهم فيها .

(٤٩) مؤلف مجهول ، الاستبصار ، ص ١٤٦ .

(٥٠) تاريخ الاسلام ، ص ٦١ .

في كانم اشارات تثبت أن العلماء والفقهاء العرب ـ المسلمين كانوا السبب في انتشار الاسلام وإسلام الاسرة الحاكمة في كانم . فقد جاء في احدى المحارم « محرم الامام جلمي » أث الفقيه محمد بن مانن الذي عاش في كانم في القرن ٥هـ/ ١١م هو الذي نشر الاسلام في المنطقة(٥١). كما تؤكد هذه المحارم أن العلماء العرب أصبحوا هم وزراء لحكام كانم المسلمين أو من مقربيهم(٥٢). وهكذا يمكن القول أن العرب ـ المسلمين المستقرين في كانم قد عملوا على اضعاف النظام الديني الوثني الذي فرضته زغاوة في المنطقة وساعدوا على انهياره بارتقاء حاكم مسلم للسلطة في كانم .

ويبدو أن الفترة الحاسمة في حياة كانم (القرن ٥هـ/ ١١م) قد شهدت ضعفاً في النظام السياسي لزغاوة ودليلنا على ذلك ما جاء في « ديوان سلاطين برنو » أن آخر ملوك زغاوة مات وهو يقاتل في مكان يدعى زيلا (في فزان) في منتصف القرن المذكور(٥٣). وبالرغم من أننا لا نملك أية اشارة عن ظروف موته ، لكننا نستطيع أن نفترض بأنه مات وهو يحارب سكان فزان من العرب الهلالية ، إذ شهدت هذه الفترة من تاريخ فزان انتشار العرب الهلالية في المنطقة وهيمنتهم عليها(٥٤)، بل انهم بالتأكيد بدأوا يشكلون خطراً على مصالح زغاوة التجارية في فزان التي كانت تحتل موقعاً مهماً في تجارة كانم مع الشمال . ومما يؤكد قولنا أننا نلاحظ أن الصراع على فزان استمر بين حكام كانم وسكان فزان حتى بعد زوال حكم زغاوة الوثني ، فالاسرة المسلمة في كانم قد دخلت في صراع طويل من أجل السيطرة على فزان(٥٥) لحماية مصالحها الاقتصادية وقد نجحت في أن تجعل الطريق التجاري الذي يربط كانم بالشمال الافريقي عبر صحراء فزان تحت سيطرتها في القرن ٧هـ/ ١٣م(٥٦).

وهكذا نجد أن ظروف القرن ٥هـ/ ١١م ، ولا سيما الوجود العربي الهلالي في فزان ، قد أضعف بلا ريب نظام زغاوة وساعد على وصول أول حاكم مسلم الى السلطة ، كما ساعدت الظروف الاقتصادية في ذلك أيضا . فنظام زغاوة الوثني كان يعتمد في اقتصادياته على تجارة الرقيق ، وكان الحاكم الزغاوي يعمل جاهداً على استمرار هذه التجارة مع الشمال ، ولذا نجده لا يتورع في ارسال رعاياه رقيقاً الى الشمال ، كما يعمل غيره من ملوك السودان ، وفي هذا يقول اليعقوبي وهو يتكلم عن تجارة الرقيق في زويلة :

« وبلغني أن ملوك السودان يبيعون السودان من غير شيء ولا حرب » [اليعقوبي ، البلدان ، ص ٣٤٥] .

ومن المؤكد أن المبادىء الاسلامية التي وصلت كانم منذ وقت مبكر قد عرفت سكانها السودانيين على استحالة استرقاء المسلم ، وبمعنى آخر أن الوجود الاسلامي في كانم كان قد خلق عقبات أمام تجارة الرقيق التي يعتمد عليها نظام الحكم الوثني في زغاوة . يضاف الى ذلك أن الوضع الاقتصادي في الشمال الافريقي كان مرتبكاً في النصف الثاني من القرن ٥هـ/ ١١م بسبب الهجرة الهلالية الى بلاد المغرب وما نتج عنها من انهيار النظام السياسي (حكم آل زيري)(٥٧). ولابد أن يؤثر بصورة ما على النشاط الاقتصادي لكانم ، حيث قلّ الطلب على الرقيق ، في هذه الفترة على الأقل ، في الشمال . وعلى ذلك فقد ترك الأمر أثره على مملكة زغاوة التي ارتبطت مصالحها الاقتصادية بالشمال واعتمدت على تجارة الرقيق في اقتصادياتها . كل هذه الظروف لابد أن تكون قد ساهمت في وصول أسرة مسلمة الى السلطة في كانم في النصف الثاني من القرن ٥هـ/ ١١م . والشيء الذي يهمنا في شأن هذه الأسرة ، والذي يرتبط بقضية الوجود العربي في كانم ، هو النسب العربي الذي حملته هذه الأسرة .

---

(٥١) *Palmer, op. cit, Vol. III, p. 3.*

(٥٢) *Ibid, Vol. III, p. 16—7.*

(٥٣) *Lange, op. cit, p. 503.*

(٥٤) انظر عن ذلك الادريسي ، المصدر السابق ، من ص ٢ ـ ١٣٣ .

(٥٥) انظر *Palmer, op. cit, Vol. II, p. 39, 42, 33.*

(٥٦) ابن سعيد ، المصدر السابق ، ص ٩٥ .

(٥٧) عن آثار الهجرة الهلالية المختلفة انظر : *M. Brett, "Afriqiya as a market for Saharan trade from the tenth to twelf th, century", Journal of African History, Vol. X (1969), pp. 347-64.*

إن أول اشارة وصلت الينا عن أصل الاسرة الحاكمة في كانم جاءت في القرن ٧هـ/ ١٣م حيث ذكر ابن سعيد أن سلطان كانم محمدي من ولد سيف بن ذي يزن . وسيف بن ذي يزن هو أحد ملوك اليمن قبل الاسلام ، عربي حميري . وقد أكد لنا القلقشندي في القرن ٨هـ/ ١٤م هذا النسب عندما سجل رسالة أحد ملوك كانم وهو الماي عثمان بن ادريس (١٣٩٢ - ١٤٢٤م) الى برقوق سلطان مصر المملوكي ، حيث يشكو فيها الأول من اعتداءات عرب جذام على بلاده ويقول : انه من « بنو سيف بن ذي يزن والد قبيلتنا » [القلقشندي ، صبح الأعشا ، ج ٥ ص ١٧] .

ويبدو من تصفح وثائق ورسائل ملوك كانم ، والكتب التي أرخها مؤرخوهم ، انتساب ملوك كانم الى السيفين الحميرين ، وأن سلسلة نسبهم ترجعهم الى سيف بن ذي يزن باعتباره جدهم وأول ملوكهم(٥٨).

ان التحقيق في النسب السيفي الحميري للاسرة الحاكمة في كانم من الأمور الصعبة جداً ، ولا سيما ونحن لا نملك أي اشارة في الكتب العربية الى هجرة يمنية الى منطقة كانم . أما المخطوطات المحلية فانها تشير باصرار الى أن أسرة سيف بن ذي يزن قد تركت اليمن الى افريقيا ووصلت الى كانم(٥٩). بل أن هذه المصادر تذهب الى أن الاسرة الحاكمة في كانم كانت تحمل النسب الحميري منذ أن كانت وثنية أي أنها أعطت لزغاوة النسب الحميري العربي أيضا . أن عدم وجود أدلة أخرى غير المصادر المحلية عن النسب اليمني لملوك كانم تجعلنا غير قادرين على البت فيه ، ولا سيما وأن هناك ملابسات حول هذا النسب بين حكام كانم أنفسهم . فنلاحظ أن أحد ملوك كانم وهو الماي عثمان بن أدريس في القرن ٩هـ/ ١٥م (وهو الملك الثالث والثلاثون في سلسلة مايات برنو) يذكر في رسالة بعث بها الى أحد ملوك الدولة الظاهرية في مصر (برقوق) انه من ذرية سيف بن ذي يزن وانه قريشي . وهذا خلط واضح في النسب يستنكره القلقشندي الذي سجل هذه الرسالة بقوله :

« وقد وصل كتاب ملك البرنو في أواخر الدولة الظاهرية (برقوق) يذكر فيه انه من ذرية سيف بن ذي يزن إلا أنه لم يحقق النسب فذكر انه من قريش وهو غلط منهم فإن سيف بن ذي يزن في أعقاب تبابعة اليمن من حمير » [القلقشندي ، صبح الأعشى ، ج ٥ ص ٢٧٩] .

ومن الملابسات الأخرى في نسب الاسرة السيفية أن مؤرخي حوليات كانم عندما بدأوا بكتابة تاريخ ملوكهم نجدهم يستهلونه بخلفاء بني أمية وينتهون الى عهد عمر بن عبدالعزيز ، وبذلك انتسبوا الى الأمويين(٦٠). كما نجد منهم من انتسب الى العلويين(٦١). ومع كل هذه الملابسات فاننا لا نستطيع أن نرفض بصورة قاطعة النسب العربي ، على الأقل ، لحكام كانم المسلمين ، مادام أن هؤلاء الحكام حملوه وافتخروا به وأكدوه وأصرّ عليه كتابهم .

لقد حاول بعض الباحثين المحدثين إيجاد مخرج لأصل الاسرة السيفية . فبالمر مثلا ، حاول تحليل الرأي القائل بأن الاسرة السيفية ترجع أصلا الى عرب اليمن . فلقد وجد مخرجاً لهذا الأمر من مخطوطة عربية عُثر عليها في تمبكتو في القرن ١٧م . وجوهر ما توصل اليه بالمر أن سيف بن ذي يزن كان متزوجاً من احدى سيدات التورماغوريين أي القبيلة التي ينتسب اليها حكام كانم ، ومن هنا جاءت الصلة بين سيف والاسرة الحاكمة في كانم(٦٢) كما حاول آخرون ايجاد مخرج للنسب اليمني للاسرة السيفية بالافتراض بأن مجموعة من الطوارق الملثمين قد هاجرت الى كانم في نهاية القرن ٥هـ/ ١١م واستطاعت أن تصل الى السلطة لأي المنطقة ، ولما كان الملثمون كجميع قبائل صنهاجة يظهرون النسب الحميري ، فان الاسرة الحاكمة في كانم - التي ترجع نسبها الى سيف بن ذي يزن - تنحدر من أصل ملثمي

---

(٥٨) *Palmer, op. cit, Vol. I, pp. 4-5, 15—16; Vol. II, p. 82, 87.*

(٥٩) *Ibid, Vol. II, P. 87, 10, Vol. III, 20-1.*

(٦٠) *Ibid, Vol. I, p. 6, 8.*

(٦١) أحمد بن علي القلقشندي ، صبح الأعشى ، في صناعة الانشا (القاهرة ، بدون تاريخ) ، ج ٥ ، ص ٢١٨.

(٦٢) *Palmer, Sudanes memoirs, Vol. III, p. 20, 22.*

انظر أيضاً : طرخان ، المصدر السابق ، ص ٥٧ ، ٧١.

حميري[٦٣]. وهذا الرأي يخالف ما جاء في المصادر المحلية السيفية والتي تشير الى أن حكام كانم كانوا يحملون النسب الحميري منذ أن كانوا وثنيين ، أي أنها أعطت زغاوة النسب الحميري أيضاً[٦٤].

وبعد هذا كله يمكن القول أن الوجود العربي في كانم هو المسؤول عن النسب العربي الذي يحمله حكام كانم ، إذ من المؤكد أن العرب القادمين الى كانم قد اختلطوا بسكان المنطقة وتزوجوا منهم . فليس من المستبعد أن يتزوج العرب الحميريون أو الأمويون أو العلويون من العائلة الحاكمة في كانم ، فيكون حكام هذه المنطقة قد أخذوا النسب العربي من امهاتهم . ومما يعزز قولنا ما نجده في المصادر المحلية في كانم من اشارات ، وإن كانت متأخرة ، الى زواج حكام كانم من القبائل العربية . فقد جاء في مخطوطة « قصة الماي دونمة الديبالي صاحب نجيمي وأبو زوجته أمير بلالة المسمى عمر بلالة » ، ان الماي دونمه (حكم ١٢٢١ ـ ١٢٥٩م) قد تزوج من ابنة الأمير عمر من قبائل بولالا التي تحمل الاصول العربية والتي تسكن شرقي كانم ، وقد أنجبت له ولداً سمي أدريس[٦٥].

وأخيراً لابد من القول أن الوجود العربي في كانم حقيقة لا يمكن نكرانها . وبالرغم من أن صلة العرب بكانم قديمة ، فان الوجود العربي فيها كان مؤقتاً وقليلاً في البداية لبعد المنطقة عن مراكز الاستقرار العربي في الشمال الافريقي ، ولكن العوامل الاقتصادية قد شجعت التجار العرب على الوصول الى كانم عبر صحراء فزان من أجل جلب الرقيق ، كما أن الضغوط السياسية قد أجبرت بعض العرب ـ المسلمين الى التوغل في الصحراء والوصول الى كانم بعيداً عن السلطة في الشمال . ولا ننسى أن نذكر أن هناك الكثير من العلماء والفقهاء المسلمين قد وصلوا الى كانم من أجل نشر العقيدة الاسلامية السامية ، وبصورة تدريجية نجد أن الاستقرار الدائم للعرب في كانم قد ازداد وظهرت نتائجه سريعا إذ قامت دولة اسلامية في كانم بلغت من العظمة والقوة والعمر الطويل مالم تبلغه دولة افريقية أبداً . فقد عاشت هذه الدولة أكثر من تسعة قرون ، وتبنت الدين الاسلامي والحضارة العربية الاسلامية ، فصارت العربية لغتها الرسمية في شتى مجالات الحياة من نظم حكم وادارة واقتصاد وثقافة وعلوم وفنون[٦٦].

(٦٣) حسن أحمد محمود ، انتشار الاسلام والثقافة العربية في أفريقيا ، (القاهرة ، ١٩٥٧) ، ج ١ ، ص ٢٥٦.
(٦٤) *Palmer, op. cit, Vol. II, p. 87.*
(٦٥) *Ibid, Vol. II, p. 42.*
(٦٦) طرحان ، المصدر السابق ، ص ٧.

مصــادر البحث

١ ـ المصادر العربية :

ابن حوقل ، أبو القاسم ، صورة الأرض (بيروت ، ١٩٣٨) .

ابن خلدون ، عبدالرحمن ، تاريخ العبر (بيروت ، ١٩٥٩) .

ابن سعيد المغربي ، أبي الحسن علي بن موسى ، كتاب الجغرافية تحقيق اسماعيل العربي (بيروت ، ١٩٧٠) .

ابن الصغير المالكي ، ذكر بعض الأخبار في الائمة الرستميين ، نشر وتحقيق :

De Motylineki, Actes de xve congress international Des orientalists (Alger, 1905).

ابن عبدالحكم ، فتوح مصر والمغرب (ليدن ، ١٩٢٠) .

ابن عذاري المراكشي ، البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب (بيروت ، ١٩٦٧) .

ابن يونس ، ابراهيم صالح ، تاريخ الاسلام وحياة العرب في امبراطورية كانم ـ برنو (الخرطوم ، ١٩٧٠) .

أبو زكريا يحيى بن أبي بكر ، كتاب سير الائمة وأخبارهم ، تحقيق وتعليق اسماعيل العربي (الجزائر ، ١٩٧٩) .

البكـري ، أبو عبيـد ، المغرب في ذكـر بلاد أفـريقيا والمغـرب (الجزائر ، ١٨٥٦) .

الادريسي ، الشريف ، وصف أفريقيا الشمالية والصحراوية ، نشره هنري بيريس (الجزائر ، ١٩٥٧) .

الاصطخري ، أبو اسحق ابراهيم بن محمد ، المسالك والممالـك (القاهرة ، ١٩٦١) .

حـركات ، ابـراهيم ، « دور الصحـراء الافـريقيـة في التبـادل والتسويق خلال العصر الوسيط » ، مجلة البحوث التاريخية ، مركز جهاد الليبيين للدراسات التاريخية ، السنة الثالثة ، العـدد الأول (يناير ، ١٩٨١) .

الحرير ، أدريس صالح ، العلاقات الاقتصادية والثقـافية بـين الدولة الرستمية وبلدان جنوب الصحراء الكبـرى وأثرهـا في نشر الاسلام ، مجلة البحوث التاريخية ، مـركز جهـاد الليبيين ، السنـة الخامسة ، العدد الأول (يناير ، ١٩٨٣) .

الحموي ، ياقوت ، معجم البلدان (بيروت ، ١٩٥٧) .

دغفوس ، د. راضي ، « العوامل الاقتصادية لهجرة بنو هلال وبنو سليم من مصر » ، المؤرخ العربي ، العدد ٢٠ (١٩٨١) .

طرخان ، ابراهيم ، امبراطورية البـرنو الاسلامية (القـاهرة ، ١٩٧٥) .

القلقشنـدي ، أحمد بن عـلي ، صبح الأعشـا في صناعـة الانشا (القاهرة ، بدون تاريخ) .

محمود ، حسن أحمد ، انتشار الاسلام والثقافة العربية في افريقيا (القاهرة ، ١٩٥٧) .

موسى ، عز الدين ، النشاط الاقتصادي في المغرب الاسـلامي خلال القرن السادس الهجري (القاهرة ، ١٩٨٣) .

مؤلف مجهـول ، الاستبصار في عجـائب الأمصار ، نشـره سعد زغلول عبدالحميد (الاسكندرية ، ١٩٥٨) .

مؤنس ، حسين ، « فزان ودورها في انتشار الاسلام في افريقيا » ، مجلة كلية الآداب ، الجامعة الليبية ، العدد الثالث (١٩٦٩) .

اليعقـوبي ، أحمد بن أبي يعقـوب بن واضح ، تـاريخ اليعقـوبي (النجف ، ١٩٦٤) .

اليعقـوبي ، أحمـد بن أبي يعقـوب بن واضـح ، كتـاب البلدان (ليدن ، ١٨٩١) .

٢ ـ المصادر الأجنبية :

Brett, M., "Ifriqiya as a market for Saharan trade

Africa to the south of Sahara (Wroclaw, 1969).
Martin, B.G., 'kanem, Bornu and Fezzan; Notes on the political history of trade route,'' Journal of African History, Vol. X (1969).
Palmer, H.R., Bornu, Sahara and Sudan (London, 1936).
Palmer, H.R. Bornu Sudanes memoirs (London, 1967)
Trimingham, J.S., A History of West Africa (London, 1963).
from the tenth to twelfth century,'' Journal of African History, vol. X (1969).
Hopkins, J.E.P., Medieval Muslim Government in Barbary (London, 1958).
Lange, D., proges de L'Islam et changement politique an Kanem'', Journal of African History, XIX (1977).
Law, R.C.C., The Garamantes and trans — Saharan enterprise in classical time'' Journal of African History, Vol. VIII (1967).
Lewicki, T., Arabic external sources for the history of





أسلوب المؤرخ الأكاديمي

د . حسين علي الداقوقي
كلية التربية ـ جامعة بغداد

صار للتاريخ في الأعوام الأخيرة سحر وجاذبية ، بل زادت العناية به أكثر من ذي قبل منذ مطلع هذا القرن سواء بواسطة الكتب والمجلات أو بواسطة الكاميرا والسينما والمسرح . فاهتمت به أدوات النشر ووسائل الاعلام للدولة . ولم يبق التاريخ قاصرا على اهتمام هذه الوسائل إنما تعداها الى أن صارت له أهمية في سياسات الحكومات وتربية الناشئين ، وادعت كل جهة وأكدت أن التاريخ هو الحكم الذي لا نقض لبنوده .

غير أن هذه العناية الواسعة كانت مثارا للجدل بين الباحثين ذلك كيف يجب أن يدون التاريخ وكيف يجب أن يكون أسلوب المؤرخ وطبيعة نظمه الكلام ؟ وقال قائل أنه بقدر ما يكون المؤرخ حسن التصنيف والتعبير ، رشيق العبارة فاتن الاسلوب يقدر ما يؤثر فينا ويقنعنا بحقيقة الواقع الذي يرسمها[1]. فالكاتب المؤرخ أو المؤرخ الكاتب بتعبير قائل آخر مادته حقائق محدده فما يكاد يلمسها الأدب حتى يلطف جفافها ويسيغ تناولها . وعلى هذا الأساس أن التاريخ جزء من الأدب واستخدام الأساليب الفنية فيه كما قلنا يجعل منه أكثر لذة واستساغة[2].

وهناك فريق يعتقد أن كتابة التاريخ بريشة أدبية مسألة فيها أكثر من نظر ، خطورتها واضحة بجانب فوائدها .

يرى هؤلاء أن المحاولة لجعل التاريخ ذا جاذبية كبيرة ونثر يشتمل على جمال في أدائه وصياغته أو قل في أسلوبه يقلل من جدارته ، فإن العناية الكبيرة بالأسلوب دليل من دلائل الضعف في البحث التاريخي . والعناية الأساسية بالجانب الفني تبعده عن صفته العلمية ، فالبحث الخاص يقدم للخاصة أما البحث العام فيقدم للعامة مع مراعاة التقديم الجيد وصفاء الأداء فالتاريخ يحفل بالحقائق أكثر من الكلام . ويقولون ان التاريخ صورة لا تحتاج الى اطار ، وجوهرة كريمة لا تحتاج الى موضع إسناد[3].

أن هذا الجدل نفسه في الوقت ذاته يقودنا الى السؤال : هل التاريخ علم أم فن ؟ وهذا ما يترك للطلبة والى جهات النقاش والحوار كي يخرجوا منه بنتيجة مرضية ، لكن الشيء الذي لا شك فيه أن المؤرخ المنهجي ينبغي أن يعلم أن الجانب الفني في الكتابة شيء مستكمل لعمله والمهم ينبغي أن تكون كتاباته واضحة ، والوضوح دعامة الاسلوب ، وأن يبتعد عن الغوامض والمعقدات وعليه أن يترك الأحداث تتحدث عن نفسها وعلى الكاتب في الوقت نفسه ألا يتورط باطلاق التعاميم فالتعميم له خطورته .

تختلف أنواع الأساليب خلال الفترات التاريخية تبعا للخصائص الثقافية لهذه الفترات ، وكذلك يختلف الاسلوب تبعا لطبيعة المادة التي يتناولها المؤرخ . مثلا أن التاريخ الدستوري لا ينسجم بسهولة ويسر برشاقة الاسلوب ولكن بالرغم من ذلك فهناك أمثال **F.W. Maitland** كتبوا موضوعات تحمل عناوين دستورية وقانونية باسلوب ممتع جذاب وبرصانة لا يمكن تغيير كلمة بأخرى أو جملة بغيرها .

---

(١) بول فاليري ، المجلة الجديدة ، نوفمبر ١٩٣٩ .

(٢) الدكتور نعمم أحمد فؤاد ، الوان في الكتابة والكتاب ، الهلال ، ١٩٦٠ الجزء ١٢ ، ص ٦٧ .

(٣) *G. J. Renier, History, its Purpose and Method, London, Method, London, 1961, p. 244.*

والكتاب عادة يضطرون الى مراعاة ذوق العصر ولكن هذه القاعدة لا يمكن الاستناد عليها فيما يتعلق بتدوين التاريخ القائم على منهج علمي سليم[٣٤] . ومن واجب المؤرخ المجدد بتفكيره في معنى عمله أن يوضح لنفسه خصائص الاسلوب الذي يستخدمه .

فلننتقل الآن الى محاولة تقديم صورة موجزة عن الاسلوب التاريخي في تاريخ العرب ، ونردد قبل كل شيء ما يوصف به مكانة التاريخ في الحضارة العربية « والتاريخ جزء عزيز من تراث الحضارة العربية وكانت مكانته في الحياة العقلية العربية عظيمة جدا »[٥].

ترقى بواكير الكتابة الى ما قبل الاسلام . ولكن بالرغم من الأخبار التي وردت في نقوش دول اليمن والنقوش العربية في المناطق العربية الأخرى ، وبالرغم مما دونه أهل الحيرة من أنباء في سجلات كنائسهم والتي لم تصل الينا سوى الاشارات اليها ، وكذا بالرغم مما قيل عن زنوبيا تدمر أنها ألفت كتابا في التاريخ[٦] والذي لا نعرف عنه سوى التلميح اليه أيضاً ، أقول بالرغم مننكل هذه فانه لا يوجد كتاب منظم في التاريخ قبل الاسلام ، مع العلم أن الأدب العربي كان قادرا أن يقدم صورة واضحة عن أحداث تلك الفترة وعن ثقافتها وحياتها الاجتماعية .

ولما أشرق نور الاسلام كانت اللغة العربية في مستوى جيد ، والاسلام بدوره حفز العرب لتطوير الصور التاريخية[٧] فكان تطور الكتابة التاريخية جزءا حيويا من التطور الثقافي[٨].

يفهم من أسلوب الرسائل والتوقيعات والخطابة أنه يجنح في عهد الخلفاء الراشدين الى ضروب من الأناقة لكنها تهدف قبل كل شيء المعنى والقصد ، وفي عهد الأمويين استمر الكتاب على نفس النحو مع مجانية العر من الألفاظ[٩].

وكذا في العصر العباسي ، فقد جمع الطبري (ت ٣١٠/ ٩٣٢م) بين السهولة والجزالة والوفاء بالغرض من أقرب سبيل وفي تصويره للحوادث بوضوح وقوة[١٠] وكذا محمد بن يحيى الصولي (ت ٣٣٥هـ/ ٩٤٦م) في كتابة الأوراق في أخبار الخلفاء فكان ذا ثقافة واسعة حسن التأليف كذلك يمدح المسعودي (ت ٥٣٤٦/ ٢٩٥٧) قدامة بن جعفر وأسلوبه ويقول أنه كان حسن التأليف بارع التصنيف موجزا للألفاظ مقربا للمعاني[١١] وكان جانب الاسلوب في مؤلفات هؤلاء المؤرخين الكبار منسجما مع الجوانب الأخرى فقد تبدت مهارتهم في التأليف حتى يظنها قارئها أنها نسج يد واحدة .

ثم تأثرت الكتابة التاريخية باتجاه الكتابة الأدبية وأشتهر مؤرخون أمثال العماد الأصفهاني (ت ٥٩٧هـ/ ١٢٠١م) والكاتب الأندلسي الفتح بن خاقان[١٢]. (م هـ/ ١١٣٤م) وهناك مؤرخون جمعوا بين الكتابة المرسلة والعبارات المسجعة أمثال ابن حيان الأندلسي (ت ٥٤٦هـ/ ١١٥١م) . ومما يجدر ذكره أيضا أن القرنين السادس والسابع كانا زاخرين بكبار المؤرخين كابن عساكر (ت ٥٧١/ ١١٧٥م) وابن العديم (ت ٦٦٠/ ١٢٦٢م) وغيرهما استمروا على الكتابة المرسلة دون المغالاة في استخدام الزخرفة اللفظية كالسجع والأطناب والمقابلة والتورية ... الخ .. وسار ابن الأثير وابن طباطبا على الكتابة السهلة وتجنب الزخرفة غير أنه كثرت في العصور المتأخرة في القرنين التاسع والعاشر الهجريين

(٤) *J. Methin Vincent, Historical Research. New York (1929) pp. 303-315.*

(٥) محمد شفيق غربال ، مجلة مجمع اللغة العربية ، القاهرة ، ج ١٤ .

(٦) فيليب حتى ، تاريخ سوريا ولبنان وفلسطين ، بيروت .

(٧) *G. Richter, "Medieval Arabic Historiography, Islamic Culture, (Oct. 1959), Translated into English from German by : M. Sabir Khan, see ibid, p. 240.*

(٨) عبد العزيز الدوري ، نشأة التاريخ ، ص ٥٧ .

(٩) حسن ناعسه ، الكتابة اللغوية في مشرق الدول الاسلامية ، مصر ، ص ٩٢ .

(١٠) علي أدهم ، مجلة الهلال ، ديسمبر ١٩٧٥ .

(١١) المسعودي ، مروج الذهب أ / ٦١ والسيد عبد العزيز سالم ، التاريخ المؤرخون ، ص ٧٥ .

(١٢) أندري ميكال ، الأدب العربي ، تعريب رفيق وناس وزميله ، تونس ، ص ٧٨ .

الألفاظ الأعجمية والعامية في أساليب قسم من المؤرخين ، أمثال ابن أباس (ت ٩٣٠هـ/ ١٥٢٣م) (بدائع الزهور) وابن تغري بردي (ت ٧٧٤هـ/ ١٤١٢م) (النجوم الزاهرة) ، وابن الفرات (ت ٨٠٧هـ/ ١٤٠٥م) في كتابه (تاريخ الدول والملوك) . وبجانب هؤلاء مؤرخون كثيرون خالفوا أسلوب هؤلاء وتجنبوا المحسنات اللفظية الى حد بعيد .

وخلاصة القول أن الاسلوب كان يتبع ثقافة المؤرخ ومكانته العلمية وأحيانا يضطر المؤرخ على مجاراة ذوق العصر فمنهم من مال الى القصة ، ومنهم من نحا نحوا قائما على تقديم المادة بلغة عربية متينة .

أما في الوقت الحاضر فقد ازداد الحرص على المنهجية وتصوير الأحداث بدقة بل العناية التامة بالمعنى بجانب مراعاة الأسلوب الواضح السليم في تقديم المادة فقد حرص الأكاديميون بوجه خاص على أن يكون أسلوبهم وافيا بالغرض دون الاخلال بالمادة ولعل الاتجاه العام في الاسلوب يتلخص في مراعاة النقاط التالية :

١ ـ يلعب أسلوب المؤرخ دورا مهما في تصوير الأحداث على حقيقتها فأي خروج عن قصد أو عن غير قصد على وصف الحقائق كما هي يعتبر تشويها للأحداث .

٢ ـ التمويه على القارىء : أن إضفاء أية عاطفة على تصوير الحدث يخرجه من حقيقته .

٣ ـ الاقتصار على وصف الأحداث خاصة في فترة معينة أو مكان معين دون الاشارة الى ما يعاصرها من الأحداث الأخرى يعتبر تمويها على القارىء وإبعادا للحقائق وتجاوزا على التاريخ .

٤ ـ يقع على عاتق المجاميع اللغوية العربية وعلى غيرها من معاهد دراسة اللغة العربية واجب تعريب مصطلحات أخذ يفرض نفسه بشدة في هذه الأيام لأن عدم تحديد هذه المصطلحات بعربية سليمة يسيء اساءة الى أسلوب الكتابة بوجه عام . من هذه المصطلحات على سبيل المثال لا الحصر : أيديولوجي ، سيستم ، وغيرها كثيرة جدا .

٥ ـ على المؤرخ أن يكون ذا علم وفير وعقل ثاقب ومنهج تاريخي سليم ولأجل أن يكون المؤرخ العربي رصينا في أسلوبه كرصانته في مادته ، عليه أن يكون متمكنا من العلوم العربية الاسلامية فهي التي تزوده بقدرة لغوية جيدة يستطيع بها الأداء الجيد وتتيسر له سهولة التراكيب وسلامة النطق وثراء الألفاظ .

٦ ـ الابتعاد عن الحشو وإزالة السرد في التكرار الوصفي لكيلا يضر بالنص التاريخي ويؤثر في الفكرة الأساسية لهذا النص وعلى المؤرخ أيضا أن يجيد اختيار المستساغ من اللفظ المنسجم مع المعنى بأن لا يشوبه أي تعقيد وغموض ، وأن يطيل الجملة أو يقصرها تبعا لما يتطلبه المعنى من طولها وقصرها .

٧ ـ أما إذا تحولنا من البحث الأكاديمي الى الكتابة التاريخية لعامة الناس فلا يستطيع أحد عندئذ أن يفرض على الكاتب في هذا المجال حالة واحدة ، فله الحرية التامة أن يكتب كيفما شاء ويبدع في الكتابة ولكن ألا يكون الابداع في التعبير على حساب المعنى[١٣].

وأخيرا نلخص الموضوع بما ذكره المؤرخ الشهير صلاح الدين الصفدي (ت ٧٦٤هـ/ ١٣٦٣م) حين ارتأى « أن يكون المؤرخ حسن التصوير ... حتى يتصور بعبارة لا تزيد عليه ولا تنقص عنه ، وألا يغلبه الهوى فيخيل اليه هواه الأطناب ... أو التقصير .. »[١٤] وهذا أكد السبكي (ت ٧٧١هـ/ ١٣٦٩م) في تصوير الاسلوب السليم حين قال : « أن يكون (المؤرخ) حسن العبارة عارفا بمدلولات الألفاظ »[١٥].

---

(١٣) راجع : مقالة (بوفون) عن (الأسلوب) ، ١٧٥٣ الأكاديمية الفرنسية .
مقالة (سرمرت موم) (أسلوب) ، تعريب حسام الخطيب ، مجلة المعرفة ١٩٦٢ .
(١٤) مقتبس من محمد كرد علي ، كنوز الأجداد ، ص ٣٨١ .
(١٥) السبكي ، طبقات الشافعية الكبرى وهو الجزء الأول ، ص ١٩٧ ـ ١٩٨ .



الصحة العامة في صدر الاسلام

« دراسة لواقع السنة النبوية المطهرة »

غانم عبد الله خلف

كلية الآداب ـ جامعة الموصل

تمهيـــد

قبل الحديث عن الصحة العامة في صدر الاسلام نرى أن نشير الى الطب وصلته بحياة الانسان عند العرب منذ القدم ، وهو أمر طبيعي لما للطب من أهمية كبيرة لصحة الانسان فبه تصح الأبدان والنفوس ، غير أننا نلاحظ ارتباط التطبيب بالسحر في تلك العصور ، وذهب علماء اللغة الأقدمون الى أبعد من هذا عندما عدوا الطب مرادفـا للسحر . قال ابن الأسلت :

ألا مَـنْ مُـبلِغٌ حسـانَ عـنّي   أطِبٌ كـانَ داؤك أمْ جنونُ[1]

وذكر أبو عبيد في كتاب (غريب الحديث) « كان النبي (ص) احتجم على رأسه بقرن حين طب » (أي سُحر)[2].

من هذا يتبين لنا قيام السحـرة والكهان بتطبيب المرضى عن طـريق الاستعانـة بالـرقي والتعاويـذ للشفاء من الأمـراض التي أصابتهم[3]. وبقي هذا الاعتقاد لدى الناس لفترات طويلة غير أن الاسلام نبه الى خطأ هذا الاعتقاد ، ودعا الى الابتعاد عن الكهانة والعرافة فقد قال النبي (ص) : « من أتى عرافا فسأله عن شيء لم تقبل له صلاة أربعين ليلة »[4]. ومع ذلك بقي الجهلة من النـاس وبخاصة أهل القرى الذين لا تساعدهم أحوالهم المعاشية على مواجهة الأطباء يعتقدون بأمكان الشفاء من الأمراض عن طـريق السحر والرقي والتعاويـذ لاستخراج وطـرد الأرواح الخبيثة التي تـدخل الأجسام فتسبب لها الأمراض[5].

وانعكست أهمية الطب في حياة الناس عـلى من مارس مهنـة التطبيب ، حتى أصبحت لهم منزلة رفيعة بين الناس فقد قال المرتضي عن زهير بن جناب : « كانت فيه عشر خصال لم يجتمعن في غيره من أهل زمانه : كان سيد قومه ، وشريفهم ، وخـطيبهم ، وشاعـرهم ، ووافدهم الى الملوك ، وطبيبهم ـ والطب في ذلـك الزمـان شرف ـ وحازي قومه ـ والحزاة الكهان ـ وكان فارس قومه وله البيت فيهم والعدد منهم ... »[6].

لقد عرف العرب قبل الاسلام أمراضا كثيرة حـاولوا عـلاجها بالوسائل المتاحة لديهم آنذاك ، كـما كانـوا يعرفـون عدوى بعض الأمراض لذلك كانوا يتجنبونها ولا يقتربون من الشخص المصاب بها . أما أشهر الأمراض التي تعرض لها العرب فنذكر منها : العمى

---

(١) الزبيدي ، محمد مرتضي : تاج العروس من جواهر القاموس ، ط ٢ ، مكتبة الحياة بيروت ١٣٠٦هـ ، ١/١ ٣٥ (طب) « ورواه سيبوية أسحر كان طبك وقد طب الرجل والمطبوب المسحور » .

(٢) ابن قيم الجوزية ، شمس الدين محمد بن أبي بكر : الطب النبوي ، ط ٢ ، دار احياء التراث العربي ـ بيروت ١٩٨٢ ، ص ٩٩ ، ١٠٨ .

(٣) القسطلاني ، شهاب الدين احمد بن محمد : ارشاد الساري لشرح صحيح البخاري ، ط ٨ دار الكتاب العربي ـ بيروت ١٣٢٣هـ ، ٨/ ٣٦٠ .

(٤) مسلم ، أبي الحسين مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري : صحيح مسلم ، ط ٢ دار إحياء التراث العربي ـ بيروت ١٩٧٢ ، ٤/١ ١٧٥ .

(٥) علي ، جواد : المفصل في تاريخ العرب قبل الاسلام ، ط ٢ دار العلم للملايين ـ بيروت ١٩٧٨ ، ٨/٤٠٩ .

(٦) المرتضى ، علي بن الحسين الموسوي العلوي : أمالي المرتضى ، ط ١ ، دار احياء الكتب ١٩٥٤ ، ١/٢٣٨ .

والعور والتهاب العيون والرمد ، ومنها ما يصيب الجلد مثل البرص (الوضح) والبهق والحكة والدمامل والبثور والجرب والقرح ، ومنها أمراض داخلية مثل أوجاع المعدة والكبد واليرقان والصداع والشقيقة وذات الجنب وأوجاع المفاصل والعظام والفالج والسل والحمى وأمراض أجهزة البول وأمراض القلب والرعشة والجنون والأمراض العصبية وغيرها من الأمراض التي لا تزال معروفة الى يومنا هذا[٧].

أما أشهر أطباء فترة ما قبل الاسلام فنذكر منهم الحارث بن كلدة الثقفي ، الذي عد طبيب العرب في وقته وأصله من ثقيف من أهل الطائف تعلم الطب في فارس واليمن وبقي الى أيام الرسول (ص) وأبي بكر[٨] وعمر وعثمان وعلي ومعاوية (رض) وقال له معاوية ما الطب ياحارث ؟ فقال : الأزم ياأمير المؤمنين يعني الجوع[٩]. ويروى عن سعد بن أبي وقاص انه قال : مرضت مرضا فعادني الرسول (ص) فقال لي : ايت الحارث بن كلدة فانه رجل يتطبب فأمر الرسول (ص) بأتيان الأطباء ومسائلتهم عما بين أيديهم[١٠]. ومن حكم الحارث : « من سره البقاء والأبقاء فليباكر الغداء ، وليخفف الرداء ، وليقلل غشيان النساء »[١١]. ومن حكمة أيضا في أثناء محاورته كسرى انو شروان : « شر الدواء إدخال الطعام على الطعام »[١٢] ومن أقواله أيضا : « لا تدخله [أي الحمام] شبعاناً ، ولا تغش أهلك سكراناً ، ولا تقم بالليل عرياناً ، ولا تقعد على الطعام غضباناً ، وأرفق بنفسك يكن أرخى لبالك ، وقلل من طعامك يكن أهنأ لنومك »[١٣] وله أيضا « لا تتزوجوا من النساء إلا شابة ، ولا تأكلوا الفاكهة إلا في أوان نضجها ، ولا يتعالجن أحد منكم ما أحتمل بَدَنُه الداء . واذا تغدى أحدكم فلينم على إثر غدائه . واذا تعشى فليخط أربعين خطوة »[١٤].

ويقال أن الحارث كان شاعرا وقد ذكر له أبو العلاء المعري أبياتا من الشعر يقول فيها :

فما عَسَلٌ ببارِدِ ماء مُزْنٍ   على ظَمَأٍ لشارب يشابُ
بأشهىَ من لقيكم إلينا   فكيفَ لنا بهِ ومتى الإيابُ[١٥]

ومن أطباء العرب المشهورين النضر بن الحارث بن كلدة الذي سافر كأبيه الى البلدان ، واجتمع مع الأفاضل والعلماء بمكة وغيرها ، وعاشر الأحبار والكهنة ، واشتغل وحصل من العلوم القديمة أشياء كثيرة واطلع على علوم الفلسفة وأجزاء الحكمة وتعلم من أبيه الطب . وكان النضر يؤاتي أبا سفيان في عداوة النبي (ص) ولما كان يوم بدر حيث انتصر فيه المسلمون على المشركين كان النضر من ضمن أسرى المشركين وقد قتله النبي (ص) بعد انصرافه من المعركة[١٦].

أما ضماد بن ثعلبة الأزدي فهو من أزد شنوءة كان صديقا للنبي (ص) قبل البعثة خرج يطلب العلم ثم عاد الى مكة معتمراً فسمع أهلها يتهمون محمدا بالسحر والكهانة والجنون فقال ضماد للنبي (ص) : يا محمد أني اداوي من الريح فإن شئت داويتك لعل الله ينفعك . فتشهد الرسول (ص) وتكلم كلاما أعجب ضمادا حتى انه

(٧) علي : المفصل ٨ / ٤٠١ .
(٨) يروى أن الحارث شهد وفاة ابو بكر الصديق (رض) عندما مات مسموماً على يد اليهود . انظر : الطبري ، محمد بن جرير : تاريخ الطبري ، (د. ط) دار المعارف بمصر ١٩٦٢ ، ٤١٩/٣ .
(٩) ابن جلجل ، أبي داود سليمان بن حسان الأندلسي : طبقات الأطباء والحكماء ، (د. ط) مطبعة المعهد العلمي الفرنسي للآثار الشرقية ـ القاهرة ١٩٥٥ ، ص ٥٤ ، ابن ابي أصيبعة ، موفق الدين ابي العباس احمد بن القاسم بن خليفة : عيون الأنباء في طبقات الأطباء ، (د. ط) دار مكتبة الحياة ـ بيروت ١٩٦٥ ، ص ١٦١ ، القفطي ، جمال الدين أبي الحسن علي بن يوسف : تاريخ الحكماء ، (د. ط) مؤسسة الخلنجي ـ القاهرة (د. س) ، ص ١٦١ .
(١٠) ابن جلجل : طبقات ، ص ٥٤ .
(١١) القفطي : تاريخ ، ص ١٦٢ .
(١٢) ابن أبي أصيبعة : عيون ، ص ١٦٣ .
(١٣) ابن أبي اصيبعة : عيون ، ص ١٦٣ .
(١٤) ابن أبي أصيبعة : عيون ، ص ١٦٦ .
(١٥) رسالة الغفران ، ط ٤ دار المعارف بمصر (د. س) ، ص ١٦٦ .
(١٦) ابن أبي أصيبعة : عيون ، ص ١٦٧ ، ١٦٩ .

قال : لم أسمع مثل هذا الكلام قط لقد سمعتُ كلام الكهنة والسحرة والشعراء فما سمعت مثل هذا فأسلم وبايع عن نفسه وقومه[١٧].

وأما ابن أبي رمثة فقد كان هو كذلك طبيباً ماهراً مزاولاً لأعمال اليد وصناعة الجراح . ذكر أنه قدم على النبي (ص) ورأى بين كتفيه الخاتم فقال له : اني طبيب فدعني أعالجه فقال : أنت رفيق والطبيب الله[١٨]. وكان هنالك طبيب آخر يدعى ابن حذيم وهو من تيم الرباب وبه فسر قول أوس بن حجر :

فهل لكم فيها إليَّ فإني طبيبٌ بما أعيا النطاسي حُذيما[١٩]

الاسلام وتطور الاهتمام بالصحة العامة :

إن العرض السريع الذي قدمناه يبين أن للعرب معارف طبية وصحية بعضها بسيط بدائي وبعضه الآخر معارف متقدمة على الاولى ، وذلك لأن الذين مارسوها كانوا ممن سافر الى البلدان لدراسة الطب والافادة من تجارب الآخرين .

ولما جاء الاسلام أحدث نقلة نوعية في مجال الطب والثقافة الصحية حيث أكد من خلال التعاليم التي وردت في القرآن الكريم على صحة العامة والفرد ، فدعا مثلا الى عدم الاسراف في الطعام والشراب والالتزام بالنظافة والوضوء بالماء الطاهر خمس مرات باليوم قبل الصلاة ، ثم ان الصلاة نفسها عبارة عن مجموعة من الحركات الرياضية ، وكذلك دعا الى الصوم واجتناب الناس المصابين بالأمراض المعدية ، وحرم الميسر والخمر وأكل الميتة والدم ولحم الخنزير . ونهى عن زواج المصابين بالأمراض النفسية والمعدية والوراثية المشوهة وغيرها من المواضيع الطبية والصحية التي لها علاقة بحياة المسلمين .

وجاءت الأحاديث النبوية الشريفة في هذا المجال لتؤكد التعاليم والقواعد الصحية التي وردت في القرآن الكريم وتفسرها للمسلمين حفاظا على صحتهم من الأمراض . وهذا مما يدلل على أن الرسول (ص) كان يتحدث في هذا الجانب بما يوحي اليه من تعاليم صحية جاءت في آيات القرآن الكريم . ويدلل أيضا على خبرته الطبية والصحية التي كان قد اكتسبها خلال سني حياته .

إن الأحاديث الشريفة التي تخص الصحة العامة والتي اصطلح على تسميتها مجتمعة بـ (الطب النبوي) إنما تتناول مواضيع طبية فيها منافع جسدية ونفسية وبيئية واجتماعية وأخلاقية تفيد الفرد والمجموع على حد سواء ، وتدعو الى بناء مجتمع اسلامي صحي بعيدا عن طب الكهانة والعرافة والدجل . فقد تطرق الرسول (ص) الى ذكر أصناف الأمراض وعلاجاتها وأنواع الأطعمة وفوائدها وطرق الوقاية من الأمراض المعدية ، كما نظم الرسول (ص) العلاقة بين المريض والطبيب وغيرها من المواضيع الطبية .

إن دراسة التعاليم الطبية النبوية دراسة هادئة ودقيقة ستتيح لنا دون شك التوصل الى أن الرسول (ص) إنما أولى اهتماما كبيرا لصحة الانسان وأعطاها مكانة رفيعة في الحياة الدنيا فقد قال (ص) : « من أصبح منكم معافى في جسده ، آمنا في سربه ، عنده قوت يومه ، فكأنما حيّزت [جمعت] له الدنيا »[٢٠]. كما دعا الرسول (ص) الناس الى الاعتدال والموازنة في الحياة وحدد لهم القواعد والمناهج التي تحفظ صحة الفرد والمجتمع وصحة البيئة ، وحدد أسس الطب الوقائي فقد قال (ص) : « كلوا واشربوا وألبسوا وتصدقوا في غير اسراف ولا مخيلة [تكبر] »[٢١]. وأعطى الرسول (ص) للمداواة قيمة كبيرة وحث المرضى على التداوي للشفاء من الأمراض فقد قال (ص) : « تداووا فان الله تعالى لم يضع داء إلا وضع له دواء غير داء واحد : الهرم »[٢٢].

---

(١٧) ابن سعد ، محمد : الطبقات الكبرى ، (د. ط) دار الفكر العربي (د. س) ٤/١٧٧ ـ ١٧٨ ، العسقلاني ، أحمد بن علي بن حجر : الاصابة في تمييز الصحابة ، (د. ط) دار نهضة مصر للطبع والنشر ـ القاهرة ، (د. س) ، ٣/٤٨٦ .

(١٨) ابن جلجل : طبقات ص ٥٧ ـ ٥٨ ، ابن ابي أصيبعة : عيون ص ١٧٠ ـ ١٧١ ، القفطي : تاريخ ، ص ٤٣٦ .

(١٩) الزبيدي : تاج ٨/٢٣٨ (حذم) .

(٢٠) ابن ماجة ، محمد بن يزيد : سنن ابن ماجة ، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي ، (د. ط) دار احياء الكتب العربية عيسى الهابي الحلبي ـ مصر ، (د. س) ، ٣/١٣٨٧ .

(٢١) العسقلاني ، أحمد بن علي بن حجر : فتح الباري بشرح صحيح البخاري ، (د. ط) مطبعة مصطفى البابي الحلبي ـ مصر ١٩٥٩ ، ١٢ / ٣٦٥ .

(٢٢) ابي داود ، سليمان بن الأشعث السجستاني : سفن ابي داود ، ط ١ مطبعة مصطفى البابي الحلبي ـ مصر ١٩٥٢ ، ٢/٣٣١ .

الصحة البدنية :

لقد أكد الاسلام من خلال القرآن الكريم والسنة النبوية على الصحة البدنية وأولاها اهتماما خاصا وأهم مبدأ من مبادىء العناية بصحة الجسم هو النظافة حيث اشترط الاسلام على أتباعه الطهارة والغسل والوضوء لازالة الأوساخ والأنجاس التي تساعد على انتشار الأمراض والفتك بالانسان . فقد قال الرسول (ص) : « الطهور شطر الايمان »[٢٣]. ومن منطلق النظافة أكد الرسول (ص) على الاهتمام ببعض مناطق الجسم والتي تصلح أن تكون عوامل مساعدة في تراكم الأوساخ والجراثيم فقال : « خمس من الفطرة تقليم الأظافر ، وقص الشارب ، ونتف الابط ، وحلق العانة ، والاختتان »[٢٤].

وقد حث الرسول (ص) على الاهتمام بالأسنان والعمل على تنظيفها مما علق بها من بقايا الطعام منعا من تسوسها وتلفها وكان عود السواك (الاراك) هو الوسيلة المستخدمة آنذاك للتنظيف ، وتطييب الفم وتقوية اللثة . قال (ص) : « السواك مطهرة للفم مرضاة للرب »[٢٥] وقال أيضا : « لولا أن أشق على أمتي لأمرتهم بالسواك عند كل صلاة »[٢٦].

كما دعا الرسول (ص) الى الاعتدال في الطعام والشراب والابتعاد عن الافراط والشره في تناول الأغذية والأشربة سواء من حيث الكمية أو النوعية لأن في هذا ضررا صحيا يظهر من خلال التخمة وسوء الهضم واجهاد المعدة والأمعاء وهذا ما تؤكده حتى الدراسات الطبية الحديثة . فقد قال النبي (ص) : « ما ملأ آدمي وعاء شرا من بطن . حسب الآدمي لقيمات يقمن صلبه . فإن غلبت الآدميَّ نَفْسُه فثُلُثٌ للطعامِ وثُلُثٌ للشرابِ وثُلُثٌ للنَّفَس »[٢٧]. وقال أيضا : « طعام الإثنين كافي الثلاثة ، وطعام الثلاثة كافي الأربعة »[٢٨].

ومن مظاهر اهتمام الرسول (ص) بالصحة البدنية تأكيده على سلامة النظر والمحافظة على العيون من الأمراض وقد حث (ص) على استعمال الاثمد [الكحل الأسود] لأنه يساعد على حفظ صحة العين ويقويها اضافة الى كونه يستخدم للزينة والتجميل . قال (ص) : « عليكم بالاثمد فأنه يجلو البصر وينبت الشعر »[٢٩]. كما دعا عليه الصلاة والسلام الى استخدام ماء الكمأة لمعالجة أمراض العيون قال (ص) : « العجوة من الجنة وفيها شفاء من السم ، والكمأة من المن وماؤها شفاء للعين »[٣٠].

كذلك اهتم الرسول الكريم (ص) بالشعر ودعا الفرد المسلم الى العناية بشعره من خلال نظافته المستمرة وتسريحه كي يضفي على الشخص شكلا مقبولا ورائحة زكية قال (ص) : « من كان له شعر فليكرمه »[٣١]. وللمزيد من العناية بالشعر وتقويته وتحسينه واخفاء الشيب عنه نصح (ص) باستعمال الحناء والكتم وهو نوع من النبات يشبه الاس يستخدم مدقوقا فقد قال (ص) : « ان أحسن ما غيرتم به الشيب الحناء والكتم »[٣٢].

ولا يفوتنا أن نذكر أن الرسول عليه الصلاة والسلام تعرض للحالات الشائعة التي كانت تصيب الناس في أجسامهم ونصح بطرق الوقاية والعلاج الضروري لها . وله في هذا أحاديث كثيرة منها ما تناولت التخمة والحمى واستطلاق البطن وعرق النسا والجرح وذات الجنب والعذرة وغيرها من الأمراض .

---

(٢٣) مسلم : صحيح مسلم ١ / ٢٠٣.

(٢٤) ابن انس ، مالك : الموطأ، ط ١ دار الآفاق الجديدة ـ بيروت ١٩٧٩ ، ص ٧٩٧.

(٢٥) النسائي ، أبو عبد الرحمن أحمد بن شعيب ، سنن النسائي ، ط ١ دار احياء التراث العربي ـ بيروت ١٩٣٠ ، ١٠/١.

(٢٦) ابن أنس : الموطأ، ص ٦٨.

(٢٧) ابن ماجة : سنن بن ماجة ١١١١/٢.

(٢٨) ابن أنس : الموطأ، ص ٨٠٢.

(٢٩) ابن ماجة : سنن ابن ماجة ١١٥٦/٢.

(٣٠) الترمذي ، أبي عيسى محمد : سنن الترمذي ، تحقيق ابراهيم عطوة عوض ، ط ١ مطبعة مصطفى البابي الحلبي ـ مصر ١٩٦٢ ، ٤/٤٠٠ ـ ٤٠١.

(٣١) ابو داود : سنن ابي داود ٣٩٥/٢.

(٣٢) ابن ماجة : سنن بن ماجة ١١٩٦/٢.

ولابد أن نذكر كذلك أنه (ص) أكد على بعض طرق العلاج للشفاء من الأمراض وبعضه كان متعارفا عليه قبل الاسلام . فقد أشار الى أهمية تناول العسل واستعمال الحجامة واللجوء الى الكي ولكن عند الضرورة فقط . ومن الضروري الاشارة الى مسألة مهمة أكد عليها النبي (ص) في أحاديثه ألا وهي الامتناع الكلي عن التداوي بالمواد المحرمة مثل السم والخمر ولحوم الأفاعي لأن الأساس في تحريم هذه الأشياء إنما يأتي من كونها خبيثة وليس من المناسب أن يطلب بها الشفاء من الأسقام والعلل فانها وإن أثرت فعلاً في إزالة الأمراض لكنها ستترك سقماً أعظم في القلب والنفس : قال الرسول الكريم (ص) : « ان الله أنزل الداء والدواء وجعل لكل داء دواء ، فتداووا ولا تداووا بحرام »[٣٣].

الصحة النفسية :

لقد اهتم الاسلام بالانسان وأعطاه المكانة الرفيعة التي يستحقها وميزه عن سائر المخلوقات التي جعلها في خدمته وطوع بنانه وخلق الله سبحانه وتعالى الطبيعة لتكون تحت تصرف الانسان ليسعد ويهنأ في الحياة الدنيا ويحافظ على نوعه . ولم يكتف الاسلام بأن هيأ للمؤمنين كل مقومات العيش وإنما اهتم كذلك بمشاعرهم وأحاسيسهم وخلجات قلوبهم ونفوسهم باعتبارها من الأمور الأساسية المكملة لسعادة الانسان المسلم والمحافظة على صحته . فليس هنالك من شك أن صحة النفس تترك آثارها على صحة البدن بقدر أو بآخر وهذه المسألة عرفها بعض العرب قديما فعالجوا مرضاهم عن طريق الرقي والتعاويذ لطرد الأرواح الشريرة والخبيثة . ولما جاء الاسلام منع أكثر هذه الطرق وحرمها واستخدمت العلاجات الروحية الاسلامية بدلا منها عن طريق ما يسمى بالطب الروحاني وهو الطب الذي يهتم « بكمالات القلوب وآفاتها وأمراضها وادوائها وبكيفية حفظ صحتها واعتدالها »[٣٤].

ولا يفوتنا أن نذكر أن أساس الاعتقاد بصدق العلاجات الروحية كما جاءت في هدي الرسول (ص) إنما يتأتى من « الاعتماد على الله والتوكل عليه والالتجاء إليه والانطراح والانكسار بين يديه والتذلل له والصدقة والدعاء والتوبة والاستغفار والاحسان الى الخلق واغاثة الملهوف والتفريج عن المكروب ... فإن القلب متى اتصل برب العالمين وخالق الداء والدواء ومدبر الطبيعة ومصرفها على ما يشاء كانت له أدوية أخرى غير الأدوية التي يعانيها القلب البعيد منه المعرض عنه . وقد علم أن الأرواح متى قويت وقويت النفس والطبيعة : تعاونا على دفع الداء وقهره ، فكيف ينكر لمن قويت طبيعته ونفسه .. أن يكون ذلك لها من أكبر الأدوية وتوجب لها هذه القوة دفع الألم بالكلمة ... »[٣٥].

لقد حث الرسول الكريم (ص) المسلمين على معالجة بعض الأمراض التي تصيبهم عن طريق الرقية الالهية (أي التعوذ من شر الشيء) وذلك بالتوجه الى الله سبحانه وتعالى والدعاء اليه وتلاوة آيات من القرآن الكريم فقد روى أبو داود عن أبي الدرداء قوله : سمعت رسول الله (ص) يقول : « من اشتكى منكم شيئا أو أشتكاه أخ له فليقل : ربنا الله الذي في السماء تقدس اسمك ، أمرك في السماء والأرض ، كما رحمتك في السماء ، فاجعل رحمتك في الأرض ، اغفر لنا حوبنا وخطايانا ، أنت رب الطيبين ، أنزل رحمة من رحمتك وشفاء من شفائك على هذا الوجع فيبرأ باذن الله »[٣٦]. وروى الامام مسلم عن أبي سعيد الخدري : « ان جبريل عليه السلام أتى النبي صلى الله عليه وسلم فقال : يامحمد ، اشتكيت ؟ فقال : « نعم » فقال جبريل عليه السلام : باسم الله أرقيك من كل شيء يؤذيك ، ومن شر كل نفس وعين حاسد الله يشفيك ، باسم الله أرقيك »[٣٧].

ومن باب راحة النفس وإبعادها من كل ما يؤذيها ويسبب لها التشاؤم والقلق والاضطراب ولأجل أن يحيا الانسان المسلم حياة

---

(٣٣) الترمذي : سنن الترمذي ٣٣٥/٢ ، ابن قيم الجوزية : الطب ، ص ١٢١ وما بعدها .
(٣٤) الجرجاني ، أبو الحسن علي بن محمد بن علي : التعريفات ، (د. ط) الدار التونسية للنشر ١٩٧١ ، ص ٧٤ .
(٣٥) ابن قيم الجوزية : الطب ، ص ٧ .
(٣٦) سنن أبي داود ، ٣٣٨/٢ .
(٣٧) صحيح مسلم ١٧١٨/٤ ـ ١٧١٩ .

هادئة وادعة بعيدا عن الاهتزازات النفسية فقد حث الرسول الكريم (ص) المسلمين الى التفاؤل بأمور الحياة وابعاد النفس والعقل عن التشاؤم . فقد روى ابن ماجه عن أبي هريرة قوله : كان النبي (ص) يعجبه الفأل الحسن ويكره الطيرة [التشاؤم][38].

لقد استخدمت الرقية الالهية في معالجة حالات كثيرة تصيب الانسان المسلم . فقد رخص الرسول الكريم (ص) استخدامها لمعالجة الحمة والعين والنملة [وهي قروح تخرج من الجنب] ومعالجة لدغة الحية والعقرب والقرحة والجرح والوجع والهم والغم والحزن والمصائب والفزع والأرق والحريق والسحر . وهنالك أحاديث نبوية كثيرة تتعرض لكل حالة من هذه الحالات[39].

ولابد لنا في هذا المجال أن نشير الى أن العلاجات الروحية الالهية التي يلجأ اليها المسلم والتي رخصها الرسول الكريم (ص) إنما الغاية منها منع وقوع الأمراض النفسية جهد الامكان وإن هي وقعت لم يكن وقوعها مضرا . فالتعوذات والأذكار إما أن تمنع وقوع هذه الأمراض وإما أن تحول بينها وبين كمال تأثيرها وهذا متوقف بالطبع على كمال الشخص المتعوذ وقوته وضعفه . فالرقي والتعاويذ إذن تستعمل لحفظ الصحة ولازالة المرض[40].

صحة الشراب والطعام :

يعد الشراب والطعام من أساسيات حياة الانسان لذلك فإن الدعوة الى الاهتمام بهما من جميع الوجوه إنما تعني الاهتمام بصحة الانسان وسلامته من الأمراض على اختلاف أشكالها وقد تنبه الاسلام الى هذه المسألة الجوهرية وحذر المسلمين من خلال القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة من اهمال هذا الجانب لأن في هذا ضررا صحيا بدنيا ونفسيا كبيرا .

فلأجل المحافظة على الشراب من التلوث بالأوساخ والجراثيم والدبيب فقد حث الرسول (ص) على تغطية الاناء وربط السقاء . قال (ص) : (اغلقوا الباب ، واوكؤا السقاء ، واكفؤا الأناء ، أو خمدوا الأناء ، وأطفئوا المصباح فإن الشيطان لا يفتح غلقاً ، ولا يحل وكاء ، ولا يكشف اناء ، وأن الفويسقة تضرم على الناس بيتهم »[41]. كما نهى الرسول (ص) عن الشرب من فم السقاء فقد روى الامام مسلم عن أبي سعيد الخدري قوله : « نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن اختناث الأسقية : أن يشرب من أفواهها »[42]. والنهي هنا جاء لاعتبارات صحية منها : أن تكرار أنفاس الشارب على فم السقاء يجعل رائحته كريهة تعافها النفس كذلك تخرج من أنفاس الانسان مئات البكتريا والتنفس بالماء ينقل تلك البكتريا من شخص الى آخر . كما حذر الرسول (ص) عن التنفس في اناء الشرب والنفخ فيه لأن هذا يكسب الشراب رائحة كريهة ، واذا كان الشخص الشارب شديد العطش فلا بأس أن يبعد الاناء عن فمه عند تنفسه ثم يعود ثانية لاتمام شرابه . قال (ص) : « إذا شرب أحدكم فلا يتنفس في الاناء فإذا أراد أن يعود فلينح الاناء ثم ليعد ان كان يريد »[43]. ولأجل المحافظة على الما من التلوث كان نهي الرسول (ص) وتحذيره للمستيقظ من نومه بضرورة غسل يده ثلاث مرات قبل أن يدخلها الى الاناء فربط لامست اليد في أثناء النوم شيئا ملوثا أو حشرة أو أوساخا قال (ص) : « إذا استيقظ أحدكم من نومه فلا يغمس يده في الاناء حتى يغسلها ثلاثا فأنه لا يدري أين باتت يده »[44]. ومن مظاهر اهتمام الاسلام بصحة الماء وابعاده عن مصادر التلوث هو تأكيد النبي (ص) على الابتعاد عن التبول أو التبرز في الماء وخاصة الراكد منه أو قرب موارده . والالتزام بهذه الوصايا والتأكيدات يعني استمرار بقاء الماء نظيفا خاليا من عوامل التلوث والأمراض . عن أبي هريرة عن النبي

---

(٣٨) سنن ابن ماجة ١١٧٠/٢ .

(٣٩) للمزيد من التفاصيل راجع الموطأ لمالك بن أنس وصحيح مسلم وسنن ابن ماجة وأبي داود والترمذي وكتاب الطب النبوي لابن قيم الجوزية وكتاب فتح الباري بشرح صحيح البخاري لابن حجر العسقلاني .

(٤٠) ابن قيم الجوزية : الطب ، ص ١٤٢ ـ ١٤٣ .

(٤١) ابن أنس : الموطأ ، ص ٨٠٣ .

(٤٢) صحيح مسلم ١٦٠٠/٣ .

(٤٣) ابن ماجة : سنن بن ماجة ١١٣٣/٢ .

(٤٤) مسلم : صحيح مسلم ٢٣٣/١ .

(ص) أنه قال : « لا يبولن أحدكم في الماء الدائم ثم يغتسل منه »[٤٥]. وروى ابن ماجة عن معاذ بن جبل أنه قال : قال النبي (ص) : « اتقوا الملاعن الثلاث : البراز في الموارد والظل وقارعة الطريق »[٤٦]. ولا يفوتنا أن نذكر كذلك أن الرسول (ص) نهى المسلمين عن الاغتسال في الماء الراكد لأن هذا الماء يكون ملوثا بخلاف الماء الجاري حيث يكون نظيفا تتوفر فيه مقومات الصحة والعافية . قال (ص) : « لا يغتسل أحدكم في الماء الدائم وهو جنب »[٤٧]. ولكي يكون الماء صحيا تماما ذات فائدة كبيرة للانسان لابد أن يكون صافيا عديم الرائحة عذب الطعم رقيق القوام طيب المجرى والمسلك بعيد المنبع معرضاً للشمس والرياح سريع الجري والحركة له كثرة تدفع الفضلات المخالطة به وأخيراً أن يكون اتجاه مجراه من الشمال الى الجنوب أو من المغرب الى المشرق[٤٨].

ومثلما أولى الاسلام اهتماما بالشراب فانه اهتم كذلك بغذاء المسلم ولهذا جاء تحريم الاسلام للأطعمة الضارة بصحة المسلمين كالميتة والدم ولحم الخنزير وضمن هذا السياق أيضا فان الرسول (ص) يقول : « كل ما ألقى البحر ، أو جزر فكلوه ، وما مات فيه وطفا فلا تأكلوه »[٤٩]. ولأجل أن يكون الطعام شهيا مفيدا للجسم محافظا على رائحته بعيدا عن الزهومة فان النبي (ص) لم يكن ينفخ فيه في أثناء الأكل وكان ينصح المسلمين بهذا . روى ابن ماجة عن عكرمة عن ابن عباس قوله : « لم يكن الرسول صلى الله عليه وسلم ينفخ في طعام ولا شراب ولا يتنفس في الاناء »[٥٠]. ولكي يكون الطعام مباركا ويعم الخير بيوت المسلمين فالواجب يقتضي التزامهم بالأصول الصحيحة لتناول الطعام وذلك من خلال قيامهم بالوضوء قبل الطعام وبعده . فقد قال (ص) : « بركة الطعام الوضوء قبله والوضوء بعده »[٥١]. وقال (ص) كذلك : « من أحب أن يكثر الله خير بيته فليتوضأ إذا حضر غذاؤه وإذا رفع »[٥٢]. ولا يفوتنا أن نذكر أن الاسلام قد نهى أتباعه أن يحرموا على أنفسهم أي نوع من أنواع الأغذية بدافع الزهد في الحياة لأن هذا العمل يحرم المسلم من فوائد هذا النوع مما يترتب عليه أضرارا صحية تحدث نتيجة هذا التحريم غير المبرر . قال الله سبحانه وتعالى في كتابه العزيز : « يأيها الذين آمنوا لا تحرموا طيبات ما أحل الله لكم ولا تعتدوا إن الله لا يحب المعتدين »[٥٣]. وعن أنس رضي الله عنه : أن نفرا من أصحاب رسول الله (ص) كانوا يقولون أنهم لا يتزوجون النساء ولا يأكلون اللحم ولا ينامون على فراش ويصومون ولا يفطرون . فلما سمع الرسول (ص) قولهم هذا قال (ص) : (ما بال أقوام قالوا : كذا وكذا ؟ لكني أصلي وأنام ، وأصوم وأفطر ، وأتزوج النساء ، فمن رغب عن سنتي فليس مني »[٥٤].

وأخيراً فإننا إذا تدبرنا أغذية الرسول (ص) وما كان يأكله وجدناه لم يجمع بين غذائين حارين ولا باردين ولا قابضين ولا مسهلين ولا غليظين ولا مرخيين ولا بين مختلفين كقابض ومسهل وسريع الهضم وبطيئه ولا بين شوي وطبيخ ولم يكن (ص) يأكل طعاما في شدة حرارته ولا طبيخا بائتا يسخن له بالغد ولا شيئا من الأطعمة العفنة والمالحة كالمخللات والملوحات . كما كان (ص) يصلح ضرر بعض الأغذية من بعضها الآخر إن أمكنه ذلك فيكسر حرارة هذا ببزودة ذاك ويبوسة ذلك برطوبة هذا ، كما يفعل بالقثاء والرطب وكما كان يأكل التمر بالسمن . وكان (ص) ينهي عن النوم على الأكل وأن يشرب الماء على الطعام لأن هذا الفعل يفسد الطعام لا سيما إذا كان الماء حارا أو باردا . كما نهى (ص) عن شرب الماء عقيب الطعام وقبله فهذا مناف لحفظ صحة الانسان[٥٥].

---

(٤٥) مسلم : صحيح مسلم ٢٣٥/١ .
(٤٦) سنن ابن ماجة ١١٩/١ .
(٤٧) مسلم : صحيح مسلم ٢٣٦/١ .
(٤٨) ابن قيم الجوزية : الطب ، ص ٣٠٣ .
(٤٩) ابي داود : سنن ابي داود ٣٢٢/٢ .
(٥٠) سنن ابي ماجة ١٠٩٤/٢ .
(٥١) ابي داود : سنن ابي داود ٣١١/٢ .
(٥٢) ابن ماجة : سنن ابن ماجة ١٠٨٥/٢ .
(٥٣) سورة المائدة : الآية ٨٧ .
(٥٤) مسلم : صحيح مسلم ١٠٢٠/٢ .
(٥٥) ابن قيم الجوزية : الطب ص ١٧٣ ـ ١٧٤ .

صحة اللباس والسكن :

لقد أكد الاسلام على نظافة الملابس ونبه اتباعه الى ضرورة التقيد بهذا اتوجه لان فيه منفعتهم وسلامتهم الصحية البدنية والنفسية والفكرية . ولان من أهم الشروط الواجب توفرها في صلاة المسلم هو شرط طهارة ثيابه مما علق بها من أوساخ وأنجاس . ولكي يطمئن المسلم الى نظافة ملابسه وهو يؤدي التزاماته الدينية بصورة صحيحة فأن الرسول الكريم (ص) رغب جماعته وحثهم على ارتداء الثياب البيضاء اللون ذلك أن البياض يظهر فيه الوسخ أكثر من غيره مما تستدعي الضرورة تنظيفه بأستمرار فقد قال (ص) : « البسوا ثياب البياض فأنها أطهر وأطيب »[٥٦] . وزيادة في الاهتمام بأمر الملابس من الناحية الصحية فأن رسولنا الكريم (ص) كان يحبذ لبس الثياب المصنوعة من القطن والكتان لانها تدفيء البدن ولا تسخنه . فثياب القطن معتدل الحرارة أما ثياب الكتان فهي باردة يابسة . فقد ذكر انس بن مالك أن أحب وأعجب الثياب الى رسول الله صلى الله عليه وسلم هي الحبرة وهي ثياب القطن والكتان المزينة[٥٧] . أما الحرير فمع كونه معتدل الحرارة وألين من القطن فان الشريعة لم ترخص لبسه الا للنساء فقط « لتصبر النفوس عنه وتتركه لله فتثاب على ذلك .. ولأنه خلق في الاصل للنساء كالحلية بالذهب فحرم على الرجال لما فيه : من مفسدة تشبه الرجال بالنساء .. ولما يورثه من الفخر والخيلاء والعجب .. »[٥٨] غير ان النبي (ص) رخص للزبير بن العوام وعبدالرحمن بن عوف في لبس قميص الحرير وقيل ان سبب الترخيص هذا يعود الى حكة أو قمل كان بهما . عن أنس بن مالك أنه قال : ان رسول الله (ص) رخص للزبير بن العوام ولعبدالرحمن بن عوف في قميصين من حرير من وجع كان بهما حكة[٥٩] . وورد عند الامام مسلم : ان عبدالرحمن بن عوف والزبير بن العوام شكوا الى الرسول صلى الله عليه وسلم القمل فرخص لهما في قميص الحرير في غزاة لهما[٦٠] .

أما الحديث عن صحة السكن فأنه يقودنا ولا شك إلى تصور حالة مساكن المسلمين البسيطة في تشييدها وتعليتها وزخرفتها وسعتها وذلك لقناعة الرسول وإتباعه بأن الدنيا مرحلة وقتية زائلة وإن الاخرى هي المستقر للمسلم . وعليه فإن مساكن المسلمين كانت للوقاية من الحر والبرد والتستر عن العيون ومنع دخول الدواب ولا يخاف سقوطها لزيادة ثقلها ولا تعشعش فيها الهوام بسبب سعتها ولا تعتوها الا هوية والرياح المؤذية لارتفاعها وليست تحت الأرض ولا في غاية الارتفاع بل هي وسط ، وتلك أحسن المساكن وأنفعها وأقلها حرا وبردا ولا تضيق على ساكنها فينحصر ولا هي واسعة بغير منفعة فتأو الهوام في خلوها[٦١] . وزيادة في المحافظة على صحة المسكن وجعله بعيدا عن تراكم الاوساخ والقاذورات فقد حث الرسول (ص) المسلمين على الاهتمام بنظافة مساكنهم وعدم التشبه باليهود الذين يجمعون الزبالة في دورهم . قال (ص) : « ان الله طيب يحب الطيب ، نظيف يحب النظافة ، كريم يحب الكرم ، جواد يحب الجود . فنظفوا افناءكم وساحاتكم ، ولا تشبهوا باليهود يجمعون الاكباء في دورهم »[٦٢] . كذلك وجه النبي (ص) المؤمنين إلى اماطة الأذى عن طريق الناس لكي يسهل مرورهم من وإلى دورهم . قال (ص) : « بينما رجل يمشي في طريق إذ وجد غصن شوك فأخره فشكر الله له فغفر له »[٦٣] . كما نبه رسولنا الكريم المسلمين الى الابتعاد عن المسيئين الذين يتغوطون في طرقات الناس وفي مستظلهم الذي اتخذوه مقيلا ومناخا ينزلونه ويقعدون فيه . عن أبي هريرة أن رسول الله (ص) قال : « اتقوا اللعانين » قالوا : وما اللعانان يا رسول الله ؟ قال « الذي يتخلى في طريق الناس أو في

---

(٥٦) ابن ماجة : سنن ابن ماجة ٢/١١٨١ .

(٥٧) مسلم : صحيح مسلم ٣/١٦٤٨ ويراجع ابن قيم الجوزية : الطب ص ٦٢ .

(٥٨) ابن قيم الجوزية : الطب ، ص ٦٣ .

(٥٩) ابن ماجة : سنن ابن ماجة ٢/١١٨٨ .

(٦٠) صحيح مسلم ٣/١٦٤٧ .

(٦١) ابن قيم الجوزية : الطب ص ١٨٥ ـ ١٨٦ .

(٦٢) ابن قيم الجوزية : الطب ص ٢١٦ .

(٦٣) الترمذي : سنن الترمذي ٤/٣٤١ .

ظلهم »[٦٤] . ونهى الرسول (ص) عن جلوس المسلمين في الطرقات وإذا كان لابد من جلوسهم فعليهم مراعاة حرمة الطرقات والالتزام بها حتى لا تكون منهم إساءة للناس في بيوتهم وفي مسالكهم . روي الامام مسلم عن أبي سعيد الخدري عن النبي (ص) أنه قال : « أياكم والجلوس في الطرقات » قالوا : يا رسول الله مالنا بد من مجالسنا نتحدث فيها . قال « فأذا أبيتم الا المجلس فأعطوا الطريق حقه » قالوا : وما حقه ؟ قال « غض البصر ، وكف الأذى ، ورد السلام ، والأمر بالمعروف ، والنهي عن المنكر »[٦٥] .

الوقاية من الأمراض السارية :

عند الحديث عن الصحة البدنية والنفسية وصحة الشراب والطعام واللباس والسكن تطرقا الى المباديء والتعاليم الصحية التي أكدها رسول الله (ص) وحث المسلمين على التمسك بها والسير على هديها لأن في هذا سلامة المسلم من الأمراض وابتعاده عن العدوى بها . ومع هذا فأننا سنتطرق الى مقومات الوقاية من الأمراض قبل وقت حدوثها استكمالا لهدى رسولنا الكريم في الصحة العامة للمسلمين .

١ ـ الوقاية من الأمراض قبل حدوثها :

ان أهم مبدأ من مباديء الوقاية من الأمراض قبل حدوثها هو التأكيد المستمر على النظافة والطهارة في الجسم والمسكن والملبس والطعام والشراب . والنظافة كما هو معروف تشكل عائقا كبيرا أمام انتشار الجراثيم وبالتالي انتشار الأمراض على عكس الأوساخ التي تعد البيئة الملائمة لانتشار عوامل الأمراض . وهناك آيات كثيرة في القرآن الكريم وأحاديث نبوية شريفة تؤكد على نظافة المسلم من جميع الوجوه فلا تقبل من المؤمن عباداته مالم تكن مقرونة بالنظافة . قال سبحانه وتعالى « ان الله يحب التوابين ويحب المتطهرين »[٦٦] . وأكد الاسلام على جانب مهم من جوانب المحافظة على حياة الانسان المسلم وجعلها بعيدة عن الاصابة بالامراض وذلك من خلال تطبيق نظام الطعام والشراب من حيث النوعية والكمية قال (ص) : « يأكل المسلم في معي واحد والكافر يأكل في سبعة أمعاء »[٦٧] . وكان الصوم ولا يزال من العوامل المساعدة في حفظ الصحة لأن فيه راحة الجهاز الهضمي وبقية أجهزة الجسم الأخرى اضافة الى فوائده التربوية والاخلاقية التي يؤكدها الاسلام ويحث عليها . وبهذا الصدد يقول ابن قيم الجوزية « الصوم جنة من ادواء الروح والقلب والبدن ، منافعه تفوق الاحصاء وله تأثير عجيب في حفظ الصحة .. وفيه خاصية تقتضي ايثاره وهي تفريحة للقلب عاجلا وآجلا .. وهو يدخل في الأدوية الروحانية والطبيعية .. »[٦٨] . أما الصلاة فشأنها شأن الصوم بالنسبة للانسان المسلم من حيث فوائدها البدنية والنفسية والاخلاقية فهي تنشط البدن والحواس وتبعد الكسل وتقوي القلوب والنفوس وتغذي الارواح وتجلب الخيرات وتطرد الشرور . أما الجهاد ففيه فوائد كثيرة من حيث بناء الجسم وحفظ صحته وتقوية القلب وزوال الهم والغم والحزن اضافة الى التوصل من خلاله إلى خيرات الدنيا والآخرة[٦٩] .

وكانت الرياضة عند المسلمين مسألة ضرورية لأنها تقوي بدن الانسان وتنشط الدورة الدموية وتنمي الذهن وتنظم عملية التنفس . وقد حث الرسول (ص) المسلمين على ممارسة الرياضة وأكتساب القوة فقال : « المؤمن القوي خير وأحب الى الله من المؤمن الضعيف وفي كل خير »[٧٠] . وله أيضا في هذا المجال « علموا أبناءكم السباحة والرمي والمرأة الغَزْلْ »[٧١]

٢ ـ الوقاية من الأمراض وقت حدوثها :

ان الغاية الاساسية من الوقاية هنا هي منع انتشار عدوى بعض

(٦٤) مسلم : صحيح مسلم ٢٢٦/١ .
(٦٥) صحيح مسلم ١٦٧٥/٣ .
(٦٦) سورة البقرة : الآية ٢٢٢ .
(٦٧) ابن أنس : الموطأ ص ٧٩٩ .
(٦٨) الطب ، ص ٢٥٨ .
(٦٩) ابن قيم الجوزية : الطب ص ١٩٣ .
(٧٠) مسلم : صحيح مسلم ١٠٥٢/٤ .
(٧١) السيوطي : جلال الدين عبد الرحمن ابن ابي بكر : الجامع الصغير من حديث البشير النذير ، ط ١ ، مطبعة مجازي ـ القاهرة ١٣٥٢هـ ، ١٢٥/٢ .

الأمراض التي تصيب الناس . فلقد أوصى الرسول (ص) المريض الذي عرف عنه أنه مصاب بمرض ساران لا يختلط بالناس الأصحاء حتى يلا يكون سبباً في عدواهم مما به من مرض . قال (ص) : « لا يورد المرض على المصح »[٧٢] ثم ان النبي عليه السلام لما علم أن هنالك وفدا من ثقيف قادما إليه وفيه رجل مجذوم سارع (ص) بالطلب من هذا الرجل للعوده الى دياره خوفا من أن يكون سببا لعدوى الناس وقال له : « ارجع فقد بايعناك »[٧٣] وزيادة في الحذر من عدوى مرض الجذام فقد أكد عليه السلام على الناس بالابتعاد عمن عرف أنه مصاب بهذا المرض الساري فقال (ص) : « لا تديموا النظر إلى المجذومين »[٧٤] . وشدد رسول الله على تنظيف ما لوثته الكلاب لأنها ـ أي الكلاب تسبب لـلانسان والحيـوان مرض داء الكلب كما يسمى في وقتنا الحاضر . قال (ص) : « اذا ولغ الكلب في اناء أحدكم فليرقه ثم ليغسله سبـع مرات »[٧٥] . وذهب عليـه السلام إلى أبعد من هذا عندما أمر بقتل الكلاب بأستثناء كلاب الصيد والماشية والحرث فقال (ص) : « لولا أن الكلاب أمة من الأمم لأمرت بقتلها فأقتلوا منها الأسود البهيم وما من قوم اتخذوا كلبـا الا كلب ماشيـة أو كلب صيد أو كلب حـرث إلا نقص من أجورهم كل يوم قيراطـان »[٧٦] . أما الـوقايـة من عدوى مـرض الطاعون فقد نظمها الرسول عليه السلام عندما وضع أساس الحجر الصحي الذي لا يسمح للناس بالدخول والخروج من وإلى أي مكان موبوء بهذا المرض فقال (ص) : « إذا سمعتم بالطاعون بأرض فلا تدخلوها وإذا وقع بأرض وأنتم بها فلا تخـرجوا منهـا »[٧٧] . وعن بعدالله بن عامران أن الخليفة عمر (رض) خرج إلى الشام فلما وصل مدينة بسرغ سمع أن الوباء قد وقع بالشام فأخبره عبـدالرحمن بن عوف ان رسول الله (ص) قال : « إذا سمعتم به بأرض فلا تقدموا عليه وإذا وقع بأرض وأنتم بها فلا تخرجوا فرارا منه »[٧٨] . فما كان من الخليفة عمر إلا التوقف ولم يدخل الشام في ذلك الوقت بسبب إنتشار الطاعون . وللوقاية من الأمراض الزهرية والتناسلية وهي الأمراض التي سببها العلاقات الجنسيـة غير المشـروعة فقـد حرم الاسلام الفواحش الجنسية على الزواج من استطاع اليه سبيلا لأن من فوائد الزواج غض البصر وإبعاد النفس عن الحرام . فقد قال الرسول (ص) : « يا معشر الشباب عليكم بالباءة فأنه أغض للبصر وأحصن الفرج فمن لم يستطع منكم الباءة فعليه بالصوم فأن الصوم له وجاء »[٧٩] وقال عليه الصلاة والسلام : « لم نر للمتحابين مثل النكاح »[٨٠] . وزيادة في الحيطة والحذر من الأمراض المعدية التي من الممكن أنتقالها عن طريق الجماع غير المشروع فقد حث الرسول المسلمين على الزواج من النساء الحرائر المعروفات بأخلاقهن الصالحة وسيرتهن الحميدة . قال (ص) : « من أراد أن يلقى الله طاهرا مطهرا فليتزوج الحرائر »[٨١] . وعن عبدالله بن عمرو أن رسول الله (ص) قال : « الدنيا متاع وخير متاع الدنيا المرأة الصالحة »[٨٢] .

الخاتمة :ـ

ان صلة الطب بحياة الانسان قديمة جدا . وقد مارس العرب ـ كغيرهم من الأمم ـ التطبيب انطلاقا من اهتمامهم بصحتهم البدنية والنفسية . وكان أغلب الذين اشتغلوا بالطب من الشيوخ والعجائز

(٧٢) ابن ماجة : سنن ابن ماجة ١١٧١/٢ .
(٧٣) ابن ماجة : سنن ابن ماجة ١١٧٢/٢ .
(٧٤) ابن ماجة : سنن ابن ماجة ١١٧٢/٢ .
(٧٥) مسلم : صحيح مسلم ٢٣٤/١ .
(٧٦) ابن ماجة : سنن بن ماجة ١٠٦٩/٢ .
(٧٧) العسقلاني : فتح ٢٨٩/١٢ .
(٧٨) ابن أنس : الموطأ ص ٧٨٣ .
(٧٩) الترمذي : سنن الترمذي ٣٩٢/٣ .
(٨٠) ابن ماجة : سنن ابن ماجة ٥٩٣/١ .
(٨١) ابن ماجة : سنن بن ماجة ٥٩٨/١ .
(٨٢) مسلم : صحيح مسلم ١٠٩/٢ .

والكهان والسحرة حيث اعتمدوا في معالجتهم للأمراض على بعض الأدوية البسيطة واشتخدموا الرقي والتعاويذ للاستشفاء وإلى جانب هؤلاء كان هنالك أطباء لهم معارف طبية وصحية متقدمة اكتسبوها من خلال أسفارهم الكثيرة إلى البلدان حيث استفادوا من تجارب وخبرات أطباء البلدان التي زاروها .

لقد عرف العرب أصنافا كثيرة من الأمراض فسعوا الى معالجتها بطرقهم المعروفة آنذاك . وبرز عدد من الأطباء نذكر منهم الحارث بن كلدة الثقفي والنضر بن الحارث وضماد بن ثعلبة وابن أبي رمثة وغيرهم من الأطباء .

ولما جاء الاسلام حدث تطور نوعي في مجال الطب والثقافة الصحية فقد حثت التعاليم القرآنية عن ضرورة الاهتمام بحصة الفرد والمجتمع وكذلك الحال بالنسبة للسنة النبوية الشريفة التي جاءت مؤكدة ومفسرة لما ورد في القرآن الكريم من قواعد صحية تفيد المسلم . وقد أبطل الاسلام التطبيب بالسحر والرقي والتعاويذ التي كانت مستخدمة قبل الاسلام وأحل محلها الرقية الالهية والعلاجات الروحية الاسلامية . كما نهى عن التداوي بالمواد المحرمة كالسموم والخمور ولحوم الافاعي . وجرى التأكيد على صحة الانسان المسلم بدنيا ونفسيا وصحة طعامه وشرابه ولباسه وسكنه وتم تأشير الطرق والقواعد الت بموجبها تتم الوقاية من عدوى الأمراض السارية وحددت العلاقة بين المريض وطبيبه وغيرها من المواضيع الطبية والصحية .





البريد العسكري في العصر العباسي

د . خالد جاسم الجنابي

كلية التربية ـ جامعة بغداد

البريد : نظام لنقل الأخبار ، وهو « أن يجعل خيل مضمرات في عدة أماكن ، فاذا وصل صاحب الخبر المسرع إلى مكان منها وقد تعب ، فرسه ركب غيره فرساً مستريحاً ، وكذلك يفعل في المكان الآخر والآخر حتى يصل بسرعة »[1] .

والبريد في الأصل الدابة المرتبة في الرباط ثم سمي به الرسول المحمول عليها ، ثم سميت به المسافة المشهورة[2] .

والبريد في معناه اللغوي والاصطلاحي عربي الأصل والمنشأ ، وقد وردت هذه الكلمة في معاجم اللغة العربية لتعني أرسال الشيء أو السير ، بل ان بعض الباحثين ذهب إلى ان أقدم تنظيم بريدي عند الأمم ظهر في وادي الرافدين ، وقد عرفه واستخدمه العراقيون القدماء من سومرين وأكديين وبابليين وآشوريين قبل أن يعرفه الفرس أو اليونان[3] .

وقد عرف العرب البريد قبل الاسلام ، وإلا أنهم لم يستخدموه كنظام أو مؤسسة ، لها محطات أو دواب أو سعاة ، وإنما كانت هناك بعض المصطلحات كراكب البريد[4] . والفيوج[5] أي السعاة على الأقدام .

وبظهور الاسلام واستجابة كاجات الدولة العربية الاسلامية في تنظيم شؤونها ، اقتضت الضرورة وجود الرسل الذين يتولون إيصال الرسائل والأوامر من القيادة المركزية والمتمثلة بالرسول (ص) إلى باقي أنحاء الجزيرة العربية ، ثم ظهرت الحاجة ماسة إلى وجود الرسل والسعاة في عهد الخلفاء الراشدين بعد أن توسعت رقعة الدولة العربية ، وبدأت عمليات تحرير الأرض العربية وهذا يقضي أن يكون الخليفة على علم تام بكل دقائق الأمور في الأمصار أو ساحات المعارك ، لذلك ظهرت أول إشارة إلي استخدام البريد في عهد الخليفة عمر بن الخطاب (ر ض) في حدود سنة ١٣ هـ ، فقد ورد في تاريخ الطبري ، « ان البريد قدم على المسلمين من المدينة بموت أبي بكر ، وبعزل خالد بن الوليد ، وتأمير أبي عبيدة وهم باليرموك ، وقد التحم القتال بينهم وبين الروم »[6] .

ثم تزايد الإعتماد على البريد في نقل الأخبار خلال معارك التحرير والفتح في العراق والشام ومصر ، حتى دعت الحاجة إلى إنشاء دور للبريد ، فقد أورد الكتاني « أن دار البريد موضع بالكوفة كانت الرسل تنزل فيه إذا حضرت من الأمراء والخلفاء .... وكانت الدار في طرف البلدة »[7] .

ويبدو أن الضرورات العسكرية هي السبب الرئيسي في تطور

---

(١) ابن طباطبا ، محمد بن علي ، الفخري في الآداب السلطانية، بيروت ١٩٦٠، ١٠٦.

(٢) الفيروز آبادي، محمد بن يعقوب، القاموس المحيط ، القاهرة ، مؤسسة الحلبي ، المجلد الأول ص ٢٧٧. الكتاني ، عبدالحي ، التراتيب الادارية جـ ١/ ١٩٢.

(٣) خولة عيسى ، نشأة البريد وتطوره في الدولة العربية حتى عام ٣٣٤ هـ اطروحة للماجستير على الآلة الكاتبة ، بغداد ١٩٨٥ ، ص ٢٧ .

(٤) مصعب الزبيري ، نسب قريش ، نشر بروفنسال ، الطبعة الثالثة ، القاهرة ، دار المعارف ، ٢٦١ .

(٥) ابن منظور ، لسان العرب ، ٣٥٠/٢.

(٦) الطبري ، تاريخ ، ٤٣٥/٣ ، وقد ورد في ص ٣٩٨ « اذ قدم البريد من المدينة ، فأخذته الخيول ، وسألوه الخبر ، فلم يخبرهم الا بسلامة واخبرهم عن إمداد » .

(٧) الكتاني ، التراتيب الادارية ، ١٩٢/١ .

البريد إلى هذه الدرجة ، وبالرغم من عدم الإشارة إلى وجود ديوان أو مؤسسة خاصة للبريد في عهد الخلفاء الراشدين ، إلا أن تحديد مراحل البريد وسككه ووضع التاريخ على الكتب والرسائل ، وختمها بالطين[8] ، يشير إشارة واضحة إلى أن تنظيمات البريد كانت مطبقة في كل أمصار الدولة العربية الاسلامية لغرض تأمين وصول الأخبار بصورة سريعة وأكيدة .

وبعد مجيء الأمويين إلى الحكم سنة ٤١ هـ وازدياد رقعة الدولة العربية الاسلامية ، دعت الضرورة الأمنية وجود مؤسسة تتولى الاشراف على نقل الرسائل والكتب والأوامر من عاصمة الخلافة « دمشق » إلى بقية أقاليم الدولة وبالعكس ، فكان الخليفة معاوية بن أبي سفيان أول من أنشأ ديوانا للبريد[9] .

وقد تطور البريد تطورا كبيرا خلال العهد الأموي وعلى الأخص بعد استقرار الحكم في خلافة عبدالملك بن مروان ، حيث ساهم البريد العسكري الذي بلغ درجة عالية من السرعة والدقة في التنظيم من تحقيق الانتصار على جيوش الاعداء ، والقضاء على الحركات المناوئة للدولة .

وبعد انتقال الحكم إلى العباسيين إزدادت أهمية البريد من الناحية العسكرية ، لأن حاجة الجيش الدائمة إلى معرفة الأخبار عن العدو ، وعدد جيشه وتسليحه والطرق التي يسلكها ، والخطط التي يصنعها دعت العباسيين إلى العناية بأمور البريد ، فنظموا البريد العسكري تنظيماً دقيقاً وبلغ في هذا العصر درجة عظيمة من الرقي ، فاصبح للبريد ديوان مستقل في بغداد يتولى الأشراف على جميع طرق البريد ومحطاته ، مما تحتم وجود جدول بأسماء هذه الطرق ومحطاتها ومنازلها ومسافاتها[10] ، وتطورت مهمات ديوان البريد في العصر العباسي حتى صار من أخطر مؤسسات الدولة ، بحيث أن هذه المؤسسة الخطيرة ، لم تكتف بنقل الرسائل والأوامر ، ومراسلات الدولة ، بل تعدته إلى قيامها بالاستخبار على كل مرافق الدولة وعمالها ، والقيام ببعض المهمات العسكرية ،فتشير الروايات إلى أن الخليفة السفاح استخدم البريد في نقل جزء من قواته بواسطة دواب البريد[11] . وهذا بدوره أدى إلى إزدياد أهمية البريد من الناحية العسكرية .

ولما تولى المنصور الخلافة وجه عنايته إلى البريد ، فخصص له المبالغ الطائلة لتهيئة وسائل النقل السريعة كالخيول والجمال السريعة والبغال النشيطة ، كما أمر باصلاح الطرق وبناء الجسور والقناطر وإنشاء السكك (المحطات) فقد ذكر الاصبهاني ان المنصور كان يقول : « لا أبيت على تضييع الطريق فهو قوام الملك »[12] . وكانت سكك البريد تحظى بإهتمام الخلفاء بشكل ملحوظ وتخضع لرقابتهم ، وذلك لما يترتب على إضطراب الأمور فيهامن تعثر ملموس في سير أعمال البريد وسرعة توصيله للأخبار التي يعتمد عليها ، وهذا هو الذي دعا العباسيين إلى التعرف على احوال الطرق وسد احتياجاتها من الخدمات[13] . ونتيجة لهذه المجهود أصبح الخليفة على علم تام بكل ما يجري في أمصار الدولة ، لأن ولاة البريد كانوا يكتبون إليه يومياً بكل ما يجري في بلدانهم ، وللدلالة على انتظام البريد في عهد المنصور ، ان عماله كانوا يوافونه بالأخبار كل يوم بما حدث في النهار أو الليل[14] .

صاحب البريد :

لما كان ديوان البريد من أخطر مؤسسات الدولة فان (صاحب البريد) يعد من أكثر رجال الدولة أهمية ، لأنه هو الذي يتولى الاشراف على ايصال أوامر الخليفة الى العمال والولاة وتلقي ما يرد

---

(٨) اشار الطبري في تاريخه الى ان الخليفة عمر بن الخطاب (رضي) « أول من أرخ الكتب وختم بالطين » ٢٠٩/٤.

(٩) الطبري ، تاريخ ٣٣٥/٥ ، ابن طباطبا ، الفخري ، ١٠٦ ، ابن قيم الجوزيه ، محمد بن بكر ، تحقيق د . نزار رضا ، بيروت ١٩٨٥ ، ص ١٦ .

(١٠) قدامة بن جعفر ، الخراج وصناعة الكتابة ، ت محمد حسين الزبيدي بغداد / ١٩٨١ ، ٧٧ ـ ٧٨ . خولة عيسى ، نشأة البريد ٥٣ .

(١١) ابن كثير ـ البداية والنهاية ، ٤٣/١٠ .

(١٢) الراغب الاصبهاني ، محاضرات الادباء ، مكتبة الحياة ، بيروت ، ١٦٩/١ .

(١٣) خولة عيسى ، نشأة البريد ، ٧٦ .

(١٤) الطبري ، تاريخ ، ٩٦/٨ .

منهم من تقارير أو أخبار وعرضها على الخليفة[١٥] . ويمكن تشبيهه بالعين التي يرى بها الخليفة كل ما يجري في انحاء الدولة ، ويتحسس بواسطته على المناوئين لها[١٦] . وبالنظر الى المنزلة الكبيرة التي يتمتع بها صاحب البريد فان منصبه يعد من أكبر المناصب حساسية ، فهو صاحب الأخبار الرسمي والمشرف على جميع الطرق والمسالك المهمة ، وله عيون يوافونه بكل جديد لذلك فان الخلفاء العباسيين لا يختارون لهذه المهمة الا من كان ثقة عدلاً[١٧] . وقد أوجز أبو يوسف الشروط الواجب توفرها في صاحب البريد بقوله « وتأمر باختيار الثقات العدول من أهل كل بلد ومصر فتوليهم البريد والأخبار .... وتتقدم اليهم في أن لا يستروا عنك خبراً عن رعيتك ولا عن ولاتك ، ولا يزيد فيها يكتبون به عليك خبراً[١٨] » ويشدد قدامة بن جعفر على أصحاب البريد في أن يحتاطوا في أخبارهم « وأن لا يرووا عن شيء لا يعلمونه ، ولا يحابوا أحداً بستره ، وأن يكتموا أخبارهم ولا يذيعوها ولا يخلدوا الى كشفها وإفشائها ، فان في ذلك اذا جري وَهْناً ولمن اراد الحيلة مُتَطَرَّقاً[١٩] » .

ومما يدلل على أهمية مكانة صاحب البريد هو ارتباطه المباشر بالخليفة ، حيث لم يكن بينهما أية واسطة ، وذلك لكي لا يسمح لأحد بالاطلاع على الأخبار قبل انهائها الى الخليفة الذي يقرر فيها بعد اشاعة الخبر او كتمانه حسبما تقتضيه مصلحة الدولة[٢٠] .

ولضمان السرية التامة في نقل الأخبار الى الخليفة كانت هناك علامة أو اشارة متفق عليها بين الخليفة وصاحب بريده فضلاً عن الكتاب او الختم ، فالخليفة لا يعترف بمضمون كتاب صاحب البريد ولا ختمه الا اذا تضمن تلك العلامة ، اذ من المحتمل ان يكون صاحب البريد قد بعث الكتاب تحت ظروف التهديد[٢١] .

ولا يقتصر عمل صاحب البريد على نقل الأخبار والرسائل بين العاصمة والولاة بل تعدى الى المراقبة والاستخبار عن كل ما يجري من أمور ، سواء سلوك العمال او الولاة أو القادة أو الموظفين الاداريين وعن أحوال جميع الناس[٢٢] . ومن ذلك يظهر ان صاحب البريد هو أول رجل استخبارات عرفته الدولة العربية الاسلامية ، وان هذه المهمة الخطيرة التي يضطلع بها جعلته يتمتع بمكانة عالية بين كبار القادة العسكريين ورجال الحرب ، بل أن القادة العسكريين انفسهم كانوا تحت رقابة أصحاب البريد والأخبار وأن معارك عمورية التي قادها الخليفة المعتصم أظهرت مدى ما يتمتع به صاحب البريد من دور خطير في كشف المؤامرة التي كانت تحاك من قبل القادة العسكريين وتستهدف قتل الخليفة المعتصم ومبايعة العباس بن المأمون بالخلافة[٢٣] .

أما واجبات صاحب البريد الأساسية فهي[٢٤] :

١ ـ الالمام التام بمعرفة الطرق والمنافذ وصيانتها .

٢ ـ معرفة طرق الاعداء ومناطق تقربهم وتسللهم .

٣ ـ معرفة حيل الجواسيس في الدخول والخروج والتخفي .

٤ ـ دراسة كتب أصحاب البريد في الثغور والولايات وعرضها على الخليفة .

٥ ـ الاشراف على السعاة والموظفين في محطات البريد وصرف ارزاقهم وأرزاق دوابهم .

٦ ـ تعيين أصحاب الخرائط في سائر الأمصار .

(١٥) قدامة بن جعفر ـ الخراج ، ٧٧ .
(١٦) سيدة كاشف ، الوليد بن عبد الملك ، القاهرة ١٩٦٢ ، ١٨١ .
(١٧) قدامة بن جعفر ، الخراج ، ٧٧ .
(١٨) ابو يوسف ، الخراج ١٨٦ .
(١٩) قدامة بن جعفر ، الخراج ، ٥١ .
(٢٠) الحسن بن عبد الله ، آثار الأول ، ٨٥ . خولة عيسى ، نشأة البريد ، ٦٠ .
(٢١) الحسن بن عبد الله ، آثار الأول ، ٨٩ ـ ٩٠ .
(٢٢) سيد أمير علي ، مختصر تاريخ العرب ، ٣٦١ .
(٢٣) الطبري ، تاريخ ، ٧٣/٩ ، ٧٤ ، ٧٦ .
(٢٤) ابن خرداذبة ـ المسالك والممالك ، ١٨٤ ، ١٨٥ .

ونحن عندما نتطرق الى البريد العسكري لا نتناول الواجبات الأساسية لديوان البريد ، التي تتضمن نقل أوامر الخليفة الى ولاة الأمصار ، وتلقي كل ما يدور في هذه الأمصار من أمور تستدعي اطلاع الخليفة عليها ، بل نتناول الواجبات التي لها مساس الناحية العسكرية ، لما لها من أهمية بالغة على أمن الدولة العربية الاسلامية ومصالحها العليا .

وبالنظر لأهمية البريد في نقل المعاملات العسكرية فقد كانت هناك وسائل عديدة لنقل البريد العسكري يمكن حصرها بما يلي :

١ ـ دواب البريد .

٢ ـ السعاة .

٣ ـ الحمام الزاجل .

٤ ـ البريد النهري .

٥ ـ النـــار .

١ ـ دواب البريد :

استخدام العرب الخيول في نقل البريد بين مختلف أقاليم الدولة ، وقد تميزت هذه الخيول بانها كانت مقصوصة الأذناب وهي علامة خصصت لخيول البريد ، وكانت هذه الخيول موزعة على محطات البريد المنتشرة على طول الطرق الرئيسية للدولة وبمسافة تتراوح بين ثلاثة أميال الى اثني عشر ميلاً بين محطة وأخرى[٢٦] ، فاذا وصل صاحب الخبر المسرع الى محطة من هذه المحطات وقد تعب فرسه ركب غيره فرساً مستريحاً ، وكذلك يفعل في المحطة الأخرى والأخرى حتى يصل بسرعة[٢٧] .

وقد أولى العباسيون نظام البريد عناية خاصة ففي عهد الخليفة هارون الرشيد نُظم البريد تنظيماً دقيقاً حتى قيل أن للرشيد عيناً لا تنام في أقصى زوايا ملكه[٢٨] . وفي خلافة المعتصم بالله انقطع عن بغداد ما كان يحمل اليها من مدينة البصرة بسبب تغلب (الزط)[٢٩] على منطقة البطائح (الأهوار) ، فوضع المعتصم بين البطائح وبغداد خيلاً مضمرة ملهوبة الأذناب تركض اليه بالأخبار ، فكان الخبر يخرج من قائد الجيش في منطقة البطائح فيصير الى المعتصم من يومه[٣٠] .

وبلغ من اهتمام الخليفة المعتصم بتتبع ابناء بابك الخرمي أنه نظم البريد بينه وبين قائد جيشه (الأفشين) فجعل من سامراء الى منطقة حلوان[٣١] خيلاً مضمرة على رأس كل فرسخ[٣٢] فرس مع راكب ، فكان يركض بالخبر ركضاً حتى يؤديه من واحد الى واحد يداً بيد ، ومن حلوان الى اذربيجان وهي منطقة وعرة ربت فيها عدداً من الخيول يركض بها يوماً أو يومين ، ثم يتدل ويصير غيرها ويحمل عليها جماعة من الغلمان كل دابة على رأس فرسخ ومعها راكبها ، وجعل لهم حراساً على رؤوس الجبال ليلاً ونهاراً وأمرهم أن يصيحوا اذا جاءهم الخبر ، فاذا سمع الذي يليه النداء تهيأ فلا يبلغ اليه صاحبه الذي صاح حتى يقف له على الطريق فيأخذ الرسالة منه ، فكانت الرسالة تصل من عسكر الأفشين الى سامراء في أربعة أيام أو أقل[٣٣] .

وكانت ظروف الحرب سواء بين الدولة العربية الاسلامية والبيزنطيين أو عند القيام باخماد الحركات والفتن تستلزم سرعة ايصال النجدات ، لذلك استخدم البريد في نقل الجنود فكان قطار

---

(٢٥) الخرائط : جمع خريطة وهي كيس من جلد توضع فيه الكتيب والرسائل وقد جاء في القاموس المحيط « الخريطة وعاء من آدم وغيره يُشْرَجُ على ما فيه » أي يحكم غلقه بجلد ٢/٣٥٧ .

(٢٦) ابن طبا طبا ، الفخري ، ١٠٦ ، آدم متز ، الحضارة الاسلامية ، ٢/٤٠٥ .

(٢٧) ابن طبا طبا ، الفخري ، ١٠٦ .

(٢٨) عبد الجبار الجومرد ، هارون الرشيد ، ٢/١٤٨ .

(٢٩) الزط : أصلهم من السند استخدمهم الفرس في بعض مناطق الخليج العربي قبل الاسلام . كما أن محمد بن القاسم الثقفي بعث بجماعة منهم الى الحجاج عند فتحة السند ـ البلاذري فتوح ، ١٦٦ ، ٣٦٧ .

(٣٠) البلاذري ، فتوح ، ٣٦٩ ، العيون والحدائق ، ٤٧٢ .

(٣١) قرب خانقين حالياً .

(٣٢) الفرسخ : يساوي ٣ أميال أو ٥ كم .

(٣٣) الطبري ، تاريخ ٩/٥٢ ، نعمان ثابت ، الجندية في الدولة العباسية ١/٤٣ .

البريد يتألف من دابة أو أكثر حتى يبلغ في بعض الأحايين أربعين أو خمسين دابة[34].

وفضلاً عن الخيول استخدمت البغال في نقل البريد وخصوصاً في المناطق الجبلية والباردة لعدم امكان استخدام الخيول أو الجمال وذلك لما يتمتع به البغل من القدرة على الهداية في كل طريق يسلكه مرة واحدة كما يتميز باحتماله الأثقال وبصبره على طول الطريق[35].

واستخدم العباسيون الجمال ايضاً في نقل البريد ، وكانوا يعولون عليها في قطع القفار واجتياز الصحاري ، فليس هناك حيوان يتحمل السير والعطش في هذه المناطق أكثر من الجمل[31] . ومن الطبيعي أن تستخدم الجمال السريعة الجري لنقل البريد عبر الأراضي الصحراوية التي لا يستطيع قطعها غير الجمل ، ويشير ابن كثير الى أن الخليفة المهدي اهتم بالبريد في المناطق الصحراوية فأقام محطات بريد بين مكة والمدينة واليمن في سنة ١٦٦هـ واستخدم في هذا الطريق الجمال[37] . ومن الطبيعي أن تستخدم أنواع من الجمال سريعة الجري لنقل البريد عبر الأراضي الصحراوية التي لا يستطيع قطعها غير الجمل ، ومن هذه الأنواع التي اشتهرت بسرعة الجري الجمال (الناجية) والجمال (المهرية) و (البختية) التي توصف بالصبر على السير وسرعة الخطو[38] .

وبالنظر للميزات التي يتمتع بها الجمل فقد كان الواسطة في نقل متطلبات القوات العربية الاسلامية من المؤن والذخيرة وايصالها مناطق القتال ، وكان يتولى الاشراف عليها وقيادتها اعداد كبيرة من الرجال[38] ، واستخدمت (الجمّازات)[39] في نقل البريد فقد قام الوزير علي بن عيسى بترتيب الجمازات بين مصر وبغداد لتوافيه كل يوم بأخبار قائد الجيش مؤنس الخادم الذي انتدب لحرب صاحب القيروان سنة ٣٠٢هـ[40] .

ورغم تميز دواب البريد بان أذنابها كانت مقصوصة لتفريقها عن غيرها من دواب الخدمة ، فقد تميزت أيضاً بأن تُعلّق في أعناقها جلاجل أو سلاسل اذا ما تحركت سمعت لها قرقعة تعرف عندهم بقعقعة البريد[41] .

٢ ـ السعاة :

ومن وسائل نقل الأخبار والرسائل التي استخدمها الجيش العباسي هي استخدام السعاة ، وهم رجال خفاف تعودوا الجري والصبر على السير مسافات طويلة في رحلة واحدة ، فعند تعذر وصول البريد الى ناحية من النواحي خاصة في أوقات الأزمات والحروب التي لا يمكن خلالها بعث بريد الخيل أو غيره لانعدام الاطمئنان على وصوله الى المكان المراد بسلام فحينئذ يكون السعاة خير من يوصل الأخبار والرسائل من غير أن ينكشفوا ، أو في المناطق الجبلية الوعرة التي يتعذر فيها سير الدواب ، لذلك كانت تدفع للسعاة أجور عالية ، ومن الذين اتخذوا السعاة لايصال الرسائل معز الدولة بن بوية أول أمراء الديلم ببغداد بعد سنة ٣٣٠هـ . فقد اراد أن يعلم أخاه ركن الدولة بأصبهان بتجددات الأخبار فاتّخذ السعاة لهذا السبب ، واشتهر في ايامه ساعيان اسم أحدهما فضل والآخر مرعوش ، وقد فاقا سائر السعاة وبلغ من شأنهما أن كل واحد منهما كان يسير في كل يوم أكثر من أربعين فرسخاً[42] .

---

(٣٤) فتحي عثمان ، الحدود الاسلامية ، ٣٠٥/٢.
(٣٥) الجنابي ، تنظيمات الجيش في العصر الأموي ، ١٣٠ ، خوله عيسى ، نشأة البريد ، ١١٥ .
(٣٦) كمال عادل ، استراتيجية الفتوحات ، ٥٥ ، خالد الجنابي ، تنظيمات الجيش ، ١٣٠ ، خوله ، نشأة البريد ، ١١٩ .
(٣٧) ابن كثير ، البداية والنهاية ، ١٥/١٠ ، ٤٣ . جهادية القرغولي ، التنظيمات الادارية في العصر العباسي الأول . رسالة دكتوراه مقدمة الى جامعة عين شمس ١٩٧٤ (بالآلة الكاتبة) .
(٣) خوله عيسى ، نشأة البريد ، ١١٩ .
(٣٨) كمال عادل ، استراتيجية الفتوحات ، ٥٥ ، الجنابي ، تنظيمات الجيش ، ١٣٠ .
(٣٩) الجمازات : نوع من الجمال سريعة المشي ، لفيروز آبادي ، القاموس المحيط ، ١٦٩/٢ .
(٤٠) غريب القوطبي ، صلة تاريخ الطبري مطبعة برايل ، لندن ، ١٩٦٠ ، ص ٥٣ .
(٤١) خوله ، نشأة البريد ، والقعقعة : هي صوت السلاح ، القاموس المحيط ٧٢/٣ .
(٤٢) ابن الأثير ، الكامل ، ٤٢٥/٨ . الأنصاري ، تفريج الكروب ، ١٥ .

وبالنظر لشهرة هذين الساعيين فقد تهافت شبان بغداد على هذه الحرفة واقبل فقراء الناس على تسليم أبنائهم الى معز الدولة لتدريبهم على ذلك(٤٣) .

واتخذ الجيش العباسي السعاة في بلاد الأعداء نفسها ونقل الرسائل بين قادة القوات المتقدمة ، ففي حملة عمورية علم الخليفة المعتصم بتحرك ملك الروم لمواجهة القائد العباسي (الأفشين) ، فوجه من عسكره جماعة من السعاة والأدلاء وضمن لكل واحد منهم عشرة آلاف درهم إن أوصلوا كتابه الى الأفشين ، ليكون على علم بتحرك الروم ، كما أمر قائداً من قواده أن يوجه من قبله ساعياً من الأدلاء الذين يعرفون الجبال والطرق الى الأفشين ليعلمه بالأمر ايضاً(٤٤) .

وهناك نوع من السعاة يُسمون (الفيوج) جمع فيج وهم رسل البريد الذين ينقلون الأخبار والرسائل من بلد الى آخر . ولا يشترط بهؤلاء الفيوج أن يكونوا سعاة على أقدامهم دائماً لأن المسافات التي يقطعونها طويلة جداً ، مما يحتم عليهم ركوب الخيل أو الدواب لتأمين سرعة ايصال الرسائل(٤٥) .

ومن السعاة أيضاً ما عرف باسم الشعوذي وقد أشار الهرثمي الى أن الشعاوذة هم رسل الأمراء الى أصحاب البرد في الأقاليم مهمتهم نقل الأخبار بسرعة(٤٦) .

وعرف نظام البريد نوعاً آخر من السعاة هم (الكوهبانية) أي أصحاب الأخبار المكلفون بنقلها بين قطعات الجيش واعطاء الاشارات الى أمراء الوحدات العسكرية لاحاطتهم علماً بكل ما يجري عند العدو ، وقد ورد ذكرهم كثيراً في حروب بابك الخزمي وموقعة عمورية(٤٧) . وكان هؤلاء الكوهبانية يعتمدون في نقل أخبارهم على تحريك الاعلام فيقفون على مشارف الطرق وعلى المرتفعات ، وعند مشاهدتهم حركة غير اعتيادية يقومون بتحريك الأعلام بطريقة متفق عليها فيفهم قائد القطعة العسكرية مضمون الخبر(٤٨) . ومن واجباتهم أيضاً اعلام قائد الجيش عن كمائن العدو ودورياته ليتخذ الحيطة والحذر ، فكان الأفشين يفرق رجاله الكوهبانية ليفتشوا الأودية عسى أن يقعوا على مواضع الكمناء فيعرفها(٤٩) . وقد عَمِل الكوهبانية كأدلاء يرافقون القطعات المتقدمة ليدلوها على الطرق والمسالك الصحيحة(٥٠) .

وقد ورد اسم (الفروانقيون) باعتبارهم من السعاة أيضاً يتولون نقل الرسائل بين الولاة وكبار المظّفين في الأمور المهمة التي تستدعي السرية ووجوب التنفيذ ، أو باعتبارهم المسؤولين عن تأمين سير السعاة والخيالة والاشراف على محطات البريد ويمكن تشبيههم بالمفتشين(٥١) .

٣ ـ الحمام الزاجل :

ويُعد من أبرز وسائل نقل البريد العسكري ، وقد عني العباسيون به عناية خاصة ، واتقنوا استخدامه في نقل الأخبار بشكل منظم ، فقد ورد في الأخبار أن الخليفة هارون الرشيد استعان بالحمام الزاجل للتعرف على أخبار أقاليم الدولة المختلفة(٥١) . ويظهر أن مؤسس فرقة القرامطة في القرن الثالث الهجري ، كان قد استعمله على صورة واسعة النطاق فاتخذ لنفسه في بداية أمره طيوراً تحمل اليه في مقره أخباراً من جميع البلاد بيستعين بذلك على الشعوذة والإخبار بالغيب(٥٣) .

(٤٣) ابن الأثير ، الكامل ، ٤٢٥/٨ ، آدم متز ، الحضارة الاسلامية ، ٤١٤/٢ .
(٤٤) الطبري ، تاريخ ، ٥٩/٩ . فتحي عثمان ، الحدود الاسلامية ، ٣٠٦/٢ .
(٤٥) خوله عيسى ، نشأة البريد ، ٧٣ ـ ٧٤ .
(٤٦) الهرثمي ، مختصر سياسة الحروب ، ٣٨ .
(٤٧) الطبري ، تاريخ ، ٢٤/٩ ، ٣٠ ، ٣٤ ، ٣٥ .
(٤٨) الطبري ، تاريخ ، ٢٤/٩ .
(٤٩) نفسه ، ٣٦ .
(٥٠) نفسه ، ٤٥/ ٤٦ .
(٥١) خوله ، نشأة البريد ، ٦٨ .
(٥٢) ابن قتيبة ، الأمامة والسياسة ، (منسوب) ، ١٦٢/٢ .
(٥٣) آدم متز ، الحضارة الاسلامية ، ٤١٦/٢ .

وفي سنة ٢٢١هـ أطلقت الطيور من مناطق أذربيجان وأرمينية الى الخليفة المعتصم في سامراء تحمل له أنباء الانتصار على بابك الحزمي[٥٤] . وفي سنة ٣١١هـ لما قرب القرامطة من الأنبار ، وأراد الخليفة المقتدر بالله معرفة أخبارهم ، أرسل الوزير ابن مقله أطياراً الى الأنبار ، فكان يُكْتَب عليها أخبار القرامطة يوماً بيوم[٥٥] .

ويظهر أن الأخبار والرسائل التي يحملها الحمام الزاجل كان يُعتمد عليها اعتماداً كبيراً في أثناء الحرب مع القرامطة ، فقد سلم الوزير علي بن عيسى مائة طائر الى مائة رجل وأمرهم أن يكتبوا له بأخبار القرامطة وقتاً بوقت[٥٦] .

ومن طريف ما يروى أنه كان ببغداد رجل علوي اسمه محمد بن عمر أبي الحسن الشريف له طيور في بغداد والكوفة ، وبينما كان هذا الشريف جالساً عند الوزير يوماً ورد الخبر بوصول رسول القرامطة الى الكوفة فدعت الضرورة الاسراع بالكتابة الى الكوفة للاحسان الى الرسول ، فأرسل الشريف طائراً الى الكوفة بالخبر فوصل الجواب بالامتثال للأمر وهو لا يزال جالساً عند الوزير[٥٧] . ويروي ابن طباطبا أن الخليفة المقتدر جهز جيشاً الى احدى الجهات وكان شديد التطلع الى أخبار هذا الجيش فارسل أحد رجال الحاشية ، ويدعى أبو العباس أحمد بن الخصيب ، طيوراً بصحبة بعض ثقاته مع الجيش ، وقال لصاحبه : سرّح كل يوم طيوراً وعليها الأخبار ، فكانت الأخبار ترد على ابن الخصيب كل يوم فيعرضها على الخليفة ، حتى أن الخليفة المقتدر لم يفته من أمر الجيش شيء ، فتعجب المقتدر من ذلك وعندما علم أن ذلك كان من حسن تدبير أحمد بن الخصيب استوزره[٥٨] .

٤ ـ البريد النهري :

وقد استفاد العباسيون من الأنهار والمجاري المائية في نقل الأخبار أو ايصال الرسائل والكتب والأوامر ، فاستخدموا سفن البريد لايصال الرسائل والأخبار عبر المجاري المائية ، أو أن الرسائل كانت توضع في بعض الأحيان في قصبة وتربط بحزمة من الحشيش وترمى في النهر وذلك اذا كان المرسل اليه على طريق المجرى المائي[٥٩] .

٥ ـ النــــــار :

واستخدمت النار كوسيلة من وسائل نقل الأخبار ، وخاصة في الجهات الواقعة في آسيا الصغرى وبلاد الشام ، والتي كانت خاضعة من قبل للدولة البيزنطية ، لأن هذه الدولة كانت تستعملها ، أما في غير ذلك من انحاء الدولة العربية الاسلامية فلم تستعمل[٦٠] . وكانت طريقة نقل الأخبار بواسطة النار هي بناء المناظر والأبراج العالية على المرتفعات وتُنقل الأخبار بواسطة اشعال النار فينتقل الخبر من منظرة الى اخرى حتى يبلغ المكان المطلوب . وقد اشار المقريزي في الخطط الى استخدام النار في نقل الأخبار في ولاية ابراهيم بن الأغلب على أفريقية سنة ٢٦١هـ ، حيث كانت النار توقد على الحصون والمحارس على طول ساحل البحر من مدينة سبتة الى الاسكندرية فيصل الخبر منها الى الاسكندرية في ليلة واحدة وبينهما مسيرة أشهر[٦١] .

---

(٥٤) المسعودي ، مروج الذهب ، ٥٦/٤ .
(٥٥) عريب ، صلة تاريخ الطبري ، ١١٠ .
(٥٦) مسكوية ، تجارب الأمم ، ٢٩٨/٥ .
(٥٧) مسكوية / تجارب الأمم ، ١٣/٦ .
(٥٨) ابن طباطبا ، الفخري ، ٢٧٠ .
(٥٩) فتحي عثمان ، الحدود الاسلامية ، ٣٠٧/٢ .
(٦٠) آدم متز ، الحضارة الاسلامية ، ٤١٥/٢ .
(٦١) المقريزي ، الخطط ، ٢٨٠/١ .

مصادر البحث

١ ـ ابن الأثير : عز الدين علي بن محمد ـ ت ٦٣٠هـ .
ـ الكامل في التاريخ ـ دار الطباعة ، القاهرة ، ١٢٩٠هـ .

٢ ـ ابن خرداذبه : عبيد الله بن عبد الله ـ ت ٣٠٠هـ .
ـ المالك والممالك ، ليدن ١٨٨٩ .

٣ ـ ابن طباطبا : محمد بن علي ـ ت ٧٠٩هـ .
ـ الفخري في الآداب الاسلامية ـ بيروت ١٩٦٠ .

٤ ـ ابن كثير : عماد الدين ابو الفداء ـ ت ٧٧٤هـ .
ـ البداية والنهاية .

٥ ـ ابن منظور : ابو الفضل جمال الدين ـ ت ٧١١هـ .
ـ لسان العرب .

٦ ـ أبو يوسف : يعقوب بن ابراهيم ـ ت ١٨٢هـ .
ـ الخراج ـ القاهرة ، ١٣٥٢هـ ـ الطبعة الثانية .

٧ ـ آدام متز :
ـ الحضارة الاسلامية في القرن الرابع الهجري ـ ط ٣٠ ، القاهرة ، ١٩٥٧م .

٨ ـ الأنصاري : عمر بن ابراهيم .
ـ تفريج الكروب في تدبير الحروب ، تحقيق د. ج سكاتلون ، القاهرة ، ١٩٦١م .

٩ ـ الحسن بن عبد الله ـ من القرن الثامن .
ـ آثار الأول في ترتيب الدول ـ القاهرة ، يولان ١٢٩٥هـ .

١٠ ـ سيدة كاشف .
ـ الوليد بن عبد الملك ـ القاهرة ، ١٩٦٢م .

١١ ـ سيد أمير علي .
ـ مختصر تاريخ العرب ، ترجمة عفيف البعلبكي ، ط ١ ، بيروت ١٩٦١م .

١٢ ـ الطبري : محمد بن جرير ، ت ٣١٠هـ .
ـ تاريخ الرسل والملوك ، تحقيق ابو الفضل ابراهيم ، القاهرة ١٩٧٩م .

١٣ ـ عريب : القرطبي .
ـ صلة تاريخ الطبري ، يرابل ، ليدن ١٩٦٥م .

١٤ ـ عيسى : خولة .
ـ نشأة البريد وتطوره في الدولة العربية الاسلامية ، حتى عام ٣٣٤هـ ، اطروحة على الآلة الكاتبة ، بغداد / ١٩٨٥م .

١٥ ـ فتحي عثمان :
ـ الحدود الاسلامية البيزنطية بين الاحتكاك الحربي والاتصال الحضاري ، القاهرة ، ١٩٦٦م .

١٦ ـ الفيروز آبادي : محمد بن يعقوب ـ ت ٨١٧هـ .
ـ القاموس المحيط[٤] أجزاء ، القاهرة .

١٧ ـ القرغولي : جهادية .
ـ التنظيمات الادارية والعسكرية في العصر العباسي الأول ، اطروحة دكتوراه على الآلة الكاتبة ، عين شمس ، ١٩٧٤م .

١٨ ـ الكتاني : عبد الحي .
ـ التراتيب الادارية ، دار الكتاب العربي ، بيروت .

١٩ ـ كمال : أحمد عادل .
ـ استراتيجية الفتوحات الاسلامية ، بيروت ١٩٧٧م .

٢٠ ـ مسكوية : ابو علي أحمد بن محمد ـ ت ٤٢١هـ .
ـ تجارب الأمم وتعاقب الهمم .

٢١ ـ المقريزي : تقي الدين احمد بن علي ـ ت ٧٧٠هـ .
ـ المواعظ والاعتبار في ذكر الخطط والآثار ليدن ١٩١٣م .

٢٢ ـ نعمان ثابت .
ـ الجندية في الدولة العباسية ، بغداد ١٩٣٩م .

٢٣ ـ الهرثمي : أبو سعيد الشعراني ـ (صاحب المأمون) .
ـ مختصر سياسة الحروب ، القاهرة ، ١٩٦٤م .

العلاقات السياسية
بين الأيوبيين والموحدين في المغرب الأقصى

٥٦٧ هـ - ٥٨٩ هـ
١١٧١ م - ١١٩٣ م

د . رشيد عبد الله الجميلي
كلية الآداب - الجامعة المستنصرية

تمهيـد :

من الموضوعات التاريخية الهامة التي تستدعي اهتمام الباحثين طبيعة العلاقات السياسية بين الأيوبيين والموحدين في المغرب الأقصى خلال حكم صلاح الدين الأيوبي (٥٦٧ هـ - ٥٨٩ هـ) ، وذلك بسبب الغموض الذي اكتنف تلك العلاقات التي اتسمت بالفتور حينا والتوتر أحيانا ، في وقت كانت الدولة العربية تشهد فيه أخطر هجمة أوربية واسعة النطاق أسفرت عن احتلال العديد من مدن الشام واقليم الجزيرة الفراتية ، وفي مقدمتها القدس « أولى القبلتين وثالث الحرمين » وأعني بذلك الحملات الصليبية التي شرع الغرب الأوربي في توجيهها نحو المشرق العربي منذ نهاية القرن الخامس الهجري ٤٩١ هـ كما ان الموحدين في المغرب العربي كانوا يواجهون في هذه المرحلة هجمات النورمانديين ويضطلعون بمهمة الدفاع عن الأندلس وحمايتها من الاسبان والبرتغاليين الذين صعدوا من عملياتهم العسكرية البرية والبحرية ضد الوجود العربي الاسلامي في الأندلس . وعليه فقد كان من الضروري أن يقوم هناك نوع من التعاون والتنسيق بين الأيوبيين والموحدين خلال هذه المرحلة الحرجة من تاريخ الدولة العربية الاسلامية في العصر الوسيط الا أنه على الرغم من اشتداد الهجمة الأوربية ضد المشرق في أعقاب نجاح صلاح الدين في تحرير القدس وتقويض دعائم الكيان الصليبي في بلاد الشام ، لم يحرك الموحدون ساكنا ولم يسارعوا الى مد اخوانهم في المشرق بأسباب القوة التي تساعدهم على الوقوف في وجه الحملة الصليبية الثالثة ووقفوا موقفا سلبيا من النداء الذي وجهه صلاح الدين الأيوبي والذي تضمن حاجته الى مساعدة الموحدين الذين كانوا يتوفرون على قوة بحرية لا يستهان بها يمكنها أن تلعب دورا كبيرا في التصدي لأساطيل أوربا المتجهة الى سواحل الشام .

على أن هذا الموقف من جانب الموحدين لا بد أن يكون محصلة لأحداث سابقة أسهمت في توتر العلاقة بين الدولتين منذ السنوات الأولى لقيام الدولة الأيوبية في مصر ، وهي أحداث شائكة اتخذت أبعادا سياسية خطيرة لدى هذا الجانب أو ذلك على الرغم من أن تلك الأحداث لم تكن بالضرورة معبرة عن سياسة الدولة أو تمت بتخطيط مسبق منها كما سيتوضح ذلك من خلال الرسالة التي بعث بها صلاح الدين الى أبي يوسف يعقوب المنصور ، وهذا البحث هو محاولة لكشف الغموض عن طبيعة العلاقات التي كانت سائدة بين الأيوبيين والموحدين من خلال تتبعنا لتطور الأحداث التي رافقت قيام الدولة الأيوبية في مصر والسياسة التي انتهجها صلاح الدين خلال تلك المرحلة ونظرة الموحدين للأيوبيين وموقفهم من أحداث المشرق .

---

(١) بهاء الدين ابو المحاسن يوسف بن رافع بن تميم المعروف بابن شداد نسبة لأخواله الذين نشأ في كنفهم بعد وفاة ابيه ، وكان شداد جده لأمه (ابن خلكان : وفيات الأعيان ، ج ٢ ، ص ٤٦٦ ، طبعة بولاق ١٢٩٩هـ) .

مصادر البحث :

من المناسب أن أعرض لأهم المصادر التي اعتمدت عليها في معالجة هذا الموضوع ، ويأتي في مقدمتها : كتاب النوادر السلطانية والمحاسن اليوسفية لابن شداد[1] . الذي يعتبر من أهم المصادر التي أرخت للدولة الأيوبية في عصر صلاح الدين ، باعتباره شاهد عيان للأحداث التي وقعت منذ التحاق ابن شداد بخدمة صلاح الدين في سنة ٥٨٥ هـ كقاضي للعسكر ، وتأتي أهمية هذا المصدر بفضل مكانة مؤلفه الذي كان صديقا أمينا لصلاح الدين لازمه حتى وفاته ، وقد أوقفنا بفضل ما اشتهر به من بصيرة نافذة في ادراك الدوافع أو الحواجز التي حركت صلاح الدين الى اتخاذ العديد من القرارات الحاسمة[2] .

أما المصدر الثاني فهو كتاب الفتح القسي في الفتح القدسي للعماد الاصفهاني[3] الذي وصفه ابن خلكان بأنه كان (من جملة الصدور المعدودين ، والأماثل المشهورين يضاهي الوزراء ، ويجري في مضمارهم)[4] ، وقد التحق العماد بخدمة صلاح الدين بعد وفاة نور الدين محمود في حلب سنة ٥٦٩ هـ وشهد معه المواقع كلها ، ووصف عن كثب ما دار في معركة عكا ، ويعتبر العماد من مقدمي كتاب صلاح الدين الذين شاركوا في ادارة الدولة الأيوبية ولم ينقطع عن صحبته حتى وفاته في سنة ٥٨٩ هـ .

ومن المصادر الأخرى التي تحتل أهمية بارزة في هذا الموضوع ، كتاب الكامل في التاريخ لابن الأثير (٥٥٥ هـ ـ ٦٣٠ هـ) الذي لا يضارعه أي مصدر آخر في وفرة وثائقه ، وما التزمه من التوازن بين أقاليم الدولة العربية الاسلامية ومقارنة ما يقع بها من الأحداث ، وقد أفاد ابن الأثير من الهمذاني وابن حمدون وابن الجوزي والعماد الأصفهاني والحسيني وابن شداد وابن القلانسي وابن عساكر والعظيمي . كما أفاد من ابن شداد الصنهاجي في تاريخ المغرب . على أن رواية ابن الأثير عن صلاح الدين زاخرة بالأخبار القيمة التي استمد معظمها من عماد الدين الكاتب وابن شداد فضلا عن مشاهداته وخبراته الشخصية ، والجدير بالذكر ان ابن الأثير كان قد شارك مع عساكر الموصل في قتال الصليبيين سنة ٥٧٤ هـ حيث انتقد سياسة صلاح الدين تجاه الصليبيين لأنها أدت الى تجميع فلولهم في صور التي استعصى تحريرها بعد ذلك محملا صلاح الدين مسؤولية هذا العمل[5] ، وبالاضافة الى هذه المصادر الرئيسية الثلاث هناك عدد من المؤرخين الذين تحتل مؤلفاتهم مكانة بارزة في تاريخ العصر الاسلامي الوسيط بوجه عام والأيوبي بوجه خاص ، نذكر منهم : القاضي الفاضل ت ٥٩٦ هـ[6] وزير صلاح الدين وموضع ثقته ، وقد أفادنا في معرفة الكثير من جوانب سياسة صلاح الدين خلال ملازمته له ، وقد وردت نصوص مما كتبه القاضي الفاضل في كتاب الروضتين لأبي شامه المقدسي (٥٩٩ ـ ٦٦٥ هـ) ووفيات الأعيان لابن خلكان (ت : ٦٨١ هـ) وغيرهما ، على أن كتاب الروضتين يعتبر في الواقع سجلا مفصلا لتاريخ الدولتين النورية والأيوبية وتكمن أهمية هذا المصدر في أنه حفظ لنا وثائق هامة لم نجدها في المصادر التي سبقته تتعلق بمراسلة صلاح الدين ليعقوب المنصور الموحدي ، ويلي الروضتين مصدر آخر لا يقل أهمية عنه وهو كتاب مفرج الكروب في أخبار بني أيوب لابن واصل (٦٠٢ هـ ـ ٦٩٧ هـ) الذي أرخ للدولة الأيوبية منذ قيامها حتى زوالها ، وقد تناول الجزء الثاني من مؤلفه هذا عصر صلاح الدين وجهاده الأعظم ضد الصليبيين ، وقد نقل عن أبي شامة المعلومات المتعلقة بعلاقات الأيوبيين مع الموحدين في المغرب الأقصى ، أما المقريزي (ت ٨٤٥ هـ) فقد تضمن كتابه السلوك لمعرفة دول الملوك ، معلومات عن دخول قراقوش الى أفريقية ورد فعل الموحدين ازاء هذه الأحداث ، كذلك أشار القلقشندي في « صبح الأعشى » الى العلاقات بين صلاح الدين الأيوبي ويعقوب المنصور وحفظ لنا نص رسالة أخرى وجهها صلاح الدين الى الملك الموحدي تختلف في كثير من فقراتها عن الرسالة التي أوردها أبو شامه في الروضتين .

---

(٢) *Gibb, The Arabic Sources for the life of saladin Speculum, 25, 1950, p. fr.*

(٣) هو أبو عبد الله محمد بن حامد بن عبد الله ، ولد باصبهان سنة ٥١٩هـ وتوفي بدمشق في سنة ٥٩٧هـ .

(٤) ابن خلكان ، وفيات الأعيان ، ج ٢ ، ص ٩٨ .

(٥) نظير حسان ، خمسة من معاصري صلاح الدين ، القاهرة ١٩٥٧ ، ص ١٠ ـ ١١ .

(٦) هو محي الدين العسقلاني ، كان يتولى ديوان المكتبات في العهد الفاطمي .

أما بالنسبة للمصادر المغربية التي اعتمدت عليها في هذا البحث فيأتي كتاب « المعجب في تلخيص أخبار المغرب » لعبد الواحد المراكشي[٧] ، في مقدمتها ذلك لأن مؤلفه من المعاصرين لأحداث المرحلة التي نحن بصدد دراستها من جهة ، وكونه ألف كتابه هذا في المشرق من جهة أخرى مما جعله يتحرى الموضوعية في كتاباته حيث أتاح له قربه من مسرح الأحداث الوقوف على معلومات دقيقة تتعلق بنشاط الأتراك الذين دخلوا أفريقية بقيادة قراقوش وتحالفهم مع بني غانية وموقف الموحدين من هذه الأحداث . ويلي كتاب المعجب مصادر أخرى لها أهميتها في تاريخ المغرب ، وهي : البيان المغرب لابن عذاري المراكشي[٨] وروض القرطاس لابن أبي زرع (علي بن محمد القاسي) ، والمصدرين الأخيرين استمدا معظم مادتها التاريخية عن كتاب المن بالامامة لابن صاحب الصلاة الذي يعد من أبرز الوثائق التي تحدثت عن دولة الموحدين بسبب معاصرة مؤلفه لها[٩] . وهناك مصدر آخر له أهميته خصوصا فيما يتعلق بدخول المماليك الأتراك أفريقية وأعني به : « رحلة التيجاني » لأبي محمد التيجاني ، الذي اعتمد عليه ابن خلدون في سرد أحداث الحروب التي اندلعت بين الموحدين وبنوغانيه وحلفائهم من الأتراك بقيادة قراقوش ، أما فيما يتعلق بوصول رسول صلاح الدين الأيوبي الى المغرب ومغادرته له فقد اعتمدت على كتاب : الاستبصار لمؤلف مجهول عاصر أحداث تلك الفترة .

كما استعنت بعدد من المصادر الأخرى والدراسات الحديثة التي صدرت في المغرب وتناول مؤلفوها موضوع الدولة الوحدية بالاضافة الى بعض الدراسات الأجنبية وخصوصا الفرنسية منها والتي تناولت الحديث عن شخصية صلاح الدين الأيوبي مثل Champdoy ' Saladin le plue pur heros de - Islam وتلك التي أرخت للحروب الصليبية ككتاب جروسية :

Crousset ' Histoire des Croisades'

وكتاب الفريد بيل عن بني غانية وحروبهم ضد الموحدين في أفريقية :

Alfred bel les Banou Ghanya '

نشأة الدولة الأيوبية :

لا بد للبحث في تاريخ العلاقات بين الأيوبيين والموحدين من الاشارة بشيء من الايجاز الى نشأة الدولة الأيوبية وسياسة صلاح الدين الخارجية والظروف التي اضطرته الى طلب المساعدة من الموحدين في المغرب الأقصى ، وسوف لن أتعرض للحديث عن المرحلة السابقة لتولي صلاح الدين السلطة في مصر ، فذلك أمر يتعلق بالظروف التي واجهتها مصر أواخر العصر الفاطمي الذي شهد تفجر الصراع حول السلطة بين الوزراء وتدخل نور الدين محمود بن زنكي[١٠] . الذي نفذ عدة حملات عسكرية بقيادة أسد الدين شيركوه الى مصر . انتهت بتولي الأخير منصب الوزارة في خلافة العاضد لدين الله الفاطمي سابع عشر ربيع الآخر سنة أربع وستين وخمسمائة . غير أن شيركوه لم يلبث أن أدركته الوفاة في الثاني والعشرين من جمادى الآخرة من السنة المذكورة فوقع اختيار العاضد على صلاح الدين ولقبه بالملك الناصر[١١] ، ورأى نور الدين محمود ضرورة الافادة من هذا الموقف بالاسراع في اسقاط الخلافة الفاطمية واعادة مصر الى حظيرة الخلافة العباسية . فأرسل الى صلاح الدين يطالبه بتحقيق هذا الهدف دون تأخير مهما كانت الظروف ، فتم اعلان الخطبة اسم الخليفة العباسي المستضيء بأمر الله في أول جمعة من شهر محرم سنة ٥٦٧ هـ أيلول ١١٧١ م[١٢] .

---

(٧) هو أبو محمد عبد الواحد بن علي التميمي المراكشي ولد بمراكش سنة ٥٨١هـ أما تاريخ وفاته فغير معروف ، وقد الف كتابه هذا في سنة ٦٢١هـ .

(٨) الجزء الثالث تحقيق أمبروس هويسي ميراندا ومشاركة محمد بن تاويت ومحمد ابراهيم الكتاني ، تطوان ١٩٦٠ .

(٩) هو عبد الملك بن محمد بن أحمد بن محمد بن ابراهيم الباجي نسبة لمدينة باجة ، كان يحتل مركزاً مرموقاً في البلاط الموحدي ، ويجعل المؤرخين تاريخ وفاته حوالي سنة ٦٠٥هـ (انظر مقدمة : تاريخ المن بالامامة على المستضعفين ، تحقيق د. عبد الهادي التازي بغداد ١٩٧٩ .

(١٠) هو نور الدين محمود بن عماد الدين زنكي أتابك الموصل تولى حكم حلب وما جاورها من مدن الشام بعد وفاة ابيه في سنة ٥٤١هـ للمزيد من التفاصيل عن هذه الفترة انظر : د. رشيد الجميلي ، دولة الأتابكة في الموصل ، بيروت ١٩٧١ .

(١١) ابن شداد ، سيرة صلاح الدين ، تحقيق الدكتور جمال الدين الشيال . القاهرة ١٩٦٤ ، ص ٤٠ .

(١٢) ابن واصل ، مفرج الكروب ، ج ١ ، ص ٢٠١ تحقيق د. جمال الدين الشيال القاهرة ١٩٥٧ والجدير بالذكر أن صلاح الدين كان قد شرع باتخاذ عدد من الاجراءات التمهيدية للقضاء على الخلافة الفاطمية . فأبعد عدد من قادة وأمراء الجيش الفاطمي ورجال القصر عن القاهرة واستولى على اقطاعاتهم وقصورهم ووزعها على أمراء جيشه ليضمن ولاءهم واخلاصهم له .

وهكذا أصبح صلاح الدين الحاكم الوحيد في البلاد يتصرف في شؤونها كيف يشاء ، يساعده في ذلك أفراد أسرته الذين استدعاهم من بلاد الشام وشرع بتوزيع الاقطاعات والمناصب على أمراء جيشه وأسرته .

ويبدو أن العلاقات بين صلاح الدين ونور الدين محمود قد بدأت تتأثر في أعقاب سقوط الخلافة الفاطمية وانفراد صلاح الدين في حكم البلاد وادارة شؤونها ، على أننا لسنا هنا بصدد البحث في الأسباب التي أسهمت في تدهور العلاقة بين الرجلين . الا أن النتائج التي ترتبت على هذا الموضوع قد تفسر انتهاج صلاح الدين لسياسة خارجية تهدف من وجهة نظر عدد من المؤرخين المعاصرين لهذه الأحداث البحث عن ملك جديد يكون موئلا لدولته الناشئة فيما اذا قرر نور الدين دخول مصر ، وابعاده عنها وقد أشار ابن شداد الى هذا الموضوع فذكر نقلا عن صلاح الدين قوله (كان بلغنا عن نور الدين أنه ربما قصدنا بالديار المصرية ، وكانت جماعة من أصحابنا يشيرون بأن نكاشف ونخالف ونشق عصاه ، ونلقى عسكره بمصاف نرده اذا تحقق قصده ، وكنت وحدي أخالفهم ، وأقول : لا يجوز أن يقال شيء من ذلك ، ولم يزل النزاع بيننا حتى وصل الخبر بوفاته)[١٣].

كما تناول الرحالة المغربي التيجاني موضوع العلاقات بين صلاح الدين ونور الدين محمود ، فقال (حدثت بين صلاح الدين ونور الدين وحشة خاف بسببها صلاح الدين أن يتحرك نور الدين على مصر ، ويستولي عليها لنفسه ... فانقسم أمره بين بلاد اليمن وبلاد المغرب ، فقال أخوه تورانشاه بن أيوب : أنا أتوجه الى اليمن ، واستفتحها وأعيدها لك ان احتجت اليها ، فتجهز اليها في السنة المذكورة ـ ٥٦٨ هـ ـ وأفتحها في السنة التي بعدها وهي سنة ٥٦٩ هـ ، وقال له الملك المظفر تقي الدين ابن أخيه شاهنشاه بن أيوب ، أنا أتوجه الى المغرب فأفعل مثل ذلك)[١٤] ، غير أن تقي الدين تراجع عن قيادة هذه الحملة بسبب صعوبة تنفيذها[١٥] ، ويذكر المؤرخون ان قراقوش مملوك تقي الدين أخذ على عاتقه مهمة اخضاع أفريقية ، فقد أشار أبو شامة في الروضتين نقلا عن العماد الكاتب أن نور الدين محمود كتب الى الخليفة العباسي المستضيء بأمر الله سنة ٥٦٨ هـ .

يقول : « ومن جملة حسنات هذه الأيام الزاهرة ما تيسر في هذه النوبة من افتتاح بعض بلاد النوبة والوصول الى مواضع منها لم تطرقها سنابك الخيل الاسلامية في العصور الخالية وكذلك استولت عساكر مصر أيضا على برقة وحصونها وتحكموا في محكم معاقلها وحصونها حتى بلغوا حدود المغرب فظفروا من السؤال بعنقاء مغرب كما ذكر أبو شامة أيضا ان قراقوش غلام تقي الدين عمر قد دخل أفريقية سنة ٥٦٨ هـ « مع طائفة من الترك فانضم اليه جماعة من العرب فاستولى على طرابلس وكثير من بلاد أفريقية ما خلا المهدية وصفاقس وقفصة وتونس »[١٦] .

وقد أدى دخول هذه العناصر أفريقية الى خلق المشاكل أمام الموحدين الذين كان نفوذهم قد شمل المنطقة الممتدة من المحيط غربا حتى طرابلس شرقا ، وأجد من المفيد هنا أن أعرض بايجاز الى نشأة الدولة الموحدية في المغرب الأقصى وتوسعها في المغرب الأدنى والأوسط .

نشأة الدولة الموحدية :

قامت الدولة الموحدية على أنقاض دولة المرابطين ، وتنسب الى محمد بن تومرت[١٧] الذي أخذ على عاتقه محاربة المرابطين بعد عودته من رحلته الى المشرق سنة ٥٠١ هـ فشرع بانتقاد الأوضاع السياسية والاجتماعية في المغرب موجها اللوم على المرابطين فانضمت اليه جموع كبيرة من البربر المصامدة وغيرهم وأصبح في وضع يمكنه من القيام بعمل ايجابي ضد المرابطين فقاد عددا من الحملات ضدهم ، كان آخرها هجومه على مراكش سنة ٥٢٤ هـ الذي

---

(١٣) ابن شداد ، سيرة صلاح الدين ، ص ٤٧ .

(١٤) رحلة التيجاني ، ١١١ ، تونس ١٩٥٨ .

(١٥) *Alfred bel, les Banou Ghanya, p. 50, Paris, 1903.*

(١٦) أبو شامة ، الروضتين ، ج ١ ، ص ٢١٥ ، (دار الجيل بيروت) .

(١٧) هو محمد بن عبد الله بن تومرت من أهالي سوس وينتسب الى حركة البربرية .

توفي على اثره ، فبايع أصحابه الذين عرفوا بالموحدين عبدالمؤمن بن علي[١٨] الذي كان من أبرز تلاميذ ابن تومرت الذين تولوا قيادة الحملات ضد المرابطين منذ سنة ٥١٧ هـ ، ويعتبر المؤسس الحقيقي للدولة الموحدية بفضل الانتصارات التي حققها ضد المرابطين والتي انتهت بسقوط دولتهم في سنة ٥٤١ هـ[١٩] .

وقد عمل الموحدون على توسيع رقعة نفوذهم شرقا نحو المغربين الأدنى والأوسط في أعقاب قيام النورمانديين بالاستيلاء على سواحل أفريقية . بالاضافة الى ما تردد من أخبار حول سيطرة بعض قبائل بني سليم وهلال على عدد من المدن في المغرب الأوسط ، فقرر عبدالمؤمن الخروج من مراكش قاصدا بجاية وذلك في سنة ٥٤٦ هـ . فبدأ بمدينة الجزائر ودخلها بصورة مفاجئة ، وكان الأمير الحسن بن علي بن يحيى بن تميم قد انتقل اليها بعد سقوط المهدية في أيدي النورمان ، فرحب بعبد المؤمن وانضم اليه في زحفه نحو بجاية ، وتمكن الموحدون خلال هذه الحملة من فرض سيطرتهم على هذه المدينة وعلى مناطق أخرى ، عاد بعدها عبد المؤمن الى مراكش تاركا ولده عبدالله على الجزائر وبجاية والقلعة وأعمالها[٢٠] .

ولم يلبث عبد المؤمن أن خرج ثانية نحو المغرب الأوسط وتمكن من دخول تونس عنوة أواخر سنة ٥٥٣ هـ ، كما فرض نفوذه على المهدية في السنة الثالثة بعد حصار استمر سبعة أشهر[٢١] .

وذكر ابن خلدون أن عبد المؤمن خلال حصاره للمهدية أرسل ولده عبد الله لاخضاع المناطق المجاورة ، فأخضع قابس وقفصة وطبرق وجبل زغوان وشقنبارية والأربس[٢٢] . وقد أكد المراكشي ان الموحدين أخضعوا طرابلس الغرب وبلاد الجريد كلها . وأصبحت دولتهم تمتد من السوس الأقصى غربا الى طرابلس شرقا[٢٣] .

العلاقات بين الموحدين والأيوبيين :

ان دراسة العلاقات السياسية بين الدولة الموحدية والدولة الأيوبية تتصل في الواقع بظروف ونشأة كلا الدولتين وموقفهما من الخلافة العباسية وانعكاس ذلك على سياستها الخارجية .

فالنسبة للدولة الموحدية فان قيامها كان قد تم على أنقاض الدولة المرابطة التي انتهت بسقوطها الدعوة للخلفاء العباسيين في المغرب ، ولم يقف الأمر الى هذا الحد بل ان الموحدين قد تلقبوا بالخلافة منذ عهد عبد المؤمن بن علي سنة ٥٢٨ هـ الذي تسمى بأمير المؤمنين ، فأصبحوا بذلك ينافسون العباسيين بهذا اللقب شأنهم شأن الفاطميين في مصر والأمويين في الأندلس .

على أننا يجب أن لا نغفل تأثير آراء محمد بن تومرت حول الأوضاع السياسية والدينية والاجتماعية في المشرق خلال زيارته التي قام بها سنة ٥٠١ هـ والتي استمرت خمسة عشر عاما ، محملا الخلافة العباسية مسؤولية تدهور الأوضاع في المشرق وعجزها عن القيام بواجبها تجاه المسلمين ، ومهاجما الفاطميين بسبب تقصيرهم في مواجهة الحملات الصليبية وتردي أحوال مصر الداخلية . فشرع منذ عودته الى الشمال الافريقي بدعوة الناس الى التمسك بالدين وتطبيقه ونبذ كل فهم لا يرتضيه الاسلام[٢٤] . وقد حرص خلفاء ابن تومرت على التمسك بمنهجه والعمل على تحقيق دعوته في تغيير الأوضاع ليس في المغرب فحسب بل المشرق أيضا ، وقد وضح هذا الاتجاه لدى الموحدين بصورة ملفتة للنظر فقد أورد المؤرخ المراكشي في المعجب عن سياسة يعقوب المنصور (٥٨٠ هـ ـ ٥٩٥ هـ) فقال :

---

(١٨) عبد المؤمن بن علي بن علوي الكومي ، ولد سنة ٤٨٧هـ بقرية من أعمال تلمسان ، والتحق بخدمة ابن تومرت وحاز على ثقته ونال اعجابه وأصبح من أبرز تلاميذه فعهد اليه بقيادة الحملات ضد المرابطين ، وقد تلقب عبد المؤمن بلقب بالخلافة سنة ٥٢٨هـ .

(١٩) المراكشي ، المعجب في تلخيص أخبار المغرب ، ص ٧٩ ، طبعة دمشق ١٩٧٨ .

(٢٠) المراكشي ، المعجب ، ص ٨٠ ـ ٨١ ، ٨٢ ، ابن خلدون ، ج ٦ ، ص ٣٣٣ ـ ٣٦٤ .

(٢١) ابن أبي زرع ، روض القرطاس ، ص ١٢٩ ، نشر ابسال ١٨٤٣ ، الحلل الموشية لمؤرخ مجهول ، ص ١١٧ ، توفي ١٣٣٩هـ .

(٢٢) ابن خلدون ، ج ٦ ، ص ٤٩٤ .

(٢٣) المراكشي ، المعجب ، ص ٢٣٠ .

(٢٤) كان محمد بن تومرت يرى أن الدولة العربية الاسلامية تمر في مأساة ، فالمشرق في رأيه متقدم علمياً ضعيف سياسياً ، والمغرب قوي عسكرياً ضعيف علمياً وفاسد عقائدياً . وقد دفعته اراءه هذه الى الوقوف خطيباً في موسم الحج بمكة المكرمة معلناً ثورته على تلك الأوضاع وخص بالذكر الدولة الفاطمية التي أوهنت الاسلام واذهبت هيبته) انظر : عبد الله علام ، الدولة الموحدية في عهد عبد المؤمن .

« بلغني من غير واحد أنه صرح للموحدين بالرحلة الى المشرق وجعل يذكر البلاد المصرية وما فيها من المناكر والبدع ويقول نحن ان شاء الله مطهروها ، ولم يزل هذا عزمه الى أن مات رحمه الله في صدر سنة ٥٩٥ هـ »[٢٥] .

كذلك ظهرت ملامح تلك السياسة من خلال القصائد التي تغنى بها الشعراء في البلاط الموحدي نقتطف منها قول الشاعر عبد السلام الجراوي في مدح أبي يعقوب يوسف بن عبد المؤمن (٥٥٨ هـ ـ ٥٨٠ هـ)[٢٦] .

ستملك أرض مصـر والعـراق   وتجري نحوك الأمم استباقـا

كما مدح الشاعر المذكور أيضا يعقوب المنصور (٥٨٠ هـ ـ ٥٩٥ هـ) :

سينظم السعد مصر في ممالكه   حتى يـدوخ منها خيله حلبـا
الى العـراق الى الحجـاز الى   أقصى خراسان ليتلو جيشه الرعبا
هـو الذي كـانت الدنيا تؤمله   وكـل بمصر لـه ما زال مـرتقبا

وانـطلاقا من سياسة الموحدين وتـطلعهم لتحقيق الأهـداف والمبادىء التي نادى بها محمد بن تومرت تم اخضاع المغربين الأدنى والأوسط ووصلت حدود دولتهم الى برقة شرقا ، ولم يقفوا الى هذا الحد بل عبروا المضيق الى الأندلس وقضوا على مـا بقي فيهـا للمرابطيـن من نفوذ[٢٧] . وحققـوا سلسلة من الانتصارات ضد الممالك الاسبانية الشمالية وأوقعوا بالأساطيل البرتغالية[٢٨] .

وقد تزامنت هذه الانتصارات التي حققها الموحـدون في المغرب والأندلس مع أحداث شهدها المشرق آنذاك تمثلت بسقوط الفاطميين وعودة مصر الى حظيرة الخلافة العباسية على يد صلاح الدين الأيوبي الذي أرسل حملة عسكرية الى اليمن قضت على الدولة المهدية وأعاد الخطبة للعباسيين هناك[٢٩] .

ولا شك أن قيام الدولة الأيوبية قد حال دون تحقيق أهـداف الموحدين وتطلعهم نحو المشـرق ، وكان لشخصيـة صلاح الـدين ودوره القيادي الرائد في حركة الجهاد ضد الغزو الصليبي قد أضاف بعدا آخر لأحداث هذه المرحلة التاريخية التي نحن بصدد دراستها ، وهكذا أصبح من المستبعد قيام عـلاقات طبيعيـة بين الأيـوبيين والموحدين خـلال هذه المـرحلة التي كان من أبـرز ملامحهـا غياب التنسيق والتعاون بين الدولتين في مواجهة الموجات الصليبية التي استهدفت احتلال الشام ومناطق هامة من المشرق وبلغت ذروتها في عصر صلاح الدين .

وقد جاءت أحداث سنة ٥٦٨ هـ لتشكل تصعيدا خطيرا في تدهور العلاقة بين الأيوبيين والموحدين وذلك عـلى أثر دخـول قراقـوش أفريقية مع طائفة من الأتراك واستيلائه على « طرابلس وكثير من بلاد أفريقية ما خلا المهدية وصفاقس وقفصة وتونس »[٣٠] .

فقد اعتبر الموحدون أن هذه الحملة قد تمت بتشجيع من الأيوبيين وتخـطيط مسبق منهم يندرج ضمن تـوجه سيـاسة صـلاح الدين الخارجية في أعقاب التدهور الذي طرأ على علاقته مع نور الدين محمود ومحاولته البحث عن مكان آخر يكون موئلا لدولته الناشئة فيما اذا نفذ نور الدين تهديده باخراجه عن مصر .

ومع اقرارنا بصحة ما تردد من توتر العلاقة بين صلاح الـدين ونور الدين محمود الا أننا نستبعد أن تكون حملة قراقوش هذه ضمن التوجه الذي ردده بعض المؤرخين لجملة أسباب منها : ان هذه الحملة لم تكن على مستوى من التخطيط والاعداد من حيث العدة والعدد للقيام بمثل هذه المهمة من جهة وعدم تولي أحد أمراء الأسرة الأيوبية قيادة هذه الحملة من جهة أخرى كما حدث مثلاً في الحملة ضد بلاد النوبة سنة ٥٦٨ هـ حيث عهد صلاح الدين الى أخيه الأكبر توران

---

(٢٥) المراكشي ، المعجب ، ص ١٨٢ .
(٢٦) عبد الله علام ، الدولة الموحدية في المغرب ، ص ٢٠٦ ، طبعة دار المعارف بمصر .
(٢٦) ابن الآبار ، الحلة السيراء ، ج ٢ ، ص ١٩٩ ، تحقيق د. حسين مؤنس ، القاهرة ، ١٩٦٣ .
(٢٧) نفس المصدر الحلة السيراء ، ج ٢ ، ص ٢٥٨ ـ ٢٦٠ ، ابن صاحب الصلاة ، المن بالاباحة ، ج ٢ ، ص ٢٧٢ ، ٢٧٣ .
(٢٨) ابن شداد ، سيرة صلاح الدين ، ص ٤٦ (حكم المهديون زبيد بين عامي ٥٥٤هـ ـ ٥٦٩هـ على الحكم ثلاثة من هذه الأسرة هم : علي بن مهدي ومهدي بن علي وعبد النبي بن مهدي انظر *Lane-poole, Mohammadan Dynasties, p. 96.*
(٣٠) أبو شامة : الروضتين ، ج ٢ ، ص ٢١٥ .

شاه بقيادتها ، وكذلك الحملة على بلاد اليمن سنة ٥٦٩ هـ والتي تولى قيادتها توران شاه نفسه أيضا ، ومما تجدر الاشارة اليه هنا أنه في الوقت الذي كان قراقوش قد بدأ توغله في أفريقية كانت أنظار الأيوبيين تتجه شرقا نحو بلاد الشام بعد وفاة نور الدين محمود في سنة ٥٦٩ هـ وتحمل صلاح الدين مسؤولية الحفاظ على وحدة الدولة والانجازات التي تحققت خلال الصراع ضد الغزاة الصليبيين والوقوف في وجه الأطماع التي ظهرت على الساحة السياسية في الشام على أثر تطلع بعض الأمراء لفرض سيطرتهم على الصالح اسماعيل بن نور الدين محمود الذي لم يكن آنذاك قد تجاوز الحادية عشرة من عمره ، وهكذا أملت الظروف الجديدة على صلاح الدين الانتقال الى الشام ليكون على مقربة من مسرح الأحداث استعدادا لحسم الموقف ليس في الشام فحسب بل تعداه الى اقليم الجزيرة الفراتية حيث تم له اخضاع أملاك الأتابكة هناك وفي مقدمتها امارة الموصل التي تعرضت للحصار الأيوبي على ثلاثة مراحل انتهت بخضوعها لصلاح الدين[٣١] .

ويبقى اهتمام صلاح الدين بتحرير الشام من الاحتلال الصليبي يحتل مركز الصدارة والخطورة في ضميره وتفكيره فلم يخلد الى الراحة طيلة السنوات التالية التي شهدت تصاعدا خطيرا في الحركة الصليبية التي سخر لها الغرب الأوربي امكانات هائلة . وعليه فإن أمور المغرب لم تعد تحتل حيزا في سياسة صلاح الدين الخارجية وقد جاء نفيه لأي تخطيط أو علم بحملة قراقوش تأكيدا لهذه السياسة .

أما من وجهة النظر الموحدية فإن اجتياح قراقوش لأفريقية وسيطرته على مناطق واسعة في المغرب الأدنى قد شكل تهديدا خطيرا للموحدين وخلق لهم مشاكل داخلية كادت تزعزع كيانهم السياسي وتعرضه للانهيار . وقد تجسدت تلك الأخطار من خلال الحلف الذي انعقد بين قراقوش والقبائل العربية في المغرب الأدنى ووقوع العديد من المدن في قبضة الأتراك الذين أعلنوا ولاءهم للخلافة العباسية والدولة الأيوبية وازداد الأمر خطورة بتدخل علي ابن أسحق بن غانية حاكم جزيرة ميورقة وهو من بقايا المرابطين الذين كانوا يتطلعون لاستعادة نفوذهم في المغرب ، وقد أشار المؤرخ ابن الأثير الى ذلك في أحداث سنة ٥٨٠ هـ فقال : « في هذه السنة في شعبان خرج علي بن اسحق المعروف بابن غانية وهو من أعيان الملثمين الذين كانوا ملوك المغرب ، وهو حينئذ صاحب جزيرة ميورقة الى بجاية[٣٢] فملكها »[٣٣] ، مما اضطر يعقوب المنصور الى التدخل (فجهز العساكر في البر عشرين ألف فارس وجهز الأسطول في البحر في خلق كثير واستعادوها)[٣٤] ، وكان ببجاية انذاك يحيى وعبد الله اخو علي بن أسحق فهربا عنها ولحقا بأخيهما الذي كان يقيم بقسنطينة فرحل الى أفريقية في صفر من سنة ٥٨١ هـ .

على أن استعادة الموحدين لمدينة بجاية لم يكن نهاية لهذا الصراع ، فقد تصاعدت حدة المعارك وحقق بنوغانية وحلفائهم مكاسب جديدة على حساب الموحدين ، فأورد المؤرخ ابن الأثير أن عليا بن أسحق حين عاد الى أفريقية بعد سقوط بجاية انحازت اليه قبائل سليم ورباح وبقية العرب هناك (وانضاف اليهم الترك الذي كانوا قد دخلوا مصر مع قراقوش ... ودخل أيضا من أتراك مصر مملوك لتقي الدين ابن أخي صلاح الدين ، اسمه بوزابه ، فكثر جمعهم ، وقويت شوكتهم ، فلما اجتمعوا بلغت عدتهم مبلغا كثيرا ، وكلهم كاره لدولة الموحدين ، واتبعوا جميعهم علي بن أسحق الملثم ، لأنه كان من بيت المملكة والرياسة القديمة وانقادوا اليه ولقبوه بأمير المسلمين ، وقصدوا بلاد أفريقية فملكوها جميعها شرقا وغربا الا مدينتي تونس والمهدية)[٣٥] ، وأقدم علي بن اسحق على قطع الخطبة للموحدين وخطب للخليفة الناصر لدين الله العباسي ، وذكر ابن خلدون أنه أرسل سفارة الى بغداد ضمت ولده عبد المؤمن وكاتبه عبد البر ابن فرسان طالبا تقليده البلاد واعانته على اعادة بناء الدولة المرابطية مذكرا باخلاص أسلافه ووفائهم للعباسيين[٣٦] ثم أتبع ذلك

---

(٣١) للمزيد من التفاصيل حول هذا الموضوع انظر د. رشيد الجميلي ، دولة الأتابكة في الموصل .

(٣٢) بجاية : مدينة على ساحل البحر بين (أفريقية والمغرب ، البغدادي : مراصد الاطلاع ، ج ١ ، ص ١٦٣ ، مصر ١٩٥٤ .

(٣٣) ابن الأثير : الكامل ، ج ١١ ، ص ٥٠٧ .

(٣٤) نفس المصدر : الكامل ، ج ١١ ، ص ٥٠٨ .

(٣٥) نفس المصدر السابق : الكامل ، ج ١١ ، ص ٥٢٠ .

(٣٦) ابن خلدون ، ج ٦ ، ص ٣٩٦ .

بالاستيلاء على مدينة قفصة[٣٧] سنة ٥٨٢ هـ وفشل الموحدون في استعادتها خلال الجولة الأولى التي دارت في ربيع الأول من سنة ٥٨٣ هـ ، فأعادوا الكرة وتمكنوا من دخول قابس واستعادة قفصة ، وذكر المراكشي ان يعقوب المنصور حين دخل قابس أخرج عنها أهل قراقوش وأولاده وحملهم الى مراكش سنة ٥٨٤ هـ[٣٨] .

وقد استغل عدد من أفراد الأسرة الموحدية حالة الفوضى التي سادت المغرب فأعلنوا الاستقلال بولاياتهم وفي مقدمتهم أبو حفص عمر الملقب بالرشيد ـ أخو يعقوب المنصور ـ وكذلك عمه سليمان بن عبد المؤمن وكان الأول قد أعلن ثورته في مدينة مرسيه بالأندلس والآخر تبادلا من بلاد صنهاجه ، وقد تمكن المنصور من القاء القبض عليهما والأمر بقتلهما[٣٩] .

أما فيما يتعلق بتأثير هذه الأوضاع على سياسة الموحدين نحو الأندلس فلا شك أنها تركت أثارا سلبية استثمرت نتائجها القوى المعادية للمسلمين هناك فقد اضطر يعقوب المنصور الى توقيع هدنة أمدها خمس سنوات مع النصارى في شمال اسبانيا ليتفرغ لمعالجة الأوضاع الداخلية ، وذكر ابن أبي زرع ان المنصور لم ينهض الى الأندلس لقتال النصارى الذين هاجموا مدينة (شلب) ، واكتفى بمكاتبة أهلها طالبا اليهم الوقوف في وجه أعدائهم ، معللا ذلك بانشغاله بمحاربة بنو غانية وحلفائهم في المغرب ، وقد شجعت هذه الظروف نصارى الأندلس الاستيلاء على مناطق جديدة هناك[٤٠] .

ويظهر مما تقدم أن دخول العناصر التركية بقيادة قراقوش الى أفريقية قد أساء بشكل خطير الى العلاقات بين الأيوبيين والموحدين وجعل امكانية التعاون بين الدولتين يكاد يكون مستحيلا في وقت كان فيه المشرق يواجه أخطر هجمة أوربية صليبية عرفها العصر الوسيط ، ولم تلق رسالة صلاح الدين الى يعقوب المنصور الاستجابة التي كان يرجوها على الرغم من ملازمة رسوله للبلاط الموحدي مدة تزيد على السنة .

وقبل ان نتحدث عن اسباب رفض يعقوب المنصور نداء صلاح الدين بالمشاركة في الدفاع عن الشام والوقوف في وجه الصليبيين ، لابد أن نعرض الى الأسباب أو الظروف التي دفعت صلاح الدين الى الاستنجاد بالموحدين وهو أمر يحدث لأول مرة منذ بداية الغزو الصليبي لبلاد الشام عام ٤٩١ هـ / ١٠٩٧م اذ لم يسبق لقادة حركة الجهاد ضد الصليبيين بدءاً من عماد الدين زنكي (٥٢١هـ ـ ٥٤١هـ) وحتى سنة ٥٨٦هـ ان وجهوا رسائل استنجاد لملوك المغرب ، فقد كان الاستنفار يقتصر على مصر والشام واقليم الجزيرة الفراتية ، فلا بدَّ اذن والحالة هذه ان تكون هناك ظروف قاهرة دعت صلاح الدين الى التفكير بطلب المساعدة من الدولة الموحدية رغم بعدها عن ساحة الصراع . فما هي تلك الأسباب وما هو نوع المساعدة التي كان صلاح الدين يرجوها من الموحدين خلال تلك المرحلة من تاريخ الصراع ضد الغزاة الصليبيين .

فالنسبة الى الظروف التي دفعت صلاح الدين الى التطلع نحو الموحدين في المغرب الاقصى لابد ان نشير بايجاز الى الاوضاع التي عاشها الغزاة الصليبيون في اعقاب الانتصار الكبير الذي حققه صلاح الدين في موقعة حطين سنة ٥٨٣هـ ـ ١١٨٧م حيث توالت هزائمهم بعد هذه المعركة وسقطت معاقلهم وحصونهم الممتدة من يافا جنوبا الى بيروت شمالا بالاضافة الى عسقلان وقلعة طبرية ، ثم جاء الانتصار العظيم الذي تكلل بتحرير القدس في رجب سنة ٥٨٣هـ / ١١٨٧م [٤١] وقد كان لتحرير القدس رد فعل عنيف في اوربا الغربية فشرعت باعداد حملة جديدة استجابة لاستغاثة الصليبيين في الشام ، وقد أشار ابن واصل ان الرهبان والقساوسة لبسوا الحداد عقب استعداد صلاح الدين لبيت المقدس . وقام بطرك القدس باصطحاب جماعة منهم الى الغرب الأوربي وطاف بهم البلاد مستنجدا بأهلها حاثا لهم على استرجاع القدس [٤٢] . كما ذكر المقريزي ايضا ان

(٣٧) قفصة : بلدة صغيرة في طرف أفريقية من ناحية المغرب ، البغدادي ، مراصد الاطلاع ، ج ٣، ص ١١١٣ .
(٣٨) المراكشي ، المعجب ، ص ١٦٧ ـ ١٦٩ .
(٣٩) المراكشي ، المعجب ، ص ١٧٢ ـ ١٧٣ .
(٤٠) ابن ابي زرع ، روض القرطاس ، ص ٢١٩ ـ ٢٢٠ .
(٤١) بن شداد ، سيرة صلاح الدين ، ص ٧٥ ـ ٧٩ .
(٤٢) ابن واصل ، مفرج الكروب ، ج ٢، ص ٢٨٨ .

الصليبيين راسلوا الفرنج في صقلية ودعوهم لنصرتهم [٤٣]، أما مؤرخوا الغرب فقد ذكروا ان رئيس اساقفة صور شرح للبابا اوربان الثالث حالة الصليبيين في الشام بعد سقوط بيت المقدس فلم يحتمل البابا تلك الأخبار المؤلمة فتوفي من الحزن في ٥٨٣هـ تشرين اول ١١٨٧م . مما دفع خلفه جريجوري الثامن الى حث ملوك اوربا على القيام بحملة صليبية جديدة . غير أن جريجوري لم يلبث ان توفى هو الآخر في كانون الأول من السنة نفسها ، فأسرع خليفته البابا كليمنت الثالث الى حث الامبراطور فردريك بربوروسا الأول بضرورة التوجه نحو الشام [٤٤] .

وفي صيف عام ٥٨٦هـ / ١١٩٠م أبحر كل من ملك انكلترا ريتشارد قلب الأسد وفيليب اوغسطس ملك فرنسا على رأس جيوشهما . وقضيا فصل الشتاء في جزيرة صقلية ، وذكر المؤرخ الصليبي والتر Walter ان ملكي انكلترا وفرنسا فرضا ضريبة عشرية على كل من لم يشترك من رعاياهما في هذه الحملة للاستعانة بها في سد نفقات هذه الحرب [٤٥] .

وهكذا واجه صلاح الدين تحديا خطيرا تمثل بالحملة الصليبية الثالثة التي انطوت على مخاطر كبيرة بسبب الأمكانات المادية والبشرية التي توفرت عليها وقد تحدث المؤرخون عن هذه الحملة بعبارات جسدت الشعور بالخوف واليأس في الاحتفاظ ببلاد الشام أمام ضغط الالمان من الشمال والفرنسيين والأنكليز من الجنوب ، وقد ذكر ابن الأثير لهذه الأحداث عن احد امراء الجيش الأيوبي قوله :ـ

« لما وصلت الأخبار بوصول ملك الألمان ايقنا انه ليس لنا بالشام مقام » [٤٦] . كما صور ابو الفدا خطورة الموقف في الشام فقال :

« بلغ المسلمين وصول ملك الألمان ، وكان قد سار من بلاد وراء القسطنطينية بمائة الف مقاتل ، واغتم المسلمون لذلك وآيسوا من الشام بالكلية » [٤٧] ، وقام صلاح الدين باتخاذ عدد من التدابير العسكرية لمواجهة الموقف انذاك فأمر باخلاء او تدمير بعض المراكز ليحرم العدو من استخدامها كمواقع لقواته المتقدمة . فهدم سور طبرية ويافا وارسوف وقيسارية ، وذكر ابو شامة ان صلاح الدين أمر كذلك بهدم أسوار صور وجبيل ونقل أهلها الى بيروت [٤٨] .

والواقع ان وصول الحملة الصليبية الثالثة قد اسهم في تدعيم موقف الصليبيين في الشام ورفع معنوياتهم المنهارة فتحولوا من مواقع الدفاع الى مراكز الهجوم وتطلعوا لاستعادة ما فقدوه من المدن والقلاع ، خصوصا بعد ان انضم جي لوزنيان ملك بيت المقدس السابق وجموع الفرسان النورمان الى الصليبيين المحاصرين لعكا [٤٩] .

وفي شهر نيسان من سنة ١١٨٩م / ٥٨٥هـ وصل صور اسطول بيزي كبير من اثنتين وخمسين سفينة بقيادة رئيس اساقفة بيزا ، تتابع بعدها وصول اساطيل جنوه والبندقية بالاضافة الى الأساطيل التي جاءت من اوربا الغربية هي حاملة الاف المتطوعين من الفلمنك والفرنسيين والألمان وغيرهم وأحاط الجميع بمدينة عكا [٥٠] .

وهكذا كانت خطورة الموقف في الشام قد دفعت صلاح الدين ولأول مرة الى مخاطبة الخليفة العباسي ودعوته للحضور بنفسه ليلهب حماس المقاتلين ويشد أزر المجاهدين ويرفع معنويات المحاصرين في عكا [٥١] .

في نفس الوقت الذي ارسل يستدعي العساكر من مصر ونواحي

(٤٣) المقريزي ، السلوك ، ج ١ ، ص ١١١ .
(٤٤) *Archer, The Grusades, p. 307 (London, 1894).*
(٤٥) *Walter, Besant, Jerusalem, p. 405, (London, 1899).*
(٤٦) ابن الأثير ، الكامل ، ج ١٢ ، ص ٥٠ .
(٤٧) ابو الفدا ، المختصر حوادث سنة ٥٨٦هـ .
(٤٨) أبو شامة ، الروضتين ، ج ٢ ، ص ١٥٠ ـ ١٥٧ .
(٤٩) كان جي لوزنيان قد وقع في الأسر خلال معركة حطين ثم أطلق صلاح الدين سراحه بعد أن تعهد بعدم محاربة المسلمين وأقسم على الرحيل من بلاد الشام ، انظر ابن شداد ، سيرة صلاح الدين ، ص ١٦١ .
(٥٠) *Archer, The Crusades, pp. 319-397.*
(٥١) أبو شامة : الروضتين ، ج ٢ ، ص ١٦٦ ـ ١٦٧ .

الشام واقليم الجزيرة الفراتية . ويبدو ان صلاح الدين شعر بأهمية الدور الذي تلعبه الأساطيل البحرية في هذه المرحلة من الصراع ضد الصليبيين فتطلع نحو المغرب املا في اسهام الموحدين في الوقوف بوجه اساطيل اوربا والحيلولة دون وصولها الى الشام .

والجدير بالذكر ان الموحدين كانوا يتوفرون انذاك على اسطول بحري كبير يمكن ان يقوم بدور فاعل في التصدى للأساطيل الأوربية في البحر المتوسط . وقد سبق للموحدين ان خاضوا عدداً من المعارك البحرية ضد البرتغاليين والأسبان وغيرهم .

ويرجع الفضل في تأسيس الاسطول الموحدي الى عبد المؤمن بن علي ، الذي استفاد من دور الصناعة القديمة التي كانت منتشرة على السواحل المغربية خلال العهود السابقة وبفضل توافر الأخشاب في جبال وغابات العدوتين انشاء (دار الصنعة) بالمعمورة على وادي (سبو) [٥٢] التي اصبحت مركزا اساسيا لصناعة السفن [٥٣].

وقد اشاد ابن خلدون بقوة الأسطول الموحدي في عهد ابي يعقوب يوسف فقال ان اساطيل المسلمين على عهده انتهت في الكثرة والاستنجاد (ما لم تبلغه من قبل ولا بعد فيما عهدناه [٥٤] . ولا شك ان نشاط الأسطول الموحدي وشهرته قد وصلت الى الشرق بعد ان اصبح موضع اطراء الشعراء في ذلك العهد ، ومما قيل في الاسطول الموحدي قول الشاعر القرشي القرطبي بمناسبة زيارة عبد المؤمن للقاعدة البحرية (مدينة الفتح) [٥٥] :

وتعبر الماء منهم نار عادية
يصلي بها عابد الأوثان والصلب

ومنها قول الشاعر أبو عبدالله الرصافي :

لما تسابقن في بحر الزقاق به
تركن شطبه في شك وتحبير

وقد تضمنت رسالة صلاح الدين الى يعقوب المنصور ما يمكن ان يقدمه الأسطول الموحدي من مساعدة لتخفيف الضغط الصليبي على بلاد الشام مؤكدا ان التصدي للغزو الصليبي والدفاع عن القدس واجب مقدس تقع مسؤوليته على المشرق والمغرب على حد سواء فدعا الى (ان يمد غرب الاسلام المسلمين أكثر مما أمد به غرب الكفار الكافرين فيملأها عليهم جواريَّ كالاعلام) [٥٦]

موضحا أهمية منع السفن والاساطيل الأوربية من الوصول الى الشام وأن الأمل معقود على الأسطول الموحدي بأن « يقطع عنهم مادتهم من جهة البحر » .

كما اقترح علي يعقوب المنصور بأن يعهد الى واليه على تونس القيام بهذه المهمة وقال : (ويمكن ـ ادام الله تمكينه ـ ان يمد الشام منه بعدد كثيف وجد رهيف ويعهد الى واليه ان يقيم الى ان يتربع ويصيف ويمكنه ان يكف شطرا لأسطول طاغية صقلية ويعتقله في جزيرته [٥٧] والجدير بالذكر أن ريتشارد قلب الأسد وفيليب اوغسطس (اوغست) كانا قد غادرا مدينة فيزيلا الفرنسية الى مدينة ليون التي افترقا عندها بحيث أخذ الملك الفرنسي الطريق نحو جنوه والملك الانكليزي الطريق نحو مرسيليا ، والتقيا من جديد في صقلية) [٥٨] .

وأكد صلاح الدين أن لجوءه لطلب المساعدة من الموحدين يعود الى قربهم من بلاد العدو ومواجهتهم لها فقال : (وما اختص بالاستعانة الا لأن العدو جاره والجار أقدر على الجار ولانه بحر والنجدة بحرية) .

ويبدو ان صلاح الدين كان على علم بالمشاكل التي سببها قراقوش للموحدين في المغرب فحرص على ازالة سوء التفاهم والاستيلاء الذي ترتب على تلك الاحداث مؤكدا عدم مسؤوليته عن تلك الحملة

---

(٥٢) سبو : نهر يمر شمال القنيطرة ويصب في المحيط الأطلسي قرب مدينة المهدية .
(٥٣) المراكشي ، المعجب ، ص ٢٦٩ ، كذلك انظر : سالم والمباديء ، تاريخ البحرية الاسلامية في المغرب والأندلس ، ص ٢٥٠ .
(٥٤) ابن خلدون ، ج ٦ ، ص ٥٢٨ .
(٥٥) تضمن كتاب المن بالامامة لابن صاحب الصلاة قصائد عديدة قيلت في الأسطول الموحدي وكذلك كتاب البيان المغرب لابن عذاري المراكشي .
(٥٦) انظر نص رسالة صلاح الدين الى يعقوب المنصور في الملحق رقم (١) أوردها أبو شامة في الروضتين ، ج ٢ ، ص ١٧٣ .
(٥٧) القلقشندي ، صبح الأعشى ، ج ٦ ، ص ٥٣٠ ، انظر نص الرسالة في الملحق رقم ٢ .
(٥٨) *Champdar, Saladin le plus pur heros de/Islam, p. 267.*

فطلب من رسوله الى يعقوب المنصور ايضاح هذا الموضوع وقال : « وان سأل عن المملوكين يوزبا وقراقوش وذكر ما فعلا في اطراف المغرب بمن معهما من نفايات الرجال الذين نفتهم مقامات القتال فيعلمهم ان المملوكين ومن معهما ليسوا من وجوه المماليك والأمراء ولا من المعدودين في الطواشية والأولياء ، وانما كسدت سوقها وتبعتها الفاف امثالها ، والعادة جارية ان العساكر اذا طالت ذيولها وكثرت جموعها خرج منها وانضاف اليها فلا يظهر مزيدها ولا نقصها ولا كان هذان المملوكان ممن اذا غاب احضر ولا ممن اذا فقد افتقد ولا يقدر في مثلهما انه ممن يستطيع نكاية ولا يأتي بما يوجب شكوى من جناية ومعاذ الله ان نأمر مفسد بأن يفسد في الارض ان اريد الا الاصلاح ما استطعت » كما أشار الى حملة اخيه توران شاه على بلاد النوبة مؤكدا انها لم تكن تهدف الى التوسع في افريقيا بل لتطهير الصعيد من بقايا العناصر الفاطمية التي لجأت الى الجنوب بعد ثورة مؤتمن الخلافة وشرعت في مهاجمة الصعيد استعدادا للزحف نحو الشمال لاخراج الأيوبيين واعادة الخلافة الفاطمية . فأوصى رسوله بأن يضع هذه الحقائق امام يعقوب المنصور وقال : « وان سئل عن النوبة المصرية وما فعل بجندها فيعلمهم الأمير » [٥٩].

إن القوم راسلوا الكفار واطمعوهم في تسليم الديار فاشفى الأسلام على أمر شديد وكاد يقرب على الكفر كل أمر بعيد فلم يعاقب الجيش بل اعيان المفسدين فقوبلوا بما يجب وكانوا دعاة كفر وضلال ومحاربين لله بما سعوا في الارض من فساد [٦٠] ، ومما تجدر الاشارة اليه وجود رسالتين موجهتين من صلاح الدين الى يعقوب المنصور وردت الأولى في صبح الاعشى للقلقشندي والثانية في الروضتين لأبي شامة ويظهر من دراسة الرسالتين ان الرسالة التي اوردها ابو شامة هي الثانية ويبدو أن صلاح الدين استبطأ عودة رسوله الى المغرب فارسل يستحثه على انجاز مهمته ويهيب بالموحدين من أجل الاسراع في تقديم المساعدة للوقوف في وجه الحملة الصليبية وقد اشار ابو شامة الى ذلك فقال : « كان قد بلغني أن السلطان رحمه الله لما اشتد الفرنج على عكا أرسل الى ملك المغرب يستنجد به عليهم ليقطع عنهم مادتهم من جهة البحر وكنت اتطلب حقيقة ذلك وابحث عن شرح الحال فيه فان العماد والقاضي لم يتعرضا له في كتبهما ، غير ان العماد ذكر كتابا كتبه القاضي الفاضل الى رسولهم بالمغرب يستنجز منه ما كان ارسل لاجله) [٦١] .

وقد حرص الأيوبيون على ان يكون رسولهم الى الموحدين من الشخصيات الهامة التي تتمتع بمكانة خاصة لدى السلطان صلاح الدين الأيوبي وظهر ذلك واضحا من خلال الرسالة التي حملها الرسول الى يعقوب المنصور حيث ورد فيها ان حامل الرسالة هو (الأمير الأجل المجاهد الأمين الأصيل شمس الدين نفير الاسلام والمسلمين سفير الملوك والسلاطين ابو الحزم عبدالرحمن بن منقذ كتب الله سلامته واحسن صحابته وما أختير للوفاده الا من هو أهلها ولا حمل الوديعة الا من هو محلها ولا بعث بنهج الصلة الا من هو مفتاحها ولاداء الأمانة الا من هو قفلها ، ومهما استوضح منه وسئل عنه فانه على نفسه بصيرة ومن البيان ذو ذخيرة وفي العربية ذو بيت وعشيرة) [٦٢] . وقد حمل ابن منقذ معه هدايا جليلة الى يعقوب المنصور ، وقد ذكرت المصادر المغربية ان ابن منقذ هذا مدح المنصور بقصيدة نذكر منها الابيات التالية [٦٣] .

سأشكر بحرا ذا عباب قطعته ... الى معدن التقوى الى كعبه الهدى
الى بحر جود ما لنعماه ساحل ... الى من سمت بالذكر منه الاوائل
اليك أمير المسلمين ولم تزل ... الى بابك المأمول تزجى الرواحل

موقف المنصور من رسالة صلاح الدين :

لم تسفر سفارة صلاح الدين الأيوبي الى الموحدين عن اية نتائج ايجابية تشير الى امكانية اسهامهم في حركة جهاد ضد الغزو

---

(٥٩) يقصد بالأمير هنا عبد الرحمن بن منقذ رسول صلاح الدين الى الموحدين .

(٦٠) أبو شامة ، الروضتين ، ج ٢ ، ص ١٧١ .

(٦١) نفس المصدر ، الروضتين ، ج ٢ ، ص ١٧٠ .

(٦٢) نفس المصدر ، الروضتين ، ج ٢ ، ص ١٧٣ ـ ١٧٤ .

(٦٣) ابن عذارى ، البيان المغرب ج ٣ ، ص ١٨٤ ، السلاوي ، الاستقصا لأخبار المغرب الأقصى ، ج ٢ ، ص ١٨٣ .

الصليبي لبلاد الشام على الرغم من تلقي المنصور رسالتين حول هذا الموضوع ، والغريب في الأمر ان المصادر المشرقية والمغربيـة تكاد تجمع على القول بأن سبب رفض المنصور لنجدة صلاح الدين يعود الى عدم مخاطبته بلقب أمير المؤمنين فورد في الروضتين قـوله ابي شـامة : « لم يحصـل من جهة سلطان المغـرب ما التمس منـه من النجدة ، وبلغني انه عز عليهم كونه لم يخاطب بأمير المؤمنـين على جاري عادتهم » [٦٤] . كما أكد ابن خلكان ايضا رفض المنصور امداد صلاح الدين بأية مساعدة لانه « لم يخاطبه بأمير المؤمنين بل خاطبه بأمير المسلمين فعز ذلك عليه ، ولم يجب الى ما طلب منه) [٦٥] . غير أن المتتبع لتطور العلاقات بين الأيوبيين والموحـدين وخلال حكم يعقوب المنصور بوجه خاص لا يمكنه ان يأخذ لقب أمير المؤمنين على انه السبب الرئيسي الذي حال دون تقديم المساعدة البحرية لصلاح الدين ، وهذا يتناقض مع ما اورده المؤرخون المغاربة من ان المنصور أعطى ابن منقذ الف دينار عن كل بيت من هذه القصيدة [٦٦] ، على الرغم من أن أحد أبياتها تضمن نعت المنصور بأمير المسلمين ، مما يؤكد أن هذا الموضوع لم يثير غضبه أو استنكاره . الا ان ذلك لا ينفي حرص الموحدين على مخاطبتهم بهذا اللقب وأعتقد ان الاحداث السياسية التي شهدها المغرب في اعقاب قيام الدولة الأيوبية التي اعتبرها الموحدين المسؤولة عن اجتياح قراقوش لحدودها الشرقية كانت عاملا رئيسيا دفع يعقوب المنصور الى اتخاذ هذا الموقف ، اذا لم يغب عن بال المنصور وهو يقرأ رسـالة صـلاح الدين المشـاكل الخطيرة التي تعرضت لها الدولة الموحدية في الداخل والخارج والتي استنزفت الكثير من امكاناتها المادية والبشرية وحالت دون تفرغ الموحدين لاعدائهم في الأندلس .

هذا بالاضافة الى ان قراقوش وحلفائه من بقايا المرابطين قد اعلنوا ولاءهم للخلافة العباسية كما خطبوا لصلاح الدين على المنابر . وهناك أمر هام لا يمكن تجاهله كان له دور في اتخاذ المنصور لهذا الموقف واعني به انشغال الموحدين بقتال البرتغاليين ، فمن المعلوم ان المنصور كان قد صعد من عملياته الحربية ضد البرتغاليين منذ عام ٥٨٥هـ انتقـاما لـوالده ابي يعقـوب يوسف بن عبـد المؤمن الذي استشهد خلال محاولة الهجوم على (شنترين) سنة ٥٨٠هـ [٦٧] ، وقد تمكن المنصور فعلا الانتصار على الأسطول البرتغالي سنة ٥٨٦هـ ، وفي الوقت الذي وصلت فيه رسالـة صلاح الـدين كان المنصـور منهمكا في نقل المعدات والات الحصار استعدادا للهجوم على الثغور الساحلية البرتغالية [٦٨] . واعتقد ان يعقوب المنصور يرى انه كان له دوره ايضا في الجهاد ضد الصليبيين بتصديـه لزحف المـماليك الاسبانية الشمالية والقوى البرتغالية التي كانت تتطلع لاستعادة الاندلس وتهدد المـوحدين في عقـر دارهم متعاونـين في ذلك مـع النورماندين واساطيل جزيرة صقلية ، وقد ادى انشغال هذه القوى بالحرب مع الموحدين الى عدم استجابتهم لدعوة البابا للاشتراك في الحملة الصليبية الثالثة .

---

(٦٤) ابو شامة ، الروضتين ، ج ٢ ، ص ١٧٤ .

(٦٥) ابن خلكان ، وفيات الأعيان ، ج ٧ ، ص ١٢ .

(٦٦) السلاوي ، الاستقصا لأخبار المغرب الأقصى ، ج ٢ ، ص ١٨٣ .

(٦٧) المراكشي ، المعجب ، ص ١٤٩ ـ ١٥٠ .

(٦٨) سالم والعبادي ، تاريخ البحرية الاسلامية في المغرب والأندلس ، ص ٢٧٧ .

مصادر البحث

١ ـ ابن الاثير ، الكامل في التاريخ بيروت ١٩٦٦ .

٢ ـ ابن شداد ، سيرة صلاح الدين في مصر ١٩٦٤ .

٣ ـ ابن خلكان ، وفيات الاعيان .

٤ ـ ابن خلدون ، تاريخ .

٥ ـ ابن واصل ، مفرج الكروب القاهرة ١٩٥٧ .

٦ ـ ابن ابي زرع ، روض القرطاس نشر آب ١٩٤٣ .

٧ ـ ابن الابار ، الحلة السيراء القاهرة ١٩٦٣ .

٨ ـ السلاوي ، الاستقصا لاخبار المغرب الاقصى .

٩ ـ ابن عذاري ، البيان المغرب .

١٠ ـ ابن صاحب الصلاة ، المن بالامامة . بغداد ١٩٧٩ .

١١ ـ التيجاني ، رحلة التيجاني تونس ١٩٥٨ .

١٢ ـ ابو شامة ، الروضتين في اخبار الدولتين .

١٣ ـ ابو الفدا ، المختصر في اخبار البشر .

١٤ ـ المراكشي ، المعجب في تلخيص اخبار المغرب دمشق ١٩٧٨ .

١٥ ـ القلقشندي ، صبح الاعشي .

١٦ ـ المقريزي ، السلوك .

١٧ ـ سالم والعباوي ، تاريخ البحرية الاسلامية في المغرب والاندلس .

١٨ ـ نظير حسان ، خمسة من معاصري صلاح الدين القاهرة ١٩٥٧ .

١٩ ـ عبدالله علام ، الدولة الموحدة في المغرب دار المعارف مصر .

20 — At fred bel, les Banou Ghanya, Paris 1903.

21 — Champdor (Albert); Saladin le plus pur heres de l'Islam paris 1956.

22 — Archer, The Grusades, London (1894).

23 — Walter, Berant, Jerusafem, London (1899).

24 — Lane - poole, Mohammadan Dynasties.

ملحق رقم ٢ :

رسالة صلاح الدين الى يعقوب المنصور الموحدي التي أوردها القلقشندي في كتابه صبح الاعشي الجزء السادس صفحات من ٥٢٦ ـ ٥٣٠ .

« فتح الله بحضرة سيدنا أمير المؤمنين وسيد العالمين وقسيم الدنيا والدين أبواب الميامين وأسباب المحاسن ، وأحله من كفايته في الحرم الآمن ، وانجزه من نصرة الحق ما الله له ضامن وأصلح به كل رأي عليه الهوى رائن ، ومكن له في هذه البسيطة بسطة ، وزاده بالعلم غبطة حتى يكون للأنبياء بالعلم ، وللأرض بالعزم وارثا ، وحتى يشيد بحادث قديما من مجده الذي لا يزال يغض الحديث حادثا .

كان من أوائل عزمنا وفواتح رأينا عند ورودنا الديار المصرية مفاتحة دولة سيدنا وأن نتيمن بمكاتبتها ونتزين بمخاطبتها وننهض إليها أماثل الاصحاب ونستسقي معرفتها استسقاء السحاب ونتجعها بالخواطر ، ونجعل الكتب رسلها ، وأيدي الرسل سبلها ونمسك طرفا من حبل الجهاد يكون بيد حضرة سيدنا العالية طرفه ونسح غرة سبق وارثها ، ووارث نورها سلفه ونتجاذب أعداء الله من الجانبين لا سيما بعد ان نبنا عنه نيابتين في نوبتين : فالاولى تطهير الأراضي المصرية واليمنية من ضلالة اغضت عيون الأيام على قذاها وأنامت عيون الانام بائعة يقظتها بكراها ، ونيابة ثانية في تطهير بيت المقدس ممن كان يعارض برجسه تقديسه ، ويزعج ببناء ظلاله تأسيسية وما كان إلا جنة السلام فخرج منها المسلمون خروج أبيهم آدم من الجنة ، واعقبهم فيها ابليس الكفر ، وما أجارته مما أعقبه اللعنة وما كانت لنا بذلك قوة ، بل لله القوة ولا لنا الخلق منه بل لله المنة .

ولما حطت لدين الكفر تيجان ، وحطمت لدويِّه صلبان واخرس الناقوس الآذان ونسخ الانجيل القرآن ، وفكت الصخرة من أسرها وخفّ ما كان على قلب الحجر الاسود بخفّة ما كان على ظهرها ، وذلك أن يد الكفر غطتها وغمرتها فلله الحمد أن احرمت الصخرة بذلك البنيان المحيط وطهرها ما طر من دم الكفر . وما كان ليطهرها البحر المحيط فهنالك غلب الشرك وانقلب صاغرا ، واستجاش كافر من أهله وأعطى الرأي حقيقة ما عنده لم تر لمكاثرة البحر إلا بحرا من أساطيله المنصورة ، فإن عددها واف ، وشطرها كافٍ ويمكن ـ أدام الله تمكينه ـ أن يمد الشام منه بعد كثيف ، وحد رهيف ويعهد إلى وإليه أن يقيم إلى أن يتربع ويصيف ، ويمكنه ان يكف شطرا لأسطول طاغية صقلية ليحصر جناح فلوعه ان تطير ، ويعقل عباب بحره أن يغير ويعتقله في جزيرته ويجري اليه قبل جريرته فيذهب سيدنا وعقبه بشرف كثير لا ترد به المخامد على عقبها ، ويقيم على الكفر قيامه يطلع بها شمس النصر من مغربها فإذا نفذ طريقه وعلم الناس بموقده أوردوا وأصدروا في مورده ، وشخص المسلم والكافر ينتظر بشرى البدار ، وهذا يستطلع لمن تكون عقبى البدار وخاف وطأة من يصل من رجال الماء من وصل من رجال النار ، ولو بزقت عليهم بازقة غريبة لأغرقهم طوفانها ، ولو طلعت عليهم جارية بحرية لنعقت فيهم بالشتات غربانها .

وما رأينا أهلا لهذه العزمة إلا حضرة سيدنا أدام الله صدق محبة الخير فيه اذ كان منحه عادة في الرضى به وقدرة على الاجابة ورغبة في الانابة ولاية لأمر المسلمين ورياسة للدنيا والدين وقياما لسلطان التوحيد القائم بالموحدين ، وغضبا لله ولدينه وبذلا لمذخوره في الذي عنه دون ما عوده . والان فقد خلا الاسلام بملائكته لما خلا الكفر بشياطينه وما أجلت السوابق إلا لاطلاقها ولا أثلت الدخائر إلا لانفاقها وقد استشرف المسلمون طلوعها من جهته المحروسة جارا من الاساطيل تغشى البحار وليالي من المراكب تركب من البحر النهار . واذا أخفقت قلوعها خفقت للقلاع قلوب ، واذا تجافت جنوبها عن الموج ومجافت من الملاعين جنوب فهي بين ثغر كفر تعتقله وتحصره ، وبين ثغر اسلام تفرج عنه وتنصره يكون بها مصائب عند المسلمين (؟) (هكذا في الاصل) وتظل قلائد المشركين لغربان بحره طرائد ، ويمضى سيف الله الذي لا يعدم في كل زمان فيعلم معه أن سيف الله خالد . أعز الله الاسلام بما يزيد حضرة سيدنا من عزها فيما مد عليها من ظلها ، وبما يسكنه من حرزها فيما يبسط على الاعداء بها من بأسها ، وينزل بهم من رجزها وبما يجرده من سيوفها التي تقطع في الكفر قبل سلّها وهزِّها ، وقد أوفدنا على باب حضرة سيدنا وهو الداعي المسمع والمبلغ المقنع والمجمع المستجمع علمنا أمرا يسرا وبوأناه الصدر فكان وجها وأودعناه السر » ص ٥٣٠ .

كافرا واستغضب أنفاره النافرة ، واستصرخ نصرانيته المتناصرة وتظاهروا علينا وإن الله مولانا . وطاروا إلينا زرافات ووحدانا فلم يبق طاغية من طواغيهم ولا ثقية ومن أثافيهم إلا ألجم وأسرج وأجلب وارهج ، وخرج وأخرج ، وجاد بنفسه أو بولده ، وبعدده وبعُدده ، وبدأت صدره وبدأت يده وبكتائبه برا وبمراكبه بحرا ، وبالأقوات للخيل والرجال والأسلحة والجنن لليمين والشمال ، وبالنقدين على اختلاف صنفيهما في الجمع وائتلاف وصفيهما في النفع ، وأنهض ابطال الباطل من فارس وراجل ورامح ونابل ، وحاف وناعل ، ومواقف ، ومقاتل كل خرج متطوعا واهطع مسرعا والى متبرعا ، ودعا نفسه قبل أن يستدعي وسعى الى حتفها قبل أن يستسعى حتى ظننا ان في البحر طريقا يبسا ، وحتى يقنا ان ما وراء البحر قد خلا وعسا . وقلنا كيف نترك وقد علم أنه يدرك وزادت هذه الحشود المتوالية وتجافت عنها الهمم المتجافية ، وكثرت الى أن خرجت من سجن حصرها ، ومستقر كفرها ، وبقية ثغرها - وهو صور - فنازلت ثغر عكة في اسطول ملك بحره وجمع سلك بره - فنهضنا اليه ونزلنا عليهم وعليه فضرب معنا مصاف قبلت فيه فرسانه ، وجدلت شجعانه وخيلت صلبانه وساوى الضرب بين جاسر القوم ودارعهم ، وبرز الذين كتب عليهم القتل الى مضاجعهم فهناك لاذوا بالخنادق يحفرونها ، والى الستائر ينصبونها واخلدوا الى الارض متثاقلين وحملوا أنفسهم على الموت متحاملين وظاهروا بين الخنادق وراحوا بين المجانق ، وكلما يجن القتل من عددهم مائة أوصلها البحر من يصل وراءه بألف ، وكلما قلوا في أعيننا في زحف قد كثروا فيما يليه من الزحف ، ولو أن دربة عساكرنا في البحر كدربتها في البر لعجل الله منهم الانتصاف واستقل واحدنا بالعشرة ومائتنا بالألف وقد اشتهر خروج ملوك الكفار في الجمع الجم والعدد الدعم ، كأنهم الى نصب يوفضون ، وعلى نار يعرضون ، ووصولهم على جهة القسطنطينية - يسر الله فتحها - على عزم الانتام الى الشام في منسلخ الشتاء ومستهل الصيف ، والعساكر الاسلامية هم تستقبل والى حربهم لننتقل فلا يؤمن على ثغور المسلمين أن يتطرق العدو إليهم وإليها ، ويفرغ لها ويتسلط عليها والله من ورائهم محيط .

وإذا قسمت القوة على تلقي القادم وتوقي المقيم فربما أضر الاسلام انقسامها ، وثلمه والعياذ بالله انثلامها .

ملحق رقم (٢) نص رسالة صلاح الدين الأيوبي الى يعقوب المنصور أوردها أبو شامة في كتاب الروضتين

كتاب الروضتين :

... نخاف أن يؤخذ بذنوبنا فالذنوب كانت مثبتة قبل هذا المقام وفيه محيت والآثام كانت مكتوبة ثم عفي عنها بهذه الساعات وعفيت فيكفي مستغفرا لسان السيف الاحمر في الجهاد ويكفي قارعا الابواب الجنة صوت مقارعة الاضداد ولغير الله موقفك وفي سبيل الله مقامك ومنصرفك وطوبي لقدم سعت في منهاجك وطوبي لوجه تلثم بمثار عجاجك وطوبي لنفس بين يديك قتلت وقتلت وإن الخواطر تشكر الله فيك وعن شكر هالك قد شغلت .

فصل :

... كان بلغني ان السلطان رحمه الله لما اشتد امر الفرنج على عكا أرسل الى ملك المغرب يستنجده عليهم ليقطع عنهم مادتهم من جهة البحر وكنت اتطلب حقيقة ذلك وأبحث عن شرح الحال فيه فان العماد والقاضي لم يتعرضا له في كتبهما غير ان العماد ذكر كتابا كتبه القاضي الى رسولهم بالمغرب يستنجز منه ما كان ارسل لاجله وسيأتي وغرضي كان الاطلاع على نفس كتاب الرسالة ومضمونها ثم أراني بعض الشيوخ الصلحاء الثقاة بخطه ما كنت أرومه فنقلته على وجهه قال نسخة كتاب كتبه القاضي الفاضل ونقلته من خطه لابن منقذ يأمره فيه بالسفر الى المغرب بامر الملك الناصر صلاح الدين رحمه الله يستنصر بملك المغرب يعقوب بن يوسف بن عبدالمؤمن لما حضر الفرنج خذلهم الله عكا بعد كسرة حطين وفتح بيت المقدس والكتاب الذي سير الى المغرب والهدية التي حملت يأتي ذكر ذلك ان شاء الله .

(بسم الله الرحمن الرحيم) (الأمير الأجل الاسفهسلار الاصيل العالم المحترم شمس الدين عدة الاسلام جمال الانام تاج الدولة امين الله صفوة الملوك والسلاطين شرف الامراء مقدم الخواص ادام الله توفيقه ويسر طريقه ، وانجح مقصده واعذب مورده وحرس مغيبه ومشهده واسعد يومه وغده يستخير الله سبحانه ويتوجه كيفما يسر الله الى الجهة الاسلامية المغربية حرس الله جانبها ونصر كتائبها

ومراكبها ويستقرى في الطريق وفي البلاد من أخبار القوم في احوالهم وآدابهم وأشغالهم وافعالهم وما يحبونه من القبول نـزره اوجه ومن اللقاء منبسطة او منقبضة ومن القعود بمجالسهم مخففة او مطولة ومن التحيات المتهاداة بينهم مـا صيغته ومـا موقعه وهل هي السنن الدينية او العوائد الملوكية ولا يلقه الا بما يحبه ولا يخاطبه الا بما يسره والكتاب قد نفذ اليه ولم يختم ليعلم ما خوطب به والمقصود ان تقص القصص عليه من أوّل وصولنا الى مصر وما أزلنا من البـدع بها وعطلنا من الالحاد فيها ووضعنا من المظالم عنها واقامة الجمعة وعقد الجماعة فيها وغزواتنا التي تواصلت الى بلاد الكفار مث مصر فكانت مقدّمة لملك الشام الاسلامي باجتماع الكلمة علينا ومقـدّمة لملك الشام الفرنجي بانقياد المسلمين لنا ، واتفاق الملوك المجاورين على طاعتنا وتفصيل ما جرى لنا مع الفرنج من الغزوات المتقدّمة التي جسنا فيها خلال ديارهم وجعلها الله تعالى مقدّمات لما سبق في علمه من أسباب دمارهم وما اعقبها من كسرتنا لهم الكسرة الكبرى وفتح البيت المقدّس وتلك على الاسلام منة الله العظمى الى غير ذلك من أخذ الثغور وافتتاح البلاد واثخان القتل فيهم والاسر لهم واستنجاد بقيتهم لفرنج المغرب وخروج نجداتهم وكثرتها وقوّتها ومنعتها وغناها وثروتها ومسارعتها ومبادرتها وانه لا يمضي يوم الا عن قوّة تتجدّد وميرة تصل وأموال واسعة تخرج ومعونات كثيرة تحمل وان ثغرنا حصره العدوّ وحصرنا نحن العدوّ فاتمكن من قتال الثغر ولاتمكن من قتالنا وخندق على نفسه عدة خنادق فاتمكنا من قتاله وقدّم الى الثغر أبرجة احرقها أهله وخرج مرّتين الى عسكرنا فكسر العدوّ وأقله فانه اغتنم أوقاتا لم تكن العساكر فيها مجموعة وارتاد سـاعات لم تكن الاهب فيها مؤخوذه وأقدم على غرّة استيقظت فيها نصرة الله لنـا وخذلانه لهم فقل الله العدوّ القتل الذريع وأوقع به الفتك الشنيع وانجلت احدى الحركتين عن عشرين ألف قتيل من الكفار خرجت أنفسها الى مصارعها وهمدت أجسامها في مضـاجعها والعـدوّ وان حصر الثغر فانه محصور ولو أبرز صفحته لكان باذن الله هو المثبور المكسور وتذكر ما دخل الثغر من اساطيلنا ثلاث مرات واحراقها لمراكبهم وهي الأكثر ، ودخولها بالميرة بحكم السيف الاظهر وان أمر العدوّ مع ذلك قد تطاول وخطبه قد تمادى ونجدته تتواصل ومنها ملك الالمان في جموع جماهيرها مجمهره وأموال قناطيرها مقنطرة وان عساكرنا لو أدركته لما استدرك ولولا سبقه لها بالدخول الى انطاكية لتلف وهلك وتذكر أن ا لله قصم طاغية الألمان وأخذه أخذة فرعونية بـالاغراق في نهر الـدنيا الـذي هو طـريقـه الى الاحـراق في نـار الآخرة وان هذا العدوّ لو أرسل الله عليه اسطولا قويا مستعدا يقطع بحره ويمنع ملكه لاخذنا العدوّ اما بالجوع والحصر أو برز فأخذناه بيد الله تعالى التي بها النصر فان كانت الاساطيل بالجانب المغربي ميسرة والعدة منها متوفرة والرجال في اللقاء فارهة وللمسير غير كارهـة فالبدار البدار وأنت أيها الامير أوّل من استخار الله وسار وان كانت دون الاسطول موانع اما من قلة عده أو من شغل هناك بهمة أو بمباشرة عدوّ ما تحصن منه العوره أو قد لاحت منه الفرصة فالمعونة ما طريقها واحدة ولا سبيلها مسدودة ولا أنواعها محصورة تكون تارة بالرجال وتارة بالمال وما رأينا أهلا لخطابنا ولا كفؤا لانجادها ولا محقوقا بدعوتنا ولا مليبا بنصرتنا الا ذلك الجناب فلم ندعه الا لواجب عليه والى ما هو مستقل به ومطيق له فقد كانت تتوقع منه همة تلد في الغرب نارهـا ويستطير في الشـرق سناهـا وتغرس في العـدوة القصوى شجرتها فينال من في العدوة الدنيا جناها فلا ترضى همته أن يعين الكفر الكفر ولا يعين الاسلام الاسلام وما اختص بالاستعانة الا لأن العدوّ جاره والجار أقدر على الجار وأهل الجنة أولى بقتال أهل النار ولانه بحر والنجدة بحرية ولا غرو ان يجيش البحار وان سئل عن المملوكين يوزبا وقراقوش وذكر ما فعلا في أطراف المغرب بن معها من نفايات الرجال الذين نفتهم مقامات القتال فيعلمهم ان المملوكين ومن معهما ليسوا من وجوه المماليك والامراء ولا من المعدودين في الطواشية والاولياء وانما كسدت سوقهما وتبعتهما الفاف أمثالها والعادة جارية ان العساكر اذا طالت ذيولها وكثرت جموعها خرج منها وانضاف اليها فلا يظهر مزيدها ولا نقصها ولا كان هذان المملوكان ممن اذا غاب أحضر ولا ممن اذا فقد افتقد ولا يقدّر في مثلهما انه ممن يستطيع نكاية ولا يأتي بما يوجب شكوى من جناية ومعاذ الله أن نأمر مفسدا بأن يفسد في الارض ان أريد الا الاصلاح ما استطعت وان سئل عن النوبة المصرية وما فعل بجندها فيعلمهم الامير أن القوم راسلوا الكفار واطمعوهم في تسليم الديار فاشفى الاسلام على أمر شديد وكاد يقرب على الكفر كل أمر بعيد فلم يعاقب الجيش بل أعيان المفسدين فقوبلوا بما يجب وكانوا دعاة كفر وضلال ومحاربين لله بما سعوا في الارض من فساد فأما بقية الجيش وان كان منهم من هو تبع للمذكورين في الرضا فانهم اقتصر بهم على أن لا

يكونوا جندا ومنهم من أجريت عليه أرزاق تبلغه وشملته آمنة نسكبه وأما الهدية المسيرة على يد الامير فتفصيلها يرد في كتاب الامير الاجل الاسفهسلار العالم الكبير مجد الدين سيف الدولة أدام الله علوه مقرونا بالهدية المذكورة ومع قرب الشتاء فلم يبق الا الاستخارة والتسمية ومبادرة الوقت قبل أن يغلق البحر انفتاح الاشتية والله سبحانه يوفق الامير ويسهل سبيله ويهدي دليله ويكلأه بعينه ويد بعونه ويحمل رحله ويبلغه أهله ويشرح له صدره وييسّر له أمره ان شاء الله تعالى وكتب ثامن وعشرين شعبان سنة ست وثمانين وخمسمائة)

فصل :

في نسخة الكتاب الى ملك المغرب والهدية العنوان (بلاغ الى محل التقوى الطاهر ومستقرّ حزب الله الظاهر من المغرب اعلى الله به كلمة الايمان ورفع به منار البر والاحسان)

(بسم الله الرحمن الرحيم) (من الفقير الى رحمة ربه يوسف بن أيوب (أما بعد) فالحمد لله الماضي المشيه الممضي القضيه البر بالبرية الحفي بالحنفية الذي استعمل عليها من استعمر به الارض واغنى من أهلها من سأله القرض وأجزل أجر من أجرى على يده النافلة والفرض وزان سماء الله بدرارى الذراري التي بعضها من بعض وصلى الله على سيدنا محمد الذي أنزل عليه كتابا فيه الشفاء والتبيان وبنى الاسلام بأمته التى شبهها صاحبها بالبنيان وعلى آله وصحبه الذين اصطفاهم وطهرهم فنصروه وظاهروا رسوله صلى الله عليه وسلم فنصرهم وأظهرهم ويسر بهم السبيل ثم السبيل يسرهم وان الله بهم لذوا فضل على الناس ولكنّ أكثرهم ربنا اغفر لنا ولاخواننا الذين سبقونا بالايمان ولا تجعل في قلوبنا غلا للذين آمنوا ربنا أنك رءوف رحيم وهذه التحية الطيبة الكريمة الصبية الواجبة الرد الموجبة للقصد العذبة الورد المتنفسة عن العنبر والورد وقادة على دار الملك ومدار النسك وجل الجلالة واصل الاصالة ورأس الرياسه ونفس النفاسه وحكم الحكم وعلم العلم وقائم الدين وقيمه ومقدّم الاسلام ومقدمه ومقتضى دين الدين ومثبت المتقين على اليقين ومعلى الموحدين على الملحدين أدام الله النصره وجهز به تيسير العسرة وردّ له الكره وبسط له القدرة وأوثق به حبل الالفة ومهد له درجات الغرفة وعرفه في كل ما يعتزمه صنعا جزيلا جميلا ولطفا حفيا جليلا وبسر عليه في سبيله كل ما هو أشدّ وطأ وأقوم قيلا تحية استنير منها الكتاب واستنيب عنها الجواب وقد حفز لها حافزان أحدهما شوق قديم كان مطل غريمه ممكنا الى أن تتيسر الاسباب والآخر مرام عظيم ما كره اذا استفتحت به الابواب وكان وقت المواصلة وموسم المكاتبه هناءه بفتح البيت المقدّس وسكون الاسلام منه الى المقيل والمعرّس وما فتح الله للاسلام من الثغور وما شرح لاهله من الصدور وما أنزله عليهم من النور ولم يخل المسلمون فيه من دعوات اسرار ذلك الصدر وملاحظات أنوار ذلك البدر ومطالعات تلك الجهة التي هي وان كانت غريبة فان الغرب مستودع الأنوار وكنز دينار الشمس ومصب أنهار النهار ومن جانبه يأتي سكون الليل ومستروح الأسرار وعنه يقلب الله الليل والنهار إن في ذلك لعبرة لاولى الابصار ولم تتأخر المكاتبة الا ليتيم الله ما بدأ من فضله وليفتح بقية مالم ينقطع بتقطيع يد الشرك من حبله والمفتتح بيد الله من الشام مدن وامصار وبلاد كبار وصغار وثغور وقلاع كانت للشرك معاقل وللاسلام معاقر ولبني الكفر مصانع ولبني الاسلام مصارع والباقي بيد الكفر منها ثغرا طرابلس وصور ومدينة انطاكية يسر الله أمرها وفك من يد الكفر أسرها واذا امن المؤمن على هذه الدعوة رجي ايجابها وما يتأخر من الله سبحانه جوابها فالدعاء أحد السلاحين ومع النية يطير الى وكره من السماء بجناحين بعد أن كسر العدوّ الكسرة التي لم يجبر بعدها والجيء الى حضونه التي للحصر أعدها وكان يومها كريما ولطف الله فيها عظيما قضت كل حاجة في النفس واغنت المسلمين فأما العدوّ بعد يومها فكأن لم يغن بالامس وكانت على أثر غزوات قبلها فالظن بالمجهزة بعد النكس ولم يؤخر فتح البلاد بعدها الا ان فزع الكفار بالشام استصرخ بأصل الكفار من الغرب فأجابوهم رجالا وفرسانا وشيبا وشبانا وزرافات ووحدانا وبرا وبحرا ومركبا وظهروا وركبوا اليهم سهلا ووعرا وبذلوا ماعونا وذخرا وما احتاجوا ملوكا ترتادهم ولا ارسانا تقتادهم بل خرج كل يلبي دعوة بطركه ولا يحتاج الى عزمة ملكه وخرجت لهم عدة ملوك أقفلت العجمة على أسمانها وأتت العزيمة بحمد الله على أشخاصها عند لقائها ومنهم ملك الالمان خرج في جموع برية من الله تعالى بريه ملأت الفجاج وازدحمت فانفذها العجاج ، ومنهم من ركب ثبج البحر فركب الاجاج العجاج وامتطى من البحر مشيه الزجاج لينصر دينا مشية الزجاج يقبل الكسر ولا يسرع اليه الجبر وراكب ذلك الدين كراكب

البحر بلا ساحل سلامة والى قاع كفر وجلب الكفار الى المحصورين بالشام كل مجلوب وملؤوا عليهم ثغريهم من كل مطلوب ما بين أقوات وأطعمة وآلات وأسلحة وشلة وجنه وحديد مضروب وزبره . ونقدي ذهب وفضة الى ان شحنوا بلادهم رجالا مقاتلة وذخائر للعاجلة من حربهم والآجلة لا تشرق شارقة الا طلعت على العدوّ من البحر طالعه تعوّض من الرجال من قتل وتخلف من الزاد ما أكل فهم كل يوم في حصول زيادة ووفور مادّة وقد هان عليهم موقع الحصر وأعطاهم البحر ما منعهم البر وبطروا لما كثروا ونظروا فانهم لا يستطيعون أن يلقوا ويصحروا ويستطيعون أن يحصروا على أن ينحصروا ونزلوا على عكا بحيث يمدهم البحر بامداد ويصل الى المقاتل ما يحتاجه من أسلحته وازواده وبمن يكثر به من مقاتلة واجناده فانقطعت مادّة عكا من البحر وحصرنا منازلهم من العدوّ من جهة جانب البر فحدقوا على نفوسهم وحثوا التراب على رؤوسهم وعقدت عدّتهم مائة ألف أو يزيدون كلما أفناهم القتل أخلفتهم النجدة فكأنهم قبل الممات يعودون فاتممنا بعمارة بحرية لقينا عمارتهم بها فنفذت عمارتنا الى الثغر وأوصلت اليه الاقوات التي حمل منها البحر مالا يحمله الظهر والاسلحة التي أمضاها الله عز وجل بيد الاسلام في صدور الكفر وما لقينا عمارة العدوّ بأوفر منها عدة فعدد مراكبهم كبيرا ولكن لقيناهم بأصدق منها عزمه والقليل مع العزم الصادق كثير واستمرّ مقام العدوّ محاصرا للثغر محصورا منا أشدّ الحصر لا يستطيع قتال الثغر لانا من خلفه ولا يستطيع الخروج الينا خوفا من حتفه ولا نستطيع نحن الدخول اليه لانه قد سوّر خندق وحاجز من وراء الحجرات وأغلق ولما خرج ملك الالمان بحشده وسمعته التي هي منه أحشد وعاد جيشه الملعون على رسم قديم الى الشام فكان العود لامة أحمد صلى الله عليه وسلم أحمد قويت به نفوسهم وجمحت به رءوسهم وظنوا انه يزعجنا من مخيمنا ويخرجنا من خيمنا فبعثنا اليه من يلقاه بعساكرنا الشمالية فسلك ذات الشمال . متوعرافيها محتجزا عن لقائها مظهرا انه صريح داء ومابه غير دائها وكان أبوه الطاغية ملك الالمان شيبة اللعن اللعين قائد جيشه الى سجن سجين قد هلك في طريقه غرقا وخاض الماء فخاضه الماء شرقا وبقى له ولد هو الآن المقدّم المؤخر وقائد الجمع المكسر وربما وصل بهم الى عكا في البحر تهيبا أن يسلك البر ولو سبق أصحابنا الى عساكر الألمان قبل دخولها الى انطاكية لاخذوه أخذا سريعا وسبق بحر سيوفهم الى أن يكون الطاغية فيه لا في النهر صريعا ولكن لله المشيئة في البرية والطاغية انما يمشى الى البلية فانه لولا احتجاز مقيمهم بالخنادق واجتياز واصلهم بالمضائق لكان لنا ولهم شأن وكان ليومنا في النصر الكبرى بحول الله ثان لا يثنيه من العدوّ ثان ولما كانت حضرة سلطان الاسلام وقائد المجاهدين الى دار السلام أولى من توجه اليه الاسلام بشكواه وبثه واستعان به على حماية نسله وحرثه وكانت مساعيه ومساعي سلفه في الجهاد الغرّ المحجلة المؤمرة الكاشفة لكل معضلة الكاسفة لكل مشكلة والاخبار بذلك سائره والآثار ظاهرة والصحف عنه باسمه والسير به معلمة وعالمه وكل بجهاده قد سكن الا السيوف في اغمادها وقد أمن الا كلمةالكفر في بلادها لا يزال في سبيل الله غاديا ورائحا ومواجها ومكافحا ومماسيا ومصابحا يجوز لجة البحر بالمجاهدين ملوكا على الاسرة وغزاة تصافح وجوهها السيوف فلا يخمد نور الاسرة يذود الفرق الكافرة ولو ترك سبيلها لملأ قراره كل واد وكلما أوقدوا نارا للحرب أطفأها الله ولولاه لأحمت شراره كل زناد كان المتوقع من تلك الدولة الغالية والعزمة الفادية مع القدرة الوافية والهمة المهدية الهادية أن يمد غرب الاسلام المسلمين بأكثر مما أمد به غرب الكفار الكافرين فيملأها عليهم جواري كالاعلام ومدنا في اللجج سوائر كأنها الليالي مقلعة بالايام تطلع علينا معشر الاسلام آمالا وتطلع على الكفار آجالا وتردنا اما جملة واما ارسالا مسوّمة تمدها ملائكة مسوّمة ومعلمه تقدم حيازيم أقدام حيزوم تحت أصحابه وانما هي منه عزمه كانت تعين أصحاب الميمنة على أصحاب المشأمة وكلمة كانت تنفخ الروح في الكلمة ولما استبطئت ظن أنها توقفت على الاستدعاء فصرخنا به في هذه التحية فقد تحفل السحاب ولا تمطر الى أن تحركها ايدي الرياح وقد تتوقف النصرة فلا تظهر الى أن تضرع اليها السنة الصفاح وسير لمجلسه مجلسه الأطهر ومحله الأنور الامير الاجل المجاهد الامين الاصيل شمس الدين نفير الاسلام والمسلمين سفير الملوك والسلاطين أو الحزم عبدالرحمن بن منقذ كتب الله سلامته وأحسن صحابته وما اختير للوفادة الا من هو أهلها ولا حمل الوديعة الا من هو محلها ولابعث لنهج الصلة الا من هو مفتاحها ولاداء الامانة الا من هو تفلها ومهما استوضح منه وسئل عنه فانه على نفسه بصيرة ومن البيان ذو ذخيرة وفي العربية ذو بيت وعشيرة والمشاهدة له أوطف على ان تلك الجلالة ربما ذعرت البيان فأخلف وما اجدره بأن يصادف

بسطة على بساطه ونظرا يأذن له في القول على اختصاره وتوسطه وافراطه فكل هو به واف وكل هو للفهم الكريم كاف والله تعالى يجعل هذه العزمة منا في استنهاض العزمة منه بالغة مبلغا يسر أهل دينه ويوزعهم بها اقتضاء ديونه من الذين اتخذوا لها من دونه والسلام الصادر عن القلب السليم والودّ الصميم والعهد الكريم على حضرة الكرم العليه وسدّة السيادة الجلية سلام مودّة ما وفد الغرب قبلها مثلها ورسالة ما خطرت الى أن أنفذت وراءها المحبة رسلها وليصل السلام رحمة الله وبركاته ورضوانه وتحياته ان شاء الله تعالى وكتب في شعبان سنة ست وثمان وخمسمائة والحمد لله وحده وصلاته على سيدنا محمد نبيه وآله وسلامه) الهدية ختمة كريمة في ربعة مخيشة بمسك ثلثمائة مثقال عنبر عشر قلائد عددها ستمائة حبة عود في سفط عشرة أمنا دهان بلسان مائة درهم وواحد قسي بأوتارها مائة وقوسان سروج عشرون نصول سيوف هندية عشرون نشاب ناسج خاص مريش كبير ومتوسط ضمن صندوقي خشب مجلدة سبعمائة سهم ، وكان اقلاعه من الاسكندرية في شيني عمارته مائة وعشرون في ثالث عشر رمضان سنة ست وثمانين وخمسمائة ووصل الى طرابلس أوّل البلاد في الخامس والعشرين من شوّال وأقام بها الى ثامن ذي القعدة توجه الى البلاد وكان الاجتماع بالوزير أبي يحيى بن أبي بكر بن محمد بن الشيخ أبي حفص ودفع كتاب السلطان اليه يوم الخميس سابع ذي الحجة وكان الدخول على يعقوب والسلام عليه في العشرين من ذي الحجة وفي هذا النهار حملت هدية السلطان الى خزانته وكان انفصاله من مراكش عاشر المحرّم سنة ثمان وثمانين وخمسمائة ووصل الى الاسكندرية في الثامن والعشرين من جمادى الآخرة سنة ثمان وثمانين

فصل :

لم يحصل من جهة سلطان الغرب ما التمس منه من النجدة وبلغني انه عز عليهم كونه لم يخاطب بأمير المؤمنين على جاري عادتهم وقد كان سلطانا عادلا مظهرا للشريعة غازيا توفي سنة خمس وتسعين وفيه يقول شاعره :

أهل لان يسعى يرتجى
ويزار من أقصى البلاد على الوجا

ملك غدا بالمكرمات مقلدا
وموشحاً ومختما ومتوجا

عمرت مقامات الملوك بذكره
وتعطرت منه الرياح تأرجا

وجد الوجود وقد دجى فأضاءه
وراءه في الكرب العظام ففرجا

وفيه يقول ابن عمه سليمان بن عبد الله بن عبد المؤمن أبو الربيع من قصيدة أولها

هبت بنصركم الرياح الأربع
وجرت بسعدكم النجوم الطلع

ان قيل من خير الخلائف كلها
فاليك يا يعقوب نومي الاصبع

ان كنت تتلو السابقين فإنما
أنت المقدّم والخلائف تبع

وقد مدحه أيضاً شمس الدين بن منقذ هذا المرسل اليه من جهة السلطان بقصيدة منها

سأشكر بحرا ذا عباب قطعته
الى بحر جود ما لنعماه ساحل

الى معدن التقوى الى كعبة الهدى
الى من سمت بالذكر منه الأوائل

اليك أمير المسلمين ولم تزل
الى بابك المأمول تزجى الرواحل

قطعت اليك البر والبحر موقنا
بأني بذاك القطع بالنجح كافل

فاراعني من وجبة البر رائع
ولا هالني من زاخر البحر هائل

ومن كان غايات المعالي طلابه
يهون عليه كل أمر يحاول

رجوت بقصديك العلى فبلغتها
وأدنى عطاياك العلى والفضائل

فلا زلت للعلياء والجود ثانياً
تبلغك الأيام ما أنت آمل

وابن منقذ هذا من أهل بيت أدب وشعر وله على ما وجدت بخط بعض الثقاه

تصرّم عمري في التغرب والنوى
وافنى ارتحالي طار في وتلادى
وأخلقت الأيام برد شبيبتي
وأصلد من وقع الخطوب زنادي
وأشغلني الحرص الموكل في الورى
عن العمل المنجي ليوم معادي
فلا راحة الأخرى تيقنت نيلها
ولا أنا في الدنيا بلغت مرادي

وله على لسان بعض غلمانه :

ورب قيص دعاني الى احتمال الرثاثة منه العدم
تهلل لي ضاحكاً وابتسم أقطب وجهي له كلما

ومن كتاب فاضلي الى بعض اخوانه (وأما الأخبار المغربية واخلال جانبها وضعف مطلوبها وطالبها فاذا نجزت الظلماء الى الغرب فيحق كما أن الأنوار الناصرية قد تناصرت في الشرق فانه يسعد بلاد الدنيا بالانخراط في سلك ملكه ويمكن من مؤمنها حكم عدله ومن كافرها سيف فتكه والله يجزيها الخير عن نيتها في الخير ويكتب سلامة عزمها في طرق النفع أينها يممت السير) ثم اني وقفت على كتاب فاضلي للسلطان يشعر بأن الرسالة المغربية لم تكن برأي الفاضل ولا هو مختار لها صورته (المملوك يقبل الأرض بالمقام العالي المولوي الملكي الناصري جعل له الله في الدنيا والآخرة المقام العالي وأبقى دولته التي هي الأيام بالحقيقة والأيام قبلها هي الليالي وينهي أن الظاهر أن المملوك عند المولى ليس من أهل الأتهام وان له ولله الحمد آثار في دولته تشهد بها الأيام وآثار السيوف طاحت وبقيت آثار الأقلام والرسالة المغربية ليس المملوك مشير ابتركها ولا كارها لسفر رسولها ولا مستبعداً .

الفعاليات الاقتصادية لميناء عدن خلال القرنين الخامس والسادس الهجري
دراسة تاريخية

د . محمد كريم ابراهيم
مركزدراسات الخليج العربي

أشتهرت اليمن في عالم التجارة منذ عصور ما قبل الأسلام ممرا « بحريا » للمراكب التجارية المحملة بالبخور والتوابل وأصبحت البلد الذي يستطيع نقل تجارة الشرق الى الغرب وبالعكس وذلك بحكم موقعها الاستراتيجي المهم ، وبواسطة هذه التجارة تعرف اليمن على حضارة اليونان والرومان والبابليين والفينيقيين [١] .

كانت عدن سوقا « وميناء » لكبار تجار اليونان والرومان الذين كانوا يقصدونها في رحلات منتظمة من مصر ، وكان لهم فيها جالية من صغار التجار سرعان ما أزدادت بمرور الزمن ، كذلك كانت عدن مركزا « لتبادل السلع الافريقية والهندية والمصرية ومكانا » تبحر منه السفن الى الهند [٢] .

إنّ للعرب اسواقهم المتعددة في أنحاء الجزيرة العربية قبل ظهور الأسلام ، وكانت تلك الأسواق حولية تقام مرة أو مرتين في السنة ، أشتهر منها سوق دومة الجندل و سوق الهجر (وهو المشقر) وسوق الشحر وسوق عدن ، التي كان قاصدها لا يحتاج الى حراسة ، بسبب قيام حكومة مركزية منظمة فيها قبل الأسلام ، وتدفع عشور هذه السوق الى ملكها من حمير [٣] ، مما يدل على تقدم مدينة عدن وانتظام أحوالها السياسية والاقتصادية قبل الأسلام ، ومن أسواق العرب الاخرى : سوق صنعاء وسوق حضرموت وسوق عكاظ [٤] ، ويدلنا انتشار هذه الاسواق في مناطق متعددة من بلاد العرب وانتظامها وتنوع انشطتها على اهتمام العرب بالتجارة منذ أقدم العصور .

ظل ميناء عدن محتفظا بمكانته في التجارة العالمية بل تحول بعد الأسلام الى مستودع ضخم للبضائع من مصر وشرق أفريقيا والهند بعد ان جعلها التجار السر الرئيسي لهم ، وقد أدركت الامارات التي أستقلت بحكم اليمن أهمية عدن وميزاتها ، فقام الامير محمد بن زياد مـؤسس الامـارة الـزيـاديـة في زبـيـد (٢٠٤ ـ ٤١٢هـ / ٨٢٠ ـ ١٠٢١م) بنشر الأمن حول عدن ، فأتجهت السفن التجارية اليها ، بسبب قربها من موانيء المحيط الهندي بعد ان كانت تفضل الاتجاه الى الموانيء اليمنية الاخرى والحجازية على البحر الاحمر [٥] .

وفي أثناء ازدهار الخلافة العباسية تحولت مراكز التجارة والتبادل الاقتصادي بين الشرق والغرب تدريجيا « من جنوب الجزيرة العربية والبحر الاحمر الى منطقة الخليج العربي والطرق الشرقية المارة عبر عاصمة الخلافة ، مما أثر بصورة مؤقتة على الموقع الاقتصادي لميناء عدن [٦] وكان من نتائج ذلك التحول الـذي نجح العبـاسيون في

(١) عن علاقة اليمن بتلك البلدان والحضارات ، انظر : د. جواد علي . المفصل ٢٧٧ ـ ٢٨٠ ، حوراني . العرب والملاحة ، ص ٧٩ ـ ٨٣ ، ١٥٦ ، الحبشي . جوانب ص ٨٣ ـ ٤ .
(٢) د. جواد علي . المفصل ٧/٢٧٣ ـ ٤ ، العبدلي . هدية الزمن ص ١٧ ، حوراني العرب والملاحة ص ٩٤ ـ ٩٥ ، أباظة . عدن ص ٢٦ ، الحبشي . اليمن الجنوبي ، ص ٥ .
(٣) انظر : المرزوقي . الأزمنة والأمكنة ٢/١٦٤ ، د. جواد علي . المفصل ٧/٣٧٤ ، الأفغاني . أسواق العرب ص ٢٦٩ ـ ٢٧٠ .
(٤) عن أسواق العرب تلك ، انظر : التوحيدي . الامتاع والمؤانسة ١/٨٣ ـ ٤ ، المرزوقي . الأزمنة والأمكنة ٢/١٦١ ـ ١٧٠ ، القلقشندي صبح الأعشى ١/٤١٠ ـ ١ ، الآلوسي ، بلوغ الأرب ١/٢٦٦ ، د. جواد علي . المفصل ٧/٣٧١ ـ ٧ ، الأفغاني . أسواق العرب ص ٢٣٢ فما بعد ، الحبشي . جوانب ص ٨٧ ـ ٩
(٥) أبو مخرمة . ثغر عدن ١/٩ ، أباظة . عدن ص ٢٧ .
(٦) عن ذلك التحول ، انظر : التاريخ الاقتصادي للشرق الأوسط (مترجم) ص ٣٤ ـ ٥ ، ٤٣ ، القوصي . سيراف وكيش ص ٥٣ ، الحبشي جوانب ص ٨٦ .

تحقيقه في عصر خلافتهم الاولى، فقدان طريق البحر الاحمر نشاطه، فأصبح دوره التجاري ثانويا، لذلك ازدهرت موانيء الخليج العربي، مثل البصرة والابلة وسيراف ثم كيش (قيس)[٧].

اصبحت سيراف بسبب هذا التحول التجاري من أهم مدن العالم التجارية بين القرنين ٣ ـ ٤هـ / ٩ ـ ١٠م وكانت سفن الهند والصين تحط فيها، فأصبحت مركزا «لتجميع وتصريف التجارة العالمية[٨]، وظلت سيراف مزدهرة حتى منتصف القرن الرابع الهجري / العاشر الميلادي، ثم بدأت تفقد مكانتها التجارية العالمية بتحول السفن التجارية منها الى ميناء جزيرة كيش (قيس)، وبسبب عوامل اخرى تركها معظم سكانها فأصابها فقر بعد غنى وذلك بعد عز[٩].

لقد ازدادت الأهمية التجارية لجزيرة كيش بسبب موقعها الممتاز في الخليج العربي[١٠]، خاصة بعد تدهور ميناء سيراف فأحتلت مكانتها محطة كبرى لتجارة الشرق العالمية خلال النصف الثاني من القرن الرابع الهجري وطوال القرن الخامس الهجري، وأنعكست مظاهر الثراء على حكامها واهلها وازدهرت مظاهر العيران فيها، فكانت معاملة التجار الواردين اليها طيبة في بادىء الأمر لكن تلك المعاملة سرعان ما تغيرت في بداية القرن السادس الهجري فقسوا على التجار المسافرين في بحر عُمان بفرض الضرائب العالمية على تجارتهم وعملوا على زيادتها زيادة كبيرة مما ادى الى تحول الكثير من تجار الشرق عن ميناء جزيرة كيش الى ميناء عدن، وفقدت كيش أهم مورد من موارد ثروتها[١١].

وتجدر الاشارة الى ان ميناء عدن لم يتأثر كثيرا، ولمدة طويلة، بسبب تحول طرق التجارة الى موانيء الخليج العربي، بل سرعان ما إستعاد مكانته التجارية السابقة، بسبب اضطراب الأحوال الأمنية في العراق ومنطقة الخليج العربي، وعادت للبحر الاحمر أهميته التجارية الأولى في القرنين الرابع والخامس الهجريين بسبب تعرض التجارة للخطر في الخليج العربي بعد قيام حركتي الزنج والقرامطة في العراق والبحرين، وتدهور أحوال الخلافة العباسية السياسية والاقتصادية بعد سيطرة القادة الترك على السلطة فيها واثارة الاضطرابات في الدولة وشل نشاطها التجاري، وفي ذات الوقت ساءت معاملة السلطات الصينية للتجار العرب الامر الذي أدى الى توقف هؤلاء التجار عن ارتياد موانيء الصين وقصر نشاطهم التجاري على الهند والبحر الاحمر مما كان له أثره في عودة النشاط التجاري الى ميناء عدن[١٢]، فأخذ يجذب التجار من موانيء الخليج العربي، وكان ازدهاره كارثة على ميناء كيش الذي بدأ يفقد مكانته التجارية إثر تحول سفن تجار الشرق عنه، وقد دفع هذا الحال حاكم جزيرة كيش ـ بعد نفاد صبره ـ الى مهاجمة ميناء عدن واستخدام القوة لتدميره لكن محاولته باءت بالفشل الذريع سنة ٥٣٠هـ / ١١٣٥م[١٣].

ومما ساعد على انتعاش ميناء عدن قيام الخلافة الفاطمية في مصر، فتحول ميزان السلطة السياسية في البحر الاحمر والبحر العربي من بغداد الى القاهرة، وقد ادى انتعاش النشاط الاقتصادى لعدن أن أصبحت من جديد همزة الوصل بين الشرق والغرب في معظم الأمور التجارية والاقتصادية خاصة عندما أصبحت اليمن تدخل ضمن ولاء الفاطميين ونفوذهم أثناء قيام الدول الموالية لهم كالصليحيين والزريعيين، فراجت أسواق القاهرة والاسكندرية، وبقي مركز عدن على حاله الاول متينا «لا يتزعزع»، وكان الفاطميون قد حفزوا المد التجاري مع أوربا عبر برنامج مكثف لبناء

---

(٧) القوصي : سيراف وكيش ص ٥٣ ـ ٤، وذكر ان تلك الموانيء حلت محل ميناءي القرما والقلزم في استقبال سفن الشرق الأقصى.

(٨) القوصي : سيراف ص ٥٣ ـ ٤، وقد أفاض في وصف ازدهار سيراف وثراء أهلها نفسه ص ٥٥ ـ ٧.

(٩) يرجع تدهور سيراف ونهاية أمرها الى ثلاثة عوامل : تدمير الزلازل لها سنة ٣٦٦هـ أو ٣٦٧هـ/٩٧٧م، انتهاء نفوذ البويهيين السياسي في العراق فقد الميناء اهتمامهم بعمرانه ازدهار ميناء جزيرة كيش وتحول السفن اليه. القوصي. سيراف ص ٥٨ ـ ٩.

(١٠) تقع جزيرة كيش ويسميها العرب : (قيس) في الخليج العربي على خط ٥٤ شرقاً و ٢٦,٣٠ شمالاً، وهي مرفأ مراكب الهند وبر فارس، انظر عنها : الحموي. معجم البلدان ٤/٤٢٢، القوصي، سيراف وكيش ص ٥٩ ـ ٦٠.

(١١) القوصي : سيراف وكيش ص ٦٠ ـ ١. *Goitein. Two Eyewitness, p. 248.*

(١٢) القوصي : سيراف وكيش ص ٦٩، الحبشي. جوانب ص ٨٦، التاريخ الاقتصادي ص ٣٤ ـ ٥، ٤٣ ـ ٤.

(١٣) للتفصيل عن تلك الغزوة، انظر : ابن المجاور. المستبصر ص ١٢٤ ـ ٥، *Goitein, Two Eyewitness, pp. 247-255.*

السفن ، فتحولت الطرق الى الجنوب الشرقي من البحر المتوسط عبر مصر الى البحر الاحمر فالى الشرق عن طريق عدن [١٤] .

ولايضاح مكانة عدن وطبيعة الحركة التجارية فيها نورد وصف صلاح الدين الحكيم [١٥] ، اذ يقول [١٦] : « ولا يخلو أسبوع من عدة سفن وتجار واردين عليها وبضائع شتى ومتاجر منوعة والمقيم بها في مكاسب وافرة وتجائر مربحة ، ولحط المراكب عليها واقلاعها مواسم مشهورة » . ونستدل من هذا الوصف على نشاط الحركة التجارية بميناء عدن ، بسبب كثرة المراكب الواردة اليه اسبوعيا « وكانت تحمل البضائع المتنوعة من مختلف الارجاء ، وللمراكب التي تحط وتقلع منه مواسم معروفة عند أهل عدن فكانوا يخرجون لرؤيتها ويفرحون بوصولها لانها تعمل على نشاط السوق فيها وتبادل السلع وكثرة الارباح ، وتشكل حركة المراكب مظهرا « بارزا » من مظاهر التجارة الداخلية والخارجية لعدن .

ارتبط تاريخ عدن بتاريخ البحر الاحمر ، الشريان المهم للمواصلات الدولية بين الشرق والغرب ، فهي بحكم موقعها الممتاز تسيطر على مدخله الجنوبي وتتحكم فيه ، لذلك عرفت بأنها « جبل طارق الشرق [١٧] The Gibraltar of the East » ، لانها همزة الوصل بين الشرق والغرب ، وملتقى قارتي آسيا وأفريقيا ، كما تعتبر السوق الكبيرة للجزيرة العربية [١٨] ، وارتبط تاريخها أيضا بتاريخ الركن الجنوبي الغربي للجزيرة العربية ، وقد استمر هذا الركن عرضة لتغييرات متتابعة نتيجة الأضطرابات الداخلية والمؤثرات الخارجية ، وكانت عدن مركزا « للسطرة على هذا الجزء كله ، مما جعلها أول نقطة يحرص الطامعون على الاستيلاء عليها والتحصن فيها ، كما كانت آخر نقطة يحرص المغلوب على التشبث بها والدفاع عنها حتى يضطر لتسليمها أخيرا » [١٩]

وعرفت عدن أيضا « بأنها : عين اليمن [٢٠] The EYe OF Yemen » لانها تعتبر أهم منفذ طبيعي لها على البحر العربي والمحيط الهندي ، فضلا « عن تحكمها في طريق البحر الاحمر » .

١ ـ خبرة أهل عدت التجارية :

لما كانت عدن ميناء « تجاريا » مهما ذا حركة نشطة ، فقد تميز أهلها بخبرة تجارية ، فكان الكثير منهم يعملون في الميناء بمختلف الأنشطة والفعاليات ذات العلاقة بالعمل التجاري من بيع وشراء وما يتبعهما من السمسرة أي الوساطة التجارية ، كما تدير (سكن) هذه الميدنة جمع كبير من الناس العاملين في الوسط التجاري من القبائل العربية ، ومن الاقطار العربية المجاورة وكذلك تجار من جنسيات مختلفة ، بحكم طبيعة اعمالهم في الميناء من استيراد وتصدير والتقاء بالعملاء والوكلاء التجاريين .

كانت الحركة التجارية مركزة في جبل صيرة [٢١] وساحلها حي تُلقى السفن مَراسيها ، وقد أمرنا ابن المجاور [٢٢] بمعلومات طريفة

---

(١٤) سلطان ناجي . عرض كتاب : « عدن تحت الحكم البريطاني » تأليف البروفسور : أر. جي. جافين ، مجلة الكلمة ، ع ٤٦ ص ٧٩ ، التاريخ الاقتصادي للشرق الأوسط ص ٤٣ ـ ٤ .

(١٥) هو الحكيم صلاح الدين أبو عبد الله محمد بن ابراهيم بن البرهان المتوفي سنة ٧٤٣هـ ، وقد نقل اخباراً كثيرة عن طبيعة اليمن وأسواقها ومتاجرها ابن فؤاد سيد ، مصادر تاريخ اليمن ص ١٤٥ ـ ٦ .

(١٦) القلقشندي ، صبح الأعشى ١١/٥ ، انظر أيضاً بهذا المعنى : العبدلي هدية الزمن ص ٢٠ ، لقمان تاريخ عدن ص ٣٠٦ ، كحالة . جغرافية شبه جزيرة العرب ص ٣٦٥ .

(١٧) الريحاني . ملوك العرب ٣٤٣/١ ، د. فاروق أباظة . عدن ص ٢٣ ، وذكراً أن اللورد فالنتيا عرف عدن بأنها : جبل طارق الشرق ، في أكثر من موضع في كتابه ، وأشار لذلك أيضاً (جون وترفيلد) في كتابه : سلاطين عدن .

(١٨) الأكوع . اليمن الخضراء ٨٥ ، الثور . هذه هي اليمن ص ٤٧٢ ، الريحاني . ملوك العرب ٣٤٣/١ .

(١٩) د. فاروق اباظة . عدن ص ٢٣ ـ ٤ .

(٢٠) أباظة . عدن ص ٢٤ ، العبيدي . الحركة الوطنية ص ١٧ • وذكر أن « كراهام » سماها بهذه التسمية .

(٢١) هو جبل شامخ في البحر مقابل عدن وجبل المنظر يقال ان الأخير هو قطعة منه ، ورأس جبل صبيرة حصن قديم ، ويتصل جبل صبرة بالساحل بواسطة مر طويل في وسطه جسر يمر منه ماء البحر ، أما جزيرة صبرة الواقعة في البحر والمواجهة لرأس عدن ، فأنها تعتبر المركز الأمامي في الدفاع عن ميناء صبرة الذي ترسو عنده السفن المتجهة الى ميناء عدن . انظر : ابن المجاور المستبصر ص ١١١ ، أبو مخرمة . ثغر عدن ١٧/١ ، لقمان تاريخ عدن ص ٢٥٤ ، ٢٧٨ ، تاريخ الجزر اليمنية ص ٢٦ ، مجهول قلائد الجمن ص ٨٦ ، ٩٠ ، مستعمرة عدن ص ٩١ . وورد فيه انه في جبل صبرة المنارة المرشدة للسفن .

(٢٢) المستبصر ص ١٣٨ ، ونقل عنه : لقمان تاريخ عدن ص ٢٩٢ ـ ٤ .

عن حياة عدن قبل اكثر من ثمانية قرون فكان هناك حراس [٢٣] يقفون في اعلى جبل المنظر [٢٤] وحصن الخضراء على جبل الخضراء [٢٥] وعيونهم الحادة البصر ترقب في أفق البحر البعيد السفن التجارية القادمة الى ميناء عدن ، وكانوا لا يتمكنون من رؤيتها الا وقت طلوع الشمس وغروبها ، لوقوع أشعة الشمس على سطح البحر ، فيتضح على بعد مسافة الشيء القادم .

كان هؤلاء الحراس يجلسون ـ في أغلب الأحيان ـ على الصخور البارزة في الجبلين المذكورين في مواجهة البحر ، وكل واحد منهم يضع أمامه عوداً «أي:عصاً مثبتة،فاذا رأى شيئا..»في البحر دقق النظر في الطرف الاعلى للعصا فاذا تحرك يمينا « ويسارا » والى الاعلى والاسفل عرف انه ليس الا طائرا » ، وان كان خيال الشيء « مستقيما » ويتحرك ببطيء أدرك الحارس أنها سفينة مقبلة ، عند ذلك يخبر صاحبه القريب منه وهو يصرخ بأعلى صوته : هيريا [٢٦] ، فيسمعه الحارس الذي يليه فيصرخ هيريا وهكذا ينتقل الصراخ بين الحراس حتى يصل الصوت الى آخر حارس في الفرضة ، ويسرع هذا الى دار والي المدينة ليحيطه علما بخبر قدوم السفينة ثم يذهب الى عمال الفرضة ويوصل اليهم خبر الوصول ليكونوا على استعداد لاستقبالها ، وتجدر الاشارة الى أن أصوات الحراس تستمر مدوية من أعلى ذروة الجبل : هيريا ، هيريا ، هيريا ! حتى تصل المنازل ويسمعها معظم السكان في المدينة فيسرعوا الى صعود الجبال وسطوح المنازل لمشاهدة السفينة القادمة ، مبتهجين بقدومها ، ويروي لقمان [٢٧] ان الحراس يوقدون النار على قمة جبل المنظر لاشعار أهالي القرى المجاورة بقدوم سفينة ، وبذلك يمكننا تصور أهمية قدوم سفينة للميناء وتأثيرها على حياة سكان عدن المعيشية التي تعتمد بالدرجة الاساسية على السفن التجارية القادمة .

وتجدر الاشارة الى أن مهمة الحراس الذين يراقبون وصول السفن التجارية الى ميناء عدن تعد مهمة شاقة جدا يبذلون فيها جهدا « كبيرا » ومعاناة مرهقة ، فاذا ثبتت ان الشيء الذي رآه الحارس كان سفينة أي أن رؤيته صحيحة ، كوفيء بأن يعطى دينارا « ملكيا » [٢٨] من الفرضة (الجمرك) في الميناء ، وفي رواية [٢٩] انه يحصل على دينار آخر من والي المدينة مكافأة له ، كما ان الحارس يعاقب ان كان كاذباً ، او اذا خانه النظر ، ولم يكن الشيء القادم سفينة ، وعقوبته ان يضرب عشر جلدات على ظهره ، ويدلنا هذا الاجراء على أن الحارس يجب أن يكون دقيقا «في عمله صادقا».. في خبره ، وأن المكافأة يحصل عليها بعد جهد كبير وعمل جاد ، ولا شك ان هؤلاء الحراس قد كسبوا خبرة في هذا المجال نتيجة عملهم الطويل والمتواصل في مراقبة السفن والاخبار عن وصولها .

عندما تقترب السفينة من جبل صيرة يستقبلها المبشرون وهم يركبون السنابيق [٣٠] فاذا اقتربوا منها يصعدون الى ظهرها ويحيون ربانها ، ثم يسألونه عن البلد الذي قدم منه ، وأنواع البضائع التي يحملها واسماء الركاب القادمين معه ، وبعد أن يرد الربان على تحيتهم واسئلتهم ، يسألهم عن البلد واسم الوالي واسعار البضائع ، ثم يغادر المبشرون ظهر السفينة وينزلون الى المدينة فيبشرون أهالي الركاب القادمين ويهنئونهم بسلامة العودة ويحصلون على البشارة ، كما

(٢٣) يسميهم ابن المجاور : الناظرون ، ويذكر مفردهم : الناطور .

(٢٤) يقع شرق عدن في مواجهة جبل صيرة ويقال انه قطعة منه ، وقد بنيت دار المنظر عليه ، وقد سمي بهذا الاسم لأن العرب قديماً كانوا يستعملونه كمرصد لمراقبة السفن الداخلة للميناء ، وكانت الفنارات تضاء فيه ليلاً لتنبيه السفن ابن المجاور . المستبصر ص ١١١ ، أبو مخرمة . ثغر عدن ٩٧/١ ، لقمان . تاريخ عدن ص ٢٥٤ ، ٢٧٨ ، جغرافية عدن ص ٤١ ، قلائد الجمن ص ٩٠ .

(٢٥) ويقع الى الغرب من جبل المنظر ، وهو ما يسمى الآن : حقات ويعرف بالبندرة ، وفيه حصنين الخضراء الذي يشرف على باب البحر بعدن ، وفيه كانت ترسو المراكب الشراعية التي تحمل البضائع لميناء عدن . لقمان تاريخ عدن ص ٤٥ ، ٢٥٤ ، ٢٥٧ ، الحداد تاريخ اليمن ص ٢١٨ ، جغرافية عدن ص ٤١ .

(٢٦) هتاف ابتهاج أو استحسان أو تشجيع حماسة ، تعبيراً عن الفرح ، الترحيب ، الاعجاب ، وتكون التحية بترديد هذه الكلمة عدة مرات .

(٢٧) تاريخ عدن ص ٢٩٤ .

(٢٨) هو الدينار الذي ضربه الملك المكرم أحمد بن محمد بن علي الصليحي ، وذكرت المصادر بأنه أول من ضرب الدينار الملكي بصنعاء . عمارة . المفيد ص ١٣٥ ، ابن المجاور . المستبصر ١٤٥ ، المقبلي . المخلاف ٤٠/٢ ، لقمان . تاريخ عدن ص ٣٠٠ .

(٢٩) لقمان . تاريخ عدن ص ٢٩٤ .

(٣٠) مفردها السنبوك أو السنبواق ، وتسمى ايضاً : الصنابيق مفردها الصنبوق ، في الأصل مركب صغير يتبع المراكب الكبيرة ، وتطلق اليوم على السفن الشراعية المتوسطة الحجم ذات القلعين ، ان هذا النوع من السفن أصبحت في العصور الوسطى عبارة عن قوارب صغيرة كما وصفها ابن بطوطة الذي عاش في القرن الرابع عشر ، وقد ورد استعمالها كثيراً في مؤلفات الرحالة والجغرافيين العرب في العصور الوسطى . ماهر . البحرية في مصر ص ٣٤٨ـ٩ ، عبد العليم ابن ماجد ص ١٥٥ .

يعزون أهل من لم يعد منهم أو من مات في سفره ، كما أنهم يزورون التجار ويخبرونهم بأنواع البضائع التي تحملها السفينة فينالون الأجر منهم ، وتجدر الاشارة الى ان كاتب الجمرك يدون كل المعلومات التي يدلي بها ربان السفينة وبعد الانتهاء منها يوقع عليها الربان وتحوي تلك المعلومات على تفاصيل بأسماء البضائع التي تحملها السفينة واسم الربان واسماء التجار ، فيرجع المبشرون كلهم دفعة واحدة ويسلمون والي المدنة رقعة كاتب الجمرك ويعطونه المعلومات المتعلقة بالسفينة التي وصلت توا « بصورة تفصيلية » .

بعد انتهاء عملية تسجيل محتويات السفينة من البضائع والتجار القادمين ترسو السفينة عند دائرة الجمرك في الميناء فيصعد اليها نائب السلطان وهو والي المدينة ، يرافقه الكشاف وهو المفتش الذي يفتش الرجال واحدا « واحدا » بدقة متناهية ، يبحث بين طيات ملابسهم وعمائمهم وكل اجسامهم ، وقد وصف لنا ابن المجاور [٣١] ذلك التفتيش بكل دقة .

أما بالنسبة الى النساء فهنالك عجوز تفتش النساء بدقة على غرار تفتيش الرجال ، ولعل سبب كون التفتيش دقيقا « وشديدا » يعود الى عدة أسباب منها : ضبط عمليات التهريب لكثير من المواد الصغيرة الحجم الخفيفة الوزن الغالية الثمن كالذهب مثلا ، اضافة الى الشك في بعض الاشخاص القادمين من عملهم في التجسس أو نقل الرسائل السرية .

نزول التجار الى المدينة

بعد ان تنتهي عملية تفتيش التجار القادمين على ظهر السفينة وكذلك بقية المسافرين من الرجال والنساء ، ينزلون في اليوم الثاني الى الجمرك [٣٢] أي أن التفتيش يتم خلال يوم واحد وهم داخل السفينة ، ثم ينزلون الى رصيف الميناء ، وفي رواية [٣٣] ان الأقمشة والبضائع تنزل الى الفُرضة بعد ثلاثة أيام حيث تعرض على موظفي الجمرك ليجري عليها العَدّ والوزن ومن ثم يقدر رئيس الجمرك قيمة كل بضاعة ليفرض عليها ما يراه مناسبا من الضرائب .

أن تنزيل البضائع بعد ثلاثة أيام يرجع الى دقة التفتيش في الميناء على الرجال والنساء ، ونفهم من ابن المجاور ان العد والوزن ، إتصف بالدقة والشدة ، اذ يقول [٣٤] : « وبعد ثلاثة أيام تنزل الاقمشة والبضائع الى الفرضة تحل شدة « شدة وتعد ثوبا « ثوبا » ... » ، وهذا الاجراء يوضح لنا عملية ضبط كميات البضائع الواصلة والتي يتم بموجبها تحديد واستيفاء العشور التجارية ، ومن المحتمل ان التأخير يعود ايضا « الى ازدحام الميناء بالمراكب التجارية وانتظار الدور لكل مركب حتى يتم تفريغه وتسجيل البضائع التي يحملها ومن ثم استيفاء العشور عليها .

ونفهم ان التفتيش كان دقيقا « وشديدا » الى درجة كبيرة ، وربما وقعت مآسي انسانية في الميناء نتيجة ذلك التفتيش الصارم وعدم التساهل في الرسوم الباهظة ، قال ابن المجاور [٣٥] ، « وحينئذ يظهر على التاجر الحراف [٣٦] ويقتله الحزن ويبقى في وادي الديبور بما يعملون معه من الفعل الذي يطير منه البركة والسعادة » .

ولنستنتج من النص السابق مدى المعاناة التي يعاني منها التاجر بسبب التفتيش والرسوم العالية فيصيبه اليأس والحزن وتنقلب سعادته الى ألم وأساة ، ويشبه ابن المجاور خروج الانسان من البحر كخروجه من القبر ، ويوضح حال التاجر في الميناء ، اذ يقول [٣٧] : « وخروج الانسان من البحر كخروجه من القبر والفرضة كالمحشر فيه المناقشة والمحاسبة والوزن والعدد فان كان رابط « طاب قلبه وان كان خاسرا » اغتم ... » .

---

(٣١) المستبصر ص ١٣٩ .

(٣٢) ابن المجاور المستبصر ص ١٣٩ ، لقمان ، تاريخ عدن ، ص ١٩٥ .

(٣٣) نفس المصدرين السابقين .

(٣٤) المستبصر ، ص ١٣٩ .

(٣٥) نفسه ١٣٩ .

(٣٦) الحُرْفُ الحرمان ، والمحرف الذي ذهب ماله ، والمحارف الذي لا يصيب خيراً من وجه توجه له (منقوص الحظ) ، والمصدر الحراف ، ابن منظور ، اللسان ١ / ٦١١ (مادة حرف) .

(٣٧) المستبصر ص ١٢٨ ـ ١٣٠ (بين الصفحتين خارطة قديمة لمدينة عدن) .

٢ ـ عشور التجارة :

لاجل اعطاء صورة واضحة عن النشاط التجاري لميناء عدن ، نورد أدناه ، مقدار العشور التي كانت تفرض على البضائع الواردة للميناء كما رصدها ابن المجاور في القرن السادس الهجري / الثاني عشر الميلادي ، فقد ذكر [٣٨] ان تلك الضرائب والقوانين كانت قد استجدت أيام دولة بني زريع ، وذكر لقمان [٣٩] أن نائبي عدن في عهد المكرم احمد الصليحي ، وهما العباس ومسعود ابن المكرم الجشمي اليامي الهمداني ، فكرا في انشاء الدواوين وتنظيم الضرائب على الصادرات والواردات ، ولعلهما استشارا أهل الفكر في مثل تلك الامور فوجدا من عمل على تنظيمها .

ان مصادرنا الأولية وفي مقدمتها تاريخ المستبصر لابن المجاور لا تحدد لنا السنة التي فيها تطبيق تلك الضرائب فعليا ، كما لاتحدد اسم الأمير الذي طبقت في عهده ، لكننا نحتمل ان تطبيقها بدأ بعد استقلال بني زريع وانفرادهم بحكم عدن ، والراجح ان ذلك تم في عهد الداعي محمد بن سبأ ، (٥٣٤ ـ ٥٥٠هـ / ١١٣٩ ـ ١١٥٥م) وقد استمر العمل بتلك النظم بعد نهاية حكم بني زريع وقيام الدولة الايوبية في اليمن سنة ٥٦٩هـ / ١١٧٣م ، اذ ان كثيرا من الضرائب قد استجدت في عهدها ، لذلك سندرس تلك الضرائب خلال العهدين المذكورين ، وسنبدأ اولا بتوضيح عشور الشواني قبل البدء بدراسة انواع العشور المفروضة على البضائع الواردة الى ميناء عدن من أرجاء متعددة من العالم ، وبذلك تكون البضائع التي فرضت عليها عشور الشواني هي البضائع التي شملتها تلك العشور في العهد الايوبي فقط ، أضافة الى دراستنا للعشور الأخرى المفروضة على البضائع في عهد بني زريع ثم العهد الايوبي .

أ) عشور الشواني

لم تكن لبني زريع ـ أمراء عدن ـ معرفة باستعمال السفن الحربية ، وبقيت الحال حتى دخول توران شاه ابن أيوب الى اليمن واستيلائه على عدن سنة ٥٦٩هـ / ١١٧٣م فجاء معه بسفن حربية كانت تسمى : « الشواني » [٤٠] وبعد مغادرة السلطان توران شاه اليمن سنة ٥٧١هـ / ١١٧٥م ، ولي على عدن نائبا « عنه هو الامير عثمان بن علي الزنجيلي التكريتي فبقيت عنده الشواني الى ان هرب من عدن سنة ٥٧٩هـ / ١١٨٣م ، ودخل السلطان سيف الاسلام طفتكين بن أيوب في تلك السنة ، فكانت تلك الشواني لا تزال باقية في ميناء عدن .

وقد تقدم أحد الأهالي الاذكياء بسؤال الى سلطان طفتكين قائلا له : « وبم تستحل أخذ العشور من التجار ؟ » ، قال « أجري على ما كانت عليه ملوك بني أيوب فيما تقدم من الايام » وقد رد ذلك التاجر على السلطان طفتكين ، أنهم كانوا يستعملون القوة في فرض الرسوم على الناس ، واقترح عليه ان يأخذها بطريقة يشكرونه عليها ، ولما طلب منه طفتكين بيان رأيه ، أجابه بأن يخرج هذه الشواني الى البحر لحماية التجار وتجارتهم من السُراق ولصوص البحر فيدفع التجار العشور مقابل حراسة الشواني لاموالهم ، وذلك أفضل من بقاء تلك السفن عاطلة في المرسى تتلف الشمس اخشابها ، فأستحسن طفتكين ذلك الرأي ، وأخرج الشواني الى بحر الهند تجوب فيه لحراسة المراكب التجارية بعد اشتداد نفوذ القراصنة في البحر ، وقد اصبح رسم الشواني نافذ المفعول منذ عهد السلطان طفتكين [٤١] ، ونحن نرجح ان يكون ابتداء ذلك سنة ٥٧٩هـ ، وهي السنة التي دخل فيها السلطان الى اليمن واخضعه لسيطرة الدولة الايوبية بعد القضاء على المتمردين والانفصاليين فيه .

كانت الطريق التجارية بين عدن والهند عرضة لهجوم القراصنة

---

(٣٨) المستبصر ص ١٤٠ ، ويقول : « ثم ضرائب وقوانين استجدت من أيام دولة بني زريع » .

(٣٩) تاريخ عدن ، ص ٢٩٦ .

(٤٠) الشواني : هي أقدم أنواع السفن ، وتسمى : الشيني ، وكانت أهم قطع الأسطول الروم اني ، ووردت في التاج للزبيدي الشونة المركب المعد للجهاد في البحر ، والجمع الشواني لغة مصرية ، وكانت الشواني في العصور الوسطى أهم قطع الأسطول الاسلامي لأنها أكبر السفن وأكثرها استعمالاً لحمل المقاتلة للجهاد ، وعليها أبراج وقلاع ، وتحمل في المتوسط نحو (١٥٠) رجلاً . ماهر : البحرية في مصر ، ص ٣٥٢ ، عبد العليم . ابن ماجد ، ص ١٥٣ ، الحبشي جوانب ، ص ١٢٥ .

(٤١) ابن المجاور . المستبصر ١٤١ ـ ٢ ، لقمان . تاريخ عدن ، ص ٧٠ ـ ١ ، ٢٩٦ ـ ٧ .

الهنود الذين اتخذوا من جزيرة سقطرة مخبأ لهم [٤٢] فعرضوا طريق التجارة للاخطار والمخاوف المستمرة ، وقد أدى ذلك الحال الى قيام السلطان طفتكين بارسال الشواني لحماية التجار من السُرّاق ، وقام الاتابك سيف الدين سنقر أمير عدن (٥٩٨ ـ ٦٠٨هـ / ١٢٠١ ـ ١٢١١م) بتجريد حملة على جزيرة سقطرة استخدم فيها الشواني [٤٣] ، بسبب ازدياد خطر القراصنة الهنود ومهاجمتهم للسفن التجارية .

ازداد خطر هؤلاء القراصنة مما أدى الى توقف التجارة بين عدن والهند لمدة سنة ، فأرسل الأتابك سنقر الشواني سنة ٦٠٢هـ/١٢٠٥م للقضاء على اللصوص مرة ثانية ، وقد وصلت شواني الأتابك الى قلهات [٤٤] والى كل مكان ، وطردت اللصوص من البحر [٤٥] .

كان رسم الشواني بسيطا نسبته ١٪ ، أي يؤخذ دينار على كل مائة دينار عند تقدير قيمة البضاعة [٤٦] ، وكان يؤخذ سواء قامت السفينة بالحراسة فعلا أم لم تقم ، ثم زيد الى ١٠٪ [٤٧] واستمر الحال حتى سنة ٦١٣هـ/١٢١٦م ، والغي في عهد الملك المسعود يوسف بن الملك الكامل محمد [٤٨] .

ب) عشور البضائع

نورد أدناه قائمة بمقدار العشور المفروضة على البضائع الواردة لميناء عدن والصادرة منه كما رصدها ابن المجاور [٤٩] في القرن السادس الهجري / الثاني عشر الميلادي :

١) بضائع فرضت عليها العشور وذلك على وزن البهار [٥٠] الواحد :

أ) الفلفل [٥١] : تؤخذ على البهار ثمانية دنانير عشور ودينار شواني ، وخروجه على الفرضة ديناران ، أي أن مجموع عشور بهار الفلفل تساوي (١١) دينارا » .

ب) الانكزة وهو الحلتيتي [٥٢] : ثمانية دنانير عشور .

ج) قشر المحلب [٥٣] : ثلاثة دنانير ونصف عشور .

د) الطباشير [٥٤] : واحد وعشرون دينارا الا ثلث عشور ، ودينار شواني .

هـ) عود الدفواء [٥٥] : تؤخذ عليه عشور وشوانٍ تساوي نصف

---

(٤٢) ابن المجاور . المستبصر ص ٢٦٨ ، وقد زار جزيرة سقطرة سنة ٦١٨هـ ووصف سكانها بقوله : « ورأس ما في سقطرى وغاية معاش أهل هذه السواحل مع السراق لأن السراق ينزلون عندهم ويقيمون عندهم مدة ستة شهور ويبيعون عليهم الكسب ويأكلون ويشربون ... » ، انظر أيضاً : حوراني . العرب والملاحة ص ٢١٠ ، ٢٢٧ ، ٢٣٠ .

(٤٣) ابن المجاور . المستبصر ص ٢٦٦ ـ ٧ .

(٤٤) قلهات : بالفتح ثم السكون وآخره تاء ، وهي مدينة بعمان على ساحل البحر ترفأ اليها سفن الهند ، وهي فرضة تلك البلاد وقد قصرت بعد سنة خمسمائة وهي لصاحب هرمز ، وكانت عامرة آهلة لكنها ليست قديمة بالعمارة . الحموي . معجم البلدان ٣٩٣/٤ .

(٤٥) ابن حاتم . السمط الغالي ، ص ١٣١ .

(٤٦) المقيلي : المخلاف ، ج ١ ، ق ١ / ١٩٩ .

(٤٧) ابن المجاور . المستبصر ، ص ١٤٢ .

(٤٨) قيل أن الملك المسعود الغى رسم الشواني سنة ٦١٥هـ . لقمان تاريخ عدن ص ٢٩٨ ، العقيلي . المخلاف ، ج ١ ، ق ١٩٩/١ ، والصواب أن الغاء هذه الرسوم كان سنة ٦٢٥هـ/١٢٢٧م . ابن المجاور المستبصر ، ص ١٤٢ ، الحبشي . جوانب ١٠٨ .

(٤٩) المستبصر ص ١٤٠ ـ ١ ، انظر أيضاً : العقيلي . المخلاف ، ج ١ ، ق ١ / ١٩٧ ـ ٨ ، الحبشي . جوانب ، ص ١٠٩ ـ ١١٠ .

(٥٠) البهار : وهو من الأوزان اختلف فيه ، فقيل أنه يزن (٣٠٠) من ذكر المقدسي أن وزنه (٣٠٠) رطل وهذا الوزن بالرطل الملكي الذي يزن (٢٦٠) درهماً ، أي الوزن المضاف ، وبذلك يكون وزن البهار (٢٧٠,٥٦٢) كغم ، وذلك على حساب وزن الدرهم بمعدل (٣,١٢٥) غم . أحسن التقاسيم ، ص ٩٩ ، هنتس . المكاييل ص ٢٠ ـ ١ ، وذكر لقمان أن اختلافاً حصل في وزن البهار ، فقيل أنه يساوي حمولة جمل ، وأنه يتراوح بين : ٣٠٠ ، ٤٠٠ ، ٦٠٠ رطل . تاريخ عدن ص ٥٤ ، ٣٠٠ ، انظر أيضاً : دوزي . تكملة المعاجم ٤٦٣/١ .

(٥١) شجرة تنبت في بلاد الهند ، لها ثمرمر يكون في بداية ظهوره طويلاً كاللوبياء وهو الدار فلفل ، يستعمل مع الغذاء ولأغراض طبية عديدة . المظفر الرسولي . المعتمد في الادوية المفردة ، ص ٣٦٧ ـ ٩ .

(٥٢) الحلتيت هو صفة الانجدان لها قوة تجذب جذباً بليغاً وهو أكثر البان الشجر حرارة ولطافة ، وهو مادة طبية مهمة لمعالجة الكثير من الأمراض . المظفر الرسولي المعتمد ، ص ١٠٠ ـ ١ .

(٥٣) المحلب : هو شجر يابس أبيض النور وثمره يقع في الطيب وهو أنواع ، يستعمل في المسوحات والنقاوات له استعمالات طبية كثيرة . المظفر . المعتمد ، ص ٤٨٦ ـ ٧ .

(٥٤) هو شيء يكون في جوف القنا الهندي ، يجلب من ساحل كلاه بالهند ، وأكثره في منطقة سندابور ، شكله مستدير شكل الدرهم ، سرعان ما يحترق عند احتكاك بعضه ببعض بريح شديدة تهب عليه ، وله منافع طبية كثيرة المظفر . المعتمد ، ص ٣٠١ ـ ٢ .

(٥٥) يبدو أنه أنواع من البخور لكونه يسمى : عود الدفواء .

المبلغ المفروض على بهار الطباشير ، ويذكر الحبشي [٥٦] ان رسومه عشرة دنانير ونصف .

و) الهيل : سبعة دنانير عشور .

ز) الكتان : سبعة دنانير ونصف عشور .

ح) الفُوّة [٥٧] : اثنا عشر دينارا ، وقد استجد في الأيام دولة الملك المعز اسماعيل بن طغتكين ، وكان مقدارها قبل ذلك دينارين ويقال ثلاثة دنانير .

ط) الحَمْر [٥٨] : يؤخذ على البهار ثلاثة جُوْر [٥٩] عشور .

٢) بضائع فرضت عليها العشور على وزن الفراسلة [٦٠] :

أ) الكافور [٦١] : خمسة وعشرون دينارا « ونصف وسدس عشورا » .

ب) القرنفل [٦٢] : عشرة دنانير عشور وشواني دينار .

ج) الزعفران [٦٣] : ثلاثة دنانير وثلث عشور .

٣) بضائع فرضت عليها العشور بصيغ متنوعة :

أ) النيل [٦٤] : يؤخذ على قطعة النيل أربعة دنانير شواني وخروجه من الفرضة ربع [٦٥] .

ب) العويلي [٦٦] السندا بوري : تؤخذ عليه ثمانية دنانير عشور ودينار شواني ، واذا صدر من المدينة تؤخذ عليه نصف دينار عشور ، وهو لضامن دار النبيذ [٦٧] . ولم تحدد المصادر الكمية من هذه المادة التي فرضت عليها عشور الميناء وعشور الشواني هل هي بالبهار ، الفراسلة ، القطعة ؟ ونستدل على انها مادة ذات صلة بصناعة النبيذ التي ازدهرت بعدن ولها دار خاصة بها تضمن من الدولة .

ج) رأس الضأن : يؤخذ عليه ربع [٦٨] ، ولعلع ربع رينار عشور .

د) رأس الرقيق : يؤخذ على الرأس ديناران ، واذا صدر من المدينة يؤخذ عليه نصف دينار عشور .

هـ) الثوب الظفاري : وهو الثوب المصنوع في ظفار باليمن ، يؤخذ عليه عشور ربع دينار وجائز . [٦٩]

---

(٥٦) الحبشي . جوانب ص ١٠٩ .

(٥٧) الفوة : هي عروق نبات لونها أحمر ، يستعملها الصباغون وتعرف بفوة الصباغين ، طعمها مر ، ولها استعمالات طبية كثيرة . المظفر . المعتمد ، ص ٣٧١ ـ ٢ .

(٥٨) هو التمر الهندي ، وهو بالسراة كثير وكذلك ببلاد عمان ، وورقة مثل ورق الخلاف (الصفصاف) ، ويقال له : البلخي . الدينوري كتاب النبات ص ١٣٤ ، ويسمى : القاريط ، ويقال القراريط : حب الحمر ، وقد ورد ذكره في شعر حسان بن ثابت . الصغاني . التكملة ٤/١٦٣ ، وذكر المظفر الرسولي ان الحمر حامض يتداوى به شجره عظام كشجر الجوز وثمره قرون مثل قرون ثمر القرظ ، يطبخه الناس وله منافع طبية كثيرة ، المعتمد ص ٥٢ ، ١٠٦ .

(٥٩) الجوز من اجزاء الدينار الملكي الذي كان متداولاً في عدن ، ويتكون من أربعة أرباع ، كل ربع ثلاثة جوز ، والجائز يساوي ثمانية فلوس . ابن المجاور . المستبصر ، ص ١٤٥ .

(٦٠) هي وحدة وزن ، ذكر ابن المجاور انها تساوي عشرة أمنان وتساوي عشرون رطلاً . المستبصر ص ١٤٠ ، وذكر هنتش أنها تساوي ١/٢٠ من البهار وهي في كل الأحوال (١٠) أمنان . المكاييل والأوزان ص ٢١ ، ٤٠ .

(٦١) هو صمغ شجر ، لونه أحمر وخشبه أبيض رخو يضرب الى السواد يوجد في أجواف الشجر في خروق ممتدة على طولها ، وهو أصناف فيها : القيصوري والرياحي ثم الازاد والاسفرال والأزرق وهو المختلط بخشبه والمتصاعد من خشبه ، ويدخل الكافور في الطيب وله استعمالات طبية عديدة . المظفر . المعتمد ، ص ٤٠٤ ـ ٥ .

(٦٢) هو ثمرة وعيدان يستعملان جميعاً ، يجلب من أرض الهند ، أجود الرؤوس ذوات الشُعَب وهو حار يابس ، ويستعمل كثيراً في أنواع الأدوية . المظفر . المعتمد ، ص ٣٨٠ ـ ١ .

(٦٣) ذكر الدينوري أن الريهقان هو الزعفران . كتاب النبات ص ١٩٤ ، وذكر أيضاً أنه معروف ولا ينبت في أرض العرب . نفسه ص ٢٠١ ، والورس في معنى الزعفران . عمارة . المفيد ص ٥٩ ، ومن اسمائه : الكركم ويستعمل في الطعام ولأغراض طبية عديدة . المظفر . المعتمد ص ٢٠٢ . وقيل أن عشور الزعفران ثلاثة دنانير ونصف . الحبشي جوانب ، ص ١٠٩ .

(٦٤) ويسمى : النيلج ، وهو العظلم الذي يستعمله الصباغون ، وهو نبات له ساق وفيه صلابة وله شعب رقاق ، ولونه يميل الى الغبرة والزرقة ، وله منافع طبية كثيرة . المظفر المعتمد ، ص ٥٣١ ـ ٢ .

(٦٥) المستبصر ، ص ١٤٠ ، وذكر مبلغ عشوره ربع فقط ولعله ربع دينار .

(٦٦) وردت هذه المادة مصحفة وغير واضحة ، صورتها (العوطي) . المستبصر ، ص ١٤١ ، وسندابور موضع بساحل الهند من بلاد كلي ذكرنا أن الطباشير كان يجلب منه . المظفر ، المعتمد ص ٣٠١ .

(٦٧) المستبصر ص ١٤١ ويبدو أن مكان هذه الدار في عدن ، وذكر ابن المجاور وأيضاً وجود دار للنبيذ في زبيد كان ضمانها السنوي (١٢) ألف دينار . المستبصر ، ص ٩٠ ، وكانت تلك الدور أشبه بمصانع محلية يدوية صغيرة .

(٦٨) ذكر ابن المجاور مبلغ وربع فقط . المستبصر ، ص ١٤١ .

(٦٩) ذكر المقيلي أن رسمه ربع دينار فقط . المخلاف ، ج ١ ، ق ١ /١٩٨ . وذكر الحبشي أنه يؤخذ عليه ربع دينار ضمان ، جوانب ص ١٠٣ .

ز) شقق الحرير وهي من صنع زبيد ، تؤخذ على الواحدة منها نصف دينار وجائز .

ح) الشقة البيضاء [٧٠] دينار .

ط) الشقة السوسي [٧١] ; وعشورها ثلاثة قراريط [٧٣] .

ك) فوط السوسي : وعشورها ربع وجائز .

ي) السياعي [٧٤] : وعشورها ديناران ونصف .

وهنالك بضائع اخرى فرضت عليها العشور بصيغ اخرى في العهد الايوبي [٧٥] واعتبر العقيلي [٧٦] ان ما ذكرناه من العشور المفروضة على الثياب وشقق الحرير وغيرها بمثابة عشور مفروضة على الصادرات في العهد الايوبي .

٢) عشور مستجدة في العهد الايوبي :

أصبحت العشور المفروضة على بهار الفوة اثني عشر دينارا وذلك في عهد الملك المعز اسماعيل بن طغتكين . (٥٩٣ ـ ٥٩٨هـ/١١٩٦ ـ ١٢٠١م) ، وكانت قبل ذلك دينارين وقيل ثلاثة دنانير [٧٧] ، وقد استجدت عشور اخرى خلال العهد الايوبي [٧٨] ، وهي :

أ) عشور الحديد ; وقد بلغت نصف ثمنه ، أي ٥٠٪ وقد استجد هذا في عهد السلطان طغتكين بن أيوب ، (٥٧٩ ـ ٥٩٣هـ/١١٨٣ ـ ١١٩٦م) .

ب) وكانت عشور الرأس الواحد خمسين دينارا اذا دخل ميناء عدن ، وقد استجد ذلك في عهد الملك الناصر أيوب بن طغتكين بن أيوب (٥٩٨ـ٦١١هـ/١٢٠١ ـ ١٢١٤م) ، ويؤخذ على الرأس سبعون دينارا اذا صدر من عدن الى الخارج بطريق البحر ، وهذا يمثل سياسة تجارية متطورة أساسها حماية أنواع الخيول الأصيلة ووضع حد لتصديرها وهي سياسة عربية صائبة تدل على رقي التفكير وبعد النظر ، ذكر العقيلي [٧٩] ، ان رفع عشور تصدير الخيول الى ـ ٧٠ ـ دينارا للرأس الواحد يمثل نظرة اقتصادية معمول بها في الوقت الحاضر في أحدث الأنظمة الجمركية ، وذلك برفع الضريبة على المادة التي تحتاجها البلاد عند تصديرها والتخفيض على ما يرد منها .

ج) بيع المراكب : تؤخذ على المركب الذي يباع بعدت رسوم مقدارها ١٠٪ يدفعها بائع المركب [٨٠] .

د) ضريبة البيوت : حين يباع بيت يدفع المالك ربع قيمته وقيل ثلث قيمته ، يضاف الى ذلك ديناران للإعلان الرسمي [٨١] .

٤) الموارد المصفاة من العشور :

تبين لنا من خلال دراستنا لانواع العشور المفروضة على البضائع الواردة الى ميناء عدن ان معظمها عبارة عن مواد غذائية حياتية

---

(٧٠) ذكر العقيلي ان الشقة البيضاء صنع زبيد ، المخلاف ، ج ١ ، ق ١ /١٩٨ .

(٧١) يتكون الدينار الملكي المعمول به في عدن من أربعة أرباع ، كل ربع ثلاثة جوز ، كل جائز ثمانية فلوس وكل فلس أربعة دوارس . المستبصر ص ٨٩ ، ١٤٥ ، وثمن الدينار اذن جائز ونصف .

(٧٢) السوسي ; نسبة الى مدينة سوسة بالمغرب ، وي مدينة عظيمة ومنها يخرج الى السوس الأقصى ومنه الى القيروان ، وفي سوسة دار الصناعة . والحياكة فيها كثيرة ويغزل فيها الغزل الحموي . معجم البلدان ٣/ ٢٨١ ـ ٣ .

(٧٣) القيراط ربع خمسي مثقال ، والدينار عشرون قيراط في أكثر البلدان . الخوارزمي . مفاتيح العلوم ، ص ١٤١ .

(٧٤) السياعيات هي نوع من الأردية طول الواحدة منها سبعة أذرع في عرض أربعة أذرع ، وهي صنفان من الحرير الخالص وآخر ممزوج بالكتان . ابن المجاور . المستبصر ص ٨٦ ، وذكر مقدار عشورها على كورجة السباعي . نفسه ص ١٤١ .

(٧٥) يؤخذ عشور من اللالئ الربع ويقال الثلث وديناربن استظهاراً وعلى كورجة المحابس أربعة دنانير ، وعلى كورجة الأحواك دينارين ونصف (ذكر العقيلي أنه يؤخذ على كورجة الحرك صنع زبيد دينارين . المخلاف ، ج ١ ، ق ١ /١٩٨) ، وكذلك السباعي وعلى كورجة الثياب الخام الهندي دينارين ونصف ، وعلى سواسي الكتان الكبار جائزين وقيراط . وعلى الصغير جائزين وغلين ، وعلى كل قفعة ذرة (ذكر العقيلي قفعة الذرة والدخن . المخلاف ، ج ١ ، ق ١ /١٩٨) ثمن دينار . ابن المجاور . المستبصر ١٤٠ ـ ١ .

(٧٦) المخلاف ، ج ١ ، ق ١ /١٩٨

(٧٧) ابن المجاور . المستبصر ، ص ١٤٠ .

(٧٨) للتفصيل ، انظر : المستبصر ، ص ١٤٠ ـ ١ لقمان . تاريخ عدن ، ص ٢٩٩ ، العقيلي . المخلاف ، ج ١ ، ق ١ / ١٩٧ ـ ٨ ، الحبشي . جوانب ص ١١٠ .

(٧٩) المخلاف ، ج ١ ، ق ١ / ١٩٧ .

(٨٠) ابن المجاور . المستبصر ١٤٠ .

(٨١) لقمان . تاريخ عدن ، ص ٢٩٨ .

واخرى تستخدم للاغراض الطبية ، كما أنها ترد من أرجاء عديدة من العالم بطريق البحر ، مما يوضح لنا قوة الصلات التجارية بين عدن والعالم ، ونستدل من مقدار تلك العشور أيضا « على أنها تشكل موارداً فقط قد فرضت عليها عشور الشواني ، وهي مالية طائلة ترد ميناء عدن سنويا ، وكانت من مواد الفلفل ، الطباشير ، القرنفل ، العويلي السندابوري والشيل ، ولعل ذلك يرجع الى انها كانت تجلب من الهند ويتطلب الامر توفير الحماية اللازمة لتأمين وصولها عن طريق المحيط الهندي الي ميناء عدن بواسطة الشواني ، ويبدو ان تلك المواد كانت من الأهمية للسكان في مجالات متعددة لاستعمالها في الطعام وللاغراض الطبية فزاد الطلب عليها .

كما ان هنالك بضائع اخرى استدعت حاجة البلاد الاقتصادية تشجيع توريدها وذلك باعفائها من العشور ، وكان اغلبها من المواد التموينية الضرورية ذات الصلة والمساس بحياة الجمهور الاكبر من السكان . وتقسم حسب مصادرها الى :ـ

أ) الواصل من ديار مصر [٨٢] وتشمل المواد التالية : الحنطة والدقيق والسكر والارز والصابون الرقي والاشنان [٨٣] والقطارة [٨٤] وزيت الزيتون وزيت الحار والزيتون المملح . وكل ما يتعلق بالنقل [٨٥] وعسل النحل اذا كان قلية [٨٦] .

□ ب) الواصل من الهند [٨٧] :

كل ما يصل بطريق البحر [٨٨] كالهليلج [٨٩] المربي والاكراك والمخاد والمساور والانطاع[٩٠]) والارز الكجري [٩١] والسمسم والصابون ، ومن البضائع : المعز [٩٢] الكلاهي [٩٣] والنشم [٩٤] وحطب القرنفل وثياب العرابية [٩٥] .

ومن معاملة الشجر التمر المقلف [٩٦] ، ويعفي ايضا السمك المملح ان كان بلا رأس ، وان كان برأس أخذ عليه وتعفى من العشور النعال الهندية ان كانت بلا شراك (سيور) وان كانت بشراك فرضت عليها العشور ، ولعلها استوردت من الهند لتشجيع صناعة تكميلية لها في عدن يعمل بها قطاع من السكان .

ويعفي من العشور الخرز الذي يجلب من الديبل [٩٧] ، وغلمان

---

(٨٢) ابن المجاور . المستبصر ، ص ١٤٢ ، لقمان . تاريخ عدن ، ص ٢٩٨ ، العقيلي المخلاف ، ج ١ ، ق ١ / ١٩٨ ، الحبشي . جوانب ص ١١١ .

(٨٣) الأشنان : الحرض ، ويجمع أشانين ، وأجناس الأشنان كثيرة وكلها من الحمض . الدينوري كتاب النبات ، ص ٤١ ، وذكر دوزي أن الأشنان معرب شنان وهو الحوض العربية أو الفصول ، أو الخمام في الشام وهو من الغسولات ، ويستعمله العرب هو ورماده في غسل الثياب تكمله المعاجم ١٤٦/١ .

(٨٤) القطارة بالضم ما قطر من الحب ونحوه ، أي قطارة الحب ، وقطارة الشيء ما قطر منه ، وتقطير الشيء ، أسالته قطرة قطرة الجوهري . الصحاح ٧٩٦/٢ ، ابن منظور . لسان العرب ١٠٥/٥ ، مادة (قطر) .

(٨٥) النقل : بالضم ، ما يتنقل به على الشراب ، والنقل يفتح النون الانتقال على النبيذ والعامة تضمه . الجوهري . الصحاح ١٨٣٤/٥ ، ابن منظور . لسان العرب ١١ / ٦٧٦ ، مادة (نقل) .

(٨٦) هناك مواد أخرى معفاة من الضرائب كالعطور والسليط ولوز الحلويات ان كان قليلاً . لقمان . تاريخ عدن ص ٢٩٨ .

(٨٧) انظر : ابن المجاور . المستبصر ، ص ١٤٢ ـ ٣ . لقمان . تاريخ عدن ص ٢٩٩ .

(٨٨) ذكر لقمان أن كل المواد الواردة من الهند تعفى من العشور اذا كان سيعاد شحنها من عدن بحراً . تاريخ عدن ص ٢٩٩ . ونعتقد أن هذا يشمل البضائع التموينية الخاصة بسكان عدن . لكنه لا يشمل السفن التي تمر وتتوقف في الميناء اذ تستوفي منها ضرائب الميناء التي درسناها .

(٨٩) ويسمى : الاهليلج وهو اسم جنس مادته أهليلجة ، ويسمى هليلج ، وهو مادة تستعمل كمسهل واصنافه عديدة ، وتذكر الاهليلجات ضمن الأدوية التي يؤتى بها من الصين . المظفر . المعتمد ، ص ٥٣٦ ـ ٩ ، دوزي . تكملة المعاجم ١ / ٩٣ ، ٢٠٧ ـ ٨ .

(٩٠) وهي الوسائد والفرش وأغطية الموائد الجلدية . لقمان . تاريخ عدن ، ص ٢٩٩ .

(٩١) هو الأرز المخلوط بالماش . المستبصر ، ص ١٤٢ .

(٩٢) المغرة مادة طبية أجودها ما كان كثيفاً لونها شبيه بلون الكندر ليست فيها حجارة ولا مختلفة اللون ، لها قوة قابضة مجففة مغرية ، أما المغرة التي يستعملها التجارون فإنها أضعف من المغرة المنسوبة الى سوس وأجودها ما كان من مصر ، والمغرة مادة باردة يابسة لها استعمالات طبية كثيرة . المظفر . المعتمد ، ص ٥٠١ ـ ٢ .

(٩٣) نسبة الى كله ، ذكرت المصادر العربية انها تقع في منتصف الطريق بين عمان واليمن في طرف خط الاستواء ، وكله من بلاد الملايو كانت في الأصل مركزاً تجارياً مهماً يجلب منها العود الكلاهي . السامر . الأصول التاريخية ، ص ١٨ ، ١٤٥ .

(٩٤) النشم : شجر جبلي تتخذ منه القسي ، وهو من عتق العيدان واحدته نشمة ، ويقال هو حب البلسان . الجوهري . الصحاح ٥ / ٢٠٤١ ، ابن منظور . لسان العرب ١٢ / ٥٧٦ .

(٩٥) وهي ثياب تعمل بدقلي بالهند . المستبصر ، ص ١٤٣ .

(٩٦) هو التمر الذي استخرج نواه . المستبصر ، ص ١٤٣ .

(٩٧) الديبل : بفتح أوله وسكون ثانيه وباء موحدة مضمومة ولام ، وهي مدينة مشهورة على ساحل بحر الهند ، وهي فرضة كانت تنتهي اليها مياه لاهور وملتان . الحموي . معجم ٤٩٥/٢ ، وذكر د. السامر أن الديبل هي كراتشي في الهند (السند) . الأصول التاريخية ، ص ١٤٧ ، وسماها ابن المجاور : الديبول .

حودر يجلبون من الهنـد [٩٨] ويضيف لقمان [٩٩] بـأن الضرائب لا تفرض على الجواري الغلمان اذا كانت عيونهم واسعة كما اعفيت التيوس والماعز الواردة من الحبشة . [١٠٠]

ويبدو لنا أن المـواد المعفاة من العشـور والضرائب التجـارية الأخرى سواء الواردة منها من مصر أم الهند أم الحبشة قد تنوعت من حيث طبيعة الحاجة اليها ونوعها ، فهناك مواد تموينية ضـرورية تدخل في غذاء السكان كالحنطة والدقيق والسكر والأرز والزيتون المملح والزيت وعسل النحل والأرز الكجري والسمسم والسمك المجلوب من الهند والماعز من الحبشة ، ومنها مواد أخرى منزلية لا يستغنى عنها كالصابون الرقي والأشنان والمخاد والفرش وأغـطية الموائد والثياب وصنف ثالث منها هو المواد الطبية أو التي تستعمل لمعالجة الأمراض كالهليلج والقطارة والمغر الكلاهي والنشم وحطب القرنفل ، والصنف الرابع منها مواد كمـالية كـالعطور والبخـور والخرز الملون لزينة النساء والأطفال ، والنعال الهندية .

إن تنوع هذه البضائع يوضح لنا أن عدن كانت تعتمد بشكـل رئيسي في سد معظم حاجياتها على ما يردها من الخارج ، فهي أشبه بوسيط تجاري ، وقد أوضح ابن المجاور [١٠١] هذه الحالة باعتماد أهل عدن على الاستيراد الخارجي ، اذ يقول : « ومادتهم من الهند والسند والحبشة وديار مصر ومأكولهم الخبز وأدمهم السمك » .

٥ ـ زيادة الرسوم التجارية :

تعـد رسوم الشـواني التي ظهرت لأول مـرة في عهد السلطان طغتكين بن أيوب في مقدمة الرسوم التي شملمها الزيـادة خـلال العهـد الأيوبي ، اذ كـانت نسبتها ١٪ واستمـر الحـال حتى سنـة ٦١٣هـ / ١٢١٦م ، وكان حكم اليمن آنذاك للملك المسعود يوسف فدخل عليه أحد أكابر أهالي عدن مقترحاً عليه زيادة رسم الشواني بأن يأخذ مائة دينار من كل الف دينار عند جمع العشور المفروضة على البضاعة ، وهذا لا يؤثر على التجار ، أي أن نسبة رسم الشواني أصبحت ١٠٪ ، واستمر الحال حتى سنة ٦٢٥هـ / ١٢٢٧م ، ثم الغي بعد ذلك [١٠٢] .

في أواخر العهد الأيوبي باليمن استحدثت ضرائب جديدة ، وأسس الأمير نور الدين عمر بن علي بن رسول نائب بني أيوب في عدن سنة ٦٢٤هـ أو ٦٢٥هـ / ١٢٢٧م دار الوكالة ودار الزكاة لأجل فرض ضرائب على المواد المعفاة من الضرائب ، وبذلك أصبحت العشور المفروضة على البضائع الواردة الى عـدن خمسة أنـواع تؤخذ مـرة واحدة ، وهي [١٠٣] :

أ) عشور قديمة (مال الفرضة أي الجمرك) ، وهي رسوم الميناء المفروضة على البضائع .

ب ـ عشور الشواني التي زيدت من ١٪ الى ١٠٪ .

جـ) عشور دار الوكالة ومقدارها قيراط على الدينار الواحد .

د) عشور دار الزكاة ، وتفرض على البضائع التي كانت معفاة من العشور وهي التي ترد من مصر والهند والحبشة ، وكانت نسبتها ٥٪ كما يتضح من رواية ابن المجاور [١٠٥] حول الناخوذة عثمان بن عمر الأمدي الذي قدرم بضاعته بدار الوكالة بـ (٢٥) دينارا ، فكانت عشور الزكاة عليها دينار وربع .

هـ) عشور الدلالة أو السمسرة [١٠٦] .

نستدل من كثرة هذه العشور على أمور عديدة ، في مقدمتها كثرة الأموال التي تجبى في ميناء عدن نظير تحصيل الدولة لتلك العشور

---

(٩٨) المستبصر ، ص ١٤٣ .
(٩٩) تاريخ عدن ، ص ٢٩٩
(١٠٠) ابن المجاور . المستبصر ، ص ١٤٣ ، وذكر قصة اعفاء التيوس والمعز .
(١٠١) المستبصر ، ص ١٣٧ .
(١٠٢) المستبصر ، ص ١٤٢ ، لقمان . تاريخ عدن ، ص ٢٩٧ ـ ٨ .
(١٠٣) انظر عنها : ابن المجاور . المستبصر ، ص ١٤٣ ، لقمان . تاريخ عدن ٢٩٨ .
(١٠٤) لم يذكرها حمزة لقمان في تاريخ عدن ص ٢٩٨ ولعل ذلك يرجع الى ما ذكره عن الغائها سنة ٦١٥هـ .
(١٠٥) المستبصر ، ص ١٤٤ .
(١٠٦) انظر عنها أيضاً : لقمان . تاريخ عدن ، ص ٢٩٨ ، الحبشي . جوانب ، ص ١١١ ـ ٢ .

المتنوعة والكثيرة ، وقد أدى ذلك الى تعرض التجار لخسائر كبيرة نتيجة تلك العشور ، ومن ثم ارتفاع قيمة البضاعة وتحمل المستهلك لذلك الارتفاع ، وتعكس زيادة العشور التجارية نوعاً « واضحاً » من الظلم والتعسف في جمع الأموال بشتى الوسائل ، حتى أصبح التاجر يدفع بضاعته ثمناً « لتسديد العشور المترتبة عليها أو يصبح مديناً » لسلطات الميناء عند عدم تسديده للعشور[107] .

ارتفعت العشور التي يدفعها التجار القادمون على المراكب الى عدن ففي رواية[108] أن أحد المراكب القادمة بلغت عشور حمولته ثمانين ألف دينار .

وما يدل على نشاط الحركة التجارية بميناء عدن في العهد الأيوبي ما رواه ابن المجاور[109] عن رسو المراكب تحت جبل صيرة بين ٧٠ ـ ٨٠ مركباً « في كل عام قابلة للزيادة والنقصان . ونعتقد أن هذا الرقم كبير ، اذ أن تلك المراكب ترسو تحت جبل صيرة ريثما يفسح المجال لها بالدخول الى عدن . وهذا يعني أن معدل وصول كل مركب لميناء عدن بين ٣ ـ ٤ أيام أو في الأقل وصول مركبين في الأسبوع ، مما يدل على نشاط تجاري كبير جداً » ، لأن المركب يحتاج الى ثلاثة أيام في الأقل لتفريغ حمولته بسبب التفتيش والتسجيل ومن ثم فرض الرسوم التجارية على البضائع الواردة ، ومعنى ذلك أن العمل كان مستمراً في ميناء عدن طوال أيام السنة من تفريغ وشحن وحساب وجباية أموال ...

وتجدر الاشارة الى أن عدد المراكب التي تدخل ميناء عدن كما ورد في الرواية السابقة يعد ذا أهمية كبيرة من حيث الموارد المالية التي يحصل عليها الميناء ، فاذا كانت عشور أحد المراكب ثمانين ألف دينار . فهذا يعني كثرة الأموال التي يحصل عليها الميناء وأثر ذلك في تسيير الحياة المالية للدولة الأيوبية في اليمن .

وبناء على ما ذكرناه كانت ايرادات ميناء عدن تنقل الى حصن تعز (عاصمة الدولة الأيوبية) كل عام ، وهذه الأموال تتجمع من مصادر أربعة رئيسية في ميناء عدن ، هي[110] :

أ) خزانة قدوم المراكب من الهند .

ب) خزانة دخول القوة الى عدن[111] .

جـ) خزانة خروج الخيل من عدن الى الهند .

د) خزانة سفر المراكب الى الهند .

وكانت موارد كل خزانة من هذه الخزائن مائة وخمسين ألف دينار سنوياً قابلاً للزيادة والنقصان ، أي أن مجموع هذه الواردات يبلغ نحو (٦٠٠) ألف دينار سنوياً » ، واستمر الحال هكذا حتى انقطع سنة ٦٢٥هـ / ١٢٢٧م .

نستنتج من مصدر هذه الموارد أن العلاقات التجارية مع الهند كانت قوية جداً وواسعة ، وكانت العشور المفروضة على المراكب القادمة من الهند الى عدن وبالعكس تشكل نصف الايرادات وكذلك الموارد المتجمعة من تصدير الخيول من عدن الى الهند .

إن ارتفاع ايرادات عدن مصدره بالدرجة الأولى الزيادة والتنوع في مقدار العشور المفروضة على البضائع التي تصل ميناء عدن ، ولقد ذكر العقيلي[112] أن مبلغ تلك الايرادات البالغة ستمائة ألف دينار يمثل صافي المبلغ بعد طرح المصروفات ، وهذا المبلغ الصافي هو الذي كان يرسل الى خزانة تعز عاصمة الدولة الأيوبية في اليمن .

ورغم كل ذلك ، فان ارتفاع العشور التجارية وتنوعها وتعددها أدت الى نتائج سلبية كثيرة على التجار والعاملين في الوسط التجاري ، وصاحبها ظلم وتعسف كبيران ، لذلك كانت النتيجة التي

---

(١٠٧) ابن المجاور المستبصر ، ص ١٤٤ ، وذكر قصة الناخوذة عثمان بن عمر الأموي الذي أصبح مديناً لسلطات الميناء بتسعة دنانير مقابل بضاعته التي دفعها كلها رسوماً في الميناء ، ثم خرج بنفسه مقابل تسليم بضاعته ، يقول ابن المجاور : « ودخل المتوسط بينهم حتى خرج رأس برأس » ، انظر نفس المصدر أيضاً ، ص ١٤٧ ـ ٨ ، لقمان . تاريخ عدن ، ص ٢٩٩ .

(١٠٨) ابن المجاور المستبصر ، ص ١٤٤ ، لقمان . تاريخ عدن ، ص ٢٩٩ ، وذكر الأخيران تلك العشور توازي ما قيمته (٥٦٠) ألف شلن .

(١٠٩) المستبصر ، ص ١٤٤ .

(١١٠) المستبصر ، ص ١٤٤ ـ ٥ ، لقمان . تاريخ عدن ، ص ٢٩٨ .

(١١١) سماها حمزة لقمان : الضرائب على القبائل الداخلة الى عدن . تاريخ عدن ، ص ٢٩٨ ، وهذا وهم وخطأ .

(١١٢) المخلاف ، ج ١ ، ق ١ / ١٩٦ .

حصل عليها كثير من التجار جراء ذلك كما يقول ابن المجاور[113] :

« يفضل مع التاجر لاشي في لاشي » ، أي لا شيء في لا شيء ، وبمعنى آخر أن التاجر يعطي بضاعته لتسديد العشور ويصبح هو المدين وتذهب اتعابه وجهوده كلها سدى » .

٦ ـ المعاملات التجارية :

لما كانت عدن ميناء « وسوقاً » تجارية ، فلا بد من دراسة المعاملات التجارية المتداولة فيها ، وكان للعرب دور متميز في التجارة فكانوا يسمون السوق : القسيمة ، ويقولون : نفقت السوق أي راجت ، وانحمقت أي كسدت ، والسوم هو عرض السلعة على البيع ، ويقال : بعته ناجزا « بناجز أي : تعجيلاً » بتعجيل[114] .

لقد تطورت المعاملات التجارية بمرور الزمن وتغير الأحوال فكانت المصطلحات المرتبطة بالتعامل التجاري في تغير مستمر ولها الفاظ تختلف من بلد لآخر ، لذا سنتناول بالدراسة أنواع المعاملات السائدة كالعملة من حيث استخدامها في البيع والشراء ومقدارها وأثرها في الأسعار ، وندرس الأوزان والمكاييل ونوضح مقاديرها وتغيراتها ، كما سنوضح بقية المعاملات الأخرى مثل الضمان ومقاييس الطول والمساحة واستعمال الجوازات وغيرها .

أ) العمـــــلات :

كان التعامل في الصفقات التجارية غالباً « ما تم بالنقود المضروبة في اليمن وخارجها ، ففي القرون الأولى كان التعامل بالنقود الأموية والعباسية كالدينار والدرهم ، ثم استقلت اليمن بعملة خاصة منذ عهد الأمير محمد بن زياد (٢٠٤ ـ ٢٤٥هـ / ٨٢٠ ـ ٨٥٩م) مؤسس الامارة الزيادية ، وقد دخل فن صك النقود الى اليمن منذ القرن الرابع الهجري / العاشر الميلادي وانتعش في عهد الامارة الزيادية (٢٠٤ ـ ٤١٢هـ / ٨٢٠ ـ ١٠٢١م)[115] .

قامت الدولة الصليحية في صنعاء باليمن في النصف الأول من القرن الخامس الهجري / الحادي عشر الميلادي ، وقد تمكن مؤسسها علي بن محمد الصليحي من توسيع نفوذه حتى نجح في توحيد بلاد اليمن واخضاعها لسيطرته سنة ٤٥٥ / ١٠٦٣م[116] .

كان احمد علي بن محمد الصليحي الملقب بالمكرم قد تولى الحكم بصنعاء ، وذلك بعد مقتل أبيه سنة ٤٥٩هـ / ١٠٦٦م ، من قبل سعيد الأحول بن نجاح أمير زبيد وأخوته ، وهو في طريقه الى مكة لاداء فريضة الحج[117] وتمكن سعيد الأحول من العودة الى زبيد وحكمها ، ولعله سك عملة خاصة به في زبيد عرفت بالعملة السعيدية المنسوبة اليه ثم دبر أحمد المكرم الصليحي قتل سعيد الأحول سنة ٤٨١هـ / ١٠٨٩م أخذاً لثأر أبيه ، وخضعت زبيد لحكمه مدة من الزمن[118] ، ويبدو لنا أن زبيد قد قطعت شوطاً « طويلاً » في صك العملة أواخر امارة بني زياد فيها ، وهذا يقودنا الى الاعتقاد بوجود دار ضرب للعملة في زبيدة .

تشير إحدى الدراسات[119] الى أن العملات الأولية للصليحيين المنشورة لحد الآن هي دنانير علي بن محمد الصليحي المضروبة في زبيد سنة ٤٤٥هـ / ١٠٥٣م وما بعدها ، وكانت تلك العملات تحمل اسم الخليفة الفاطمي المستنصر بالله ، وتعطي لعلي الصليحي القاباً عديدة ، لكن مصادرنا العربية لا تشير الى ذلك بوضوح ، غير أن اقتران ضرب تلك العملة بزبيد سنة ٤٤٥هـ ، يجعلنا واثقين من هذا الحدث ، اذ أن الصليحي كان مسيطراً على زبيدة بحلول سنة ٤٤٥هـ وحاول أن يقتل أميرها نجاح .

---

(١١٣) المستبصر ، ص ١٤٨ .

(١١٤) الآلوسي . بلوغ الأرب ٣ / ٣٨٧ .

(١١٥) الحبشي . جوانب ، ص ١١٢ ، ١١٥ .

(١١٦) انظر عن توحيد اليمن : عمارة . المفيد ، ص ١١٩ ، الوصابي . تاريخ وصاب ، ص ٣٢ ، ابن الديبع . قرة العيون ، ص ٢٤٦ ، بغية المستفيد ، ص ٤٦ ، أبو مخرمة . ثغر عدن ٢/١٦١ .

(١١٧) انظر عن مقتل الصليحي : عمارة المفيد ١٢٦ ، ١٩٣ ، ابن المجاور المستبصر ، ص ٧٥ ـ ٦ ، العبدلي . هدية الزمن ، ص ٥٣ ، لقمان . تاريخ عدن ، ص ٤٢ ، معارك حاسمة ، ص ٥٣ ، ٥٧ ، وقد اختلف المؤرخون في تاريخ مقتله بين سنة ٤٥٩ ، و ٤٧٣هـ ، ونحن نرجح مقتله سنة ٤٥٩هـ .

(١١٨) عمارة . المفيد ، ص ١٢٨ ـ ١٣٤ ، الوصابي ، تاريخ وصاب ، ص ٣٦ ـ ٧ ، لقمان تاريخ عدن ، ص ٤٣ ، معارك حاسمة ، ص ٥٩ ـ ٦٥ .

(١١٩) *Lowick, Some Un Published Dinars, pp : 261-262.*

وقد ذكرت المصادر(١٢٠) أن أول من ضرب الدينار الملكي بصنعاء أحمد بن علي الصليحي الملقب بالمكرم ، وقظ كتب عليه النقش التالي : « الملك السيد المكرم عظيم العرب سلطان أمير المؤمنين » ، وقال عمارة(١١٢) عن الدينار الملكي : « واليه يُنْسب وهو دينار اليمن الى اليوم » .

يعد الملك المكرم أحمد الصليحي أول من وحد العملة اليمنية بعد أن أدرك خطورة تعددها واضطرابها ، وكانت الدنانير المستعملة وقتذاك اما سعيدية نسبة الى سعيد الأحول بن نجاح (٤٥٢ ـ ٤٨١هـ / ١٠٦٠ ـ ١٠٨٩م) وأما عثرية نسبة الى عثر من أعمال زبيد فقام المكرم بالغاء تلك العملات(١٢٢) .

لقد ظهرت دراستان(١٢٣) عن الدينار الملكي الذي ضربه احمد بن علي المكرم توضحان السنة التي ضرب بها ، والراجح أنها سنة ٤٧٩هـ / ١٠٨٦م(١٢٤) ، ولسنا هنا بمعرض ايراد التفاصيل الكاملة عن ذلك الدينار وما يتعلق بتاريخ ضربه والاختلافات التي وردت حولها .

وتجدر الاشارة الى أن الدينار الملكي قد ضرب بعدن أيضاً وذلك من خلال العملات التي عثر عليها ، وكان أول دينار(١٢٥) ومضروب بعدن برجع الى سنة ٤٨٦هـ / ١٠٩٣م ، كما تضمنت الدراستان المشار اليهما ذكر عملات اخرى ضربت بعدن خلال السنوات ٤٩٢هـ / ١٠٩٨م ، ٤٩٤هـ / ١١٠٠م ، ٤٩٥هـ / ١١٠١م ، ٤٩٧هـ / ١١٠٣م ، أو ٤٩٩هـ / ١١٠٥م ، ٥٠٤هـ / ١١١٠م ، ٥٠٧هـ / ١١١٣م ، ٥٠٨هـ / ١١١٤م ، ٥٠٩هـ / ١١١٥م ، ٥١٠هـ / ١١١٦م ، ٥١٤هـ / ١١٢٠م ، ٥١٥هـ / ١١٢١م ، ٥١٦هـ / ١١٢٢م ، ٥٢٢هـ / ١١٢٨م ، ٥٢٣هـ / ١١٢٩م ، ٥٢٥هـ / ١١٣٠م ، ٥٢٦هـ / ١١٣١م(١٢٦) .

ان ضرب هذه العملة بعدن لمدة تزيد على أربعين سنة ٤٨٦ ـ ٥٢٦هـ / ١٠٩٣ ـ ١١٣١م) تدلل على اهميتها باتخاذها مركزاً لضرب العملة الصليحية ، ويرجع سبب ذلك الى الارتباط الوثيق بين الصليحيين والزريعيين أمراء عدن الذين تم توليهم عليها من قبل الملك المكرم الصليحي منذ سنة ٤٧٦هـ / ١٠٨٣م .

وذكر أحد الباحثين(١٢٧) بأنه من المحتمل أن عدن بدأت بسك عملة خاصة بها وهي العملة الزريعية بين ٥٢٦ ـ ٥٣٠هـ / ١١٣١ ـ ١١٣٥م . ووردت في دراستي لويك(١٢٨) وبخاري(١٢٩) نماذج لعملة الدينار(١٣٠) ضربت بعدن في عهد الأمير محمد بن سبأ (٥٣٤ ـ ٥٥٠هـ / ١١٣٩ ـ ١١٥٥م) يرجع تاريخ ضربها الى سنة ٥٤١هـ / ١١٤٦م ، وفيها اشارة الى الملك المكرم الصليحي وذكر لالقابه ، مما يدل على استمرار التبعية في سك الدينار على اسم الصليحيين وارتباط بني زريع بهم ، كما وردت نماذج لدنانير ضربت بعدن في عهد الأمير محمد بن سبأ خلال السنوات : ٥٤٢هـ / ١١٤٧م ، ٥٤٣هـ / ١١٤٨م ، ٥٤٦هـ / ١١٥١م ، ٥٤٧هـ / ١١٥٢م ، ٥٤٨هـ / ١١٥٣م ، ٥٤٩هـ / ١١٥٤م ، ٥٥٠هـ / ١١٥٥م(١٣١) .

استمر الدينار الملكي متداولاً « في اليمن خلال حكم بني زريع في عدن حتى زمن عمارة ، وكان يحمل ألقاب الملك المكرم الصليحي « الملك السيد المكرم عظيم العرب سلطان أمير المؤمنين » وقد توقف

---

(١٢٠) عمارة . المفيد ، ص ١٣٥ ، ابن المجاور . المستبصر ، ص ١٤٥ العقيلي . المخلاف ٢ / ٤٠ ، لقمان . تاريخ عدن ٣٠٠ Lowich, op, cit, p. 262

(١٢١) المفيد ، ص ١٣٥ ، انظر أيضاً : Lowick, p. 262.

(١٢٢) الحبشي . جوانب ، ص ١١٣ .

(١٢٣) Lowick, op, cit, pp : 261-266. Biknazi, Coins of Al-Yaman, PP : 87-101.

(١٢٤) Lowick, Op, cit, P. 262.

(١٢٥) Bikhazi, Op, cit, P. 67. وذكر لويك انه نصف دينار وفي هامش الوجه أورد العبارة التالية : « بسم الله ضرب هذا الدينار بعدن » . op, cit, P. 264

(١٢٦) Lowick, op, cit, PP : 264-266, Bikhazi, op. cit, pp : 87-99.

(١٢٧) Bikhazi, op, cit, p. 101.

(١٢٨) Lowick, op, cit, pp : 268-269.

(١٢٩) Bikhazi, op, cit, pp : 102-104.

(١٣٠) ذكر لويك أنها من فئة نصف دينار ، وقد ورد في هامش الوجه ما يلي : « بسم الله ضرب بعدن سنة إحدى وأربعين ... op, cit, p. 268

(١٣١) ذكر لويك ان هذه المجموعة من العملات مأخوذة من متحف عدن ، وتتميز بالاختلاف عن المجموعة السابقة في عدة مجالات ، انظر Lowick, op, cit, p. 269

سك هذا الدينار بين ٥٥٠ ـ ٥٥٦هـ / ١١٥٥ ـ ١١٦٠م ، أي بعد وفاة محمد بن سبأ سنة ٥٥٠هـ ، اذ كان آخر دينار مضروب على اسمه في تلك السنة في حين كان آخر دينار مضروب على اسم ولده عمران مؤرخ في سنة ٥٥٦هـ[١٣٢] ولعل الدينار الملكي توقف عن التداول في هذه السنة ، لهذا قدر لويك[١٣٣] مدة تداول الدينار الملكي الذي ضربه أحمد المكرم الصليحي بحوالي سبعين سنة .

ان مدة سبعين سنة لتداول هذا النقد تستدعي تسليط الأضواء على استعماله وقيمته والمادة المضروبة منه وأبرز مجالات استعماله ففي حديثه عن معاملة عدن في أيام بني زريع قال ابن المجاور[١٣٤] :

« ونقد البلد ذهب مَلَكي » وهذا يوضح أن الدينار بعدن كان مضروباً « من الذهب ، ويؤكد ذلك عمارة[١٣٥] حين ذكر اشتغاله بالتجارة بأموال الأمير محمد بن سبأ فذكر أن الأخير أعطاه خمسة آلاف مثقال[١٣٦] ليشتري بها بضائع من مكة وزبيد ، وهذا يؤكد لنا أن تلك الدنانير كانت من الذهب يزن الواحد منها مثقالاً » ، فقد ورد أن مجموع الأموال التي ذكرها عمارة تساوي خمسة آلاف دينار.

أما قيمة الدينار الملكي في عهد بني زريع بعدن ، فكانت واطئة بالمقارنة مع الدينار المصري (الفاطمي) يقول ابن المجاور[١٣٨] : « يسوى الدينار المصري أربعة دنانير ونصف ملكي » ، ويقسم الدينار الملكي الى أربعة أرباع . كل ربع ثلاثة جوز ، كل جائزة ثمانية فلوس ، (كل فلس أربعة دوارس)[١٣٩] ، كل فلس يساوي بيضتين ، وكان الدينار المصري يسمى : الدينار الأحمر[١٤٠] .

وتجدر الاشارة الى ان عدن احتلت مكانة متميزة في سك العملة بين مدن اليمن الأخرى ، وهذا يؤكد لنا وجود دار للضرب فيها منذ عهد المكرم الصليحي ، حيث كانت أول عملة مضروبة فيها مؤرخة بسنة ٤٨٦هـ / ١٠٩٣م وآخر عملة مضروبة بتاريخ ٥٥٦هـ / ١١٦٠م ، في عهد عمران بن محمد بن سبأ ، ولا شك أن ضرب العملة استوجب وجود رجال ماهرين متخصصين بنقشها ، كان عملهم يدوياً » ، لذلك اختلف مستوى العمل اليدوي بصورة ملحوظة من قطعة الى أخرى ، فبعضها كانت مسكوكة بصورة خشبية ، وبعضها الآخر كان اسلوب النقش في الوجه أفضل من الظهر ، وقد يعود ذلك الى اهمال النقاشين بسبب التكرار الممل لأسلوب واحد في النقش[١٤١] .

استخدمت الدنانير الملكية في مجالات متعددة من البيع والشراء والتبادل التجاري خارج اليمن ، وفي تقدير ثروات بعض رجال الدولة الزريعية ، فقد بلغت ثروة بلال بن جرير مولى الأمير محمد بن سبأ (٦٥٠) ألف دينار ملكي وأكثر من (٣٠٠) ألف دينار مصري ، هذا عدا التحف والسيوف وغيرها[١٤٢] .

وورد اعفاء عمارة اليمني من مبلغ مقداره ألفان وسبعمائة دينار ملكي من قبل الأمير عمران بن محمد ، وكان ذلك المبلغ جزء من أموال بقيت بذمته من أبيه محمد بن سبأ الذي أقرضها لعمارة لاشتغاله بالتجارة بها[١٤٣] .

لقد وجه الأيوبيون اهتماماً « بالعملة وسكها ، ففي رواية[١٤٤]

(١٣٢) يبدو أن عملة واحدة تعود فقط الى عهد عمران بن محمد هي التي وجدت مؤرخة في سنة ٥٥٦هـ ، وهي من فئة نصف دينار ، وورد في هامش الوجه انه ضرب بعدن ، دون تحديد مقداره ، وفي الظهر كان نقشه : « أوحد ملوك الزمن ملك العرب واليمن عمران بن محمد *Lowick, op, cit, p. 269, Bikhazi, op, cit, p. 104.*

(١٣٣) *Op, cit, p. 268.*

(١٣٤) المستبصر ، ص ١٤٥ .

(١٣٥) النكت العصرية ، ص ٢٨ .

(١٣٦) هو وزن خاص للذهب لا يزال مستعملاً في الوقت الحاضر .

(١٣٧) د. ذو النون المصري . عمارة اليمني ، ص ٤٠ .

(١٣٨) المستبصر ، ص ١٤٥ .

(١٣٩) نفسه ، ص ٨٩ .

(١٤٠) نفسه ، ص ٨٠ ، ولعل التسمية مأخوذة من لون ذهبه الذي يميل الى الحمرة .

(١٤١) *Lowick, op, cit, p. 267.*

(١٤٢) عن ثروة بلال بن جرير ، انظر : عمارة . المفيد ، ص ١٩١ ، لقمان . تاريخ عدن ، ص ٥٤ ـ ٥٥ ، *Goitein, Two Eyewitness, p. 248.*

(١٤٣) عمارة المفيد ، ص ١٩٠ ، ابو مخرمة . ثغر عدن ٢ / ١٨٤ .

(١٤٤) ابن المجاور . المستبصر ، ص ٨٩ ، وذكر الحبشي ان الدرهم السيفي المنسوب الى سيف الاسلام طفتكين كان متداولاً في زبيد مع الدينار الملكي خلال حكم الصليحيين والأيوبيين . جوانب ، ص ١١٢ .

أن السلطان طفتكين أراد ضرب عملة جديدة باسمه فضرب الدرهم المعروف بالسيفي ، وكان يزن أربعة قراريط وحبة[١٤٥] .

وكان الأيوبيون أول من ضرب الدراهم الكبار ، ويقال أن أول من ضرب الدرهم الكبير في اليمن الملك المعز اسماعيل بن طفتكين[١٤٦] ، ووزنه ثلاثة عشر قيراطاً[١٤٧] .

وتجدر الاشارة الى أن زبيد تمتعت بمكانة متميزة في العهد الأيوبي ، فقد ذكر ابن المجاور[١٤٨] وجود دار للضرب فيها كان ضمانها السنوي ثلاثة عشر ألف دينار ، وبرغم وجودها فانها لم تؤثر على عدن التي احتفظت بمركزها المتميز في هذا المجال ، اذ تمتعت بخبرة ومهارة منذ سنة ٤٨٦هـ / ١٠٩٣م في ضرب العملة وقد استمرت في هذا المجال حتى سنة ٥٥٦هـ / ١١٦٠م ، أي أنها ضربت العملة لمدة سبعين عاماً » ، لذلك كانت عدن أكثر شهرة من زبيد في مجال سك العملة بسبب هذه المدة الطويلة من الخبرة والمهارة ، وقد ذكر ابن المجاور[١٤٩] ميزة عدن هذه على زبيد في مجال سك العملة وعيارها ، ويبدو أن الدنانير التي ضربت بزبيد خلال العهد الأيوبي كانت دنانير ملكية أيضاً » .

وذكر الحبشي[١٥٠] أن الملك المعز اسماعيل بن طفتكين أول من أسس داراً مستقلة لسك النقود في اليمن وهذا لا يعني أنه أول من سك النقود في اليمن ، اذ أن عدن سكت العملة لمدة تقارب السبعين عاماً ، فكانت ذا خبرة ومهارة وعيار خاص بسك العملة ، كل هذا يقودنا الى الاعتقاد بأن الملك المعز كان أول من بنى داراً « لسك العملة في اليمن خلال العهد الأيوبي ، وبذلك تكون روايته أقرب للقبول لأن هنالك دوراً » لضرب العملة في اليمن قبل العهد الأيوبي في عدن وزبيد وذي جبلة .

مما سبق نستنتج أن الدينار الملكي والدينار المصري قد تداولا في اليمن لمدة طويلة ، واستمر الحال في العهد الأيوبي اذ أن مصادرنا لا تشير الى الغاء تلك الدنانير وتوحيد العملة بعد سيطرة الأيوبيين على اليمن منذ سنة ٥٦٩هـ / ١١٧٣م ، لذا فان الدنانير المعروفة بدنانير زبيد أو دنانير ذي جبلة هي الدنانير الملكية نفسها أو التي تساوي في قيمتها الدنانير الملكية ، وان تلك الدنانير كانت متداولة في زبيد ، أو أنها أرسلت من زبيد لشراء بضائع هندية فعرفت بدنانير زبيد .

لم تبق قيمة الدينار الملكي مقارنة بالدينار المصري (الفاطمي) ثابتة ، بل أنها تغيرت خلال العهد الأيوبي الذي استمر فيه تداول الدينار الملكي ، فقد هبطت قيمة الدينار المصري وأصبح يساوي ٢,٣٥ دينار ملكي في أواخر عهد السلطان صلاح الدين الأيوبي ، بعد أن كان يساوي سابقاً « اربعة دنانير ونصف ملكي ، في الوقت ذاته نستطيع القول بأن قيمة الدينار الملكي قد ارتفعت نسبياً » في هذا المجال .

وللدلالة على ما ذكرناه اعلاه يمكننا اعتماد فكرة على تداول الدينار الملكي في التبادل التجاري بين عدن والهند ، استناداً الى ما ذكره جواتياين[١٥١] أن هنالك ثلاثة تقارير ، وردت في خطاب مرسل من عدن الى الهند ، من الممكن أن تعطينا مزيداً » من التوضيح وتحتوي هذه القوائم على تفاصيل كثيرة ، اختصرناها لأجل أن نوضح الحقائق الرئيسية ، وقد أعطيت كل التقديرات بالدينار الملكي وهو دينار اليمن في ذلك الوقت ، وكان الدينار المصري الواحد آنذاك يساوي ٢,٣٥ دينار ملكي .

---

(١٤٥) الحبة : سدس بسدس مثقال ، ويقال : ربع تسع مثقال ، والدينار ست وثلاثون حبة . الخوارزمي . مفاتيح العلوم ، ص ٤١ ـ ٢ ، وذكر هنتس ان الحبة هي وزن حبة الشعير العربية ، ويتألف الدرهم نظرياً من كميات مختلفة من الحبات ، فهو تارة يتألف من (٤٨) ، وأخرى من (٦٠) حبة . المكاييل والأوزان ، ص ٣٥.

(١٤٦) ابن المجاور . المستبصر ، ص ١٢ ، وذكر أن الملك المسعود يوسف الأيوبي أول من ضرب الدراهم الكبار بمكة على قوانين اليمن .

(١٤٧) المستبصر ، ص ٨٩.

(١٤٨) نفسه ، ص ٩٠ ، وذكر ضمان قوارب الصيادين والخضر والبقول وما يدخل المدينة بتسعين ألف دينار ملكي .

(١٤٩) نفسه ، ص ٨٩.

(١٥٠) جوانب ، ص ١١٢ ، ١١٥.

(١٥١) دراسات في التاريخ الاسلامي والنظم الاسلامية ، ص ٢٦٧ ـ ٩.

كتاب الهند رقم ٢٦ :

أ) مرسل من الهند الى عدن :

المادة		قيمتها	
فلفل		٤٠٢ دينار ملكي	
مكوس وخلافه		٨٧	
		ــــــ	
الباقي		٣١٥	
حديد		٢٤٧	
مكوس مخصومة وخلافة		٢٧	
		ــــــ	
الباقي		٢٢٠	
مجموع الموجودات		٥٣٥	

ب) مرسل من عدن الى الهند :

المادة		قيمتها	
نحاس		٤٢٣	
حزم أضافي وخلافه		١٦	
رصاص	٧/١٢	٢٩	
أدوات منزلية	٣/٤	١٦	
٢٠ دينار مصري		٤٧	(١٥٢)
مدفوعات (بالدينار الملكي)		٧	
		ــــــ	
مجموع القيمة	١/٣	٥٣٥	(١٥٣)

وهنالك أمر بشراء بضائع هندية ورد في خطاب آخر (رقم ٢٨) وبه قائمة من البضائع جاءت كالآتي :

المادة	قيمتها بالدينار الملكي	
نحاس	١٠٢	
صابون	٥	
١٠٠ دينار مصري	٢٣٥	(١٥٤)
٢٠٠ دينار زبيدي	٢٠٠	(١٥٥)
٢١ ٣/٤ دينار ذي الجبلة ٣/٤	٢١	(١٥٦)

وهنالك خطاب آخر (رقم ٣٠) يبين البضائع الآتية المرسلة الى الهند كما يلي :

المادة	قيمتها بالدينار الملكي	
حلوى يمنية مصنوعة من الجوز	٣/٤	٢
قمح		٣
ذرة (وهي غلة تستهلك بكثرة)	١/٦	١
بعض قطع قماش مصري		٩
أوان زجاجية مصرية ويمنية	١/٢	١
		ــــــ
مجموع البضائع الاستهلاكية	٥/١٢	١٧

قائمة أخـــرى :

المادة	قيمتها بالدينار الملكي
سبيكتين فضيتين تزنان ماقيمته ٦٠٥ درهم	١٢٤
١٠٠ دينار مصري	(لم تقدر القيمة)
مدفوعات ، سلمت للمسجل	٣٠٠

---

(١٥٢) يوضح هذا الرقم ان الدينار = ٢,٣٥ دينار ملكي ، وهو يمثل هبوطاً كبيراً في قيمته في أواخر عهد السلطان صلاح الدين الأيوبي الذي شهد عدم الاستقرار بسبب الحروب الصليبية مع الفرنجة وعدم وصول سفن الأوربيين للموانيء المصرية مما يسبب انخفاضاً في قيمة الدينار المصري الذي كان عبارة عن قطعة ذهبية .

(١٥٣) يتضح لنا من جمع هذه القائمة أن المجموع الصحيح لها = ٥٣٩ ١/٣ دينار ونستنتج ان القائمتين توضحان وجود تبادل تجاري بين عدن والهند بطريقة المقايضة ، اذ ان مبلغيهما متقاربان جداً .

(١٥٤) هذا المبلغ يدل على أن قيمة الدينار المصري تساوي ٢,٣٥ دينار ملكي وهي تمثل حالة هبوط في قيمته .

(١٥٥) الزبيدي هو الدينار المنسوب الى مدينة زبيد باليمن ويساوي في قيمته الدينار الملكي .

(١٥٦) دينار ذي الجبلة هو الدينار المنسوب الى مدينة ذي جبلة باليمن وكانت عاصمة الصليحيين اتخذتها السيدة الحرة بعد وفاة المكرم أحمد الصليحي ، ويساوي دينار ذي جبلة الدينار الملكي في قيمته .

ب) المكاييل والأوزان :

من خلال دراستنا للعشور التجارية والمعاملات نستطيع أن نميز عدة أوزان كانت سائدة في عدن خلال حكم بني زريع وبني أيوب فيها ، وهذه الأوزان هي :

أ) البهار : هو وحدة للوزن اختلف في مكان وزمان تحديده فقيل أن وزن البهار (٢٧٠,٥٦٢) كغم ، وقيل انه حمولة جمل ، ويـزن نظرياً » (٣٠٠) من ، وجعله البعض وزن (٢٤٣,٧٥كغم[١٥٧] .

أما البضائع التي ورد وزنها بالبهار ، فهي الانكَزة (الحلتيت) الطباشير ، قشر المحلب ، الهيل ، الكتان ، الفُوّة ، الحَمْر ، الفلفـل ، الكارم ، السليط[١٥٨] ، وذكر هنتش[١٥٩] ان البهار قد اجتُمد وحدة للوزن في التجارة الخارجية للتوابـل وأمثالها في عدن وفي البلدان المحيطة بالخليج العربي والمحيط الهندي .

وقد حصل تلاعب بالأوزان في أواخر عهد الدولة الأيوبية ، يروي ابن المجاور[١٦٠] ان جميع مكاييل اليمن قد تغيرت وزيد في القبان سدس بهار عما كان في الأول وذلك سنة ٦٢٥هـ / ١٢٢٧م[١٦١] .

ب) الفراســـــلة :

هي وحدة وزن تساوي عشرة أمنان ، وتساوي ٢./. من البهار ، وهي في كل الأحوال (١٠) أمنان[١٦٢] ، ومن البضائع التي اعتمد اوزنها بالفراسلة : الكافور ، القرنفل ، الزعفران[١٦٣] .

جـ) المَـــــــــن :

ذكـر ابن المجاور[١٦٤] أن مَن اليمن ثلثمـائة وعشـرون درهماً « وثلث ، وبه يباع السكر والعسل وجميع الحاجيات الحلوة والثياب ويوزن العود بالمن[١٦٥] .

أما قيمة المن فـانه يسـاوي رطلين[١٦٦] ذكـر هنتس[١٦٧] انها رطلان بغداديـان ، وبذلـك يكون وزن المن (٨١٦,٥) غم ، لأن الرطل البغدادي يساوي الرطل الشـرعي الذي يسـاوي (١٣٠) درهماً » = ٤٠٦,٢٥غم[١٦٨] .

د) الرطـــــــــل :

ويساوي ما وزنه (١٣٠) درهماً « كما ذكر هنتش والرطل في اليمن هـو رطل بغـداد نفسه أي : (١٣٠) درهمـاً » ويسـاوي (٤٠٦,٢٥غم)[١٧٠] .

هـ) الدرهـــــــــم :

ان درهم الكيل = ٢/٣ مثقال ، فيكون وزن درهم الكيل هذا (٣,١٢٥) غم بـالضبط ، ويتكـون هـذا الـدرهم من (١٦) قيراطاً[١٧١] ذكر لقمان[١٧٢] أن الـدرهم يساوي عشـرة قراريط ، والقيراط كوزن للبضاعة غير ثابت لكن من وجهة شرعية يساوي القيراط الواحد ١/٢٠ من المثقال ، ويتألف شرعاً من خمس حبات ،

---

(١٥٧) هنتس . المكاييل والأوزان ، ص ٢٠ ـ ٢١ ، لقمان ، تاريخ عدن ، ص ٥٤ ، ٣٠٠ ، مجهول المؤلف . قلائد الجمن ، ص ٩٠ .
(١٥٨) ابن المجاور . المستبصر ، ص ١٤٠ ـ ١ ، ١٤٧ ـ ٨ .
(١٥٩) المكاييل والأوزان ، ص ٢١ .
(١٦٠) المستبصر ، ص ١٤٤ .
(١٦١) عن التلاعب بالأوزان ، خاصة وزن البهار ، انظر : المستبصر ، ص ١٤٤ ، ١٤٧ ـ ٨ .
(١٦٢) المستبصر ، ص ١٤٠ ، هنتس . الأوزان والمكاييل ، ص ٢١ ، ٤٠ .
(١٦٣) المستبصر ، ص ١٤٠ .
(١٦٤) نفسه ، ص ١٢ .
(١٦٥) نفسه ، ص ١٤٤ ، وذكر قصة الناخوذة عثمان بن عمر الأمدي الذي قدم من مصر الى عدن ومعه منين عود .
(١٦٦) المستبصر ، ص ١٤٠ ، وذكر أن الفراسلة عشرة أمنان عنها عشرون رطلاً انظر أيضاً : لقمان ، تاريخ عدن ص ٣٠٠ .
(١٦٧) المكاييل والأوزان ، ص ٤٦ .
(١٦٨) نفسه ، ص ٣٥ .
(١٦٩) ذكر لقمان انه يساوي (١٢٠) درهماً . تاريخ عدن ، ص ٣٠٠ ، والصواب ما ذكره هنتس . أي : (١٣٠) درهماً .
(١٧٠) هنتس . المكاييل والأوزان ، ص ٣١ .
(١٧١) نفسه ، ص ١١ .
(١٧٢) تاريخ عدن ، ص ٣٠٠ .

لكن يتألف غالباً من ثلاثة فهو يزن ١/٤ ١ من درهم الكيل زنة (٣,١٢٥) غم = ٠,٢٢٣٢ غم[١٧٣] .

وتجدر الاشارة بأن القيراط جزء من الدينار ، ذكر الخوارزمي[١٧٤] أن القيراط ربع خمس مثقال ، والدينار عشرون قيراطاً « في أكثر البلدان ، وكان يؤخذ من كل دينار قيراطاً » وهو عشور دار الوكالة بعدن[١٧٥] .

لقد وردت ضمن قوائم العشور التجارية مصطلحات عديدة اتخذت أساساً لتقدير كمية البضاعة والعشور المفروضة عليها[١٧٦] .

ج) معامـــــلات أخـــــرى :

من أوجه التعامل التجاري بعدن أن الشخص يستطيع رد البضاعة التي يظهر له أنها غالية الثمن ، فيظهر العيب على بائعها وكذلك يسري الحال عند شراء الجواري ، اذ يمكن رد الجارية اذا أظهر المشتري العيب فيها ، وكانت أمثال هذه الأمور تحسم من قبل قاضي المدينة ، ويأخذ الدلال دلالته عند القاضي .

كانت الدلالة من العشور التي اخذت بعدن على البضائع التي تدخل وتخرج من الميناء ، وكان مقدارها بسيطاً ، يؤخذ من كل دينار فلس وكانت الدلالة تدفع للدلال من صاحب المحل أو المشتري ، واذا قام الدلال بالبيع جملة فانه يأخذ دلالته بمقدار دينار عن كل مائة دينار من ثمن البضاعة أي بنسبة ١٪[١٧٧] .

ومن الاجراءات المتطورة التي اتبعت بميناء عدن بخصوص المسافرين ان المسافر لا يسمح له بالسفر ان لم يكن حاملاً « جواز سفر وكفيل ضامن يكفله في حالة سفره أن ظهر عليه شيء بعد السفر ، كأن يكون مديناً بمال لأحد ، أو مديناً بعشور ، وتختم ورقة الضمان هذه من قبل والي المدينة ، ليسمح له بالسفر عند ذلك يستطيع أقاربه وأصدقاؤه توديعه في الميناء قبل سفره .

أما بالنسبة للأشخاص الذين يرغبون بالسفر ولا يجدون في المدينة من يكفلهم ، كأن يكونوا غرباء مثلاً أو غير معروفين ، فالاجراء المتخذ تجاههم هو خروج منادٍ ينادي عليه في الأسواق ، يخبر الناس أن فلاناً مسافر فكل من له دين أو طلب عليه يطالبه به ، فان ظهر من ذلك شيء تأخر سفره ، وان لم يظهر عليه شيء خرج الى أب مكان أراد .

والواقع أن هذه الاجراءات تدل على تطور كبير في النظرة من الوجهتين الاقتصادية والأمنية ، ونستدل مما ذكره ابن المجاور على العمل صراحة بنظام جواز السفر والكفيل الضامن للمسافر ، اذ يقول[١٧٨] : « ولو أراد بعض الناس الخروج لوداع مسافر من الباب لما قدر (أي المسافر) أن لم يكن معه خط جوار وضامن يضمنه بما يظهر عليه بعد وقت من مالٍ أو عشور ويكتب في الرقعة علامة الوالي ويخرج بعد ذلك » .

ومن معاملات البيع التي انتشرت في عدن استعمال القصبة[١٧٩] كوحدة لمقياس الطول ، وكذلك استعمال ذراع الحديد[١٨٠] في بيع ألواح الساج .

وكذلك عرف الضمان في عدن ، ففي أواخر عهد الدولة الأيوبية ،

---

(١٧٣) هنتس . المكاييل ، ص ٤٤ .
(١٧٤) مفاتيح العلوم ، ص ٤١ .
(١٧٥) ابن المجاور . المستبصر ، ص ١٤٣ .
(١٧٦) من ذلك اتخاذ (القطعة) مقياساً لتقدير العشور على مادة النيل ، وورد ذكر (المقاطع) أساساً لتقدير العشور على مادة الحمر (التمر هندي) كذلك اتخذت (العقدات) أساساً . لقرض العشور على التمر الهندي حسب عدد العقدات ومن المصطلحات الأخرى : (الكورجة) التي اطلقت على تقدير عشور بعض المواد كالمحابس والأحوالك أي : النسيج ومنها السباعيات ، كذلك استعملت الكورجة للثياب الخام الهندية ولعلها تشبه الحزمة أو الشدة أو الكارة . انظر حول هذه المصطلحات : ابن المجاور . المستبصر ، ص ١٤٠ ـ ١ . ومن المصطلحات المستعملة : القفعة للذرة . المستبصر ، ص ١٤١ ، وذكر العقيلي أن القفعة تستعمل للدخن ، وهي وحدة كيل . المخلاف ، ج ١ ، ق ١ / ١٩٨ .
(١٧٧) ابن المجاور . المستبصر ، ص ١٤٥ ـ ٦ .
(١٧٨) نفسه ، ص ١٤٦ .
(١٧٩) ذكر ابن المجاور ان (الروسي) يباع بالقصبة ، وان طول القصبة أربعة أذرع بالحديد . المستبصر ، ص ١٤٥ ، وذكر هنتس أن القصبة من مقاييس الطول ، وتدعى : القصبة الحاكمية وكانت القيمة الوسطية لها = ٣,٩٩ متر المكاييل والأوزان ، ص ٩٤ .
(١٨٠) كانت ذراع الحديد مستعملة في مصر والحجاز كوحدة لقياس الطول ، وتبلغ ٦/٧ ذراع اليد ، فكان طولها اذن = ٥٨,١٨٧ سم بالضبط شأنها شأن ذراع البز . هنتش . المكاييل والأوزان ، ص ٨٤ .

وبالتحديد في عهد الأمير نور الدين عمر بن علي بن رسول نائب بني أيوب في عدن، قام سنة ٦٢٥هـ / ١٢٢٧م، بضمان عدد من مؤسسات النشاط الاقتصادي، فقد ضمن القبان بعشرين ألف دينار سنوياً، وضمن سوق الخضرة والجواري والرطب واللحم وجميع الدواب بأحد عشر ألف دينار[١٨١].

ويمثل الضمان صورة من صور الارتباك الاقتصادي الذي يصاحبه كثير من الجشع والظلم والاحتكار، فالضمان هو تأجير لشخص أو لمجموعة وقيامها بالتصرف حسب أهوائها، لأن الضامن يتبع شتى الأساليب لجمع أمواله والحصول على الأرباح على حساب الغير، وقد انتشر الضمان خلال العهد الأيوبي[١٨٢] خاصة في عدن، فشمل معظم مرافق الحياة الاجتماعية والاقتصادية، يقول ابن المجاور[١٨٣]: «ولم يبق شيء يدور عليه اسم وحرف الا وقد رجع فيه ضمان ما خلا الماء والسمك».

٧) الأســـــواق التجارية :

عرفت في عدن الأسواق الخاصة، لكونها ميناءً تجارياً يعج بالحركة التجارية مع مختلف ارجاء العالم، فقام الأمير عثمان بن علي الزنجيلي التكريتي أمير عدن في عهد السلطان توران شاه الأيوبي، ببناء العديد من المؤسسات ذات المساس بالحياة الاقتصادية، من ذلك بناء قيصارية العتيقة[١٨٤] والأسواق والدكاكين ودور الحجر، فانتعشت عدن في زمانه انتعاشاً عظيماً، وأصبحت ذات مكانة وشهرة متميزة[١٨٥].

ذكر لقمان[١٨٦] أن الزنجيلي بنى الأسواق المسقوفة المعروفة بـ« القيصارية »[١٨٧] وكانت مخصصة لبيع المواد الطبية، ونعتقد أن المقصود بتلك المواد هي المواد النباتية والتوابل التي كانت تستخدم في الطعام وصناعة العطور (الطيب)، وفي استعمالات طبية كثيرة بعد خلطها لمعالجة الكثير من العلل والأمراض كمواد الأنكرة (الحلتيت) وقشر المحلب والفوة والكافور والزعفران ...

وبنى الزنجيلي أمير عدن ايضاً خان البز بعدن وكان سوقاً[١٨٨]، ولا شك أنه سوق خاص لبيع هذا النوع من الأقمشة.

ويبدو أن هنالك أسواقاً أخرى متخصصة في عدن لكننا لا نعرف تاريخ انشائها سواء في عهد بني زريع أم في عهد بني أيوب، والبعض الآخر منها لا تعرف طبيعة تخصصه منها: سوق الليل، وهو من أسواق بني زريع، يقع في أرض تعرف بأرض الزريعي وبجواره آثار عمران يعرف بسوق الليل[١٩٠].

وورد ذكر سوق الخزف في عدن[١٩١]، وهذا السوق مختص ببيع وتجارة الخزف الذي كان يصل عدن من الصين وغيرها.

كما أن هنالك سوقاً للصاغة، فقد ذكر ابن المجاور[١٩٢] أنه التقى بصائغ يهودي بعدن، ولا تزال معلوماتنا عن هذه الأسواق وطبيعة التعامل فيها غير واضحة، بسبب قلة المعلومات التي وردت بخصوصها في مصادرنا.

---

(١٨١) ابن المجاور. المستبصر، ص ١٤٨.

(١٨٢) من ذلك ضمان صهريج المياه الذي بناه بنو زريع بعدن على طريق سفح الزعفران في سطح الجبل الأحمر، وقد ضمن في منتصف شهر ربيع الآخر ٦٢٢هـ / ١٢٢٥م بألف وثلاثمائة دينار، وكان ضمانيه سبعمائة دينار سنويا. المستبصر، ص ١٣٢ ـ ٣، وكذلك ضمان المملاح وهو موضع قرب عدن بحمد فيه الملح، المستبصر، ص ١٤٨، وشمل الضمان عدداً من المؤسسات الاقتصادية والحياتية في مدينة زبيد أيضاً. المستبصر، ص ٨٩ ـ ٩٠.

(١٨٣) المستبصر، ص ١٤٨، وقال: « وضمن كل ما في عدن ما خلا السمك والماء لاغير ». نفسه، ص ١٤٤.

(١٨٤) سماها ابن المجاور بهذه التسمية. المستبصرة ص ١٣٠، وجدد المعتمد التكريتي أمير عدن بناء القيصارية التي بناها الزنجيلي في عدن. لقمان تاريخ عدن ٧٤.

(١٨٥) انظر: ابن المجاور. المستبصر، ص ١٣٠، ابو مخرمة. ثغر عدن ١ / ١٠، ١٥، لقمان. تاريخ عدن هي ٦٦، أباظة. عدن ص ٢٨، مجهول. قلائد الجمن، ص ٨٣، ٨٧، ٩٦.

(١٨٦) تاريخ عدن، ص ٦٦.

(١٨٧) شيد حكام اليمن من الأيوبيين فنادق وقيصريات رائعة (الفندق في ذلك الزمان: الخان، والقيصرية: بازار). التاريخ الاقتصادي للشرق الأوسط، ص ٥٣.

(١٨٨) انظر: ابن الديبع. قوة العيون، ص ٣٨٥، أبو مخرمة. ثغر عدن ٢ / ١٣١، لقمان. تاريخ عدن، ص ٢٦٧.

(١٨٩) ذكر لقمان ان الزنجيلي وقف على المسجد الذي بناه بمكة، الخان (السوق) الذي كان في عدن. تاريخ عدن، ص ٢٦٧.

(١٩٠) العبدلي، هدية الزمن، ص ٦٥.

(١٩١) ابن المجاور. المستبصر، ق ١٣٢.

(١٩٣) نفسه، ص ٣٢، ١٣٢.

وبنى السلطان طغتكين بن أيوب في عدن قيصارية جديدة للعطارين جميعها دكاكين ، ولها باب يغلق في الليل[193] ، ويدلنا هذا البناء على تطور حضاري كبير واهتمام الدولة بالمؤسسات الاقتصادية وحمايتها من السراق ليلاً ، ولا يزال هذا النظام متبعاً الى الآن في المدن الكبيرة ذات الأسواق المهمة والمراكز التجارية الكبيرة .

وقام الملك المعز اسماعيل بن طغتكين بانشاء بناية في عدن جميعها دكاكين وقيصارية جديدة للعطارين ، وجدد المعتمد رضي الدين محمد بن علي التكريتي أمير عدن بناء الدكاكين والقيصارية[194] .

كذلك عرفت في عدن الأسواق المتخصصة الأخرى ذات المساس بالحياة الاقتصادية اليومية للسكان ، وكانت تلك الأسواق قد ضمنت جميعها في أواخر عهد الدولة الأيوبية مثل أسواق : الخضرة والجواري والرطب واللحم والدواب[195] .

والخلاصة أن هذا النشاط التجاري المتميز لميناء عدن قد أدى الى اجتذاب العمال والصناع ورجال الأعمال اليها من مختلف انحاء العالم ، لكونها مدينة تجارية وميناء « عالمياً » مشهوراً ، فكان معظم سكانها عرباً يمانيين ينتمون الى مختلف القبائل اليمانية العربية كما انضم اليهم في فترات متعددة أعداد من قبائل عربية أخرى ومن الأقطار العربية المجاورة ، كما انضم الى هذا الجمع عدد من التجار من جنسيات مختلفة بحكم عملهم التجاري في الميناء ، وقد ظل الطابع العربي هو الطابع الذي يعطي عدن هويتها العربية الأصيلة على مدى الحقب التاريخية رغم كونها ميناءً تجارياً مفتوحاً على التجارة العالمية .

لقد كانت الحركة التجارية نشطة وواسعة داخل مدينة عدن ، أدت الى ثراء أهلها ، وتحسن حياتهم وأمورهم المعيشية واستغلت ايرادات الميناء في تطور المدينة ، يقول ابن المجاور[196] : « وكثر الخلق بها فبنوا الدور والأملاك ، وتوطن بها جماعة عرب من كل فج عميق » ويقول ، أيضاً : « وقد التأم اليها من كل بقعة ومن كل أرض وتمولوا فصاروا أصحاب خير ونعم »[197] .

(١٩٣) أبو مخرمة . ثغر عدن ٢ / ٢٢٣ .
(١٩٤) ابن المجاور . المستبصر ، ص ١٣٠ .
(١٩٥) نفسه ، ص ١٤٨ .
(١٩٦) نفسه ، ص ١٣٠ .
(١٩٧) نفسه ، ص ١٣٤ .

- مصادر ومراجع البحث -

أ - المصادر العربية : -

* ابن حاتم الأمير بدر الدين محمد بن حاتم بن أحمد ، (كان حياً سنة ٧٠٢هـ / ١٣٠٢م) .

١ - السمط الغالي الثمن في أخبار الملوك من الغز باليمن ، تحقيق : ركس سمث ، منشورات مكتبة لوزاك ، (لندن ، ١٩٧٤م) .

* ابن الديبع عبد الرحمن بن علي ، (ت : ٩٤٤هـ / ١٥٣٧م) .

٢ - بغية المستفيد في تاريخ مدينة زبيد ، تحقيق : عبد الله محمد الحبش ، الطبعة الأولى منشورات مركز الدراسات اليمنية ، (صنعاء ، ١٩٧٩م) .

٣ - قرة العيون بأخبار اليمن الميمون ، القسم الأول بتحقيق : محمد بن علي الأكوع ، المطبعة السلفية ، (القاهرة ، ١٩٧٧م) .

* ابن المجاور البغدادي النيابوري ، .. بن محمد بن مسعود بن علي بن أحمد ، (ت. د : ٦٣٠هـ / ١٢٣٢م) .

٤ - صفة بلاد اليمن ومكة وبعض الحجاز ، المسماة : تاريخ المستبصر ، القسم الأول والثاني تحقيق : اوسكار لوفغرين ، مطبعة بريل ، (لندن ، ١٩٥١ ، ١٩٥٤م) .

* ابن منظور ، جمال الدين محمد بن مكرم ، (ت : ٧١١هـ / ١٣١١م) .

٥ - لسان العرب ، (بيروت ، ١٣٧٤ - ١٣٧٦هـ / ١٩٥٥ - ١٩٥٦م) .

* أبو مخرمة ، أبو محمد عبد الله الطيب بن عبد الله بن أحمد : (ت : ٩٤٧هـ / ١٥٤٠م) .

٦ - تاريخ ثغر عدن ، ج ١ - ٢ ، تحقيق : أوسكار لوفغرين ، مطبعة بريل ، (لندن ١٩٣٦م) .

* التوحيدي ، أبو حيان علي بن محمد ، (ت : ٤٠٠هـ / ١٠٠٩م) .

٧ - (: أحمد أمين واحمد الزين ، الطبعة الثانية ، مطبعة جدة التأليف والترجمة والنشر ، (القاهرة ، ١٩٥٣م) .

* الجوهري ، اسماعيل بن حماد ، (ت : ٣٩٣هـ / ١٠٠٢م) .

٨ - الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية ج ٢ ، ٥ تحقيق : أحمد عبد الغفور عطار مطابع دار الكتاب العربي ، (القاهرة ، ١٣٧٥ - ١٣٧٧هـ / ١٩٥٦ - ١٩٥٧م) .

* الحموي ، ياقوت بن عبد الله ، (ت : ٦٢١هـ / ١٢٢٨م) .

٩ - معجم البلدان ، (بيروت ، ١٩٥٥ - ١٩٥٧م) .

* الخوارزمي ، أبو عبد الله محمد بن أحمد بن يوسف ، (ت : ٣٨٧هـ / ٩٩٧م) .

١٠ - مفاتيح العلوم ، الطبعة الأولى مطبعة الشرق ، (القاهرة ، ١٣٤٢هـ) .

* الدينوري ، أبو حنيفة أحمد بن داود ، (ت : ٢٨٢هـ / ٨٩٥م) .

١١ - قطعة من الجزء الخامس من كتاب النبات ، عني بنشره : برنارد لوين ، مطبعة بريل ، (لندن ، ١٩٥٣م) .

* الصغاني ، الحسن بن محمد بن الحسن ، (ت : ٦٥٠هـ / ١٢٥٢م) .

١٢ - التكملة والذيل والصلة لكتاب اللغة وصحاح العربية ، تحقيق عبد العليم الطحاوي وآخرون ، مطبعة دار الكتاب ، (القاهرة ، ١٩٧٠ - ١٩٧٧م) .

* عمارة اليمني ، نجم الدين عمارة بن علي ، (ت : ٥٦٩هـ / ١١٧٣م) .

١٣ - تاريخ اليمن المسمى : المفيد في أخبار صنعاء وزبيد وشعراء ملوكها وأعيانها وأدبائها ، تحقيق : محمد بن علي الأكوع الحوالي ، الطبعة الثانية ، (القاهرة ، ١٣٩٦هـ / ١٩٧٦م) .

١٤ ـ النكت العصرية في أخبار الوزراء العصرية ، باعتناء : هو تويغ درنبرغ بمطبعة مرسو ، (شالون ، ١٨٩٧م) .

* القلقشندي ، أبو العباس أحمد بن علي ، (ت : ٨٢١هـ / ١٤١٨م) .

١٥ ـ صبح الأعشي في صناعة الانشا ، ج ١ ، ٥ ، نسخة مصورة عن الطبعة الأميرية ، مطابع كوستاتسوماس وشركاه ، (القاهرة ، بدون تاريخ) .

* المرزوقي تابو علي أحمد بن محمد ، (كان حياً سنة ٤٥٣هـ / ١٠٦١م) .

١٦ ـ الأزمنة والأمكنة ، ج ٢ ، الطبعة الأولى ، (حيدر أباد الدكن ، ١٣٣٢هـ) .

* المظفر الرسولي يوسف بن عمر بن علي بن رسول (ت : ٦٩٤هـ / ١٢٩٤م) .

١٧ ـ المعتمد في الأدوية المفردة ، الطبعة الثالثة ، باعتناء : مصطفى السقا ، منشورات دار المعرفة ، (بيروت ، ١٣٩٥هـ / ١٩٧٥م) .

* المقدسي ، ابو عبد الله محمد بن أحمد (ت : ٣٨٥هـ / ٩٩٠م) .

١٨ ـ أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم ، باعتناء : دي غويه ، الطبعة الثانية ، مطبعة بريل ، (ليدن ، ١٩٠٦م) .

* الوسابي عبد الرحمن بن محمد بن عبد الرحمن ، (ت : ٧٨٢هـ / ١٧٨٠م) .

١٩ ـ تاريخ وصاب القصص : الاعتبار في التواريخ والآثار، تحقيق: عبد الله محمد الحبشي ، الطبعة الأولى ، منشورات مركز الدراسات اليمنية ، (صنعاء ، ١٩٧٩م) .

المراجع العربية :

* أباظة ، د. فاروق عثمان .

٢٠ ـ عدن والسياسة البريطانية في البحر الأحمر ١٨٣٩ ـ ١٩١٨ ، منشورات المطبعة العصرية العامة للكتاب (القاهرة ، ١٩٧٦م) .

* الأفغاني ، سعيد .

٢١ ـ أسواق العرب في الجاهلية والاسلام ، الطبعة الثانية بمنشورات دار الفكر ، (دمشق ، ١٣٧٩هـ / ١٩٦٠م) .

* الأكوع ، محمد بن علي .

٢٢ ـ اليمن الخضراء مهد الحضارة ، الطبعة الأولى ، مطبعة المعاذة القاهرة ، ١٣٩١ هـ / ١٩٧١م) .

* الألوسي البغدادي ، السيد محمود شكري .

٢٣ ـ بلوغ الارب في معرفة أحوال العرب ، ج ٣ ففي بفترة وتصحيحه وضبطه : محمد بهجة الأثري ، الطبعة الثالثة مطابع دار الكتاب العربي ، (القاهرة ، ١٣٤٢ه) .

* الثور ، عبد الله احمد محمد .

٢٤ ـ هذه هي اليمن ، مطبعة الدقي ، (القاهرة ، ١٣٨٩هـ / ١٩٦٩م) .

* جواتيابن ، د. س.

٢٥ ـ دراسات في التاريخ الاسلامي والنظم الاسلامية ، تعريب وتحقيق : الدكتور عطية القوصي ، الطبعة الأولى ، (الكويت ، ١٩٨٠م) .

* د. جواد علي .

٢٦ ـ المفصل في تاريخ العرب قبل الاسلام ، ج ٧ ، الطبعة الأولى ، منشورات دار العلم للملايين ، (بيروت ، ١٩٧١م) .

* الحبشي ، د. محمد عمر .

٢٧ ـ اليمن الجنوبي سياسياً واقتصادياً واجتماعياً ، ترجمة : د. الياس فرح و د. خليل أحمد خلبل ، الطبعة الأولى ، (بيروت ، ١٩٦٨م) .

* الحداد ، محمد يحيى .

٢٨ ـ تاريخ اليمن السياسي ، الطبعة الثالثة ، دار الهنا للطباعة ، (القاهرة ، ١٣١٦هـ / ١٩٧٦م) .

* حوراني ، جورج فضلو .

٢٩ ـ العرب والملاحة في المحيط الهندي في العصور القديمة وأوائل القرون الوسطى ترجمة : د. السيد يعقوب بكر ، مطابع دار الكتاب العربي ، (القاهرة ، ١٩٥٨م) .

* دوزي ، رينهارت .

٣٠ ـ تكملة المعاجم العربية ، ج (نقله الى العربية وعلق عليه : د.

محمد سليم النعيمي ، دار الحية للطباعة ، (بغداد ، ١٣٩٨هـ / ١٩٧٨م) .

* الريحاني ، أمين .

٣١ ـ ملوك العرب رحلة في البلاد العربية ، ج ١ ، الطبعة الثانية ، المطبعة العلمية ، (بيروت ، ١٩٧٩م) .

* السامر ، د. فيصل .

٣٢ ـ الأصول التاريخية للحضارة العربية الاسلامية في الشرق الأقصى ، الطبعة الأولى ، (بغداد ، ١٩٧٧م) .

* سيد ، أيمن فؤاد .

٣٣ ـ مصادر تاريخ اليمن في العصر الاسلامي ، مطبوعات المعهد العلمي الفرنسي للآثار الشرقية ، (القاهرة ، ١٩٧٤م) .

* عبد العليم ، د. أنور .

٣٤ ـ ابن ماجد الملاح دار الكتاب العربي للطباعة والنشر ، (القاهرة ، ١٩٦٧م) .

* العبدلي ، الأمير أحمد فضل بن علي محسن .

٣٥ ـ هدية الزمن في أخبار ملوك الحج وعدن ، الطبعة الأولى ، المطبعة السلفية ، القاهرة ، ١٣٥١هـ) .

* الحميدي ، د. ابراهيم خلف .

٣٦ ـ الحركة الوطنية في الجنوب اليمن المحتل ، رسالة دكتوراه ، في التاريخ الحديث ، (بغداد ، ١٩٧٩م) .

* العقيلي ، محمد بن أحمد بن عيسى .

٣٧ ـ من تاريخ المخلاف السليماني أو الجنوب العربي في التاريخ ، ج ١ ، القسم الأول ، (الرياض ، ١٣٧٨هـ / ١٩٥٨م) . ج ٢ ، مطابع دار الكتاب العربي ، (القاهرة ، بدون تاريخ) .

* كحالة ، د. رضا .

٣٨ ـ جغرافية شبه جزيرة العرب ، الناشر فؤاد هاشم الكعبي ، المطبعة الهاشمية ، (دمشق ، ١٣٦٤هـ / ١٩٤٤م) .

* لجنة الجغرافيا العدنية .

٣٩ ـ جغرافية عدن وبلاد العرب ، مطبعة النيل ، (القاهرة ، ١٩٣٢م) .

* لقمان ، حمزة علي ابراهيم .

٤٠ ـ تاريخ الجزر اليمنية ، مطبعة يوسف وفيليب الجعيل ، (بيروت ، ١٩٧٢م) .

٤١ ـ تاريخ عدن وجنوب الجزيرة العربية ، دار مصر للطباعة (القاهرة ، ١٣٧٩هـ / ١٩٦٠م) .

٤٢ ـ معارك حاسمة من تاريخ اليمن ، الطبعة الأولى ، منشورات مركز الدراسات اليمنية ، (صنعاء ، ١٩٧٨م) .

* ماهر ، د. سعاد .

٤٣ ـ البحرية في مصر الاسلامية وآثارها الباقية ، بدار الكاتب العربي للطباعة والنشر ، (القاهرة ، ١٩٦٧م) .

* مجهول المؤلف .

٤٤ ـ قلائد الجفن في ملوك عدن وصنعاء اليمن ، طبعة حجرية ، (كلكتا ، ١٣٢٩هـ / ١٩١١م) .

٤٥ ـ مستعمرة عدن وجاراتها (تقرير مطبوع بالاستنسل) ، مجهول مكان الطبع ، يناير ، (كانون الثاني ١٩٤٩م) .

* العصري ، د. ذو النون .

٤٦ ـ عمارة اليمني ، منشورات مكتبة النهضة العصرية ، (القاهرة ، ١٣٨٥هـ / ١٩٦٦م) .

* هلتس ، التر .

٤٧ ـ المكاييل والأوزان الاسلامية وما يعادلها في النظام المتري ترجمة : د. كامل العسلي ، مطبعة القوات المسلحة الأردنية ، (عمان ، ١٩٧٠م) .

* يعقوب ، عادل ابراهيم (المترجم) .

٤٨ ـ التاريخ الاقتصادي للشرق الأوسط ، دار الحرية للطباعة ، (بغداد ، ١٩٨٠م) .

ج ـ الدوريــــات :

* الحبشي ، عبد الله محمد .

٤٩ ـ جوانب من الحياة الاقتصادية في التاريخ اليمني ، الكلمة ، ع (٥ ـ ٥٢ ، (صنعاء ، ١٩٧٩م) .

* سلطان ، ناجي .

٥٠ ـ عدن تحت الحكم البريطاني تأليف : البروفسور ارتجي ، جافين (عوض) ، الكلمة ، ع ٤٦ ، (صنعاء ، ١٩٧٨م) .

* القوصي ، د. عطية .

٥١ ـ سيراف وكيش (قيس) وعدن من القرن الثالث الهجري ، حتى السادس من التاريخية المصرية ، المجلد ٢٣ ، (القاهرة ، ١٩٧٦م) .

٢ ـ

Bikhazi, Ramzi, J.

Coins of Al-Yaman 132-569 A. H, Al-Abhath, Vol xxIII, Nos 1-4, (Beirut, December, 1970).

٣ ـ

Two Eyewitness Reports of an Expidition of the king of kish (Qais) against Adem, Bullatin of the School of Oriental and African Studies, Vol, xVI. Part II, (London, 1954).

٤ ـ

x. Lowick, N. M.

Some unpublished Dinars of the Sulayhids and Zarayids, The Numismatic Chronicle, Vol IV, (London, 1964).


مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

الجوانب الدينية والأدبية في اهتمامات العالم العربي

(خالد بن يزيد)

فاضل خليل ابراهيم
جامعة كارديف ـ المملكة المتحدة

يعتبر خالد بن يزيد[1]، أبرز من أثر عنهم اهتمامهم بالعلوم الأجنبية في العصر الأموي ، تشجيعاً واشرافاً ومساهمة ، فقد أجمع المؤرخون على وصفه بالعقل ، والعلم ، والحكمة[2]، وأنه أول من أمر بنقل كتب الكيمياء والطب والفلك والآلات والصناعات من القبطية واليونانية الى العربية[3]. وكانت له رسائل ومؤلفات علمية في الصنعة[4] (الكيمياء) . يضاف الى ذلك ، فإن له اهتمامات أخرى تتصل بالجانب الديني والأدبي ، ولكن المصادر لا تسعفنا بالشيء الكثير عنها ، سوى الاشارات القليلة هنا وهناك . وما هذا البحث إلا محاولة لرسم صورة ـ وفق هذه الاشارات ـ عن اهتمام العالم العربي خالد بن يزيد برواية الحديث وعن أدبه في شعره وأسلوبه .

أولاً : رواية الحديث :

يُعد خالد ، في كتب التاريخ والتراجم ، أحد المهتمين برواية الحديث ، وقد أشار الى ذلك بنفسه حين قال : « إني عَنيتُ بطلب الحديث »[5]، كما اعترف بذلك خصومه[6] أيضاً . وذكر ابن أبي حاتم الرازي[7] (ت ٣٢٧هـ) ، نقلاً عن أبيه ، بأن خالداً « من الطبقة الثانية ، من تابعي أهل اليام » [8].

أخذ خالد الحديث عن أبيه يزيد[9]، فقد روى عنه قول الرسول (ص) : « من يرد الله به خيراً يفقهه في الدين »[10]، وحديث آخر في الوضوء[11]، كما أخذ أيضاً من دحية بن خليفة الكلبي[12]. وما روى

---

(١) هو خالد بن يزيد بن معاوية بن أبي سفيان ، توفي سنة ٩٠هـ ، انظر عنه ، كتابنا : خالد بن يزيد ـ سيرته واهتماماته العلمية ـ دراسة في العلوم عند العرب (منشورات وزارة الثقافة والاعلام ـ بغداد : ١٩٨٤) .

(٢) المرجع السابق ، ص ٩٩ .

(٣) المرجع السابق ، ص ١٠٤ .

(٤) انظر عنها ، المرجع السابق ، ص ١٦٥ ـ ١٨٥ .

(٥) البلاذري : انساب الأشراف ، م ٤ ، ق ٢ / ص ٦٦ ، وذكره ابن عساكر : « وكنت رجلاً معنياً بالكتب » انظر تاريخه ٥ / ١١٧ .

(٦) البلاذري : المصدر السابق ، م ٤ ، ق ٢ / ٧١ ، ابن عبد ربه : العقد الفريد ٤ / ٢٤ الأصفهاني : الأغاني ١٧ / ٢٦٢ .

(٧) هو أبو محمد عبد الرحمن بن الحافظ الكبير ابي حاتم الرازي ، اخذ علم أبيه ، وكان بحراً في العلوم ومعرفة الرجال (الذهبي : تذكرة الحفاظ ٣/٨٢٩ ـ ٨٣٢ .

(٨) ابن ابي حاتم : الجرح والتعديل ، ج ١ ، ق ٢ /٣٥٧ ، ابن عساكر : التاريخ الكبير ٥/١١٧ ، ياقوت : معجم الأدباء ١١ /٣٦ ، وقد أخطأ ابن حجر بقوله : ان ابن أبي حاتم قد ذكر ، أن خالداً هو من الطبقة الثالثة من تابعي أهل الشام (تهذيب التهذيب ٣/١٢٨) .

(٩) ابن عساكر : المصدر السابق ٥/١١٦ ، ياقوت : المصدر السابق ١١/٣٦ ، الذهبي : تاريخ الاسلام ٣/٢٤٦ ، السيوطي : تاريخ الخلفاء ٢٠٥ ، ابن حجر : المصدر السابق ٣/١٢٨ ، ابن كثير : البداية ٨/٢٢٦ ، ٩/٨٠ .

(١٠) ابن كثير : المصدر السابق ٨/٢٢٦ .

(١١) المصدر السابق ٨/٢٢٦ .

(١٢) ابن أبي حاتم : المصدر السابق ج ١ ، ق ٢ /٤٣٩ ، البيهقي : السنن ٢/٢٣٤ ، ابن عساكر : المصدر السابق ٥ /١١٦ ، ياقوت : المصدر السابق ١١/٣٦ ، ابن حجر : المصدر السابق ٣/١٢٨ ، ٢٠٦ ـ ٢٠٧ ، الذهبي : سيد أعلام النبلاء ٢/٣٩٦ ، الذهبي : تاريخ الاسلام ٣/٢٤٦ ، ابن كثير : المصدر السابق ٩/٨٠ .
ـ والكلبي ، هو دحية بن خليفة بن فدوة بن فضالة بن زيد ، صاحب الرسول ﷺ ، وكان مبعوثه الى قيصر ، وشهد بدراً وما بعدها ، روى عنه الشعبي وعبد الله بن شداد ومنصور الكلبي ، اضافة الى خالد . بقي الى خلافة معاوية بن أبي سفيان (ابن سعد : الطبقات ، ج ٤ ، ق ١ /١٨٤ ـ ١٨٥ ، ابن الأثير : أسد الغابة ٢/١٣٠ ، ابن حجر : المصدر السابق ٣/٢٠٦ ـ ٢٠٧) .

عنه حديثاً أخرجه ابن عساكر والبيهقي والعسكري، مفاده: أن النبي (ص) قد أعطى دحية ثوباً، وقال له: « أصدعه صدعين، صدعاً تجعله قميصاً، وصدعاً تختمر به امرأتـك »[١٣]. ونقل هذا الحديث عن خالد، عبيدالله بن عباس[١٤]. أما عن أبي أمامة الباهلي[١٥] فقد روى خالد حديث الرسول (ص): « ألا كلكم يدخل الجنة إلا من شرد على الله عز وجل شراد البعير عن أهله »[١٦].

وأورد الخطيب البغدادي (ت ٤٦٣هـ)، حديثاً رواه خالد عن عبدالله بن عمرو[١٧]، مفاده، أن الأخير قد استأذن الرسول (ص) بكتابة أقواله، قائلاً: « يارسول الله، إني أسمع منك أشياء أحب أن أعيها، فاستعين بيدي مع قلبي » قال: « نعم »[١٨].

ويُحتمل، أن يكون خالد، قد أخذ شيئاً من أحاديث غضيف بن الحارث بن زَنيم[١٩]، نائبه على الصلاة في حمص، إذ أن الأخير كان محدّثاً ثقة، عُدّ في الطبقة الأولى من تابعي أهل الشام[٢٠]. كما ويحتمل روايته عن عكرمة[٢١] مولى عبدالله بن عباس[٢٢]، فقد قيل: أن خالداً قد اشترى عكرمة، الذي كان لا يزال عبداً بعد وفاة ابن عباس، من علي بن عبدالله بن عباس بأربعة آلاف دينار[٢٣]. ويبدو - هنا - بأن خالداً أراد الحصول على الأحاديث التي قالها ابن عباس وحفظها عنه تولاه، ويؤكد ذلك، قول عكرمة لعلب: « لقد بعت علم أبيك »[٢٤]، وقد مدح خالد، عكرمة لفضله وعلمه، فقال: « نعم صاحب رجل عالم، وبئس صاحب رجل جاهل، أما العالم فيأخذ ما يعرف، وأما الجاهل فيأخذ كل ما سمع »[٢٥].

وروى عن خالد بن يزيد، كل من: رجاء بن حيوة[٢٦] وعلي بن

---

(١٣) ابي داود: سنن ٣٨٥/٢، البيهقي: المصدر السابق ٢٣٤/٢، ابن عساكر: المصدر السابق ١١٦/٥ - ١١٧، ابن الأثير: المصدر السابق ١٣٠/٢.

(١٤) ابن الأثير: المصدر السابق ١٣٠/٢، ابن حجر: المصدر السابق ١٢٨/٣، ٢٠/٧، ويقال: هو عباس بن عبيد الله بن عباس (انظر، أبي داود: المصدر السابق ٣٨٥/٢ وابن حجر: المصدر السابق ١٢٨/٣، ١٢٣/٥)، أو عباس بن عبد الله بن عباس (انظر، البيهقي، المصدر السابق ٢٣٤/٢).

- وهو عبيد الله بن العباس بن عبد المطلب بن هاشم، يكنى أبا محمد، رأى الرسول ﷺ وروى عنه وعن أبيه العباس. وعنه ابنه عبد الله وسليمان بن يسار وعطاء ابن أبي رباح ومحمد بن سيدين. مات في المدينة، وقد بقي الى أيام يزيد بن معاوية. وقيل توفي سنة ٥٨هـ وقيل ٨٧هـ (انظر عنه، ابن الأثير: أسد الغابة ٣٤٠/٣ - ٣٤١، ابن حجر: المصدر السابق ١٩/٧ - ٢٠).

(١٥) هو أبو أمامة صُدَيّ بن عجلان، كان ممن شهد صفين، ونزل الشام وهو ممن تأخر موته من الصحابة توفي سنة ٨٦هـ (ابن قتيبة: المعارف، ص ٣٠٩، الخطيب البغدادي: تقييد العلم، ص ٩٨، البيهقي: المصدر السابق، فهرس، ج ٣٥/٢).

(١٦) ابن الأثير: المصدر السابق ٩٧/٢، وهو عند أحمد بن حنبل: المسند ٢٥٨/٥ وابن عساكر: المصدر السابق ١١٧/٥، رواية ابي أمامة عن خالد بن يزيد. وقد خطّأ ذلك ابن الأثير قائلاً: « والصواب ان خالداً سأل أبا أمامة ». وقد أخذ برأي الأخير، لأنه الأصح.

(١٧) هو عبد الله بن عمرو بن العاص، يكنى أبا محمد، أسلم قبل أبيه، وكان فاضلاً عالماً، توفي في مكة سنة ٦٥هـ (ابن قتيبة: المعارف ٢٨٦ - ٢٨٧، ابن سعد: المصدر السابق، ج ٢، ق ١٢٥/١).

(١٨) الخطيب البغدادي: تقيد العلم، ص ٨١، وانظر الدارمي: سنن ١٢٥/١ - ١٢٦.

(١٩) هو أبو غضيف بن الحارث بن زنيم، أبو أسماء السكوني الكندي الشامي، عداده في صغار الصحابة، روى عن عمر وأبي عبيدة وبلال وأبي ذكر وأبي الدرداء، وحدّث عنه ولده عبد الرحمن وحبيب بن عبيد ومكحول. وكان خطيباً بارعاً في حمص. أما وفاته فقيل في خلافة مروان بن الحكم وقيل سنة ٨٠هـ (انظر، الذهبي؛ سيرّ ٢٩٩/٣ - ٣٠١، ابن حجر: الاصابة ١٨٩/٥ - ١٩٠).

(٢٠) ابن سعد: المصدر السابق، ج ٧، ق ١٥٤/٢، الذهبي: سيرّ ٣٠٠/٣.

(٢١) هو أبو عبد الله عكرمة بن عبد الله مولى ابن عباس، أصله بربري من أهل المغرب، حدّث عن ابن عباس وعبد الله بن عمر وعبد الله بن محمد بن العاص وأبي حريرة ... روي عنه الشعبي وابراهيم النخعي ومحمد بن سيدين. وكان كثير التجول، فحدّث في أكثر من مدينة. توفي بين سنة ١٠٤ - ١٠٧ (انظر، ابن سعد: المصدر السابق ٢١٢/٥، ابن قتيبة: المعارف، ص ٤٥٥، ٤٥٧، ابن خلكان: وفياة الأعيان ٢٦٥/٣ - ٢٦٦).

(٢٢) هو عبد الله بن عباس بن عبد المطلب، ابن عم الرسول ﷺ، كان يقال له: الحبر والبحر لكثرة علمه، مات في الطائف سنة ٦٩هـ وقيل سنة ٧٠هـ (انظر، ابن سعد: المصدر السابق، ج ٢، ق ١١٩/١ - ١٢٥، ابن حجر: تهذيب ٢٧٦/٥ - ٢٧٩).

(٢٣) ابن سعد: المصدر السابق ٢١٢/٥، اليافعي: مرآة الجنان ٢٢٥/١ - ٢٢٦، ياقوت. معجم الأدباء ١٨٤/١٢.

(٢٤) المصادر السابقة نفسها.

(٢٥) البسوي: المعرفة والتاريخ ٨/٢.

(٢٦) الذهبي: تاريخ الاسلام ٢٤٦/٣، ابن حجر: تهذيب ١٢٨/٣.

- هو أبو المقدام رجاء بن حيوة الشامي الكندي، كان من أفقه أهل الشام، ثقة، فاضلاً، كثير العلم توفي سنة ١١٢هـ (ابن قتيبة: المصدر السابق ٤٧٢ - ٤٧٣، ابن أبي حاتم: المصدر السابق، ج ١، ق ٥٠١/٢، ابن حجر: تهذيب ٢٦٥/٣ - ٢٦٦).

رباح[٢٧] ومحمد بن مسلم الزهري[٢٨] وأبو العيسى الخولاني[٢٩] ومسلم بن زياد[٣٠].

وبالرغم من معرفة أسماء الذين روى عنهم خالد ورووا عنه ، فإن عدد الأحاديث النبوية التي وصلت ، لا تكاد تعدو تلك التي ذُكرت من قبل . بيد أن قلة الآثار التي وصلتنا عن خالد ، في مجال روايته للحديث ، لا تعني بالضرورة ضعف شأنه كمحدّث ، والشواهد التي أشير إليها سابقاً توضح ذلك بجلاء .

أما في مجال الرواية التاريخية ، فقد نقل الكلبي عن خالد ، قصة اغتيال معاوية ، لعبدالرحمن بن خالد بن الوليد ، من قبل طبيبه ابن أثال[٣١].

ثانياً : الأدب :

١ ـ أسلوبه :

يتسم اسلوب خالد بن يزيد بالفصاحة والبلاغة ، ويستند الى خلفية فكرية وأدبية ، جعلت آراءه تمتاز بالجودة وقوة التأثير وبذلك عُدّ من الخطباء[٣٢].

ويشهد في ذلك ، موقفه من أحداث الشغب ، التي حدثت في مسجد دمشق سنة ٦٤هـ ، حيث إنقسم الناس فيه الى فريقين ، فريق يؤيد ابن الزبير ، وآخر يؤيد بني أمية ، فقام خالد وصعد المنبر « فتكلم ... بكلام أوْجَزَ فيه ، لم يُسمع مثلُهُ ، وسكّن الناس »[٣٣]. كما يوضح قدرته على الجدال والمناقشة ، مجادلاته مع عبدالملك بن مروان ، منها المجادلة التي جرت بينهما بسبب إعتداء الوليد بن عبدالملك على عبدالله أخي خالد ، والتي سجلها معظم المؤرخين العرب ، منهم البلاذري ، إذ يقول : « فأتى خالد عبدالملك ، فأخبره بما شكا اليه أخوه ، فرفع رأسه وهو يضحك ، ثم قال : « إن الملوك إذا دخلوا قرية أفسدوها وجعلوا أعِزة أهلها أذلة ، وكذلك يفعلون »[٣٤]، فقال خالد : « وإذا أردنا أن نهلك قرية أمرنا مترفيها ففسقوا فيها فحق عليها القول فدمرناها تدميرا »[٣٥]. فقال عبدالملك : أتكلمني فيه وهو لحّان ، وقد أعياكم تقويم لسانه ، فقال : أعيانا منه ما أعياك من الوليد . فقال عبدالملك : إن يكن لحّانا ، فأخوه سليمان فصيح . قال خالد : وأن يكن عبدالله لحاناً ، فأخوه خالد غير لحّان . فقال الوليد لخالد : أتتكلم ولست في عير ولا نفير ؟ فقال خالد : ... أنا والله ابن العير والنفير ، سيّد العير جدّي أبو سفيان ، وسيّد النفير جدّي عتبة بن ربيعة ، ولكن لو ذكرتَ ، حُبيلات وغنيمات بالطائف لصدقت فرَحِمَ الله عثمان »[٣٦].

---

(٢٧) الذهبي : تاريخ ٢٤٦/٣ ، ابن حجر : تهذيب ١٢٨/٣ .
ـ هو أبو موسى على بن رباح اللخمي ، كان ثقة ، من الطبقة الثانية من أهل مصر ، توفي سنة ١١٤هـ أو سنة ١١٧هـ (ابن ابي حاتم : المصدر السابق ١٨٦/٣ ابن حجر : تهذيب ٣١٨/٧ ـ ٣١٩) .

(٢٨) البخاري : التاريخ الكبير م ٣ ، ق ١ ، ج ٢ / ١٨١ ، ابن أبي حاتم : المصدر السابق ، ج ١ ، ق ٢ / ٣٥٧ ، ابن عساكر : المصدر السابق ١١٦/٥ .
ـ وهو محمد بن مسلم بن عبيد الله بن شهاب الزهري ، وهو أحد أعلام الحديث الثقاة في الحجاز والشام ، شهد الجميع على حسن روايته توفي سنة ١٢٤هـ أو ١٢٥هـ (ابن قتيبة ؛ المصدر السابق ، ص ٤٧٢ ، ابن أبي حاتم : المصدر السابق ، ج ٤ ، ق ٧١/١ ـ ٧٤ ، ابن حجر : تهذيب ٤٤٥/٩ ـ ٤٥١) .

(٢٩) الذهبي : تاريخ الاسلام ٢٤٦/٣ ، (لم أرَ له ترجمة) .

(٣٠) البخاري : المصدر السابق م ٣ ، ق ١ ، ج ١٨٧/٢ . ابن أبي حاتم : الجرح والتعديل ح ١ ، ق ٢ / ٣٦١ .
ـ وهو مسلم بن زياد الحمصي مولى ميمونة وقيل أم حبيبة ، روى عن أنس ومكحول وعمر بن عبد العزيز ... ذكره ابن حيان في الثقاة (ابن حجر تهذيب ١٣٠/١٠) .

(٣١) عمد بن حبيب : كتاب اسماء المغتالين ، م ١٦٨/٦ ـ ١٦٩ .

(٣٢) الجاحظ : البيان والتبيين ٣٢٨/١ ، ابن النديم : الفهرست ، ص ٣٥٤ ياقوت : المصدر السابق ٣٥/١١ ، ابن طباطبا : الفخري في الآداب السلطانية ، ص ١١٩ ، ابن كثير : المصدر السابق ٦٠/٩ ، ابن الوردي : تتمة المختصر ٢٤٠/١ .

(٣٣) الطبري : تاريخ ٥٣٣/٥ .

(٣٤) سورة النمل : ٣٤ .

(٣٥) سورة الاسراء : ١٦ .

(٣٦) البلاذري : أنساب م ٤ ، ق ٦٧/٢ ـ ٦٨ ، وانظر ، المبرد : الكامل ٣٣٥/١ ـ ٣٣٧ ، الميداني مجمع الأمثال ٢٢٢/٢ ـ ٢٢٣ ، ابن عساكر : المصدر السابق ١١٨/٥ ـ ١١٩ ، ياقوت : المصدر السابق ٣٧/١١ ـ ٣٩ . القلقشندي : صبح الاعشا ١٦٨/١ .
ويقصد خالد برده الأخير ، أن الحكم ابن أبي العاص ، وهو جد عبد الملك ابن مروان ، كان قد طرده الرسول ﷺ الى الطائف ، فكان يرعى غنيمات ويأوى الى حُبيلة وهي الكرمة . ثم يُذكرُه بعثمان الذي رده (انظر المبرد : المصدر السابق ٣٣٦/١ ـ ٣٣٧) .

ويعلّق أبي أبي الحديد على الجواب الأخير لخالد بقوله : « وهذا من الكلام المستحسن والألفاظ الفصيحة والجوابات المسكتة »[٣٧].

ويظهر من مضمون المجادلة ، قوة خالد في منطقه وحجته ، وقدرته في ايجاد الردود المناسبة التي تستند الى أسس واقعية تاريخية تفوق قدرة الخصم .

ويُلحظ في مناقشات خالد ، بعض الملامح الفلسفية ، خاصة في المناظرات الدينية ، فمن ذلك ، المناظرة التي جرت بينه وبين أحد الرهبان . فقد سأل الراهب خالداً عن بعض المسائل المتعلقة بحياة الانسان في الجنة ، الذي يأكل فيها ويشرب ، دون أن تكون له فضلات ، ويأكل منها ويشرب ، دون أن ينقص منها شيء ، فأجاب خالد عن الشطر الأول بقوله : إن ذلك « مثل الصبي في بطن أمه ، يأتيه رزق الرحمن بكرة وعشيا ، لا يبول ولا يتغوط » ، كما قال ، جواباً عن الشطر الثاني ، إن ذلك « مثل رجل أتاه الله علماً وحكمةً ... فلو إجتمع الخلق فتعلموا منه ، ما نقص من علمه شيء »[٣٨].

كما وجُهت ـ أيضاً ـ الى خالد ـ وفي مناسبات أخرى ـ أسئلة ذات طابع حكمي ، من قبيل ما سُئل عن « ما أقرب شيء ؟ قال : الأجل ، قيل : فما أبعد شيء ؟ قال : الأمل . قيل : فما أوحش شيء ، قال : الميِّت ، قيل : فما أنسى شيء ؟ قال : الصاحب المواتي (المساعد) . وقيل له : ما الدنيا ؟ قال : ميراث . قيل : فالأيام ؟ قال : دوَل . قيل : فالدهر ؟ قال : أطباق (أحوال) والموت يكمل سبيله »[٣٩].

٢ ـ شعره :

اتخذ خالد من الشعر وسيلة للتعبير عن أفكاره ، سواء في العلم أو الأدب . وقد أجمعت المصادر العربية على القول : انه كان « شاعراً »[٤٠]. وتعتبر الصنعة (الكيمياء) من أبرز الأغراض التي نظّم فيها شعره ، الذي إمتاز فيه بالغموض ، واستخدام الألفاظ والمصطلحات المُلغزة[٤١]. أما الأغراض الأخرى ، كالغزل والمدح والرثاء والهجاء ، فيظهر فيها الوضوح وبساطة الألفاظ .

فمن شعره في الغزل[٤٢]، قوله في زوجته رملة بنت الزبير بن العوّام :

أليسَ يزيدُ السَّيرُ في كلِّ ليلةٍ
وفي كلِّ يومٍ من أحِبتنا قُربا
أحِنُّ الى بنتِ الزبير وقد عَدَتْ
بنا العيسُ خرقاً من تهامةَ أو نَقْبا
إذا نزلتْ أرضاً تحبَّبُ أهلها
إلينا وإن كانت منازلها حَرْبا
وإن نزلت ماءً وإن كان قبلها
مليحاً وجَدْنا ماءَه بارداً عذبا
تجولُ خلاخيلُ النساء ولا أرى
لرملةَ خلخالاً يجولُ ولا قُلْبا
أحِبُّ بني العوام طُراً لحبها
ومِن حُبها أحببتُ أخوالها كلبا

وله في الزهد أشعارٌ ، أشار فيها ، الى أن الانسان مهما أوتي من شرفٍ وغنىً ومكانة ، فإن الموت نهايته ، فعليه أن يعمل لما بَعد الحياة ، لكي يحصد ما زرع فيها ، فيقول[٤٣]:

---

(٣٧) ابن أبي الحديد : شرح نهج البلاغة ١١١/١ .
(٣٨) ابن عساكر : المصدر السابق ١١٧/٥ .
(٣٩) الجاحظ : المصدر السابق ١٥٦/٣ ، ابن عبد ربه : المصدر السابق ٢٦٨/٢ ابن عساكر : المصدر السابق ١١٩/٥ ، ياقوت : المصدر السابق ٣٩/١١ ـ ٤٠ .
(٤٠) البلاذري : المصدر السابق م ٤ ، ق ٢/ ٦٥ ، الجاحظ : المصدر السابق ٣٢٨/١ ، ابن النديم : الفهرست ، ص ٣٥٤ ، السيوطي : صوت المنطق ، ص ١٢ . ووردت بصيغة : كان « يقول الشعر » في المصادر التالية : ابن قتيبة : المصدر السابق ٣٥٢ ، الاصفهاني : الأغاني ٢٥٨/١٧ ، ابن حجر تهذيب ١٢٨/٣ .
(٤١) انظر بحثنا المرسوم « دراسة تحليلية في ديوان خالد بن يزيد في الكيمياء » ، المنشور في مجلة معهد المخطوطات العربية ، م ٢٦ ، ج ٢ ، ١٩٨٢م ، ص ٥٥٥ ـ ٥٦٩ .
(٤٢) ياقوت : المصدر السابق ٤١/١١ ، وانظر مقتطفات هذه القصيدة في المصادر التالية : ابن قتيبة : المصدر السابق ٢٢١ ، البلاذري : المصدر السابق ، م ٤ ، ق ٦٦/٢ ـ ٧٧ ، المبرد : المصدر السابق ٣٤٨/١ ـ ٣٤٩ ، الاصفهاني : المصدر السابق ٢٥٧/١٧ ـ ٢٦١ ، القيرواني : زهر الآداب ٣٩٣/١ ، ابن خلكان : وفياة ٢٢٤/٢ ـ ٢٢٥ ، اليافعي : مرا ١٧٩/١ . والخالد أشعار أخرى في زوجته إبنة عبد الله بن جعفر . وفي زوجته آمنة بنت سعيد بن العاص (البلاذري : المصدر السابق ، م ٤ ، ق ٧٠/٢ ، المبرد : المصدر السابق ٣٤٧/١ ـ ٣٤٨ ، الجاحظ : المصدر السابق ٩٩/٣ ـ ١٠٠) .
(٤٣) ابن عساكر : المصدر السابق ١٢٠/٥ ، ياقوت : المصدر السابق ٤٠/١١ .

أتعجبُ إن كنتَ ذا نعمةٍ
وأنك فيها شريفٌ مهيبُ
فكم وردَ الموتَ من ناعمٍ
وحُبُّ الحياةِ إليه عجيبُ
أجابَ المنيةَ لما دَعتْ
وكَرْهاً يجيب لها مَنْ يجيبُ

ويقول[44]:

الموتُ حوضٌ لا محا
لة فيه، كلُّ الخلقِ شارعُ
ومن التُقى فازرع فإ
نك حاصدُ ما أنتَ زارعُ

ويقول أيضاً:

مَنْ نالَ في الدنيا متا
عاً ثم طال به متاعُه؟
أم أيُّ منتفع بشي
ءٍ دام به إنتفاعه؟

ولخالد قصيدة، يرثي ويمدح فيها جده معاوية وأباه يزيد، ويشيد بفضلها وخدمتها للمسلمين، جاء فيها[46]:

وغالبَ من بني حربٍ رجالاً
هم كانوا الرجال الكاملينا
وهم كانوا الحماة من المخازي
وهم كانوا السقاة المطعمينا
بإذن الله والساعين فيها
يُشرف أمرَ دين المؤمنينا
فغالتهم شعوبُ غيبتهم
وهم عمد لأمر المسلمينا
فلو بقيت نفوسهم عليهم
ولم تجذرهم الدنيا المنونا
لأصبح ماءُ الأرض عذباً
وأصبح لهم دنياهم سمينا

وخالد في هجاءه ساخرٌ ناقدٌ، من ذلك قوله[47] في أخيه أبي بكر بن يزيد بن معاوية[48]:

سمينُ البطنِ من مالِ اليتامىٰ
رخِيّ البال مهزول الصديقِ

وقد سجل خالد، في أبياتٍ له، ما مر به من أحداث، وما عاناه من عدد من خصومه، فمن ذلك قوله[49] ـ بعد أن أساء إليه مروان بن الحكم في أُمه:

أرىٰ زمناً ثعالبه قيامُ
على الأشرافِ تخطر كالأسودِ
وكان الثعلبُ الضباح يرضى
بما يرث الكلاب من الصيودِ

وقال أيضاً[50]:

سرحتُ سفاهتي وأرحتُ حلمي
وفيَّ على تحلُّمي اعتراضُ
على أني أجيبُ إذا دعتني
إلى حاجاتها الحَدَق المِراضُ

---

(٤٤) ابن عبد ربه: المصدر السابق ٢/٢٣٢.
(٤٥) البلاذري: المصدر السابق، م ٤، ق ٢/٧١.
(٤٦) ابن عساكر: ٥/١٢٠.
(٤٧) البلاذري: المصدر السابق، م ٤، ق ٢ / ٧٣.
(٤٨) الطبري: تاريخ ٥/٥٠٠.
(٤٩) البلاذري: م ٤، ق ٢ / ٦٩.
(٥٠) المصدر نفسه والمكان.

واستخدم خالد ، على ما يبدو ، شعره في تدوين تاريخ الأمم وأخبار الملوك فقد ذكر ابن النديم ، في معرض سرده لكتب المدائني (ت ٢١٥هـ) في أخبار الشعراء « كتاب قصيدة خالد بن يزيد في الأحداث والملوك »[٥١]، ويؤيد ذلك كونه « علّامة بأيام الناس عارفاً كتن الفتن »[٥٢].

يتضحّ مما سبق ، مدى اهتمام خالد بالشعر ، وولعه فيه ، حين اتخذه أداةً يعبر من خلالها عما يجيش في نفسه من أحاسيس ومشاعر وفق ما يُمليه عليه فكره وظروفه . وهو بذلك ، شاعرٌ متمكن ، وليس كما يقول أولمان : « لم يكن أكثر من هاوٍ »[٥٣]، ويشهد في ذلك تعدد الأغراض والمناسبات التي تناولها في شعره ، والتي من أصعبها وأدقها الكيمياء ، فكيف يمكن أن يكون الشخص هاوياً ، وقد نظّم علمه شعراً ؟



(٥١) ابن النديم : المصدر السابق ١٠٤ .

(٥٢) ابن أعثم الكوفي : كتاب الفتوح ١٢٧/٧ .

(٥٣) *Ullman : "kalid B. Yazid", Encyclopacdia of Islam, Vol., 4, P. 929.*

المصـــادر

١ ـ ابن الأثير : عز الدين أبي الحسن محمد بن عبدالكريم (ت ٦٣٠هـ) ، أسد الغابة في معرفة الصحابة ـ المكتبة الاسلامية ـ طهران .

٢ ـ الأصفهاني : أبو الفرج علي بن الحسين بن محمد (ت ٣٥٦هـ) الأغاني ، م ١٧ ـ مطبعة التقدم ـ مصر : ١٩٥٩م .

٣ ـ ابن أعثم الكوفي : أبو محمد أحمد (ت ٣١٤هـ) ، الفتوح ، ط ١ ، حيدر أباد الدكن ـ الهند : ١٩٧٤م .

٤ ـ البخاري : أبو عبدالله إسماعيل بن ابراهيم (ت ٢٥٦هـ) ، التاريخ الكبير ، ط ٢ ، حيدر أباد الدكن ـ الهند ١٩٦٣م .

٥ ـ البسوي : أبو يوسف يعقوب بن سفيان (٢٧٧هـ) ، المعرفة والتاريخ ، مطبعة الارشاد ـ بغداد : ١٩٧٤م .

٦ ـ البغدادي : أبو بكر أحمد بن علي الخطيب (ت ٤٦٣هـ) تقييد العلم ، دار إحياء السنة النبوية ، ط ٢ : ١٩٧٤م .

٧ ـ البلاذري : أحمد بن يحيى بن جابر (ت ٢٧٩هـ) أنساب الأشراف ـ مطبعة الجامعة ـ القدس : ١٩٣٨م .

٨ ـ البيهقي : أبو بكر أحمد بن الحسين بن علي (ت ٤٥٨هـ) السنن الكبرى ، ط ١ ، حيدر أباد الدكن ـ الهند : ١٣٤٤ه .

٩ ـ الجاحظ : أبو عثمان عمرو بن بحر (ت ٢٥٥هـ) البيان والتبيين ، مطبعة دار التأليف ـ مصر : ١٩٦٨م .

١٠ ـ ابن أبي حاتم : أبو محمد عبدالرحمن التميمي (ت ٣٢٧هـ) الجرح والتعديل ، حيدر أباد الدكن ـ الهند : ١٩٥٢م .

١١ ـ ابن حجر : شهاب الدين أبي الفضل أحمد بن علي العسقلاني (ت ٨٥٢هـ)

أ ـ الاصابة في تمييز الصحابة ، مصر : ١٣٤٨هـ .

ب ـ تهذيب التهذيب ط ١ ، حيدر أباد الدكن ـ الهند/ ١٣٢٥هـ/ ١٣٢٦هـ/ ١٣٢٧هـ .

١٢ ـ ابن أبي الحديد : عز الدين بن أبي حامد (ت ٦٥٦هـ) شرح نهج البلاغة ، دار الأندلس ـ بيروت .

١٣ ـ ابن حنبل : أبو عبدالله أحمد الشيباني المروزي (ت ٢٤٠هـ) مسند ابن حنبل ، مصر : ١٣١٣هـ .

١٤ ـ ابن خلكان : أبو العباس شمس الدين أحمد بن علي (ت ٦٨١هـ) وفياة الأعيان وأنباء أبناء الزمان ، دار الثقافة ـ بيروت .

١٥ ـ أبو داود : سليمان بن الأشعث بن اسحاق الازدي (ت ٢٧٥هـ) سنن أبي داود ، مصطفى البابي الحلبي ـ مصر : ١٩٥٢م .

١٦ ـ الدارمي : أبو محمد عبدالله بن عبدالرحمن بن الفضل (ت ٢٥٥هـ) السنن ، مطبعة البابي الحلبي ـ مصر : ١٣٧١هـ .

١٧ ـ الذهبي : محمد بن أحمد بن عثمان (ت ٧٤٨هـ)

أ ـ تاريخ الاسلام ، مطبعة السعادة ـ القاهرة : ١٣٦٨هـ .

ب ـ تذكرة الحفاظ ، حيدر أباد الدكن ـ الهند : ١٣٦٥هـ .

جـ ـ سيد أعلام النبلاء ، دار المعارف ـ مصر : ١٩٥٧م .

١٨ ـ ابن سعد : محمد كاتب الواقدي (ت ٢٣٠هـ) الطبقات الكبيرة ، مطبعة بربل ـ ليدن .

١٩ ـ السيوطي : جلال الدين عبدالرحمن بن محمد (ت ٩١١هـ)

أ ـ تاريخ الخلفاء ، ط ١ ، المطبعة المنيرية : ١٣٥١هـ .

ب ـ صوت المنطق والكلام عن فن المنطق والكلام ، ط ١ ، مطبعة السعادة .

٢٠ ـ الطبري : محمد بن جرير (٣١٠هـ) تاريخ الرسل والملوك ، دار المعارف ـ مصر : ١٩٧١ ، ط ٢ .

٢١ ـ ابن الطقطقا : محمد بن علي بن طباطبا (ت ٧٠٩هـ) الفخري في الآداب السلطانية ، دار بيروت ـ بيروت : ١٩٦٦ .

٢٢ ـ ابن عبدربه : أبو عمر أحمد بن محمد الأندلسي (ت ٣٤٠هـ) العقد الفريد ، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر ـ القاهرة/ ١٩٥٦م/ ١٩٦٢م .

٢٣ ـ ابن عساكر : أبو القاسم علي بن الحسين بن هبة الله (ت ٥٧١هـ) التاريخ الكبير (تاريخ مدينة دمشق) ، المطبعة الهاشمية ـ دمشق : ١٩٥٤ .

٢٤ ـ ابن قتيبة : أبو محمد عبدالله بن مسلم الدينوري (ت ٢٧٦هـ) المعارف ، دار المعارف ـ مصر : ١٩٦٩م .

٢٥ ـ القلقشندي : أبو العباس أحمد بن علي (ت ٨٢١هـ) صبح الأعشا في صناعة الأنشا ، مطابع كوستا تسوماس ـ القاهرة .

٢٦ ـ القيرواني : أبو اسحاق ابراهيم بن علي الحصري (ت ٤١٣هـ) زهر الآداب وثمر اللباب ط ١ ، دار احياء الكتب العربية : ١٩٥٣م ١٤

٢٧ ـ ابن كثير : عماد الدين أبو الفداء اسماعيل بن عمر (ت ٧٧٤هـ) البداية والنهاية ط ١ ، مكتبة المعارف ـ بيروت : ١٩٦٦م .

٢٨ ـ المبرد : أبو العباس محمد بن يزيد (ت ٢٨٥هـ) الكامل ، مطبعة نهضة مصر .

٢٩ ـ الميداني : أبو الفضل أحمد بن محمد النيسابوري (ت ٥١٨هـ) مجمع الأمثال ، مطبعة السنة المحمدية : ١٩٥٥م .

٣٠ ـ ابن النديم : محمد بن إسحق (ت ٣٨٥هـ) الفهرست ، مكتبة خياط ـ بيروت : ١٩٦٤ .

٣١ ـ ابن الوردي : زين الدين عمر بن مظفر (ت ٧٤٩هـ) تتمة المختصر في أخبار البشر المسمى (تاريخ ابن الوردي) ، المطبعة الحيدرية ـ ط ٢ ، ١٩٦٩م .

٣٢ ـ ياقوت : شهاب الدين بن عبدالله الرومي الحموي البغدادي (ت ٦٢٦هـ) معجم الأدباء ، مطبعة دار المأمون .

٣٣ ـ اليافعي : عفيف الدين أبي محمد عبدالله بن أسعد (ت ٧٦٨هـ) مرآة الجنان وعبرة اليقظان ، حيدر أباد الدكن ـ الهند : ١٣٣٧هـ .

بحوث التاريخ القديم والآثار

إن تاريخ الأمة العربية يمتد إلى عصور سحيقة في القدم وإن كل الحضارات الأساسية التي نشأت في الوطن العربي إنما هي تعبير عن شخصية أبناء الأمة الذين نبعوا من أصل المنبع الواحد .

الجذور الحضارية للكويت في التأريخ القديم

د . ميمونة خليفة العذبي الصباح
كلية الآداب/جامعة الكويت

مقدمـــة :

لا حاضر بدون ماضي ، ولا حديث بدون قديم لا سيما بالنسبة للتاريخ الذي هو عبارة عن حلقات متسلسلة متصل بعضها بالبعض الآخر .

يعتقد الكثيرون ان تاريخ الكويت حديث يعود الى تأسيس العتوب لحكمهم فيها في الفترة بين أواخر القرن السابع عشر ومطلع القرن الثامن عشر ، بمعنى أنه ليس للكويت تاريخ قديم أو وسيط ، غير أن الشواهد المادية تقطع بأن للكويت تاريخا سطره من نزل أرضها الحالية في العصور القديمة ، ولا بد انه كان كذلك في التاريخ الاسلامي والوسيط ، مثل ما هو قائم في التاريخ الحديث ، لذا رأينا وجوب العودة الى الوراء لجمع الشذرات المتناثرة والمتعلقة بتاريخ منطقة الكويت في العصر القديم . والواقع أن هذه المهمة صعبة للغاية ، ذلك ان تاريخ الكويت القديم أو جذورها الحضارية لم تلق اهتمام الباحثين المختصين من دارسي التاريخ القديم . ولا عجب في ذلك ما دام تاريخ هذه البقعة الصغيرة جدا من الوطن العربي لم يحظ بالعناية الا في السنوات القريبة الماضية ، وبالذات حين أصبحت الكويت واحدة من أغنى الدول المصدرة للنفط ، فشدت إليها الأنظار بعد أن عرفت كيف تستغل ذلك المورد الكبير المتأتي من الذهب الأسود ، في تحويل الصحراء القاحلة إلى جنة عامرة مزدهرة ، وذلك الفقر النسبي الى رخاء ورفاهية لشعب الكويت المثابر الصابر .

وبالتالي فان هذا الاهتمام المتأخر من المؤرخين اقتصر ، اقتصر على تاريخ الكويت الحديث والمعاصر دون ، دون توجيه الاهتمام الى دراسة تاريخها القديم والاسلامي الذي أحجم المؤرخون عن ارتياده ، لادراكهم لمدى ما يحتاجه من جهد مضني ، وجلد مرهق لجمع شتات مادته النادرة والمتناثرة هنا وهناك . لذلك كثرت الحلقات المفقودة من تاريخ الكويت . وهذا ما دفعني للتشبث في محاولة عنيدة لايجاد تلك الحلقات المفقودة من تاريخ وطني العزيز . فرحت أنقب في ثنايا الكتب أينما وجدت ، وأفتش بين خبايا الوثائق مهما عزت وندرت لتحقيق غايتي في الكشف عن جانب لم يكشف من تاريخ الكويت . ولما لم تمدني لا هذه ولا تلك (الكتب والوثائق) بالقدر الكافي من المعلومات التاريخية لجأت الى كتب الآثار وتقارير البعثات الأثرية لا سيما البعثة الدنماركية التي جاءت الى الكويت عام ١٩٥٨ .

ولتكن محاولتي هذه هي المحاولة الأولى لربط حلقات تاريخ الكويت المتصلة بعضها ببعض، لعلها تكون بداية موفقة تتبعها محاولات أخرى من الباحثين ستنتهي بالنجاح ولو بعد حين .

على الرغم من أن الكويت لم تظهر في التاريخ كامارة ذات كيان خاص مستقل بأرضه وسكانه الا في مطلع القرن الثامن عشر حين وصل اليها العتوب واستقروا بها وأنشأوا مدينتهم هناك بزعامة آل الصباح . الا أنني على يقين من أن هذه البقعة الطيبة من الأرض ذات الموقع الاستراتيجي الهام على الركن الشمالي الغربي للخليج العربي،كان لها دورها في التاريخ القديم .

وقد دفعني هذا اليقين الذي يتملكني بدور الكويت التاريخي القديم، الى الرجوع بالدراسة والبحث لتاريخ المنطقة الى فترة بعيدة جدا ترجع الى ما يزيد على ثلاثة آلاف سنة قبل الميلاد في محاولة جادة وجهود مضنية، لاستقراء هذا التاريخ العريق، وجمع كل ما نستطيع التوصل اليه، من أخبار مبكرة تتعلق بالكويت، لا سيما في تلك الفترة

المتقدمة من الزمن . ولا شك أن هذا الجهل ناتج من عدم الاهتمام بدراسة تاريخ هذه البقعة الصغيرة جدا ويتركز عدم الاهتمام ـ مع الأسف الشديد ـ عند الباحثين العرب بشكل يفوق ما عند الباحثين الاجانب الذين سبقوا العرب بشوط كبير في محاولاتهم الاستكشافية للكويت، وذلك بوصول رحالتهم إليها في وقت مبكر من القرن الثامن عشر وكتاباتهم عنها ودراستهم لتاريخها .

صلة مواقع الكويت الحضارية بحضارة بلاد الرافدين[1] :

وقد يعجب القارىء الكريم من محاولاتي لإيجاد دور تاريخي للكويت بهذا البعد المتناهي في القدم . ولكن عجبه لا شك سيزول عندما يتذكر وقوع الكويت على مقربة من بلاد ما بين النهرين القديمة . كما أنها تقع على بقعة كانت وما زالت تشكل طريقا ملاحيا عالميا هاما، يصل ما بين حضارات بلاد ما بين النهرين وسوريا والأناضول ومصر، وحضارات الهند والصين .

ولا بد أن نعود الى هجرات الساميين، من سكان شبه الجزيرة العربية قبل ألفين وخمسمائة عام، واستقرارهم في العراق ، حيث قامت حضاراتهم العريقة، التي هي من أوائل الحضارات الانسانية في العالم . ولا شك أن الساميين قد مروا بالكويت في طريقهم من جزيرة العرب الى بلاد الرافدين، ليقيموا الحضارات الشرقية القديمة وفي مقدمتها الكلدانية والبابلية والأشورية . ولا ينسى دارسو التاريخ دولة حمورابي في بابل منذ القرن الخامس والعشرين قبل الميلاد ، والتي تضافرت الكتب التاريخية على إيراد الأدلة التاريخية واللغوية والاجتماعية على كون هذه الدولة عربية . ولا يخفي ما في ثبوت ذلك من الفخر لعرب المنطقة والعرب كافة، وذلك لما فيه من تأكيد على كون العرب أسبق الأمم الى وضع الشرائع، وسن النظم والقوانين، وتنظيم شؤون الاجتماع[2] . والأمثلة كثيرة على رقي تلك الدولة العظيمة .

ومما يثبت علاقة الكويت بتاريخ بلاد ما بين النهرين هو نتائج ما توصلت اليه البعثة الدنماركية للتنقيب عن الآثار، والتي إستدعتها حكومة الكويت (عام ١٩٥٨) للتنقيب في جزيرة فيلكا، المعروفة محليا بكثرة تلالها الأثرية التي كان سكان الجزيرة ينقلون حجارتها لبناء البيوت. ومن ضمن الأشياء التي عثروا عليها على مقربة من الساحل، آثار بيت مؤلف من اثنتي عشرة غرفة ، غرفتان منها في الوسط ويرجح أنهما كانتا تؤلفان ساحة البيت، أما جدرانه فهي لا تزال قائمة، وهي مبنية في بعض أجزائها من الآجر من النوع المعروف في بابل، مما يؤكد أنه استورد منها . ومن بين المكتشفات الثمينة في هذه الدار، رأس صغير لرجل عليه طاقية مدببة وله لحية شبيهة بلحى أهل وملوك آشور . وإلى هذه الدار كان يأتي ربابنة السفن وبحارتها، بعد نزولهم طلبا للراحة[3] ، وهنا كانوا يجدون الطعام والماء العذب ، ويعبدون آلهتهم ، ويقدمون لها الهدايا والنذور ، وهم في طريقهم الى بلدان المشرق ، وعند عودتهم منها .

ولا يخفي على متتبع تاريخ المنطقة القديم أن جزيرة فيلكا كانت أول محطة تتوقف عندها السفن في طريقها من أوروبا الى الخليج ، الذي كان يمتد حتى المدن السومرية في جنوب العراق ، أي أن المسافة أكثر مما هي عليه الآن ، مما يجعل الرسو في جزيرة فيلكا أمرا طبيعيا[4] ، كما عثرت البعثة على تمثال صلصالي يشبه ملوك بلاد ما بين النهرين ، في العصر الاشوري (ق ٨ ق.م) . وفي هذا ما يثبت أن فيلكا تعتبر من موانيء الخليج العربي القديمة ، ذات الصلة المبكرة بحضارة بلاد ما بين النهرين ، كما يثبت بالدليل المادي الأثري الملموس والظاهر للعيان ، أن للكويت تاريخا قديما ، سطره من نزل أراضيها الحالية في العصور القديمة . ولابد كذلك في العصور الوسيطة ، مثل ما هو قائم في العصور الحديثة ، فالتاريخ كما هو معروف حلقات متصلة متسلسلة . وبالرغم من ذلك فإن تاريخ الكويت القديم شأنه شأن بقية أجزاء هذه المنطقة الحساسة من الخليج والعالم العربي مجهول وغير معروف ، فقد إندثر تاريخ سكان الخليج الذي يبلغ طول ساحله الغربي من مضيق هرمز الى رأسه عند مصب

---

(١) الصورة ملحق رقم (١).

(٢) جرجي زيدان العرب قبل الاسلام ، ص ١٠.

(٣) تقرير شامل عن الحفريات الأثرية في جزيرة فيلكا ـ وزارة الارشاد والأنباء (الإعلام) إدارة الآثار والمتاحف ، ص ١٢٩ .

(٤) تقرير مختصر عن أعمال بعثة الآثار الدنماركية في جزيرة فيلكا في عام ١٩٥٨ و ١٩٥٩ المنشور في مجلة الكويت اليوم بعددها ٢١٨ بتاريخ ٢٩ مارس ١٩٥٩ . ملحق رقم (٢) .

شط العرب في العراق حوالي (٨٠٠) كيلو متراً . استمر علماء التاريخ في زعمهم بأن بعض جزر الخليج العربي الكبيرة مثل البحرين كانت مقابر سكان الساحل الشرقي من الجزيرة العربية المحاذي للبحرين ، وساعد على اعتقادهم هذا قرب الساحل من الجزيرة ، وأصبح كل ما نعرفه وتبقى لنا من معلومات من تاريخ الخليج العربي القديم هو بعض التلميحات التي وردت في الكتابات المسمارية ، من حضارات ما بين النهرين[٥] ، فبعض هذه الكتابات عبارة عن وثائق تاريخية ، تصف رحلات بحرية في الخليج العربي ، من المدن السومرية (أور ولارسا ولجش ونيبور) .

وقد وصف تاريخ الجزيرة العربية في العصور التاريخية القديمة بالغموض، ولعل ذلك الغموض نشأ عن قلة المعلومات التي توفرت في مطلع قرننا الحالي والقرن الماضي للعلماء ، اذ لم تتح لهم الفرص الكافية للتنقيب عن الآثار البشرية العائدة للعصور التاريخية القديمة في شتى أنحاء الجزيرة، غير أن ما اسفرت عنه الحفريات الأثرية في جزيرة فيلكا الكويتية، في النصف الثاني من هذا القرن سيحتم إعادة النظر في آراء جورجي زيدان وغيره، في تاريخ الجزيرة القديم بالنسبة الى هذا الجزء من الجزيرة العربية على الأقل، وبالتالي فان إمكانية الوجود الحضاري الكويت في التاريخ القديم لم تكن من قبيل التخرص والتكهن ، بل لقد أضاف التنقيب الأثري الذي بدأ في أراضي الكويت البرية والبحرية ما يثبت ذلك . هذا الى جانب كون الكويت تنفتح غربا على الجزيرة العربية التي هي جزء لا يتجزأ منها ، كما تنفتح بحرا على الخليج العربي ، فكان لا بد من أن يكون تاريخها من قديمه ووسيطه وحديثه مرتبطا إرتباطا وثيقا بالجهات المشار اليها وهي أشد ما تكون ارتباطا بالجزيرة العربية وسكانها .

الصلة التاريخية للكويت بالمواقع الحضارية في منطقة الجنوب العربي والجزيرة العربية :

ولما كان تاريخ البلدان المحيطة بالخليج العربي والجزيرة العربية هو تاريخ مترابط متشابك يصعب فهم جزء منه دون إدراك ما كان يجري في ذات الوقت في الأجزاء الأخرى ، فان هذا الترابط والتشابك جعلنا نتأكد من تأثر تاريخ الكويت القديم بالحضارات التي قامت في دول الجنوب العربي والتي بسطت نفوذها على اليمن وحضرموت وعدن[٦] . فبالنسبة لتاريخ اليمن القديم درج المؤرخون على تقسيمه الى عدة أدوار بعيدة جدا في القدم تبدأ بالدور الخرافي أو الدور الميثولوجي ، وهي ليس من التاريخ الحقيقي في شيء ، وعلى ذلك لا يمكن تحديد تاريخ له أو الدور النبطي (؟ ـ ٣٠٠٠ ق.م.) ولا يمكن أن نحدد بداية له ولا نعرف عاصمته ، يليه الدور المعيني (٣٠٠٠ ـ ١٠٠٠ ق.م) وكانت العاصمة فيه قرناو وموضعها الحديث معين الى الشمال من صنعاء . أما العاصمة الدينية فكانت « يثيل » ومكانها اليوم براقش والدور الرابع هو السبأي (١٠٠٠ ـ ١١٥ ق.م.) وكانت العاصمة في عهد المكارب « صرواح » ، وفي عهد الملوك « مأرب » . والدور الخامس هو الحميري الأول (١١٥ ق.م. ـ ٣٠٠ م) وكانت العاصمة خلاله « ظفار » ، الى الجنوب الغربي من صنعاء . والدور السادس هو الحميري الثاني (دولة التبابعة ٣٠٠ ـ ٥٢٥ م) وكانت العاصمة « ظفار » أيضا . والدور السابع هو الحبشي (٥٢٥ ـ ٥٧٥ م) وكانت العاصمة « صنعاء » . أما الدور الثامن والأخير فهو الفارسي (٥٧٥ ـ ٦٣٢ م) والعاصمة « صنعاء » أيضا[٧] . أما عن علاقة الكويت بدول الجنوب العربي فان الآراء تتجه الى أن دولة معين ثم دولة سبأ التي حكمت بعدها وحمير التي أعقبتهما كانت لها مراكز تجارية تنتشر على الخليج العربي وعلى الفرات وعلى الطريق البري المتجه من اليمن جنوبا من معين وصرواح ومأرب وصنعاء الى تيماء وغيرها من مدن الحجاز والبتراء وغزة شمالا . ولا يستبعد قيام علاقات تجارية بين دول الجنوب ، وفيلكا حيث أنها كانت واقعة على الطرق البحرية التجارية بين وادي الرافدين وبقية مناطق الخليج والجزيرة العربية، لذلك فقد توفرت جميع الأسباب لقيام حضارة غنية تعتمد على التبادل التجاري وعلى الرسوم البحرية من السفن التي كانت تمر في موانئها ومما يشير إلى العلاقات بين فيلكا والجنوب قطعة نقود فضية صغيرة (دراخما) يمكن أن تعزى الى الدولة المعينية .

---

(٥) ملحق رقم (٣) .
(٦) د. أحمد مصطفى أبو حاكمة تاريخ الكويت ، جـ ١ ، ص ٤٨ ـ ٨٨ .
(٧) محمد مبروك نافع ، مصر ما قبل الاسلام ، ص ٥١ .

أعمال البعثة الدنماركية للتنقيب عن الآثار

وفي ضوء المكتشفات الأثرية المهمة في البحرين قررت حكومة الكويت استدعاء البعثة الدنمركية للتنقيب وذلك عام ١٩٥٨ (كما سبق ذكره).

فبادرت البعثة المذكورة بالتنقيب في جزيرة فيلكا وهي على ثقة بأنها ستكتشف معالم من زمن الاسكندر الأكبر ، ولكن سرعان ما تبين وجود آثار تعود الى أزمان أبعد بكثير ، والى عهود ساحقة في القدم ، فقد اتضح أن في الجزيرة تلال عديدة ، يعود بعضها الى العصر البرونزي القديم ، وتتكون منطقة الحفريات في الجزيرة من عدة تلال متقاربة ، أهمها تلال سعد وسعيد[٨] . وقد أشار د.ب.ف. جلوب رئيس البعثة أنهم عثروا في مناطق صحراوية في أطراف جون الكويت غير بعيد عن قرية الجهراء (كاظمة) على حجارة الظران وأشياء أخرى من مخلفات الانسان «الصياد» الذي كان يعيش على هذه البقعة من العالم . وأكد أن عمر هذه الأسلحة الحجرية يرجع الى نحو خمسين ألف سنة[٩] . وهذا ما يجعل تلك الحضارة هي أول حضارة من الناحية الزمنية وجدت في الكويت . الا أننا لم نبدأ بها نظرا لقلة الآثار الخاصة بها[١٠] . كما أننا أردنا بحث نتائج الآثار المتعلقة بحضارات بلاد ما بين النهرين العريقة والمشهورة والتي يعتز بها العرب كونهم أصحاب أقدم الحضارات ، ولاثبات تأثر الكويت بهذه الحضارات وصلتها القوية وإيضاح دورها التاريخي المتقدم . وفي ذلك كله ما يؤكد بما لا يدع مجالا للشك بأن للكويت باعا طويلا في تأثير الحضارة المصرية[١١] : ولعلنا نستطيع أن نذهب الى أبعد من ذلك فندعي وجود بعض الصلة أو التأثير للحضارة المصرية القديمة وسكان هذه المنطقة فبعد أن كانت الصلة العرقية بين المصريين القدماء والعرب تبدو وكأنها مفقودة لأول وهلة الا أن هذه الصلة في الواقع وثيقة بين الشعبين ، اذ ينتمي كل من المصريين والعرب عموما الى سلالة البحر المتوسط ، وهذه السلالة هي التي انتشرت في بلاد العرب وغرب آسيا (فيما عدا هضاب الأناضول). وانتشرت في ساحل إفريقيا الشمالي وبعض أطراف أفريقيا الشرقية ، وقد احتفظ المصريون بنفس الصفات الجسمية التي ربطتهم منذ عصور ما قبل التاريخ بسكان غرب آسيا الذي يعرف الآن باسم الشرق . كما ثبت وجود علاقة تجارية لحضارة البداري ـ التي تعتبر من أقدم الحضارات المصرية ـ مع غرب آسيا وربما مع منطقة الخليج العربي . وقد سبق وبينا أن فيلكا تعتبر من موانئ الخليج العربي القديمة ، وذلك الى جانب وجود صلات بين حضارة نقاده الأولى مع غرب آسيا وخاصة أن الفخار المكتشف بها عليه زخارف تشبه الزخارف المرسومة على فخار حضارات غرب آسيا. وبالرغم من صعوبة تحديد كيفية هذا الاتصال نظرا لكون حضارة نقاده الأولى لها جذور عميقة في الحضارات السابقة في مصر إلا أن باو مجارتل (**E. Baumgartel**) (عالمة آثار) تدعى أن هذا التأثير قد تم عن طريق الخليج العربي حيث عثر على حضارات الفخار الملون في «بندر بوشهر»«وهرمز» القديمة وعلى السواحل الجنوبية للجزيرة العربية وليس هناك شك من صلة جزيرة فيلكا الكويتية بهذه الأماكن وقربها منها .

وبالرغم من أن الحضارات المصرية الأولى في الفيوم والبداري ونقاده الأولى كلها حضارات أنشأها مصريون من عناصر غير سامية وظهرت في تاريخ لم يظهر به العنصر السامي على مسرح الأحداث التاريخية في جميع أنحاء الشرق الأوسط والجزيرة العربية ولا حتى في جنوب بلاد الرافدين الا أن عالم اللغة السومرية والاكادية لاندزبرجر ويؤيده في ذلك كرامر (**Kiramor S.N.**) يذهب الى أن اللغة السومرية تشمل على كلمات سامية هي كلمات الحضارة مثل فلاح ، ومحراث ، وصانع الزجاج وصانع التعدين ... الخ . وان أصحاب هذه اللغة السامية السابقة للسومرية هم أهل «العبيد»، من أقدم مدن جنوب بلاد النهرين وهم حملة الحضارة الحقيقيون الى جنوب بلاد الرافدين ، وكان منهم أيضا ملوك مدن ، وتوارثها عنهم السومريون ، ثم أن هؤلاء الساميين انتشروا بعد ذلك حول ساحل

---

(٩) التقرير السابق عن الحفريات الأثرية في جزيرة فيلكا (وزارة الإرشاد والأنباء) ص ٩ . ملحق رقم (٤).

(٩) أكد صاحب « لمع الشهاب » أهمية المواقع التاريخية في الجهرة وما حولها في الصفحات ٤٣٠ ـ ٤٣٤ من كتابه للملاحق رقم ٥ ، ٦ ، ٧ .

(١٠) تقرير وزارة التربية (١٩٦٤م) عن أعمال الحفر التي قامت به البعثة الدنماركية للتنقيب عن الآثار من عام ١٩٥٨ ـ ١٩٦٣ .

(١١) ملحق رقم (٨).

الجزيرة العربية وكان هذا الطريق واحدا من الطرق التي وصل منها الساميون الى مصر .

وأول فوج من الساميين أمكن التحقق من وجوده في مصر كان في عصر نقاده الثانية في مصر العليا . ويعتقد أنه في بداية هذا العصر جاءت أقوام أجنبية الى وادي النيل كتجار مسالمين ثم أغرتهم ثروات مصر وإمكانياتها المتطورة على اتخاذها موطنا لهم . واليهم يعزى العنصر السامي القوي في اللغة المصرية القديمة ويعتمد ذلك على منظر مصور على سكين عثر عليها في الصحراء الشرقية بمصر (ومحفوظة الآن بمتحف اللوفر بباريس) وتعرف باسم (سكين جبل العركي) . وقد صور على يد السكين مناظر تصور وصول قوم جدد . وصور على أحد وجهي السكين منظر معركة استخدمت فيها العصي ثم في الصف الأسفل منظر مراكب تمتاز بارتفاع مقدمة المركب ومؤخرتها وأسفل هذا الصف أيضا مراكب مختلفة أصغر حجما وعلى الوجه الآخر صورة رجل واقف بين أسدين . ويقال أن المراكب تشبه مراكب عثر عليها في نقوش سومرية . وان صورة الأشخاص على تلك السكين تشبه صورة الأشخاص المنقوشة على زهرية من المرمر من (الوركاء) في العراق . ولكن أصل الأقوام الذين جاءوا الى مصر غير مؤكد[١٢] . ولما كان قد عثر في البحرين (دلمون) وفي جزيرة فيلكا الكويتية على نفس آثار الحضارات التي عثر عليها في العراق بل تتميز حضارة هاتين الجزيرتين بأنها حضارة تجارية بحرية فلا يستبعد كون مراكب هؤلاء التجار ورجالهم هي التي جاءت إلى مصر ، لا سيما وأن رداء الرجل الواقف بين أسدين في الصورة يشبه رداء سكان هذه المنطقة فهو يضع فوق رأسه غترة مثبتة بواسطة عقال ، أما شعر رأسه الطويل فقد دفع خلف رأسه وصدره غير واضح ولكنه في الغالب عار . ويلبس حول نصفه الأسفل أزرار يتزل الى ما تحت الركبة ويرجع أن هذه الصورة لا تمثل رجلا سومريا بل زعيما لقبيلة عربية بدوية تعيش على حافة الصحراء كما يبين المنظر حيث أن المنطقة تمثل بيئة صحراوية خالية من الأشجار وليست إقليما زراعيا مثل بلاد الرافدين التي هي مثل وادي النيل . وبما أن بيئة الكويت الصحراوية تقع على حافة اقليم بلاد ما بين النهرين الزراعية لذا فمن المحتمل أن تكون الصورة تمثلها .

ومن هذا كله يثبت أنه قد نشأت صلات قديمة بين مصر وشبه الجزيرة العربية وبلاد الرافدين منذ عصور سحيقة وقد تحقق الدور الذي قامت به سواحل الخليج العربي في البحرين والكويت (فيلكا) من نقل تجارة عالمية بين بلدان الشرق الأوسط من ناحية ومن إسهامها في نقل الحضارة بين بلدان المنطقة أو تطويرها في العصور المبكرة . وقد استمرت هذه الصلة ولم تتوقف وإن كانت غير معروفة في كثير من جوانبها بسبب انعدام أعمال التنقيب أو بدئها في وقت متأخر بحيث لم تظهر نتائجها كاملة حتى الآن . ولكن أمكن الاستدلال من الأعمال الظاهرة في الخليج وشبه الجزيرة العربية عن وجود هذا الاتصال[١٣] . فقد وجد في جزيرة فيلكا الكويتية آثار مصرية قديمة تدل على الصلات بين حضارتها والحضارة المصرية ومن ذلك بعض جعران الذي يشبه الجعران المصري، كما أن صور جلجامش وجدت منقوشة على بعض الأختام المستديرة ذات الوجهين والتي عثر عليها في الجزيرة ولا شك أن الاستمرار في التنقيب في هذه المنطقة المهمة من الشرق الأوسط سيكشف القناع عن كثير من الأسرار والألغاز المرتبطة بأصل وجنس الانسان الذي سكن الشرق القديم . فحتى الآن لم يعرف أصل الانسان في الخليج وكذلك لم يتمكن العلماء من معرفة أصل السومريين من سكان جنوب العراق فربما نجد الحلقة المفقودة في الخليج العربي ، وفي جزر هذا الخليج وعلى سواحله الغنية بالمناطق الأثرية التي يعود بعضها الى العصور الحجرية القديمة[١٤] ، والى حضارات عريقة جدا فقد أظهرت الحفائر في تل سعيد في جزيرة فيلكا على سبيل المثال على منطقة سكنية بنيت في عهود مختلفة يعود أقدمها الى الألف الثالث قبل الميلاد وتم اكتشاف ثمانية أختام في الطبقات السفلى من هذه المنطقة ويعود تاريخ هذه الاختام الى حوالي

---

(١٢) بحث عن العلاقات المصرية العربية في العصور القديمة للاستاذ محمد عبد القادر محمد ـ منشور بكتاب مصادر تاريخ الجزيرة العربية ، جـ ١ الذي أصدرته جامعة الرياض عام ١٣٧٧هـ ١٩٥٧م .

(١٣) نفس المبحث ، ص ١٣ ـ ٣٠ .

(١٤) تقرير البعثة الدنمركية الذي أعدته وزارة الإرشاد والأنباء (الإعلام) ، ص ٢٣ .

٢٥٠٠ ق.م. وتمتد آثار هذه المنطقة الى أعمق طبقة في التل الشمالي الذي يعود تاريخه الى العصر البرونزي ، وذلك بعد أن تم التوصل الى التربة العذراء التي تحدد نمو التل التدريجي في العصر البرونزي وفي العصر الحديدي نوعا ما ، ففي تل سعيد كان ما اكتشف قد زاد في معرفتنا للحضارات المحلية خصوصا في ميدان الفخار والمكان المحصن الذي وجد تحت هذا التل يمثل العصر الحديدي (العصر الهيليني) بأضيق وأشهر صورة فقد وجد كثير من الفخار وكمية من النقود لا سيا مجموعة تتألف من ثلاث عشرة قطعة فضية هيلينية من فئة أربع دراخمات . كما أمكن الاستنتاج أنه كان في فيلكا في العهد الهيليني مدرسة محلية للبناء اعتادت أن تعمل بأدوات بسيطة ومواد سهلة وأولية وهذه المعلومات عبارة عن انطباعات البنائين من أهل الجزيرة أكثر منها دراسة دقيقة لنماذج لا يعتقد أنها وجدت فوق أرض هذه الجزيرة . وكأن الأمر عبارة عن نسخ للمظاهر المسطحة لفن البناء الأجنبي .

المواقع الحضارية في منطقة الخليج العربي وصلتها بالمواقع الكويتية :

هذا ولم تقتصر المناطق الأثرية في الخليج على جزيرة فيلكا الكويتية ودلمون البحرينية فقد ثبت وجود آثار لحضارات عريقة وقديمة قامت في بقية أنحاء الخليج العربي فقد تم اكتشاف كميات من الحجر الصوان في قطر في الحمله وراس عوينات علي . وتم تحديد ما يقارب خمسين موقعا فيها آثار أحجار صوانية من العصور الباليوليثية والنيولوتية، كلها على وجه الصحراء . كما تم اكتشاف عدد من الآثار في منطقة ينولوتية جنوب دخان في قطر حيث تم اكتشاف ما يزيد على ٢٠٠ رأس نبل وعدد كبير من الفؤوس والمقاشر الحجرية . وفي جزيرة أم النار في أبي ظبي تم التنقيب في عدة مقابر أثرية من الألف الثالث قبل الميلاد ، وهندستها معقدة وتحتوي على هياكل عظمية وخرز وفخار عليه رسوم ، وهذه المقابر مغطاة بحجارة منحوتة ، بعضها يحتوي على رسوم ونقوش بارزة على هيئة ثيران وجمال وأفاعي وحيوانات أخرى وهذا يبرهن على أن الساحل الشرقي من الجزيرة العربية كبقية مناطق الشرق الأوسط غني بالآثار والحضارات القديمة . هذا وينتظر أن تكشف الحفريات المقبلة عن آثار ذات أهمية كبرى في دراسات تاريخ الانسان وتاريخ الشرق القديم .

كما ثبت أن حضارات منطقة الخليج العربي القديمة كانت متوازية ومتقاربة من حيث الفترة الزمنية التي قامت فيها وفي كونها متشابهة في نوعياتها فقد كان من نتائج حفريات تل سعد الكبير (يقع في الجهة الغربية من تل سعيد (سالف الذكر) في جزيرة فيلكا الكويتية فاتضح أن المنطقة السكنية في هذا التل كانت معاصرة للطبقات السكنية في جزر البحرين وقد تم اكتشاف أوان حجرية من الحجارة السوداء المسماة الحجر الصابونى (استياتات) كما وجدت طبقات متعاقبة وفي كل طبقة قطع كثيرة من الفخار وعظام الحيوان والأصداف البحرية . وبعد فحص الفخار المستخرج من الطبقات ظهر أنه يمثل عدة عهود مختلفة ووجدت أسس جدران غرف مبنية بالحجارة التي توجد على ساحل الجزيرة وعثر في هذه الغرف على قطع كثيرة من النحاس والأختام المصنوعة من الحجر الهش الاستياتايت وقد بلغ عددها ٤٠ ختما وعلى ظهرها المدبب ثلاث خطوط متوازية وأربع حلقات وتتكرر هذه الخطوط والحلقات في جميع الأختام المكتشفة في فيلكا وجزر البحرين وهي تختلف عن أختام العراق الاسطوانية وأختام الهند المربعة . كما تجمعت رموز صورية كثيرة من هذه الأختام تشابه الكتابة العيلامية الصورية ويحتمل أن يعود تاريخها إلى بداية الألف الثالث قبل الميلاد ، وقد اكتشفت ضمن هذا الموقع أيضا قطعة من رقيم عليها كتابة مسمارية تذكر إسم « انزاك » اله دلمون . كما اكتشف معبد تبين من الكتابات المسمارية والأواني الحجرية والألواح الطينية عودته للاله « انزاك » اله دلمون . وذلك الى جانب اكتشاف ختم من الطراز الدلموني المدبب . وبما أنه من المعروف أن دلمون هي البحرين فقد تكون فيلكا هي مقرا لها أو جزءا منها[١٥] .

ويرى الدكتور سليمان سعدون البدر (أستاذ التاريخ القديم في جامعة الكويت) أن دلمون لقديمة تمثل المنطقة الممتدة على طول الساحل الشرقي للجزيرة العربية من الكويت حتى مدخل الخليج عند مضيق هرمز ، وتعرف هذه المنطقة كلها باسم دلمون وان جزيرة الحرين

---

(١٥) التقرير السابق لبعثة الآثار الدنماركية المعد من قبل وزارة الإرشاد والأنباء ، (الاعلام) ، ص ٢٠ ـ ٢٢.

كانت المركز الرئيسي ، أو العاصمة لها . كما كان لها مواقع أساسية أخرى في البحر مثل فيلكا وأم النار وتاروت وهي مناطق لعبت دورا أساسيا في النشاط الاقتصادي والصلات التجارية مع كل من بلاد الرافدين ووادي السند . ويدعم الدكتور البدر رأيه بما وجد من ترابط وصلة وثيقة بين المخلفات الأثرية المادية والفكرية في كل من فيلكا والبحرين والساحل الشرقي للجزيرة العربية وقطر ودولة الامارات منذ الألف الرابع (ق.م.) وخلال العصور التالية . وذلك من خلال ما لمسه من تشابه كبير بين الأختام الدائرية والصناعات الفخارية والحجرية التي وجدت في آثار تلك المناطق . كما لمس هذا التشابه في الناحية الدينية المتمثلة في تشييد المدافن وطرق الدفن مع وجود بعض المظاهر الحضارية كظاهرة تواجد التضحية البشرية في دولة الامارات وهو ما لم يثبت تواجدها حتى الآن في أي جزء آخر من منطقة الخليج[١٦] .

وعلى العموم فإن منطقة الخليج بدأت تفصح عن وجهها كوحدة إقليمية تاريخها واحد، تستمده من وحدة العمل وكطريق بحري عالمي وأكبر مصدر للؤلؤ الطبيعي في الماضي وكذلك أكبر مصدر للنفط في الوقت الحاضر يجمعها التراث الواحد والنظرة الواحدة الى المستقبل والمصير الواحد .

ولقد أثبتت الحفريات والاكتشافات الأثرية أن هناك علاقات تاريخية وثيقة بين أجزاء منطقة الخليج . مثال ذلك الاكتشافات الأثرية التي حدثت في فيلكا الواقعة في مدخل خليج الكويت .أن هذه الجزيرة كانت مستودعا لمعلومات تدل على بعض تفاسير تاريخية كانت غامضة في السابق تحكي عن علاقات تلك الأقوام التي تسكن في هذه المنطقة ومن تلك الأشياء التي عثر عليها ولأول مرة آثار ترجع الى العصر البرونزي وقد ألقت الضوء على موطن أهل دلمون والتي جاء ذكرها في الأساطير السومرية وذلك اثر ربطها بعمليات التنقيب التي جرت في البحرين . ويفترض العديد من الخبراء أن هذه المنطقة كانت جزءا لا يتجزأ من حضارة سالفة معاصرة لحضارات ما بين النهرين . ولقد ساعدت هذه الاكتشافات التي تمت في فيلكا على كشف العلاقة المعاصرة بين فيلكا والبحرين، كما ثبت أن الجزيرة مليئة بالكنوز التاريخية لحقب مختلفة من التاريخ . فان الأختام التي وجدت في فيلكا كانت مماثلة لتلك التي وجدت في البحرين . وقد اكتشفت في فيلكا قطع من تماثيل بشريين عليهما نقوش مسمارية تدل على اسم الاله (.انزاك) بينما اكتشف اناء خزفي في البحرين عثر عليه في معبد باربار ويعتقد أن جزيرة فيلكا كانت تابعة لجزيرة دلمون ومن هنا نجد الترابط التاريخي بين الكويت والبحرين وسائر مناطق الخليج العربي والذي يؤكده علماء الآثار اليوم .

لقد عثر في البحرين على أختام شبيهة بأختام مماثلة لما وجد في جزيرة فيلكا . والبحث في تاريخ المنطقة القديم يقودنا الى تلك الآثار والأحجار الصوانية التي اكتشفت في قطر والعلاقة بين تلك الآثار ومثيلاتها التي اكتشفت في البحرين . ويرى العلماء أن منطقة الخليج من أقدم المناطق التي سكنها الانسان وكذلك البلاد المحيطة بها .

ان وحدة الدوافع الروحية والاجتماعية هي التي تعرف نشاط النوع الانساني في تطوره الأول . هذه الدوافع أدت الى ظهور أنماط متشابهة في انتاج أولئك البشر في الأكل والغناء الجماعي وصنع الأدوات والحلي على نحو متشابه في الطراز وطرق الأداء[١٧] .

ومما تقدم مما يعزز رأي الدكتور البدر في أن دلمون كانت مملكة ذات وحدة حضارية وسياسية تضم الجزء الغربي من الخليج العربي وتشتمل على الجزر مثل فيلكا والبحرين وتاروت وأم النار ، وربما كانت البحرين عاصمة لهذه المملكة ، ويذهب الدكتور سليمان الى أبعد من ذلك حين يعتقد أن نفوذ هذه المملكة إمتد الى الداخل فوصل الى ثاج وبيرين وذلك من أجل السيطرة والتحكم في طرق التجارة التي تتبعها القوافل التجارية[١٨]

وبوجه عام فان نتائج محاولات العلماء في هذا الصدد لا تزال في دور مبكر من الدراسة لا سيما وأن نتائج الحفائر اتخذت لها كياناتها المستقلة في كل مركز على حدة دون تواجد الدراسة المقارنة

---

(١٦) د. سليمان سعدون البدر ، منطقة الخليج العربي خلال الألفين الثاني والأول ق.م. ، ص ١١٢ ـ ١١٤ .

(١٧) عبد الكريم العريض مقال (الفنون التشكيلية في البحرين على مر العصور وعلاقتها التاريخية) مجلة الوثيقة البحرينية مجموعة أبحاث في مؤتمر البحرين عبر الخليج .

(١٨) د. سليمان سعدون البدر ، نفس المصدر ، ص ١١٤ ـ ١١٥ .

المستفيضة في هذا المجال بين هذه الوحدات[١٩] إلا أننا نستطيع أن نأخذ منطقة الخليج والساحل الغربي منه بالذات كوحدة جغرافية وبالتالي نميز له صفات حضارية وتاريخ عريق مترابط متقارب متجانس متكامل بحيث يكون وحدة حضارية وتاريخية وذلك في الوقت الذي لا نستطيع أن نجزم فيه بعوده هذه المنطقة الى منطقة دلمون واعتبارها أجزاء أو مراكز منها حتى تظهر نتائج الدراسات التي تثبت وتؤكد لنا ذلك .

وما دمنا قد اعتبرنا منطقة الساحل الغربي للخليج العربي وحدة حضارية وتاريخية فيمكن أن تميزه من تمتعه بالعديد من الموانيء الطبيعية والمراسي المحمية وذلك في الوقت الذي توافرت فيه مياه الشرب من العيون والآبار في كل من واحه الاحساء وقطر وشبة جزيرة مسندم وفي بعض الجزر مثل فيلكا والبحرين وأم النار . وكانت المياه الدائمة التي تصب في الخليج هي نهرا دجلة والفرات ونهر كارون ونهر الكرخة وكلها تصب في رأس الخليج . كما يمكن القول بأن أنهاراً عظيمة كانت تصب في الساحل الغربي عبر نظام التصريف العظيم الإمتداد . كذلك تميزت بيئة منطقة الخليج بتواجد المواد الأولية كالنحاس والأحجار واللؤلؤ وبعض العظام وأدى موقع الخليج الجغرافي الى ممارسة سكانه نشاطا اقتصاديا تمثل في التبادل التجاري المباشر أو عن طريق تجارة المرور ونشأت تبعا لهذا مراكز حضارية وتجارية هامة مثل فيلكا والبحرين وتاروت والجرعاء وامتدت هذه المراكز على طول الساحل الى قبة يحيى[٢٠] في جنوب شرقي إيران حتى مراكز حضارة وادي السند .

ويعتبر طريق الخليج العربي رئة بلاد الرافدين ونافذته الواسعة التي كان يطل منها على العالم عبر العصور التاريخية الى الوقت الحالي . وذلك الى جانب كونه يمثل الحدود الجنوبي لمدن بلاد الرافدين فهو إذن وسيلة حماية كما أنه وسيلة إتصال في المجال الاقتصادي سواء مع مصر القديمة عن طريق البحر العربي حول شبه جزيرة العرب والبحر الأحمر ووادي الحمامات أو مع وادي السند والمراكز الحضارية الممتدة من مدخل الخليج على طول الساحل العربي الى أقصى المراكز حيث تفرغ شحنات بضائعها في ميناء لوثال[٢١] . وبهذا ساهم الخليج مساهمة كبيرة في إثراء مدن جنوب بلاد الرافدين حيث استقبلت هذه المدن مختلف المواد التجارية وصدرت عن طريقه بضائعها الى هذه الجهات عن طريق الخليج أيضا ومن ثم كانت المحافظة على الإتصال المباشر مع الخليج من أولى مهام ملوك بلاد الرافدين .

ومما تقدم يتبين أن منطقة الخليج العربي ذات البيئة الجغرافية والاقتصادية المميزة والموقع الاستراتيجي كانت مؤهلة أن تلعب دورها الأساسي في الصلات التجارية بين بلاد الرافدين ووادي السند وأفريقيا وفارس . وتبين أن السلع التجارية المختلفة قد توفرت في مناطق العالم القديم نتيجة للتفاوت بين بيئة كل من بلاد الرافدين ومنطقة الخليج ووادي السند مما أدى الى توافر مواد معينة في كل بيئة تفتقر اليها بيئة أخرى فكان أن تبودلت هذه المنتجات المحلية ونشأ من ذلك نشاط تجاري تمثل بالعمليات التجارية المباشرة وغير المباشرة . ومن أهم المواد التي دخلت ضمن التبادل التجاري بصفة عامة الحبوب والصوف والمنتجات الصوفية والفضية والذهب والناحس والأحجار الكريمة والأحجار والرخام واللؤلؤ والتمور والبصل والأخشاب . وبذلك تهيأت الفرصة لقيام تبادل تجاري هام وجد له طرقا يسيره لم تقم موانع جغرافية كبيرة في سبيلها . والى جانب هذه الصلاة والعلاقات التجارية والاقتصادية والحضارية كان الخليج العربي وسيلة إتصال كما دلت الوثائق الملكية والرسمية على صلات سياسية قوية بين المراكز الحضارية في الخليج العربي والتي تنتمي الى أواخر الألف الثالث ق . م . كما أكدت هذه الصلات السياسية حولية سرجون (Sargons Chronicle) ٢٣٣٤ ـ ٢٢٧٩ ق . م . وهي أخبار تاريخية مدونة على لوحة موجودة حاليا في المتحف البريطاني تحت رقم (٢٦٤٧٢) ولها تكملة تحت رقم (٩٦١٥٢) ويعود تاريخها الى عصر الدولة البابلية الحديثة (٦٢٦ ـ ٥٣٨ ق . م .) . وجاء نعي الملك الأشوري شوكولتي نتورتا الذي ورد فيه لقب (ملك دلمون وملوخا) دليلا آخر على وجود صلات

---

(١٩) د. سليمان سعدون البدر ، منطقة الخليج العربي خلال الألفين والرابع والثالث ق.م. ، ص ١٨٧ .

(٢٠) تبة يحيى : ـ موقع حضاري عريق في القدم يقع جنوب شرقي إيران .

(٢١) د. سليمان البدر ، نفس المصدر .

سياسية . يضاف الى هذه الصلات التجارية والسياسية بين بلاد الرافدين ومنطقة الخليج العربي تلك الصلات الفكرية التي كانت تنمو نتيجة للاتصال التجاري والتي تنعكس في وثائق أرشيف معبد ننجال حيث تشير هذه الوثائق الى ما كان يقدمه تجار دلمون من مواد تجارية تمثل عشر دخولهم وذلك في سبيل اظهار شكرهم وامتنانهم على عودتهم سالمين إلى البلاد . ولا شك أن هذا التأثير الفكري كان له أثر كبير في توطيد صلات الخليج ببلاد الرافدين .

وهكذا لعبت الصلات التجارية والاقتصادية دورا بارزا في مجال العلاقات بين منطقة الخليج العربي وبين كل من وادي السند وبلاد الرافدين من خلال الألف الثالث والثاني والأول ق . م . مما أدى الى وجود صلات سياسية وفكرية واجتماعية بين هذه المناطق والتي أكدتها الوثائق الملكية والعقود وكتابات المعابد والمراسلات التجارية والكتابات الأدبية والمخلفات الأثرية[٢٢] .

وبذلك سادت منطقة الخليج العربي حضارات محلية عريقة تميزت بنتاجها المحلي حيث توفرت لإنسان المنطقة جميع الأسباب المؤدية لقيام حضارة انسانية لها طابعها المحلي فقد كشفت التنقيبات الأثرية في عدة مناطق من الخليج العربي عن وجود مراكز استيطانية خلفت وراءها مجموعة من العناصر الحضارية وخاصة ما يتعلق بصناعة الأواني الفخارية والأختام المستديرة . ولعبت منطقة غرب الخليج العربي دورا أصيلا في تاريخ وحضارة المنطقة بما حبتها الطبيعة من إمكانيات تجارية وملاحية بما ضمته سواحلها من معادن ومواد أولية كانت تتطلبها الحياة الاقتصادية[٢٣] . فكان لهذه المنطقة طابعها المحلي الى جانب التأثير بالحضارات المجاورة والتي نتجت عن الصلات والعلاقات الإقتصادية والسياسية والفكرية والاجتماعية القائمة بين منطقة الخليج العربي وحضارات بلاد الرافدين ووادي السند .

منطقة فيلكا الكويتية : ـ

وبهذا نجد أنفسنا مضطرين للانسياق بالكلام عن تاريخ منطقة الخليج العربي ككل في الوقت الذي قصدنا فيه تتبع تاريخ الكويت القديم وهذا ما يتكرر عندما نبحث تاريخ الكويت ونخصه بالدراسة في مختلف المراحل والعصور التاريخية . فاذا عدنا الى دراسة تاريخ الكويت القديم بشكل خاص نجد أن بداية الإستقرار في الكويت ظهرت في منطقة فيلكا في أواخر الألف الرابع ق . م . وان المواقع الحضارية في الكويت على وجه العموم تتمثل في الجزر وفي الأراضي الداخلية وأهمها فيلكا وجزيرة أم النمل والصليبخات ، ووارة والبرقان وكاظمة ، وتضم هذه المواقع آثارا إنسانية تنتمي الى عصور ما قبل التاريخ والعصور اليونانية ، ويعتقد الدكتور رشيد الناضوري (الذي قام بمهام أول بعثة محلية للمواقع الأثرية في الكويت) .

ان منطقة الخضر في جزيرة فيلكا تمثل الميناء القديم للجزيرة والذي كان يتم عن طريقه الإتصال التجاري والحضاري مع بلاد الرافدين ووادي السند . وان جزيرة فيلكا قد وفرت لانسان الكويت جميع الأسباب والظروف المؤدية لقيام حضارة محلية مع تواجد تأثيرات حضارية أجنبية وتتمثل المخلفات الأثرية في الكويت في الأواني الفخارية[٢٤] والأواني الحجرية والعمارة والأختام وهي تمثل عهودا مختلفة من المراحل الحضارية وتدلنا هذه المخلفات على ان حضارة هذه المنطقة كانت لها صفات خاصة وأن مستواها الفني كان عاليا بالنسبة إلى زمانها . كما يتضح من هذه المخلفات الأثرية مدى التشابه بين فخار وزخارف هذه المواقع الأثرية الكويتية وبين زخارف وفخار عصر حضارة جمده نصر في بلاد الرافدين ولا يقتصر التشابه على الأواني الفخارية بل يمتد الى الأواني الحجرية والتماثيل[٢٥] .

ومن المخلفات الأثرية في موقع فيلكا الأثري العمارة التي تمثلت

---

(٢٢) د. سليمان البدر ، منطقة الخليج خلال الألفين الثاني والأول ق.م. ، ص ٤٢ ـ ٩٣ .

(٢٣) *Grohman, A. Kulturgeschichre Der Alten Orient : Arabian, Muchan 1963, P. 251.*

(٢٤) *Bibby G. Looking for Dilmun, London 1970, p. p. 211 & 261* .

الملاحق أرقام ٩، ١٠، ١١.

(٢٥) د. رشيد الناضوري : تقرير خاص باستطلاع المواقع الحضارية في دولة الكويت مقدم الى وزارة الاعلام .

في المنازل والنوافذ ومعبد الآله (انزاك) والأختام الدائرية . وقد بلغ عدد الأختام المستديرة التي عثر عليها في فيلكا أكثر من ٤٥٠ ختماً كما عثر على اختام اسطوانية خاصة بنمط حضارة بلاد الرافدين وأختام مربعة تنتمي إلى حضارة وادي السند مما يؤكد الإتصال والتأثير الحضاري الأجنبي . وتتميز أختام فيلكا وبقية مناطق الخليج العربي باستدارتها وصنعها من حجر الاستيتات وان نقوشها تحمل أسلوبا فنيا يعبر عن الطبيعة والأشكال الإنسانية والحيوانية وقد استطاع الإنسان من خلال هذه الأختام أن يعبر عن مفاهيمه الفكرية فرسم النجوم والسماء والشمس والطيور وصراع الانسان مع الحيوانات والزواحف .

وبذلك يتضح الإزدهار الحضاري وعراقة تاريخ الكويت القديم خلال الألفين الثالث والثاني ق . م . إلا أن هذا الإزدهار لم يكن دائما فقد تعرضت المواقع الحضارية الكويتية كبقية مراكز منطقة الخليج العربي خلال الألف الأول ق .م . إلى تأخر حضاري مما أوجد ثغرات في تاريخها القديم وقد كان ذلك نتيجة لظهور الامبراطورية الأشورية في الشمال ومن بعدها الامبراطورية الفارسية الأكمينية مما أدى إلى تأثر أوضاع الخليج العربي بشكل سيىء في تلك الحقبة الزمنية وجعل أهميته تقل كثيرا عن المراحل السابقة[٢٦] . فقد فرضت السيطرة الأشورية على منطقة الشرق الأدنى القديم . ثم خضعت منطقة الخليج العربي للامبراطورية الكلدانية ومن بعدها للامبراطورية الفارسية الأكمينية حتى أواخر الألف الأول ق . م . وقد أصبحت جزيرة العرب والخليج العربي مما يلي العراق منذ القرن التاسع ق .م . مسرحا لملوك آشور يلتمسها الواحد بعد الآخر ، وتؤدي قبائلها الجزية مؤقتا وعلى غير نظام لهؤلاء الملوك فلما انتقلت آشور إلى حكم الفرس على يد « قورش » دخل جيرانها العرب فيما دخلت فيه ، فكانوا يؤدون الجزية للفرس من بخورهم ولبانهم كل سنة ألف وزنه . ولما حمل قمبيز على مصر كان العرب عونا له على المصريين . ولما حمل الفرس على اليونان كان العرب من جملة تلك الحملة بأبلهم وأحمالهم وجعلوهم في المؤخرة لئلا تجفل الجمال فيضطرب الجيش .

وبصورة عامة ففي ظل الأمبراطورية الفارسية ، وخلال حكم السلالة الأكمينية (القرن السادس ـ القرن الرابع ق . م .) أصيبت الملاحة في الخليج العربي بانتكاسة شديدة . ويبدو أن التدهور كان قد أخذ سبيله في عهد نبوخذنصر،حين صرف تجار صور إنتباههم عن هذا السوق إلى طريق البحر الأحمر . وكان الفرس علاوة على ذلك في قلق دائم خوفا من تعرض مقاطاتهم البحرية للتدمير على يد اسطول أجنبي[٢٧] .

هذا ومن بقايا المعبد الذي عثر عليه في تل سعيد في جزيرة فيلكا قاعدتا عمودين وجدا في واجهته يتضح منهما الأسلوب الفني الفارسي واليوناني فالقواعد الفارسية قد أعيد استعمالها ولعلها أحضرت من بنايات أقدم من المعبد بنيت على الطريقة الفارسية[٢٨] ، مما يدلنا على تأثير الحضارة الفارسية على حضارة فيلكا والإتصال المؤكد بين الحضارتين .

ويلي هذه المرحلة الحضارية من تاريخ الكويت والخليج العربي مرحلة الاتصال بالحضارة اليونانية وكان أول من سجل إسمه في سجل العلاقات العربية اليونانية هو (الإسكندر الأكبر) (٣٥٦ ـ ٣٢٣ ق .م) بعد أن أسس الإسكندر إمبراطورية شاسعة الأرجاء ذات منافذ على البحر الأحمر والخليج العربي ، وبعد أن إستولى على مصر والهلال الخصيب ، فكر في السيطرة على جزيرة العرب وفي جعلها جزءا من إمبراطوريته ، ليتم له بذلك الوصول إلى سواحل المحيط الهندي والسيطرة على تجارة أفريقيا وآسيا وتحويل ذلك المحيط إلى بحر يوناني[٢٩]) .

وقد ورد ذكر الخليج العربي في التاريخ اليوناني في كتب المؤرخين الذين كتبوا عن حياة الإسكندر الكبر ومن أبرزهم الكاتب (أريان) (Flavius Arrianus)[٣٠] المولود عام ٩٥ م . والمتوفي ١٧٥ م

---

(٢٦) د. سليمان البدر ، نفس المصدر ، ص ١٦.

(٢٧) آرنولد ويلسون الخليج العربي (النسخة المترجمة) ، ص ٨٣ .

(٢٨) تقرير شامل عن الحفريات الأثرية في جزيرة فيلكا ـ وزارة الإرشاد والأنباء (الإعلام) ، ص ١٥ .

(٢٩) د. جواد علي ، تاريخ العرب قبل الإسلام ، جـ ٢ ، ص ٥ .

(٣٠) *Harvey, The Oxford companion to classical Literalune, p. 51.*

معتمدا على كتب المتقدمين موضحا الأسباب التي حملت الإسكندر على التفكير في الإستيلاء على جزيرة العرب والخليج العربي وهو إخضاع العرب الذين لم يرسلوا إليه الوفود لإعلان طاعتهم وإحترامهم كما فعل غيرهم . وأوضح أريان أن أهم أسباب هذه الحملة يكمن في رغبته في إكتساب أرض جديدة تعتبر أهم مصدر للمر والصبر والقرفة وأن فيها الموانيء الكثيرة الصاحلة لرسو اسطوله ، والمواقع الصاحلة لانشاء المدن بالقرب منها وأنه سمع بأن بالبحر بعد مصب الفرات جزيرتين إحداهما تبعد عن مصبه نحو ٢٢ كيلو مترا وهي الصغرى وكان فيها معبد للالهة أرتميس ومزارع للاغنام والغزلان المقدسة وهي في حماة الآلهة ، (وهذه الجزيرة هي جزيرة فيلكا الكويتية) وان الإسكندر رأى أن تسمى هذه الجزيرة الصغرى ايكاروس **IKAROS** وهي نفس التسمية التي كانت تسمى بها إحدى الجزر اليونانية الواقعة في بحر إيجه . أما الجزيرة الكبرى فأنها تبعد عن مصب الفرات مسيرة يوم وليلة بالمركب اذا كانت الرياح مواتية ، وان إسمها تيلوس (**Tylos**) وهي صالحة لزراعة أشجار الفواكه ومحاصيل كل فصول السنة[٣١] . والمرجح أن تكون تيلوس هي البحرين .

وقد كشفت لنا آثار جزيرة فيلكا عن بعض أسرارها التاريخية القديمة وتحدثت إلينا عن صلات الجزيرة باليونان في أيام (الاسكندر الأكبر) وخلفائه ، حيث نزل بها جنوده وقوم من أتباعه وأتباع من جاءوا بعده من حكام . بالجزيرة تحفل بالكثير من آثار اليونان التي تتحدث عن حضارتهم وعاداتهم ومعتقداتهم وأفكارهم ، ومن جملة ما عثر عليه في هذه الجزيرة من مخلفات خلفاء الإسكندر كتابة يونانية على حجر عثر عليه سنة ١٩٣٧[٣٢] ، أي قبل قيام البعثة الدنماركية بأعمال الحفر ، وهو عبارة عن تقدمة من أحد المواطنين الآثينيين ، واسمه (سوتيلس) والجنود إلى (زيوس المخلصة) (**Zeus Sotoles**) وإلى (بوزيدون) (**Poseidon**) وإلى (أرتيمس المخلصة) (**Artemis Soteird**) ومن هذا الأثر يتضح أن حامية يونانية كانت في هذه الجزيرة ، لعلها من بقايا الجيش الذي بعثه الاسكندر للسيطرة على الخليج العربي ولفتح الهند والجزر المقابلة لبلاد العرب ولسواحل جزيرة العرب . كما عثر على قوالب كثيرة من الآجر لصنع التماثيل ، منها قالب ظهر أنه حفر كقالب للتماثيل . وانه يمثل وجه الاسكندر . وعثر على تماثيل يظهر عليها أثر الفن اليوناني ، وعلى أنواع من الفخار والاختام والآجر تمثل عهودا مختلفة أقدم من عهد اليونانيين والتي سبق أن ذكرنا عودتها إلى الألف الثالث ق .م .

ومن الآثار المهمة والنفيسة التي عثرت عليها البعثة الدنماركية كتابة مدونة على حجر تتألف من (٤٤) سطرا ، تفيد أن الملك بعث برسالة إلى أهل (ايكاروس) بخصوص عزمهم على إقامة معبد في تلك الجزيرة وتعيين كهان لها ، وتبين موافقة الملك عليه ، وتحدد الأجور والنفقات التي تدفع ، وحقوق الحكومة في الواردات وكيفية الجباية ، ويعتقد أنها من أيام (سامقيوس الثاني) المعروف بـ (كلينكيوس) دونت في حوالي سنة ٢٣٩ ق . م[٣٣] .

أما النقود التي عثر عليها في هذه الجزيرة فيعود عهدها إلى هذه الفترة أيضا ، فقد ضربت في عهد (سلوقس الأول) باسم الإسكندر الأكبر حوالي ٣١٠ـ ٣٠٠ ق .م . فهي لا تبعد كثيرا عن أيام الاسكندر المتوفي عام ٣٢٣ ق . م . كما وجد نقد ضرب في عهد (انطيوخس الثالث) الذي حكم المملكة السلوقية ما بين ٢٢٣ ـ ١٨٧ ق . م .

ويعد اكتشاف هذه النقود وآثار ال (اكروبولس) (**Akropolis**) وكذلك المعبد في جزيرة فيلكا أمر ذو شأن تاريخي كبير لأنها تدلنا على أهمية هذه الجزيرة (ايكاروس) الكبيرة عند اليونان كما تشير إلى تدخل اليونان في أمور الخليج في ذلك العهد ، وحكمهم لسواحله العربية من (جرها) إلى جنوب العراق ، كما أنها ستعين في التواصل إلى تثبيت تواريخ حكم السلوقيين لهذه المنطقة . وسيكون لما سيكتشف من نقود في الكويت أو في مواضع أخرى من

---

(٣١) *Arrien, History of Alexander and Indica, in 2 Vol, Loeb Classical Library 1946, Anabasks, Book, VII, 19, 5. XX, II. 1.*

(٣٢) عثر على آثار كثيرة في جزيرة فيلكا لتماثيل ومنحوتات أخرى قبل وصول البعثة الدنماركية الا أن أهالي الجزيرة كانوا يحطمونها ويعدمونها نتيجة لعدم إدراكهم لقيمتها ومدلولاتها التاريخية الكبيرة واعتقاداً منهم بأنها تمثل أصناماً للكفار .

(٣٣) *P. V. Clob, Investigations in Kuwait, Kuml, 1958, 170.*

الخليج العربي ، فائدة قصوى في توسعة معارفنا بالسلطان السياسي والإقتصادي للسلوقيين في هذه الجهات وفي تعيين صلاتهم بالشعوب العربية الساكنة على بقية ساحل الخليج العربي كما سندعم معارفنا من تاريخ الكويت والخيج القديم وذلك بعد دراسة الأثر الذي تركه اليونان في الخليج العربي .

ولعل وجود المعبد والبيوت وبقية الآثار اليونانية في جزيرة فيلكا يعود إلى تواجد حامية الاسكندر فيها وسكناهم في الجزيرة وبقائهم بها حتى بعد زوال حكم اليونان عن بلاد الرافدين إختار (الإسكندر) وقواده هذه الجزيرة لأهميتها من الناحية العسكرية من حيث رسو سفن الجيش اليوناني بها وإمكانية قيام الحملات التأديبية لسكان السواحل فيها وإخماد معارضتهم لليونان وتعقب القراصنة والهيمنة على مصب دجلة والفرات في الخليج العربي والدفاع عن جنوب العراق .

أما السلوقيون فلم يتمكنوا من السيطرة على الخليج والهيمنة على تجارته لأن حكومتهم في العراق لم تكن حكومة قوية ، ثم سرعان ما قضى عليها الفرس ، فزال حكم اليونان عن العراق . وقد ورث الرومان عن اليونان السيطرة على البحر الأحمر ، ووجهوا أنظارهم نحو سواحله ونحو المحيط الهندي ، على حين انتزع الخليج من الروم ومن الرومان وصار بحرا شرقيا ، وأضحى السلطان الأول فيه للعرب والفرس[٣٤] .

ولكن في عهد الرومان قلت أهمية الخليج العربي بعد أن تحولت عنه الطرق التجارية إلى البحر الأحمر حيث ساءت العلاقات السياسية بين بقايا الدولة السلوقية ، ثم الدولة الرومانية مع الفرس الذين كانوا يسيطرون على وادي الرافدين وكانوا في صراع مستديم مما أدى إلى تشديد الرقابة على الحدود بين الامبراطورية الرومانية والفارسية ونتج عن ذلك توقف الحركة التجارية فضعف شأن الخليج العربي وقلت أهميته كما قلت أهمية تدمر في الصحراء السورية التي كانت تعتمد بلا شك على نشاط الملاحة والتجارة في الخليج العربي[٣٥] .

وبهذا نكون قد تناولنا تاريخ الكويت ومنطقة الخليج العربي الموغل في القدم والتي قادتنا الآثار المكتشفة في مناطقه إلى أهميته ودوره الحضاري الكبير خلال الثلاثة آلاف سنة ق . م . ومدى ما وصل إليه وضع الخليج العربي من قوة ونفوذ مكنته خلال الألف الأول ق . م . من مساعدة الآشوريين لاسيما حين تتعرض إمبراطوريتهم للقلاقل والإضطرابات نتيجة للثورات في جنوب بلاد الرافدين . وهنا تأخذ العلاقات بين منطقة الخليج وبلاد الرافدين طابعا يتسم بالصداقة وتخلو من التبعية فتبرز بذلك مكانة الخليج العربي وأهميته[٣٦] .

يمكن أن نضيف إلى ما سبق تناوله حول تاريخ الكويت والخليج العربي خلال الألف الأول ق .م . ما توصلنا إليه من خلال تتبعنا للاطار الحضارى للكويت والخليج العربي في التاريخ القديم وهو قيام مملكة تسمى (أرض البحر **Sea Land**) القديمة وهي التي قامت في الألف الأول ق . م . والتي كانت تسيطر على منطقة تمتد من قرب مصب نهر الفرات إلى دلمون ، وحدد مكانها في الشمال الشرقي من الجزيرة العربية على نحو يكاد يكون قاطعا . وتبعا لذلك التحديد فلابد أن تكون المواقع الحضارية الكويتية قد وقعت ضمن حدودها . والتي كانت تضم من السكان كلدانيين وعربا[٣٧] .

هذا ولابد من الإشارة هنا إلى أنه في نهاية الألف الأول قبل الميلاد قلت أهميه المواقع الحضارية الكويتية على الخليج العربي كمثيلاتها من الواقع الحضارية في منطقة الخليج العربي وذلك نتيجة لتحول طرق التجارة الهامة من الخليج العربي إلى البحر الأحمر إلا أن

(٣٤) د. جواد علي ، نفس المصدر ، ص ٣١ ـ ٣٤ .
(٣٥) تقرير البعثة الدنماركية للآثار (السابق) والمقدم لوزارة الإرشاد والأنباء (الاعلام) ، ص ٧ .
(٣٦) د. سليمان البدر ، المصدر السابق ، ص ١٣٢ .
(٣٧) جورج فضلوا حوراني : « العرب والملاحة في المحيط الهندي في العصور القديمة واوائل القرون الوسطى » النسخة المترجمة ـ د. السيد يعقوب بكر ، صفحة ٣٧ .

موقعا حضاريا كويتيا آخر ظهر ليخلف جزيرة فيلكا وهي مدينة (كاظمة) التي تمتد جذورها الحضارية كذلك إلى العصر الحجري والعصر البرونزي من خلال ما عثر عليه من آثار ـ أشرنا لها سابقا . نعادت هذه لتلعب دورها الحضاري في مطلع التاريخ الميلادي وكانت تقوم بذلك ضمن مملكة دلمون حيث كان ساحل الخليج العربي يمثل وحده حضاريه واحده كما بينا سابقا فقد أكد المؤرخون ما سبق وذكره د . سليمان سعدون البدر من كون الكويت جزءا من مملكة (دلمون) والتي عرفت فيها بعد باسم البحرين .



(٣٨) راشد عبد الله الفرحان : مختصر تاريخ الكويت ، ص ٢٠ ـ ٢١ .

الخاتمة

أيمانا منا بأهمية التاريخ القديم للدول والشعوب وأثره الكبير والحيوي على تاريخها الحديث والمعاصر قمنا من خلال هذا البحث بمحاولة صعبه وجاده لتتبع دور وطننا الصغير في التاريخ القديم ودراسة مواقع الكويت الحضارية وتأثرها بالحضارات العريقة القائمة خلال تلك الفترة الزمنية الموغلة في القدم .

وفي الواقع إننا لم نكن متفائلين حين أقدمنا على هذه المحاولة وكنا متخوفين من عدم الوصول إلى ما يعيننا على إتمام بحثنا بالصورة المرجوة وبلوغ النتائج المرجوه ، والتي تبرز الجذور الحضارية للكويت في التاريخ القديم .

فقد كنا نعلم يقينا بانعدام توفر المراجع والمصادر المتعلقة بتاريخ الكويت في تلك الفترة وذلك لعدم إهتمام المؤرخين المختصين من العرب والأجانب بهذه البقعة الصغيرة اما لقناعتهم بعدم أهميتها التاريخية أو لتخوفهم من صعوبه المهمة .

ومما زاد الأمر صعوبة هو ذلك الفارق الكبير بين زمن اختصاص في التاريخ الحديث والفترة الزمنية للدراسة التي أقدمت عليها في التاريخ القديم إلا أن كل هذه الصعوبات لم تثنيني عن ما عزمت عليه بل زادتني تصميما على القيام بهذه المحاولة المهتمة بابراز الجذور الحضارية العريقة لوطني الكويت الذي لم يحظ بإهتمام الباحثين . ولعلني قد توصلت من خلال هذا البحث إلى شيئا مما هدفت إليه على أمل أن تكون هذه الدراسة المتواضعة دافعا للزملاء والزميلات الدراسين لإتمام ما عجزت عن إنجازه . لا سيما وأن نتائج الاستكشافات الأثرية قد بدأت تظهر بشكل أكبر بحيث توضع لنا ذلك الدور التاريخي العريق لمواقع الكويت الحضارية والتي لا شك ستعين الباحثين المهتمين على اتمام مهمتهم بصورة أكمل وأوضح . ولعلها تزيل ما واجهناه من صعوبه وغموض شديدين . وذلك إلى جانب الدراسات التاريخية التي أخذت تهتم بتاريخ منطقة الخليج العربي القديم بصورة عامة والكويت بصورة خاصة فهي لا شك ستستر الفجوة الكبيرة في معلوماتنا وتزيح الظلام الذي يحيط بتاريخ المنطقة القديم . فتتضح الرؤيا بالنسبة لتاريخنا القديم .

والله الموفق

المجلات والدوريات العربية

١ ـ مجلة الكويت العدد ٢١٨ بتاريخ ٢٩ مارس ١٩٥٩ م ـ تقرير مختصر عن أعمال بعثه الآثار الدنماركية في جزيرة فيلكا في عام ١٩٥٨ ـ ١٩٥٩ .

٢ ـ مقال الفنون بالتشكيلية في البحرين على مر العصور ـ عبدالكريم العريض مجلة الوثيقة البحرينية (عدد خاص عن مجموع أبحاث في مؤتمر البحرين عبر التاريخ من ٣ ـ ٩ ديسمبر ١٩٨٣ م .

المصادر الأجنبية :

1- Arrien: History of Alxander and Indiea, in 2 Vol-1 Loeb Classical Library 1946, Anabasls, Book, VII, 19, XX.11.F.

2- Biby. G. Looking for Dilmun, London. 1970.

3- Clop. P. v.:- 1- Investigations in Kuwait, Kuml, 1958

2- Temples at barbar, Kuml, 1959.

4- Grohmann, A.:- Kultgeschichre Der Alten Orient: Arabian Muchan, 1963.

5- Harvey, The Oxford Companion to Classical Literature London, Oxford, 1952.

المصادر والمراجع العربية :

١ ـ أحمد مصطفى أبو حاكمه (دكتور) : تاريخ الكويت جـ ١ مطبعة حكومة الكويت ١٣٨٧ هـ/ ١٩٦٧ م .

٢ ـ تقرير شامل عن الحفريات الآثرية في الكويت من ١٩٥٨ ـ ١٩٦٣ وزارة الاعلام ـ ادارة الآثار والمتاحف

٣ ـ جرجي زيدان : العرب قبل الاسلام القاهرة ـ بدون تاريخ وطبعة جديدة راجعها وعلق عليها د . حسين مؤنس .

٤ ـ جواد علي (دكتور) : تاريخ العرب قبل الاسلام جـ ٢ .

٥ ـ جورج فضلو حوراني : العرب والملاحة في المحيط الهندي في العصور القديمة وأوائل القرن الوسطى ـ ترجمة يعقوب بكر ـ القاهرة ١٩٥٨ .

٦ ـ راشد عبدالله الفرحان : مختصر تاريخ الكويت القاهرة ١٩٦٠ .

٧ ـ رشيد الناضوري : تقرير خاص باستطلاع المواقع الحضارية في دولة الكويت مقدم إلى وزارة الإعلام .

٨ ـ سليمان سعدون البدر (دكتور) : ١ ـ منطقة الخليج العربي خلال الألفين الرابع والثالث ق .م الكويت ١٩٧٤ . ٢ ـ منطقة الخليج العربي خلال الألفين الثاني والأول ق .م الكويت ١٩٧٨ .

٩ ـ كتاب الوزراء لمحققه عبدالستار أحمد فرج .

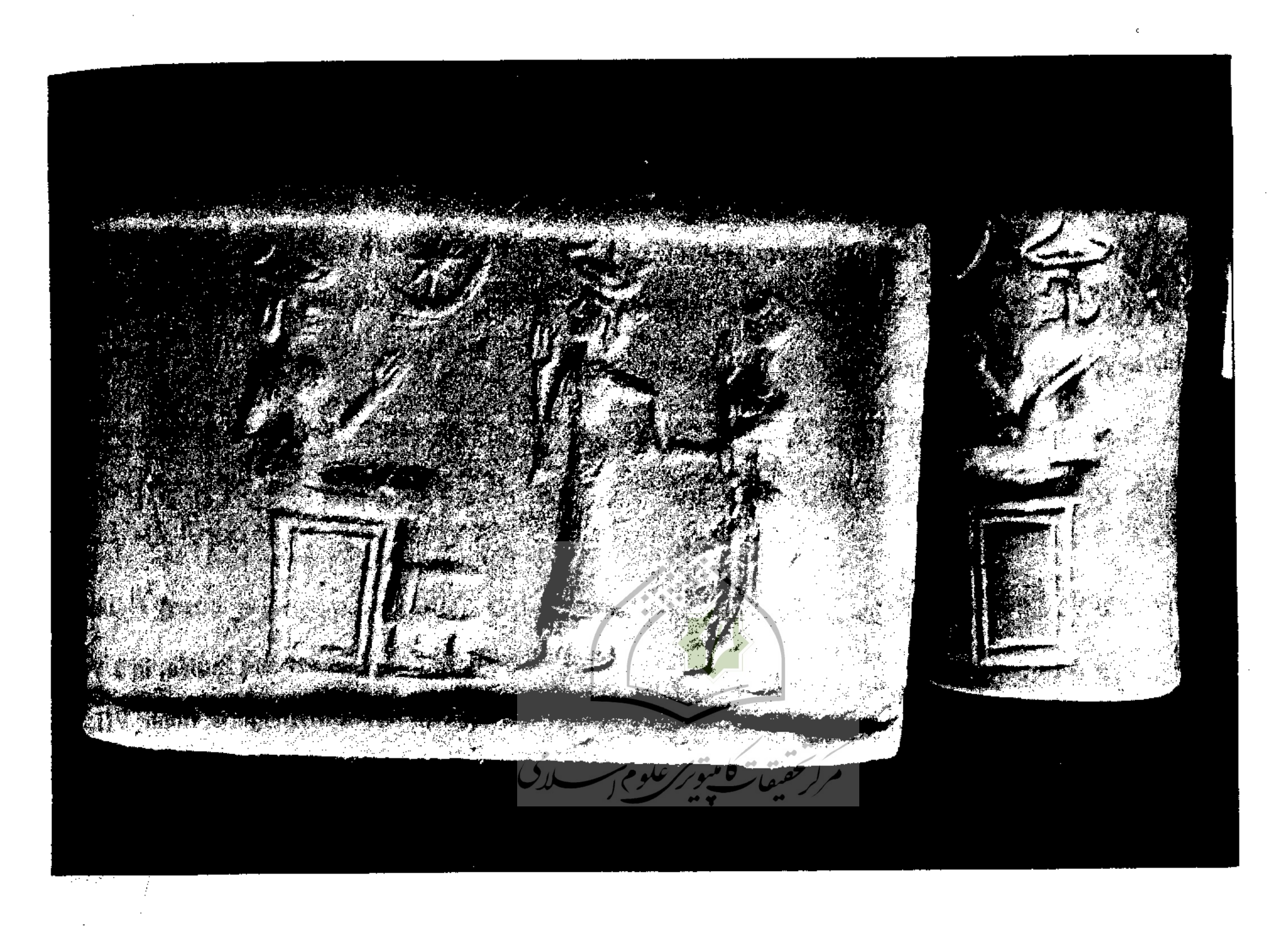
١٠ ـ محمد مبروك نافع : مصر قبل الاسلام الطبعة الثانية القاهرة ١٩٥٢ .

١١ ـ الهمداني (أبو محمد الحسن بن يعقوب الهمداني) : صفة جزيرة العرب (طبعة ابن بليهد) مصر ١٩٥٣ م .

١٢ ـ ولسن (أرنولد) : ترجمه عبدالقادر يوسف ـ مكتبه الأمل الكويت (الأصل : لندن ١٩٥٩) .

١٣ ـ كتاب مصادر تاريخ الجزيرة العربية جـ ١ أصدرته جامعة الرياض ـ المملكة العربية السعودية ـ ١٣٧٧ هـ/ ١٩٥٧ م .

(ملحـق رقـم ١)



شكل (١)

ختم اسطواني مما هو معروف فى حضارات وادى الرافدين وقد اكتشف عدد قليل من هذه الاختام التي تختلف كل الاختلاف من ناحية الزخرف وطريقة الحفر عن اختام فيلكا المستديرة ولكنها تثبت وجود صلات تجارية بين الحضارتين .

Cylindric seal which known in Mesopotamia civilizations.

Many seals of this type discovered from Failaka excavations but it deffers from Failaka's round seals with its decoration. But it prove the old trade connection of Mesopotamia.

(ملحــق رقـم ٢)



شكل (٢)

تمثال صغير من الطين الاصفر المحروق يبلغ ارتفاعه ٥ سم عليه طاقية وله لحية ومع ان البعثة الدنمركية تذكر انه لاحد ملوك اشور فهذا ليس من المؤكد فاللحى الاشورية كثة ومجعدة .

Statue of Assryian head with a beard in terracotta 5. C.M. high.

(ملحــق رقـم ٣)

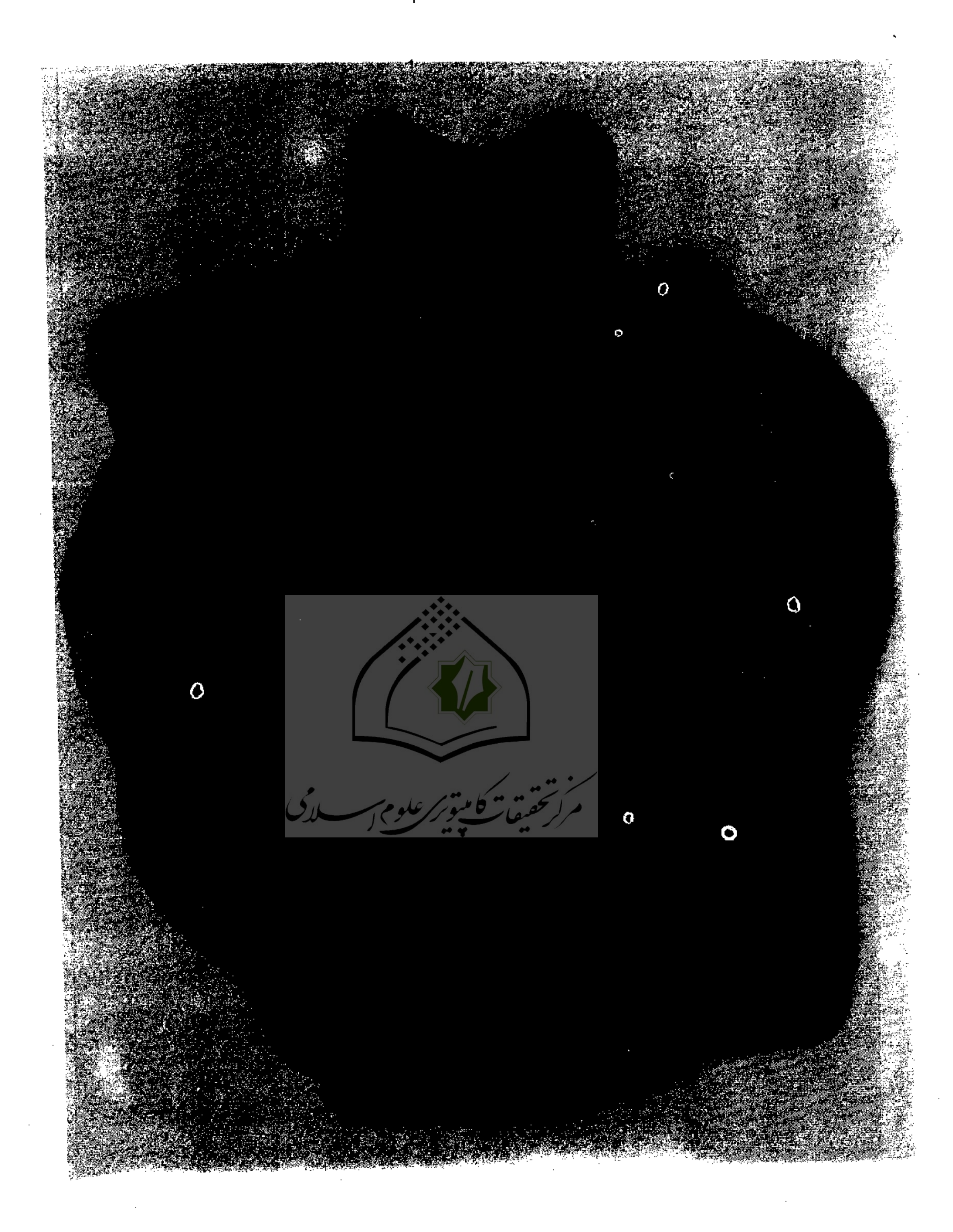


Figure (3)

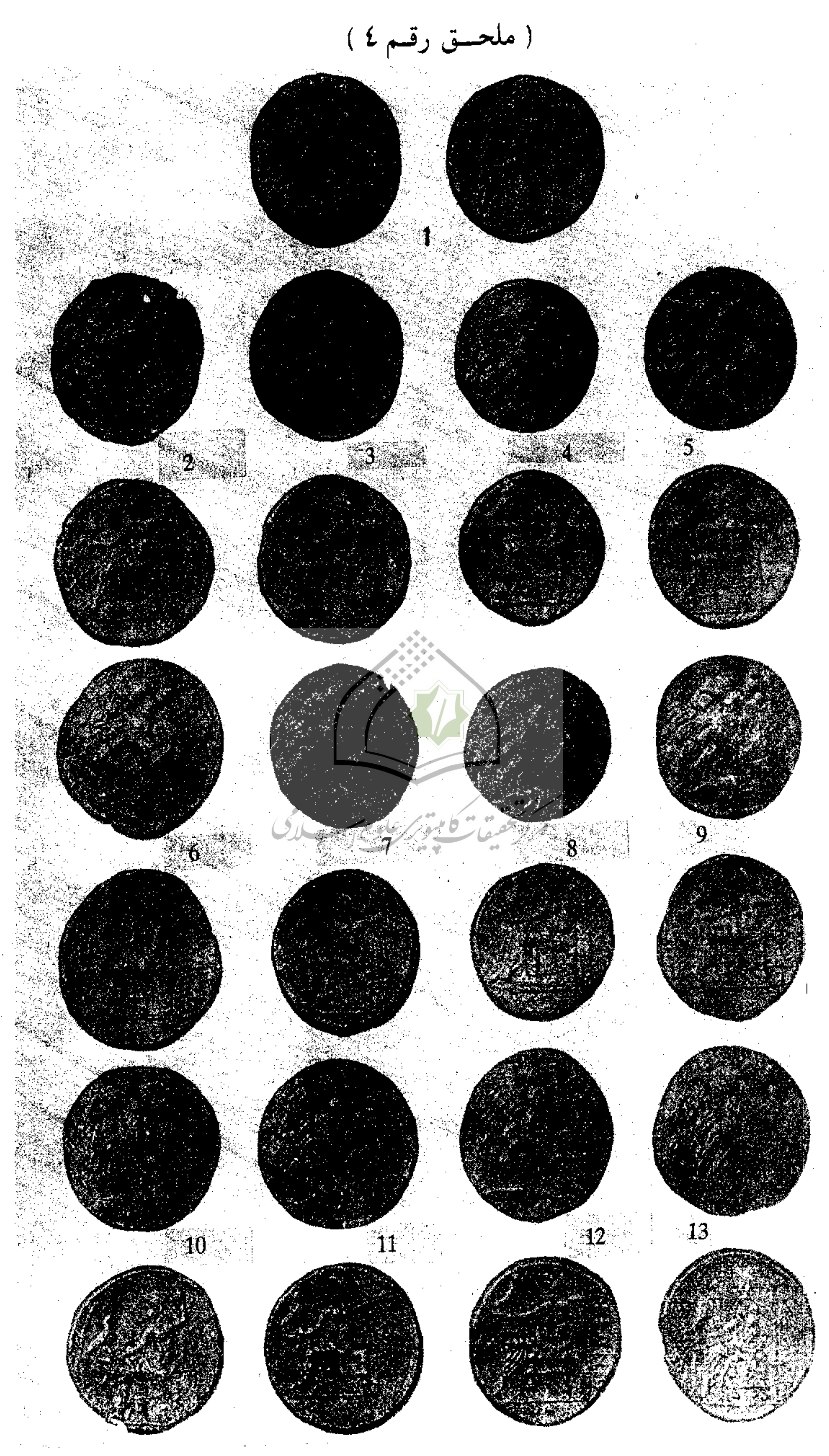
Fragment of stiatite stone vessel it has Cuneifrom characters discovered in the southern side of the temple under the fortress walls. F.5.

Please have a look to the seals discovered in the Greek fortress.

شكل (٣)

قطعة من انـاء حجرى اسـود (استياتـايت) عليه كتـابة مسمارية وجد في الجهة الجنوبية من المعبـد وتحت جدران القلعـة مبـاشرة في منـطقة ف ٥ انـظر ايضا صـورة الاختـام من القلعـة اليونانية .

(ملحق رقم ٤)



شكل (٤)

Figyre (4)

(ملحــق رقــم ٥)

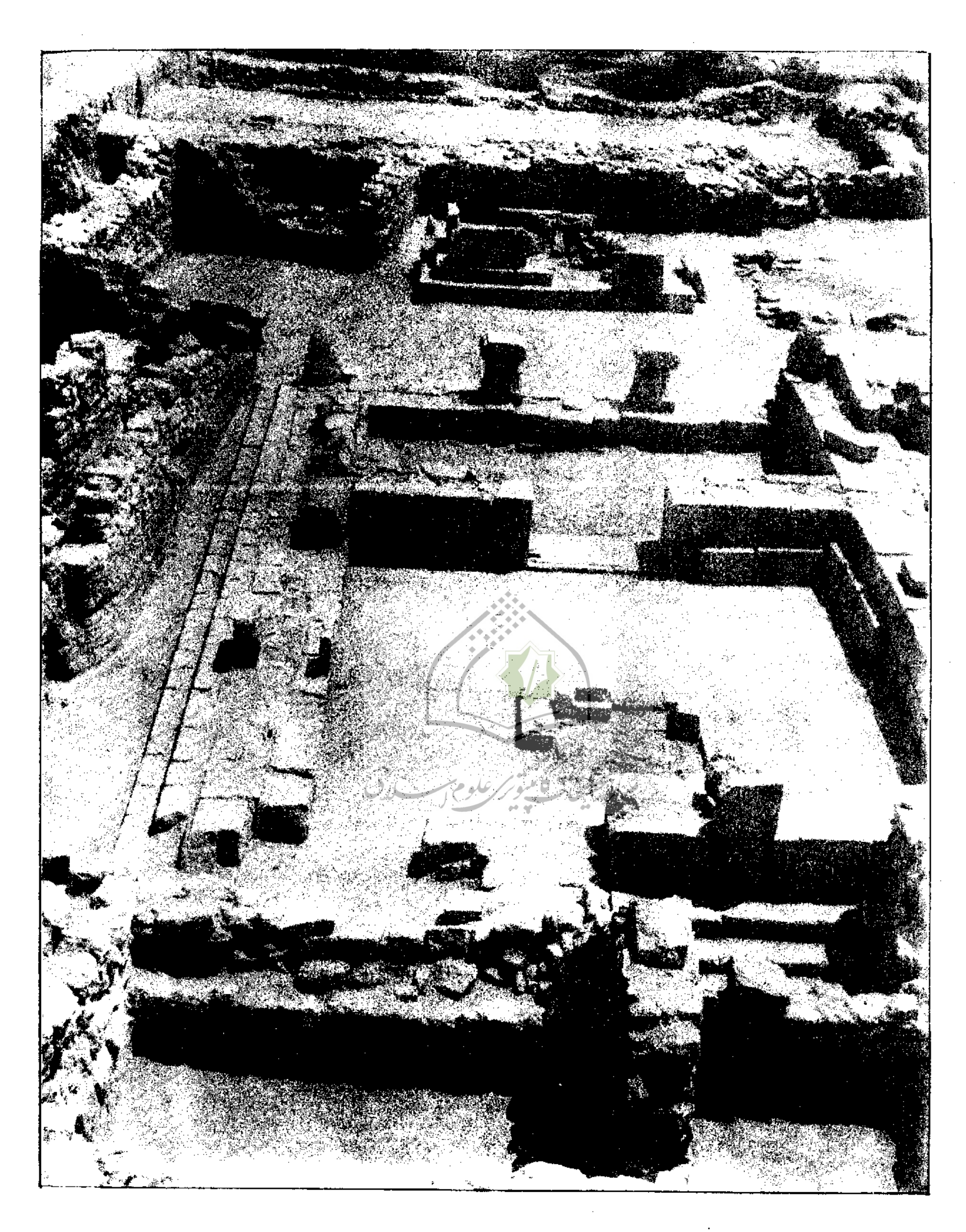


Figure (5)

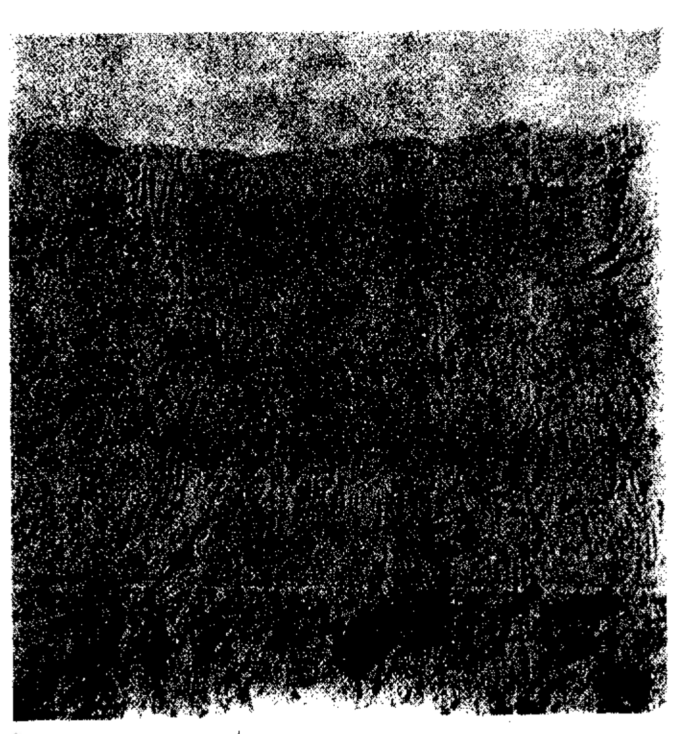
Airial view to Tal sa'ad F.3. It is an old settlement from the Bronwe age.

Some houses are crowded on the southern part of the Tal while F.4 (the inn) seen from distance

شكل (٥)

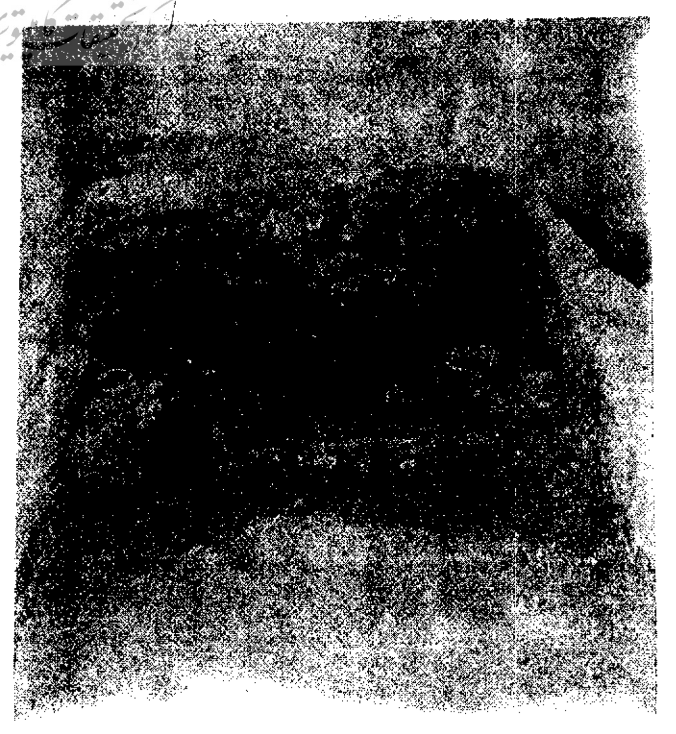
منظر جوى لتل سعد ف ٣ وهي المنطقة السكنية من العصور البرونزية ويظهر قسم من البيوت المزدحمة الواقعة في الجهة الجنوبية من التل ، ويشاهد في أعلى الصورة منطقة ف ٤ (الخان) .

(ملحــق رقـم ٦)



توضح هذه الصورة طريقة مسح الجدران بالجص وهي نفس الطريقة التي كانت معروفة في الكويت الى عهد قريب ومـا زالت تستعمل في الجزيرة فيلكا وبعض البلدان المجاورة . مما يدل على تقدم البناء في العصور البـرونزيـة في الجزيـرة . فان كثيـرا من البيوت ما زالت في حالة جيدة ومتينة البنيان .

شكل (٦)



منظر آخر يوضح تفاصيل (المطبخ) وتبدو طاولـة أو دكة مصنـوعة من الحجـارة والجص ويشاهـد بعض الاواني الفخاريـة والاجران الحجرية التى كانت تستعمل .

(ملحــق رقـم ٧)



شكل (٧) منظر جوى لمنطقة ف ٦ التى تقع الى شمال من تل سعيد ف ٥ القلعة اليونانية ويعود تاريخ الآثار المكتشفة فى هذه المنـطقة الى العصور البرونزية ويبدو في أعلى الصورة تل سعد ف ٣ وهي المنطقة السكنية من العصر

(ملحــق رقــم ٨)

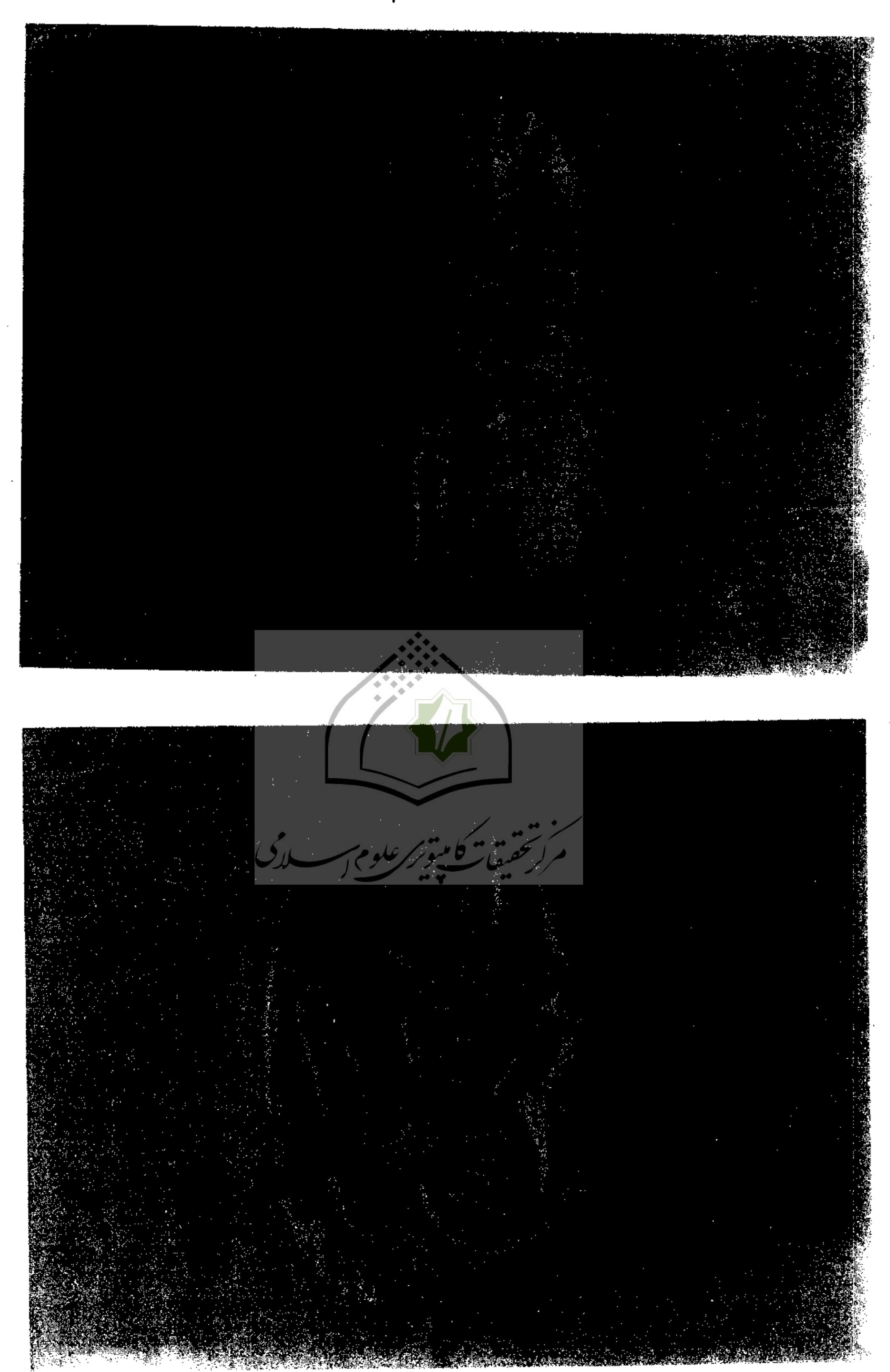


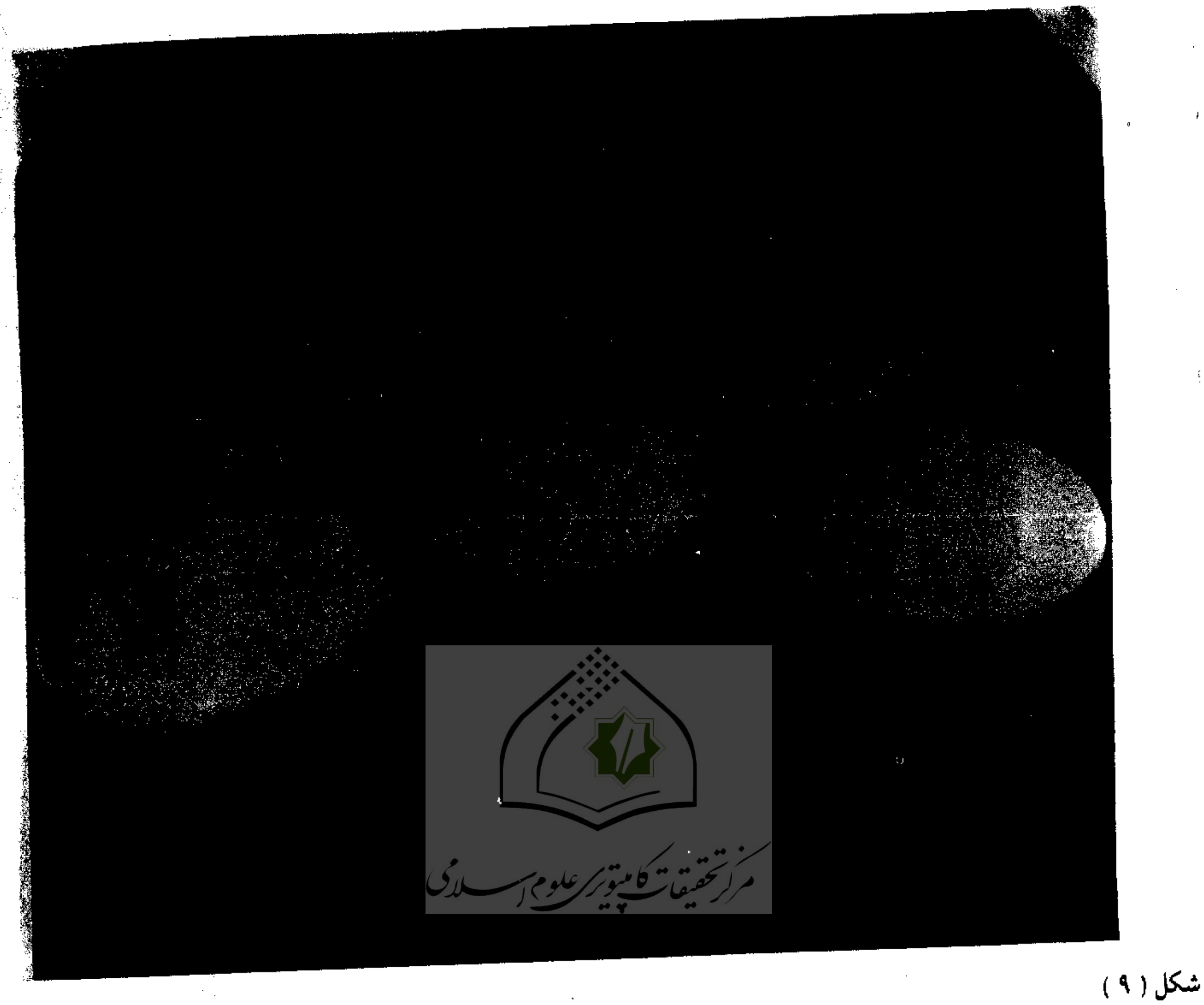
Figure (8)

شكل (٨)

ختم آخر على شكل الجعران المصرى غير أن طـريقة الحفـر والزخرفة والحجارة المستعملة هي نفس الطريقة والزخرفة والحجارة المستعملة فى الاختــام الفيلكــاويــة المستــديــرة اكتشفت في منطقة ف ٦ .

Another seal Looks very much Like the Egyptian's/scarab. It was carved as the same way of Failaka seals. Discovered from area F. 6.

(ملحـــق رقـم ٩)



شكل (٩)

مجموعة من الصحون الفخارية الرقيقة اكتشفت في منطقة المعبد والقلعة اليونانية ف ٥ .

Figure (9)

Collection of Greek thin burnished pottery from F.5 The Greek fortress and the temple area.

(ملحــق رقـم ١٠)



شكل (١٠)

هذه نسخة لرأس الاسكندر تحيطه هالـة من قالب الفخـار الذى اكتشف في منطقـة (ف ٤) والذي صبت فيـه مادة طـرية نظهرت هذه الصورة ويبلغ أرتفاع الاصل ٦ سم وليس من المؤكد بالطبع أنها تمثل رأس الاسكندر الا أن ملامح الوجه تشابه ملامحه المشهورة .

Figure (10)

A cast copy of a head statue. It's the head of Alexander the Great with a hollow round the head taken from terracotta mould circa 300. B.C. Greek Hellenictic period.

(ملحـــق رقـم ١١)



شكل (١١)

هذا التمثال ايضا من أحد القوالب التي عثر عليها في منطقة (ف ٤) أو الخان كما أطلق عليه والتمثال لالهة النصر اليونانيـة (نيكا) الاتفاع الاصل ٩ سم .

Figure (11)

A cast copy of statue taken from terracotta mould. It's (NIKE) figure the victory Goddess.

التجارة الخارجية في العهد البابلي

د . تقي عبد سالم وصلاح نعمان عيسى

كلية الادارة والاقتصاد/الجامعة المستنصرية

المقدمـــة :

أن حضارة العراق القديم وما تزخر به من نظم وقوانين اقتصادية واجتماعية كانت أساسا لقيام أولى وأنضج الحضارات الانسانية الأصيلة المعروفة ، تتطلب منا مزيدا من البحث لربط ذلك الماضي المزدهر بالحاضر المشرق ، ولعل من القطاعات الاقتصادية التي لعبت في الماضي ، كما تلعب الآن ، دورا متميزا في الاقتصاد العراقي هو قطاع التجارة الخارجية ، فهذا القطاع كان ، ولا يزال ، أحد المرتكزات الأساسية للاقتصاد العراقي ، فقد اتسمت حضارة وادي الرافدين بصفة ملازمة لها منذ أبعد العصور وهي أنها أصبحت حضارة تجارية ، بالاضافة الى كونها حضارة زراعية وري ، وكان لتنظيم التجارة الخارجية وما يتطلب ذلك من تسيير القوافل والمحافظة على الطرق التجارية من العوامل المؤثرة في سير حضارة وادي الرافدين وتطورها ، سواء أكان ذلك في التنظيم السياسي والاجتماعي أم في نشوء الأساليب والطرق الخاصة بالمعاملات التجارية .

وهذا البحث ما هو الا مساهمة متواضعة للكشف عن جانب من جوانب الاقتصاد العراقي القديم ، أن يهدف البحث الى الكشف عن طبيعة التجارة الخارجية في العهد البابلي ، والعوامل التي أدت الى اتساعها وازدهارها وأهم الاستيرادات والصادرات آنذاك ، وكيف كان يتم تنظيم هذه التجارة ومدى تدخل الدولة فيها وعليه فإن البحث سيتضمن النقاط التالية :

أولا :ـ لمحة عن تطور التجارة .

ثانيا :ـ العوامل التي أدت الى ازدهار التجارة الخارجية .

ثالثا : أهم الاستيرادات والصادرات وتوزيعها الجغرافي .

رابعا : تنظيم التجارة الخارجية .

أولا : لمحة عن تطور التجارة :

مر العراق بعصور طويلة تمتد قبل التاريخ ، وهذه العصور هي :

العصر الحجري القديم والمتوسط والحديث وعصر الوركاء . ثم العصور التاريخية التي تبدأ بعصر فجر الكتابة (٣٥٠٠ ـ ٣٠٠٠ ق.م) وتمتد الى وقتنا هذا ، وقد بدأت حضارة العراق القديم منذ أن اهتدى العراقيون القدامى الى قوتهم عن طريق الزراعة وتربية الحيوان وبناء البيوت واستخدام المعادن وصنع المعدات وحاجات الحياة الأولية الضرورية ، ثم استمرت الصناعات تتطور وتتعقد وتتنوع ، وقد رافق هذا التطور الطويل ظهور فكرة الكتابة وانتشارها ثم انتشار الروابط الثقافية بين سكان البلد الواحد وفيما بين الشعوب فانتشرت المنتوجات وتداولت السلع وظهرت قواعد التبادل التجاري في الداخل ثم بدأت تتعقد وتتسع ما بين بابل والشعوب الأخرى[1] .

والتجارة بدأت أولا بالمقايضة سلعة مقابل سلعة ، وقد سبقت التجارة التاجر فلم يكن في بادىء الأمر أن يكرس الناس كل نشاطهم لاجراء المقايضة ، لأنهم اكتفوا ولفترة طويلة نسبيا بمبادلة ما يملكون بكثرة مقابل ما كانوا بحاجة اليه دونما وساطة تاجر . وقد تطورت التجارة فيما بعد بحيث انتقلت من مرحلة المقايضة الى مرحلة استعمال النقود لتسوية إقيام المبادلات التجارية الخارجية

(١) الدكتور محمد علي رضا الجاسم « الائتمان والصيرفة في العراق القديم » مطبعة دار التضامن ، بغداد ، ١٩٦٤ ، ص ١٤ ـ ١٥ .

وتخصص جماعة من السكان بمهنة التجارة وقيام السلطة أو الحكومة الممثلة بالسلالات الحاكمة والمعابد بممارسة التجارة عن طريق وكلائها وسن القوانين والشرائع لتنظيم التجارة الخارجية[٢] .

وبعد أن كان القطاع التجاري يخضع الى سيطرة المعابد في عهد السومريين الا أنه وفي نحو أواخر الألف الثالث قبل الميلاد زالت تلكم السيطرة تحت وطأة تزايد نفوذ التجار . ذا كانت الصفقات التجارية في البداية تتميز بصغر حجمها فإن هذه الصفقات بدأت تكبر بتطور التجارة وتطور وسائل النقل وبتقدم الصناعة والزراعة ، وقد صاحب ذلك اتساع مدى التجارة الخارجية الجغرافي حيث بدأ التجار بالانتقال الى الأقاليم المجاورة والأقاليم البعيدة بغرض عقد الصفقات التجارية ، إضافة الى انتقال بعض التجار الى هذه الأقاليم للاقامة فيها وممارسة الصفقات التجارية وبشكل مستعمرات منفصلة بحيث كونت النواة لما يسمى في الوقت الحاضر المثليات التجارية والوكالات التجارية . كما أصبح لكل ضرب من ضروب التجارة ـ كتجارة السلع وتجارة الحيوانات وتجارة الرقيق ـ أسواق وعملاء ووكلاء وممولون ..

وبازدهار التجارة بدأ بتحديد الأوزان الرسمية وكانت تصدر هذه الأوزان دائرة خاصة تقوم بضبط الأوزان والمكاييل وينقش عليها الوزن القياسي ، وكانت هذه الموازين خاضعة لرقابة السلطة في المجتمع وعندما عرفت المعادن النفيسة (الذهب والفضة) اتسع اللجوء اليها وانتشرت التجارة فيها على سبيل استيرادها للاستهلاكات الداخلية أو على سبيل تصديرها أو التوسط في تصديرها الى المدن والى الأقاليم المجاورة ، ثم استخدم بعضها وخاصة الفضة واسطة للتبادل فكان بمثابة النقود كوسيلة دفع محددة الوزن والقيمة . وقد استخدمت الفضة كأساس للمدفوعات باعتبارها أساس التبادل على غرار الذهب الذي كان أساس التبادل قبل عهد ليس ببعيد جيداً .

وهكذا فقد ازدهرت التجارة في خلال الألف الأول من تاريخ الحضارة البابلية وفي عهد الامبراطورية الكلدية وذلك في عهد نبوخذ نصر الثاني وسلالة ملوك العهد البابلي الجديد .

ثانيا ـ العوامل التي ساعدت على ازدهار التجارة الخارجية :

هناك جملة من العوامل كان لها الأثر الأول في ازدهار التجارة الخارجية وفي تنشيط الحركات والظواهر المتصلة بها في اطار الاقتصاد البابلي ، ومن هذه العوامل نذكر :

١ ـ الموقع التجاري :

يحتل العراق أو بلاد وادي الرافدين كما يطلق عليه كثير من الباحثين موقعا استراتيجيا مهما يتوسط بلدان البحر المتوسط ذات الحضارات العريقة وبلدان الخليج العربي وما وراءها في بلدان الشرق الأقصى ، فهو يقع بين بحرين عظيمين هما : البحر الأعلى (أي البحر المتوسط) والبحر الأسفل (أي الخليج العربي) كما كان يطلق عليهما العراقيون القدماء أنفسهم . وقد كان لهذا الموقع التجاري المهم أثره في نشاط الحياة الاقتصادية ونشاط الاتصال الدائم بين سكان العراق وشعوب البلدان المجاورة والبعيدة سواء كان ذلك عن طريق الحرب أم عن طريق السلم[٣] .

وكان العراق يرتبط بالأقاليم الخارجية بعدة طرق كانت القوافل التجارية تسلكها ولأهمية هذه الطرق فإنهم كانوا يضعون أدلة واثباتات جغرافية بالطرق والمسالك المشهورة وتحديد المراحل والمدن التي تمر فيها أو تقع عليها والطرق المشهورة حسب اتجاهاتها والأقطار التي تؤدي اليها هي[٤] :

أ ـ الطرق المؤدية الى الأقاليم الغربية : كان يوجد طريقان مهمان يربطان العراق باتجاه غربي بلاد الشام وسواحل البحر الأبيض المتوسط وبلاد الأناضول فهناك طريق يبدأ من بابل ويسير بمحاذاة الفرات ويمر في الرمادي وهيت وعنه حتى يصل الى مدينة ماري

---

(٢) برهان محمد نوري « تجارة العراق الخارجية في العصر البابلي القديم » مجلة النفط والتنمية ، السنة السادسة ، نيسان ـ مارس ، ١٩٨١ ، ص ٥٧ .
(٣) الدكتور فاضل عبد الواحد والدكتور عامر سليمان « عادات وتقاليد الشعوب القديمة » بغداد ، ١٩٧٩ ، ص ٧ .
(٤) الدكتور طه باقر « مقدمة في تاريخ الحضارات القديمة » الجزء الأول ، منشورات دار البيان / مطبعة الحوادث / بغداد ١٩٧٣ ، ص ٢٩ ـ ٣٠ .

« بالقرب من البوكمال » في سوريا ثم يمر بتدمر وحمص ومنها يتشعب الى جملة فروع تؤدي كلها إلى موانىء البحر المتوسط ، وهناك طريق آخر يمر من نينوى ويعبر الفرات عند طرابلس ومدينة مسكنة ثم حلب وينتهي بنهر العاصي حيث يتشعب الى عدة طرق تؤدي الى الأجزاء الوسطى من سوريا والى سواحل البحر المتوسط ، ومن فروعه المهمة ما كان يتجه إلى الأناضول دارمينيا .

ب ـ الطرق المؤدية الى الأقاليم الشرقية : وهذه الطرق تمر بمناطق جبلية وعرة (جبال زاجروس) ، ومن الممرات المعروفة الممر الكائن بالقرب من (راوندوز) والممر الكائن في منطقة حلبجة وممر خانقين ، بالاضافة الى الطريق الذي يربط العراق بالنواحي الشرقية عن طريق بلاد عيلام وكان يسير محاذيا لسفوح جبال زاجروس حتى يصل الى سوسة عاصمة عيلام .

جـ ـ طريق البحرين : ويعتبر هذا الطريق من الطرق المهمة التجارية التي كانت تربط العراق بالعالم الخارجي ولا سيما الجهات الشرقية والهند والأجزاء الجنوبية من الجزيرة العربية حيث يعتبر الطريق البحري الوحيد للاتصال بالعالم وذلك عبر الخليج العربي .

٢ ـ وجود وسائل المواصلات :

وتتمثل وسائط النقل (في الغالب) بالعربات والسفن الشراعية والحيوانات المختلفة ، وقد استخدمت هذه الوسائل جميعها لنقل السلع والأموال عن طريق البر وطريق البحر . والعربة كغيرها من مبتكرات الانسان مرت بمراحل تطورية ، ففي البداية كانت بدون عجلات ، ثم ظهرت العربة ذات الأربع عجلات وبعد ذلك بفترة قصيرة ظهرت العربة ذات العجلتين . ويلاحظ أن النصوص المسمارية كانت تميز ، أحيانا ، بين عربات نقل المواد والبضائع التجارية وبين العربات الحربية ، وتمتاز الأخيرة بكونها سريعة الحركة لتكون قادرة على المناورة بسرعة ولهذا فان هذا النوع من العربات كان يعمل بعجلتين لأنها أسرع من العربات ذات الأربع عجلات والتي تستخدم في العادة لنقل السلع التجارية . هذا وان بعض أنواع من العربات كان الانسان نفسه يقوم بسحبها والبعض الآخر يستعمل الحيوان لسحبها ، وتشير المعلومات المتوفرة الى أن عدد الحيوانات التي تسحب العربة كان أربعة ، وان نوعية الحيوانات التي كانت تستخدم لهذا الغرض هي الحمير والبغال . أما الخيول فكانت غالية الثمن ولذلك لم تدخل الحياة اليومية بصورة واسعة وخاصة في العصر البابلي القديم .

ومما لا شك فيه ان ظهور السفينة الشراعية قد أحدث انقلابا كبيرا في طبيعة العلاقات التجارية قبل ظهور السفينة الشراعية تتمثل بالحيوانات ، والتجارة بواسطة الحيوانات لا تكون مجدية للربح إلا في حالة اقتصارها على المواد الثمينة والخفيفة الوزن نسبيا كالذهب والفضة والأحجار الكريمة[٥] .

وما دامت السفينة الشراعية كبيرة الحجم وقليلة التكاليف ولها القدرة على الوصول الى مسافات بعيدة ، فقد ساعد ذلك على المتاجرة بمواد أخرى غير المواد الثمينة . وهذه الناحية قد وسعت في نطاق السلع التجارية بحيث أنها شملت المتاجرة بالمواد الغذائية والصناعية ومواد البناء .

وبالاضافة الى السفن الشراعية كانت أنواع أخرى من وسائط النقل المائية هي القوارب والقفف والعبارات .

وفيما يخص حمولات السفن المختلفة ، فان النصوص تشير الى أن أكبر السفن المستخدمة لنقل السلع التجارية بلغت (١٢٠) كورا[٦] ، أما السفن الأكثر استخداما فهي التي كانت سعتها (٦٠) كورا ، وشريعة حمورابي لم تذكر في موادها الا السفينة سعة الـ ٦٠ كورا . وهذا مما يدل على كون هذا النوع هو الشائع الاستعمال وقد حددت شريعة حمورابي الايجار اليومي للسفينة بمقدار ١/٦ شاقل[٧] (علما أن الشاقل يساوي بأوزاننا الحالية ٨,٤ غم) من الفضة .

هذا وكانت السفن تختلف من حيث التصاميم ، وهناك من النصوص ما يشير الى أن هناك سفنا عديدة تختص كل واحدة منها

(٥) الدكتور فوزي رشيد « وسائط النقل المائية والبرية في العراق القديم » مجلة النفط والتنمية ، السنة السادسة ٢ نيسان ، مارس ١٩٨١ ، ص ١٠١ .

(٦) الطن = ١٠ كوراً .

(٧) ان ايجار السفينة غير ثابت فقد ارتفع هذا الايجار ليصل الى شاقل في اليوم انظر : ـ لـ ويلابورت ، بلاد ما بين النهرين ، ترجمة محرم كمال ، المطبعة النموذجية ، من القاهرة ، بدون تاريخ ، ص ١٣٩ .

بنقل مادة من المواد ، والاعتقاد السائد أن أنواع السفن قد بلغ (٤٠) نوعا بعضها كان متخصصا لنقل الشعير والآخر لنقل الطحين وهكذا بالنسبة لبقية المواد الحيوية الأخرى .

٣ ـ استخدام وسائل الائتمان وانتشار الصيرفة :

لقد سهل من عمليات التجارة الخارجية ما كان في بلاد الرافدين من نظام مالي راق محكم ، فقد كانت تستخدم الى جانب المقايضة سبائك الذهب والفضة وسيلة للتبادل ومعيارا لتقدير قيم الأشياء . وكانت أصغر وحدة في العملة هي الشيقل ، وكانت ستون شاقلا تكون مينا وستون مينا تكون تالنتا[٨] . وكان التجار يستأجرون مهرة الكتاب لتسيير أمورهم . وقد أدى استخدام الرسائل والحوالات الى ظهور تنظيم جديد يقوم على وساطة أفراد أو مؤسسات أهلية أو رسمية في إقراض الأموال للتجار بغية تسهيل التعامل والاتجار وقد تطور هذا التنظيم ابتداء من عمليات الاقراض والايداع البسيطة الى عمليات الرهن والتأمين والتوظيف المهمة ، وذلك بفضل تطور وتوسع وانتشار استخدام صكوك الائتمان في ميادين التجارة الخارجية ، ثم بفضل ظهور شركات تجارية ومصارف وصيارفة متعددة .

واذا كان تطور الائتمان وانتشار الصيرفة ساعد على توسيع التجارة الخارجية ، فان ازدهار التجارة الخارجية بدوره كان عاملا في تنشيط نوع من الائتمان والصيرفة مجاله الأسواق المهمة للتجارة ومداه القروض ومبالغ الأموال التي كان يضعها الصيارفة بين أيدي التجار والوكلاء لتسهيل عقد الصفقات التجارية ولعمليات البيع والشراء أو عمليات الاستيراد والتصدير بين تجار بابل وتجار الأقطار المجاورة[٩] .

وكان البابليون يصنعون قطعا من الفضة على أشكال شتى ومنها الشيقل ، كما كان يشيع عندهم (نصف شيقل) وكانوا في بعض الأحيان يستخدمون ما يدعى بـ « سي » وهو حبة . وفي العهد البابلي الحديث استخدم المعيار الفضي ، وقد كانت نسبة الفضة الى الذهب فيه محددة بنسب معينة ، ولا شك أن اعتماد العملة القياسية جعل الحساب والاحتساب عملية يسيرة وسهلة ، باعتباره ينطوي على قواعد مقررة وثابتة في التبادل التجاري[١٠] . كما أن إدخال الفضة كوسيلة للتبادل التجاري شجع على عمليات الاقتراض بسبب إمكان خزن العملة (الفضة) وتداولها ، كما كان له آثار كبيرة وفوائد جمة على تطوير التجارة ، حيث تم توظيف الفضة لدفع قيام السلع المستوردة والتي كانت تصنع ويعاد تصديرها الى البلدان المجاورة[١١] ، وهذا يعني أن السلع المستوردة لا يجري إدخالها كلها في الاقتصاد الداخلي وإنما يعاد تصدير بعضها الى المناطق المجاورة بعد تحويلها الى سلع جاهزة .

٤ ـ التأثير المتبادل بين التطور الحضاري وتطور التجارة الخارجية :

كان السهل الرسوبي في العراق يفتقر الى المواد الأولية الضرورية لقيام الحضارة كالمعادن والأحجار والأخشاب ، لذا فقد اضطر سكان وادي الرافدين إلى الحصول على مثل تلك المواد عن طريق التجارة الخارجية ، وأصبحت الفتوحات ترمي بالدرجة الأولى الى السيطرة على الأقاليم الغنية بالمواد الأولية الضرورية لحضارة وادي الرافدين . وهكذا فقد لعبت التجارة دورا بارزا في حضارة العراق القديم وفي مختلف عهوده ، فقد كانت التجارة بالنسبة لبلاد ما بين النهرين مصدرا أساسيا للمواد الأولية التي بدونها كان من الصعب خلق الحضارة الراقية ، إن افتقار بلاد بابل للمعادن والأحجار والأخشاب الجيدة حتم ضرورة استيراد تلك المواد وغيرها من المواد الأولية من الخارج وبكميات ضخمة . وهذه الحاجة خلقت بدورها حاجة أساسية أخرى وهي ضرورة انتاج سلع زراعية وصناعية جيدة ومرغوبة لغرض تصديرها مقابل استيرادات هذه البلاد[١٢] . وفي

(٨) و. ل. ديورانت « قصة الحضارة » ترجمة محمد زيدان ، لجنة التأليف والترجمة والنشر ، القاهرة ١٩٦٢ ، الجزء الثاني ، ص ٢٠٤ .

(٩) *W. F. Leemans, Foreign trade in old baby Lonion Periode, Leiden, 1960, p. 130.*

(١٠) فؤاد جميل « لمحات من الحياة الاقتصادية لدى سكان العراق القدامى » ، مجلة الاقتصاد ، العدد السابع ، تموز ١٩٧١ ، ص ٤٨ .

(١١) برهان محمد نوري ، المصدر السابق ، ص ١٦٢ .

(١٢) اخلاص مرتضى حسن « دور الدولة في نمط الاقتصاد العراقي القديم وأهميته للنظم الاقتصادية اللاحقة مع اشارة خاصة الى عهد سلالة بابل الأولى » رسالة ماجستير في الاقتصاد ، جامعة بغداد ، كلية الادارة والاقتصاد ، بغداد ١٩٧٧ ، ص ٧١ .

نفس الوقت فان الاهتمام بالزراعة والصناعة أدى الى تطور أعمال البناء والقيام بمشاريع ضخمة وفتح القنوات وتطور الحرف ، وهذا بدوره أدى الى زيادة الانتاج الصناعي (الحرفي) والزراعي وهذا التزايد المستمر في الانتاج الزراعي والصناعي استتبع ضرورة تصدير بعض الناتج الفائض الى الخارج . وهكذا فان التقدم الحضاري في وادي الرافدين أدى الى ازدهار التجارة ، كما ان ازدهار التجارة بدوره أدى الى ضمان موارد اقتصادية مهمة للدولة فاتسع الانتاج وزاد العمران وانتعشت الصناعة .

كذلك ساهمت التجارة في تطوير التعدين في المنطقة ، فقد عثر على زقورة في سلطنة عمان وهي تشير بوضوح الى تواجد عراقي تجاري واستيطان مشروط بوجود معبد مرتفع (الزقورة) لأغراض الاشراف على التعدين ونقل المعادن والنحاس بالذات الى العراق .

٥ ـ ظهور الدولة القوية المركزية :

لقد استلزم ضمان ازدهار التجارة الخارجية ظهور الدولة القوية المركزية ، دولة القطر الموحدة بتوحيد دول المدن القديمة المتضاربة في مصالحها التجارية ، وقد قوى هذا العامل وازدوج معه عامل مهم آخر عمل على ظهور أولى أنظمة الحكم وتطويرها الى الوحدة السياسية الشاملة . ذلك هو تنظيم شؤون الري والسيطرة على الأنهار واقامة مشاريع الري[1] .

وفي عهد حمورابي تكونت امبراطورية واسعة ، فاعتنى بضمان السيطرة على الطرق التجارية المهمة بين العراق وسوريا الشمالية وموانيء البحر المتوسط وبلاد الأناضول ، وذلك للتوسع الهائل الذي حدث في النشاط التجاري في عهده فقد أصبحت بابل المركز الحقيقي لتجارة الشرق بفضل مركزها الجغرافي الاستراتيجي ، وبفضل توحيد مصالح المدن المختلفة وتطوير وسائل المواصلات ووسائل حماية القوافل والطرق التجارية اذ بذل ملوك بابل اهتماما واسعا لحماية الطرق والقوافل والتجارة إلى درجة أنهم جردوا حملات لتأديب الأقوام والشعوب التي تتعرض للقوافل التجارية وفرضوا عليها العقوبات والغرامات وأخضعوها لسلطانهم وبنوا الحصون والقلاع العسكرية ، كما عقدوا مع بعض الملوك معاهدات لتوفير النقل وضمان الأمن وتسهيل حركة انتقال السلع والمسافرين ومركز البريد والأخبار ، وأنشأوا نظام البريد لضمان نقل الرسائل .

ثالثا ـ أهم الاستيرادات والصادرات وتوزيعها الجغرافي :

يتطلب استكمال دراسة التجارة الخارجية في العهد البابلي معرفة نطاق هذه التجارة بشقيها (الاستيرادات والصادرات) والتوزيع الجغرافي لها .

١ ـ الاستيرادات :

تشير المصادر المتوفرة ان استيرادات بلاد الرافدين كانت تتركز في المواد الأولية الضرورية لقيام الحضارة وغير المتوافرة في العراق آنذاك وبخاصة المعادن والأحجار والأخشاب والعطور والأحجار الكريمة وشبه الكريمة والعاج والأدوية والتوابل .

فمثلا كان الذهب يستورد من أرمينيا وملوخا (وهي الحبشة أو بلاد النوبة) وكذلك كان يأتي من جزيرة اوتلمونه (البحرين) ولم يكن هذا المعدن الثمين يستعمل كواسطة للتبادل التجاري إلا نادرا ، وانما كان يستعمل كحلي للزينة أو على أساس انها قطع نادرة ذات قيمة عالية . وبالنسبة للفضة فقد كانت تستورد بصورة خاصة من ايران وبلاد الأناضول ، وكانت للفضة أهمية خاصة كأحد الوسائل الرئيسية للتداول ، وقد سبق أن بينا أن وحدة العمل وهي الشاقل كانت تصنع من الفضة . وطبقا لقوانين العرض والطلب فان قيمة الفضة في بلاد بابل كانت دائما أقل من قيمة الذهب حيث يشار إلى أن نسبة قيمة الذهب إلى قيمة الفضة خلال معظم عهود بلاد ما بين النهرين هي (١٠ ـ ١) .

أما الأخشاب فكانت تستورد كميات كبيرة منها لاستعمالها في الأعمال المختلفة ولصنع السفن وأحيانا كوقود . وكانت تستورد من مناطق مختلفة وذلك حسب نوعية الخشب ، فمثلا أخشاب البلوط والجوز والتنوب كانت تستورد من البلدان الشمالية ، وخشب شجر الأرز كان يستورد من لبنان لصنع الأثاث في بابل .

---

(١٣) طه باقر ، المصدر السابق ، ص ٢٨ .

وبعض الأخشاب كانت تستورد من سوسة (الشوش) بواسطة نهر الكارون لغرض صنع السفن التجارية .

وكان البرونز الطبيعي (وهو النحاس المخلوط بالنيكل بصورة طبيعية) يستورد من عمان . وكانت مختلف الأحجار الكريمة وشبه الكريمة تستورد من أفغانستان ولا سيما حجر اللازورد ، وكذلك كان العقيق بأنواعه المختلفة والأصداف واللؤلؤ تستورد من مناطق الخليج العربي ومن الجهات الشمالية الغربية من الهند (أي بلاد السند) .

أما النحاس فقد احتل مكانة مهمة في استيرادات البابليين وكان يستورد من مكان (سلطنة عمان حاليا) ومن ديلمون ، وكذلك كان يستورد من اشور في العصر البابلي القديم والذي كان يأتي في الأصل من آسيا الصغرى ، وكذلك كان يستورد من ايران ومن سوريا . وكان تجار بلاد ما بين النهرين يقومون بتصنيع النحاس الى سلع مختلفة ثم يعودون ويصدرونها الى البلدان المختلفة[١٤] . ويبدو أنه كان هناك تجار متخصصون في المتاجرة بالنحاس ومنتجاته في بلاد بابل حيث تشير الوثائق التاريخية الى واحد من أشهر تجار النحاس العراقيين القدامى في العصر البابلي القديم المعروف بـ (أيا ـ ناصر Ea - Nasir) .

وكانت تستورد مختلف أنواع العطور من مختلف بلدان البحر المتوسط وبخاصة من جزيرة كريت وكذلك كانت تستورد كميات كبيرة من الصمغ والزيوت اذ أن الطلب على هذه المواد كان متزايدا في بلاد الرافدين نظرا للأغراض المتعددة التي كانت تستخدم فيها تلك المواد . أما العاج فقد كان يستورد اما من القارة الهندية أو من أفريقيا الشرقية ومن الحبشة وكينيا . وقد عثر على العاج بشكل طيور وفواكه . وكان القصدير يستورد بصورة خاصة من ايران وبلاد القفقاس وأوروبا .

الى جانب هذه العمليات فقد ازدهرت في بلاد بابل أيضا تجارة العبيد حيث يوجد تجار متخصصين بتجارة العبيد ، وتشير شريعة حمورابي بشكل واضح الى هذه التجارة .

٢ ـ الصادرات :

مثلما كان قطاع الاستيراد مزدهرا كان كذلك قطاع التصدير متطورا أيضا حيث كانت بلاد الرافدين تصدر مختلف السلع الزراعية والمصنوعات النحاسية والسلع النسيجية وفي أدناه أهم الصادرات والأقاليم التي يتم التصدير اليها :

السلع الزراعية : وتضم الشعير والزيوت النباتية والصوف والتمور وهذه المواد كانت تصدر الى أقليم عيلام في ايران بواسطة السفن عن طريق نهر الكارون وكذلك تصدر الى مكان (عمان) في الخليج العربي والى ديلمون (البحرين) . وكانت السلع الزراعية الى مراكز الخليج العربي بكميات كبيرة للحاجة الفعلية لهذه المواد في منطقة الخليج بسبب ظروفها المناخية شبه الصحراوية وضعف انتاجها الزراعي بعكس ما هو عليه الحال في بلاد الرافدين التي كانت متقدمة زراعيا ، وكان هناك اهتماما واضحا بالزراعة واقامة السدود وشبكات الري .

وحيث أن تصدير السلع الزراعية الى منطقة الخليج كان يتطلب من هذه المنطقة اطفاء قيمة استيراداتها من العراق لذا نجدها تصدر اليه النحاس والأخشاب والأحجار وبضمنها أنواع الأحجار الكريمة كما ذكرنا ونعتقد أن هذا يعطينا دليلا كافيا للقول بأن التكامل الاقتصادي قد شهد أعلى مستوياته بين العراق وبين الخليج العربي[١٥] .

السلع المصنعة : وتضم الألبسة الجاهزة والمنسوجات التي كانت تصنع بكميات كبيرة في منطقة بابل ، وكانت الأقمشة تصبغ وتطرز بمهارة جعلتها من أثمن السلع التي تصدرها بابل إلى الخارج والتي وصفها كتاب اليونان والرومان أحسن وصف وأثنوا عليها أجمل ثناء[١٦] .

---

(١٤) وهذا يشير الى تقدم بلاد بابل آنذاك فهي تقوم بدور مشابه للدور الذي تقوم به الدول الصناعية المتقدمة الآن حيث تقوم باستيراد المواد الأولية من الدول النامية ثم تصنعها وتعيد تصديرها الى هذه الدول بأسعار مرتفعة قياساً الى اسعار المواد الأولية المستوردة .

(١٥) الدكتور رضا جواد الهاشمي « المقومات الاقتصادية لمجتمع الخليج العربي القديم » مجلة النفط والتنمية ، السنة السادسة ، نيسان ـ مارس ، ١٩٨١ ، ص ٨٤ .

(١٦) ول ديورانت « قصته الحضارة » مصدر سابق ، ص ٢٠٢ .

ومعظم الألبسة الجاهزة كانت تصدر الى مكـان « عمان » والى ديلمون (البحرين) كما كانت تصدر الى قطنا في سوريا . كذلك كان يتم تصدير السلع المصنعة الأخرى كالمصنوعات النحاسية ، وكزيت الأرز وزيت الصنوبر الذي كان يصدر الى الأقاليم الغربية ، على أن بعض هذه السلع كانت قد استوردت في الأصل كمواد أولية ثم جرى تصنيعها من أجل التصدير . ولهذا كانت هذه الصناعات مع صناعة النسيج تدر أرباحا طائلة للدولة .

ومن الصناعات المهمة أيضا صناعة الجلود والخمور بأنـواعها المستخلصة من التمور والكروم وكان يتم تصدير بعضها . اضافة الى ما تقدم فقد كان يتم تصـدير بعض الصنـاعات اليـدوية الـدقيقة كالأختام الاسطوانية وبعض الأواني والأدوات الفخارية والمعدنية .

السلع المعدنية : كان البابليون يصدرون بعض السلع المعدنية وبكميات كبيرة ومن هـذه السلع القصديـر الذي كـان يصدر الى مختلف الأقاليم في أشور والأناضول وشمال سورية التي كانت غنية بالنحاس وتحتاج الى التصدير من أجل صنع البرونز .

وهكذا يلاحظ أن قطاع التصدير كان متطورا أيضا مثل ما هو عليه الحال بالنسبة الى قطاع الاستيراد ، ولا شك أن حاجة البلاد الى السلع غير المتوافرة فيها وبالتالي ضـرورة استيرادهـا من الخارج كانت دافعا لايجاد الصادرات الملائمة لسد قيم الاستيرادات . ومن الجدير بالذكر أن العراقيين القدماء قاموا بدور الوسيط في استيراد بعض السلع من مناطق توفرها ومن ثم تصديرها الى مناطق أخرى بهيئتها الأصلية (اعادة التصدير) أو بعد تصنيعها كما ذكرنا .

رابعا ـ تنظيم التجارة الخارجية :

لأهمية التجارة الخارجية في العهـد البابـلي فقد اهتمت الـدولة بتنظيمها ووضعت التشريعات المختلفة لذلك ، هذا وان التجـارة الخارجية كانت محتكرة تقريبا من قبل الدولة في عهد سـلالة اور الثالثة ـ وقد كان هناك موظفون حكوميون يقومون بالنشـاطات التجارية من استيراد وتصدير[١٧] . حيث تشير الوثائق التاريخية الى أن العديد من التجار كانوا مستخدمين لدى الدولة والمعابد في ذلك العهد[١٨] . كما كـان هناك في نفس العهـد تجار يعملون لحسـابهم الخاص (قطاع تجاري خاص) ، ولكن الدولة كانت تحصل عـلى الـدولـة الكبـرى من الفـائض الاقتصـادي المتحقق من القـطاع التجاري وكانت تقوم باعادة توزيع هذا الفائض بنفسها أيضا .

وقد شهد العصر البابلي القديم انتقـالا تدريجيـا للسيطرة عـلى التجارة الخارجيـة من الدولـة الى الأفراد الـذين بدأوا بـاستثمار ما متراكم لديهم من رؤوس أموال في مجال التجارة الخارجية ، الا أن ذلك لا يعني أن الدولة قد تخلت نهائيا عن دورها في القطاع التجاري بل ظل جزءا كبيرا منه تحت سيطرتها ، وقد عادت الدولة الى احتكار التجارة الخارجية بصورة شبه تامة في عهد حمورابي ، ويشير في هذا الصدد الأستاذ « ليمانز » الى أنه لم يعد هناك في عهد حمورابي تجار أغنياء كبار ولم يبق سوى تجار صغـار قلائـل لا يتجاوز عـددهم العشرين في كل البلاد[١٩] . وهكذا فان التجارة الخارجية كـانت محتكرة من قبل الدولة في عهد حمورابي وتدار من قبل التجار تحت اشرافها .

اضافة الى ما تقدم فقد كانت الدولة تعقد اتفاقيات ومعاهدات تجارية مع الدول الأخرى لضمان حماية حركة التجارة وكان للدولة موظفون مختصون بتنظيم الشؤون والعلاقات التجارية في البلاد ، كما كان هناك نقابات يشرف عليها حكوميون مما يمكن أن يعتبر دليلا على ادارة الدولة للقطاع التجاري .

كذلك كانت الدولة تحصل عـلى جزء من الفـائض الاقتصادي المتحقق في القطاع التجاري الخاص من خلال فـرضها الضـرائب والرسوم الجمركية المفروضة على التجار ومن خلال ضريبة العشر الى المعابد .

وكذلك على اهتمام الـدولة بـالتجارة الخـارجية والاتصـالات التجارية أنه كان لكل مدينة مهمة من العراق القديم ميناء كبير على النهـر . وكان الميـنـاء من أهم أجزاء المـدينة . وكـانت هناك أيضـا

---

(١٧) *W. W. Hallo and W. K. Simpson : The Ancient Near Fast, a History (Noy. 1971) p. 82.*

(١٨) *W. F. Leemans, THE AD/Baby Lonion marchant, His busines and his Social Position, Leiden, 1950, p. 42.*

(١٩) *Leemans, op. cit, p. 122.*

مستعمرات تجارية في مناطق متعددة خارج العراق ، فلقد عثر على المستعمرات التي يطلق على الواحدة منها اسم (الكارم) أو (الكار)[20] وهي مستعمرات تجارية تقوم بتنظيم عملية التجارة والتحويلات المصرفية والمقايضة بين المدينة الأجنبية المضيفة وبين البعثة التجارية . كما مارس العراقيون القدماء التجارة عن طريق عقود العمولة أو تعيين وكلاء ، حيث اذا لم يستطع التاجر الحضور بنفسه لبيع صفقته في مكان يختار وكيلا يحدد له كتابة مهمته ويخوله سلطة تحرير العقد وتثبيته بقسم .

أما فيما يخص التجارة مع الأقاليم البعيدة فان بعض التجار كان يكون نوعا من شركة المساهمة وكان يعهد بمبلغ من المال لاستثماره تجاريا أو يسلم بضائعه لبيعها الى مرتحل تجاري يضع تحت تصرفه مواهبه وتجاربه ومهارته[21] . وقد كان عقد الشركة معروفا لدى البابليين . وان الشركاء لم يكن يتحتم عليهم أن يكون أساس اشتراكهم رأس مال نقدي ، بل كثيرا ما كان هدفهم اقتراض المبلغ اللازم لتنفيذ مشروعاتهم مع تعهدهم متضامنين بالسداد ، وفي حالة حل الشركة كانت الأرباح والخسائر تقسم تبعا للأنصبة المتفق عليها وقت انشاء الشركة ، وتكون التصفية عامة وتتضمن جميع ما في الشركة ، وكان اعلان ذلك يتم أمام السلطة القضائية .

وهكذا يتضح أن البابليين اهتموا بتنظيم وادارة الشركات التجارية ، وانهم استخدموا بعض طرق استثمار رؤوس الأموال وانهم عرفوا كيف يوظفونها في شركة المضاربة عن طريق توسيط العملاء في الخارج ، وعن طريق انشاء المراكز التجارية وقد دلت الألواح التي تم العثور عليها هناك أن ثمة وثائق ورسائل تجارية تشير الى ادارة التجارة وتنظيم العلاقات التجارية وحركة القوافل وطرق السفر وتنظم عمليات التبادل وتنظم معاملات التمويل وطرق الحوالات التي كانت تتوسط المبادلات التجارية فتسهل لحامل التحويل والرسائل المحولة مبالغ الأموال المنقولة فيها .

كما يلاحظ أن البابليين استخدموا المراسلات التجارية التي ظهرت بشكل ألواح من الطين تنقل عن طريق القوافل والبريد . وكانت تتضمن هذه المراسلات الرسائل التجارية والمستندات والوثائق المتعلقة بالتجارة مكتوبة بالخط المسماري وموقعة بالأختام الاسطوانية . ولقد استخدمت هذه الرسائل الخطية للدلالة على تسلم البضائع كما ظهرت بشكل حوالات ورسائل اعتماد بمنزلة صكوك الائتمان لدينا[22] .

ومن الجدير بالذكر أن التنظيم التجاري الذي سلكه سكان العراق القدامى كان له التأثير الكبير في الشعوب التي قدر لها أن تتعامل معهم من أمثال العبرانيين والاراميين كمعاملات البيع والشراء والمقاييس والمكاييل وقواعد التعاقد التجاري ، ولا أدل من الاهتمام بالقطاع التجاري آنذاك والارتقاء به من قوانينه فشريعة حمورابي احتوت على [12] مادة من مجموع موادها البالغة (٢٨٢) خاصة بالقطاع التجاري . حيث نظمت شريعة حمورابي هذا القطاع من جميع الوجوه كايجار السفن التجارية وأجور الخزن وكالعقود التجارية وتنظيمها ... الخ .

فقد اشترطت شريعة حمورابي ، مثلا ، ضرورة تنظيم عقود رسمية بين التجار وبين من يتعاملون معهم في مختلف المعاملات التجارية والا فقد كان يعتبر باطلا قانونا أي اتفاق تجاري غير مدعم بعقد رسمي وشهود[23] .

وفيما يخص نظام المشاركة التجارية نصت شريعة حمورابي على أنه اذا قدم شخص ما نقودا لآخر على سبيل المشاركة فعليهما اعلان أرباحها وخسائرها أمام الاله واقتسامها بالتساوي . واذا قدم تاجر نقودا الى وكيله للمتاجرة بها في رحلة تجارية على الوكيل استثمار تلك النقود فاذا حقق ذلك الوكيل ربحا عليه تدوين كل ذلك في سجلات خاصة يحتفظ بها . وان لم يحقق ربحا في رحلته فعليه أن يدفع للتاجر ضعف مبلغ النقود التي استلمها منه[24] . أما اذا حقق

(٢٠) نلاحظ هنا أن مصطلح « Karum » أو « Karum » هو نفس المصطلح المستخدم اليوم في عبارة الكار أو صاحب كار بمعنى صاحب مصلحة أو تجارة .
انظر : الدكتور مؤيد سعيد « مظاهر التنمية في عالم اليوم والمؤشرات حول التنمية عبر التاريخ » مجلة النفط والتنمية ، السنة السادسة ، ١٩٨١ ، ص ١٠ .
(٢١) ل. ديلابورث ، مصدر سابق ، ص ١٣٩ .
(٢٢) الدكتور محمد علي رضا الجاسم ، مصدر سابق ، ص ٢٨ ـ ٢٩ .
(٢٣) *G. R. Driver and J. C. Miles (EDS), The Babylonion Laws, Vol I. Leganl Commentary, OXFORD, Clarendon Press, 1968, p. 234-235.*
(٢٤) نعتقد هنا أن المقصود هو ضياع فرصة المربح بسبب الاهمال أو عدم الأمانة في العمل ولا يقصد بذلك انه قد حقق خسارة .

خسارة فعليه اعادة المال الذي استلمه من التاجر كاملا . واذا كان قد سلب منه قطاع الطرق كل ما يحمله معه أثناء رحلته عليه أن يقسم بذلك أمام الاله وبذلك يتخلص من المسؤولية .

واذا قدم أحد التجار سلعا كالحبوب أو الصوف بدلا من النقود الى الوكيل للمتاجرة بها فعلى الوكيل تسجيل أثمانها في سجلاته ودفع تلك المبالغ الى التاجر مع استلام وصل مختوما عما سلمه فانه يتحمل مسؤولية المبالغ التي لم يستحصل بها وصلا .

مما تقدم يلاحظ أن العمليات التجارية في تاريخنا القديم قد نظمت بشكل قريب عما هو سائد في عصرنا هذا على الرغم من التطور الذي حصل على الشؤون التجارية والمصرفية حاليا .

الخاتمة

لعبت التجارة الخارجية دورا مهما في الاقتصاد العراقي القديم وبخاصة في العهد البابلي ، فقد أظهرت تنقيبات علماء الآثار أن سهل وادي الرافدين السفلي أو ما يسمى بمنطقة بابل بأنه كان غنيا بالمنتجات الزراعية وفقيرا بالمعادن والأحجار الثمينة والأخشاب والعطور والتوابل ، مما شجع على قيام التجارة الخارجية ، اضافة الى توفر المواصلات البرية والنهرية وما يتميز فيه العراق من موقع جغرافي استراتيجي حيوي حيث يتوسط بلدان البحر المتوسط ذات الحضارات العريقة وبلدان الخليج العربي وما وراءها من بلدان الشرق الأقصى .

ولأهمية التجارة الخارجية في الاقتصاد العراقي آنذاك اهتمت الدولة بتنظيمها ووضعت التشريعات المختلفة لذلك وعملت على حمايتها وازدهارها اضافة الى التدخل المباشر فيها حيث كان هناك موظفون حكوميون يقومون بالنشاطات التجارية من استيراد وتصدير ، مما يشير الى أن العصر البابلي القديم كان يحمل في بعض جوانبه النهج الاشتراكي ومشاركة الدولة في النشاط الاقتصادي والتجارة الخارجية بشكل خاص .

ان المتفحص لتجارة العراق الخارجية قديما يلاحظ أوجه الشبه بتجارة العراق حديثا ، حيث أن السلع الزراعية كانت تشكل معظم الصادرات العراقية والسلع المصنعة الزراعية والمعدنية المستوردة ، ويلاحظ وجه التشابه من درجة اهتمام الدولة بهذه التجارة فكما هو الحال عليه الآن في العراق اهتم العراقيون القدماء بتنظيم التجارة الخارجية وكما أن التاجر كان يقوم بمعاملات تجارية تشابه المعاملات التي يقوم بها التاجر في الوقت الحاضر فهو اضافة الى كونه يقوم ببيع وشراء السلع التي يتعامل بها كان وكيلا للحكومة في بعض الصفقات التجارية وشريكا للعديد من الباعة وممولا للبعض الآخر ، اضافة الى أن تسوية الديون المترتبة على العملاء كانت تتم بوسائل مشابهة لما هو مستعمل الآن من سندات وحوالات مالية وصكوك ، الا أن هذه الوسائل كانت تكتب على الطين سابقا وفي الوقت الحاضر استخدم الورق . وكانت المعادن قديما وسيلة قياسية لتقوم مقام النقود كما هو سائد في وقتنا الحاضر .

المصادر

١ ـ الدكتور محمد علي رضا الجاسم « الائتمان والصيرفة في العراق القديم » مطبعة دار التضامن ، بغداد ، ١٩٦٤ .

٢ ـ برهان محمد نوري « تجارة العراق الخارجية في العصر البابلي القديم » مجلة النفط والتنمية / السنة السادسة / نيسان ـ مارس ١٩٨١ » .

٣ ـ الدكتور فاضل عبدالواحد والدكتور عامر سليمان « عادات وتقاليد الشعوب القديمة » بغداد ١٩٧٩ .

٤ ـ الدكتور طه باقر « مقدمة في تاريخ الحضارات القديمة » الجزء الأول منشورات دار البيان / مطبعة الحوادث / بغداد ١٩٧٣ .

٥ ـ الدكتور فوزي رشيد « وسائط النقل المائية والبرية في العراق القديم » مجلة النفط والتنمية / السنة السادسة ، نيسان ـ مارس ١٩٨١ .

٦ ـ ول . ديورانت « قصة الحضارة » ترجمة محمد زيدان ، لجنة التأليف والترجمة والنشر ، القاهرة ١٩٦٢ ، الجزء الثاني .

٧ ـ فؤاد جميل « لمحات في الحياة الاقتصادية لدى سكان العراق القدامى » مجلة الاقتصاد ، العدد السابع ، تموز ١٩٧١ .

٨ ـ إخلاص مرتضى حسن « دور الدولة في نمط الاقتصاد العراقي القديم وأهميته للنظم الاقتصادية اللاحقة مع اشارة خاصة الى عهد سلالة بابل الأولى » رسالة ماجستير في الاقتصاد ، جامعة بغداد ، كلية الادارة والاقتصاد ١٩٧٧ .

٩ ـ الدكتور رضا جواد الهاشمي « المقومات الاقتصادية لمجتمع الخليج العربي القديم » مجلة النفط والتنمية ، السنة السادسة ، نيسان ـ مارس ١٩٨١ .

١٠ ـ الدكتور مؤيد سعيد « مظاهر التنمية في عالم اليوم والمؤشرات حول العالم عبر التاريخ » مجلة النفط والتنمية ، السنة السادسة ١٩٨١ .

11. W.F. Leemans, Foreign trade in old babylonion periods, Leiden, 1960.

12. W.W. Hallo and W.K. Simpson: The Ancient Near East, a History (Noy. 1971).

13. W.F. Leemans the old-BabyLonion His Business and his Sociail position Leidenm 95.


مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

بحوث تاريخية مترجمة

نحن لا ننسخ الماضي ولا نستنسخ عن الماضي وإنما نستلهم روحه بصيغة جديدة من التطور.

مدرسة ابن الجوزي في التدوين التأريخي

بقلم المستشرق المجري J. Somogyi
ترجمة : د . جزيل عبد الجبار الجومرد
كلية التربية ـ جامعة الموصل

بدأ علم التاريخ العربي مع تسجيل وجمع المعلومات عن بدايات الإسلام . وقد تركز الاهتمام الإسلامي بشكل رئيسي على موضوعين اثنين : ترجمة حياة الرسول محمد (ص) ـ سيرة الرسول ـ ثم الحروب الأولى للإسلام ـ المغازي . ودراسة كلا هذين الموضوعين بدأت في فترة مبكرة ، فترة الأمويين الأوائل ، وازدهرت بشكل متكامل في المناخ الديني لدى العباسيين .

شكّل الحديث معلومات كلا الموضوعين التاريخيين . كل جزء مفرد منه كان له ـ إسناد ـ يرجع في أصله إلى المخبّر الأول به ، والذي كان قد حصل عليه من تجربته الخاصة المباشرة . ومن هنا ، فلا عجب أن كل مجموعة حديث ضخمة لها فصول خاصة في كل من السيرة والمغازي . وظهرت فيها بعد أعمال مستقلة في كل من الموضوعين ، بعد تأليف العناصر المفردة المختلفة للمعلومات التي لها صلة بهذه المواضيع . وقد كان الرمز والأنموذج لأدب السيرة هو عمل ابن هشام (ت ٢١٨/ ٨٣٣) ، أما بالنسبة لأدب المغازي فقد حاز تلك المرتبة عمل الواقدي (ت ٢٠٧/ ٨٢٢) .

هذه الأعمال خاصة أدت إلى ظهور طريقتين مختلفتين في علم التدوين التاريخي . فمن ناحية ، تطور أدب السيرة أولاً الى كتابة حياة صحابة الرسول ، ومن بعد إلى كتابة سير كل الشخصيات المهمة في التاريخ الإسلامي . ومن الناحية الأخرى ، فإن أدب المغازي تطور إلى السجل الحولي للأحداث . وهكذا ، فبالرجوع إلى فترة الأدب العربي لما بعد الكلاسيكية نجد أن هذين النمطين من التدوين التاريخي لم يعد لهما ميادين خاصة واضحة التعريف .

وأعمال التاريخ العام ، ككتاب ـ تاريخ الرسل والملوك ـ الكلاسيكي للطبري (ت ٣١٠هـ/ ٩٢٢م) ، رغم احتفاظها بشكلها الحولي ، فإن مادتها أيضاً قسمت إلى فصول طبقاً لفترات حكم الحكام ، وفي حالات كثيرة ، فإنها لا تحوي أكثر من التاريخ السلالي . ثم مرة أخرى ، مجاميع التراجم المتعددة ، والتي كان نموذجها كتاب الطبقات الكبير لابن سعد الزهري (ت ٢٣٠/ ٨٤٤) يحوي قدراً طيباً من المادة التاريخية أيضاً .

ومع مرور الزمن ، وبشكل موازٍ لهذين النمطين من التدوين التاريخي ، فإن نمطاً ثالثاً ، هو إلى حدٍ ما مزيج من النمطين السابقين ، ظهر إلى الوجود . وكنتيجة للانتشار الجغرافي للإسلام ، فإن عدداً متزايداً من الدراسات الإقليمية أو المدينية كانت قد أنجزت لغرض تضمين تراجم كل العلماء والمشاهير الذين إما حيوا من قبل المدينة المعنية أو شغلوا منصباً وظيفياً فيها في عمل واحد . وبالطبع فإن هذا النمط المتمزج من التدوين التاريخي بدأ بتاريخ مكة . ولكنه امتد لاحقاً وبالتدريج إلى كل إقليم وبالخصوص إلى كل مدينة ذات أهمية . وخير الشواهد المعروفة جيداً لهذا النمط من التراث الدراسي هو ـ تاريخ بغداد ـ للخطيب البغدادي (ت ٤٦٣/ ١٠٧٠) وتاريخ مدينة دمشق ـ لابن عساكر (ت ٥٧١/ ١١٧٥) .

وخلال الفترة الأخيرة من الخلافة العباسية برزت الحاجة إلى أعمال أكثر حداثة في التاريخ العام بالإضافة إلى تآليف أخرى إضافية في التراجم وبالنظر للمكانة الموثوقة لكتاب الطبري في تاريخ

(١) انظر بحثاً للكاتب بعنوان : « كتاب المنتظم لابن الجوزي » [بالانكليزية] في الدورية البريطانية *Journal of the Royal Asiatic Society, London* عدد سنة ١٩٣٢ ، من ص ٤٩ ـ ٥٠ .

القرون الثلاثة الأولى من تاريخ الإسلام ، فإنه لم يحصل إلا تلخيصه أو الإشارة إليه عند الحديث عن هذه الفترة من قبل المؤرخين اللاحقين . وأكثر هؤلاء شهرة هو ابن الأثير (ت ٦٣٠/ ١٢٣٢) ، والذي احتوى في كتابه ـ الكامل في التاريخ ـ عمل الطبري لتاريخ ما يتجاوز الثلاثة قرون ، ولذلك ، فإن هذين العملين ، سويةً ، هما مصدرينا الأكثر ثقة عن التاريخ العام للقرون الستة الأولى للإسلام . ومن جهة أخرى ، فإن أصغر المعاصرين لابن الأثير ، وهم القفطي (ت ٦٤٦/ ١٢٤٨) مؤلف ـ تاريخ الحكماء ـ وابن أبي أصيبعة مؤلف كتاب ـ عيون الأنباء في طبقات الأطباء ـ ألفا مجاميع تراجم مفيدة ، بقيت حتى وقتنا الحاضر ، مصادر من الدرجة الأولى في تاريخ العلم للعصور الإسلامية .

ابن الجوزي وحفيده

منذ القرن الخامس الهجري/ الحادي عشر ميلادي فصاعداً اتبع التأليف أكثر فأكثر الطريقة الغالبة في كل مجالات الكتابة العلمية العربية . وتزايد عدد الموسوعيين بشكل سريع . لقد كتبوا التآليف الضخمة المتعددة الأجزاء في كل فرع من فروع المعرفة في عصرهم . وفي مجال التدوين التاريخي فإنهم أنشأوا طريقة جديدة في العرض . وذلك لجمع التاريخ العام والتراجم التاريخية في عمل واحد . ورائد هذه الطريقة الجديدة في التأريخ هو البغدادي المتنوع الثقافة ، والموسوعي ابن الجوزي[٢] (ت ٥٩٧هـ/ ١٢٠٠م) . من بين العدد الكبير من أعماله فإن أكثرها أهمية دون شك ، هو كتابه ـ المنتظم وملتقط الملتزم في أخبار الملوك والأمم . يتكون هذا الكتاب من ستة عشر مجلداً ، ويحتوي التاريخ الإسلامي العام مع التراجم التاريخية حتى سنة ٥٧٤هـ/ ١١٧٩م . إن الترجمة التاريخية تتكون من ملاحظات تأبينية للشخصيات ذات الأهمية والتي توفيت في السنوات موضوعة الحديث[٣].

وبشكل عام ، فإن عرض التاريخ العام ألقصر بكثير من الملاحظات التأبينية مجتمعة في السنوات المعينة . وبالنسبة للقرون الثلاثة الأولى من تاريخ الإسلام ، فإن كتاب ابن الجوزي ليس إلاّ مختصراً متماسكاً لحوليات الطبري . وحتى بالنسبة للفترة المتأخرة فإنه يمكن استخدامه فقط سويةً مع كتاب ـ الكامل في التاريخ ـ لابن الأثير من أجل الحصول على مسح موثوق ومتكامل للتاريخ الإسلامي . وعلى أية حال ، فإن ابن الجوزي أكثر تفصيلاً من سابقيه في نقطتين اثنتين إحداهما في الملاحظات المتعلقة بتراجم الخلفاء ، والتي أدخلت في سجل حوادث سنوات حكمهم والأخرى في التاريخ الإداري للخلافة بشكل عام ، ولإقليم العراق بشكل خاص . إن ملاحظات التأبين الملحقة بالرواية التاريخية العامة للسنوات العديدة أكثر تفصيلاً من تسجيلاته للتاريخ العام نفسه . وهذه الملاحظات تحمل عنوان ـ ذكر من توفي في هذه السنة من الأكابر . إن هذه الملاحظات تشتمل على تراجم أنواع شتى من الناس ، خلفاء ، موظفين كبار ، علماء ، زهّاد . وقد جمعت تراجم ابن الجوزي بشكل بالغ الاعتناء ، وفُصّلت بطريقة يصعب معها على القارىء أن يبعد عن نفسه الانطباع بأن مؤلفها كان غرضه كتابة تاريخ تراجم للخلافة[٤].

لقد إعتبر كتاب المنتظم لابن الجوزي عملاً معيارياً في التاريخ العام والسِّير التاريخية من قبل العديد من المؤلفين اللاحقين الذين تبنوا طريقته في جمع الرواية التاريخية ومادة الوفيات في نفس المصنف .

أثّر ابن الجوزي في حفيده سبط ابن الجوزي (ت ٦٥٤هـ/ ١٢٦٧م) قبل أي شخصٍ آخر . فقد اقتفى السبط طريقة جده في

(٢) فيما يختص بحياته وتحليل مفصل لعمله انظر بحث الكاتب المشار اليه في الهامش السابق ، من ص ٤٩ ـ ٧٩ .

(٣) جزء ـ ٥ ـ القسم الثاني ـ الى الجزء العاشر طبعت سنة ١٣٥٧هـ / ١٩٣٨م . من قبل دار الطباعة العثمانية ، حيدر آباد ، فهرست بالأسماء لهذه الأجزاء نشر من قبل نفس الدار في سنة ١٣٦٠هـ / ١٩٤١م .

(٤) ف. روز نثال ، *F. Rosenthal "A History of Muslim Historiography"* طبع في لايدن ، ١٩٥٢ ، ص ١٢٤ .
روزنثال في كتابه هذا يحمل فكرة ان « كتاب ـ المنتظم ـ في الحقيقة وصل أسفل مستوى للتدوين التاريخي العربي يمكن أن يصله أي ممثل لهذا الحقل » من وجهة نظري [الكاتب] : القيمة الحقيقية لكتاب المنتظم هي في تراجمة التاريخية الفنية والتي جمعت بدقة واعتناء ، والتي يمكن اشتقاق حجم كبير من المعلومات المهمة للاستفادة منها في التاريخ العام أيضاً .

كتابة ـ مرآة الزمان ـ الذي جاء في أربعين مجلداً[٥]. وبهذا العمل فقد أكمل كتاب ـ المنتظم ـ حتى سنة وفاته، ووسعه بمواد اضافية غالباً ما كانت قد أهملت من قبل جده. وسبط ابن الجوزي أكثر تفصيلاً من جده في الجزء المتعلق بما قبل الإسلام من كتابه. أما حب الاستطلاع الثقافي لديه فيمكن مقارنته بحب الاستطلاع الثقافي لدى المسعودي. وفيما يختص بالحوليات الاسلامية فإن ـ مرآة الزمان ـ أكثر امتلاءً من ـ منتظم ـ ابن الجوزي[٦]. ويتضح بأن تخصص السبط هو التاريخ المحلي السوري، وخاصة تاريخ دمشق.

وهناك معاصر أقدم لسبط ابن الجوزي، وهو محمد بن أحمد القادسي (ت ٦٣٢هـ/ ١٢٣٥م)، والذي اقتبس منه القفطي في كتابه ـ تاريخ الحكماء ـ إن محمداً هذا كان قد تمم كتاب ـ المنتظم ـ لابن الجوزي إلى أحداث سنة ٦١٦هـ/ ١٢٢٠م[٧]. ولكن يبدو أن هذا العمل التاريخي قد ضاع.

إن النظام الذي وضعه ابن الجوزي في كتابه ـ المنتظم ـ تبناه مؤرخون مشاهير من أمثال الذهبي (ت ٧٤٨هـ/ ١٣٤٧م) في كتابه ـ تاريخ الإسلام[٨]، والكتبي (ت ٧٦٤هـ/ ١٣٦٣م) في كتابه ـ عيون التواريخ، ثم ابن تغري بردي (ت ٨٧٤هـ/ ١٤٦٩م) في كتابه ـ النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة. كل هذه الأعمال هي مؤلفات في السير، بشكل يغلب حتى على كتاب ـ المنتظم ـ والتي غالباً ما يلحق بها مسوحات تاريخية عامة غير مجزية وفي الكثير من المناسبات متحيزة، وهي مفصلة فقط في الفترات التي سبقت حياة هؤلاء المؤلفين.

وعلى أية حال، فبالإضافة إلى هذه الأسماء المعروفة جيداً، كان ابن الساعي الذي تابع ابن الجوزي، وإن كان غير واسع الشهرة عموماً. وهو أحد علماء بغداد، مدينة ابن الجوزي، والذي كان قد ولد لست سنوات سبقت وفاة مؤلف كتاب المنتظم.

ابن الساعي

هو الشيخ تاج الدين أبو طالب علي بن أنجب بن الساعي الخازن البغدادي[٩]. ولد في بغداد سنة ٥٩٣هـ/ ١١٩٧م. وما نعرفه عن حياته ضئيل جداً. ويبدو أنه قضى معظم حياته في مدينته الأم ـ بغداد ـ وكان أميناً لمكتبة المدرسة المستنصرية، وقد توفي في ٦٧٤هـ/ ١٢٧٦م عن واحد وثمانين عاماً. وقد كان مؤرخاً وقاضياً شافعياً، درس على ابن النجار (ت ٦٤٣هـ/ ١٢٤٦م) وعلى علماء بغداديين آخرين.

لقد اعتبر ابن الساعي مؤرخاً ثقةً من قبل كل الذين ترجموا له. ولهذا فإنه مما يؤسف له حقاً أن كل أعمال ابن الساعي[١٠]، ما عدا واحداً فقط، قد ضاعت. والمستثنى هنا هو مجلد واحد مما يبدو أنه أهم أعماله. وذلك هو المجلد التاسع من كتابه ـ الجامع المختصر في عنوان التاريخ وعيون السير، وهو عمل في التاريخ العام. اكتشف هذا العمل سنة ١٣٥٢هـ/ ١٩٣٤م من قبل مصطفى جواد والأب أنستاس ماري الكرملي من دير القديس إيلي St.Elie، وقد حققاه ونشراه في بغداد في نفس السنة بواسطة المطبعة السريانية الكاثوليكية[١١].

(٥) قسمة الأخير يمتد إلى سنة ٦٤٥هـ من سنة ٤٩٥هـ، وقد نشر كمصور عن المخطوط رقم ١٣٦٠ في مجموعة لاندبيرغ والعائدة الى جامعة ييل *Yale University* من قبل ج. د. جيويت *G. R. Jewett* . في شيكاغو، ١٩٠٧م.

(٦) انظر ف. روزنثال، المصدر السابق، من ص ١٢٦ ـ ١٢٧.

(٧) نفس المصدر، ص ٧٣.

(٨) انظر بحثاً للكاتب بعنوان « تاريخ الاسلام للذهبي » [بالانكليزية] في الدورية البريطانية . *Journal of the Royal Asiatic Society London.* عدد سنة ١٩٥٢، من ص ٨١٥ ـ ٨٥٥. انظر ج. سارتون *G. Sarton "Introduction to the History of Sciencece"*: الجزء الثالث، بالتيمور *Baltimore* ، ١٩٤٧، من ص ٩٦٤ ـ ٩٦٧. وانظر أيضاً ف. روزنثال، المصدر السابق، من ص ١٢٩ ـ ١٣٠.

(٩) عن حياته انظر « الجامع المختصر » نشر د. مصطفى جواد والأب أنستاس ماري الكرملي، بغداد ١٩٣٤، ص ت ـ ن من المقدمة. انظر أيضاً: ك. بروكلمان *Ch. Brockelmann "Geschichte der Arabischen Literatur",*: الملحق ـ ١ ـ ص ٥٩٠ ـ ٥٩١.
وانظر أيضاً: ف. روزنثال، المصدر السابق، من ص ٥١ ـ ٥٢.

(١٠) الجامع المختصر، المصدر السابق، إشارة الناشر، من ص. ذ ـ ف.

(١١) نفس المصدر، من ص. ز ـ و.

إن عنوان الكتاب يشير وبشكل بارز إلى أن ابن الساعي تتبع الطريقة التي كان ابن الجوزي قد تبناها في كتاب المنتظم عن كثب. لقد كتب « مؤلفاً مختصراً بعنوان التاريخ » وذلك هو تسجيل للتاريخ العام و « التراجم الكبرى » وهو تدوين لوفيات الأشخاص ذوي الأهمية والذي حصلت وفاتهم في السنوات المحددة. وكما فعل ابن الجوزي من قبل، فإن ابن الساعي قسم عمله إلى فصول تتعلق بالسنوات على التوالي، ثم قسم كل فصل إلى ـ حوادث السنة وذكر من توفي في هذه السنة من الأعيان. وتشبه صياغة العناوين الفرعية في كتاب ابن الساعي تلك التي توجد في كتاب ـ المنتظم ـ لابن الجوزي.

وابن الساعي، كابن الجوزي، يسجل الأحداث السياسية الأكثر أهمية، والتغيرات الطارئة على الوظائف العليا في بغداد، والطواعين العظمى، والأسعار المرتفعة التي تلت، ثم تعداد المشهور من الرجال ممن أدى فريضة الحج في تلك السنة. ولكن بخلاف ابن الجوزي، فإن ابن الساعي قليل الشعور بالمسؤولية من حيث الاقتباس من مصادره فيما يتعلق بالتاريخ العام. ويتبدى الشعور الكامل بالمسؤولية تجاه ذكر الوفيات.

وطبقاً لمعظم مصادرنا[١٢]، فإن هذا العمل لابن الساعي يتألف من (٢٥ مجلداً)، ويمتد في مادته إلى أخبار سنة ٦٥٦هـ/ ١٢٥٨م، وهي بالضبط السنة التي سقطت فيها بغداد بيد مغول هولاكوخان. وبذلك فإنه يغطي نفس الفترة التي يغطيها كتاب ـ مرآة الزمان ـ لسبط ابن الجوزي تقريباً، حيث ينتهي الكتاب الأخير بسنة ٦٥٤هـ/ ١٢٥٦م. وباعتبارَ أن كتاب ـ المنتظم ـ يمتد إلى سنة ٥٧٤هـ/ ١١٧٩ فإن ابن الساعي يكون قد أكمل عمل ابن الجوزي بأحداث ووفيات ٨٠ سنة أخرى.

والجزء التاسع ـ سابق الذكر ـ من عمل ابن الساعي يغطي تاريخ اثنتي عشرة سنة من ٥٩٢هـ/ ١١٩٨م إلى ٦٠٦هـ/ ١٢١٠م. وهذه الفترة تغطي جزءاً من الـ (٤٥ سنة) التي هي فترة خلافة الناصر لدين الله. ومن ناحية التاريخ السياسي فإن هذه الفترة تقع ضمن فترة الانحلال والتشتت للخلافة العباسية. أما من ناحية التاريخ الثقافي فإن هذه الفترة تشتهر بكونها الفترة التي خلالها ذكر الصوفيون ولأول مرة ضمن الخطباء والقضاة والقراء.

ويقدم الجزء التاسع من كتاب ـ الجامع المختصر ـ هذا الشاهد على اتباع ابن الساعي لطريقة ابن الجوزي. فهو أيضاً قد رتب مادة موضوعه وفقاً لتتابع الأشهر خلال السنوات المتعاقبة. ويتميز ابن الساعي بخصوصية تميزه وهي أنه يحرر النصوص الكاملة لبعض الوثائق التي تتعلق بالتعيينات أو التوظيفات. والوثائق هي كما يلي:

ص ١٩٣ ـ ١٩٩ : في سنة ٦٠٣هـ وثيقة تقليد محمد بن محمد المختار وظيفة النقيب.

ص ٢٢٢ ـ ٢٢٦ : في سنة ٦٠٤هـ فتوى عبدالجبار.

ص ٢٣٣ ـ ٢٣٧ : في سنة ٦٠٤هـ وثيقة تعيين ضياء الدين أحمد بن مسعود التركستاني في كرسي مشهد أبو حنيفة ومفتشية مؤسستها الدينية.

ص ٢٦٦ ـ ٢٦٩ : في سنة ٦٠٥هـ الوثيقة التي تتضمن تعيين ابن هبّة في وظيفة رئيس اليهود.

ورغم أن ابن الساعي لا يشير بشكل دقيق إلى أية مصادر لرواياته للتاريخ العام، فإن مقارنةً مع كتاب ابن الأثير ـ الكامل في التاريخ ـ ترينا بأن الأخير كان قد استخدم بحرية من قبل ابن الساعي. والكتاب الوحيد الذي نجد الإشارة إليه هو كتاب ـ الاعتبار في أخبار الديار المصرية[١٣] ـ لعبداللطيف البغدادي (ت ٦٢٩هـ/ ١٢٣٢م) فيما يختص بمجاعة حدثت في مصر.

ومن بين الوفيات المسجلة التي أوردها ابن الساعي نذكر التالي:

ص ٦١ ـ ٦٤ : العماد الكاتب

ص ٦٥ ـ ٦٧ : ابن الجوزي

ص ٦٨ ـ ٦٩ : القاضي الفاضل

ص ٢٩٩ ـ ٣٠٠ : ابن الأثير الشيباني

ص ٣٠٦ ـ ٣٠٨ : الفخر الرازي

---

(١٢) نفس المصدر والصفحات.

(١٣) عنوانه الصحيح « كتاب الإفادة والاعتبار في الأمور المشاهدة والحوادث المعاينة بأرض مصر ».

إن بعض المصادر التي جاءت بعد ابن الساعي ، وفيات الأعيان ـ لابن خلكان (ت ٦٨١هـ/ ١٢٨٢م) و ـ طبقات الشافعية الكبرى ـ لعبدالوهاب السبكي (ت ٧٧١هـ/ ١٣٧٠م) ، ترينا العديد من التشابهات مع وفيات ابن الساعي .

من المؤسف حقاً أن مجلداً واحداً فقط من ـ الجامع المختصر ـ لابن الساعي قد بقي على قيد الوجود ، وفيما لو حصل واكتُشف الكتاب بكامله ، أو على الأقل الأجزاء التي تتمم كتاب ـ المنتظم ـ لابن الجوزي ، فإن ذلك سيكون كسباً إيجابياً للدراسات العربية والإسلامية عموماً .

ابن الفُوطيّ

إن كتاب ـ الجامع المختصر ـ لابن الساعي تم إكماله من قبل تلميذه كمال الدين أبو الفضائل عبدالرزاق بن أحمد بن محمد بن الفُوطي (أو الفُوَطي) الشيباني[١٤]. في سنة ٦٥٦هـ/ ١٢٥٨م ، السنة التي خرب فيها هولاكو بغداد ، وقوض الأسرة العباسية فيها ، كان ابن الفوطي آنئذٍ صبياً في الرابعة عشر من عمره ، أخذ أسيراً وأرسل إلى أذربيجان . وقد أطلق ناصر الدين الطوسي سراحه وأدخله في خدمته . بعد ذلك قضى ابن الفوطي حوالي الثلاثة عشر عاماً في مُراغة كامين مكتبة لمرصدها ، بعد ذلك عاد إلى بغداد وتوفي فيها سنة ٧٢٣هـ/ ١٣٢٣م .

لقد كان ابن الفوطي كاتباً غزير الإنتاج ، ومؤلفاً للعديد من الأعمال التاريخية واللغوية ، ضاعت جميعاً باستثناء عملٍ واحد . ومن جملة ما ضاع عمله الرئيسي المعنون ـ مختصر أخبار الخلفاء العباسيين ـ وهو تتمة كتاب شيخه ـ الجامع المختصر . وعمله الوحيد المتبقي ـ الحوادث الجامعة والتجارب النافعة من المئة السابعة[١٥] ـ هو سجل للعباسيين الأواخر وللفترة الأولى من السيطرة المغولية حتى سنة ٧٠٠هـ/ ١٣٠٠م . وفيه يثبت بأن الكاتب كان شاهد عيان للدمار الذي خلفه هولاكوخان ، وأنه كان متعرفاً على عدد من القواد المغول بشكل شخصي ، وكان مؤرخاً حي الضمير لتجربته . وقد ألف قاموس تراجم ضخماً من خمسين مجلداً ـ أو جزءاً ـ عنوانه ـ مجمع الآداب في معجم الأسماء والألقاب ، ولم يبق من هذا العمل الضخم إلا جزء واحد فقط[١٦].

ولذلك فإنه لمن المؤسف أن عمله الرئيسي ، تتمة ـ الجامع المختصر ـ لابن الساعي ، قد ضاع . ولابد أنه كان سجلاً صادقاً لأحداث القرن السابع الهجري/ الثالث عشر الميلادي ، وهو القرن الذي فيه شهود العيان العرب المعروفون قليلون .

---

(١٤) انظر هامش (١١) . وكذلك ج. سارتون ، المصدر السابق ، ص ٩٦٨ . انظر أيضاً : ك. بروكلمان ، المصدر السابق ، ملحق ـ ٢ ـ ، ص ٢٠٢ .

(١٥) جامع في بغداد ، سنة ١٣٥١هـ / ١٩٣٢م .

(١٦) يحوي هذا الجزء تراجم الحروف من ق ـ ع في نسخة بخط المؤلف محفوظة بدار الكتب الظاهرية بدمشق .
انظر أيضاً : ف. روزنثال ، المصدر السابق ، ص ٤٤ .

خلاصـــة

بدأ ابن الجوزي مدرسة جديدة في علم تدوين التاريخ العربي عن طريق جمع التاريخ العام والتراجم التاريخية في عمل واحد. وقد راجت طريقته هذه عندما تبناها متمموا كتابه ـ المنتظم، وهم، سبط ابن الجوزي، وابن الساعي، وابن الفوطي. ومن المحتمل جداً أن مدرسته هذه ضمت عدداً أكبر ممن ذكرنا من المؤرخين والذين يبدو بأن أعمالهم قد ضاعت[١٧].

الدارس العربي المعاصر يذهب للتقليل من قيمة التدوين التاريخي العربي بسبب أنه لا يتكون إلّا من حوليات مجموعة. وهذا ينطبق على مدرسة ابن الجوزي أيضاً. فأعمال المؤرخين العرب هي نتاج كدّ هائل ولكنها خالية من التفكير المستقل، فيها رائحة القنديل ولكنها غير منارة بالروح. واستثناء ابن خلدون، فإن المؤرخين العرب لم يكونوا مفكرين ذرائعيين أو دعاة تاريخ اجتماعي أو ثقافي. ولكن هل هم لهذا السبب أقل شأناً من مؤرخي العصور الوسطى الأوربية؟ وهل كان الأخيرون أكثر من مجرد مدوني الحوليات للتاريخ السلالي الملكي أو الكنسي الديني؟ كلا، إن علم التدوين التاريخي العربي في العصور الوسطى كان في ناحية معينة، دونما جدال، متفوقاً على كتابة الحوليات الأوروبية المعاصرة له، وتلك هي جمع التراجم التاريخية، هنالك العديد من التراجم لحكام أوروبيين أو سير ذاتية من القرون الوسطى، ولكننا لا نعلم بوجود أي مجاميع تراجم مرتبة حولياً بهذه السعة وهذا الشمول، أو معاجم تراجم جامعة متسعة كالذي قد بقي بالدرجة التي عليها في الأدب العربي.

إن القيمة الحقيقية لأعمال ابن الجوزي ومدرسته يمكن الإحساس بها تماماً في فصولهم المختصة بالتراجم بالدرجة الأولى. فهذه الفصول تكون مستودعاً للمعلومات، والتي منها يمكن استقاء مادة ثمينة من قبل المؤلفين في الدراسات الإسلامية وطلاب التاريخ العام على حد سواء. من ناحية أخرى، وفي المرتبة الثانية، فإن هذه المصادر لا يمكن التقليل من قيمتها حتى من حيث المحتويات المتعلقة بالتاريخ العام. ورغم أنها غير كاملة في هذا الخصوص، إلا أنها لازالت تحوي قدراً عظيماً من المعلومات التاريخية الثمينة أيضاً، والتي هي مناسبة للمقارنة ولإتمام المصادر الأخرى ذات الصلة الوثقى بالتدوين التاريخي العربي.

---

(١٧) كمثال، ابن البُذْري، انظر بحث الكاتب المشار اليه في هامش (٨). ص ٨٥١.

ملاحظة: هذا البحث منشور في مجلة:

Acta orientaica (Academia Scientiarum Hungarica). 6. (1965). pp. 207-214.

بعنوان: *"Ibn Al-Jauzi's School of historisgraphy"*

معركة المدائن فصل من كتاب

« الكوت : موت جيش »

الكاتب الإنجليزي : رولاند ميللر

ترجمة : فريد ضياء شكاره

مقدمة

لقد تناولت كتب كثيرة (حصار الكوت) بالبحث والتمحيص باعتباره من أهم الأحداث العسكرية التي وقعت في العراق خلال الحرب العالمية الأولى ، لكن أياً من هذه الكتب لم يتناول بالتفصيل المعركة التي كانت السبب الأساس في الانسحاب البريطاني إلى الكوت والتحصن فيها وهنا يختلف رولاند ميللر عن بقية المؤلفين في أنه أول من تناول هذه المعركة التاريخيه بالتفصيل عبر الأيام الثلاثة التي دارت فيها وذلك في كتابه « الكوت : موت جيش » .

إن المؤلف وهو كاتب انكليزي قد استعمل التسميات الفارسية لطاق المدائن تارة سماه طاق كسرى وتارة طيفون وهذا نهج ليس بغريب على الكتاب الانجليز الذي يظهرون في كل مناسبة ميلهم للأخذ بالتسميات الفارسية لتأصل معاداتهم للحق العربي والتاريخ العربي المجيد .

إن كلمة (الأعراب) حيثما وردت في البحث المترجم يقصد بها الكاتب أفراد البشائر العراقية والفلاحين العراقيين . وحيثما وردت كلمة العدو فهو يقد فيها القوات العثمانية وأخيراً أرجو أن أكون قد وفقت في ترجمة تفاصيل هذه المعركة التاريخية ترجمة أمينة دون تصرف معتمداً على التوضيح الذي قدمته في هذه المقدمة وعلى نباهة القارىء العربي الذي يدرك أن كاتبها يكتب من وجهة نظر انكليزية .

لقد عرفت جيوش الامبراطورية البريطانية الخسارة الحربية أحيانا ، لكنها لم تعرف الاستسلام إلا في العراق ، حيث استسلم البريطانيون إلى العثمانيين بعد حصار طويل في الكوت ، وكان العامل الرئيسي لوقوع الجيش البريطاني في الحصار ، هو معركة سلمان باك التي انكسر فيها البريطانيون واضطروا بعدها للانسحاب إلى الكوت .

وتبدأ قصة هذه المعركة بعد نزول البريطانيين في جنوب العراق أثناء الحرب العالمية الأولى ، واحتلالهم البصرة والقرنة ، ففي ١٧ تموز ١٩١٥ أبرق اللورد هاردنغ ـ نائب الملك البريطاني في الهند والمسؤول عن الحملة البريطانية في العراق ـ إلى وزير الهند (في الوزارة البريطانية) أوستن تشامبرلن ، يطلب الموافقة علي احتلال الكوت لأن احتلالها ضرورة استراتيجية . تردد الوزير في باديء الأمر لكن الإلحاح عليه من قبل اللورد هاردنغ جعله يوافق في النهاية ، وفي ١٤ أيلول ١٩١٥ تقدم الميجر ـ جنرال[1] تاوزند بفرقته السادسة (فرقة البونا) وإحتل شيخ سعد ، وتلاها في اليوم التالي بإحتلال المواقع العثمانية المحصنة في السن . في ٢٩ أيلول تم احتلال الكوت وقام تاوزند من تلقاء نفسه بمطاردة العثمانيين حتى العزيزية ـ التي تتوسط طريق بغداد ـ الكوت ـ حيث قالت الصحف البريطانية أن سراباً قد حال دون تدمير القوة العثمانية بكاملها . كان الجانبان متساويين في عدد القوات قبل هذا التقدم ـ ١١٠٠٠ جندي لكل منهما ـ إلا أن نتيجة التقدم كانت قتل وجرح ١٠٠٠ جندي بريطاني ، وضعف هذا

---

١ ـ استخدمت أسماء الرتب العسكرية البريطانية بالنسبة للجيش البريطاني ، وتبدأ هذه الرتب من لفتنانت (ملازم) لفتنانت أول (ملازم أول) كابتن (نقيب) ميجر (رائد) لفتنانت ـ كولونيل (مقدم) كولونيل (عقيد) بريجادير ـ جنرال (عميد) ميجر ـ جنرال (لواء) لفتنانت ـ جنرال (فريق) جنرال (فريق أول) .

العدد من العثمانيين إضافة إلى فتح ١٥٠ ميلاً من النهر (دجلة) أمام الجيش البريطاني ، وقام الجنرال السير جون نكسون القائد العام للقوات البريطانية في العراق بنقل مقر قيادته إلى العزيزية في الرابع من تشرين الأول ١٩١٥ ، كما علت الأصوات البريطانية المطالبة بإحتلال بغداد .

في الثامن من تشرين الأول أبرق تشامبرلن يسأل نكسون عن حجم القوات الإضافية التي يحتاجها لاحتلال بغداد والاحتفاظ بها . أجاب نكسون بأنه لا يحتاج لأية قوات إضافية للتغلب على نور الدين باشا واحتلال بغداد ، لكنه يحتاج إلى فرقة أخرى للاحتفاظ ببغداد وتثبيت الاحتلال البريطاني فيها .

في نفس الوقت أبرق وزير الدولة للشؤون الهندية إلى هاردنغ يخبره بأن مجلس الوزراء قد اقتنع بالفوائد العسكرية والسياسية لاحتلال بغداد ، وأن على هاردنغ بذل أقصى جهده لتوفير القوات الضرورية لذلك . في ٢١ تشرين الأول ١٩١٥ صدر تقرير لجنة العلاقات الوزارية ، الذي حدد عدد القوات المعادية في العراق بـ ٩٠٠٠ جندي عثماني وبعض العرب غير النظاميين ، واستبعد وصول نجدات عثمانية خلال الشهرين التاليين ، لكنه حذر من إحتمال قدرة العثمانيين في نهاية كانون الثاني ١٩١٦ على تركيز ٦٠٠٠ جندي في بغداد ، رغم أنه في ذلك الوقت سيكون لدى نكسون فرقتين هنديتين إضافيتين سيتم سحبها من فرنسا وإرسالها إليه ، وأوصى التقرير باحتلال بغداد ، إلا أنه حذر من معارضة عرب العراق لهذا الاحتلال ، واقترح القضاء على هذه المعارضة بواسطة تأكيد بريطاني للقادة العرب بأن البريطانيين سوف ينسحبون بعد الحرب ، وسيتم إنشاء دولة عربية مستقلة في العراق .

كان صوت تاوزند من الأصوات القليلة التي ارتفعت لمعارضة قرار احتلال بغداد ، فقد كان تقديره للأمور يختلف عن تقدير نكسون . لقد قال قائد الفرقة السادسة أن احتلال بغداد يحتاج إلى فرقتين عسكريتين على الأقل بينما كانت فرقته تعاني من الإنهاك والمرض ، وقدر تاوزند عدد العدو الذي ينتظره في طيسفون (سلمان باك) بعشرين ألف جندي عثماني ، كما كان على وعي تام بمشكلة النقل النهري . بينما لم يعتبر نكسون النقل النهري مشكلة ، فوسائط النقل التي سيتم الاستيلاء عليها في بغداد كافية لجلب النجدات المطلوبة ، كما لا توجد حاجة لسفن مستشفيات فالأربعمائة أصابة في طيسفون (العدد من تقدير نكسون) يمكن إخلاؤها إلى بغداد .

عوامل أخرى بدأت تؤثر على الجدال الذي كان في أفضل أحواله جدالاً من جانب واحد فقط : فالإدارة البريطانية في الهند تريد إنهاء الحرب في العراق بأسرع مايمكن بسبب تدهور الحالة في البنجاب ؛ أفغانستان بدأت تضطرب ؛ وإيران ـ تحت إغراء الدعاية الألمانية والنداء العثماني للجهاد ـ بدت على وشك دخول الحرب ضد الحلفاء ؛ في أوربا فشلت حملة غاليبولي ؛ وأوشكت بلغاريا على الانضمام لقوى المحور واحتلال الضرب ؛ كما تم إيقاف الهجوم البريطاني ـ الفرنسي على جامبين بعد معارك دامية .

وهكذا أعطيت الموافقة النهائية لاحتلال بغداد في ٢٤ تشرين الأول ١٩١٥ ، رغم معارضة وزير الدولة للشؤون العربية اللورد كتشنر الملقب بـ (فاتح الخرطوم) ، وأعطي الوعد بإرسال فرقتين إضافيتين بأسرع مايمكن ، ومع أن نكسون بكل تفاؤله قد أكد على الحاجة إلى فرقة إضافية خلال شهرين من الهجوم لصد أي هجوم عثماني مضاد ، فقد وعدت الإدارة البريطانية في الهند ، بتجميع لواء أو لواءين وإرسالها خلال الشهرين إذا ساءت الحالة .

في ٢٠ تشرين الثاني ١٩١٥ بدأت تاوزند ـ رغم افتقاره للثقة ـ وفرقته السادسة ـ بمعداتها الناقصة ومعنوياتها الهابطة وإجهادها نتيجة المناخ الذي لايحتمل ـ التقدم الحذر إلى طيسفون (سلمان باك) وإلى واحدة من أعظم المآسي في تاريخ بريطانيا العسكري .

سلمان باك (طيسفون)

وفي طائرة من نوع (بي إي توسي) ذات المحركين انكمش الميجر هـ . ل . ريلي في ثيابه نتيجة الهواء البارد لشتاء العراق . كانت الطائرة تحلق فوق السهل البيني الخالي والممتد حتى جبال البرز المغطاة بالثلوج التي تفصل العراق عن إيران . تحت الطائرة وإلى اليسار كانت مياه دجلة الصفراء تجري بين ضفافها المرتفعة نتيجة انخفاض المياه في هذا الوقت من السنة (موسم الصيهود) . كان

بوسع ريلي أن يرى عدداً من المهيلات البطيئة تتحرك شمالاً ضد التيار بفعل شد الملاحين للحبال بينما تتأرجح أشرعتها الكبيرة كلما استدارت المهيلة حول منعطف .

على مسافة من المهيلات ، كانت مجموعة من الزوارق البخارية الحديثة الراسية على الضفة اليسرى قرب مجموعة أكواخ طينية في اللج . كانت الزوارق وسائط نقل تاوزند النهرية وأمامها يمتد مخيم الفرقة السادسة البريطانية على بقعة كبيرة من الأرض . لوح الأشخاص المرتدون الخاكي ، بأيديهم وهز ريلي جناحي الطائرة رداً للتحية .

كان الوقت قبل الغروب بساعتين لكن الطلعات الاستكشافية كانت ضرورية . كانت تجري في الصباح الباكر أو العصر المتأخر تفادياً للسراب الذي كان يجعل الملاحظة الصحيحة صعبة في الأوقات الأخرى من اليوم . كانت مهمة ريلي التحقق من عدم وصول تعزيزات عثمانية إلى طيسفون من بغداد .

كان طاق المدائن ـ بارتفاعه الذي يزيد على المائة قدم ـ أمامه على بعد أربعة أميال إلى اليسار ، وسحب ريلي عصا القيادة لتبدأ الطائرة بالارتفاع وتتجنب المرور المنخفض فوق المعسكر العثماني . اعتدلت الطائرة بعد وصولها ٦٠٠٠ قدم . كان الاستطلاع الصباحي قد بين عدد الخيام العثمانية وأكد عدم وصول أية تعزيزات للعدو ، وقد قام ريلي بصفته قائد الطيران بفحص خرائط ورسوم الطيار الآخر ، وتأكد من العدد ومن أنه لم يتغير منذ الاستطلاع الأسبق الذي جرى قبل عشرة أيام في ١٣ تشرين الثاني ١٩١٥ . في المخيم العثماني الشمالي صوب العرب والجنود النظاميون بنادقهم نحو الطائرة ، لكن ريلي لم يلاحظهم لأنه رأى أمراً في منتهى الخطورة ، واستدار بطائرته ليقترب من المخيم . بدأ رصاص البنادق والرشاشات يخترق جانحه الأيسر إلا أن ريلي كان يعرف أن من واجبه التحقق مما شاهده . كانت هنالك عشرات بل مئات من الخيام الجديدة . ريلي ترك فكرة الذهاب نحو بغداد وعكس اتجاهه ، فبالرغم من كل تقارير الاستطلاعات السابقة فقد وصلت التعزيزات العثمانية ، ونظراً لعدم وجود راديو أو لاسلكي في الطائرة ، فقد كتب ريلي ملاحظة وعين موقع التعزيزات الجديدة على الخارطة وقرر اختصاراً للوقت إلقاءها من الطائرة عند مروره فوق المعسكر البريطاني . كان تقديره بأن حجم التعزيزات الجديدة لا يقل عن سبعة آلاف جندي .

فجأة حدث صوت وفرقعة حادة وخرج دخان أسود من المحرك وتناثر رذاذ الدهن على نظارات ريلي وانطفأ المحرك فقد أصيب برصاصة . أنزل ريلي الطائرة بانزلاق طويل مواز للأرض ، حتى حط بسلام على أرض معتدلة لاتتخللها السواقي والجداول ، ثم بدأ المسير وبعد ثلاثة ساعات من السير قبض عليه الأعراب . (أبناء العشائر العربية) .

في مقر قيادته في اللج ، على ضفة دجلة اليسرى كان الميجر ـ جنرال جارلس فير تاوزند يتأمل الخارطة التي أمامه . كان واثقاً من صحتها لأن الاستطلاع الجوي الصباحي قد أكد له ذلك وأنه لاجديد في الموقف العثماني ، ومع هذا فقد طلب استطلاعاً آخر بإتجاه بغداد للتأكد من عدم وجود تعزيزات عثمانية آتية في الطريق لكن الطيار لم يعد بعد ، إلا أن خطته قابلة للتعديل أو التبديل في حالة وجود معلومات جديدة .

كانت المعلومات التي حصل عليها تاوزند من أركان حرب نكسون ، تفيد بأن ١٣٠٠٠ جندي عثماني مع ٣٨ مدفع قد تحصنوا في طيسفون ، وقد أكد استكشاف الصباح الجوي صحة هذه المعلومات . أين هم الآن العشرين ألف جندي الذين توقعهم تاوزند ؟ رغم هذا فقد بقي بعض الشك عند تاوزند إلا أنه قرر إخبار جنوده بأن عدد العثمانيين في طيسفون يتراوح بين ١٠٠٠٠ و ٢٢٠٠٠ جندي . كانت قواته حوالي ١٢٠٠٠ مشاة و ٣٠ مدفعاً و ٤٦ رشاشة و ١٠٠ فارس (خيال) ، وتوقع تاوزند أن معرفة جنوده بتفوقهم العددي على العدو سيرفع من معنوياتهم وخاصة معنويات العدد الكبير من الجنود المسلمين من شمال الهند .

لقد أسرع العثمانيون بالاستفادة من أهمية سلمان باك الدينية لدى المسلمين ، فوزعوا ـ بواسطة التهريب ـ على الجنود الهنود في الجيش البريطاني منشورات تخبرهم بوجود ضريح سلمان ، الصحابي المعرفي ، في سلمان باك ، واتهمت المنشورات الجنود الهنود أيضاً بالقتال مع البريطانيين الكفار ضد العثمانيين الذين هم إخوتهم في الإسلام ـ وهذا إثم عظيم بحد ذاته ـ كما أنهم يريدون أن يضيفوا إثماً

أعظم بالقتال ضد إخوتهم المسلمين في مكان إسلامي مقدس مثل سلمان باك .

كان تأثير هذه المنشورات قوياً إلى درجة أفقدت تاوزند الثقة في جنوده المسلمين ، وعندما قتل أحد جنود البنجاب العشرين ضابط صف وجندي خفر الفوج وهرب إلى العدو ، أعاد تاوزند الفوج كله إلى العمارة ، تفادياً لحدوث أية مشاكل أخرى ، واستلم بدلاً منه فوج البنجاب السادس والستين الذي وصل طيسفون ذلك الصباح ؛ كما قام تاوزند بإصدار أوامر مشددة بمنع إستعمال إسم (سلمان باك) منعاً باتاً وتسمية المكان باسمه الفارسي القديم (طيسفون) في الأوامر التحريرية والشفوية والخرائط الحربية .

كان تاوزند قد قرر ـ حسب العرف العسكري ـ أن يشن هجومه ضد المواقع العثمانية الواقعة على ضفة دجلة اليسرى ، إلا أن نور الدين لم يكن خاملاً أثناء تلك الفترة ، فقد أعد ثلاثة خطوط دفاعية : أولها وأهمها يمتد ستة أميال من ضفة النهر باتجاه الشمال الشرقي ويتكون من ١٥ ربية ، تبعد الواحدة عن الأخرى مسافة تتراوح بين ٤٠٠ و ٦٠٠ ياردة ، وتربطها خنادق (شقوق نار) متصلة ، وكانت الربايا والخنادق عميقة بحيث لايمكن تمييزها إلا من الأسلاك الشائكة المنصوبة أمامها على مسافة ٤٠ ياردة ، لكن في أقصى اليمين كانت هناك ربيتان على تلتين صغيرتين ، وبسبب ارتفاعها عن الأرض كانتا واضحتين تماماً ، وقد سماها تاوزند بـ (النقيطة الحيوية) أو (ن . ح .) . في منتصف خط الدفاع العثماني الأول كانت هناك تلة كبيرة وغريبة الشكل ، فقد كان شكلها يشبه حرف (L) الانكليزي إلا أن ذراعيها الممتدين للشرق والجنوب كانا متساويين في الطول ((٥٠٠) ياردة تقريباً) والارتفاع (٤٠ ـ ٥٠ قدما) وعرض القاعدة (٢٥٠ قدما تقريباً) . كانت موقعاً أثرياً قديماً وقد سماها تاوزند (الجدار العالي) . إلى الشمال منها مباشرة كانت ربية محصنة فوق تلة يقع أمامها مبزل عميق ، وبسبب المبزل سميت الربية (الربية المائية) .

ويعبر خط الدفاع العثماني الأول دجلة ، ويمتد غرباً بمحاذاة مجراها القديم ـ فقد كان النهر يصل إلى مسافة (١١) ميلاً من جنوب كصيبة قبل أن ينعطف شمالاً بزاوية حادة نحو اللج ، وقد سبب هذا الانعطاف مشاكل كثيرة للملاحين والسفن ، فقام العثمانيون في ١٩١٢ بحفر المجرى الجديد بين أقرب نقطتين في المنعطف وحولوا مجرى النهر ـ وقد قام العثمانيون بإغراق عدد من الزوارق المصنوعة محلياً في النهر عندما ينحني أمام الخط الدفاعي . كانت الزوارق الغارقة مملوءة بالألغام . على بعد ميلين من الخط الأول وموازياً له كان خط الدفاع الثاني يمتد خلف طاق كسرى مباشرة . كان الطاق يشرف على ميدان المعركة بأكمله . كان هذا الخط متكوناً من خنادق عميقة متصلة تمتد عبر سلسلة من التلال الرملية الصغيرة ، مسافة ٤ أو ٥ أميال ، وتنحني نهاية الخط الشمالية إلى الخلف باتجاه الخط الثالث الذي كان يمتد على ضفاف نهر ديالى ويبعد كثيراً عن الخط الثاني . كانت حلقة الوصل الوحيدة بين دفاعات العثمانيين على الضفة اليسرى ، ودفاعاتهم على الضفة اليمنى هي جسر مصنوع من الزوارق يقع خلف خط الدفاع الثاني وشمال غرب قرية سلمان باك . يجب التوضيح هنا بأنه بالرغم من وصفنا لسلمان باك وكصيبة وبستان واللج على أنها قرى في الخرائط الحربية ، فإنها لم تكن في الواقع سوى مجموعات من الأكواخ الطينية لايزيد عدد أكواخ المجموعة الواحدة عن ستة أكواخ تقريباً .

لقد تحقق تخمين تاوزند الأول لقوة العدو بصورة مدهشة رغم جهل تاوزند نفسه بذلك ، فبوصول الفرقة (٥١) أصبحت قوة نور الدين الكلية (١٨٠٠٠) جندي مشاة و (٥٣) مدفع و(١٩) رشاشة و (٤٠٠) فارس إضافة إلى عدة آلاف من العرب الهجانة المنظمين في لواءين قبليين تحت قيادة ضباط عثمانيين متقاعدين قد أعيد إستخدامهم . كانت فرق المشاة هي والـ (٣٥) والـ (٣٨) والـ (٤٥) والـ (٥١) التي شاهد الميجر ريلي مخيمها من الجو[٢].

---

٢ ـ يذكر باركر في كتابه (الحرب المنسية) أن القوات العثمانية في سلمان باك كانت كما يلي :ـ

القائد العام : العقيد نور الدين باشا .

المجموع الكلي ٢١٠٠٠ رجل و ٥٢ مدفع و ٢٠ رشاشة .

لم تكن لنور الدين ثقة في نتيجة المعركة المقبلة ، فقد حطم تاوزند فرقتيه الـ (٣٥) والـ (٣٨) في الكوت ، ورغم إعادة تنظيمها فقد كانت معنويات جنودها مشكوكا بها . كان بالإمكان الاعتماد على مقاومة الفرقتين الـ(٤٥) والـ (٥١) التي أبلت بلاء حسناً ضد الروس في القفقاس ، لكن هل ستكون تلك المقاومة كافية ؟ الاستخبارات العثمانية كانت غير كفوءة ، فلم تكن لدى القيادة العامة العثمانية أية تقديرا صحيحة عن قوة تاوزند ، ولا تتوفر لديها طائرة واحدة في كل أنحاء العراق لاستخدامها في الاستطلاع الجوي ، وكانت الاتصالات الهاتفية مع مواقع الرصد والربايا المتقدمة ، تتعطل باستمرار بفضل الأعراب الذين اكتشفوا القيمة المادية لسلك التلفون النحاسي ـ رغم أنهم لم يكتشفوا أهميته بعد ـ فأخذوا يقطعونه حالما يمده المهندسون العثمانيون . كانت الخرائط قليلة لدى نور الدين ، وهذا أمر يثير الدهشة والاستغراب لأن العثمانيين قد حكموا العراق منذ ١٦٣٨ ، والواقع أن خرائط الميجر ريلي كانت أحدث وأدق خرائط حصلت عليها القيادة العثمانية قبل المعركة ، وقد جعلت هذه الخرائط نور الدين ـ الذي كان متشائماً بطبيعته ـ يغرق في الكآبة .

في الساعة الواحدة والنصف صباحاً أصدر تاوزند أوامره لمعركة اليوم التالي ، وقسم قوته إلى أربعة أرتال :

الرتل الأول

آمر الرتل : ميجر ـ جنرال و . س . ديلامين

لواء المشاة (١٦)	فوج دورست الثاني
	فوج البنادق (١٠٤)
الواء المختلط (٣٠)	فوج الفوركا (٧/٢)
	فوج البنجاب (٦٦)
	فوج المهراتا (١١٧)
بطارية مدافع الميدان الملكية	(٨٢) (٦ مدافع)
بطارية هانتز هاوتزر	(٥/١) (٤ مدافع)

= أ ـ الفرقة الـ (٥١) قائدها العقيد محمد علي .

الكتيبة ٧

الكتيبة ٩

فوج من الكتيبة ٤٤

كل كتيبة لها ثلاثة أفواج من أتراك الأناضول .

كتيبة المدافع ٤/٣ (٦ مدافع جبلية)

كوكبة الخيالة .

سرية الهندسة .

اسعافين ميدانيين .

ب ـ الفرقة الـ (٤٥)

الكتيبة ٣ ـ (٣ أفواج من أتراك الأناضول) .

الكتيبة ١٤١ ـ (٣ أفواج من العرب والأكراد) .

الكتيبة ١٤٢ ـ (٣ أفواج من العرب والأكراد) .

كوكبة الخيالة .

كتيبة المدفعية (٢٧/٢) ـ (٨ مدافع) .

سرية الهندسة .

إسعاف ميداني واحد .

جـ ـ الفرقة الـ ٣٨ ـ قائدها المقدم خليل رشيد .

الكتيبة ١١٢

الكتيبة ١١٣

الكتيبة ١١٤

كل كتيبة تتكون من ثلاثة أفواج عربية .

كوكبة خيالة .

كتيبة مدافع ٣٨/١ ـ (٨ مدافع ميدان) .

سرية هندسة .

إسعاف ميداني واحد .

د ـ الفرقة الـ (٣٥) ـ قائدها المقدم نامق بك

الكتيبة ١٠٣ (٣ أفواج)

الكتيبة ١٠٤ ـ (فوجان) .

الكتيبة ١٠٥ ـ (فوجان) .

كل الأفواج عربية .

كوكبة خيالة .

كتيبة مدافع ٣٥/١ ـ (٨ مدافع ميدانية) .

سرية هندسة .

إسعاف ميداني واحد .

إضافة إلى لواء هندسي ولواء مدافع ثقيلة (٧ مدافع) + ١٦ مدفع شنايدر + مدافع جبلية + مدفع بريطاني تم الاستيلاء عليه في الأهواز) .

وتتبع القوات العثمانية النظامية ألوية عشائرية تتألف من خمسة كتائب خيالة وكتيبتين هجانة .

نصف سرية الهندسة والألغام (٢٢)

الرتل الثاني

آمر الرتل : بريجادير ـ جنرال و . ج . هاملتون

لواء المشاة (١٨)	فوج نور فولك الثاني
	فوج راجبوت السابع
	فوج المهراتا (١١٠)

فوج المشاة (١٢٠)

بطارية مدافع الميدان الملكية (٦٣) (مدافع)

نصف سرية الهندسة والألغام (٢٢)

الرتل الثالث

آمر الرتل : بريجادير ـ جنرال ف . أ . هوتون

لواء المشاة (١٧)	فوج المشاة الخفيف (أوكسفورد وبكنغهام شاير)
	فوج البنجاب (٢٢)
	فوج المهراتا (١٠٣)
	فوج المشاة (١١٩)

بطارية مدافع الميدان الملكية (٧٦) (٦ مدافع)

بطارية مدافع الحرس الملكي الثقيلة (فصل واحد أي مدفعين)

سرية الهندسة والألغام (١٧)

سرية الرواد (٤٨)

سرية واحدة من فوج الخيالة (٢٣)

الرتل الطائر

آمر الرتل : ميجر جنرال سير جارلس س . ج . ميليز (حامل وسام فكتوريا للشجاعة)

لواء الخيالة السادس	بطارية مدافع الخيالة الملكية (٦ مدافع)
	فوج لانسر السابع
	فوج الخيالة (١٦)
	فوج الخيالة (٣٣)

بطارية رشاشة ماكسيم

بطارية الرشاشة المتحركة (مدرعتين ولوريين)

فوج البنجاب السابع (مجهز بعربات تسحبها البغال وكافية لنقل نصف الفوج في وقت واحد)

فوج البنجاب الـ(٧٦) (من اللواء ٣٠) .

تاوزند أوضح لأمراء أرتاله الأربعة بأن خطته لمعركة اليوم التالي تتبع من ناحية المبدأ الفقرة الثالثة من الفصل (١٠٢) من القسم الأول من « تعليمات خدمة الميدان لسنة ١٩١٤ » والتي تنص على أن :ـ

« بصورة عامة يمكن تحقيق النجاح في المعركة بحركة التفاف لقوات منفصلة على مقدمة وجناح العدو في نفس الوقت . في هذه الحالة لايبقى لدى القائد العام سوى قوات احتياطية قليلة ، وقد لا يبقى لديه احتياطي على الإطلاق » .

وعلى هذا يكون الهجوم كما يلي : عند الفجر (حوالي الساعة ٦,٣٠ صباحاً) يتقدم رتل هوتون (الرتل الثالث) إلى منتصف الخط العثماني لكي يوهم العدو بأن تقدمه هو الهجوم الرئيسي وعندئذ سيقوم العدو بإرسال قواته الاحتياطية إلى المنطقة . في الساعة السابعة والنصف صباحاً سيكون رتل هوتون قد حقق النائج المرجوة ، ويبدأ رتل هاملتون (الرتل الثاني) بمهاجمة يسار العدو ومؤخرته ، وفي نفس الوقت يتقدم رتل ميليز (الرتل الطائر) ويهاجم خط الدفاع العثماني الثاني وقوات العثمانيين الاحتياطية في كصيبة ، وفي الوقت الذي يبدأ فيه رد فعل العدو ضد هاملتون ، يبدأ الرتل الأول بقيادة ويلامين بالهجوم على ربايا العدو في (ن . ج .) . ويكون هذا الهجوم هو الإشارة لجميع الأرتال للهجوم الكلي على مقدمة وأجنحة ومؤخرة العدو ثم تفتح جميع المدافع نيرانها على (ن . ج .) .

وأوضح تاوزند أن هذه الخطة تشبه خطته التي أثبتت نجاحها في معركة السن ، ولا تختلف عنها إلا في تفصيل واحد مهم وذلك لتشويش العدو ، فالضربة القاضية في هذه المعركة ستوجه من قبل الرتل الأول (ديلامين) بدلاً من الرتل الثاني كما حدث في السن .

كان الأسطول النهري يتكون من الزوارق المسلحة (فاير فلاي) و (كوميت) و (شيطان) و (سومانا) وسفن الشحن (الدوبات) المحملة بالمدافع الثقيلة (شوشان) و(محسودي) وكان على قطع الأسطول قصف مواقع العدو إلى الجنوب الغربي من

(الجدار العالي) ، كما تم منح قائد الأسطول (الكابتن و . نانز من البحرية الملكية) صلاحية مطاردة العدو أينما كان .

كان على الأرتال الأربعة أن تتحرك فوراً من اللج لتتخذ مواقعها ، وكان على كل جندي أن يحمل معه أرزاق يوم واحد وما يستطيع حمله من الماء ، وحددت مهمة طائرتي تاوزند الباقيتين ـ طائرة شورت بحرية مكيفة وطائرة موريس فارمان ـ بأخبار الميجر ـ جنرال عن خط انسحاب العدو . هذه الخطة والتعليمات أرسلت برقياً إلى مطار العزيزية .

لقد أنهى تاوزند الإجتماع بنغمة متفائلة ، لكنه كان في شك من قدرته على الانتصار في معركة اليوم التالي ، لمعرفته بتفوق العدو العددي عليه رغم جهله بوصول الفرقة الـ (٥١) ، ولعلمه أن عدوه يتميز بمعاركه الدفاعية . لقد حذرته خبرته بالأمور الحربية من كارثة ستحدث له في طيسفون ، وأن إحتمال حدوثها هو بنسبة ٥٠٪ ، وقد كانت خبرته النظرية والعملية بالأمور الحربية عظيمة حقاً .

لقد ولد الميجر ـ جنرال في لندن قبل أربعة وخمسين عاماً من معركة طيسفون . كان والده موظفاً صغيراً في السكك الحديدية ، لكن هذا لم يحجب كون تاوزند حفيداً للماركيز تاوزند الأول قائد الجيش البريطاني في كوبيك بعد مقتل الجنرال جيمس وولف في ١٧٦٩ . لقد ولد الصغير جارلس في ظروف مادية صعبة ، ولم يتمتع بسنواته الأولى ، فقد حاول أقاربه باستمرار إدخاله في البحرية الملكية لكنه كان يعارض ذلك لإيمانه بأن مستقبله يكمن في الجيش ، وبعد جدال كثير مع أقاربه استطاع دخول الكلية الحربية البريطانية (ساندهيرست) ، وعند تخرجه نسب إلى مشاة البحرية الملكية الخفيفة في ١٨٨١ .

كان تاوزند من ضمن الرتل الذي ذهب إلى أعالي النيل لنجدة غوردون في الخرطوم في ١٨٨٥ ، واشترك في عمليات ومعارك الانسحاب عند فشل الرتل في مهمته ، كما قام تاوزند وهو كابتن شاب بالدفاع عن قلعة غوبيس الواقعة قرب جترال في شمال الهند ضد القبائل المعادية ولمدة ثلاثة وأربعين يوماً . كان هذا الدفاع مثار الأعجاب ، وتم ترفيع تاوزند إلى ميجر ومنحه لقب فارس (سير) من رتبة باث ، وهذا تكريم قل أن يفوز به ضباط شاب .

خدم تاوزند مع كتشنر في السودان ، حيث رفع إلى رتبة (كولونيل) وإستقال من عمله في الجيش في ١٨٩٩ ليعود إلى الهند ، لكن شوقه إلى مغامرات جديدة ، دفعه للتطوع في حرب جنوب أفريقيا ، إلا أن الظروف لم تلائمه هناك ، وعاد إلى لندن في أيلول ١٩٠٠ ونظم حياته كميجر في وحدة (الفيوزلاير) الملكية .

كان معظم زملائه يتذكرون أنه بطل جترال ، وكانت هذه الحقيقة تضايق رؤساءه إضافة إلى ضيقهم ببعض تصرفاته الأخرى . كان تاوزند قد تعلق بالمجتمع المسرحي وكانت له مواهب فذة في جذب الاهتمام والعزف على البانجو كما كان متحدثاً لامعاً . كان باستطاعته رواية سيل من الأمثال والنكات بلغة فرنسية سليمة ، كما كان مقلداً ممتازاً للأصوات (يقال ان نكسون عندما سمع بأن قائد الفرقة السادسة قادر على تقليده (تقليد نكسون) بدقة متناهية انزعج وبدأ يراقب تاوزند بشك منذ ذلك الحين) . قيادة (الفيوزلاير) انزعجت أيضاً من هذه التصرفات لكونها صادرة من ضابط كبير له مكانته ، وليس من ضابط صغير يمكن التسامح معه بشأنها . نتيجة لهذا تم نقل تاوزند إلى أحد أفواج الفيوزلاير في الهند . في ١٩٠٤ رفع إلى (كولونيل) مرة أخرى ، وفي نهاية السنة نفسها أصبح ملحقاً عسكرياً في باريس ، ثم حاكماً عسكرياً لمستوطنة (نهر أورانج) في جنوب أفريقيا ، إلى أن تم ترفيعه إلى ميجر ـ جنرال في ١٩١١ . بعد قضاء فترة قصيرة في انكلترا غادر إلى الهند ليتولى قيادة لواءين هنديين . محاولاته المستمرة للحصول على مركز قيادي في جبهة القتال تكللت بالنجاح في ١٩١٥ عند استلامه قيادة فرقة البونا السادسة في العراق . كانت نقطة ضعفه ، هي تعلقه الأعمى بالعلوم العسكرية الفرنسية . كان يحب فوش ، وكان تدريب جنوده متأثراً بتدريب الكلية الفرنسية (سان سير) . كان من عادة ضباطه الذين يخاصمهم مؤقتاً أن يقولوا بأن قائدهم يمثل دور (نابليون) مرة أخرى ، ويقول بعضهم ان تاوزند قد أخذ عن القنصل الأول (نابليون) بعض خواصه وتصرفاته .

في الساعات الأولى من يوم ٢٢ تشرين الثاني ١٩١٥ بدأت التقارير الأولى عن قرب وقوع هجوم تصل نور الدين . قالت التقارير بأن جنود العدو يقومون بعدد من المناورات على أقصى الجناح العثماني الأيسر ، وفي الساعة الخامسة صباحاً ، تم إخبار

القائد العثماني العام بأن قوة للعدو تقدر بلواء مشاة وخيالة تتجه مباشرة إلى خط الدفاع الثالث على ديالى . لقد بذل أركان حرب نور الدين جهدهم للحيلولة دون إرساله الفرقة الـ (٥١) إلى ديالى من كصيبة حيث كانت ترابط كقوة إحتياطية ، وذهب مكانها لواء الخيالة . كان نور الدين يشك في أن البريطانيين يحاولون تطويقه ، ولم يطمئن إلا بعد أن وصله تقرير آخر عن تحويل القوة البريطانية لإتجاهها واتجهت نحو كصيبة .

إستيقظ جنود تاوزند متصلبي العضلات من البرد والتعب ، فقد جعلت الريح القارسة النوم مستحيلاً رغم وصولهم مواضع هجومهم قبل ستة ساعات ، وأبصروا ضوء الفجر الخافت بعيون شبه مغمضة . كانت دجلة ومواضع العدو مغلفة بضباب كثيف لم يتبدد مع شروق الشمس في الساعة ٦,٣٠ صباحاً . أعادت صيحات العرفاء الرجال إلى وعيهم ، وبدأ رتل هوتوف بالانتشار في نسق طوله ١٥٠٠ ياردة ثم بدأ بالتقدم نحو « طاق كسرى » بحذر شديد لأن الرجال كانوا عاجزين عن الرؤية لمسافات بعيدة بسبب الضباب .

قبل الساعة ٧ صباحاً بلحظات ، فتحت مدفعية الأسطول النهري البريطاني نيرانها على ضفة النهر المقابلة لقرية بستان ـ لأن استطلاعاً جوياً سابقاً ، قد ذكر قيام العدو بإنشاء ربية جديدة هناك ـ وفي الساعة ٧,١٥ بدأت مدفعية هوتون بقصف مواضع العدو الواقعة أمام الرتل الزاحف ، لكن العثمانيين لم يردوا على القصف بأي شكل كان .

بدأ الضباب يختفي في الساعة ٧,٤٠ صباحاً وإستطاع تاوزند من مقر قيادته الجديد ـ في محل تجمع الرتل الثالث بعد مغادرة الرتل له ـ أن يتصل بها ملتون وديلامين .

كان هاملتون قد بدأ يقلق ، فرغم سماعه أصوات المدافع لم يستطع سماع طلقة بندقية واحدة ، فأرسل إلى تاوزند يسأله :ـ

« لا أستطيع سماع بنادق هوتون . هل أتقدم ؟ »

كان الميجر ـ جنرال يعاني من نفس الحيرة فرغم قدرته على رؤية وسماع مدافع هوتون لم يسمع أي طلقة بندقية من المشاة الزاحفين المغلفين بالضباب ، لكنه قرر عدم تأخير عملية الالتفاف لفترة أطول ، فأمر هاملتون وميليز ـ على يمين هاملتون ـ بالتقدم .

في الساعة الثامنة صباحاً زال الضباب نهائياً وظهر الطاق العظيم مهيمناً على الصحراء . كان بوسع جنود هوتون الزاحفين رؤية جوانبه وزواياه واضحة تحت السماء الزرقاء الصافية ، لكنهم لم يشاهدوا ـ حتى بعد اقترابهم ٢٠٠ ياردة من الطاق ـ أية علامة تدل على وجود العدو . كان المواضع العثمانية خالية من كل علامات الحياة لدرجة جعلت هوتون يشك في وجود أي شخص فيها . في الساعة ٨,٣٠ بدأت أرتال هاملتون وميلز بالتقدم ، وفي نفس الوقت أرسل هوتون ضابطاً وثلاثة جنود لاستكشاف الخنادق العثمانية .

أحنى الأربعة أجسامهم وهرولوا للأمام . عند وصولهم إلى مسافة خمسين ياردة من الأسلاك الشائكة بدأوا بالزحف على أيديهم وركبهم بهدوء عبر أرض جرداء متشققة قد حرق العثمانيون أدغالها لكي لا تعيق نظرهم أو تصويبهم . فجأة فتحت رشاشة العدو نيرانها وقتلت الأربعة في وقت واحد .

كانت الخطة تقضي بمهاجمة هوتون للعدو عند تقدم ديلامين على (ن . ج .) وليس قبل ذلك ، وهكذا أمر هوتون رجاله بحفر ملاجيء لهم بعد أن تأكد من الوجود العثماني ، كانت أجهزته وخرائطه تخبره بأنه على بعد (٢٥٠٠) ياردة من الطاق .

الأحداث التي تلت ذلك بقت غامضة تماماً . عدد من الشهود المعتمد عليهم ـ ومن ضمنهم تاوزند وديلامين ـ ظنوا أنهم شاهدوا أعداداً كبيرة من جنود العدو تنسحب من الجناح العثماني الأيسر ، لكن العثمانيين نفوا فيما بعد قيامهم بمثل هذا الانسحاب . ديلامين أرسل إلى تاوزند :ـ

« العدو في تراجع كلي . هل يمكنني التقدم إلى (ن . ج .) ؟ »

أجاب تاوزند بالموافقة ، وكانت موافقته ناجمة عن إعتقاده بأن سبب تراجع العدو كان تقدم أرتال هاملتون وميليز . بدأ رتل ديلامين بالتقدم وأخذت المدافع البريطانية تحفر الجناح الأيسر العثماني بنيرانها .

كان التراجع العثماني مفاجأة لهوتون ، لكنه رغم دهشته أمر

رجاله بالخروج من الملاجيء التي حفروها ومواصلة التقدم . كانت الأرض مغطاة بالسواقي والأخاديد التي يتراوح عمقها بين قدمين وثلاثة أقدام ، وتقدم رتل هوتون مسافة (١٠٠) ياردة وأصبح على بعد (٩٠٠) ياردة من مواضع العدو قبل أن تفتح الأسلحة العثمانية (بنادق ورشاشات ومدفعية) نيرانها بدقة تصويب رهيبة .

ترك رتل هامتون وحلاته الطبية وعتاده الاحتياطي وتقدم عبر سهل خال مكشوف تماماً مسافة تتراوح بين (١٢٠٠٠ ـ ١٥٠٠٠) ياردة قبل أن يصطدم بنار بنادق كثيفة صادرة من ملاجيء ضحلة مختفية داخل الأدغال المنخفضة . كان عدد جنود العدو (٢٠٠) جندي عثماني تقريباً استطاع رجال هاملتون قتل معظمهم ولاذ الباقون بالفرار . كان باستطاعة رجال هاملتون رؤية رتل ديلامين إلى يسارهم وهو يتقدم على (ن . ح .) . استمرت أفواج هاملتون التي كانت في مقدمة الرتل (فوج نورفولك الثاني وفوج المهراتا ١١٧) بالتقدم حتى أوقفتها نيران بنادق ورشاشات كثيفة . كان العثمانيون البالغ عددم (٤٠٠٠) جندي ـ مقابل هاملتون الـ (٢٥٠) ـ قد تحصن في مواضع يغطيها الجناح العثماني الأيسر . بدأت خسائر الجانب البرايطاني تتزايد .

على يمين رتل هاملتون وبعيداً عنه كان الرتل الطائر بقيادة ميليز يواجه مقاومة صعبة ، فقبل أن يتمكن من التقدم مسافة كبيرة هاجمه لواء الخيالة العراقي التابع للجيش العثماني ، وتركز الهجوم على الجناح الأيمن للرتل مهدداً مواصلات الرتل ووحدته الطبية ومركز إشاراته . تم صد الهجوم بدون صعوبة كبيرة ، لكن فوج البنجاب الـ (٧٦) تعرض لنيران كثيفة من مشاة العدو بعد تقدمه ١٢٠٠ ياردة أخرى . دارت معركة ضارية واثبتت المقاومة العثمانية فعاليتها باجبارها البريطانيين على حفر ملاجيء في الأرض والتحصن بها . كانت الخسائر البريطانية كبيرة ومن ضمنها قائد الفوج ومساعده . إلى اليمين كان لواء الخيالة البريطاني يواجه قصفاً كثيفاً من المدفعية والبنادق العثمانية ، واضطر الفرسان بعد تعاظم خسائرهم إلى الترجل ومواصلة التقدم وهم يسحبون خيولهم المرعوبة وراءهم .

كانت الساعة قد تعدت التاسعة صباحاً بقليل عندما استلم ديلامين موافقة تاوزند على الهجوم على (ن.ح.) ، وبدأ رتله التقدم على جبهة عرضها ٦٠٠ ياردة تقريباً ، فتقدم الفوركا إلى الجانب الشمالي من (ن.ح.) بينما تحرك فوج البنجاب الـ (٢٤) نحو اليمين . كانت المسافة بين نقطة بداية الهجوم و (ن.ح.) حوالي (٥٠٠٠) ياردة .

قطع رتل ديلامين ثلثي المسافة إلى (ن.ح.) بتقدم سريع قبل أن يلاقي قصفاً مدفعياً ثقيلاً ، فتغير التقدم السريع إلى تقدم متقطع بأن يقوم الرجال بركضة سريعة لمسافة (١٠٠) ياردة ثم يلقون بأنفسهم إلى الأرض ويستريحوا قليلاً قبل أن ينهضوا ويكرروا العملية . كان الركض يتم تحت غطاء ناري من الرشاشات البريطانية المنصوبة على يمين ويسار التل ، ورغم تزايد الإصابات فقد حافظ الجنود على اندفاعهم حتى وصلوا الاسلاك الشائكة على مسافة (٤٠) ياردة من الخنادق العثمانية . حدث قصف ناري كثيف وصيحة انتصار واندفع مشاة ديلامين عبر الأسلاك الشائكة ليحتلوا خنادق العدو . في الساعة العاشرة صباحاً كانت (ن.ح.) في أيدي البريطانيين بعد أن امتلأت بالقتلى والجرحى ، وتبعثر العثمانيون الباقون هاربين باتجاه الخط العثماني الثاني .

بعد احتلال المواقع العثمانية في (ن . ح .) بقيت جذوة القتال مشتعلة لدى عدد من جنود أفواج الفوركا والمهراتا والبنجاب فاتجهوا للجنوب مهاجمين ربية عثمانية ، كانت تواصل إطلاق النار عليهم من اليسار ، واختفوا عن الأنظار داخل الخنادق العثمانية في الوقت الذي وصل فيه ديلامين إلى (ن.ح.) وهذا ما جعل ديلامين يعتقد ـ حتى نهاية ذلك اليوم ـ بأن اللواء المختلط (٣٠) بقيادة الكولونيل س.هـ كليمو هو أقوى مما هو في الحقيقة . كان ديلامين قد شاهد هروب العثمانيين وأراد الاستفادة من فوضى الفرار فأمر كليمو بمطاردتهم حتى الخط الثاني ، فاندفع اللواء المختلط الثلاثين وراءهم رغم العدد الكبير من القناصين العثمانيين الذين واصلوا إطلاق الرصاص حتى وصل المهاجمون إلى مسافة (٦٠٠) ياردة منهم ، فنهضوا ولاذوا بالفرار .

في نفس الوقت كان رتل هوتون ـ الذي توقف مؤقتاً بسبب نيران العدو الكثيفة ـ قد واصل تقدمه رغم افتقاره إلى الغطاء الناري حيث توقفت مدافعه عن الضرب بسبب حدوث سراب ـ العائق

الأكبر لدقة التصويب ـ وخوفاً من إصابة الجنود البريطانيين . في الساعة ١٠,٣٠ صباحاً كان اللواء (١٧) قد وصل الى مسافة ٧٠٠ ياردة من الخنادق العثمانية ، وبالرغم من تعرض الفوج (١١٩) إلى نار بنادق الآنفيلد الآتية من المواضع العثمانية في (الجدار العالي) فإن خسائر الفوج لم تكن كبيرة بعد .

اعتقد تاوزند أن هروب العثمانيين أمام ديلامين قد يدفع باقي قوات « العثمانيين » إلى التراجع غير المنظم نحو الخط الثالث على ديالى ، فقرر نقل مقر قيادته إلى (ن.ح.) ، وفي الساعة ١٠,٤٥ صباحاً امتطى الميجر ـ جنرال وأركان حربه خيولهم وانطلقوا عبر مسافة مكشوفة تبلغ الميلين نحو (ن.ح.) فانتهزت المدافع العثمانية الفرصة لترحب بهم بعدة قنابل دقيقة التصويب .

في تلك الأثناء كانت قوات كليمو المتقدمة قد وقعت تحت قصف كثيف ، وكان هدف كليمو الاستيلاء على ثمانية مدافع عثمانية ظاهرة على مسافة من (ن.ح.) وإلى الغرب منها . كانت معنويات جنود كيمو القوات العثمانية الاحتياطية ، وامتلأت الخنادق بقتلى العثمانيين وجرحاهم . بعد هذا اندفع الجنود نحو المدافع ـ التي أصبحت مهجورة ـ لكنهم ما كادوا يستولون عليها حتى أجبرهم قصف مدفعي كثيف على مواصلة التقدم للتخلص من دقة تصويب المدافع العثمانية ، واستمر التقدم نصف ميل آخر قبل أن يضطروا للتوقف على مسافة من الخط الثاني بسبب كثافة النيران العثمانية .

كان باستطاعة تاوزند أن يرى عند وصوله (ن.ح.) أن المعركة لم تنته بعد ، فقرر استدعاء رتل هوتون إلى (ن.ح.) ليدعم رتل ديلامين متوقعاً انسحاب العثمانيين الذي على يساره من تلقاء أنفسهم إذا استطاع عزلهم عن بقية الجيش العثماني بهجوم كثيف في منطقة (ن.ح.) فأمر ضابط أركانه الأقدم ـ وحسب تعبير تاوزند نفسه ـ « بإرسال رسالة إلى هوتون ليجلب جناحه الأيسر ويتحرك إلى (ن.ح.) » . إن نص هذا الأمر الذي أثار الاستغراب مجهول تماماً لأن هوتون مات في الكوت وجميع ضباط أركانه الذين شاهدوا الأمر قتلوا في سلمان باك . كان الأمر يعني تحريك رتل هوتون أمام أنظار العثمانيين المتخصصين بالخنادق وهذه الحركة ستكشف جناح الرتل لنار الرشاشات والبنادق التي تبعد عنه مسافة (١٠٠٠) ياردة فقط . لم يكن أمام هوتون خيار غير إطاعة الأمر .

بدأ لواء المشاة الـ (١٧) حركته عبر سهل خال من الغطاء الطبيعي تاركاً سرايا قليلة وفصائل رشاشات لتغطي حركته وتبقي رؤوس الأعداء تحت حافة الخنادق بغطاء ناري سريع . كان يتحرك بزاوية قائمة مع اتجاه الهجوم ، وكانت ردة فعل العثمانيين كما خشيها هوتون . كل نوع من الأسلحة فتح نيرانه على الجنود البريطانيين وهم يتحركون جانباً عبر الجبهة . البنادق والرشاشات وشظايا القنابل ألحقت خسائر فادحة بالرتل الزاحف . بعض من شاهدوا هذا الزحف تأثروا بهدوء الرجال الزاحفين تحت النار ـ خاصة رجال فوج أوكسفورد ـ والبعض الآخر تذكروا الزحف برهبة حيث كان الجنود يتحركون وكأنهم نائمون . في النهاية وصل ما تبقى من اللواء الى ساقية منحت الجنود نوعاً من الغطاء يبعد (٢٠٠) ياردة عن شرق (الربية المائية) .

راقب تاوزند وديلامين تدمير لواء المشاة الـ (١٧) بخيبة أمل فقد أصبحت خطورة الوضع إلى اليسار واضحة . لقد أوقف تقدم هوتون وتشتتت قواته وظهرت الصفوف القوية للقوات الاحتياطية العثمانية وهي تتقدم لملء الخنادق الخالية في جنوب (ن.ح.) ، أصبح من الضروري للبريطانيين احتلال (الربية المائية) أو أي ربية أخرى في خط الدفاع العثماني الأول ، فأمر ديلامين مدفعيته بإيقاف تقدم جنود العدو وأرسل آخر قواته الاحتياطية ـ نصف فوج الدورسيت ونصف سرية الهندسة (٢٢) ـ لمساعدة هوتون على احتلال الخنادق والربايا المتبقية .

بعد حصولهم على تلك الاستراحة القصيرة نهض رجال فوج أوكسفورد من ساقيتهم الضحلة وهجموا عبر المائة ياردة الأخيرة واقتحموا الأسلاك واحتلوا (الربية المائية) بعد تكبدهم خسائر جسيمة . أما العثمانيون ـ الذين كانوا في الربية فكانت نهايتهم القتل أو الأسر .

كان تقدم كليمو واحتلاله (ن.ح.) قد أضعف العثمانيين أمام رتل هاملتون ، وحين شاهدوا رفاقهم يفرون باتجاه الخط الثاني قرر الكثير منهم الانضمام إليهم في ذلك الفرار .

في الساعة (١١,٣٠) صباحاً حاول لواء الخيالة البريطاني ـ إلى أقصى اليمين ـ الالتفاف حول جناح العثمانيين ، إلا أن الهجوم

المضاد الذي شنته الفرقة العثمانية الـ (١٥) الآتية من كصيبة بالاشتراك مع لواء الخيالة العراقي جعل البريطانيين شبه محاصرين وأجبرهم على الانسحاب مسافة قصيرة. ساعد قصف المدفعية البريطانية لواء الخيالة على الاحتفاظ بمكانه بعض الوقت، لكن عندما حلت الساعة (١,٣٠) بعد الظهر كان اللواء قد انسحب تقريباً إلى نقطة تجمعه قبل الفجر.

قبل الظهر بوقت قليل وصلت نور الدين أخبار تدمير الفرقة الـ (٤٥) وهي إحدى الفرقتين اللتين كان يعلق عليها الآمال. كانت الأخبار قد تأخرت في الوصول نتيجة تقطيع سلك التلفون من قبل مجموعة من أفراد العشائر اختفت الآن في التلال. أصدر نور الدين أوامره إلى قائد القوات الاحتياطية العثمانية (جهادبك) بالتقدم لإنقاذ ما يمكن إنقاذه من الفرقة. تقدم جهاد بك بعد أن ترك سرية هندسة لتوقف أعداد الهاربين المتزايدة المتجهة إلى الخلف، وكان هذا التقدم هو الذي أوقف كليمو على بعد (٨٠٠) ياردة من الخط العثماني الثاني. وفي تلك الأثناء تراجعت الفرقة العثمانية الـ (٣٨) بعد هبوط معنوياتها نتيجة للخسائر الجسيمة التي حلت بها أثناء دفاعها عن (الربية المائية) وانسحبت إلى قرية (سلمان بك).

في الساعة ١,٣٠ بعد الظهر كان خط الدفاع العثماني الأول بأكمله في أيدي البريطانيين. كان فوج البنجاب الـ (٧٦) لا يزال صامداً في موقعه، لكن لواء الخيالة كان مجبراً على البقاء في نقطة تجمعه الأصلية نتيجة لضغط أعداد كبيرة من العثمانيين عليه ولم يكن هاملتون قادراً على مواصلة التقدم، وقد أوقف زحف كليمو تماماً رغم استيلائه على المدافع العثمانية الثمانية. إلى الجنوب كان هوتون يحاول إعادة تشكيل لوائه الذي تناثر تماماً.

عند الظهر قام نكسون وهيئة أركانه بزيارة مفاجئة إلى (ن.ح.) تاوزند أخبره بأنه اعتقد في البداية أن كل شيء يسير سيراً حسناً، لكنه يدرك الآن بأن هجوم جهاد بك قد قام به جنود جدد لم يشتركوا في المعركة منذ بدايتها، وقد يكون هذا هو السبب في بقاء المقاومة العثمانية إلى ذلك الوقت. كان تاوزند لا يزال يعتقد بأن قوة عدوه هي أكثر بقليل من قوته نظراً لجهله بوصول التعزيزات العثمانية. كانت هناك صدمة أخرى تنتظر الميجر- جنرال فقد شاهد كليمو جريحاً وسط تيار الجرحى المتدفق المحمول من أمامه. قبل الساعة الثانية عصراً بدأت قوة كليمو بالتراجع أمام هجوم جهاد بك العزوم. في البداية أخذ الجنود الهنود يتسللون هاربين مع الجرحى، وعبثاً حاول فوج (دورسيت) أن يثير عزائم الهنود، وفي النهاية بقي هذا الفوج وحده. كانت النيران البريطانية التي تحاول صد المهاجمين كثيفة لدرجة أن الدهن بدأ يغلي وتظهر فقاعاته على أخمص البنادق ولم يعد بالإمكان لمس حديد البندقية. بدأ العتاد ينقص لأن جميع بغال الرتل قد قتلت أو جرحت. جرت محاولات لنقل صناديق العتاد الثقيلة بواسطة الرجال، لكن المسافة كانت بعيدة، ولم يصل المقاتلين منها سوى صناديق معدودة.

راقب تاوزند هذه التطورات من خلال دخان المعركة وأيقن أنه يجب عمل شيء ما وبسرعة، فأمر ديلامين بجمع ما يستطيع من الجنود وأن يهاجم خط الدفاع العثماني الثاني وطلب ديلامين من هوتون إعادة الجنود الذين أعارهم إياه، كما طلب منه التقدم بما يستطيع جمعه من جنود ليدعمه (يدعم ديلامين) في الهجوم المقبل. ثم جمع جنود الإشارة والمراسلين وكل جندي يبدو عاطلاً عن العمل وتنظيمهم في قوة يبلغ عددها (٦٠) رجلاً. أمر ديلامين القوة بالتقدم بعد أن أمر مدفعيته بالصعود إلى (ن.ح.).

تحول نار البنادق العثمانية إلى سيل متواصل من الرصاص، وتزايدت خسائر القوة رغم أنها تجذب أي رجل تمر به إلى صفوفها. في النهاية وصل فوج الراجبوت السابع التابع لرتل هاملتون. حدثت مشاورات عاجلة ووافق قائد الراجبوت - الكولونيل هـ.و. بار- على الانضمام للهجوم على الخط العثماني الثاني الذي كان يبعد (٣٠٠ - ٤٠٠) ياردة. حصل بعض التقدم إلا أن عدة صفوف من مشاة العثمانيين شوهدة تتقدم نحو (ن.ح.) و مدافع ديلامين وبدا واضحاً عدم جدوى مواصلة التقدم، فأمر ديلامين بار وفوجه بالعودة إلى مواضعهم السابقة. كان هوتون أوفر حظاً من ديلامين فقد استطاع جمع (٢٥٠) رجلاً - من ستة ألوية مختلفة - لدعم ديلامين وكانت خطته التقدم إلى يسار قوة ديلامين ليخفف عنه الضغط. قاد جنود هوتون البريطانيون الزحف عبر أرض جرداء مكشوفة نحو العدو المتحصن في تلال رملية تبعد (١٢٠٠) ياردة عن (ن.ح.).

لم تتعرض القوة الزاحفة لأذى قبل وصولها إلى بعد (٣٠٠) ياردة من العدو الذي استقبلها استقبالاً حاراً جداً . توقف الصف البريطاني وقابل النار بمثلها لكن الزحف كان قد أوقف تماماً . ازدادت الخسائر على الأرض وبدأ الجنود يتلفتون وراءهم بحثاً عن تعزيزات تجعل الهجوم على الخط العثماني الثاني ممكناً . لم تأت أية تعزيزات ، وبدأت الشمس تغرب . قاوم هوتون حتى حلول الليل ثم انسحب تحت جنح الظلام بعد أن فقد ضابطين من ضباطه البريطانيين الأربعة و (٦٠) جندياً ـ بين قتيل وجريح ـ من قوته الصغيرة .

على اليمين البريطاني كان فوج البنجاب الـ (٧٦) لا يزال صامداً أمام هجمات بعض قوات الفرقة الـ ( ) العثمانية ، بينما ركزت معظم قوات الفرقة هجومها بالاشتراك مع لواء الخيالة العراقي على رتل ميليز الطائر . عند حلول العتمة أمر تاوزند ميليز بالانسحاب إلى (ن.ح.) . في الساعة الخامسة مساءً قام رتل هاملتون ـ بعد حفر مواضعه بالعمق الذي تسمح به الأرض خلال العصر . بمحاولة أخيرة للتقدم ، لكن بعد بداية التقدم بقليل وصل رسول يحمل أمراً من تاوزند بإيقاف التقدم والانسحاب إلى (ن.ح.) لقضاء الليل هناك .

قبل الغروب بقليل ـ أي حوالي الساعة الخامسة مساءً ـ أدرك تاوزند ، رغماً عنه ، عدم قدرته على مزيد من التقدم في ذلك اليوم ، فقرر جمع قواته ومواصلة الهجوم في الصباح التالي ، واستنتج من عدد قتلى العدو أمامه على أرض المعركة بأن العثمانيين سوف ينسحبون خلال الليل إلى خط دفاعهم الثالث على نهر ديالي . أمر تاوزند جنوده بتحصين مواضعهم في الخط العثماني الأول الذي استولوا عليه . كان على هوتون أن يمسك (ن.ح.) وميل واحد من الخنادق المستولى عليها باتجاه الجنوب ، وعلى جنود ديلامين مسك خط الخنادق الباقي الممتد إلى النهر ، أما رجال هاملتون فكان عليهم إمساك اليمين .

ورغم عدم قيام العثمانيين بعرقلة تجميع البريطانيين في (ن.ح.) بأية وسيلة ، فقد كانوا قد أوقفوا القصف وانسحبوا إلى خطهم الدفاعي الثاني ، فقد بدأ تاوزند يدرك أن قواته ليست في حالة تسمح لها بالهجوم في اليوم التالي . كانت خسائره من المشاه فادحة ، فقد خسر هوتون (٧٠٠) رجل ، وخسر ديلامين (١٠٠٠) رجل ، و خسر هاملتون (٨٠٠ ـ ٩٠٠) رجل . لهذا أجرى الميجر جنرال تعديلاً في أوامره ، فقرر أن يتخذ ـ بعد أن تستعيد قواته نوعاً من النظام ـ موضعاً مناسباً قرب النهر ليسهل على جنوده الحصول على الماء والطعام والعتاد وإخلاء الجرحى .

في تلك الليلة خلق تاوزند كابوساً لنفسه ، فقد أمر بتجميع الجرحى في (ن.ح.) بدلاً من إخلائهم إلى الخلف كما كان يتم خلال معارك النهار ، وأضيف الجرحى البريطانيون والهنود إلى قتلى وجرحى العثمانيين الذين كانوا يملأون (ن.ح.) عندما احتلها ديلامين في الساعة العاشرة صباحاً . كانت طريقة الجيش الهندي التقليدية يتم في نقل الجرحى على نقالات أو سلال موضوعة على ظهر البغال قد اختفت تماماً نتيجة للخسائر الجسيمة في الرجال والبغال ، فتم نقل الجرحى العاجزين عن السير الى (ن.ح.) على عربات اعتيادية لا تحوي عجلاتها على نوابض ، وأضاف اهتزاز هذه العربات الى آلام الجرحى ، وأصبح الليل رهيباً بأنين الرجال وصراخهم . لم يكن الطعام والماء المخصص للجرحى كافياً ، أما الكادر الطبي الذي كان كافياً بالكاد للعناية بـ (٤٠٠) جريح فقد صار عليه الآن معالجة عشرة أمثال هذا العدد .

لقد قتل أو جرح (١٢٠) ضابطاً من مجموع (٣٧١) ضابطاً بريطانياً ، كما انخفض عدد الضباط الهنود من (٢٥٠) إلى (١١١) ضابطاً ، وأصيب (٤٢٠٠) جندي بين قتيل وجريح من مجموع (١٢٠٠٠) جندي تقريباً .

وبينما كان حصاد نتائج اليوم يجري في (ن.ح.) هبت ريح ليلية قارسة على السهل المنبسط وتسللت إلى الخنادق المليئة بالجرحى . كانت حكايات الجرحى رهيبة . عندما هوجمت (الربيئة المائية) اكتشف الجرحى القادرون على الزحف الى المبذل المحاذي للربية أن العثمانيين كانوا قد توقفوا حركتهم وملأوا المبذل بالماء لوضع جرحى الجيش البريطاني في مواجهة اختيار صعب : رفع الرؤوس فوق الماء وتعريضها للرصاص العثماني أو إبقائها تحت الماء والغرق ، وكاد بعض الجرحى الذين فقدوا وعيهم أن يغرقوا بالفعل لولا رفاقهم (من غير الجرحى) الذين أمسكوا بهم طيلة النهار ، وخلال الساعات

الثلاث التي رقد فيها الجرحى في المبذل قبل أن يتم الاستيلاء على خط الدفاع العثماني الأول ، تحول لون الماء إلى أحمر قرمزي . بعد إكمال تطهير الخط العثماني الأول من العثمانيين تم رفع الجرحى من المبذل إلى الضفة حيث بقوا راقدين عليها بملابسهم المبللة إلى أن وصلت إليهم فرق النقالات المجهدة . أما الجرحى القادرون على السير فذهبوا يبحثون عن محطات تضميد الميدان القليلة ووجدوها مزدحمة وغير قادرة على مواجهة الحالة ، وطوال الليل كانت جماعات تبحث في ميدان المعركة عن جرحى النهار ، أما الأسلحة المتروكة فقد كانت تجمع من قبل مجموعات صغيرة كانت تكلف بالسير خلف القوات الزاحفة لجمع البنادق المتروكة والمواد الأخرى التي يمكن الاستفادة منها مرة أخرى ، وقد وصف آمر إحدى هذه المجموعات ، وهو ملازم من فوج أوكسفورد ، تجربته كما يلي :ـ

« عند بدء الهجوم سرت خلف لوائي (السابع عشر) إلا أن نيران العدو كانت كثيفة وعرباتي كانت أهدافاً واضحة لمدافع العدو بحيث لم أستطع عمل شيء لوقت طويل ، رغم وجود الكثير مما يجب عمله . كان ميدان المعركة مليئاً بالقتلى والجرحى وبالتجهيزات المتناثرة والبنادق المتروكة وبغال النقل الجريحة بحيث لم أعرف بمن أبدأ . أمرت نصف مجموعتي بمواصلة عملهم في جمع التجهيزات والأسلحة المتروكة في (الربية المائية) بينما يقوم نصف المجموعة الآخر بمساعدة الجرحى الذين كان عددهم أكبر مما يستطيع كادر الأسعاف العناية به . »

خيم القلق والكآبة على نور الدين الذي كانت خسارته ٩٥٠٠ رجل بين قتيل وجريح إضافة إلى ١٢٠٠ جندي وقعوا في أسر البريطانيين ، وهكذا أصدر أوامره بعد التاسعة صباحاً بقليل ـ وبعد دراسته التقارير المرسلة إلى مقر قيادته ـ إلى قواته بالانسحاب إلى الخط الثاني في حالة عجزها عن استرجاع الخط الأول دون معركة ، كما قضى الليل كله يعيد تنظيم قواته المجهدة في فيلقين : الفيلق الثالث عشر يضم الفرقتين الـ (٣٥) والـ (٣٨) ، والفيلق الثامن عشر يضم الفرقتين الـ (٤٥) والـ (٥١) .

خلال الليل أدرك تاوزند أن قواته ـ رجالاً وحيوانات ـ منهكة القوى وتعاني من البرد ونقص الطعام والماء . ألويته كانت مبعثرة ، والرجال يهيمون هنا وهناك بحثاً عن رفاقهم . كان يعرف أن نقل الجرحى إلى اللج ـ التي تبعد اثنا عشر ميلاً ـ سيتطلب استخدام جميع وسائط نقله . مع طلوع النهار ظهرت عوائق جديدة بوجه إعادة تنظيم القوات البريطانية لتصبح جيشاً مباشراً فعالاً ، فقد هبت رياح قوية وأثارت عواصف رملية حجبت الرؤية في جميع الاتجاهات ، ووضح لتاوزند أن خطته لاستمرار الهجوم كان ميئوساً منها ، فقواته تحتاج إلى الطعام والماء والراحة وإعادة التنظيم ، فأمر بتركيز قواته في أحد أجزاء الخط العثماني الأول وهو الجزء الممتد من (الجدار العالي) إلى (الربية المائية) والانسحاب من بقية الخط ، كما أمر أسطوله النهري وسفن تجهيزاته أن تتقدم شمالا الى بستان .

وتجددت آمال تاوزند عند استلامه تقريراً كاذباً من طيار طائرة الاستطلاع يفيد بأن العثمانيين قد انسحبوا تماماً من خط دفاعهم الثاني إلى ديالي تاركين وراءهم قوة حراسة صغيرة لمؤخرتهم تتكون من فوج واحد أو فوجين ، كما سحبوا جسرهم المكون من الزوارق إلى نقطة أبعد شمالاً . نتيجة لهذا التقرير بدأ تاوزند يأمل بإمكانية هجوم جديد وأمر لواء خيالته بالتقدم واحتلال التجهيزات المائية قرب الطاقة كما أمر رتل هوتون بالبقاء في (ن.ح.) إلى أن يتم إخلاء جميع الجرحى . كان على المشاة في رتل ميليز الطائر أن ينضموا إلى هاملتون الذي كان عليه أن يعيد تنظيم اللواء (١٨) في (ن.ح.) ثم يتحرك إلى (الجدار العالي) . كان على ديلامين أن يعيد تنظيم اللواء (١٦) في (الربية المائية) ثم يتقدم فوجا الفوركا والبنجاب (٢٤) لاتخاذ مواقع قرب الطاق .

تقدم لواء الخيالة باتجاه الطاق ووصل ضفة النهر وبدأ بإرواء خيوله . بعد الساعة العاشرة صباحاً بقليل تقدم الفوركا والبنجاب (٤٠٠ رجل تقريباً) ترافقهما بطارية رشاشة ماكسيم وفصيل من مدافع الميدان (٨٢) ، وتم احتلال ربوة صغيرة تبعد (٢٠٠) ياردة عن الطاق ، وسميت الربوة بـ (ربوة الفوركا) ، لكن بعد احتلالها بقليل بدأت النيران العثمانية تنزل عليهم من خط الدفاع العثماني الثاني الذي يبعد عنهم حوالي (٢٠٠٠) ياردة ، كما فتح العثمانيون النار على لواء الخيالة وأجبروه على التراجع من ضفة النهر إلى « الجدار العالي » . عند وصول الخيالة إلى « الجدار العالي » وجدوا جمعاً من الجنود يفحصون بفضول مدفعي هاون ضخمين . كان

لمدفعان قديمين جداً ومصنوعين من القصدير ومزينين بزخارف منوعة ثقيلين لدرجة نبذ أية فكرة في أخذهما كغنائم ، لكن بالرغم من تركهما في « الجدار العالي » فقد أظهرت الحوادث اللاحقة أن جنود الفرقة السادسة لم يستطيعوا نسيانها أبداً .

كان عدد كبير من الجرحى لا يزال في (ن.ح.) عندما بدأت بطارية مدافع ميدان قريبة وبدون سبب واضح بإطلاق نيرانها على خط الدفاع العثماني الثاني ، وجاء الرد العثماني سريعاً ودقيقاً وانفجرت عدة قنابل بين الجرحى ، كما فتحت المدفعية العثمانية الواقعة على ضفة النهر نيرانها مانعة السفن البريطانية من الوصول إلى بستان ، ومجبرة تاوزند على إدراك أن مقر قيادته يجب أن يبقى في اللج .

خلال الصباح علمت القيادة العثمانية بالانسحاب البريطاني الكامل من المنطقة الواقعة إلى شمال وغرب (ن.ح.) ، وأدرك نور الدين للمرة الأولى أن عدوه قد تكبد خسائر فادحة وقد يكون بحاجة إلى إعادة تنظيم ، فأمر قواته بالقيام بهجوم مضاد على خط الخنادق الذي خسره ، وظهرت الدلائل الأولى للهجوم أمام البريطانيين في الساعة الرابعة مساءً تقريباً . كان لواء هوتون (١٧) لا يزال في (ن.ح.) وكان إخلاء الجرحى مستمراً إلا أن عددهم كان كبيراً ورغم استخدام جميع وسائط النقل لنقلهم فإن نصفهم كان لا يزال في (ن.ح.) عندما غربت الشمس . عندما علم تاوزند بالهجوم العثماني أرسل فوجين من اللواء (١٨) لتعزيز قوة ديلامين ، كما أعاد فوج البنجاب الـ (٧٦) إلى هوتون في (ن.ح.)

في الساعة الخامسة مساءً انسحبت بطارية مدافع الميدان المرافقة للقوة الصغيرة في (ربوة الفوركا) إلى (الجدار العالي) ، وقد رفع هذا الانسحاب من معنويات جنود الفرقة العثمانية الـ (٣٥) الزاحفة نحو الربوة ، لكن هذا الزحف توقف نتيجة نيران صادرة من الربوة .

عندما اتضحت خطورة الهجوم العثماني طلب تاوزند من جميع الجرحى في (ن.ح.) القادرين على السير أن يتوجهوا إلى اللج وحسب استطاعة كل منهم ، فتكون صف طويل من رجال ملفوفين بالضمادات يعرجون ويقفزون باتجاه اللج ، وترك الجرحى العاجزين راقدين في قاع الخنادق .

زحفت الفرقتان العثمانيتان الـ (٣٥) والـ (٣٨) ببطء ، أما الفرقة الـ (٤٥) فقد وصلت عند حلول العتمة إلى مسافة ٦٠٠ ياردة من (ن.ح.) ، إلا أن ساعتين مرّتا قبل فتح النيران الكثيفة على طول خط الهجوم العثماني . لم تكن قوة هوتون المقاتلة تزيد على ١٢٠٠ رجل تعوق حركتهم أجساد الجرحى المطروحين حول أقدامهم . استمرت الفرقة الـ (٤٥) بالهجوم حتى الساعة الثانية صباحاً وانسحبت يخيم عليها شعور بالإحباط تاركة أعداداً قليلة من الرجال على مسافة ٢٠٠ متر من الخنادق البريطانية . ربما كانت هذه الفرقة تنتظر وصول الفرقة الـ (٥١) لتقوم بهجوم كبير لكنها انتظرت عبثاً ، فالفرقة الـ (٥١) أضاعت طريقها وبقت تائهة حتى الساعة (٢,٣٠) صباحاً حيث وجدها مراسل من قائد الفيلق الثامن عشر وأمرها بالعودة إلى الخط الثاني ، لكن المراسل ـ لسوء الحظ ـ لم يبق ليدلها على الطريق ، ولم تصل الفرقة بجنودها المنهكين والحائرين إلى المواقع المعينة لها إلا بعد طلوع الصباح .

كان ضياع الفرقة الـ (٥١) من حسن حظ البريطانيين ، فقد كان هوتون يعاني من نقص ذخيرته لدرجة أن تاوزند اضطر إلى إرسال رتل من العربات إلى اللج لجلب مزيد من الذخيرة ، وقد وصلت الذخيرة بعد عناء شديد في الساعة الثالثة صباحاً إلى (ن.ح.) .

كانت قوة ديلامين المسندة بأفواج النورفولك والـ (١٢٠) من اللواء (١٨) تمسك أربعة ربايا والخنادق الممتدة إلى جنوب (ن.ح.) ، وتعرض منتصف هذا الخط ـ وقد كانت تمسكه قوة أساسية من اللواء (١٦) ـ إلى هجوم عثماني عزوم من قبل قوة من الفرقة الـ (٥١) بقيادة جهاد بك . بدأ الماء المستخدم لأغطية تبريد الأسلحة ينفد لكن الجنود أبقوا الأسلحة تعمل باتباعهم التقليد الحربي العريق وتزويدهم الماء من مصادرهم الطبيعية . لقد قال أحد المدافعين : ـ

« لقد عادوا (يقصد العثمانيين) إلى الهجوم بنار كثيفة نزلت علينا كعاصفة من جبال الهملايا . كان صوت البنادق مسموعاً فوق ضجيج المعركة كصوت آلاف السياط . »

في أحد المواقع شق العثمانيون طريقهم إلى داخل الخنادق البريطانية إلا أن فوج الدورسيت أخرجهم بالقنابل .

لم يقترب الهجوم من الخط البريطاني الممتد جنوب « الربية المائية » ، وتذكر المصادر العثمانية أن الفرقة الـ (٣٨) قد تراجعت بمجرد إطلاق النار عليها ، لكن الأمر كان مختلفا تماماً في (ربوة الفوركا) . كان المدافعون الأربعمائة يصدون هجوماً بعد آخر بصعوبة بالغة . كانت الربوة الآن محاطة تماماً بجنود الفرقة الـ (٣٥) العثمانية وكانت هتافاتهم تشق السماء وهم يهاجمون المرة بعد الأخرى للقضاء على مقاومة الفوركا والبنجاب . لقد كتب محمد أمين ـ أحد أركان حرب نور الدين ـ فيما بعد :ـ

لقد حاولت الـ (٣٥) ولساعات عديدة أن تتغلب على تلك القوة الصغيرة الباسلة الصامدة ، لكنها فشلت في تحقيق هدفها رغم فقدانها الكثير من الرجال في سبيل ذلك .

لقد قابلت في أوائل حزيران ١٩١٦ الكابتن س.هـ ستوك (قائد رشاشة ماكسيم) أحد أفراد تلك القوة الباسلة بعد أسره في كوت العمارة على ظهر السفينة (خليفة) التي كانت تنقله ومئات من رفاقه إلى بغداد . لقد قص علينا ذلك الضابط عند مرورنا بطيسفون ذكريات كثيرة عن القتال الذي دار في تلك الليلة بين قوته والفرقة الـ (٣٥) ، وحسب ادعائه فقد كانت قوته تتكون من ١٠٠ رجل من فوج البنجاب الـ (٢٤) و٣٠٠ رجل من الفوركا وسرية رشاشة (ماكسيم) تحت قيادة ضابط شجاع جريء هو اللفتنانت كولونيل باول ، أي أن المجموع الكلي كان ٤٠٠ رجل وسرية رشاشة . لقد أجبرت نفسي على الاستماع بأدب إلى أسرار تلك الليلة من السير ستوكلي متظاهراً بترفع لم أحسه في الواقع لأنني لم أستطع مغالبة شعور عميق بالاحترام لشهداء تلك القوة المضحية الباسلة من العدو والتي قضت الساعات العديدة وهي لا تزيد عن أربعمائة رجل في صد هجوم الآلاف من جنود الفرقة الـ (٣٥) ونجحت في النهاية بدحرهم إلى خط الدفاع الثاني . »

في الثالثة والنصف صباحاً تسلم نور الدين تقريرا آخر من تلك التقارير التي كانت مصممة ـ على ما يظهر ـ لبعث الكآبة في نفسه . كان التقرير هذه المرة من قائد الفيلق الثامن عشر ، وقد ورد فيه :ـ

« لقد فقدت الفرقة الـ (٥١) طريقها وأصبحت في وضع مكشوف بدون إسناد ، أما الفرقة الـ (٤٥) التي واصلت هجومها حتى غروب الشمس فقد انسحبت تحت جنح الظلام إلى الخط الثاني . لقد فقدت الاتصال بالفيلق الثالث عشر على يميني وبالفرقة الـ (١٥) على يساري . إن قائد الفرقة الـ (٤٥) يعتبر التقدم مستحيلاً بدون تعزيزات جديدة ، وقد أخبرني أن قوة العدو الرئيسية تتمركز في دير بير (ن.ح.) . لقد استشهد جميع أمراء أفواج وسرايا الفرقة وتناقص عدد جنودها ، ويقوم ضباط الصف حالياً بقيادة تشكيلات الفرقة ، وبعبارة أخرى يمكنني القول بأن الفرقة الـ (٤٥) قد انتهت . تحت هذه الظروف لا يوجد أمل في نجاح الهجوم . لقد أمرت الفرقة الـ (٥١) بالانسحاب إلى الخط الثاني ، وأقترح أن نحاول وندافع عن الخط المذكور . »

كان نور الدين قد أصدر أوامره بالانسحاب إلى الخط الثاني قبل استلامه التقرير ، وأمر لواء الخيالة العراقي بتغطية الانسحاب ، كما أمر كوكبه من الخيالة أن تبقى بين التلال الرملية كقوة استطلاع على يسار الفرقة الـ (٥١) .

لم يكن نور الدين يفتقر إلى المواسين . لقد وصف مقر قيادته في تلك الليلة بأنه كان في أعماق اليأس والقنوط . كان يمكن رؤية الإحباط والإنهاك على كل وجه ، فلم يكن هناك أمل في صمود الخط الثاني في مثل هذه الظروف . كان القائد العثماني الذي يجهل حالة عدوه المتدهورة قد قرر أنه لم يبق أمامه سوى أحد طريقتين : الأول أن ينهي حالة الاشتباك مع العدو وينسحب إلى موقع أكثر أماناً كالخط الثالث على ديالي ، أو أن ينتظر في مكانه في حالة استعداد للانسحاب ويأمل أن تتحسن الظروف . نور الدين اختار الطريق الثاني .

ليست هناك معلومات عن الإصابات البريطانية الناتجة عن الهجوم الليلي ، لكن يبدو أنها كانت خفيفة . التقارير الرسمية ليومي (٢٣) و (٢٤) تقول أن (٨٢) قد قتلوا أو جرحوا رغم أن قسماً من هذه الإصابات قد حدث في النهار قبل الهجوم الليلي .

وكان الهدوء سائداً عند طلوع فجر (٢٤) تشرين الثاني ١٩١٥ . كانت حالة الجرحى الراقدين في الخنادق مريعة ، ولم يبق ماء على

الاطلاق للشرب أو غسل الجروح ، أما العربات التي كانت قادمة بالمؤن من اللج فقد أعيدت من حيث أتت بسبب الهجوم العثماني ، وعندما وصل الطعام أخيراً في الساعة الثامنة صباحاً كان قد مر على الجنود ـ الأصحاء والجرحى ـ ثلاث وستون ساعة دون طعام . كان صوت المساحي والكراكات عالياً ذلك الصباح حيث كـان الجنود يحفرون قبوراً ضحلة للموتى .

بعد الظهر بدأ مرة أخرى نقل الجرحى إلى اللج . كانت العربات الخالية من النوابض والمسحوبة بالبغال تنقل الجرحى بمعدل ستة جرحى لكل عربة ـ ثلاثة راقدين وثلاثة جالسين ـ مسافة عشرة أميال إلى النهر . كانت العجلات الحديدية ترسل صدمة بعد أخرى في أجسام الرجال الذين كانوا من المصابين بجراح خطيرة في الرأس أو المعدة أو الأطراف . لم تكن هنـاك حشيات أو أفـرشة تخفف عنهم اهتـزازات العربـات . كانت العـربـة تهـتز وتقفـز فـوق الأرض المتكسرة ، وكان عبور السواقي ـ التي لا تبعد الواحدة عن الأخرى أكـثر من مئات اليـاردات ـ يتم بسرعـة ، ونتيجة لـذلك كـانت الأرضية الحديدية للعربة تـرتفع لتصـدم رؤوس الجرحى بشـدة ، وأصبحت البغال ـ الخيول في بعض الأحيان ـ الساحبة للعربات في حالة رعب بسبب صراخ الرجال ورائحة الدماء مما جعلها غالباً تجري محاولة الهرب . لم يستطع بعض الجرحى تحمل هذا العذاب ورمـوا أنفسهم من العربات . على طول الطريق كان الجـرحى بلفافاتـهم الملطخة بالدماء يترنحون ويزحفون ويضيقون من الازدحام الخانق .

بعد ظهر الخامس والعشرين من تشرين الثاني أبرق تاوزند الى نكسون : ـ

« لقد صمد جنودنا رغم إرهاقهم صموداً رائعاً وصدوا هجمات العدو المتتالية طوال عصر أمس والليلة الماضية رغم زيادة جنود العدو نتيجة للنجدات التي وصلته . لقد تراجع العثمانيون الآن إلى الخط الثاني ، وقمت بتركيز قواتي على ضفة النهر حيث سينضم الى هوقون بعد إكمال عملية إخلاء الجرحى ، وبعدها سأنسحب الى اللج حيث أرابط بجـانب سفني وأنتظر تـطور الأحـداث . إن المـنطق العسكري السليم يشير إلى ضرورة الانسحاب ، فخوضي معركة أخرى بألويتي التي تناقصت أعدادها الى ٩٠٠ رجل و ٧٠٠ رجل و ١٠٠٠ رجـل على التـوالي [أرقام تـاوزنـد لا تتنـاسب والأرقـام الأخرى] يعني الكارثة . إن لدي أسرى عثمانيـين كانـوا يقاتلون الروس في القفقاس وهم ينتمون إلى الفرقتين الجديدتين اللتين أتتا من الشمال نجدة للعدو . إنني أشعر بأسى وحزن عميق لاتخاذي قرار الانسحاب لكني لا أستطيع طلب المستحيل من رجالي . لقد أنهكت محاولة طرد أربعة فرق من مواقع محصنة قوى ضباطي وجنودي الذين أدوا واجبهم ببسالة » .

لم يكن أمام نكسون خيـار غير المـوافقة ، وبـدأ البريـطانيون انسحابهم ، لكن العجيب أن العثمانيين بدأوا بالانسحاب كذلك .

في مقر قيادة نور الدين دخل قائد إحدى جماعات العشائر التي كانت تفتش جنوب المـنطقة بحثـاً عن الأسلاب ، وأخبر القائد العثماني العام بأن القوة البريطانية قد انسحبت مهزومة إلى اللج . نور الدين لم يصدق ما سمعه . قبل قليل كان يفكر في الانسحاب بجيش مهزوم وفي المحاكمة العسكرية التي سوف تتبع ذلك حتماً ، والآن يريده هذا الشقي أن يصدق أنه قد ربح المعركة . نور الدين اقتنع بأن المسألة كانت مؤامرة بريطانية ، فالعدو يريده أن يبقى في مكانه ليوجه إليه الضربة القاضية ، وهكذا اتهم نور الدين الأعرابي بـالكذب والتجسس عليه وأمر بـالقبض عليه لينتـظر التعذيب والشنق في الوقت المناسب ؛ إلا أن تقارير أخرى بدأت بالوصـول وكلها تؤيد كلام الأعرابي . بدأت آمال نور الدين تنتعش ، فأطلق سراح الأعرابي المستاء جداً وقدمت له الاعتذارات والوعود بالمكافأة المالية ، وبعد لحظات أعيد القبض عليه ، فقد وصل رسول من قائد المجموعة التي تركها لواء الخيالـة العراقي في المؤخـرة بخبر تقـدم الأفـواج وبطاريـات المدافـع البريـطانية التي كـانت تحمي الخط العثماني الأول المستولى عليه ، وان هدف التقدم هو محاولة تطويق العثمانيين من الشمال . لا شك في أن ما رآه الضابط العثماني هو لواء خيالة ميليز الذي تحرك ليغطي الانسحاب البـريطاني ، لكن الرسالة اقنعت نور الدين بأن تقديره الأول للموقف كان صحيحاً وأن البريطانيين ـ بعد إرسال الأعرابي الجاسوس ـ يحاولون الآن قـطع خط انسحابه ، فأصدر أمره بالانسحاب الفوري إلى ديالي ، وأرسل لواء الخيالة العراقي في محاولة لإيقاف التقدم البريطاني . بدأ الجيش العثماني بالانسحاب المنظم الذي تحول تدريجياً إلى فوضى نتيجة الفزع الذي ساد الجنود .

القدر تدخل مرة أخرى . لقد رفعت مجموعة من الخيالة العثمانية لم تعلم بأمر الانسحاب تقريراً دورياً بانسحاب البريطانيين من (ن.ج.) وأن الخنادق العثمانية القديمة خالية إلا من العدد الكبير من أفراد العشائر الذين يبحثون عن ما يمكن تحصيله من التجهيزات التي تركها البريطانيون المنسحبون . نور الدين أرسل ـ وهو لا يزال محتفظاً بحذره ـ مجموعة استكشافية للتأكد من هذا التقرير ، وبعدها أصدر الأمر بعودة الجيش إلى الخط الثاني ، كما أمر بإعدام الضابط الذي أخبره بالتقدم البريطاني .

شاهدت طائرة استطلاع بريطانية جيش نور الدين وهو يعود إلى مواقعه السابقة ، وأرسلت تقريراً إلى تاوزند بتقدم رتلين عثمانيين كبيرين يقدران بثلاث فرق من جهة ديالى ، وإن أحد الرتلين يتقدم بمحاذاة الضفة اليسرى بينما يبتعد الرتل الثاني عن النهر متجهاً إلى اليابسة . كانت حركة الرتل الثاني ناتجة عن فقدان الفرقة الـ (٥١) طريقها مرة أخرى ، وليست عن أمر أصدره نور الدين .

في أثناء ذلك كان نكسون قد وصل العزيزية بعد رحلته النهرية على ظهر السفينة « ميليمار » وبدأ يعيد تفكيره بالأمر ، فأرسل برقية إلى تاوزند يطلب منه البقاء في طيسفون إلى أن تصله برقية مفصلة بالشفرة ؛ وقد وصلت البرقية الثانية بعد الأولى بوقت قصير ، وكانت كما يلي :ـ

« لا أؤيد انسحابك إلى اللج للأسباب العسكرية التالية : إن العدو لم يدرك وضعك في الوقت الحاضر ، وهو خائف من هجومك عليه ، وموقفك الحازم سيزيد من خوفه ، لكن انسحابك سينبهه إلى خطئه وسيستعيد ثقته ويعود إلى مواقعه في طيسفون وقد يقوم بمهاجمتك وتحريض العرب علينا في كل مكان . إن تحصين موقع في اللج ضروري لتأمين انسحابك إليه عند الحاجة وليكون غطاءً لقاعدتك المتقدمة ، إلا أن الأسباب العسكرية التي ذكرتها تدفعني إلى اعتبار الانسحاب غير مرغوب به في الوقت الحاضر . لا يوجد من يقدر التضحيات التي قدمها جنودك البواسل أكثر مني ، إلا أنه من الضروري إبقاء روحهم المعنوية عالية . في الطريق إليك سرب من (الوست كينت) و (الهوسار ١٤) وسيصل خلال الأسبوع لواء قوي من البصرة . مهمتنا الآن كسب الوقت . هناك جنود في اللج ينتمون لأفاجك وبوسعك نقلهم إلى طيسفون . الفؤوس والكراكات يمكن تعويضها . تذكر أن القوة المعنوية تعادل خمسة أضعاف القوة الجسدية » .

لكن في الوقت الذي وصلت فيه برقيات نكسون كانت قوة تاوزند قد وصلت اللج . كان تاوزند مقتنعاً بضرورة انسحابه الى اللج ، ولم تغير البرقيتان ولا وعود التعزيزات والكراكات والمساحي ولا كلام قائده العام عن النواحي النفسية من هذا الاقتناع ؛ فأبرق مجيباً نكسون :ـ

« لقد استلمت برقيتك هذا الصباح عند وصولي الى اللج مع الجيش . إنني اتمسك ببرقيتي المؤرخة ٢٥ تشرين الثاني ، وأعتبر أن بقائي في المدائن لحظة واحدة أكثر مما فعلت كان سيعتبر جنوناً بعد خسارتي ٤٣٠٠ رجل ـ مجموع الخسائر ـ وتناقص عدد كل لواء إلى ما يساوي فوج بريطاني كامل . في الساعة الرابعة عصر أمس شاهد طيراننا رتلين عثمانيين كبيرين ـ يقدر الواحد منها بـ ٥٠٠٠ جندي ـ يتقدمان من الخنادق الدفاعية الواقعة على ديالى شمال كصيبة ، وفي الساعة الخامسة مساءً ظهر أحدهما يتحرك بمحاذاة النهر والآخر يتحرك من النهر باتجاه اليابسة ، كما كان لواء خيالة عثماني يهدد بستان . ليس هناك شك في عدم قدرتي على الاشتباك مع هذه القوة في حالتي الحاضرة ، لذا انتظرت الظلام وانسحبت تحت جنحه إلى اللج حيث أقوم الآن بتحصين مواضعي والاستقرار فيها . إن البقاء في المدائن هو جنون من وجهة النظر العسكرية . إنني أذكر موافقتك السابقة على انسحابي إلى اللج ، وإني أهنئ نفسي على أساليب المناورة الجيدة التي استطعت بها إنقاذ قواتي في أصعب ظروف يمكن تخيلها . لو كنت قد هوجمت خلال عملية الانسحاب لحاصرني أحد الرتلين وقام الرتل الآخر بقطع إمداداتي ومهاجمتي ، ولا بد أنك تعرف نتيجة ذلك . أنا أعرف جيداً . هنا أبقى وأحصن الضفة اليمنى . إن الطيران يقول بأن العدو قد أعاد احتلال الخط الثاني في المدائن، ويواصل التقدم ، لكني لا أعتقد أن العدو سيخرج الى الأرض المكشوفة أو يحاول الهجوم دون خنادقه المحبوبة . أرجو أن توافق على ما قمت به ، فلا شيء يمكن تغيير رأيي بأن ما قمت به هو الأفضل » .

وهكذا انتهت معركة سلمان باك . كانت معركة غير ضرورية ، وعندما انتهت لم يعرف أحد من هو الذي انتصر . كان يمكن لبعض التقارير الكاذبة أو الصحيحة في المراحل الأخيرة أن تغير النتيجة . مهما يكن الأمر فقد ظهرت حقيقة واضحة لا تقبل النقاش وهي أنه رغم كون التطورات العسكرية من القرن العشرين فإن الوسائل الطبية لم تكن كذلك . لقد أصبح إخلاء الجرحى من اللج مشكلة . إن تقدير نكسون (٤٠٠ جريح) لم يكن شيئاً أمام العدد الحقيقي من الجرحى الذي لم تستطع السفينتان البخاريتان (بلوحس لينج) و (الموصل) استيعابه رغم عدم إعدادها كسفن مستشفيات . فيما بعد قال نكسون أمام لجنة (ما بين النهرين) التي تشكلت نتيجة الاستياء الشعبي للبحث في معاناة الجنود أثناء حرب العراق :ـ

« لم يكن أمامنا خيار سوى نقل الجنود جنوباً مهما كانت معاناتهم ، أو تركهم معرضين للموت والتعذيب من قبل أفراد العشائر قبل أن يستطيع الجنود العثمانيون النظاميون حمايتهم » .

في صباح ٢٨ تشرين الثاني غادر الجرحى اللج على ظهر السفن والسفن البخارية . كانوا متراصين على ظهر السفن لا يغطيهم سوى قماش خيمة في بعض الحالات وبدون غطاء في حالات أخرى . زاد المطر الكثيف من آلامهم وبلل ملابسهم وبطانياتهم ، ولم تكن هناك أية وسيلة لتجفيفها . في ١٧ كانون الأول وبعد ثلاثة وعشرين يوماً من المعركة وصل الجرحى الى البصرة . كانت الريح التي تهب من اتجاه السفن التي تنتظر في وسط النهر تفريغ الجرحى منها تحمل رائحة كريهة ناتجة عن ازدحام الجرحى على سطوح السفن في برك من القذارة . عند نقلهم الى سفينة المستشفى فاريلا أو الى مستشفيات البصرة كان العديد من الجرحى يحتضرون والكثير منهم قد ماتوا فعلاً . إن العديد من المحتضرين والموتى كانوا مصابين بجروح خفيفة نسبياً ، لكن أسلوب النقل على السفن قد أدى الى تدهور حالتهم الصحية وموتهم في حالات عديدة . رغم هذا أرسل نكسون برقية إلى الهند يقول فيها :ـ

« الحالة العامة للجرحى مرضية . الترتيبات الطبية أدت عملها بامتياز في ظروف صعبة للغاية » . كانت خسائر العثمانيين كبيرة أيضاً ، فقد قالت المصادر العثمانية الرسمية ان عدد الخسائر في سلمان باك كان (٩٥٠٠) بين قتيل وجريح ، لكن هيئة أركان نور الدين ذكرت بأن هذا العدد يشمل أيضاً الأسرى الذين وقعوا في أيدي البريطانيين والهاربين من الجيش (وقد كان هناك كثير منهم) . الفرقة الـ (٥١) خسرت ١٢٪ من قوتها ، والفرقة الـ (٣٥) ٢٥٪ ، والفرقة الـ (٤٥) ٦٥٪ من قوتها . لم يأسر العثمانيون سوى ستة أو سبعة جنود بريطانيين .

مصادر المؤلف

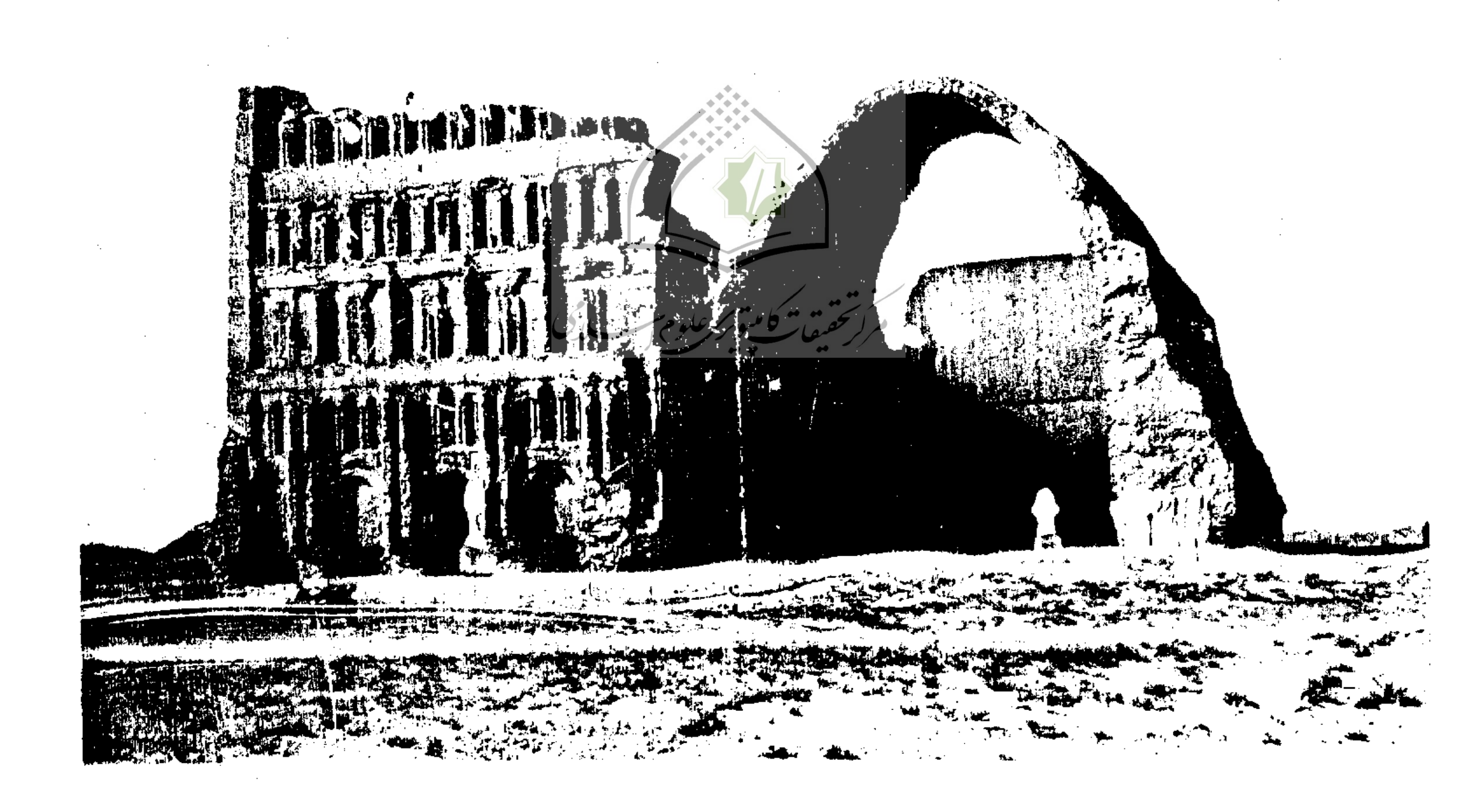
حربي في العراق ـ الجنرال ج. ف. تاوزند .

التاريخ الرسمي البريطاني للحرب العالمية الأولى .

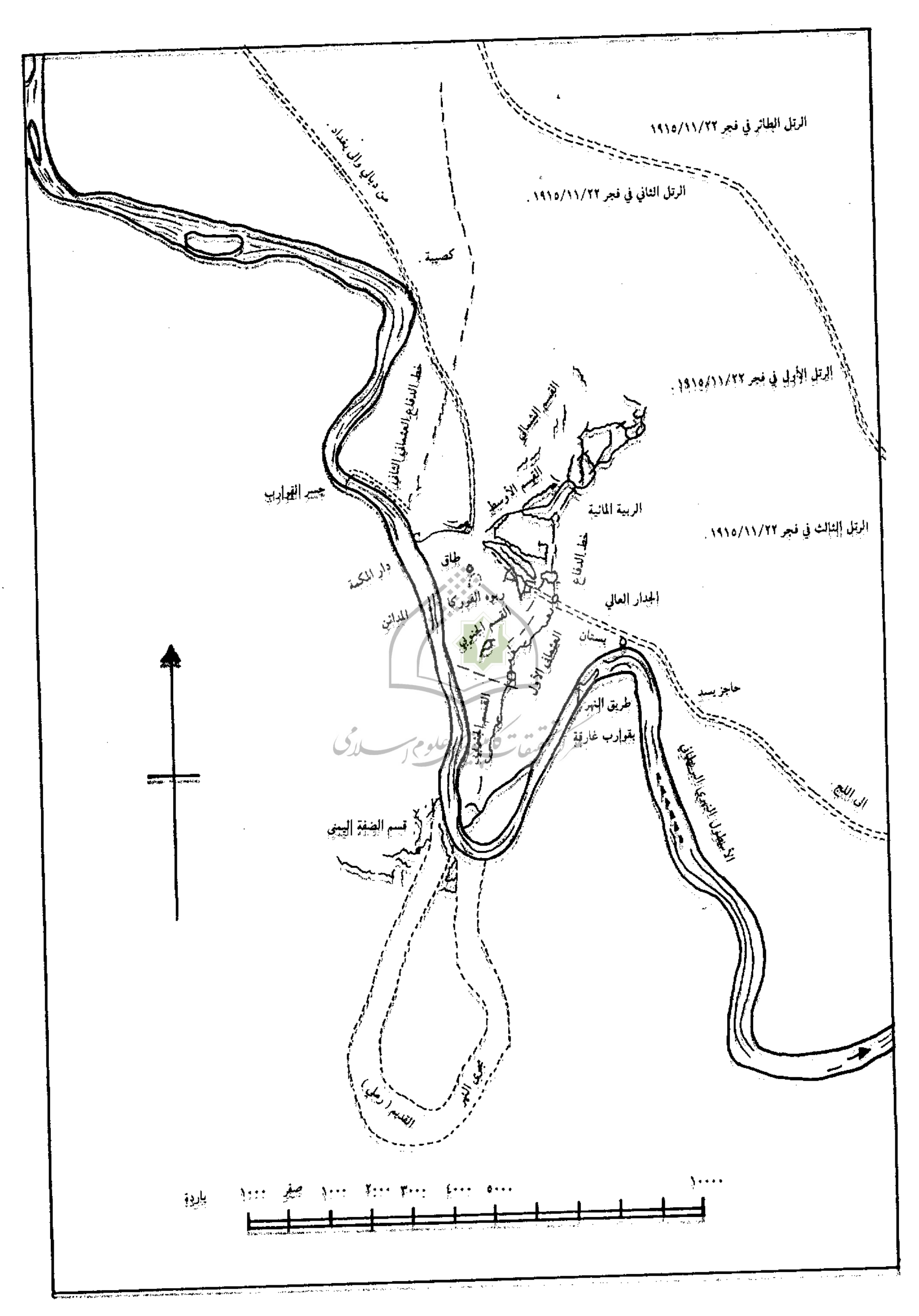
دليـل الجيش العثماني (أصـدرته وزارة الـدفاع البـريطانيـة ١٩١٥) .

حرب العراق ـ القائد م. مقبل بك (نشر في تركيا ١٩٣٣) .

الحرب المنسية (حرب العراق ١٩١٤ ـ ١٩١٨) ـ أ. ج. باركر .



طاق المدائن ـ حيث دارت المعركة في الأيام ٢٢ ـ ١٩١٥/١١/٢٥
والتي أدت الى انسحاب البريطانيين الى الكوت .



معركة طاق المدائن





الأستاذ الدكتور محمد عدنان البخيت

الأمين العام المساعد لاتحاد المؤرخين العرب .

السيرة العلمية والعملية

الاســـــم : محمد عدنان سلامة البخيت .

مكان الولادة وتاريخها : ماحص / محافظة البلقاء ، ١٩٤١/١/١٥ .

الجنسيــــــــة : أردني .

الحالة الاجتماعية : متزوج .

أولاً : المؤهلات العلمية :

١ ـ درجة البكالوريوس في الآداب (تاريخ) الجامعة الأمريكية ببيروت ، ١٩٦٣ .

٢ ـ دبلوم تربية ، الجامعة الأمريكية ببيروت ، ؟,اظ .

٣ ـ درجة الماجستير في التاريخ الاسلامي ، الجامعة الأمريكية ببيروت ، د,اظ .

٤ ـ درجة الدكتوراه في التاريخ الاسلامي من مدرسة الدراسات الشرقية والأفريقية ، جامعة لندن ، ١٩٧٢ .

ثانياً : اللغـــــات :

العربية ، الانكليزية ، التركية .

ثالثاً : الخبرات الأكاديمية :

١ ـ مساعد باحث بالجامعة الأمريكية ببيروت ، ١٩٦٣ ـ ١٩٦٦ .

٢ ـ معيد بقسم التاريخ / كلية الآداب ، الجامعة الأردنية ، ١٩٦٦ ـ ١٩٦٧ .

٣ ـ مدرس بقسم التاريخ والآثار / كلية الآداب ، الجامعة الأردنية ، ١٩٧٢ ـ ١٩٧٨ .

٤ ـ باحث زائر في جامعة برنستون ، الولايات المتحدة الأمريكية ، للفصل الدراسي الثاني للعام الجامعي ١٩٧٧ / ١٩٧٨ .

٥ ـ أستاذ مساعد بقسم التاريخ / كلية الآداب ، الجامعة الأردنية ، ١٩٧٨ ـ ١٩٨٣ .

٦ ـ استاذ في قسم التاريخ / كلية الآداب ، الجامعة الأردنية ، ايلول ١٩٨٣ .

رابعاً : مسؤوليات أكاديمية (داخل الجامعة الأردنية) :

١) أمين سر مركز الوثائق والمخطوطات ، ١٩٧٤ ـ ١٩٨١ .

٢) مدير مركز الوثائق والمخطوطات ، ١٩٨١ ـ الآن :

ـ خلال تلك المدة تمّ سفري رسمياً الى كل من الأماكن والمكتبات التالية واستطعت تصوير الآلاف من الوثائق والمخطوطات والسجلات التي ظهرت في فهارس خاصة بذلك ، تم نشر البعض منها ولا يزال العمل جارياً لنشر الفهارس الباقية :

الولايات المتحدة الأمريكية : من مكتبات :

برنستون ، ميتشيغان ، هارفارد ، ييل ، كولومبيا ، شيكاغو ، المكتبة الطبية الأمريكية ـ واشنطن ، مكتبة ييل الطبية ، مكتبة نيويورك ، مكتبة نيو بيري ـ شيكاغو ، متحف ديترويت .

كندا : جامعة ميغيل .

هولندا : ليدن .

المانيا : جامعة توبنجن ، جامعة هايبورغ .

المملكة المتحدة :

مكتبة بودليان ـ أكسفورد ، المتحف البريطاني .

ايرلندا : مكتبة تشستر بيتي .

الجمهورية التركية :

مكتبات : شهير علي ، فاتح ، داماد ابراهيم ، أسعد أفندي ، أحمدية ، نور عثمانية ، بشير بويو ، عاطف أفندي ، بغدادلي وهبي ، كوبرللو ، لاللي ، السليمانية .

الكويت : معهد المخطوطات العربية .

الجمهورية العربية السورية .

المكتبة الأحمدية ـ حلب ، مركز الوثائق التاريخية ـ دمشق ، المكتبة الظاهرية .

الجمهورية العراقية : المجمع العلمي العراقي .

جمهورية مصر العربية ؛

معهد احياء المخطوطات العربية ، ودار الكتب المصرية .

المملكة المغربية :الخزانة العامة ـ الرباط .

ايـران : مكتبة جامعة طهران .

الهنـد : مكتبة بتنا .

فرنسـا : من المكتبات الفرنسية .

أسبانيـا : من المكتبات الأسبانية .

وضعت وأشرفت على مشروع لتصوير المخطوطات العربية في المدن والقرى الفلسطينية .

ـ تم تصوير سجلات المحاكم الشرعية من كافة المدن الفلسطينية .

تم تصوير قيود الأوقاف من المدن الفلسطينية .

ـ تم تصوير سجلات المحاكم الشرعية وقيود الأوقاف في الضفة الشرقية من الأردن .

ـ أصدرت الجزء الأول من كشاف احصائي زمني لسجلات المحاكم الشرعية ألأوقاف الاسلامية في بلاد الشام ، والعمل لا يزال جارياً لاصدار بقية الأجزاء من هذا الكشاف .

٣) :

أ ـ عضو اللجنة التحضيرية لمؤتمر بلاد الشام ، ١٩٧٤ .

ب ـ أمين سر اللجنة التحضيرية والمشرف على الاعداد لمؤتمر بلاد الشام الثالث (فلسطين) ، ١٩٨٠ .

جـ ـ مقرر لجنة متابعة عقد مؤتمرات وندوات تاريخ بلاد الشام ١٩٨٠ ـ الآن ، منبثقة عن لجنة بلاد الشام .

ك د ـ مقرر لجنة نشر محاضر الندوة الثانية للمؤتمر الدولي الرابع لتاريخ بلاد الشام الذي عقد ما بين ٢١ ـ ٢٦ آذار ١٩٨٥م . في الجامعة الأردنية .

٤) عضو مجلس كلية الآداب ، ممثلًا لقسم التاريخ ، ١٩٨٢ ـ ١٩٨٣ .

٥) عضو في اللجنة المشكلة من قبل رئيس الجامعة الأردنية لدراسة مشروع انشاء مركز الدراسات الاستراتيجية في الجامعة الأردنية .

٦) عضو مجلس مركز الدراسات الاستراتيجية بالجامعة الأردنية من ١٩٨٢/١١/٢٢ ـ الآن .

٧) عميد البحث العلمي في الجامعة الأردنية من تاريخ ١٩٨٤/٢/٧ ـ الآن .

٨) مدير مركز الدراسات الاستراتيجية بالوكالة في الجامعة الأردنية من تاريخ ١٩٨٥/٦/٢٦ ـ الآن .

٩) رئيس تحرير مجلة دراسات (علمية محكمة) التي تصدر عن الجامعة الأردنية / عمان ـ الأردن من ١٩٨٤/٢/٧ ـ الآن .

١٠) المسؤول الاداري عن مكتبة الجامعة الأردنية من ١٩٨٤/٢/٧ ـ الآن .

١١) رئيس لجنة البحث العلمي في الجامعة الأردنية من ١٩٨٤/٢/٧ ـ الآن .

١٢) رئيس لجنة ترجمة الفكر العلمي العالمي في الجامعة الأردنية من تموز ١٩٨٥ ـ الآن .

١٣) عضو لجنة عقد المؤتمرات والندوات في الجامعة الأردنية .

١٤) عضو لجنة اليوبيل الفضي للجامعة الأردنية .

١٥) عضو مجلس مركز البحوث والدراسات العثمانية بالجامعة الأردنية من تاريخ ١٩٨٤/٣/١٨ .

١٦) عضو مجلس مركز الاستشارات والخدمات الفنية والدراسات اعتباراً من ١٩٨٤/٤/٢٢ .

١٧) عضو في مجلس الدراسات العليا بالجامعة الأردنية لمدة سنة بدءاً من ١٩٨٤/٩/١٦ .

١٨) عضو في « لجنة الجامعة والمجتمع » في الجامعة الأردنية من ١٩٨٤/١٠/١٠ .

١٩) عضو لجنة « التقويم والتطوير للجامعة » في الجامعة الأردنية من ١٩٨٤/١٠/١٠ .

٢٠) عضو مجلس البحث العلمي في جامعة اليرموك اعتباراً من ١٩٨٥/١١/١٣ .

خامساً : الأبحاث العلمية المنشورة :

١ ـ « الأسرة الحارثية في مرج بني عامر ٨٨٥هـ / ١٤٤٠م ـ ١٠٨٨هـ / ١٦٧٧م » . بحث القي في ندوة تاريخ العرب الحديث التي عقدت بجامعة عين شمس في أيار ١٩٧٧ ، وسيصدر في كتاب .

٢ ـ « دراسة رسالة من السلطان العثماني بايزيد الثاني الى عبد المؤمن بن ابراهيم الحفصي سنة ٨٩٦هـ / ١٤٩١م) ، صدرت في مجلة الدراسات التاريخية المغربية ، تونس ، العدد رقم (١٠) ، يناير ١٩٧٨ .

٣ ـ « أحداث بلاد طرابلس الشام سنة ١٠١٥هـ / ١٠١٦هـ ـ ١٦٠٦م / ١٦٠٧م) ، دراسة مستقاة من نص لمصطفى بن جمال الدين بن كرامة ، ونص للشيخ الحسين بن محمد البورياي ، « مجلة مجمع اللغة العربية الأردني » ، العدد الأول ، كانون الثاني ١٩٧٨ .

٤ ـ

"Aleppo and the Ottoman Military in the 16th Century (two case studies)".

Al-Adhath Journal Published by the American University of Beirut, Lebanon, Vol. XXVII, 1978,1975.

٥ ـ من تاريخ حيفا العثمانية ـ دراسة في أحوال عمران الساحل الشامي » مجلة مجمع اللغة العربية الأردني ، العدد الثاني ، ١٩٧٩ .

٦ ـ « جوانب من تاريخ بيروت في العهدين المملوكي والعثماني » ، دراسات عربية واسلامية مهداة الى احسان عباس ، تحرير وداد القاضي ، بيروت ١٩٨١ .

٧ ـ « المنازل المحاسنية في المرحلة الطرابلسية ، تأليف يحيى بن أبي الصفا المحاسني » ، دراسة وتحقيق ، دار الآفاق ، بيروت ، ١٩٨١ .

٨ ـ The Ottoman Province of Damascus in the 16th Century. Beirut, 1982.

٩ ـ The Christian Population of the Province of Damascus in the SixteeNth Century".

نشر في كتاب :

Christian and Jews in the Ottoman Empire. 2 Vols.

Edited by Benjamin Braude and Bernard Lewis, Holms and Meir Publishers, N.Y. 1982.

١٠ ـ « الأمير حسين بن الأمير فخر الدين المعني ـ حياته وآثاره » ، مجلة دراسات تاريخية ، جامعة دمشق ، العددان ٩ ـ ١٠ ، تشرين الأول ١٩٨٢ .

١١ ـ "Sidon in the Mamluk and Early Ottoman Times".

مجلة الأبحاث ، الجامعة الأمريكية ببيروت ، ١٩٨٣ .

١٢ ـ « دور أسرة آل الحنش والمهام التي أوكلت اليها في ريف دمشق ٧٩٠هـ / ١٣٨٨م ـ ٩٧٦هـ / ١٥٦٨م » ، مجلة دراسات تاريخية ، العددان الثالث عشر والرابع عشر ، جامعة دمشق ، تشرين أول ١٩٨٣ ، نشرت باللغة الانكليزية .

١٣ ـ « معان وجوارها ـ استعراض تاريخي » ، مجلة دراسات تاريخية ، جامعة دمشق ، ١٩٨٣ .

١٤ ـ فهارس المخطوطات المصورة بمركز الوثائق والمخطوطات ، المجلدان الخامس والسادس بالمشاركة مع السيد نوفان رجا الحمود ، مطبعة الجامعة الأردنية ، ١٩٨٣ .

١٥ ـ مقالة : "Ladjdjun" نشرت في الموسوعة الاسلامية ، الطبعة الثانية ١٩٨٠م .

١٦ ـ الكشاف الاحصائي الزمني لسجلات المحاكم الشرعية في بلاد الشام ، مطبعة الجامعة الأردنية ، ١٩٨٤ .

١٧ ـ فهرس المخطوطات العربية المصورة ، الجزء الأول بالمشاركة مع السيد نوفان رجا الحمود ، مطبعة الجامعة الأردنية ، ١٩٨٥ .

سادساً : المؤتمرات والندوات العلمية التي شاركت بها مع بيان الأبحاث التي قدمتها :

١ ـ « حلقة حماية المخطوطات » ، عقدت في بغداد ما بين ٨ ـ ١٩٧٥/١١/١٧ ، ممثلاً عن الجامعة الأردنية (تقديم تقرير عن مركز الوثائق والمخطوطات في الجامعة الأردنية) .

٢ ـ مؤتمر وزراء الثقافة العرب (ضمن الوفد الأردني) ، عقد في عمان في كانون أول ١٩٧٦م ، بدعوة من المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم .

٣ ـ ندوة وثائق تاريخ العرب الحديث ، عقدتها جامعة عين شمس ما بين ٧ ـ ١٢ مايو ١٩٧٧م .

قدمت بحثاً بعنوان « الأسرة الحارثية في مرج بني عامر » ، نشر في مجلة « الأبحاث » ـ الجامعة الأمريكية ببيروت ، مجلد ٢٨ ، ١٩٨٠ ، ص ٥٥ ـ ٧٩ .

٤ ـ ندوة دراسات البحر الأبيض المتوسط والعالم العربي ، عقدت في رودس ما بين ٣ ـ ١٩٧٧/١٠/٦م .

٥ ـ المؤتمر الأول لتاريخ تركيا الاجتماعي الاقتصادي ، عقد بدعوة من جامعة حاجي تبه بتركيا ما بين ١١ ـ ١٩٧٧/٧/١٤م ، قدمت بحثاً بعنوان :

"Aleppo and the Ottoman Military in the 16th Century".

مجلة الأبحاث الأمريكية ببيروت ، مجلد ٢٧ ، سنة ١٩٧٨ ، ص ٢٨ ـ ٣٨ .

٦ ـ ندوة عقدها معهد (Aspen) أسبن للدراسات الانسانية في الولايات المتحدة حول الاسلام والمستقبل ، ما بين ٦ ـ ١٩٧٨/٧/٢٣م .

٧ ـ ندوة عقدها مركز دراسات البحر الأبيض المتوسط والشرق الأوسط في أثينا حول :

"The Theory of Man in Islam and Orthodox Christianity".

عقدت في رودس عام ١٩٧٨م .

٨ ـ المؤتمر الدولي الثاني لتاريخ بلاد الشام (الجامعتين الأردنية ودمشق) ، ما بين ٢٧ تشرين الثاني ـ ٣ كانون أول ١٩٧٨م) ، في جامعة دمشق . ساهمت في هذا المؤتمر ببحث « حيفا في العهد العثماني الأول ـ دراسة في أحوال الساحل الشامي » ، مجلة مجمع اللغة العربية الأردني ، العدد ٢ ، سنة ١٩٧٩م .

٩ ـ ندوة : « The Arab World in Transition » عقدت بعمان بالتعاون بين الأردن ومعهد (Aspen) آسبن للدراسات الانسانية ، ما بين ١١ ـ ١٥ نيسان ١٩٧٩ م .

١٠ ـ مؤتمر « العلاقات العربية التركية ، قديما ـ حديثا ـ ومستقبلا » ، عقد في جامعة حاجي تبه بأنقرة ما بين ١٨ ـ ١٩٧٩/٦/٢٢ م . اشتركت ببحث عنوانه : « العلاقات العربية التركية ـ اعادة نظر » .

١١ ـ الندوة العالمية الأولى بمناسبة ذكرى الاسراء والمعراج التي عقدت بعمان تحت عنوان « الاسلام والتحديات المعاصرة » ، ما بين ٢٢ ـ ١٩٧٩/٦/٢٥ م .

١٢ ـ ندوة عقدها مركز دراسات البحر الأبيض المتوسط والشرق الأوسط ، حول : « Arab Thinking in Perspective » عقدت في رودس ما بين ٢ ـ ١٩٧٩/٩/٩ م . اشتركت ببحث عنوانه : « Arab Thinking Perspective » .

١٣ ـ الندوة التي عقدت بمناسبة الاحتفال بالأسبوع الوطني للوثائق والمحفوظات . عقدتها مديرية المكتبات والوثائق الوطنية التابعة لوزارة الثقافة والشباب بعمان ما بين ١١ ـ ١٩٧٩/١٢/١٢ .

١٤ ـ مهرجان ذكرى جامع الزيتونة (أقدم جامعة إسلامية) عقدته كلية الزيتونة للشريعة وأصول الدين في تونس ما بين ١٥ ـ ١٩٧٩/١٢/٢٢ .

١٥ ـ « أسبوع الشيخ محمد عبدالوهاب » ، عقدته جامعة الامام محمد بن سعود في الرياض في ١٩٨٠/٣/٨ م . البحث المقدم : « رؤية الشيخ محمد بن عبدالوهاب لمشاكل العالم الاسلامي » .

١٦ ـ المؤتمر الدولي الأول لتاريخ الأردن وآثاره ، عقد في جامعة اكسفورد ، ما بين ٢٥ ـ ٣١ آذار ١٩٨٠ م . الجهة الداعية دائرة الآثار العامة ـ عمان .

البحث المقدم : « Jordan in Perspective-The Mamluk-ottoman Period » .

١٧ ـ المؤتمر الاقليمي العربي الرابع للمجلس الدولي للوثائق ، ضمن الوفد الأردني ، عقد المؤتمر بعمان ما بين ٥/٣١ ـ ١٩٨٠/٦/٣ .

١٨ ـ ندوة حول تاريخ تركيا الاقتصادي والاجتماعي عقدت في ستراسبورغ ما بين ١ ـ ١٩٨٠/٧/٥ بدعوة من اللجنة الدولية للدراسات العثمانية .

قدمت بحثا عنوانه : « صيدا في القرن السادس عشر »

١٩ ـ ندوة عقدها مركز البحر المتوسط للدراسات العربية والاسلامية حول : « Islam and the Superpowers » عقدت في أثينا ما بين ١٤ ـ ١٩٨٠/٩/٢٠ م . شاركت ببحث عنوانه : « The Role of Islam in the Future of the World Community » .

٢٠ ـ ندوة عقدت في جامعة جورج تاون ـ واشنطن ما بين ١٩ ـ ١٩٨١/١/٢٢ م ، بالاشتراك مع جمعية الشؤون الدولية بعمان ، موضوعها : « American policy and Middle East Trends and possibilities » .

٢١ ـ المؤتمر الثاني للمكتبيين الأردنيين عقد بعمان بدعوة من جمعية المكتبات الأردنية ما بين ١ ـ ١٩٨١/٤/٧ م .

٢٢ ـ الندوة الثانية لمناسبة ذكرى الاسراء والمعراج وكانت تحت عنوان : « الفكر الاسلامي والمجتمع الأردني » ، وذلك في حزيران ١٩٨١ م .

٢٣ ـ مؤتمر الدراسات العثمانية عقدته جامعة مدريد المستقلة ما بين ٦/٣٠ ـ ١٩٨١/٧/٤ م بمدريد .

البحث : « Tripoli — A Case Study » .

٢٤ ـ ندوة عقدها مركز البحر المتوسط للدراسات العربية والاسلامية ، في رودس ، حول : « The Middle East in the 1980's » ما بين ٣١ آب ـ ٥ أيلول ١٩٨٢ م .

٢٥ ـ ندوة « الأقليات في الشرق العربي » ، بدعوة من المركز الأردني للدراسات والمعلومات في الجمعية العلمية الملكية ، ١٢ أيلول ١٩٨١ م .

٢٦ ـ « الندوة السادسة للمراكز والهيئات العلمية » عقدت في

الدوحة ما بين ٢٤ ـ ١٩٨٢/٤/٢٩ م . بدعوة من مركز الوثائق والأبحاث في دولة قطر .

٢٧ ـ الندوة الثالثة للفكر الاسلامي والمجتمع الأردني ، شاركت بها وألقيت كلمة حول ذكرى الاسراء والمعراج ، بعنوان : « هذه الأمة الاسلامية الى أين » ، وذلك في المركز الثقافي الاسلامي بالجامعة الأردنية في حزيران ١٩٨٢ م .

٢٨ ـ اجتماع لجنة التخطيط الشامل للثقافة العربية في الكويت ، الاشتراك في لجنة المخطوطات العربية والوثائق المنبثقة من اللجنة المذكورة ، عقد الاجتماع ما بين ٢٣ ـ ١٩٨٢/١٠/٢٤ م في الكويت ، لجنة التخطيط تابعة للمنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم ـ جامعة الدول العربية .

٢٩ ـ ندوة الشباب الأردني . عقدت في مدينة السلط ـ الأردن ـ تحت رعاية سمو الأمير حسن وذلك ما بين ١٩٨٢/١١/٥ واشتركت بورقة حول « السوية الثقافية والتربوية للشباب » .

٣٠ ـ مؤتمر في الجامعة الأمريكية ببيروت حول موضوع : « Land Tenure and Social Transformation in the Near East »
ما بين ١٤ ـ ١٨ شباط ١٩٨٣ م . اشتركت ببحث عنوانه : « دور أسرة آل الحنش في البقاع منذ أواخر القرن الرابع عشر إلى أواخر القرن السادس عشر الميلادي » .

٣١ ـ المؤتمر الذهبي الخمسين (اليوبيل الذهبي) لمركز الشؤون الدولية . عقد في كانبيرا ـ استراليا ـ ما بين ٢٦ ـ ١٩٨٣/٨/٢٨ م . قدمت كلمة حول « اقتراحات لانقاذ المؤسسات الدولية من التآكل الداخلي للنهوض بمهامها » .

٣٢ ـ الندوة التي دعا إليها السيد جيمي كارتر/ الرئيس السابق للولايات المتحدة الأمريكية حول الشرق الأوسط ما بين ١١/٥ ـ ١٩٨٣/١١/١٠ ، وعقد في جامعة ايموري ـ اتلانتا بولاية جورجيا ـ أمريكا .

٣٣ ـ الندوة « أزمة الديمقراطية في الوطن العربي » عقدت ما بين ١١/٢٦ ـ ١٩٨٣/١٢/١ ، في ليماسول/ قبرص ، من قبل مركز دراسات الوحدة العربية . شاركت بكلمة حول « تجربة الديمقراطية في الأردن » .

٣٤ ـ الاجتماع الأول « للهيئة العربية المشتركة للتراث » المشكلة من المدير العام للمنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم من مديري مراكز التوثيق والمؤسسات والمعاهد المعنية بالتراث والموجودة في الدول العربية كافة .

٣٥ ـ المؤتمر العالمي عن « الحياة الاقتصادية للولايات العربية ومصادر وثائقها في العهد العثماني ، عقد بتونس من ٢٠ ـ ١٩٨٤/١/٢٥ م .

٣٦ ـ الندوة التي عقدتها اللجنة الدولية للدراسات العثمانية في جامعة كمبردج في بريطانيا ما بين ٣ ـ ١٩٨٤/٧/٧ ، وقدمت بحثا عنوانه : « حماة في القرن السادس عشر » .

٣٧ ـ ندوة سالزبورغ التي عقدت في النمسا ـ سالزبورغ ما بين ٧ ـ ١٩٨٤/١٠/٢٠ . شاركت بها مرشحا من مؤسسة عبدالحميد شومان للبحوث والدراسات . شاركت ببحث حول « موقف الاسلام من كل من اليهودية والنصرانية » .

٣٨ ـ ندوة « العلاقات العربية التركية » التي عقدت في مكتب ارتباط جامعة اليرموك بعمان ما بين ٢٥ ـ ٢٨ نيسان ١٩٨٥ م .

٣٩ ـ ندوة « آفاق التعاون العلمي لتنمية الاقليم العربي لشمال البحر الأحمر » عقدت في مدينة العقبة/ الأردن ما بين ٤ ـ ٥ أيار ١٩٨٥ م .

٤٠ ـ المؤتمر السنوي الرابع للمجمع الملكي لبحوث الحضارة الاسلامية (مؤسسة آل البيت) . عقد بعمان ما بين ٦ ـ ١٩٨٥/٥/٩ م .

٤١ ـ ندوة « تهيئة الانسان العربي للعطاء العلمي » التي عقدها مركز دراسات الوحدة العربية بعمان ما بين ١٣ ـ ١٩٨٥/٥/١٦ م .

٤٢ ـ ندوة « يوم الأردن » التي عقدت في جامعة « لوفان الجديدة » في بلجيكا ما بين ٢٣ ـ ١٩٨٥/٥/٢٤ م . شاركت بكلمة عنوانها : « ملاحظات حول مستقبل الأردن » .

سابعاً : عضو في كل من المراكز واللجان والهيئات ... التالية :

١ ـ عضـو في اللجنتين الأولى والثـانية لعقـد ندوتي الاسراء والمعراج وذلك بطلب من وزارة الأوقاف والشؤون والمقدسات الاسلامية التي دعت لعقد هاتين الندوتين ، الأولى عام ١٩٧٩ ، والثانية عام ١٩٨١ م .

٢ ـ عضو اللجنة التحضيرية للمؤتمر الثالث للعلاقات العربية التركية الذي عقد في مكتب ارتباط جامعة اليرموك في نيسان ١٩٨٥ م .

٣ ـ عضو في « اللجنة العربية للدراسات العثمانية » المشكلة بتوصية من مؤتمر « الولايات العربية ومصادر وثائقها في العصر العثماني » الذي عقد بتونس ما بين ١٣ ـ ١٩٨٢/٩/١٨ م .

٤ ـ عضو في « لجنة اعادة كتابة تاريخ العرب » المشكلة من قبل وزارة الثقافة والارشاد القومي في سوريا منذ عام ١٩٧٧ م .

٥ ـ عضو اللجنة الدولية لكتابة تاريخ الدولة العثمانية ، مركزها في فرنسا .

٦ ـ عضو في اللجنة التي تشرف على اعداد ملف مدينة الخليل المشكلة في وزارة الأوقاف والشؤون والمقدسات الاسلامية ، عمان ـ الأردن .

٧ ـ عضو في لجنة « معهد اسلامي عالي في القدس » يتولى حفظ التراث الاسلامي فيها ، وجاء تشكيل اللجنة بناء على توصية « ندوة الفكر الاسلامي والمجتمع الأردني الثالثة » ، التي اتخذتها في اجتماعها في حزيران ١٩٨٢ م .

٨ ـ عضو في مجلس مركز الدراسات الأردنية التابع لجامعة اليرموك منذ ١٩٨٣/٩/١ م .

٩ ـ عضو في الهيئة الاستشارية الخاصة « مؤسسة عبدالحميد شومان للبحوث والدراسات » .

١٠ ـ عضو لجنة مرتكزات الثقافة الأردنية (مشكلة من قبل وزارة الثقافة والشباب ـ عمان/ الأردن) .

١١ ـ عضو الهيئة الاستشارية لدائرة الحاسب الألكتروني في الجمعية العلمية الملكية/ تشرين أول ١٩٨٤ م .

١٢ ـ الأمين المساعد لاتحاد المؤرخين العرب .

١٣ ـ ممثلا عن المؤرخين الأردنيين في إتحاد المؤرخين العرب من ١٩٨٤/٦/١٨ م .

١٤ ـ صاحب امتياز لـ « المجلة العربية للدراسات التاريخية » .

١٥ ـ عضو في هيئة تحرير مجلة الأبحاث التي تصدرها جامعة اليرموك .

١٦ ـ عضو الهيئة الاستشارية لمجلة « مؤتة » للبحوث والدراسات التي تصدرها جامعة مؤتة في الأردن .

١٧ ـ عضو هيئة تحرير في مجلة القدس الشريف التي يصدرها مكتب أمانة القدس بعمان ـ الأردن .

١٨ ـ عضو في لجنة المحكمين لمجلة « Graeco-Arabica » التي تصدر بأثينا ـ اليونان بدءا من صدور المجلد الرابع في آذار ١٩٨٤ م .

١٩ ـ مستشار « لمجلة العصور » التي تصدر عن دار المريخ بالسعودية .

٢٠ ـ عضو مجلس أمناء مجلة « الأفق العربي » .

٢١ ـ عضو في لجنة أصدقاء الـ « جوردان تايمز » .

٢٢ ـ عضو في اللجنة المشكلة للاشراف على متحف الحياة السياسية في الأردن من ١٩٨٤/١/١٤ م ـ الآن .

٢٣ ـ عضو مؤسس لمتحف البلقاء في مدينة السلط . شكلت هذه اللجنة من قبل محافظ البلقاء عام ١٩٧٩ م .

٢٤ ـ عضو في لجنة السياحة لمحافظة البلقاء ـ الأردن .

٢٥ ـ عضو لجنة تسمية الشوارع لمدينة عمان (مشكلة من قبل أمانة العاصمة ـ عمان/ الأردن) .

٢٦ ـ عضو في جمعية الشؤون الدولية بعمان ـ الأردن .

٢٧ ـ عضو في الهيئة الادارية المؤقتة لرابطة الصداقة الأردنية التركية (قرار من وزير الداخلية) من ١٣ أيلول ١٩٨٤ م .

٢٨ ـ عضو مجلس أمناء مدرسة البكالوريا الدولية التابعة الى جمعية الهاشمية .

٢٩ ـ عضو مجلس صندوق الحسين للتنمية الاجتماعية التاريخية ، عمان ـ الأردن .

٣٠ ـ رئيس نادي ماحص الثقافي الاجتماعي الرياضي ومؤسسه .

ثامنا : المحاضرات :

١ ـ القاء محاضرات في جامعة البصرة عام ١٩٨٠ بدعوة من كلية الآداب في جامعة البصرة .

٢ ـ القاء محاضرات في جامعة الكويت بدعوة من الجامعة عام ١٩٨٠ م .

٣ ـ ساهمت في القاء عدد من المحاضرات على طلبة كلية الاقتصاد والتجارة حول الادارة في التاريخ الاسلامي (العهدين المملوكي والعثماني) عام ١٩٨٢ م .

٤ ـ محاضرة حول « احصاءات السكان في العهد العثماني » ضمن حلقات البحث التي يقيمها قسم الدراسات السكانية في كلية الآداب وذلك عام ١٩٨٢ م .

تاسعا : رسائل الماجستير :

أ ـ أشرفت منفردا على رسائل لطلبة من قسم التاريخ وفقا لما يلي :

١ ـ « مملكة غزة في العهد المملوكي » للطالب محمود عطاالله ومنح الدرجة عام ١٩٨٠ ونال جائزة صاحب الجلالة الملك الحسين في حفل التخريج لذلك العام .

٢ ـ « حركات العسكر في بلاد الشام » للطالب نوفان الحمود، ومنح الدرجة عام ١٩٨١ ، نشرت الرسالة دار الآفاق ـ بيروت .

٣ ـ « مملكة صفد في العهد المملوكي » للطالب طه ثلجي الطراونة ، منح الدرجة عام ١٩٨١ ونال جائزة صاحب الجلالة الملك الحسين لذلك العام . نشرت الرسالة دار الآفاق ـ بيروت .

٤ ـ « القدس في القرن الثامن عشر » للطالب سلامة صالح النعيمات منح الدرجة عام ١٩٨٣ .

ب ـ أشرف حاليا على رسائل ماجستير لطلبة من قسم التاريخ وفقا لما يلي :

١ ـ « القدس في القرن السادس عشر » للطالب محمد سليم أبو يعقوب .

٢ ـ « حلب في القرن السابع عشر » للطالب عيسى الفرحان .

ندوة العدد





الندوة الفكرية
بمناسبة اليوم العالمي لمناهضة العنصرية

اعداد : لجنة الدفاع عن القرار ٣٣٧٩
بالتعاون مع مركز الدراسات الفلسطينية في دمشق

عقدت في الفترة ٢٣ ، ٢٤ آذار/ ١٩٨٧ بدمشق ، بمقر اتحاد الكتاب العرب ، الندوة الفكرية بمناسبة اليوم العالمي لمناهضة العنصرية التي اقامتها لجنة[1] الدفاع عن القرار ٣٣٧٩[2] بالتعاون مع مركز الدراسات الفلسطينية بدمشق .

وقد قدمت في الندوة عدة بحوث ومداخلات (سيأتي ذكرها) وحضرها عدد من المفكرين والكتاب والصحفيين والاعلاميين ، وقامت وكالة الأنباء الفلسطينية/ وفا/ بتغطيتها[3] ، وقد وجهت الندوة في ختام أعمالها النداء التالي ، الذي تلاه السيد د . جابر سليمان مدير مركز الدراسات آنف الذكر ، وفيما يلي نص النداء :-

عقدت في دمشق يومي ٢٣ ـ ١٩٨٧/٣/٢٤ ندوة فكرية حول الطبيعة العنصرية للصهيونية ومصير قرار الأمم المتحدة رقم /٣٣٧٩/ وذلك بمناسبة اليوم العالمي لمناهضة العنصرية والتمييز العنصري . وفي ختام أعمال الندوة وجه المشاركون فيها النداء التالي إلى الأوساط المعنية عربيا ودوليا :

إننا نثمن غاليا اجتماع شعوب العالم على إدانة الصهيونية ، بوصفها شكلا من أشكال العنصرية والتمييز العنصري من خلال قرار الجمعية العامة للأمم المتحدة رقم (٣٣٧٩) الصادر بتاريخ ١٩٧٥/١١/١٠ . وتكمن أهمية هذا القرار في أنه القرار الأول

---

(١) تتكون لجنة الدفاع عن القرار ٣٣٧٩ الذي اتخذته الجمعية العامة للأمم المتحدة بتاريخ ١٩٧٥/١١/١٠ من السادة :
د. جورج جبور ـ د. غازي حسين ـ د. عبد الحسين شعبان ـ سعيد سيف ـ صابر محي الدين وعبد الهادي النشاش .

(٢) نص القرار ٣٣٧٩ : ان الجمعية العامة ، اذ تشير الى قرارها ١٩٠٤ (د ـ ١٨) المؤرخ في ٢٠ تشرين الثاني (نوفمبر) ١٩٦٣ ، الذي أصدرت فيه اعلان الأمم المتحدة للقضاء على جميع أشكال التمييز العنصري وبوجه خاص الى تأكيدها « ان أي مذهب يقوم على التفرقة العنصرية أو التفوق العنصري مذهب خاطيء علمياً ومشجوب أدبياً وظالم وخطر اجتماعياً والى اعرابها عن القلق الشديد ازاء » مظاهر التمييز العنصري التي لا تزال ملحوظة في بعض مناطق العالم ، وبعضها مفروض من بعض الحكومات بواسطة تدابير تشريعية أو ادارية أو غيرها .

واذ تشير أيضاً ، الى أن الجمعية العامة قد أدانت في قرارها ٣١٥١ (د ـ ٢٨) المؤرخ في ١٤ كانون الأول (ديسمبر) ١٩٧٣ ، في جملة أمور التحالف الآثم بين العنصرية بأفريقيا الجنوبية والصهيونية .

واذ تحيط علماً باعلان المكسيك بشأن مساواة المرأة وأسهامها في الانماء والسلم ، ١٩٧٥ ، المعلن من قبل المؤتمر العالمي للسنة الدولية للمرأة ، الذي عقد في مكسيكو في الفترة من ٢٩ حزيران (يونيو) الى ٢ تموز (يوليو) ١٩٧٥ ، والذي أعلن المبدأ القائل بأن « التعاون والسلم الدوليين يتطلبان تحقيق التحرر والاستقلال القوميين وازالة الاستعمار الجديد ، والاحتلال الأجنبي ، والصهيونية ، والفصل العنصري (ابارتايد) ، والتمييز العنصري بجميع أشكاله ، وكذلك الاعتراف بكرامة الشعوب وحقها في تقرير المصير » .

واذ تحيط علماً ، أيضاً ، بالقرار ٧٧ (د ـ ١٢) الذي اتخذه مجلس رؤساء دول وحكومات منظمة الوحدة الأفريقية في دورته العادية الثانية عشرة المعقودة في كمبالا في الفترة من ٢٨ تموز (يوليو) الى آب (أغسطس) ١٩٧٥ ، والذي رأى أن النظام العنصري الحاكم في فلسطين المحتلة والنظامين العنصريين الحاكمين في زمبابوي وأفريقيا الجنوبية ترجع الى أصل استعماري مشترك ، وتشكل كياناً كلياً ، ولها هيكل عنصري واحد ، وترتبط ارتباطاً عضوياً في سياستها الرامية الى اهدار كرامة الانسان وحرمته » .

واذ تحيط علماً أيضاً ، بالاعلان السياسي واستراتيجية تدعيم السلم والأمن الدوليين وتدعيم التضامن والمساعدة المتبادلة بين دول عدم الانحياز ، اللذين تم اعتمادهما في مؤتمر وزراء خارجية دول عدم الانحياز المنعقد بليما ، في الفترة من ٢٥ الى ٣٠ آب (أغسطس) ١٩٧٥ ، واللذين أدانا الصهيونية بأقصى شدة بوصفها تهديداً للسلم والأمن العالميين وطلبا الى جميع البلدان مقاومة هذه الأيديولوجية العنصرية الأمبريالية .

تقرر أن الصهيونية شكل من أشكال العنصرية والتمييز العنصري .

(٣) ملحق / وفا / دمشق الصادر يوم ١٩٨٧/٣/٢٨ .

والوحيد الذي يتعامل مع الصهيونية على أنها أيديولوجية عنصرية معادية للتحرر والتقدم . وهو يكتسب أهمية خاصة من بين مجموع قرارات الأمم المتحدة التي صدرت بشأن القضية الفلسطينية منذ العام ١٩٤٨ .

إن التكييف القانوني الكامل للقرار (٣٣٧٩) من قبل المجتمع الدولي يعني بالضرورة وضع « الشرعية الدولية » التي حصل عليها الكيان الصهيوني موضع تساؤل من الرأي العام العالمي ، وبالتالي تعريض عضويته في الأمم للالغاء بوصفه كيانا عنصريا يتعارض قيامه أصلا مع الاعراف والقوانين الدولية التي قامت على أساسها شرعية الأمم المتحدة .

اننا نعتبر هذا القرار خطوة تضامنية هامة من قبل المجتمع الدولي مع النضال العادل الذي تخوضه الأمة العربية وفي طليعتها الشعب الفلسطيني ضد الصهيونية منذ أكثر من مائة عام ، لأنه القرار الدولي الأول الذي يدين الصهيونية صراحة ويعتبرها شكلا من أشكال العصنصرية التي هي جريمة دولية بشعة . كما يعني هذا القرار أن الصهاينة هم مجرمون وليسوا ضحايا الجرائم الفاشية والعنصرية . فالضحية كان وما يزال الشعب الفلسطيني والعربي ، الذي يمارس ضده كل صنوف القهر والتمييز والتغييب المادي والروحي من قبل الاستعمار الصهيوني الاستيطاني والمراكز الامبريالية التي تمده بأسباب الدعم والقوة .

اننا نطالب الجهات العربية المعنية ببذل كل جهد ممكن على الصعيد العالمي من أجل الدفاع عن القرار (٣٣٧٩) والوقوف في وجه محاولات الولايات المتحدة الأمريكية والكيان الصهيوني للتأثير على الرأي العام في بعض الدول الأوروبية والأفريقية والأسيوية وغيرها ، من أجل محاربة القرار والغائه ، مما يحتم ضرورة القيام بحملة عالمية للدفاع عن القرار ومحاولة تصعيده ، من قبل الحضور العربي في الأمم المتحدة ، لكي تتوحد معالجة الهيئة الدولية للايديولوجيتين العنصريتين الصهيونية والابارتيد .

وفي هذا الصدد نحيي قرار قمة هاراري عام ١٩٨٦ بالقرن دائما بين الصهيونية والابارتيد ، كما نحيي القمة الاسلامية المنعقدة بالكويت في يناير ١٩٨٧ ، بخصوص التأكيد على القرار (٣٣٧٩) ونتطلع قدما الى الخطوات التي ستقوم بها قمة المؤتمر الاسلامي ، تنفيذا لقرارها هذا . وكذلك فإننا نقدر تقديرا عاليا جهود الجمهورية العربية السورية في المحافل الدولية ، لناحية التأكيد الدائم على القرار (٣٣٧٩) وخاصة في قمة عدم الانحياز في نيودلهي والقمة الاسلامية في الكويت ، كما نطالب جامعة الدول العربية بتحمل مسؤولياتها وقيادة العمل على مختلف الصعد دعما للقرار (٣٣٧٩) وتصديا لمحاولات الغائه وقد أوصى المشاركون في هذه الندوة بما يلي :

أولا : اعتبار يوم ٢٩/١٠/ من كل عام « ذكرى مذبحة كفر قاسم » يوماً عربيا لمناهضة التمييز العنصري .

ثانيا : إحياء يوم ١٠/١١/١٩٧٥ يوم صدور قرار الجمعية العامة للأمم المتحدة رقم (٣٣٧٩) من خلال عقد الندوات والمحاضرات على الصعيدين العربي والدولي ، عبر إصدار دورية سنوية في هذه المناسبة ، من قبل جهة عربية مختصة تسجل وتوثق الممارسات العنصرية للكيان الصهيوني بحق أهلنا في الأراضي العربية المحتلة في فلسطين والجولان .

ثالثا : ايلاء الاهتمام الكافي من قبل الجهات العربية المختصة ، ومن ضمنها وزارات الخارجية ، بالاعلام الصادر عن الأمم المتحدة ، بحيث تكون « عنصرية الصهيونية » بندا حاضرا في هذا الاعلام ، وبشكل خاص في الندوات التي تنظمها لجان الأمم المتحدة المتخصصة حول فلسطين مثل لجنة تمكين الشعب الفلسطيني من ممارسة حقوقه الثابتة وغير القابلة للتصرف .

رابعا : مناشدة المكتب التنفيذي للمنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم بانشاء برنامج دائم لدراسة العنصرية الصهيونية والاستعمار الاستيطاني .

خامسا : مطالبة المنظمات والاتحادات المهنية العربية بأن تنص في نشاطاتها ومتابعاتها الدولية على ضرورة مناهضة الصهيونية ودعم القرار (٣٣٧٩) .

سادسا : ضرورة إيلاء ظاهرة الاستعمار الاستيطاني الأهمية التي تستحقها من قبل الجامعات ووزارات التعليم العالي ومراكز

البحوث العلمية العربية وذلك من خلال تضمين تلك الظاهرة في مناهج التعليم الجامعية ورصد الجوائز التشجيعية لأفضل البحوث في هذا المجال من قبل الهيئات العربية المختصة .

سابعا : دعوة لتشكيل محكمة باسم « محكمة القدس الدولية العليا » لمحاكمة مجرمي الحرب الصهاينة تضم قضاة وحقوقيين ، إضافة إلى شخصيات اجتماعية من مشاهير الفكر والفن والأدب والسياسة في بلدانهم والعالم .

ثامنا : ضرورة عقد هذه الندوة سنويا في مثل هذا الوقت من كل عام وطباعة أعمال هذه الندوة والعمل على نشرها وتعميمها .

هذا وقد شكر الأخوة الحضور اتحاد الكتاب العرب على ما قدمه من تسهيلات من أجل عقد هذه الندوة داعين إلى عقد مثل هذه الندوة في كل عام بمناسبة اليوم العالمي لمناهضة العنصرية والتمييز العنصري .

وكان السيد د . جورج جبور قد افتتح الندوة ببحث عنوانه/ حول مصير وأهمية القرار ٣٣٧٩ وضرورة خوض معركته بكل اتساع العالم وعمق الفكر/ جاء فيه :

إن اسرائيل تقول في كل ما تقول من وثائق عن نفسها أنها وليدة الصهيونية .. وبالرغم من أن القرار ٣٣٧٩ لم يقل إن اسرائيل غير شرعية ، لكن القانون الدولي العربي ، لو وجد مثل هذا القانون ـ يستطيع أن يستنتج هذا المضمون وان يوجه له الأنظار . ومن هنا يأتي سعي « اسرائيل » المستمر لالغاء هذا القرار بالذات (الذي يساوي الصهيونية بالعنصرية) فيما لا تضايقها مئات القرارات التي تتخذ ضدها سنويا في هذه الممارسة أو تلك . والقرار ٣٣٧٩ يعني اقرار الأمم المتحدة (العالمية) ـ التي أخذت منذ الستينات تضم دول العالم المستقلة في أفريقيا وآسيا وسواها ـ ضد قرار الأمم المتحدة (الأوروبية) بتقسيم فلسطين الذي اتخذته ١٩٤٧ .

وعليه ، فان أهمية القرار ، في كونه يضع وجود/ اسرائيل/ موضع شك شرعي ، قانوني ، وإن لم تطرح القرار ذلك بشكل مباشر ، وهو ما يقصده د . فايز صايغ الذي صاغ القرار على هذه الشمولية والعمومية .

ودلل على أهمية القرار ، المؤتمر الذي عقدته اسرائيل يوم الجمعة ٢٠ آذار ١٩٨٧ في الأمم المتحدة تحت عنوان (اسرائيل الصهيونية والأمم المتحدة) ، ذلك المؤتمر الذي حضرته نحو ٨٠٠ شخصية وسبقته تظاهرة خارج مقر الأمم المتحدة للتنديد بالقرار ، تقدمها المندوب الامريكي لدى المنظمة الدولية وولتز ، والمندوبة الأمريكية السابقة لدى الأمم المتحدة وباتريك مونيهان الممثل الأمريكي لدى المنظمة الدولية عند صدور القرار (٣٣٧٩) .

وقد وجه ريغان برقية الى المؤتمر أكد فيها أن الولايات المتحدة لا تعترف ولا تلتزم أبدا ولن تشارك في هذا العمل السيء الصيت (القرار) (٣٣٧٩) . فيما هدد المندوب الأمريكي (وولتز) من أن بلاده ستنسحب من الأمم المتحدة في حال الغاء عضوية « اسرائيل » .

(مما يشير الى توقعات وتخوفات اسرائيلية ـ أمريكية ، من أن يشمل القرار ٣٣٧٩ « اسرائيل » ويؤدي بالتالي الى طردها من الأمم المتحدة) .

وميز د . جبور بين نظريتين متناقضتين ازاء الصهيونية ، نظرة إسرائيلية ـ أمريكية وعموما أوربية غربية ، ونظرة اسلامية عربية ، اشتراكية ، أفرو آسيوية . وفيما يتعلق بالنظرية الثانية فقد كان آخر نموذج دولي له ، قرار القمة الاسلامية الأخيرة المنعقدة في الكويت .

وقال ان معركة القرار ٣٣٧٩ ، معركة بكل اتساع العالم ، فقد أعلن برلمان استراليا بالاجماع ـ مثلا ـ انه لا يوافق على هذا القرار وطلب من الحكومة الاسترالية بذل كل جهد دولي لالغائه (٨٧/٢/٢٧) وأرسل المندوب الأمريكي في الأمم المتحدة الى الأمين العام رسالة تضمنت ثلاثة مطالب منها طلب ادراج قرار الكونغرس الأمريكي بادانة القرار ٣٣٧٩ « باعتباره واحدا من أحلك اللحظات في تاريخ الأمم المتحدة » .

وأعرب د . جورج عن اعتقاده بانه في دفاعنا عن القرار ٣٣٧٩ « ينبغي علينا أن نتكلم بلغة الأمم المتحدة ، تلك اللغة التي تخلق منذ أربعين عاما ثقافة عالمية مشتركة » .

وأبوزد . جبور كيف استطاع الفكر الافريقي في جعل ذكرى مجزرة « شاربفيل » يوما يحتفل به العالم ، باعتباره يوم مناهضة العنصرية .

وفي شهر أيار ١٩٧١ ، اتخذ مجلس السلم العالمي قرارا بالاحتفال سنويا بذكرى كفر قاسم كيوم عالمي لادانة العنصرية الصهيونية ، لكن الدول العربية لا تحتفل بما حثنا العالم على الاحتفال به وتساءل : كيف يحتفل العالم لحسابنا بما لا نحتفل فيه نحن أنفسنا .

وفيما ينبغي عمله قال ان الجهات الافريقية غير الرسمية هي المؤهلة أكثر من غيرها أن تقول بان الصهيونية شكل من أشكال العنصرية ثم تأتي بعدها الحكومات الافريقية ، ثم الهيئات الدولية التقدمية كمجلس السلم العالمي ، ثم الجهات الاشتراكية غير الرسمية ثم الدول القائدة في العالم الاشتراكي . وعلى الصعيد العربي لابد من اثارة الموضوع في اجتماعات الجامعة العربية ، لاصدار قرار عربي يتبنى مفهوم الاستعمار الاستيطاني .

وخلص الى القول بانه ليس من ثمة سبب يحملنا على اليأس من قدرتنا باقناع العالم بحقيقة الصهيونية من حيث هي واقعيا أخطر ايديولوجية استعمار استيطاني في وقتنا الراهن ، ولابد من أجل ذلك من عقد الحلقات الدراسية وترجمة الكتب حول عنصرية الصهيونية باللغات الأجنبية وتنفيذ توجهات سابقة بتدريس مادة الاستعمار الاستيطاني المقارن في الجامعات العربية .

بعد ذلك قدم د . غازي حسين بحثا مطولا بعنوان (الطبيعة العنصرية للصهيونية) وتتضمن العناوين الجانبية التالية :

- الأمم المتحدة والعنصرية
- ردود الفعل على القرار ٣٣٧٩
- مفهوم العنصرية
- ظهور العنصرية في أوروبا وتأثيرها على الصهاينة
- العنصرية في التعاليم اليهودية
- العنصرية الصهيونية ومقاومة الاندماج

- التعاون بين العنصرية الصهيونية واللاسامية

وقد انتقد الباحث اهمال العرب القرار ٣٣٧٩ تعميقا وترسيخا في المؤتمرات الدولية ، فيما عملت الصهيونية والامبريالية العالميتين على الغاء القرار . (متفقا في ذلك مع ما طرحه د . جبور في هذا الصدد) .

وفيما يلي أهم النقاط التي أكد عليها الباحث . نستنتجها من خلال سطور بحثه ، وان لم يوردها بهذا الترتيب أو التركيز :

١ - أسبقية العنصرية اليهودية على العنصرية الأوروبية وعلى الصهيونية كحركة سياسية منظمة . فقد أكد (احياد عام) - مثلا - : ان اليهودية سبقت النيتشوية[٤] ، بعدة قرون ، بفكرة الرجل اليهودي المتفوق ، الرجل النقي ، الذي هو غاية في حد ذاته والذي خلق العالم من أجله .

٢ - رفضت الصهيونية اندماج اليهود في مجتمعاتهم باعتبار أن الاندماج خطر على الصهيونية بل وفي « اسرائيل » أكدت على « العمل العبري » والسوق اليهودية ، ومقاطعة المنتجات العربية ، وجرى العمل بكافة أشكال التمييز لتفريغ الأرض من سكانها .

٣ - تعاونت الصهيونية مع اللاسامية والنازية (أورد الباحث حقائق عديدة لتأكيد ذلك) وكشف علاقاتها بالاستعمار .. لقد حرضت الصهيونية وعملت لأجل اضطهاد اليهود في كل مكان واغلاق الأبواب في وجوههم ، الا باب فلسطين لخلق كيانهم العنصري الاستيطاني في فلسطين .

٤ - علاقة اسرائيل والصهيونية المتصلة والشريكة بالامبريالية العالمية والثورة المضادة عموما ونظام الامبرياليين في جنوب افريقيا .

□□ أما بحث د . عبدالحسين شعبان فقد كان بعنوان (في اشكالية العلاقة بين العنصرية والصهيونية . سيناريو (محكمة القدس الدولية العليا) بين الحكم والواقع) :

أوضح الباحث عنصرية الصهيونية سواء من خلال دائرة المعارف

(٤) « النيتشوية » نسبة الى فريد ريك نيتشه ١٨٤٤ - ١٩٠٠ الذي طور نظرية النخبة ووضع الأسس النظرية للنازية ، وقد تأثر بأفكاره كل من « موسى هيس » اليهودي الألماني الصهيوني المرتد عن الماركسية . و (هربرت سبسر) واستغل بافكاره « هرسل » و « احاد عام » .

البريطانية لماهية العنصرية .. أو من خلال الايديولوجيا التي تطرحها الصهيونية ذاتها مثل « اللامكانية » فكرة اللاسامية وسواها .

وتحدث عن جانب من قرارات الأمم المتحدة المتخذة ضد الصهيونية والتي توجت بالقرار ٣٣٧٩

وحاول حسب المادة السادسة من نظام محكمة « نورنمبرغ » العسكرية تحديد أنواع الجرائم المرتكبة من قبل اسرائيل ضد السلم العالمي وعلى أرض فلسطين ، التي يمكن توجيهها لها . ثم أتى على الوثائق التي يمكن بموجبها احالة « اسرائيل » الى القضاء الدولي وعددها (٢٥) وثيقة نورد منها :

١ ـ قرار الجمعية العامة للأمم المتحدة عام ٤٦ بالمصادقة على نظام محكمة نورمبرغ .
٢ ـ الاعلان العالمي لحقوق الانسان لعام ١٩٤٨
٣ ـ اتفاقيات جنيف الأربعة وملاحقها (لعام ٤٩)
٤ ـ اتفاقات لاهاي لعام ١٨٩٩ و ١٩٠٧
٥ ـ الاعلان العالمي لتصفية الاستعمار لعام ١٩٦٠
٦ ـ قرارات مؤتمر القمة الاسلامية الخمسة
٧ ـ ميثاق منظمة الوحدة الافريقية .

اضافة (بالطبع) لقرار الجمعية العامة موضوع الندوة رقم ٣٣٧٩ لعام ١٩٧٥ وسوى ذلك .

أما الجرائم التي يمكن محاكمة اسرائيل دوليا بموجبها فهي :

١ ـ الجرائم الموجهة ضد السلم والأمن الدوليين
٢ ـ جرائم الحرب
٣ ـ الجرائم الموجهة ضد الانسانية
٤ ـ جرائم ابادة الجنس البشري

واقترح تشكيل (محكمة القدس الدولية العليا) للنظر في الدعوى واصدار الحكم العادل بحق مجرمي الحرب الصهاينة باسم شعوب الأرض كافة .

والجهات التي يمكن أن تمثلها هيئة المحكمة فهي (٢٠) جهة .. منها :

ـ مجموعة دول عدم الانحياز
ـ محكمة العدل الدولية
ـ هيئة الأمم المتحدة
ـ مجلس السلم العالمي
ـ منظمة العفو الدولية
ـ جمعية حقوق الانسان

وعدد من ممثلي الحركات الديمقراطية والمعادية للحرب وللعنصرية ويكون المدعى العام : الرأي العام التقدمي ، وصاحب الدعوى م.ت.ف.

والمتهم : الطغمة الاسرائيلية الحاكمة .

ويكون للمحكمة نظام خاص وتنبثق عنها هيئة مختصة تأخذ بعين الاعتبار نظام محكمة نورنمبرغ وغيرها من قرارات الأمم المتحدة .

□□ بحث عبدالهادي النشاس وكان موضوعه (عنوان الصهيونية والنازية) تضمن مقارنة مستفيضة بين الصهيونية والنازية الالمانية

ولاحظ الباحث أن جميع القرارات التي أصدرتها الشرطة السياسية الألمانية تصب في دائرة التضييق على اليهود الاندماجيين وبفتح جميع الأبواب أمام اليهود والصهاينة خدمة للأهداف المشتركة ، بما في ذلك حرية عقد الاجتماعات العامة ، واقامة الجمعيات والألعاب الرياضية ، والقيام بأعمال التدريب المهني والزراعي والحرفي استعدادا للهجرة الى فلسطين ، وجمع التبرعات لصالح المستوطنات الجديدة فيها الخ ... وخلص الباحث الى ان تطابق الفكرة الصهيونية مع الفكرة النازية وما استتبعه من تطابق في السلوك والممارسة ، يؤكد حقيقة ثابتة ، ينبغي أن تكون واضحة كل الوضوح ، وهي أن لا مكان لتفاهم أو حل سياسي مع الكيان الصهيوني ، وأن مواجهته تتطلب حشد كل الامكانيات العربية والفلسطينية وصولا إلى اجتثاثه نهائيا .

□□ قدمت في الندوة عدة مداخلات ، ومنها مداخلة (فايز سارة) بعنوان « تطبيقات العنصرية الصهيونية وممارستها في مرتفعات الجولان السورية المحتلة » تحدث أولا عن التطبيقات العنصرية الصهيونية في فلسطين المحتلة ، سواء المحتل منها عام ١٩٤٨ او عام ١٩٦٧ مجملا الاتجاهات العامة لهذا السياسة العنصرية

في ثلاثة محاور هي :

١ ـ السياسة المتعلقة بالأرض
٢ ـ السياسة المتعلقة بالسكان
٣ ـ السياسة المطبقة على الصعد الأخرى المختلفة .

فعلى الصعيد الأول ، تقوم اسرائيل بالاستيلاء على الأرض العربية بكل السبل والأساليب انطلاقا من أسلوب القوة المسلحة وانتهاء بالاشكالات القانونية وغير القانونية فتم الاستيلاء على معظم أراضي فلسطين المحتلة عام ١٩٤٨ ، وعلى أكثر من ثلثي أراضي الضفة الغربية المحتلة وأكثر من ثلث أراضي القطاع ، وثلاثة أرباع اراضي المرتفعات السورية المحتلة ..

وعلى الصعيد الثاني فقد تم طرد أكثر من مليون فلسطيني عام ١٩٤٨ ومن ثم طرد مئات الآلاف من فلسطينيي الضفة وغزة .. اضافة لعمليات الابعاد منذ عام ١٩٦٧ ، وخلق وقائع عديدة جديدة تدفع السكان الفلسطينيين لمغادرة أراضيهم .

وعلى الصعيد الثالث ، تركز السلطات الاسرائيلية على تحقيق التبعية الاقتصادية والمهنية على الموارد الطبيعية ولا سيما المياه ووضعها في خدمة المستوطنات اليهودية واستغلال قوة العمل العربية في المشروعات الاسرائيلية في شروط عمل متدنية وقاسية والتضييق على المؤسسات الاقتصادية العربية ومحاسبة المؤسسات الوطنية الطابع للفلسطينيين من جامعات ومعاهد ومدارس ومؤسسات بحث وصحافة ، والتدخل في مناهج الدراسة والتعليم وفي الأعمال الادارية للمؤسسات التعليمية الفلسطينية ، أيضا يتم التدخل في الانتخابات البلدية ووقفها .

أما على صعيد الممارسات الصهيونية العنصرية في مرتفعات الجولان ، فقد مهد لها بنبذة تاريخية لأطماع الصهيونية التاريخية في المرتفعات ثم حدد هذه الممارسات بصعدها المختلفة : السياسية ، والاقتصادية ، والاجتماعية والثقافية والتعليمية ..

فعلى الصعيد السياسي : تم طرد ١٣٠ ألف سوري عام ١٩٦٧ وجرى تدمير نحو ٣٠٠ تجمع سكاني سوري في الجولان ولم يبق منها سوى خمس قرى ، وكلفت السلطات « الاسرائيلية » محكمة طبريا والمحكمة المركزية في الناصرة باجراء المحاكمات للمواطنين السوريين طبقا لـ « القانون السوري » وعينت مجالس محلية ومذهبية بأوامر عسكرية خلافالرغبات السكان السوريين .. ومنعت تأليف أي جمعيات خيرية وانسانية .. وفرضت على الفرق الرياضية السورية الانتساب الى « الهستدروت » . وتم الحكم بالسجن لمدد طويلة وأعدم آخرون بالقائهم في حقول الالغام ، بتهمة التجسس لصالح سورية ، فضلا عن الاعتقال المؤقت وفرض الاقامة الجبرية والفصل من العمل .

وعلى الصعيد الاقتصادي : تدمير المزارع والحقول في الجولان وتحويلها من أرض زراعية الى مواقع عسكرية ومستوطنات وحرمان العرب السوريين من الوصول الى اراضيهم في جبل الشيخ ومنع الرعاة من الوصول لمراعيهم .. وثم اغتصاب المياه الجوفية في مناطق اليعفوري والمشيرفة ورأس بوسعيد والاستيلاء على مياه بركة (ران) شمال الجولان ، ومنع مياه الشرب من الوصول الى القرى العربية ، كما منعت تصدير المحاصيل الزراعية الا بشروط سياسية ومنها وصف الانتاج الزراعي العربي بأنه « انتاج اسرائيلي » وفرضت ضريبة الدخل والأمن على المواطنين العرب السوريين وحجزت على أملاك رافضي دفع هذه الضريبة .

وعلى الصعيد الاجتماعي : منعت السكان العرب السوريين من اجراء مقابلات شخصية مع ذويهم واقربائهم الذين يعيشون في سورية ، كما منعتهم من السفر الى أي بلد عربي ، وقطعت الاتصالات الهاتفية مع خارج المنطقة ومنعت دخول الصحف العربية الصادرة في فلسطين المحتلة ، وقطعت التيار الكهربائي ، ومنعت السكان من اقامة مساكن لهم خارج قراهم .

وعلى الصعيد الثقافي والتعليمي : فرضت مناهج التعليم الاسرائيلية وابعدت أعدادا من المعلمين والأساتذة ، وأضافت مادة « التراث الدرزي » لمناهج التعليم .

مداخلة د . غازي حسين ، بعنوان « محاكمة الصهيونية كمجرمي حرب » صنفت فيها ـ انطلاقا من القانون الدولي ـ الجرائم التي ارتكبتها القوات الصهيونية في لبنان ، الى ثلاثة أنواع :

١ ـ جرائم ضد السلام
٢ ـ جرائم حرب

٣ ـ جرائم ضد الانسانية

وعرض لقرارات الأمم المتحدة المتعلقة بمثل هذا النوع من الجرائم .. كما عرض لبعض ارتكابات الصهيونية في لبنان اثناء وبعد الاجتياح الاسرائيلي للبنان عام ١٩٨٢ .. بما في ذلك مجازر صبرا وشاتيلا ، واقامة معسكر أنصار ، وتدمير المستشفيات في صور وقصفها لمستشفيات بيروت والمراكز الثقافية والمدارس ودور العبادة .

□□ مداخلة مصطفى الولي « مركز الدراسات الفلسطينية » بعنوان (نحو ترسيخ وعي علمي للكيان الصهيوني (تناولت الأفكار الأساسية التالية :

١ ـ تقوم الأيديولوجية الصهيونية على تزييف التاريخ ، وتدمج في ذلك ما بين عنصرية عرقية ودينية لليهود .. فيما أثبت علم الاجتماع والسياسة بكل فروعة ومدارسه بطلان مزاعم أمة يهودية تهاوت كل مرتكزاتها الايديولوجية .

٢ ـ وجدت الامبريالية في الصهيونية أداة لتحقيق استراتيجيتها على صعيد الوطن العربي في السيطرة والهيمنة وأداة لتعميق التجزئة في المنطقة العربية . ولأجل استمرار النهب والتحكم بالثروات والأسواق وكي تحقق (اسرائيل) آلية كهذه ، تبرز المؤسسة العسكرية كعمود فقري لكل العمليات المرتبطة بمصير الدولة ووظائفها ومبررات استمرارها .

وعلى النقيض من نموذج الدولة القومية التي يتميز بثبات الأرض والسكان وتبدل بنية السلطة السياسية فان « اسرائيل » تستند الى ثبات بنية الدولة . ومتحركين في الأرض والسكان .

وعليه كنتيجة أيضا ـ لا يمكن استمرار (اسرائيل) دون الارتباط بالامبريالية ودون استمرار وظيفتها العدوانية في الاطار العام لهذه الاستراتيجية .

٤ ـ ان التركيز على عنصرية اليهودية وتعبيرها المعاصر : الصهيونية ، موضوعيا أمر مشروع وضروري ودقيق علميا ، لكنا في الحديث عن عنصرية الصهيونية وكشف جوانب رجعيتها (من حيث كونها ضد خط التاريخ الصاعد) ، ينبغي أن لا يكون الحماس له ، على حساب عنصريات أخرى في العالم ، كعنصرية الابارتيد في جنوب القارة الافريقية .

بل ان المطلوب تطوير الدراسات المقارنة في مجال الاستعمار الاستيطاني العنصري ، وبخاصة بين تجربتيه الأساسيتين : جنوب افريقيا واسرائيل ، ذلك الجانب الذي طوره وناضل لأجل تدريسه في الجامعات العربية كمقرر فيها .. د . جورج جبور

ان تذكير العالم بمثل تلك الدراسات المقارنة ، وربطها بكافة أشكال التمييز العنصري والاستيطاني والنازي والفاشي الأخرى ، الراهن منها والحديث والقديم .. أمر ضروري ، لتقريب وتوصيل وتفهم مدى الخطر الناجم الذي تحمله العنصرية الصهيونية للعالم أجمع .

٥ ـ ان اقناع العالم بعنصرية الصهيونية وترادفها مع عنصرية جنوب افريقيا ، ينبغي أن يقاربه ويتزامن معه طرديا ، نضال عربي داخلي بما لا يسمح لأي شكل من أشكال الاستغلال والتشويه ، بما في ذلك تزوير التاريخ ، وخلق النزاعات الاقليمية والاقلياتية في هذا القطر العربي أو ذاك .

كما يمكن أن يدخل في الحسابات أيضا ، امكانية اعادة استيعاب اليهود العرب ممن جذبتهم الصهيونية ، ويرغبون الآن في العودة الى أوطانهم في اطار خطة شاملة مدروسة .

ان استقبال مثل أولئك ليس فقط تفريغ للمجتمع الصهيوني من العنصر البشري ، وكشف لعنصريته وهشاشة بنائه الداخلي ، وانما أيضا دليل عملي على الطبيعة المتحضرة الانسانية ، البعيدة للعرب عن العنصرية . لكن هذه المقولة لا تكون ناجحة بأي حال في وضع العجز العربي والتشرذم ، وكما سبق وأشرت ، فان المنطق الذي يكون في العالم ، هو منطق يستند الى أساس موضوعي من القوة والمصالح .

□□ مداخلة (سعدي مدلل) كان موضوعها :

(حقيقة ومدى التداخل بين الصهيونية واسرائيل)

وجاء فيها أن أصواتا في اسرائيل ترتفع من مواقع متباينة ، تدعو

الى احياء الحركة الصهيونية شريطة أن لا تأخذ دور التنظيم السياسي او تحل محل « الدولة » كمحور استقطاب للولاء اليهودي ، خصوصا فيما يتعلق (بمواطني هذه الدولة وحاملي جنسيتها) .

ومن خلفية الجدل « الاسرائيلي » الدائر ، خلص الى استنتاجين هما :

١ ـ اتساع القناعة لدى مستوطني فلسطين المحتلة من اليهود « مواطنو اسرائيل » بافلاس الصهيونية وتراجع تأثيرها ازاء اليهود كنداء وكنظام .

٢ ـ ان الصهيونية تعمل ككنيسة علمانية في خدمة الدولة ، وتعني برعاية فكر اجتماعي وتوجهه نحو خلق نشاطات روحية ودينية في المستوطنات وفي المدن ، ولا بأس في أن تتولى هذه الكنيسة تحت رعاية الدولة ووفق مصالحها الدور الذى كانت تتولاه في السابق أجهزتها في الخارج (جباية الأموال وتشجيع الهجرة) .

وحذر من تلافي هذا الفصل بين الصهيونية كعقيدة وحركة عن اسرائيل مع الجهد السياسي الهادف الى التنصل من الصهيونية بعد قرار ادانتها . (موضوع الندوة) عام ١٩٨٥ .



الوثائق والمخطوطات


مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

الدليل العام للتوثيق والدراسات الجمالية

اعداد : دائرة الفنون التشكيلية بوزارة الثقافة والإعلام/بغداد

١) تعريف عام بالقسم :

أ ـ يضطلع القسم بجمع المصادر والمراجع والوثائق في اطار الفن التشكيلي والنقد الفني التشكيلي وهذا هو الشق الأول . فهو من هذه الناحية ذو هوية لصيانة الوثائق وحفظها كممتلكات مكتبية في نفس الوقت حيث تعتبر هي والمحتويات الاخرى مجالا للبحث والدراسة . أما موضوعها فهو الفنون التشكيلية (كالرسم والنحت والسيراميك والمعمار والفنون التطبيقية والفلكلور وفنون التصميم ثم النقد الفني التشكيلي) .

ويتم التوثيق بكافة الوسائل والقنوات الملائمة كالتدوين المطبوع من الصحف والمجلات والوثائق مثل الرسائل والكتب الرسمية وما الى ذلك . وكذلك ما يتعلق بالمعارض الفنية واعلامها (مثل الملصقات ودليل المعرض الفني الخ ..) و (التدوين السمعي أي التسجيلات الصوتية) و (التدوين البصرى مثل الصور الفوتغرافية والشفافيات / السلايدات والصور المطبوعة) و (التدوين السينمائي والتسجيل السينمائي « فديوتيب ») .

ب ـ أما الشق الثاني فهو العمل على توظيف هذه المصادر والوثائق ـ بشكل دراسات جمالية وبحوث عامة الغرض مها جميعا اكتشاف الشخصية الحضارية والقومية للفن العراقي خاصة والفن العربي عامة . وتزويد الفنانين والنقاد ومن يهمهم الأمر كمؤلفين أو صحفيين بما يستندون اليه من البحث والابداع ، ومن أجل تطوير العمل الفني والنقد التشكيلي والمعرفة الفنية عموما .

ان شكل هذه الدراسات يتم على نوعين هما :ـ

أ ـ الدراسات التوثيقية بالاساس .

ب ـ الدراسات الاخرى تاريخية كانت أم حضارية ، أو سواها وخاصة الدراسات الجمالية (الاستاتيكية) .

كما من الممكن ان تتنوع هذه الدراسات عموما ما بين (المعرض الوثائقي الفني) أو الوثائقي فحسب والدراسات الاخرى كبحوث في شتي حقول المعرفة ذات الصلة بالفن التشكيلي ، سواء انجزت من قبل موظفين في القسم او المتفرغين للبحث .

جـ ـ وهناك شق ثالث يكون بمثابة نقطة التقاء ما بين كلا الشقين واللذين يكمل الثاني منهما الاول وهذا هو ما يتعلق (بالمعرض التوثيقي) من جهة و (النشرة الفصلية) من جهة أخرى . فعن طريقهما معا يتم الجمع ما بين الغرض التوثيقي والدراسي ، هذا بالاضافة الى عنصر ثالث هو (التنسيق) مع المراكز الثقافية والمؤسسات الفنية التشكيلية . وذلك من أجل تزويدها بالمعلومات اللازمة لانجاز البحث في مجال الفنون التشكيلية على مستوى الدراسات الجامعية أو المتخصصة .

٢) أهداف عامة :

من خلال هذه البنية المتكاملة ما بين التوثيق والدراسة (أو التأليف ضمنا) يستهدف القسم تحقيق ما يلي :ـ

١ ـ اعداد مكتبة وثائقية تشتمل على :

أ ـ المدونات والمطبوعات من الوثائق والصحف والمجلات (ما يتعلق بأنباء الفن والفنانين والمقالات المنشورة في هذا الموضوع) والملصقات وأدلة المعارض وحتى الكتب .

ب ـ التسجيلات الصوتية في شكل حوار أو حديث يتم من قبل

الفنانين أو النقاد وكذلك خلال المؤتمرات التشكيلية أو المعارض الفنية ومع هواة جمع الأعمال الفنية وكل من له علاقة بالفن التشكيلي .

جـ ـ الرقوق السينمائية والتسجيلات السينمائية (فيديو كاسيت) .

د ـ الصور الفوتوغرافية والشفافيات (سلايدات) .

٢ ـ تغطية المؤتمرات الفنية والمعارض والمهرجانات وكل المناسبات التشكيلية الممكنة وما يتعلق برعاية الدولة للفن والنقد التشكيلي وعن طريق كافة القنوات والوسائل .

٣ ـ انجاز بحوث ودراسات ذات صفات توثيقية وفي هذه الحالة تصبح هذه المنجزات بمثابة منجزات مكملة للتوثيق نفسه .

٤ ـ تقديم المعونة اللازمة للمتفرغين من الباحثين (أي من غير موظفي القسم) وخاصة في ما يتعلق بالكشف عن الشخصية الحضارية والقومية في الفن التشكيلي العراقي والعربي .

٥ ـ انجاز بحوث أو دراسات ذات صفات تأليفية من قبل بعض المتخصصين من موظفي القسم . سواء عن طريق (النشرة الفصلية للقسم) أو عن طريق تأليف كتب تطبع باسم القسم .

٦ ـ التنسيق مع الدوائر والمراكز والاقسام ذات العلاقة بقسم التوثيق والدراسات الجمالية ـ وأهم هذه المؤسسات هي تلك التي نجد في اطار وزارة الثقافة والاعلام خاصة المراكز والملحقيات الثقافية والصحفية خارج القطر وذلك بخصوص :

أ ـ جمع المعلومات الوثائقية والوثائق .

ب ـ ايصال نتائج الدراسات والبحوث الى الجهات ذات العلاقة بالقسم .

جـ ـ تسهيل متطلبات الدراسات الفنية التشكيلية .

٧ ـ اصدار نشرة فصلية (من الممكن تطويرها الى مجلة) خاصة بالتوثيق والدراسات الجمالية .

٨ ـ التنسيق مع قاعة الواسطي (التابعة لدائرة الفنون التشكيلية) بصورة مباشرة لغرض إنجاز المعارض الفنية التوثيقية أو الموثقة .

٣) الوسائل والأجهزة :

يعتمد هذا القسم على استخدام أحدث الوسائل والطرق في البحث والتأليف والتوثيق ، وعلى استخدام أحدث الأجهزة الممكن توفيرها وفي جميعها كما يلي :ـ

أ ـ اتباع الطرق العلمية والموضوعية في البحث .

ب ـ استخدام أجهزة للتوثيق المطبوع مثل :ـ
١ـ جهاز الكتروني لتنظيم الملفات .
٢ـ جهاز طبع رونيو حديث .
٣ـ جهاز المايكروفيلم لتصوير الوثائق والكتب .

جـ ـ استخدام اجهزة للتوثيق السمعي والبصري مثل :ـ

١ـ جهاز لاعادة طبع السلايدات
٢ـ جهاز حفظ الشفافيات والأفلام (ثلاجة خاصة)

د ـ استخدام اجهزة في المحاضرات الممكن تنظيمها مثل :ـ

١ـ جهاز (اوفرهيد) لعرض الرسوم الفورية .
٢ـ جهاز عرض الشفافيات (اتوماتيكي) .
٣ـ جهاز عرض الافلام السينمائية (١٦ ملم)
٤ـ جهاز عرض التسجيلات السينمائية (فيديو)

هـ ـ اعداد غرفة مظلمة مزودة بكافة الاجهزة للتصوير الفوتوغرافي والميكروفلم

و ـ ستوديو للتصوير السمعي والبصري (فيديو)
ز ـ غرفة خاصة لحفظ الوثائق والوثائق المطبوعة .
ح ـ قاعة للمطالعة .
ط ـ غرفة للتسجيل الصوتي والانصات .
ي ـ أجهزة مختلفة للتوثيق كالكاميرا التصويرية والسينمائية وكاميرا فيديو الخ

٤) الهيكل التنظيمي « الكوادر »

١ـ مديرية القسم والسكرتارية

ط ـ شعبة الوثائق والتوثيق المطبوع

أ ـ تنظيم المكتبات

ب ـ جمع الوثائق من الصحف والمجلات

جـ ـ الترجمة عن اللغات الاجنبية في بعض الوثائق

د ـ تفريغ الحوارات المسجلة واعدادها

٣ـ شعبة التوثيق السمعي ـ البصري

أ ـ التصوير السينمائي والتسجيل السينمائي

ب ـ التصوير الفوتوغرافي والسلايدات

جـ ـ التسجيل السمعي

٤ ـ شعبة التحرير والتأليف

أ ـ النشرة الفصلية

ب ـ الدراسات التوثيقية

جـ ـ الابحاث

٥ـ المتفرغ الباحث

٦ ـ المتحف الوثائقي الدائم لحفظ المستمسكات الوثائقية

الموظفون :

١ـ رئيس القسم للاشراف العام

٢ـ كاتب لحفظ وثائق القسم

٣ـ منظم مكتبات ـ يقوم بمهمة رئاسة شعبة التوثيق المطبوع

٤ـ مترجم

٥ـ مفرغ حوار

٦ـ جامع وثائق

٧ـ سينمائي ـ يقوم بمهمة رئاسة شعبة التوثيق السمعي ـ البصري

٨ـ مصور فوتوغرافي ـ أو مساعد سينمائي

٩ـ موظف للتسجيل السمعي ـ يشترك هو ومفرغ الحوار في تنظيم الحوارات

١٠ـ باحث توثيقي ـ ومحرر في النشرة

١١ـ رئيس تحرير النشرة الفصلية ـ يقوم بالمهمة رئيس القسم

١٢ـ باحث في الدراسة الجمالية ـ ومحرر في النشرة متفرغ أوأكثر في الدراسة الجمالية

١٣ ـ فراش

٦) برنامج العمل واستراتيجيته

١ ـ يتوقف العمل في القسم على برنامج عام هو البرنامج السنوي الذي لابد ان يعقد على منطقية (التنسيق) بين توفير المصادر واستخدامها وعلى (التكامل) ما بين الفعاليات المطبوعة والسمعية والمنجزة كمشاريع . ومن هنا فان استخدام مناهج معينة للبحث يظل شرطاً ـ اساسيا في العمل ومن هذه المناهج المتبعة ما يلي :ـ

أ ـ المنهج العلمي ـ أي الذي يعتمد فيه الباحث والموثق على جمعها والتأليف فيما بينها .

ب ـ المنهج المقارن ـ أي استخدام المقارنة بين اثنين او أكثر من الظواهر لاكتشاف نقاط الالتقاء فيما بينها .

جـ ـ المنهج البنيوي ـ وهو الذي يأخذ بنظر الاعتبار ادراك العلاقة بين (الدال) و (المدلول) فالعلاقة هنا هي (الدلالة) التي تتضح من خلال الربط ما بين الدال والمدلول (وفي حالة فعاليات القسم بين عملية التوثيق وعملية التأليف)أو بالاحرى ان البحث العام لتوثيق ودراسات معا يعتمد على ادراك العلاقة الجدلية بينهما مع العلم أن كلا من التوثيق لذاته والدراسة (أو البحث أو التأليف) أو بالاحرى ان البحث العام كتوثيق ودراسات معا يعتمد على ادراك العلاقة الجدلية بينهما مع العلم ان كلا من التوثيق لذاته والدراسة (أو البحث أو التأليف) لذاته ينطوى على معنى الدال والمدلول كل على حدة .

د ـ المنهج الاركيولوجي ـ أو هو المنهج الذي لا يكتفي بالمعنى السطحي للمدلول (بالاعتماد على الدالات السطحية) بل يتغلغل في أعماق ـ الدالات للوصول الى المعنى الداخلي (وهذا المنهج مستمد من التنقيبات التي تكتشف (الموقع) بالتغلل فيه من سطحه الظاهري حتى مستوى سطح البحر) .

ان الغاية من التوثيق والدراسات هو الكشف عن جمالية (استاتيكية) الفن العراقي والعربي أو ظهور ملامح الخلف الحضرية في السلف . ومثل هذا التحقيق يجد مجاله في كل الحقول العلمية ذات العلاقة بالفن التشكيلي فضلا عن الحقل الفلسفي . فتاريخ الفن والاثنولوجيا والجغرافيا والفلسفة كل هذه المجالات الثقافية تستطيع أن تساهم في اكتشاف الملامح الحضارية والجمالية للفن التشكيلي العراقي والعربي .

٢ ـ اما استراتيجية العمل (الخطة السنوية والخطط الاخرى) فانها تعتمد على استخدام الصيغ المتكاملة ما بين التوثيق والدراسة ولضمان النتائج بحيث يتقدم فيه التوثيق أحيانا الدراسة أو تتقدم فيه الدراسة في حين آخر التوثيق .

٣ـ ففي حالة المعرض التوثيقي مثلا تتم أول الأمر الدراسة التوثيقية لاعداد المنهج ودليل المعرض بحيث يوثق فيه الفنان وأعماله الفنية بصورة كاملة ثم تعرض الأعمال ومن ثم توثق من جديد توثيقا سمعيا ـ بصريا فتصور اللوحات والمعرض نفسه تصويرا سينمائيا تسجيليا (فيديو) أو بشكل سلايدات وما الى ذلك وهكذا يأتي التوثيق الآن بعد المعرض .

ب ـ وفي حالة ـ النشرة الفصلية ـ مثلا تفرغ التسجيلات السمعية اولا وتلخص الملفات وربما تعمل من جديد بعض الاستبيانات لكي تعدّ للنشر في النشرة بشكل دراسات توثيقية . فالدراسة هنا تأتي بعد التوثيق .

جـ ـ أما في حالة ـ الدراسات الميدانية ـ والمسح الميداني التوثيقي فان نتائج الدراسة تأتي بعد تنفيذ المشروع وربما انطوى العمل في هذه الحالة الاخيرة على نظام الفرقة الواحدة أي تنفيذ الاعمال بشتي الصيغ في آن واحد (تصوير فيديو ـ تصوير فوتوغرافي ـ تسجيل حوار ـ توزيع استبيانات أو أسئلة الخ ..)

ان استراتيجية العمل هنا تأخذ بنظر الاعتبار اختبار الوسيلة الأكثر ضمانا للحصول على النتائج الايجابية بالنسبة لنوع العمل .

٧) الوحدات الثقافية

ماعدا (المكتبة الوثائقية) و (الدراسة) و (الدراسة الميدانية) التي تؤلف وحدات طبيعية للعمل . فان الوحدات المشخصة الاخرى كقنوات ضرورية هي ما يلي :ـ

أ ـ المتحف التوثيقي :ـ ويتألف من قاعة خاصة وخزانات لعرض المتلكات الوثائقية التي تخص الفنانين والنقاد أما محتويات هذا المعرض فمن المفروض ان تتألف مما يلي :ـ

١ ـ الرسائل الشخصية للفنان او مذكراته وما الى ذلك .
٢ ـ مسودات مؤلفاته التنظيرية (مخطوطاته ودفاتره) .
٣ ـ بعض الاشياء الخاصة به مما تصلح للتوثيق .
٤ ـ المراسلات الرسمية .
٥ ـ الصور الفوتوغرافية .
٦ ـ الصوت والصورة المسجلة سمعيا ـ بصريا (أفلام سينما ـ فيديو ـ صور فوتوغرافية الخ ...) .

(مثال : توجد لدينا ممتلكات مختلطة بالتوثيق المطبوع في الوقت الراهن)

أما شروط المتحف المثالية فكما يلي :ـ

١ ـ تكييف المتحف مناخيا لكي يحافظ على المعروضات من التلف .
٢ ـ اخضاع الوثائق لعملية صيانة وحفظ قبل اختزانها .
٣ ـ تزويد المتحف بالوسائل التكنيكية التي تساعد الباحث أو الزائر على التعرف على الوثائق (مثل السلايدات وأجهزة عرض سلايدات وما الى ذلك) .
٤ ـ تكون الممتلكات على نوعين (مخزونه) و (معروضه في معرض) .
٥ ـ يشتمل المتحف او يلحق به قاعة عرض أو قاعة محاضرات وأجهزة متنوعة .
٦ ـ يكون المعرض الوثائقي السنوي بالمعرض الفني الوثائقي من المشاريع المتعلقة بالمتحف .

ب ـ النشرة الفصلية (أو المجلة)

وهي وحدة متكاملة من حيث التنسيق بين نتائج الدراسات ولسان حال القسم من الناحية الثقافية والاعلامية بحيث تنشر فيها

كل الفعاليات التي تضمن استمرار العمل واستفادة المتهمين به . وتعتمد النشرة على ما يلي :ـ

١ ـ هيئة التحرير ـ باشراف مدير القسم وعضوية كل من المسؤول عن شعبة التوثيق والدراسات والدارسين (الباحث التوثيقي ـ الباحث الجمالي) .

٢ ـ تتألف مواد النشرة الاساسية من نوعين :

أ ـ الحقول الدائمة وهي التي تستمر في كل الاعداد بصورة منتظمة وهذه الحقول هي :

١ ـ الحوارات المسجلة بعد تفريغها كتابة ويستحسن نشرها بأقل تعديل ممكن من صيغتها اللغوية .

٢ ـ التقاويم التاريخية للتراجم الشخصية (   ) للفنانين أو النقاد التشكيليين .

٣ ـ الفهارس الضرورية لاستمرار الدراسات العلمية الفنية كدراسات اكاديمية سواء داخل العراق (اكاديمية الفنون ـ معهد الفنون) أو خارجها (المبعوثون) .

٤ ـ يمكن استحداث مواضيع توثيقية أخرى .

ب ـ الحقول المؤقتة (الأخرى) ـ وهي دراسات جمالية او اثنولوجية تعتمد على التوثيق أو على ما ينجزه المتفرغون . وربما ضمن هذه الحقول ما يلي :ـ

١ ـ الدراسة الجمالية أو الاثنولوجية .

٢ ـ مقالات أو فصول مؤلفة مما يؤلفه المتفرغ في القسم .

٣ ـ نقد للكتب الفنية خاصة من الناحية التوثيقية .

٤ ـ الاخبار الفنية المحلية والعربية والعالمية .

٣ ـ كما يتم التنسيق ما بين القسم ومديرية الثقافة الفنية في الدائرة بخصوص الطبع وما الى ذلك .

٤ ـ وفي حالة عدم امكانية استقلال النشرة يخصص لها ملف في المجلة التي تصدرها الدائرة وباسمها .

٥ ـ تنسيق شعبة التوثيق والدراسات مع باقي الشعب وتتعاون فيما بينها لاخراج ـ النشرة بحلة قشيبة .

جـ ـ المعرض أو المعارض الوثائقية

وتتألف الوحدة الثقافية لهذه المعارض من ابعاد المشروع نفسه وهو الذي يقوم بتنظيم المعارض الفنية التوثيقية لضمان (ديناميكية) البحث وتعتمد هذه المعارض على ما يلي :ـ

١ ـ يؤخذ بنظر الاعتبار التنسيق مع مدير المعارض ومديرة القاعة (قاعة الواسطي) واعتبار القاعة مختصة بالتوثيق الفني عموما .

٢ ـ يحرص القسم على اقامة المعرض الوثائقي السنوي والمعارض الفصلية الفنية كجزء من الخطة العامة .

٣ ـ يراعى عند اختيار الأعمال ما يلي :ـ

أ ـ اختيار الأعمال بدقة وفي حالة المعرض الفني من معرض اللوحات في المتحف الوطني أو مجموعات الهواة .

ب ـ يعمل كراس (دليل معرض) توثيقي يراعى فيه عمل (بايوغرافي تفصيلي) عن الفنان وشروح مستفيضة عن اللوحات .

جـ ـ يقدم الدليل بمقدمة نقدية مناسبة .

د ـ يفاتح بعض المعنيين للحصول على الوثائق لانجاز المعارض التوثيقية .

٨) المرافق التي يشتمل عليها القسم أو التي يشغلها

١ ـ الادارة وأماكن عمل الموظفين في غرف مهيئة لطبيعة منجزاتهم :

أ ـ مكتب مدير القسم

ب ـ مكتب الكاتب (ذاتية القسم)

ج ـ جناح التوثيق والتوثيق المطبوع

د ـ جناح التوثيق السمعي والبصري

٢ ـ المكتبة الوثائقية (قاعة لحفظ الوثائق)

٣ ـ المكتبة (قاعة للكتب)

٤ ـ استوديو السمعي ـ البصري .

١ ـ غرفة للتسجيل السمعي والانصات

٢ ـ غرفة للاستوديو السينمائي والتسجيلي

٣ ـ الغرفة المظلمة للتصوير الفوتوغرافي .

٥ ـ قاعة للمطالعة والتأليف مفصولة عن قاعة المكتبة الوثائق .

٦ ـ متحف لحفظ الممتلكات الوثائقية .

٧ ـ قاعة عرض لتنظيم المعارض الوثائقية أو الوثائقية ـ الفنية .

٨ ـ مخزن عام للقسم .

٩ ـ كافتريا (ان أمكن)

١٠) الدراسات التوثيقية / الخطط التفصيلية

الموضوع / خطة العمل السنوية

(١) النشرة الفصلية

وتتألف الحقول الدائمة فيها على مما يلي :ـ

أ ـ تفريغ الحوارات التسجيلية لكي تنشر بكاملها في النشرة .

ب ـ استخلاص (البياغارفيا) للفنانين وحسب السنوات فهو أشبه بالتقويم التاريخي من هذه الناحية . وهذا الموضوع يعتمد على دراسة الباحث للملفات وتدوين تقرير (خطة عمل) يستكمل من خلالها الالمام بالموضوع من كافة اطرافه . فهو يعتمد على كتابة استبيان جديد يوزع على الفنانين والنقاد وعلى دراسة الملفات ثم على امكانية عمل مقابلات مع الفنانين يسجل فيها البايوغرافي التفصيلي من جديد .

جـ ـ هذا بالاضافة الى حقول أخرى تستحدث في المستقبل .

د ـ الاخبار الفنية المحلية وتستخلص من الجرائد والمجلات (في المكتبة الوثائقية) .

هـ ـ الاخبار العالمية وتستخلص من المجلات العربية والعالمية (في المكتبة الوثائقية) .

و ـ خلاصات ونقود على الكتب والمؤلفات في الفن التشكيلي .

ملاحظة : يتولى العمل ثلاث موظفين

١ ـ الاول للحوارات

٢ ـ الثاني ـ لعمل البياغرافيا والبيلوغرافيا .

٣ ـ الثالث ـ للاخبار الفنية والعالمية والعربية .

٤ ـ النقد الفني يظل بتكليف لاحد النقاد وقد يقوم به مدير التوثيق والدراسات نفسه ان كان فاقدا .

× أما الحقول الاخرى فتستحدث من انتاج الدراسات المتفرقة في القسم حول جمالية الفن العراقي (يستكتب فيها مؤلفون مختلفون يكلفون بعدت دراسات معينة كما يلي :

أ ـ في علاقة علم الآثار بالفنون التشكيلية

ب ـ في علاقة العلوم الاخرى بالفن التشكيلي

جـ ـ في علاقة الفن بالتراث .

(٢) ـ المعرض التوثيقي (قاعة الواسطي)

ويعتبر هذا المعرض خاصا بالممتلكات التوثيقية فقط ويقام بصورة دورية مرة في العام الواحدة .

(٣) المعارض الفنية ـ الوثائقية ـ وهي بمعدل معارض فصلية تقام كل ثلاثة شهور وذلك نظرا للمدة التي تستغرق في عمل الدليل التوثيقي لكل معرض بصورة تفصيلية . ويؤخذ بنظر الاعتبار في هذا الدليل انجاز ما يلي :ـ

أ ـ البايوغرافي التفصيلي عن الفنان

ب ـ التفاصيل الكاملة عن اللوحات الفنية التي يتم اختيارها للمعرض

جـ ـ يتم لهذا الغرض تقديم (خطة عمل) يساهم في تنفيذها القسم بكافة شعبة (المكتبة الوثائقية ـ التصوير والسينما)

(٤) يتم الاتصال ببعض المتخصصين (من المتفرغين خاصة) وقد يستحصل لهم التفرغ لهذا الغرض وذلك بقصد انجاز دراسات جمالية عامة في المواضيع التالية مثلا :ـ

١ ـ علم الآثار والفنون التشكيلية

٢ ـ النقد الفني التشكيلي

٣ ـ تاريخ الفن العراقي

٤ ـ الفن التشكيلي والتراث

٥ ـ جمالية الخط العربي

٦ ـ الفنون التطبيقية المعاصرة في العراق

٧ ـ الفنون الحرفية مابين الماضي والحاشر في العراق

٨ ـ تطور الفلكلور التشكيلي في العراق

٩ ـ القيم الجمالية في الفكر العربي المعاصر وعلاقتها بالفكر العربي عبر التاريخ .

(٥) عمل دراسات على التوثيق السمعي ـ البصري وبشكل افلام تسجيلية (فيديو كاسيت) منها النشرة الفصلية السمعية ـ البصرية . لتغطية المنجزات الفنية وسواها .

التوثيق السمعي والبصري

الموضوع : الخطة السنوية

تتألف فعاليات هذه الشعبة من ثلاث قنوات كما يلي :ـ

١ ـ القناة السمعية ـ البصرية معا (أي التسجيل السينمائي على الكاسيت (فيديو) و (التسجيل على الشريط)

٢ ـ القناة السمعية فقط ـ أي التسجيل على الكاسيت

٣ ـ القناة البصرية فقط ـ أي التصوير الفوتوغرافي وعمل الشفافيات (السلايدات) وبالنسبة للخطة السنوية لهذا العام فان بالمستطاع انجاز ما يلي :ـ

١ ـ عمل فلم كاسيت (يستغرق (٣٠) دقيقة على الاكثر) لتغطية كافة الفعاليات الفنية المنجزة خلال مدة تتراوح ما بين (١ ـ ٣) شهور

٢ ـ عمل أفلام توثيقية لبعض الفنانين العراقيين (خاصة الطاعنين في السن) بمعدل (٣) أفلام في السنة .

٣ ـ نقل بعض الحوادث التوثيقية من أفلام سينمائية الى أفلام تسجيلية (فيديو كاسيت) ويتم ذلك في الأستوديو .

٤ ـ عمل تسجيلات صوتية (كاسيت) بزيارة بعض الفنانين والنقاد التشكيليين (بمعدل ١٠ تسجيلات في السنة) .

٥ ـ استكمال التوثيق السينمائي (فيديو) على المعارض الفنية والمهرجانات والمناسبات الفنية المختلفة .

٦ ـ عمل الصور الفوتوغرافية والسلايدات (في حالة امكانية شراء الخامات) بمعدل (٥٠) فلما تصويرا و (٥٠) فلم سلايدات في العام .

التوثيق المدون المطبوع

الموظوع : خطة العمل السنوية

١ ـ استكمال المسح الميداني في محافظات القطر بمعدل مسحين في السنة وبسبب الظروف الراهنة يقتصر على المحافظات القريبة من بغداد مثل (ديالى والحلة) .

٢ ـ استكمال توثيق المطبوعات من الصحف والمجلات ويؤخذ بنظر الاعتبار الحصول على أخبار ومادة التوثيقيق من صحف ومجلات عالمية ان امكن .

٣ ـ استملاك بعض الوثائق من الفنانين والنقاد والتشكيليين (خاصة الرسائل والصور الفوتوغرافية والتخطيطات والكتب الرسمية المطبوعة مثلا) ويتعلق هذا المنجز الاخير بمشروع عمل متحف دائم للتوثيق ضمن القسم .

٤ ـ توثيق الملصقات وأدلة المعارض كما هو في السابق .

٥ ـ توثيق الصحف والمجلات الأجنبية بعد ترجمتها الى اللغة العربية .

عرض الكتب والرسائل الجامعيّة

ونقدها


مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی



تاريخ المنازعات والحروب بين العراق وايران

تأليف : شاكر صابر الضابط
عرض : معتز صبحي عبد الحميد

تصدرت هذا الكتاب الضخم مقدمتان احداها للدكتور حسين امين الأمين العام السابق لاتحاد المؤرخين العرب والأخرى للدكتور سامي سعيد الاحمد أستاذ التاريخ القديم في كلية الآداب ومن خلال هاتين المقدمتين ندرك الأهمية التاريخية التي ينطوي عليها هذا الكتاب .

لقد سبق للاستاذ المؤلف أن أصدر سنة ١٩٦٦ كتابا تناول فيه مشاكل الحدود مع ايران ، ولعل أول بحث علمي يضع أمام العراقيين مكامن الخطر ، وينبههم على مواطن الشر ليشمروا عن ساعد الجد واليقظة ، وليبادروا ـ ومن ورائهم العرب ـ الى تعبئة الجهود وتوحيد الصف والهدف مهما كلف ذلك من تكاليف .

ان تاريخ الاعتداءات الفارسية على العراق قديم جداً وهناك اشارة تاريخية تشير الى أن ملك كيش حمل على بلاد عيلام سنة ٣٢٠٠ ق . م . للرد على اعتداءاتهم والتي تميزت بسمات بارزة حصرها المؤلف في بعض فصول الكتاب وأجملتها المقدمة الثانية وفق هذا البيان :ـ

١ ـ أن الحضارة الفارسية ظلت معتمدة على الحضارات العراقية القديمة .

٢ ـ العراقيون عاشوا أصحاب رغبة دائمة في العيش بسلام مع جيرانهم الايرانيين .

٣ ـ افتقار المقاتل الفارسي الى المقدرة القتالية وتعطشه الى سفك الدماء ونشر التخريب .

٤ ـ حرص الايرانيين الدائم على التدخل في شؤون العراق .

٥ ـ انتهاز حكام ايران وشاهاتها أي اضطراب داخلي في العراق لمهاجمته وتخريب المدن وقتل أبناء المدن الحدودية .

٦ ـ حسن المعاملة التي أبداها الحكام العراقيون لبلاد عيلام وما جاورها من بلاد فارس واهتمامهم بمعابد آلهتهم وتعمير مدنهم واسباغ النزعة الانسانية على معاملاتهم معهم .

٧ ـ تعاون الايرانيين الوثيق ـ وبصورة دائمة مع الأقليات الحاقدة في البلد ابتداءً من يهود السبي البابلي ومروراً بحقب التاريخ والى يومنا هذا .

٨ ـ عدم توقف الايرانيين في حقدهم على العراقيين [illegible] في الوقت الذي كان فيه العراقيون يضربون أطيب الامثلة في النزعة الانسانية والتسامح وروح الجوار .

* الباب الأول *

في الحقيقة أن المؤلف الفاضل قسم كتابة الواسع هذا الى ثلاثة أبواب وبعد ذلك عمد الى تقسيم كل باب الى عدة فصول ، ورغم تشبعها وغزارة المعلومات وكثرة المصادر التي حشدها المؤلف بين يدي بحثه فقد استطاع أن يمسك بخيوط المواضيع وأن يتوصل مع القارىء الى نتائج حاسمة ايجابية تتسم بالدقة والأمانة وهدوء التفكير .

ولقد ضمت فصول هذا الباب موجزاً لتاريخ الفرس يليه موجزاً في تاريخ عرب العراق والموجات الثلاث التي نزحت من الجزيرة العربية

من شمالها الشرقي خلال الألف الثالث قبل الميلاد ، وقد كانت أولى هذه الموجات الثلاث جماعة مسلم صاحب مدينة كيش (تل الاميجر) قرب المسيب ، والموجه الثانية موجهة الاكديين ، أما الثالثة فقد عرضها المؤرخون باسم سلالة الأولى وقد جاءت قبيلتها من أعالي الخابور وانحدرت الى الجنوب حتى مدينة بابل .

واستعرض هذا الباب ابتداء الحروب التي اعتادت (فارس) شنها على أراضي العراق منطلقة من الروح التوسعية الاستعمارية لدى حكامها ، فقبل سقوط بابل جرت عدة مجابهات ، وبعد سقوط بابل كانت هناك وقائع تاريخية نادرة امتدت حتى ظهور الاسلام وانتشار دعوة الدين الحنيف ، ثم معركة القادسية الخالدة التي كانت من المعارك الحاسمة في تاريخ هذه المنطقة العربية ، وقد جاءت لتزيل التسلط الفارسي الأجنبي وتخمد نيران المجوس والى الأبد في ديار الرافدين . وعلى اثر الانتصار الساحق قلت الهزائم على اشياع هرمز وكسرى ورستم فما قامت للوثنية قائمة بعد ذلك التاريخ ، ودخلت راية التوحيد بلاد فارس واستقرت شعوبها تحت ميزان العدل الاسلامي وشريعة التوحيد ، فهل ارضىٰ ذلك دهاقين الزرادا شتية والبابكية والمزدكية والمانوية والتيارات السوداء الاخرى ؟ ...

بالطبع لا ... فلقد عادت أفاعي الجحيم لتتآمر على السيادة العربية بشكل حركات باطنية غامضة لا تقل سوداوية وحقداً عن الماسونية في العصر الحديث ، عادت لتهدم الاسلام من داخلل قلاعة بخلق الفتن ونشر الطوائف وابتداع الأفكار الخبيثه ، ومحاولة تفسير آيات الكتاب الكريم تفسيراً باطنيا يبعد بنصوصه عن مدلولها الشرعي .

ومن الأديان التي شرحها الباحث مما ساد في بلاد ايران قروناً طوالاً (الديصانية) وهي تنسب إلى مؤسسها ابن ديصان الذي دعا الى تثنية القوى في الوجود : النور والظلام وملتقى أتباعه في خراسان . و (المرقيونية) نسبة الى واضعها الذي دعا هو الآخر الى اعتناق العقيدة الثنائية مضيفاً اليها فيما بعد قوة ثالثة هي التي مزجت وكونت هاتين القوتين ، كما ظهرت عقيدة الطبيعيين ومبدأ التناسخ وفكرة الحلول وعقائد الدهريين والزنديقية والخرمدينية والزروانية الى غيرها مما لا يقع تحت حصر وتقييد .

* الباب الثاني *

وقد تناول فيه مجملاً للعلاقات التي سادت بين الفرس والعرب حيث أن الفرس كانوا على تماس دائم مع العرب لمصلحتهم التجارية ، وقد كانت تجارتهم تجري عبر الجزيرة العربية بمعونة عرب امارة الحيرة ، وكانت لهذه الامارة واجبات اخرى منها منع هجمات وغارات عرب الجزيرة من التوغل الى سواد العراق وكان لملوك الحيرة أجر لقيامهم بتأمين سلامة القوافل التجارية ، وهم يرافقون القافلة مع اتباعهم عند عبورها الجزيرة ، كما أن الفرس كانوا يدفعون الجزية الى بعض العشائر العربية في الجزيرة لأجل عدم تعرضهم الى هذه القوافل وهذه الجزية تدفع بواسطة ملوك الحيرة ايضاً ..

كان ملوك الحيرة على منزلة من السمعة والرفعة لدى الفرس والعرب في آن واحد وإن كانوا تحت نفوذ الفرس ولا يقصد منه أن هؤلاء الملوك قد نبذوا عاداتهم وتقاليدهم العربية الحميدة وسجاياهم القومية الطيبة ، بل كانوا يحفظون التوازن بين العرب والامبراطورية الساسانية ، هذه المنزلة والرفعة هي التي مكنت النعمان بن المنذر من اقناع رؤساء بعض العشائر العربية بالوقوف معه بوجه الفرس فيما اذا غدر كسرىٰ به كعادته في الغدر . وفعلاً جرت معركة فاصلة بين الطرفين سميت بمعركة ذي قار . وهذه المعركة لها مغزاها الخاص فهي معركة بين الحق والباطل ، بين الاخلاق الحميدة والرذيلة ، بين الكلمة العليا والسفلى ، معركة بين العرب والفرس .

* الباب الثالث *

تناول الشعوبية الفارسية التي استهدفت ازالة المجد العربي ومحو الحضارة العربية من خارطة تاريخ الانسان ، والتي استهدفت رد الدعوى الاسلامية وحسر تيارها لحساب الشعوبية السوداء ، كما تناول أهم الحركات المسلحة التي سعت للنيل من القيادات العربية كثورة الراوندية ومحاولة قتل الخليفة العربي أبي جعفر المنصور وثورة استاذ سيس وتمرد الازارقة وثورة المختار الثقفي اضافة الى الثورات التي اتشحت بالمسوح الدينية السوداء كحركة الحمزية وثورات المقنعة والخرمية والزنج والقرامطة والخرمية والبابكية والاسماعيلية .

وفي الحقيقة فان الشعور القومي الفارسي كان موجوداً لدى كل فارسي أكان قد أسلم او لم يسلم منذ فتح القادسية ، كما أن كرههم للعرب وحبهم لرجوع الحكم الى الفرس كان من أمنيات هؤلاء الفرس ، وهناك من الفرس من لا يزال على دينه القديم وان كانت دولتهم قد زالت أو أسلموا ، ولكن لم يستقر الايمان في ضميرهم ، فهم يسعون الى احياء دين زرادشت ورجوعه كدين للأمة والدولة الفارسية مرة ثانية .

ولقد حظيت الشعوبية باهتمام كبير من لدن المؤخرين القدامي والمعاصرين ومجمل القول فيها أنها :ـ الحركات السرية التي تتظاهر بالاسلام ، أو الاتجاهات التي تحاول نسف الاسلام والحضارة العربية العربية من الداخل ، ثم ان الجهود التي بذلت لمسخ التراث العربي او لتشويه دور العرب في التاريخ ، يقول الدكتور عبد الله سلوم :ـ الشعوبية العنصرية ابتدأت دعوتها بالتستر بالاسلام ـ وقد استغل أتباعها آيات القرآن استغلالاً خبيثاً ووضعوا آراءهم ومعتقداتهم على أساس تأويل الآيات تأويلا يتفق وميولهم السياسية ومعتقداتهم الدينية وبذلك يمكن القول بأن الاسلام أثار تحدياً وحقداً لدى الشعوبيين ، كما أثار وعيهم وقدم مادة خصبة في النزاع بين العروبة والشعوبية .

فالشعوبية إذاً حركة فكرية اجتماعية قامت بها جماعات غير عربية بهدف ضرب الكيان العربي من خلال ثقافته وأرثه الحضاري ، وذلك بالتقليل من شأن اللغة العربية ومهاجمة التراث العربي الاسلامي والتشكيك بدور العربي التاريخي ، والاستهزاء بالقيم والمثل العربية والسجايا غير العربية واحياء الثقافات الأعجمية .

ولقد بدأ المثقفون الأعاجم بمحاولات جديدة للحفاظ على لغتهم من الضياع باذلين أمام ذلك كل غالٍ ونفيس سالكين الى مأربهم الخطوات التالية :ـ

١ ـ ترجمة التراث الفارسي الأدبي الى العربية .

٢ ـ التأكيد على التاريخ والثقافة الفارسية .

٣ ـ اظهار الأدب الفارسي بمظهر المتفوق على آداب العرب .

٤ ـ وضع مؤلفات جديدة تظهر أهمية العجم وتشيد بدورهم الحضاري .

٥ ـ الطعن بالعادات والتقاليد العربية ومحاولة الانتقاص من الشخصيات العربية .

٦ ـ الطعن في قادة الفتح العربي ونقلة الحديث النبوي الشريف .

٧ ـ التشكيك بالسنة النبوية تمهيداً للتشكيك بالقرآن الكريم .

٨ ـ الطعن بنزاهة رواة الحديث البنوي الذين نقلوا الاحاديث التي ترد فيها فضل العرب .



الأمير عبد القادر رائد الكفاح الجزائري

تأليف : الدكتور يحيى بو عزيز
عرض : كفاح كاظم الخزعلي

لم يكن هذا الكتاب ، الا امتداداً لسلسة البحوث التي عكف لاستاذ الدكتور يحيىٰ بو عزيز على انجازها والتي تتعلق بتاريخ الثورة الجزائرية بقيادة الامير عبد القادر الجزائري خلال القرن التاسع عشر .

في مقدمته للكتاب ، يؤكد مؤلفه أهمية موضوعه هذا ، بقوله : « رغم ما كتب عن الأمير عبد القادر ، وما نشر عنه من كتب ودراسات ، باللغة الوطنية والأجنبية ، فإن جوانب كثيرة من حياته ونشاطاته العسكرية والسياسية والدبلوماسية ، ما تزال بحاجة الى دراسة ، بسبب كثرة اتصالاته ، وسعتها ، وتنوعها ، مع جهات كثيرة ، وفي أصقاع متعددة من العالم ، مما لم يسمح للكتاب والباحثين أن يطلعوا عليها كلها ويقيّموها . وتأكد هذا الرأي وتدّعم بالدراسات ، والموضوعات الجديدة التي نشرت عنه بعد استقلال الجزائر عام ١٩٦٢ حتى في العالم الجديد الأمريكي » .

ضم هذا الكتاب بين دفتيه خمسة أقسام ، وبلغ عدد صفحاته ثلاثمائة وست وستون صفحة من الحجم المتوسط ، وأصدرته الدار العربية للكتاب في تونس عام ١٩٨٣ .

تناول القسم الأول من كتابه الذي كان عنوانه (الأمير الفتى) ، نشأته ومكوناته الاولىٰ واستقاءه العلم من منبعين رئيسيين ، الاول في الجزائر والثاني من المراكز او الحلقات الدراسية في المشرق العربي أثناء ذهابه لاداء فريضة الحج . كما يتطرق الى الاحتلال الفرنسي للقطر الجزائري عام ١٨٣٠ وتأثير ذلك على شخصية الأمير عبد القادر وتحديد موقفه ازاء الاحتلال الاجنبي لوطنه ، فيعرض لنا السجل التاريخي لهذا القائد العربي في مقاومته للاحتلال الفرنسي .

وخصص الباحث القسم الثاني (الأمير البطل) ، في توضيح شخصيته ودهاؤه وشجاعته من خلال ذكر الشواهد التاريخية التي تعزز ذلك ، فيستعرض لنا دور الأمير عبد القادر في تشكيل جهازه الاداري وتنظيمه بمعاونه مجلس أعلىٰ عرف بمجلس الشورىٰ ضم أحد عشر عضواً من كبار العلماء والاعيان ، كما أوجد مناصب الوزارات التي عرفت (بالنظارات) ومنها الداخلية والخارجية والمالية والاوقاف والحربية . ولما كان نشاط الامير عبد القادر يتركز في وهران قسمها ادارياً الى ثمان مقاطعات لكل منها مسؤول اداري . كما اهتم الأمير عبد القادر بتنظيم قواته المسلحة ، فصنف جيشه

البالغ عدده خمسة عشر الفاً وثلاثمائة جندي الى ثلاث اقسام ، الخيالة ، المشاة ، المدفعية وجعل لكل صنف رئيسا ، وفي هذا القسم ، قدم لنا الباحث احصائية مفصلة وبالارقام حول عدد قواته في مختلف الصنوف ، كما أوضح لنا الباحث مدى اهتمام الامير عبد القادر بتشييد الحصول والمعاقل واقامة المصانع والمباني وانشاء السدود وترميم القلاع وبناء المدارس والقرى .

ويحدثنا الباحث في القسم الثالث (الأمير العالم) عن المنابع التي استقى الامير عبد القادر معارفة منها ، فدرس كتب العلم والفلسفة وتعمق في دراسة الفقه والحديث والفلك والجغرافية والتاريخ وفنون البلاغة واللغة والأصول وعلم الكلام ولم تشغله ظروفه السياسية والحربية عن مواصلته التدريس في المراكز والحلقات العلمية ، وله العديد من المؤلفات ، أورد ذكرها الباحث في هذا القسم وناقش ما ورد فيها من أفكار . كما يسلط الباحث الضوء على دور الأمير عبد القادر أثناء مقاومته للاحتلال الأجنبي من مدينة وهران في تأسيس العديد من المدارس والمعاهد العالية والمكتبات ، واتباع نظام معين في الامتحانات لمعرفة المتفوقين ومنحهم الجوائز المشجعة لهم .

وفي القسم الرابع ، الذي عنونه (الأمير الشاعر) ، قدم لنا مقاطع من قصائد الامير عبد القادر التي تصور واقع الوطن والشعب وتعطي صورة واضحة عن قوة شخصية وبسالة جيشه الفتي ، وتجسيمه لمظاهر تلك الوقائع الحربية التي خاضها ضد الاحتلال الاجنبي .

وفي القسم الخامس (الامير الدبلوماسي) الذي يعتبر أكبر فصوله حجماً حيث بلغ عدد صفحاته مائه وأربع وستون ، ضمت ملفاً هاماً لنشاط الأمير عبد القادر الدبلوماسي من خلال الرسائل والوثائق التي استطاع الباحث العثور عليها بعد فترة من البحث والتنقيب في دور المخططات . وهي تتناول مراسلاته مع البريطانيين عن طريق قناصلهم في طنجة ومدريد واقتراحه عليهم في استثمار ميناء تنسى مقابل الحصول على الاسلحة والذخائر الحربية ، والشيء نفسه اقترحه على الحكومة الامريكية ، ويصل الباحث الى نتيجة من خلال هذه المراسلات تتعلق بتفهم الأمير عبد القادر للصراع الدولي القائم آنذاك بين الدول الاستعمارية وبشكل خاص فرنسا وبريطانيا وسعيه للاستفادة منه الى أبعد حد في كفاحة ، كما حاول الاتصال بالاسبان ، مستغلاً رغبتهم في الدخول في حلبة الصراع والتنافس الاستعماري مع فرنسا في اقليم الريف المغربي والمنطقة الوهرانية الجزائرية ، ولكن هذه الرغبة لم تتخذ اطارها الفعلي وذلك لكون اسبانيا في هذه الفترة لم تكن تملك القوات العسكرية الكافية . لذا كان موقها متردداً واتخذت أسلوب المماطلة في علاقتها مع الأمير عبد القادر ، ويستعرض الباحث هذه المراسلات التي بلغ ملفها ثلاث وعشرين رسالة امتدت خلال الفترة بين شهرين نيسان وأيلول من عام ١٨٤٧ . كما تناول القسم نفسه علاقات الأمير عبد القادر مع القوى المتجاورة وبشكل خاص علاقاته مع تونس التي توضح موقفه من الأحداث السياسية في تونس وعلاقته ببایاتها وموقفهم من ثورته من خلال اعتماده على الرسائل الوثائقية بين الامير عبد القادر وبايات تونس .

ويختم الباحث كتابه بتقديم قائمة بالمراجع العربية والفرنسية وعدد من الصور المعاصرة لفترة الامير عبد القادر .

لباس الحرب عند المقاتل العربي حتى نهاية العصر العباسى

تأليف : ابراهيم سرحان الشمري
عرض : رفاد جاسم السامرائي

احتلت الأمة العربية مكانة حضارية مرموقة بين حضارات الأمم الأخرى منذ نشأتها كقوة لها وزنها السياسي والعسكري ابان القرن الثامن ق.م. فكان يحسب لها حساب عند الأمم العريقة المعاصرة لها والتي استوطنت العراق القديم وسوريا كالبابلية والأشورية والأرامية وتجلى ذلك بالدخول مع تلك الأمم في صراعات وأحلاف .

لقد أفصحت الدراسات والتنقيبات الحديثة التي أجريت في بعض مناطق شبه الجزيرة العربية في السنوات الأخيرة من هذا القرن عن حضارة أصيلة دحضت كل ما تجني به بعض المستشرقين الحاقدين والكتاب الشعوبيين على العرب وحضارتهم . ولا شك فان من مجمل المنجزات الحضارية التي برع بها العرب هي الأسلحة بمختلف أصنافها . فقد أستأثر هذا الجانب الحضاري بحب العرب منذ أقدم العصور فكانوا يفخرون بمعداتهم الحربية ويقدسونها لأنهم يصدون بها أعداءهم .

وكانت أحاديث السلاح من الأحاديث المألوفة في مجالسهم وهذا ما نراه مجسداً في أشعارهم وأقوالهم المأثورة التي امتلأت بها بطون الكتب الأدبية والتأريخية القديمة .

لقد عرف العرب أنواعاً مختلفة من الأسلحة الهجومية والدفاعية وكان من ضمن تلك الأسلحة الدفاعية التي استعان بها العرب قابلة فى حروبهم الملابس الحربية الواقية ، أى المصنوعة من مواد قابلة على رد أسلحة العدو وحماية مرتديها كالجلود والمعادن والتي غلب عليها الحديد .

كما لم يقتصر العرب على ارتداء تلك الملابس في الحرب بل خرجوا أحياناً الى ساحات الوغى بملابسهم الاعتيادية المصنوعة من الأقمشة المتيسرة لديهم .

ولا بد أن نشير الى أن الملابس الواقية كانت تشكل دوراً مهماً في حياة المقاتل فهي حصنة وحاجز الموت عنه ، أما بالنسبة للملابس غير الواقية أي الاعتيادية فلم يكن لها دور في الحماية والوقاية .

أما بخصوص مواضيع الرسالة فقسمت على ستة فصول ، مُهد للفصل الأول بدراسة أوضاع العرب السياسية والعسكرية ، وبداية ظهور أولى الزعامات العربية التي صار لها وزنها السياسي وتأسيسهم لبعض الحواضر والممالك المهمة في مناطق مختلفة من شبه الجزيرة العربية ، وكذلك ذكر بعض التسميات الاجمالية للملابس الحربية .

ومما لا شك فيه فان العرب كانوا على معرفة ودراية بالملابس الحربية واستعانوا بها منذ نشأتهم وظهورهم على مسرح الأحداث السياسية والعسكرية شأنهم في ذلك شأن غيرهم من الأمم العريقة وظهر ذلك جلياً من خلال مصورات العرب التي جاءتنا من مخلفات الأمم الأخرى كالأشوريين مثلاً في شكل منحوتات وأختام اسطوانية اضافة الى ما نقلته الينا المدونات التاريخية والشعر الجاهلي . وتناول الباحث في هذا الفصل ملابس الرأس وخصصه لدراسة البيضة التي تعرف حديثاً بالخوذة ، وذلك من حيث تسميتها وأهميتها عند العرب وأشكالها وأجزائها وبعض الاضافات والمواد الداخلية في عملية الصنع وبعض المواد المرنة التي توضع تحتها لحماية مرتديها من أذى صلابة الحديد المصنوعة منه . ويبدو أن هناك أسباباً

ومبررات لتسميتها بالبيضة وقد انصبت هذه الأسباب على لونها وشكلها ومنها تشبيهها ببيضة الطائر (بيضة النعامة) . وأطلقت العرب على البيضة عدةٍ تسميات وربما أن كل تسمية تخص نوعاً معيناً من البيض يختلف من ناحية الشكل والصناعة ومنها الخيضعة والزنبعة والعرمة .

وعرف العرب أشكالاً مختلفة من البيض وكان الشائع منها الشكل البيضوي والمخروطي والمستدير أو نصف الكروي وللبيضة أجزاء مختلفة تشكل منها بدن البيضة وأجزاء أخرى أضيفت الى بدنها بعد اتمام صناعتها .

وصنعت العرب بيضتها بطريقتين الأولى تشكيل بدلها بتجميع عدة صفائح وتثبت هذه الصفائح بعضها الى بعض بمسامير أو باللحام ، أما الطريقة الثانية فهي طريقة السبك ، أي صهر الحديد المطلوب لصناعة بدن البيضة وصبه في قالب عمل لهذا الغرض .

أما الفصل الثالث فقد كرس لدراسة لباس آخر من ملابس الرأس هو المغفر ، أو الغفارة وهي لفظة مشتقة من الفعل غفر ، يغفر ، غفراً ، أي ستر الشيء فكل الشيء سترته فقد غفرته . وعرفه اللغويين بأنه زرد ينسج من الدرع على قدر الرأس .

فالمغفر من الألبسة الوقائية التي استعانت بها العرب في الحرب ويلبس تحت البيضة أحياناً زيادة في حماية الرأس وتحسباً في حالات سقوط البيضة عن رأس المقاتل نتيجة الحركة والمناورة أو خشية تصدع البيضة بضربة سيف قوية أو ما شابه ذلك فيقوم المغفر عندئذ مقام البيضة في حماية الرأس ، وهو لباس وقائي ثانوي أي كبطانة زردته تحت البيضة تمنع ضربات الأسلحة من الوصول الى رأس المقاتل فتقلل من أذاها .

وخصص الفصل الرابع لدراسة ملابس البدن ، وكرس للدرع بشكل عام . وقد استعانت العرب بنوعين من الدروع ، الدرع الأولى هي المصنوعة من الجلود ، أما الثانية فهي المصنوعة من الحديد ، والأخيرة كانت تشمل على أنواع مختلفة منها الطويلة « السابقة » والقصيرة « البتراء » والواسعة واللينة وغيرها . وان لكل نوع من هذه الدروع أسماء تميزها من حيث الطول أو القصر أو الليونة أو السعة كذلك وجود أسماء تخص مادة الصنع أو طريقة الصناعة . إضافة الى هذا فان هناك اسماء تنسب الى أماكن صناعتها أو الى أسماء صناعها . وهناك طريقتين لصناعة الدروع منها الدرع المصنوع من صفائح الحديد ، والثانية المنسوجة من حلقات صغيرة من الحديد أيضاً وهو ما يسمى بالزرد .

وقد اعتنى العرب بدروعهم عناية فائقة لأهميتها فهي وقاية الفارس وحاجز الموت عنه ووسيلته في الدفاع عن نفسه . فأهتموا بأدامتها وتنظيفها واستخدموا من أجل ذلك مادة عرفت عند أهل اللغة « الكسرة » وهي البعر وقيل الكرسدقين وتراب يدق ثم تجلى به الدروع .

كذلك استعانوا بالزيت في تنظيف وازالة صدأ الحديد العالق فيها وطليها بطبقة منه تعمل كعازل من تأثير الرطوبة والهواء وتجعل الزرد أكثر ليونة ومرونة .

واهتم العرب أيضاً بحفظ دروعهم ولم يتركوها عرضة للعوامل الطبيعية خشية الصدأ أو التلف واتخذوا من أجل ذلك أغلفة خاصة لحفظها عرفت بالجربان ومفردها جراب .

ولا شك أن الجربان كانت تصنع من الجلد على هيئة حقيبة .

أما الفصل الخامس فقد خصص لدراسة ملابس الأطراف المعدنية من حيث أولى استخداماتها عند العرب في الحرب وأهميتها في الحماية أضافة الى أنواعها فمنها ملابس خاصة للسواعد وأخرى للكف وملابس خاصة للقدم والساق .

حصل العرب على واقيات الأطراف لأول مرة إبان وبعد معركة القادسية ، ومع ذلك لم يكن الفرس وحدهم على دراية بها ، فمن المعروف أن الروم البيزنطيين كانت لهم دراية مماثلة بهذا الضرب من الألبسة الوقائية .

عرف العرب الواقيات في العصر الراشدي لكثرة الحروب والمعارك الأخرى التي خاضوها إبان معارك الفتح والتحرير العربي الاسلامي لأقاليم المشرق والمغرب واحتكاكهم المباشر بجيوش الأمم الأخرى المتمثلة بالفرس والروم ، حيث وجدوا أعداءهم يحصنون أطرافهم بالحديد . ولا شك فإن المقاتلين العرب قد غنموا من جملة ما غنموا سواعد وسيقان حديدية كثيرة سواء كان ذلك من الفرس أو الروم البيزنطيين .

ومن الطبيعي أن يقبل العرب على استعمال واقيات الساعد والساق والتي ثبت لهم فائدتها في المعارك خاصة منذ العصر الأموي .

لقد ازداد اهتمام العرب المسلمون بهذا اللباس من الناحية الفنية حتى أنهم أخذوا يزينوها بالمعادن الثمينة كالذهب مثلاً وذلك عن طريق الطلاء أو التكفيت . أما بشأن صناعة السواعد فإن الزرادين المتخصصين في هذه الصناعة كانوا يقومون بطرق المعدن الذي يعرض ثم يدار فيجعل بيضة أو ساعداً أو نحوه .

وفي الفصل السادس استعرض الباحث مجمل الملابس الاعتيادية غير المعدنية التي كان يرتديها المقاتل تحت أو فوق لامته الحربية أو يخرج بها بمفردها الى سوح القتال دون الملابس الأخرى .

وتصنع هذه الملابس من الصوف أو القطن أو غير ذلك وتعتبر مكملة للملابس الواقية أو تقي أضرار الملابس المصنوعة من الحديد على بدن مرتديها .

ومن هذه الملابس ، ملابس الرأس وإن من أهمها عند العرب وأكثرها شيوعاً هي العمامة والتي عرفها ابن سيره بأنها (اللباس الذي يلات على الرأس تكويراً وتسمى في بعض الأحيان بـ « العصابة ») .

وقد استعان العرب بها كلباس مساعد يعتمر بها تحت البيضة لتخفف من أضرارها على رأس المقاتل وتعمل كوسادة أسفل البيضة . وظلت العمامة قيد الاستعمال على مر العصور . واضافة الى العمامة فقد استعانت العرب بالقلنسوة مستقلة دون البيضة أو المغفر ، وللقلنسوة أهميتها الوقائية خاصة تلك المصنوعة من نسيج سميك محبوك مثل اللباد أو القماش المحشو أو الفراء المبطن وإن كانت لا تصل الى مرتبة البيضة المعدنية إلا أنها تساعد على اتقاء أو تخفيف ضربات السيف أو قد لا تنفذ من خلالها عضال السهام .

ومن الملابس الأخرى ، ملابس البدن ، إذ بات من الضروري أن ترتدي المقاتلة العرب لباساً مساعداً يعمل كبطانة تقلل من أذى تماس الدرع المباشر على الجسد ، فقد لجأوا الى ارتداء أدراعهم فوق ملابسهم الاعتيادية المتيسرة عندهم آنذاك ومن بين تلك الملابس القميص ، وكذلك الشليل ، جمع أشلة وهي الغلالة التي تلبس تحت الدرع من ثوب أو غيره . واستخدم القباء كلباس حربي يرتدى تحت الدرع يعمل كبطانة كما هو الحال بالنسبة للقميص . ومن الملابس الأخرى التي ارتداها العرب الإزار أو المئزر والسروال وثمة لباس آخر كانت العرب ترتديه هو البرنس والدراعة .


مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

مخطوطات
التأريخ والتراجم والسير
في مكتبة المتحف العراقي

تأليف : أسامة ناصر النقشبندي
ظمياء محمد عباس
عرض : نافع منجل الراجحي
كلية الآداب ـ جامعة صلاح الدين

تمهيـــد :

تُعدُّ فهرسة المخطوطات من أدقِّ الفنون المكتبيـة عملاً ، وأجلِّها قدراً ، ذلك ؛ لأنها تكشف عن خبايا كنرز العلم والمعرفة التي تقادم العهد على لبثها حبيسة في الخزائن والأقبية : مجهولة المعالم والمزايا ، مخبأ جوهرها ، مكتوما خبرها ، لا يُنتفع بها ، غير مصونة عن الاهمال والنسيان : لفقدان الدليل ، وانعدام محجة السبيل .

ويجيء الفهرس فينير مسالك السالكين ، ويأخذ بأيدي القاصدين الى خير مورد وأصفى مشـرب ، لينهلوا من ينابيـع تراثنـا المجيد الخالد .

ونقول : « الفنون » ، لأن الفهرسة فن تنظيمي ـ فضلًا عن كونها علماً من العلوم المكتبية الهامة ـ يقدم للباحث معلومات وافية موجزة عن المخطوط الذي يبغي التعرف عليه ، ويعنى به من أجل تحقيقه ونشره ، أو دراسته وتحقيقه ، كما في حالة الرسائل الجامعيـة ، أو الدراسة وحدها : كلٌّ حسب مهمته وغرضه المحدد .

وعندما يكون المُفهرس دقيقاً في عمله ، مُحققاً لما بين يـديه من معلومات تخص المخطوط ومؤلفه ـ فإنه بذلك النهج سوف يوصل الباحثين من أقصر المسافات وأيسر الطرق الى ما يعتزمون تحقيقه أو دراسته من مخطوطات هذا العلم أو ذاك .

وتلك مهمة لا تتأتى إلا لمن خبر أساليب التأليف . والتصنيف عند سلف هذه الأمة : ابتداء من عنوان الكتاب ، ومروراً بمقدمته فأبوابه وفصوله ومباحثه ، وانتهاء بخاتمته ، ولمن علم سُنن الشراح والمحشين والمصححين ، وفهم رموزهم ومختصراتهم وما يصطلحون عليه في كل عصر .

ومثل ذلك يصدق على المعرفة بأنواع الخط ، وطرق النساخين في الكتابة ، ونوعيات الورق . فهذه أهم وسائل مفهرسي المخطوطات وخبرائها .

إن تلك المعرفة التي ذكرناها ، لابد أن تكون وراءها خبرة طويلة ودربة ومراس ومتابعة . وكلما ازدادت هذه الأمور عتقاً كلما أثمرت عطاء أصيلا متقنا . وأينعت ثمراً جنياً يقتطفه المحققون الذين علموا ـ يقيناً ـ مقدار جهد المفهرس وقيمة عمله . ذلك ؛ لأنهم هم الذين أبلوا جدة الأيام يمحصون الكلمة ، والحرف ، بل الحركة . ويقلبون النظر مراراً وتكراراً في عبارة زاغت عن القصد نتيجة لسهو ناسخ أو عدوان آفة ... ويعملون الفكر ، ويراجعون المصادر أمـلاً في تقويم المعوج ، والتقاط الساقط ، وإدراك ما ندَّ عن قلم الناسخ ... أولئك الذين أفنوا جلَّ بريق أبصارهم ، واستفزوا بصائرهم ؛ لكي يخرجوا ما بين أيديهم من المخطوطات محققاً تحقيقاً علميـاً متقناً ـ ومن قبـل جهدوا في جمع النسخ ، وتوثيق عنوان الكتاب واسم مؤلفه ـ أولئك

هم الذين يقدرون جهد مفهرسي المخطوطات، فيغتبطون بعملهم، ويسرون لمعرفة كل جديد عن تلك الذخائر المخبأة.

وسوف نتلمس المعالم الواضحة لما قدمنا القول فيه، حينما تقلب صفحات فهرس «مخطوطات التاريخ والتراجم والسير» الذي صدر عن دار الحرية للطباعة ببغداد، سنة ١٩٨٢م. بـ (٦٢٤) ستمائة وأربع وعشرين صفحة؛ بضمنها نماذج مصوَّرة لصفحات منتقيات من واحد وعشرين مخطوطاً فريداً.

نبذة في محتوى الكتاب:

ينبلج هذا الفهرس مسفراً عن غرة (٩٧١) تسعمائة وواحد وسبعين مخطوطاً، تتوزع على (٦٤٦) ستمائة وستة وأربعين عنواناً. ذلك أن قسماً من هذه العناوين قد توافرت له أكثر من نسخة: إما اثنتان، أو ثلاث، أو أربع ... فمن تلك مثلاً: «دمية القصر وعصرة أهل العصر لأبي الحسن الباخرزي، المتوفي سنة ٤٦٧هـ» فهذا بأربع نسخ. وقد توافرت ست نسخ من «إيضاح الاشتباه في أسماء الرواه ـ لجمال الدين الحسن بن يوسف ... ابن المطهر الحلِّي، المتوفي سنة ٧٢٦هـ». وأما «ذات الشفا في سير النبي والخلفا ـ لشمس الدين محمد بن محمد ... العمري الجزري، المتوفي سنة ٨٣٣هـ». فقد اجتمعت له تسع وعشرون نسخة.

وإذا ما تأملنا المعلومات المذكورة بشأن ما طُبع ـ محققاً وغير محقق من تلك المخطوطات ـ فإننا نجد أن (٣٦٠) ثلاثمائة وستين مخطوطاً لم يُطبع بعد. ثم إن عدداً قليلاً، مما هو مطبوع، كان قد طُبع على الحجر، أو نُشر منذ زمن بعيد فأصبح أشبه بالمخطوط؛ لندرة وجوده، وعدم تحقيقه. وعليه فإن التصدي لنشره ـ محققاً ـ أمر مطلوب ومشروع لمن ينهض به.

أما عن أعمار تلك المخطوطات فقد جاء في مقدمة الفهرس (ص ٧) أنها «تنوعت بين قديم يعبق بروائح القرون الهجرية الأولى، وحديث قريب العهد بنا ...». ومن ذلك القديم ـ مثلاً ـ «طبقات الفقهاء ـ لأبي اسحق ابراهيم بن علي الفيروز آبادي، المتوفي سنة ٤٧٦هـ». فإن هذه النسخة قد كتبها عمر بن أحمد بن منصور سنة ٥٤٠هـ. أي بعد وفاة المؤلف بأربع وسبعين سنة. وعليها مقابلة. تُنظر (ص ٢٧١).

خصوصية المضمون:

لقد علمنا أن تلك المخطوطات هي في التاريخ والتراجم والسِّير، بشكل عام. أما إذا نظرنا إليها من حيث خصوصية مضامينها فإننا نرى أن كتب التاريخ تشمل التاريخ العام، قديماً وحديثاً، وسنذكر بعضاً منها لاحقاً. ونوع آخر يؤرخ لمدينة من المدن، مثل: «تاريخ واسط ـ لأسلم بن سهل الواسطيّ، المتوفي سنة ٢٩٢هـ» (ص ٩٥). وثالث يتناول تاريخ الامارات العربية، مثل: «تاريخ امارات العرب ـ لسليمان بن صالح الدخيل النجديّ، المتوفى سنة ١٣٦٤هـ» (ص ٧٩). ومنها ما يتحدّث عن ديانة من الديانات، مثل: «تاريخ الديانة اليزيدية ـ لدوَّاف بن اسحق الموصلي». (ص ٨٧). إلى غير ذلك من الموضوعات التي يتعرض لها المؤرخون.

فأما كتب التراجم فقسم منها يترجم لأعيان المجتمع العربي الاسلامي، بصرف النظر عن المكانة الاجتماعية أو العلم الذي برعوا فيه والأعمال التي مارسوها. ومن غير تقييد بحقبة ما. وإنما يتوقف أولئك المؤلفون عند أعتاب العصر الذين هم فيه، ذاكرين مشاهير الأعلام من الرجال والنساء، لا يتقدم بعضهم بعضاً إلّا كما يتقدم الألف على الباء، والجيم على الحاء ... الخ. ومنها «وفيات الأعيان ـ لابن خلكان»، وغيره.

وهناك نوع من التراجم تناول مؤلفوها حقبة محددة، مثل «إنسان العيون في مشاهير سادس القرون ـ لم يعلم المؤلف» (ص ٥٢). كما ترجم غيره لمشاهير قرونٍ أُخر: السابع، والثاني عشر، والثالث عشر. (ص ١٦٠، ١٧٥، ١٧٦).

وقد خصَّ مؤلفون آخرون جمهرة من الناس لمعوا بعلم من العلوم، أو عُرفوا بفنٍ من الفنون. فمن هذا الضرب كتب الطبقات، أمثال: «مختصر طبقات الأطباء ـ مجهول المؤلف» «وطبقات الشافعية ـ لأبي بكر الكوراني الحسيني، المتوفى سنة ١٠١٤هـ» «وطبقات الشعراء ـ لعبدالله بن المعتز، المتوفى سنة ٢٩٦هـ» «وطبقات المجتهدين ـ لابن كمال باشا، المتوفى سنة ٩٤٠هـ». وسوى ذلك تُنظر الصفحات (٢٦٩، ٢٧٠، ٢٧٢، ٣٦٤).

وتحظى كتب الأنساب بعدد غير قليل من مخطوطات التراجم.

وهي أيضاً تتنوع في معطياتها ؛ إذ يوجد ما يتطرق الى أنساب العرب عامة ، كما يوجد الذي يُعنى بنسب قبيلة ، أو أسرة من الأسر ، أو فرد من الأفراد ، أو عشائر إقليم بعينه . فمنها المشجرات وغير المشجرات . تنظر الصفحات (٢٥١ ، ٢٥٢ ، ٢٥٦ ، ٤٢٨ ، ٤٣٠ ، ٤٤١ ، ٤٤٢ ، ٤٤٣ ، ٤٤٦) .

وإلى جانب ذلك وجدت الكتب التي تتحدث عن مصنفات العلماء ، مثل : « الإسفار عن علوم الأسفار - لجميل بن مصطفى العظم الدمشقيّ ، المتوفى سنة ١٣٥٢هـ » « وكشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون » - لحاج خليفة ، المتوفى سنة ١٠٧٦هـ » وغيرها . (ص ٣٣ - ٣٣١) .

وأما كتب السِّير فهذه هي الأخرى قد تباينت أقلام مؤلفيها . فهنالك السِّير الدينية ، مثل : سيرة الرسول صلى الله عليه وسلم ، ولها عناوين مختلفة ، وقصص الأنبياء عليهم السلام ، وسير الصحابة والتابعين رضي الله عنهم .

وتمثل سير الفقهاء ، والعلماء ، ومشايخ الصوفية ، وغير هؤلاء جانباً من السير الفردية التي كتبت بأقلام آخرين جاءوا بعد أولئك في مختلف العصور .

ورافقت هذا وذاك السير الشعبية ، مثل : « سيرة ذات الهمة » (ص ٢٤٧) . وكذلك وجدت السيرة الذاتية ، وهي التي يكتبها المرء متحدثاً عن نفسه ، ومن هذا الضرب : « سيرة عبدالحميد الآلوسي » (ص ١٦٢) .

كما أننا لا نعدم السيرة التاريخية المشوبة بنفس أسطوري ، وهي تسرد لنا قصص وأخبار البطولات الفردية والجماعية وما يرافقها من حكايات ونوادر حصلت لرجال ونساء من شخصيات هذه السِّير .

ويطالعنا في مواضع هذا الفهرس ما ليس بنثر ، وإنما قصيدة أو أرجوزة . وهنالك أكثر من كتاب تاريخي ماهو إلّا شرح لقصيدة في التاريخ . وهذا نمط مألوف وفيه كتب مشهورة يعرفها من له اهتمام بالتاريخ والأدب .

وجدير بنا في هذا المقام أن نذكر قسماً من المخطوطات التي نشعر أنها حرية بعناية المحققين وبرِّهم إيَّاها ؛ لكي تنعم بالنور بعد ظهورها من غيهب طال مكثها فيه . لتحدثنا بأخبار القرون الخالية - بعيدها وقريبها - فتزيد معارفنا بشتى مناحي الحياة التي كان عليها المجتمع العربي الاسلامي على مر العصور . فربما تكشف هذه عن حقائق لم تسفر عنها الكتب المطبوعة . وهي على كل حال تكشف لنا قدرة مؤلفيها وفكرهم وغزارة علمهم .

١ - أحاسن المحاسن - لأبي اسحق ابراهيم بن أحمد ... ابن معالي برهان الدين الرَّقي ، المتوفى سنة ٧٠٣هـ . وهو مختصر لكتاب « صفوة الصفوة » لأبي الفرج عبدالرحمن بن الجوزي ، المتوفى سنة ٥٩٧هـ . (ص ١٤) .

٢ - أخبار بغداد وما جاورها من البلاد - لمحمود شكري الآلوسي البغدادي ، المتوفى سنة ١٣٤٢هـ .

يتألف هذا الكتاب من ثلاثة أجزاء : الأول في تاريخ العراق منذ دخله المسلمون ، والثاني : في تراجم رجال بغداد في القرنين الثاني عشر والثالث عشر الهجريين وسمي المسك الأذفر ، والثالث سمي مساجد بغداد . (ص ١٦ - ٢٠) .

٣ - أخبار الدول وآثار الأول - لأبي العباس أحمد بن يوسف الدمشقي الشهير بالقرماني ، المتوفى سنة ١٠١٩هـ .

طبع على الحجر سنة ١٢٨٢هـ ، وطبع بهامش الكامل لابن الأثير سنة ١٢٩٠هـ . (ص ٢٠) .

٤ - تاريخ دول الأعيان - لشهاب الدين أحمد بن محمد .. المعروف بابن أبي عذيبة أو بابن زوجة أبي عذيبة ، المتوفى سنة ٨٥٦هـ .

وهو شرح لقصيدة نظم الجمان في ذكر من سلف من الزمان التي نسبت لعبدالرحمن البسطامي ، المتوفى سنة ٨٤٣هـ . (ص ٨٣ - ٨٧) .

٥ - دلائل النبوَّة - لعماد الدين اسماعيل بن عمر ... المعروف بابن كثير الدمشقي ، المتوفى سنة ٧٧٤هـ . (ص ١٨٠) .

٦ - الذهب المنقوش في محاسن الحبوش - لأبي المعالي علاء الدين محمد بن عبدالباقي البخاري المكي ، كان حيا سنة ٩٩١هـ . (ص ١٩٦) .

٧ ـ ذيل مطالع السعود ـ لمحمود بن سلطان ... الشاوي الحميري ، المتوفى سنة ١٣٥٨هـ .

وهو كتاب في تاريخ بغداد منذ أيام علي رضا والي بغداد ومن وليها بعده ، وأخبار أصحاب المناصب العسكرية والادارية ، وما وقع من الحوادث حتى سنة ١٩٢٣م . (ص ١٩٨) .

٨ ـ ذيل ميزان الاعتدال في نقد الرجال ـ لعز الدين عبدالرحيم بن الحسين .. ابن ابراهيم العراقي ، المتوفى سنة ٨٠٦هـ .

وهذه النسخة بخط ابن حجر العسقلاني ، المتوفى سنة ٨٥٢هـ . وقد أضاف زيادات من عنده ، واستدرك عليها . وانتهى منها سنة ٨٣٩هـ .

٩ ـ روح الروح فيما حدث بعد المائة التاسعة من الفتن والفتوح ـ لعيسى بن لطف الله ... الحسيني اليمني الزيدي ، المتوفى سنة ١٠٤٨هـ .

وهو كتاب في تاريخ اليمن ابتداء من سنة ٩٠١ ـ ١٠٢٩هـ . في آخر الكتاب ذيل عليه لولد المؤلف جمال الدين صلاح بن عيسى ، انتهى فيه الى سنة ١٠٧٩هـ (ص ٢٢٠) .

١٠ ـ روضة الأخبار عن العالم والآثار ـ لحسين بن جعفر الموسوي ، المشهور بالمنجم البغدادي ، المولود سنة ١٢٤٩هـ .

وضعه المؤلف بعد عودته من الحج سنة ١٢٩٩هـ . ويُعد هذا الكتاب موسوعة في الجغرافية والتاريخ والآثار وعلم الأجناس وما يتعلق بهذه المواضيع ... (ص ٤٢٣) .

١١ ـ روضة المتنزهين وأنس الحاضرين ـ لتاج الدين أبي المفاخر عبدالغفور بن لقمان ... البراقيني ، المتوفى سنة ٥٦٢هـ .

وهو كتاب في نسب الرسول صلى الله عليه وسلم والراشدين وأهل الشورى رضي الله عنهم . (ص ٢٢٥) .

١٢ ـ سبك الذهب في علم النسب ـ لجمال الدين أحمد بن علي ... الحسني ، المتوفى سنة ٨٢٩هـ .

وهو في نسب بني هاشم ومن يتصل بهذا النسب الى فترة قريبة من عهد المؤلف . (ص ٢٣٧) .

١٣ ـ طبقات الحنفية ـ لعلي بن أمرالله بن الحنائي ، المتوفى سنة ٩٧٩هـ .

رتب هذا الكتاب على (٢١) طبقة في ذكر أصحاب الامام أبي حنيفة النعمان . (ص ٢٦٦) .

١٤ ـ عيون أخبار الأعيان ممن مضى من سالف العصور والأزمان (تاريخ الغرابي) ـ لأحمد بن عبدالله الغرابي المؤرّخ البغدادي ، وهو أول مؤرّخ بغدادي في العهد العثماني ، توفي سنة ١١٠٢هـ .

وهو كتاب في تاريخ العرب والأمم الأخرى ، وفي سيرة الرسول صلى الله عليه وسلم ، وأخبار الخلفاء في مختلف العصور الى عصر المؤلف . وقد أضيفت إليه حوادث السنوات من ١١٠٥ ـ ١١١٨هـ .

كتبت هذه النسخة عن نسخة دار الكتب المصرية . وقد اقتنى قسم المخطوطات ـ عام ١٩٨٧م ـ نسخة بخط المؤلف . (ص ٢٩١) .

١٥ ـ المحاسن المجتمعة في مناقب الخلفاء الأربعة ـ لعبدالرحمن بن عبدالسلام ... الصفوري ، المتوفى سنة ٨٩٤هـ . (ص ٣٥٥) .

ولا يتسع المجال لذكر جميع الكتب المهمة التي تحتاج الى النشر . ومنها مؤلفات الآلوسي . وقد يرى غيرنا أن مالم نذكره هو أولى بالنشر مما عرضنا لذكره .

منهج المفهرسين :

ونخلص من ذلك الى إيضاح المنهج الذي اتُّبع في اعداد هذا الفهرس . وأول ما نلاحظه هو ترتيب أسماء المخطوطات ترتيباً هجائياً ، وإعطاؤها أرقاماً تسلسلية تخص عدد المخطوطات التي احتواها الفهرس ، أي جميع النسخ (من ١ ـ ٩٧١) .

وقد ذكر الى جانب عنوان المخطوط اسم مؤلفه كاملاً ، وتاريخ وفاته بالتقويمين الهجري والميلادي . ويلي ذلك نبذة مقتطفة من أول المخطوط . ويأتي بعدها وصف المخطوط والتعريف بمادته .

ويدل ذلك العمل على دراسة متفحصة لاستخلاص المعلومات المطلوب تدوينها . ويعتمد هذا الجانب على خبرة المُفهرس وحذقه في انتقاء ما يُراد . إذ ليس بوسعه قراءة المخطوط كاملاً . فعندما يكون المخطوط سالماً من النقصان والآفات ، واضح العنوان ذائع الشهرة فإن هذا يوفر جهداً غير قليل للمفهرس . أما تلك التي ترد غفلاً من العنوان أو اسم المؤلف ، أو التي يعتورها النقص والاضطراب ... فهي التي تتطلب التدقيق والمعاودة .. وقد يستغرق العمل على أحدها ساعات أو أياماً ، لا يُكتفى خلالها بقراءة النص وحده بل يجب الرجوع الى فهارس المصنَّفات القديم منها والحديث ، وكذلك فهارس المخطوطات والمطبوعات من أجل الوقوف على ما يرشد الى تسمية الكتاب أو مؤلفه ، أو الترجيح بأنه لفلان . وربما ينتهي الأمر ـ بعد بذل الجهد ـ الى السكوت عمّا سلف ؛ لعدم العثور على الدَّالة .

وأحياناً يذكر الكتاب باسم غير الذي دوِّن على المخطوط . فيُشار الى هذا الاختلاف ، بعد توثيق العنوان واسم المؤلف . ومن أمثلة ذلك : « الأساس في مناقب بني العباس ـ للسيوطي » (ص ٣٠) . وكذلك « ارشاد السلوك (السالكين) فقد نسب الى أبي الفتح الواسطي ، المتوفى سنة ٥٨٩هـ » وجاء ذلك في ديباجة الكتاب ، واعتمده مُفهرس خزانة يعقوب سركيس . بيد أن المُفهرسين توصلا الى غير ذلك حيث قالا : « وحسب تحقيقنا أن مؤلف الكتاب هو شخص آخر غير الواسطي حيث ذكر المؤلف وفيات بعض الأعلام محصورة بين سنة ٦٠٤هـ/ ١٢٠٩م وسنة ٦٧٦هـ/ ١٢٧٧م . كما ذكر المستنصر بالله وترحم عليه . فلا يمكن أن يكون مؤلف هذا الكتاب هو الواسطي المتوفى سنة ٥٨٩هـ/ ١١٨٤م » . (ص ٢٦) .

وفضلاً عن ذلك فقد ذكرا نوع الخط ، وألوان المداد ، والزخارف ، والتذهيب ، ونحو ذلك من فنون تحلية المخطوط وتزيينه . ثم ذكرا اسم الناسخ وسنة النسخ ، عندما يوجد ذلك مدوناً في النسخة الموصوفة . وبعكس هذا يُعطى لزمن كتابتها تاريخ تقريبي ، حيث تُعزى الى عصر من العصور ، كأن يُقال : « ترقى الى القرن كذا » . اعتماداً على نوع الخط وطريقة الكتابة ... ورموز ومختصرات الأقدمين من المؤلفين والنسّاخ . وهي كثيرة لا يتسع المجال لايرادها .

ولم يغفلا ذكر الحواشي والسروح ، والاختام ، والتمليكات ، والقراءات ، والسماعات ، والاجازات ، والوقفيات ، والمقابلات ، وتقاريض العلماء . وكل شيء يمكن أن يضفي على المخطوط وضوحاً ، ويزيده تعريفاً . لكي يبدو ناصعاً بارز السمات لمن يطلبه . ناهيك عن ذكر النقص والاضطراب إن وجدا ، ووصف النسخة بأنها خزائنية جيدة نفيسة ، عندما تكون كذلك .

ويلي تلك المعلومات رقم المخطوط . وهو الرقم الذي يشير الى تسلسله في الخزانات ، وبه يُستخرج من مخبئه . والى جانب هذا دُونت القياسات (عدد الصفحات ، الأبعاد ، عدد السطور في كل صفحة) . ثم يأتي سرد الكتب والفهارس والدوريات التي ذكرت الكتاب مخطوطاً كان أم مطبوعاً . فإذا كان مطبوعاً يشار الى سنة الطبع ومكانه . وهل هو محقق أم لا . وكذلك يُذكر إن كان مطبوعاً على الحجر .

ومن ثم تُذكر النسخ الأخرى ، وتوصف وصفاً مقتضباً ، يعقبه الرقم والقياسات .

قول في المجاميع الخطية :

ومن مزايا هذا الفهرس أنه موضوع لا توجد فيه مجاميع . وهي نمط من التأليف شاع استخدامه في القرون المتأخرة . فقد جعل العلماء والمهتمون بالكتب يضمون عدة مواضيع بين دفتي مجلد واحد . ويبدو لي أن استخدام هذا النمط كان يرمي الى تيسير الاطلاع على جملة مواضيع ضمن مجلد يسهل حمله وتداوله . وربما كان ذلك مرتبطاً بالحركة التعليمية التي تعتمد تعدد المفردات الدراسية آنئذٍ .

والذي يعنينا هو اتباع المنهج الموضوعي ، حيث فُرِّقت تلك المجاميع على الموضوعات . وأُعطي كل موضوع رقماً يشير الى ترتيبه حيث كان موقعه من المجموع . لذلك نجد أن رقم المجموع وبعده خط مائل يليه رقم الموضوع المذكور عنوانه في الفهرس ، هكذا (١/٩٢٩٥ أو ٤/٢٧٨٧٠ ... الخ) فالرقم الذي يسبق الخط يتكرر في عدة فهارس : الأدب ، اللغة ، الطب ، التاريخ ... حسب المواضيع التي اكتنفها المجموع الذي يحمل ذلك الرقم .

وعندما يطلب الباحث موضوعاً ما يُؤتى بالمجموع وقد فُتح عند صفحة عنوان موضوعه بموجب الوريقة التي وضعت في ذلك المكان والتي يحمل طرفها الظاهر رقم الموضوع المطلوب .

وتذكرنا هذه المجاميع بضرب آخر من التآليف مشترك الفائدة ، كما هو الحال بالنسبة لطبقات الشعراء ، ودمية القصر وغيرها . فإن مثل هذه المخطوطات ترد في فهرس الأدب ؛ لأن قسماً من مادتها (الشعر والنثر) هو من صميم الأدب . أما القسم الآخر المتعلق بتراجم الأدباء ومن اتصلوا بهم فهو يدخل في موضوع التراجم . لذلك فهي تذكر ضمن فهرسنا هذا (التاريخ والتراجم والسير) لاحتوائها على فوائد من هذا النوع . وهي تحمل رقماً واحداً حيثما ذُكرت .

إن اتباع هذا المنهج سوف يتجلى عن فهارس متكاملة يعاضد بعضها بعضاً ، ويصبح قسم المخطوطات ـ بعد ذلك ـ قد جعل خزائنه تحت أنظار المتطلعين بأفئدتهم الى كنوز التراث العربي المشرق بكل أنواع المعرفة .

وإتماماً للفائدة وتيسيراً لمهمة الباحثين فقد زُوِّد الكتاب بأربعة فهارس ، كل منها مرتب على حروف المعجم . استخدمت فيها أرقام تسلسل المخطوطات في هذا الفهرس بدلاً من أرقام صفحات الكتاب ، وهي :

١ ـ فهرس الأعلام : وقد اشتمل على أسماء الأعلام الذين ذكروا في هذا الفهرس من مؤلفي تلك المخطوطات ونُسَّاخها ومتملكيها ، وغيرهم .

٢ ـ فهرس عناوين المخطوطات التي ذكرت في هذا الفهرس .

٣ ـ فهرس الأمكنة والبقاع .

٤ ـ فهرس أوائل المخطوطات : وقد تضّمن أوائل (٣٣٣) ثلاثمائة وثلاثة وثلاثين مخطوطاً . وهو استخدام غير مسبوق بنظير . ومَزيَّته أنه يفيد المفهرسين والمحققين في مقابلة أوائل ما بأيديهم من مخطوطات على هذه الأوائل ليتسنى لهم الاهتداء الى ما يتعلق بمخطوطاتهم ، من حيث العنوان ، والمؤلف ، والمضمون ... مما تضمنه هذا الفهرس من كتب سبق وصفها وتوثيقها . فقد تدل المقابلة على نسخ آخر أو تكشف الغموض الذي يلف نسخة ذهب عنوانها وجُهل مؤلفها ... وكذلك تفيد في عمليات البرمجة ، إذ يمكن أن يقوم الجهاز المُغذَّى بمثل هذه المعلومات ـ بفرز ماهو متفق من الأوائل التي تذكرها فهارس المخطوطات في العالم .

وقد ختم الفهرس بنماذج مصورة لصفحات منتقيات من واحد وعشرين مخطوطاً فريداً .



من نشاطات وتشكيلات الاتحاد العلمية



الاستاذ الدكتور النجار ينتخب عضواً دائماً
في الاتحاد العالمي للمؤرخين

تقديراً لاسهاماته العديدة في مجال حركة المؤرخين العرب وحركة التاريخ العربي فقد انتخب مؤخراً الاستاذ الدكتور مصطفى عبدالقادر النجار الأمين العام لاتحاد المؤرخين العرب عضواً دائماً في الاتحاد العالمي للمؤرخين ومقره الولايات المتحدة .

وبانتخابه يكون النجار أول مؤرخ عربي يحصل على عضوية الاتحاد العالمي للمؤرخين لعام ١٩٨٧ .

لقد تلقت هيئة تحرير مجلة المؤرخ العربي هذا النبأ الهام بسرور كبير كونه اعتراف عالمي بالمكانة الرفيعة للمؤرخين العرب بصورة عامة وللاستاذ الدكتور النجار بصورة خاصة وهي تغتنم هذه الفرصة لترفع الى سيادته خالص التهاني القلبية للمكانة التي احتلها بجدارة ونتيجة لجده وكفاحه الطويل خدمة لقضايا الأمة العربي ولتاريخها المشرق المجيد متمنين له ولاتحاد المؤرخين العرب المزيد من التوفيق والنجاحات المتواصلة .

هيئة تحرير مجلة المؤرخ العربي
بغداد في السادس عشر من تموز ١٩٧٨

أ ـ تشكيلات الاتحاد في مجال النشر :

أولاً : الهيئة العربية العليا لكتابة تاريخ الأمة العربية :

١ ـ الدكتور محمد عدنان البخيت	ممثل	مشروع كتابة تاريخ بلاد الشام المملكة الاردنية الهاشمية
٢ ـ الدكتور عبدالجليل التميمي	ممثل	مشروع كتاب التاريخ العثماني الجمهورية التونسية
٣ ـ الدكتور عبدالرحمن الأنصاري	ممثل	كتابة تاريخ الجزيرة العربية المملكة العربية السعودية
٤ ـ الدكتور نبيه عاقل	ممثل	لجنة كتابة تاريخ العرب الجمهورية العربية السورية
٥ ـ الدكتور سلمان سعدون البدر	ممثل	هيئة كتابة تاريخ الأمة دولة الكويت
٦ ـ الدكتور صالح أحمد العلي	ممثل	هيئة كتابة تاريخ الأمة العربية الجمهورية العراقية
٧ ـ الدكتور محيي الطاهر الجراري	ممثل	مؤتمر تاريخ الأمة العربي الجماهيرية العربية الليبية الشعبية الاشتراكية

ثانياً : لجنة تعضيد المنشورات التاريخية :

١ ـ الدكتور فاضل عبدالواحد (رئيساً)
٢ ـ الدكتور حسن فاضل زعين
٣ ـ الدكتورة رجاء حسني الخطاب
٤ ـ الدكتور صباح ابراهيم الشيخلي
٥ ـ الدكتور عبدالأمير عبد دكسن
٦ ـ الدكتور فاروق عمر فوزي
٧ ـ الدكتور هاشم صالح التكريتي
٨ ـ الدكتور يحيى الشاهرلي
٩ ـ الدكتور محمد جاسم حمادي المشهداني (مقرراً)

ثالثاً : اللجنة الاستشارية للمنشورات التأريخية

١ ـ الدكتور محمد عبده حتامله	المملكة الاردنية الهاشمية
٢ ـ الدكتور سلطان القاسمي	دولة الامارات العربية المتحدة
٣ ـ الدكتور سعيد خليل هاشم	دولة البحرين
٤ ـ الدكتور محمد الهادي الشريف	الجمهورية التونسية
٥ ـ الدكتور محمد البشير شنيتي	الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
٦ ـ السيد سعيد أحمد ورسمه	جمهورية جيبوتي
٧ ـ الدكتور يوسف الثقفي	المملكة العربية السعودية
٨ ـ الدكتور أحمد ابراهيم ذياب	جمهورية السودان الديمقراطية
٩ ـ الدكتور أحمد سعد الدين طربين	الجمهورية العربية السورية
١٠ ـ الدكتور خضر جاسم الدوري	الجمهورية العراقية
١١ ـ الاستاذ علي أحمد الشنفري	سلطنة عمان
١٢ ـ السيد أحمد العناني	فلسطين
١٣ ـ السيد سلطان جاسم جابر	دولة قطر
١٤ ـ الدكتور عبدالمالك التميمي	دولة الكويت
١٥ ـ الدكتور عمر عبدالسلام تدمري	الجمهورية اللبنانية
١٦ ـ السيد عبدالله علي ابراهيم	الجماهيرية العربية الليبية الشعبية الاشتراكية
١٧ ـ الدكتور محمود متولي	جمهورية مصر العربية
١٨ ـ الدكتور محمد المختار ولد السعد	جمهورية موريتانيا الاسلامية
١٩ ـ الدكتور عبدالهادي التازي	المملكة المغربية
٢٠ ـ الدكتور عبدالله حسن الشيبه	الجمهورية العربية اليمنية
٢١ ـ السيده اسمهان عقلان	جمهورية اليمن الديمقراطية

النشاطات المقبلة
لاتحاد المؤرخين العرب
في
ميدان المؤتمرات والندوات

بيان المؤتمر	الزمان	المكان	التفاصيل
١ ـ مؤتمر حطين التأريخي بمناسبة مرور ٨٠٠ سنة على المعركة	١ ـ ٢ تموز ١٩٨٧	تكريت ـ بغداد	يعقد بمناسبة مرور ٨٠٠ عام على المعركة ، حيث شعرت الصهيونية بمأزق تاريخي كبير تعاني منه ، ولذلك عمدت الى تشويه صورة ذلك التأريخ ، وتبنت عقد مؤتمر حول معركة حطين وهو أمر في غاية التحدي للتأريخ وللمؤرخين العرب ، فتحرك الاتحاد من أجل احباط تلك المحاولة اللئيمة فأصدر بيانا للمؤرخين العرب والمسلمين يدعوهم فيه الى مقاطعة المؤتمر المزمع عقده في فلسطين المحتلة ، وقرر الاتحاد عقد عدة مؤتمرات عن معركة حطين في بغداد ، والقاهرة ، وعمان ، ودمشق ، وصنعاء ، والرباط ، ولندن لاحياء ذكرى هذه المعركة الخالدة التي انتصر فيها صلاح الدين الأيوبي على الغزاة الافرنج الصليبيين ، ولتفويت الفرصة على الكيان الصهيوني ولمنعه مستقبلا من التمادي في عقد مثل هذه المؤتمرات .
٢ ـ مؤتمر دور محمد الخامس في مقاومة الاستعمار	٦ ـ ١٨ تشرين الثاني/ ١٩٨٧	الرباط	يشارك اتحاد المؤرخين العرب في احياء الذكرى (٢٥) لوفاة الزعيم المغربي محمد الخامس وإبراز دوره في مكافحة الاستعمار الفرنسي وتحرير المغرب . ويعقد هذا المؤتمر بالتعاون مع جمعية رباط الفتح بالرباط في المملكة المغربية . الكيميائيين واتحاد الكيميائيين العرب والمجمع العلمي العراقي ومركز احياء التراث العلمي بجامعة بغداد .

٣ ـ التراث الكيميائي العربي وأثره في إغناء الحضارة الانسانية	تشرين الثاني ١٩٨٧ المدة يومين	بغداد	تعقد الندوة من أجل توضيح وإبراز التراث الفكري العربي في ميدان الكيمياء وأثر العرب في إغناء الحضارة ألانسانية في هذا الميدان وذلك بالتعاون مع نقابة
٤ ـ الندوة القومية لكتابة تأريخ الامة العربية تحت شعار (نحو مدرسة عربي لكتابة التأريخ)	١٥ ـ ١٧/ كانون الأول ١٩٨٧	بغداد	ان من أهم أهداف هذه الندوة هو : تثبيت فهم علمي عربية لكتابة تأريخ الامة العربية وتنقية التأريخ العربي من جميع تشويهات الشعوبية والاقليمية الضيقة ودراسة الاتجاهات العالمية الحديثة في دراسة التأريخ للافادة منها في اعادة كتابة التأريخ العربي وتطويره ، تأصيل الرواية التأريخية العربية وتوثيقها ودراستها والتأكيد على دراسة الجوانب الفكرية والنفسية والاقتصادية والاجتماعية والحضارية في التأريخ وعدم الاقتصار على الجانب السياسي وحده ، تبادل الرأي حول الكتابة التأريخية في الوطن العربي وتقييم مختلف التجارب القطرية من منظور عربي شمولي واجراء حوار علمي مفتوح حول مشاكل دراسة التأريخ العربي ومستقبله وتوحيد المصطلحات التأريخية في توثيق دراسة التأريخ العربي هذا بالاضافة الى محاولة ايجاد مدرسة عربية لكتابة التأريخ وليس الاعتماد على كتابه المستشرقين الذين قاموا بتحوير كثير من المفاهيم العربية . حيث ستعقد الندوة بالاشتراك مع هيئة كتابة التأريخ في القطر العراقي ، وكانت هناك ندوات سابقة حول كتابة تأريخ الأمة عقدت في كل من بغداد عام ١٩٧١ والكويت عام ١٩٧٤ والدوحة عام ١٩٧٧ وليبيا عام ١٩٧٩ وسوريا عام ١٩٨٦ وستتضمن محاور الندوة : (١) منهج كتابة التأريخ العربي (٢) استجلاء الظواهر الايجابية في التأريخ القومي (٣) دراسات متخصصة حول اعادة كتابة بعض جوانب تأريخ الامة العربية (٤) الآفاق المستقبلية للدراسات التأريخية .

المؤتمر	التاريخ	المكان	الملاحظات
٥ ـ مؤتمر ايران والشرق الأوسط رؤية تأريخية	شباط/ ١٩٨٨	القاهرة	ان المحاور التي ستلقى في المؤتمر هي العلاقات الايرانية مع الدول المحيطة بها بشكل خاص ودول الشرق الأوسط الأخرى بشكل عام مع التركيز على الخليقة التأريخية لتلك العلاقات وأثرها على الحاضر والمستقبل مع القاء الضوء على الأطماع الفارسية عبر التأريخ ومعاداتها للقوميات المجاورة للامبراطورية الفارسية . وسيعقد المؤتمر بالاشتراك مع مركز بحوث الشرق الأوسط/ جامعة عين شمس .
٦ ـ دور المؤرخين العرب في التصدي للمحاولات الصهيونية لتشويه التأريخ العربي الاسلامي	حزيران/ ١٩٨٨	صنعاء	فكرة المؤتمر تهدف الى التصدي للصهيونية ومحاولاتها في تشويه التأريخ العربي الاسلامي وطمس التراث الثقافي العربي وتدارس الخطر الصهيوني لايصال العرب والمسلمين الى هدفهم وهو تحرير القدس . وسيعقد المؤتمر بالاشتراك مع جامعة صنعاء والجمعية الفلسطينية للتأريخ والآثار .
٧ ـ مؤتمر صورة العرب والاسلام في المناهج التأريخية الأمريكية	١٩٨٨	الولايات المتحدة الأمريكية	يهدف المؤتمر الى معالجة السلبيات في المناهج التأريخية الأمريكية التي اكتظت بالمفاهيم المعادية للقضية العربية وعرض العقيدة الاسلامية بصورة مشوهة ومخالفة للحقيقة ولا تخلو من الاستهانة والاساءة وتجريد الاسلام من الخصائص الروحية والأخلاقية التي تتصف بها الديانات السماوية التوحيدية ، تجاهل الجوانب الايجابية في الحضارة العربية وفضل هذه الحضارة على الحضارة الانسانية ، عرض النزاع العربي الاسرائيلي من وجهة نظر متميزة لاسرائيل ومعادية للعرب واعتبار العرب مسؤولين عن الارهاب الدولي ، تضليل التلاميذ وشحن نفوسهم بالحقد والبغضاء للعرب والعداء للاسلام والمسلمين لذلك فمن الضروري اعادة النظر في المناهج المدرسية الاوربية . وسيعقد المؤتمر بالتعاون مع احدى الجامعات الأمريكية .

٨ ـ مؤتمر انقاذ آثار مأرب	١٩٨٩	مأرب	ايمانا من المؤرخين العرب بضرورة حماية المواقع الأثرية والمحافظة عليها من زحف العمران وعبث الانسان ، والعمل على الاستفادة علميا من تلك الكنوز الرائعة ، ولأهمية هذا التراث العربي فقد قام الاتحاد بحملة اعلامية عربية وعالمية لبعث وانقاذ المعالم الأثرية ، وقد دعا الأوساط العربية والعالمية المتخصصة لتبني مشروع دولي لانقاذ مأرب ، ولهذا فقد تبنى الاتحاد وبالاتفاق مع الأوساط العلمية اليمنية فكرة اقامة مؤتمر انقاذ سد مأرب وذلك بقيام حملة اعلامية وثقافية على المستويات كافة وسوف يقوم الاتحاد بدعوة جميع الهيئات والمنظمات والجمعيات التأريخية العربية ، والدولية والمؤسسات الآثارية للاشتراك في هذا المؤتمر ، وسوف يكون لهذا المؤتمر بداية جادة لمؤتمرات عربية ـ دولية لانقاذ آثار مدن أخرى عربية واسلامية .
٩ ـ مؤتمر المناهج التأريخية في التعليم العام العربي	١٩٨٩	الجزائر	وهذه الندوة تخص المناهج التأريخية في الوطن العربي والسبل لتقريب الصلة بين تلك المناهج بما ينسجم مع الأهداف العامة المقترحة وفق الرؤية القومية للتأريخ العربي ويتم فيها أيضا تبادل الآراء بخصوص مشاكل دراسة التأريخ العربي ومستقبله وتوحيد المصطلحات التأريخية المدونة في المناهج التي تدرس للطلاب بمختلف المراحل الدراسية ابتداء بالدراسة الابتدائية مرورا بالمتوسطة والاعدادية وانتهاء بالكليات . وسيعقد المؤتمر بالاشتراك مع معهد التدريب والتطوير التربوي بوزارة التربية العراقية ومنظمة اليونسكو .
١٠ ـ صورة العرب والاسلام في المناهج التأريخية البريطانية	١٩٨٩	اكستر	حيث تكشف هذه الندوة عن حقيقة الدس والتشويه الغربي لمبادىء وقيم الاسلام والرد عليها ودحضها وهي مهمة دينية وقضية تاريخية علمية ورسالة

			انسانية بل ومسؤولية خطيرة لأن الاسلام شوهت كثير من مفاهيمه وتعاليمه وقيمه السمحاء خلال محاولات التزوير والتحوير والطعن في تلك المفاهيم والقيم والتي تبنتها جهات معروفة بعدائها للتأريخ العربي الاسلامي وسوف توضح في هذه الندوة أو المؤتمر حقيقة الدس والتشويه لأعداء العرب والاسلام وتصويب صورة العرب والاسلام في الكتب الدراسية المقررة لتلاميذ المدارس في الدولة البريطانية وبخاصة ما يتعلق بالجوانب الروحية والانسانية في حياة النبي الكريم محمد صلى الله عليه وسلم وتوكيد الخصال القيادية للرسول وقدرته العسكرية والقتالية وما يتحلى به من صفات عالية وأخلاق رفيعة .
١١ ـ مؤتمر المناهج التأريخية في الجامعات العربية (الواقع والطموح)	١٩٩٠	الاردن	الهدف من المؤتمر تطوير المناهج التأريخية في أقسام التأريخ في الجامعات العربية ، ورفدها بكل ما يستجد في مجالات التخصص ، والافادة من الخبرات العربية والعالمية لتحقيق هذا الهدف . وسيتم عقده بالاشتراك مع الأمانة العامة لاتحاد الجامعات العربية .
١٢ ـ مؤتمر صورة العرب والاسلام في المناهج التأريخية الفرنسية	١٩٩٠	باريس	يتناول المؤتمر دراسة صورة العرب والاسلام في المناهج التأريخية الفرنسية لاعادة النظر في الكتب المدرسية التي ضمت صورة مشوهة عن تأريخ العرب والاسلام لتصويب ما ورد فيها من جانب وتعزيز التفاهم بين الشعوب العربية والاسلامية من جانب آخر والشعوب الغربية أيضا ، اعادة النظر في عدد الصفحات التي خصصت للتأريخ العربي والاسلامي . تسود معظم الكتب أخطاء متعمدة أو غير متعمدة ويكثر تزوير الأحداث والوقائع فيها ، ثم ان عرض الوقائع والأحداث في الكتب الاوربية جاءت بشكل مغرض يبدو وكأنه يسعى الى هدف مسبق ، متميز ومجدد الغرض من الندوة تبادل الآراء ووجهات النظر وتصحيح ما جاء فيها ملفا ومزورا وبعيدا عن الصحة . وسيعقد بالتعاون مع احدى الجامعات الفرنسية .

١٣ ـ مؤتمر الاسلام واليهودية والمسيحية عبر التاريخ	١٩٩٠	مدريد	سيكرس اتحاد المؤرخين العرب طاقاته من أجل تبني محور الاسلام وسوف يتصدى للاتجاهات المعادية للاسلام للرد عليها وتفنيد ادعاءاتها ، حيث ان المؤتمر يعقد من قبل الجمعية الدولية للعلوم التأريخية وسيشارك اتحاد المؤرخين العرب بالمحور الخاص بالاسلام ، وقد دعا كافة الجمعيات التأريخية في الوطن العربي لتبني هذا المحور والمساهمة فيه واعداد البحوث اللازمة حوله .
١٤ ـ مؤتمر صورة العرب والاسلام في المناهج التأريخية الألمانية .	١٩٩١	هامبورك	يعقد المؤتمر بسبب قلة المعلومات الواردة في الكتب التي تدرس في المانية عن العقيدة الاسلامية والمسلمين وعن دور العرب الفعال في إغناء الحضارة الانسانية وتجاهل الجوانب الايجابية في الحضارة العربية الاسلامية . وبيان السرعة التي تمت بها الفتوحات الاسلامية دون تحليل أسبابها وتوكيد العداء بين الاسلام والمسيحية وخطر المسلمين على أوربا ، ومن ثم الخلط بين العرب والمسلمين من أتراك وفرس وهنود وغيرهم والتشويه للحقائق التأريخية ومنها على سبيل المثال بأن دور العرب والمسلمين في الحضارة الانسانية اقتصر على نقل علوم الأمم الأخرى (اليونان والرومان والهنود والفرس) وأنه افتقر الى الخلق والابداع والعكس هو الصحيح لأن العرب من بناة الحضارة . ان الغرض من اقامة مثل هذا المؤتمر اعادة النظر في هذه الكتب بحيث تصوب صورة الاسلام والمسلمين فيها . وسيعقد المؤتمر بالتعاون مع مركز دراسات الشرق الألماني في همبورك .

مجلة « المؤرخ العربي » في ثوبها الجديد

الى المؤرخين العرب وقراء التاريخ العربي في كل مكان :

لقد صدرت الأعداد الجديدة من مجلتكم ، مجلة المؤرخ العربي بحجمها الجديد ، وهي تعبر عن صوت التاريخ العربي ، والتي يتبناها كل العرب من المحيط الأطلسي الى الخليج العربي ، فساهم أيها الأخ الكريم بتسجيل اشتراكك بها ، واطلب أعدادها الفصلية ، فحصولك عليها يعني حصولك على مكتبة تاريخية عربية متكاملة حيث يتألف العدد الواحد من عشرين بحثاً اضافة الى الأبواب الثابتة :

وقد تم طبع الأعداد الجديدة على الوجه التالي :

١ ـ العدد (٣٢) على نفقة الجمهورية العراقية .

٢ ـ العدد (٣٣) على نفقة شيخ الشارقة الدكتور سلطان بن محمد القاسمي .

٣ ـ العدد (٣٤) على نفقة الشيخ جعفر القاسمي/ رأس الخيمة .

٤ ـ العدد (٣٥) على نفقة المملكة المغربية .

٥ ـ العدد (٣٦) على نفقة جامعة الامارات العربية المتحدة/ في العين .

٦ ـ العدد (٣٧) على نفقة إمارة الشارقة .

٧ ـ العدد (٣٨) على نفقة وزارة الاعلام في دولة الكويت .

فالى الأخوة العرب الذين قدموا الدعم المادي لاتحاد المؤرخين العرب نوجه باسم التاريخ العربي تحياتنا وتقديرنا لهم ونتمنى لهم التقدم والنجاح .

« التوثيق الاعلامي »

* مجلة فصلية تصدر عن مركز التوثيق الاعلامي لدول الخليج العربي ـ بغداد .
* رئيس تحريرها الدكتور جاسم محمد جرجيس .
* تعني بتوثيق أحداث منطقة الخليج العربي التي تتوسع دائرة الضوء حولها باستمرار لازدياد أهميتها العالمية بأهمية الأحداث الخطيرة التي تتوالى على مسرحها .
* تتبوب المجلة بأربعة أبواب ، البحوث والمقالات والتقارير والمحور التوثيقي وعرض الكتب .
* تتضمن ملفاً بالأخبار والأحداث في أقطار الخليج العربي والتي لا يستغني عنها كل باحث له اهتمام بهذه المنطقة .
* يمكن مراسلتها على العنوان التالي :

مركز التوثيق الاعلامي لدول الخليج العربي

بغداد ص . ب ٥٠٦٣

الجمهورية العراقية

المجلة المغربية للتوثيق والمعلومات

* تصدر عن المعهد للتوثيق في تونس .
* يصدر منها عدد واحد في كل سنة .
* مديرها المسؤول الدكتور عبدالجليل التميمي .
* تعني بالبحوث المتخصصة في علوم المكتبات والمعلومات والأرشيف .
* تنشر بحوثها باللغات العربية والفرنسية والانكليزية داخل غلاف واحد .
* تضم هيئة تحريرها نخبة من الباحثين ينتمون الى الجامعات العربية في المغرب العربي والى منظمة اليونسكو .
* ترسل المجلة على العنوان الآتي :

المعهد الأعلى للتوثيق

ص . ب 600

تونس

الجمهورية التونسية .



مجلة معهد المخطوطات العربية

* مجلة متخصصة محكمة يصدرها معهد المخطوطات العربية بالكويت .
* تصدر مرتين سنوياً في حزيران وكانون أول .
* رئيس تحريرها الدكتور خالد عبدالكريم جمعة .
* تنشر الدراسات والبحوث والنصوص المحققة والفهارس والتقارير المتعلقة بالتراث العربي المخطوط والمطبوع .
* يتضمن كل عدد البحوث وتعريف بالمخطوطات ونقد الكتب .
* الاشتراك السنوي في المجلة في دولة الكويت ديناران كويتيان وفي خارج الكويت عشرة دولارات أمريكية .
* تنشر بحوثها باللغة العربية فقط .
* تصدر المجلة باشراف المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم التابعة للجامعة العربية .
* تراسل المجلة على العنوان الآتي :

معهد المخطوطات العربية

ص . ب ٢٦٨٩٧

الصفاة ـ الكويت

« سرتا »

* مجلة تاريخية اجتماعية تصدر دورياً عن معهد العلوم الاجتماعية بجامعة قسنطينة .
* جمع محكمة يشرف على اصدارها لجنة من متخصصين جامعيين .
* تعني بدراسة تاريخ المغرب العربي بصورة خاصة والوطن العربي بصورة عامة .
* تنشر موضوعاتها باللغتين العربية والفرنسية داخل غلاف واحد .
* تعطي اهتماماً خاصاً بالبحوث التي تتعلق بنضال الشعب العربي في الجزائر ضد الاستعمار الفرنسي .
* تراسل على العنوان الآتي :

مجلة المجمع العلمي العراقي

* مجلة تصدر أربع مرات في السنة .
* رئيس تحريرها الدكتور صالح أحمد العليم رئيس المجمع العلمي العراقي .
* تعني بالبحوث والمقالات الشاملة التي تلقي الضوء على التراث العلمي العربي ودوره في بناء الحضارة الانسانية من جميع الوجوه .
* تتكون المجلة من بابين أساسيين هما البحوث والمقالات وعرض الكتب .
* بحوثها متنوعة ولا يستغني عنها المهتمون والمتخصصون لتتبع الحركة العلمية والفكرية .
* سعر النسخة دينار ونصف ويمكن مراسلتها على العنوان الآتي :

الجمهورية العراقية ـ بغداد ـ الوزيرية ـ ص . ب ٤٠٢٣ .

« الباحث العربي »

مجلة فصلية يصدرها مركز الدراسات العربية في لندن .

رئيس التحرير : عبدالمجيد فريد

* تعنى بدراسة ومناقشة القضايا الاستراتيجية والاقتصادية والسياسية .
* وتعنى المجلة بالدراسات المستقبلية حول أهمية القضايا بها .

تقدم المجلة في كل عدد مجموعة من الزوايا الثابتة وتشمل :

١ ـ الشئون العربية في الوثائق البريطانية .

٢ ـ القضية العربية في المؤسسات الاوربية .

٣ ـ عرض لأحد مراكز الدراسات أو المؤسسات الثقافية العربية والأجنبية .

٤ ـ ماذا قدمت دور النشر العربية والأجنبية حول القضايا العربية .

** المجلة تصدر باللغتين العربية والانجليزية داخل غلاف واحد تباع بالمكتبات الرئيسية في العواصم العربية والأجنبية .

العربي

* مجلة ثقافية مصورة تصدر شهرياً عن وزارة الثقافة والاعلام بدولة الكويت .
* رئيس تحريرها الدكتور محمد الرميحي .
* بحوث المجلة متنوعة وهي موجهة لكل العرب داخل الوطن العربي أو خارجه حافلة بالصور الملونة .
* عنوان المجلة ص . ب ٧٤٨ الصفاة ـ الرمز البريدي 13008 الكويت وتبعث كافة المراسلات الى السيد رئيس التحرير .
* ثمن النسخة ٢٥٠ فلساً كويتياً والاشتراك ٤ د.ك للعالم العربي و ٦ د.ك للخارج .

مجلة سرتا

معهد العلوم الاجتماعية

جامعة قسنطينة

الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية .



« الوثيقة »

مجلة دورية نصف سنوية

* تصدر عن مركز الوثائق التاريخية بدولة البحرين .
* رئيس تحريرها الشيخ عبدالعزيز خالد آل خليفة .
* تعني بدراسة التاريخ القديم والمعاصر لدولة البحرين بصورة خاصة والوطن العربي بصورة عامة .
* تصدر المجلة باللغتين العربية والانكليزية داخل غلاف واحد .
* تعطي أهمية كبيرة للوثائق وتفرد لها باباً خاصاً .
* بالامكان ارسال البحوث والمقالات للمجلة على العنوان الآتي :

مركز الوثائق التاريخية ص . ب ٢٨٨٨٢

دولة البحرين

« الأمن القومي »

* مجلة علمية فكرية فصلية تصدرها كلية الأمن القومي .
* رئيس تحريرها الاستاذ الدكتور فاضل البراك .
* لها أبواب ثابتة تتضمن البحوث وعرض الكتب والتقارير .
* تعني المجلة بالبحوث المتعلقة بالأمن القومي من جميع الجوانب من منطلق أكاديمي علمي .

* تخضع البحوث المنشورة فيها للتحكيم من قبل متخصصين ، وما ينشر فيها معتمد في الترقيات العلمية للباحثين الذين ينتمـون الى الجامعات ومراكز البحث العلمي .
* تتم المراسلات على العنوان الآتي :

الجمهورية العراقية

بغداد ـ المنصور ـ ص . ب ٦٠١٨

« الدارة »

* مجلة فصلية محكمة تصدر عن دارة الملك عبدالعزيز في الرياض بالمملكة العربية السعودية .
* رئيس تحريرها الاستاذ محمد ححين زيدان .
* مدير تحريرها الشيخ عبدالله حمد الحقيل .
* تنشر بحوثها باللغة العربية فقط .
* تتبنى البحوث المتعلقة بتاريخ وتراث المملكة العربية السعودية بالدرجة الاولى وشبه الجزيرة العربية والوطن العربي والعالم الاسلامي بالدرجة الثانية .
* الاشتراك السنوي في المجلة ١٥ ريالاً داخل المملكة العربية السعودية أو ما يعادلها في البلاد العربية ، و ٦ دولارات خارج البلاد العربية .
* تتم مراسلة المجلة على العنوان الآتي :

المملكة العربية السعودية

ص . ب ٢٩٤٥ ـ رياض ١١٤٦١

مجلة المستقبل العربي

* مجلة شهرية تعني بقضايا الوحدة العربية ومشكلات المجتمع العربي .
* لا تفرض المجلة شروطاً مسبقة على مساهمة المثقفين سوى قناعتهم بالوحدة العربية .
* لا تتخذ المجلة أي مواقف سياسية مباشرة ولا تساهم في النشاط السياسي وليس لها أي ارتباط بحكومة أو محور أو تحالف .
* تكتب المراسلات باسم المستقبل العربي بناية (سادات تناور) ص . ب ١٦٠٠١ ـ ١١٣ بيروت ـ لبنان .
* تدفع الاشتراكات مقدماً بشيك على أحد المصارف أو بتحويل على العنوان : حساب مركز دراسات الوحدة العربية رقم ٠٨٠١٣٥١٣ بنك بيروت للتجارة (بالدولار) .

« المنهل »

* مجلة شهرية للآداب والثقافة تصدر في جدة ـ المملكة العربية السعودية .

* رئيس تحريرها السيد نبيه عبدالقدوس ، يرجع تاريخ تأسيسها الى عام ١٣٥٥هـ ـ ١٩٣٧م .

* سعر النسخة ٨ ريالات سعودية والاشتراك السنوي ١٠٠ ريال .

* صدر آخر عدد لها وهو العدد ٤٥٥ في ذي الحجة ١٤٠٧ الموافق يوليو ـ تموز ١٩٧٨ ويحتوي على كشاف ببلوغرافي للموضوعات لعام ١٤٠٧هـ ـ ٨٦ ـ ١٩٨٧م .





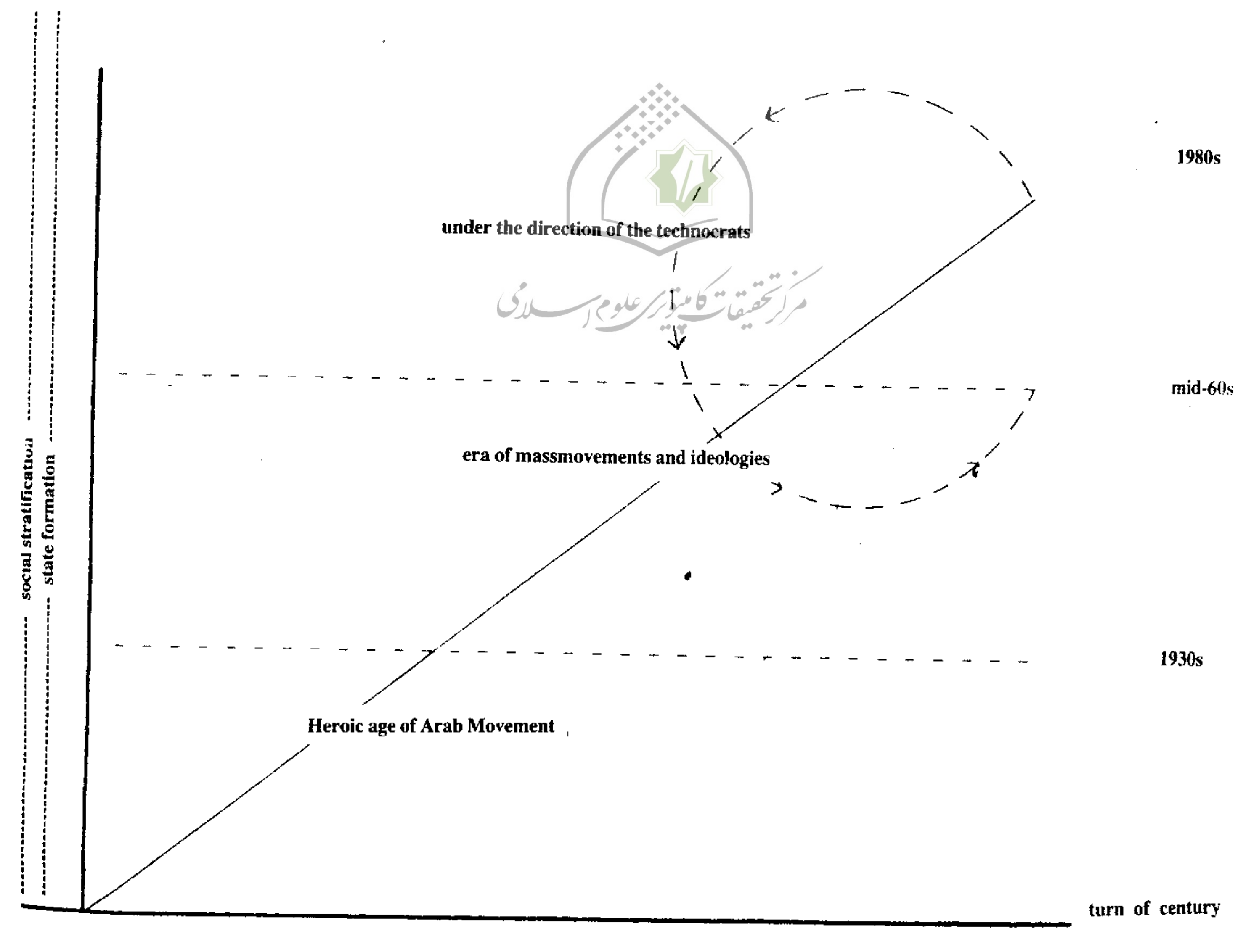
بحوث باللغة الانكليزية

with its cultural dependence on the West. He makes the Western inspired ideologies of nationalism and baathism responsible for the wider fragmentation of Arab-Islamic culture and he scorns the military leaders as a modern variant of the old-style and despicable mamluks. Kisk's pleading is for a social revolution on authentic Arab-Islamic lines, which should not allow for western categories of social order and political power.

Although Kisk has recently written extensively and in a benevolent way on the role of Islam in Saudi Arabia, his appeal nevertheless seems to me to differ markedly both from the conservative and the more utopian variants of socalled Islamic revival in Saudi Arabia and Iran respectively. Whether the mobilisation of Islamic values, as spearheaded by the Muslim brotherhood will ultimately prove more constructive or else turn out to be merely a catalyser for the kind of nihilism as claimed by Sadiq al-'Azm or for a new fascism, as condemned by Farag Fauda, the moving spirit of the neo-Wafd in Egypt, remains open to conjecture.

It seems to me that the Middle East — and not the Middle East alone — is owing to the world economic depression and the devastating impact of international politics once more caught in a vicious circle.

Structural profiles and historical turning-points. The 20th Century Arab M.E.



Shiites a greater share in power. However, the above pattern no longer seems to fit the actual conflagration. The Shiites themselves are split in various groupings. Besides the Amal and the Hizbollahi, there also is still the traditional notable faction led by Adel Osseiran of Saida. So what is the explanation for the failure of reaching a new National Pact or a new 'contract social'.

A comprehensive answer will certainly have to take into account the Palestinian factor as well as factors of regional and international politics. When I neglect them here, this does by no means imply, that I consider them to be less important. But I do believe, that there is an aspect of the civil war, that has so far been grossly over- looked. Indeed, I venture to argue, that the traditional intercommunal strife has increasingly become eroded or penetrated by a much deeper going social stratification of Lebanese society on socio-economic lines. In short, the current stalemate in the Lebanon is indicative of a Bona-partistic stage in the social conflict. In other words, while the traditional zu'ama system is no longer strong enough, to wield power indiscriminately, the new trans-confessional social formations are not yet strong enough, to take over.

It is also indicative of this Bonapartistic stage that ideologies seem to come to the fore again. This time, however, there is a distinct utopian and also nihilistic content.

I hesitate to interprete this phenomenon as the dawning of a new period in the 20th century Arab Middle East. Rather than calling it a "renaissance of Islam," "Islamic fundamentalism" or else "Islamism" — as the prominent American historian Nikki Keddie has suggested — I prefer to take it as a symptom of a current crisis of political culture in the Middle East.

However, I must concede, that the term "political culture" is a very ambiguous one in the Arab Islamic context. Some historians or sociologists prefer the term "cultural identity," which I regard, however, as even less adequate to the real things at stake.

Again, I think we have to evaluate this current crisis in a longer historical perspective. It is part of the tragedy of the Arab Middle East, that the socalled 'reform Islam,' which started with Afghani and Mohammed Abduh in the 19th Century never really managed to bring about a viable political culture, based on a synthesis between theocratic Islam and secular positivism. There was no way of life and statecraft comparable with the achievements of the classical Arab-Islamic epochs. The processes of socio economic change, of modernization as well as of state formation and nation-building had all been enforced by world market forces and Western hegemony. No matter how destructive this may have been, I do think that the socalled erosion of cultural identity nevertheless also implied the chances of a new creativity, of challenge and response. The challenge does not by itself bring about crisis. A crisis in its negative connotation only comes about, when the set-backs prevail and when a kind of backward orientation sets in, which fixes at quasi rudimentary rituals of a distant past.

As concerns the current crisis of political culture in the Middle East, one must differentiate however. This is hardly been done by contemporary Western orientlism and political journalism. They tend to present the socalled 'resurgence of Islam' as a monolithic thing and they even put an Arab crown on Khumaini style Islamism.

In contrast, Sadiq al-'Azm, the well known and committed Syrian philosopher, has urgently appealed, that Islamic Fundamentalism in the Arab East and particularly on the Peninsula and in the Nile Valley must be distinguished from the Iranian-shiite fundamentalism. He assesses the former as an expression of helplessness, frustration and even nihilism in the younger generation. The reason for this is that all previous experiments like reform Islam, liberalism, nationalism and socialism have failed. One might add, that owing to the current economic depression, the eclipse of the era of the technocrats seems to be imminent as well. In a way, one might view the Lebanese crisis as a kind of battleground, where all these ideologies are engaged in an all-out showdown — for the Lebanon has always been a microcosm of the Arab world at large.

Sadiq al-'Azm is, however, not the sole representative of current political thought in the Arab Middle East. In the Nile Valley there is the voice of Muhammad Galal Kisk, born in Assiut, a shronghold of Islamic fundamentalism in Egypt. Kisk, who is very close to the Muslim Brotherhood and who is a propagandist rather than a philosopher, explains the political weakness of the Arab world

the multi-ethnic-confessional complexion of some of its parts. This so-called mosaic-model, which also underlies the concept of "orinetal despotism" has long been cherished by trditional Orientalism. It also often serves political purposes. Accordingly, Arab society is structured vertically by confessional — and settlement community, by tribe and extended family. As such it is presented as prone to stagnation, unable for a social stratification along the lines of political economy, incapable of integration, and nation-building. In other words, as Middle Eastern society is presented as reproducing its own stagnation, the control over the area is claimed as indispensable for the vital interests of others.

For a ceritical social scientist, such a view of Arab Middle Eastern society is no longer sustainable in the light of social processes in the 20th Century. The mosaic model — apart from its political purposes — does not really grasp new social formations. At best it is a phemenology of superficialities.

From these preliminary remarks — and what has been said before — one can correctly deduce, that the present violent conflicts and wars in the Middle East are generated and sustained by factors of international politics, regional power struggle as well as new social stratification.

This assessment is, of course, a very general one; it also says nothing about the cumulative effects or of what really triggered of the course of events. While the last question will remain open to conjecture and debate until the archives of the decision makers in the corridors of power are available for the historian, the generalities can, I think, be expressed in more precise, albeit abstrct terms.

Granted that this is my own fascination by what in the mid- 70s an official of the Pentagon (the American Defence Ministry) has suggested as a way to understand the Middle Eastern conflicts and what made them interdependent. He rejected the simplifying balance of power approach and instead suggested as a true symbol one of those "mobiles" which Alexander Calder, an Englishman, had first constructed. In this "mobile" different weights, arranged in multifold asymetical balance, move in circles, seemingly by themselves. According to this official, who happened to be nobody less than Robert Ellsworth, the then Under-Secretary-of-State for International Security, the three main weights were the Soviet Union, the democracies of the industrial West and the oil-producing states in the Arab-Persian Gulf region; the three essential balances were the oil policy, the Arab Israeli conflict and the East-West detente.

It is within these larger configuration of international political and economic factors, that the current conflicts and wars in the Middle East have to be analysed. Surprisingly or not, what this American perspective of the Middle East neglects, is the domestic factors such as social stratification processes, if not class struggle like in Lebanon or among the ranks of the Palestinians.

time does not allow me to deal with the major Middle Eastern conflicts here. Therefore I shall confine myself to a few comments on the socalled civil war in Lebanon, which to me illustrates the significance of the cumulative effects of domestic and international conflict factors.

At first sight it may be called an irony of history, that the Lebanon lost its model-character for a democratic or pluralistic solution of the Palestine problem under the very impact of the Near East conflict. Still on the 14th November 1974 the Lebanese President Franjiya had suggested the Lebanon as a model for conflict solution at the UN General Assembly in New York. A few months later, however, Lebanon was torn by civil strife.

While there is still no definitive evidence, what and who exactly triggered off the war, the historian of course, knows, that Lebanon could hardly commend itself as a model for conflict solution. As is wellknown, Lebanese history has over the centuries been marked by recurrent social and political unrest and violence. From it one can abstract a conflict pattern, which on surface seems to consist of powershifts between the various confessional communities. Under this historical perspective, the current turmoil in the Lebanon might be interpreted as a power shift from the Maronites to the Shiites, just as in the 18th and early 19th Century the once predominant Druze community had lost out to the Maronites.

From this angle, the logical solution of the current crisis would seem to be an amendment of the unwritten National Pact of 1943, affording the

totally unprepared to deal with the monetary aspects of this balancing act, which is better known under the name of petrodollar recylcing.

Meanwhile, under the impact of the new world economic depression of the late 70s and 80s the problems of petrodollar recycling have been reduced and been replaced by a no less difficult set of problems for the oil producing states, namely the integration of their down-stream investments and infant petrochemical industries into the world market — and that is to say — on a bsis of non-discrimination. The recent tariff-war between the GCC (Gulf Cooperation Council) and EEC (European Economic Community) is an indiction of the problems ahead. Assessments, as one can hear them in the industrial West, that nuclear energy is something for the North and oil something for the South or for the Third World, provide no solution but rather an exacerbation of the global North-South conflict.

As I am not an economist nor a futurologist I do not like to go into further detail here. However, as an economic historian, who has closely studied the implications, which the extraordinary economic problems of the 30s and 40s have had for society and rule in the Middle East, I am convinced, that the current economic difficulties together with the principal obstacles of long term planning constitute a vital challenge to the legitimacy of political power, which in the last twenty years has come to rest on the performance of the new technocratic elite. It is the technocratic elite, that has become an essential component in state-formation.

Many historians and political scientist in the West keep stressing the role of the military in state-formation and politics in the Middle East. I myself, however, do not consider them a category by themselves, but rather an aspect of the technocratic regimes. Surely this point is open to debate, in particular, if one compares different historical periods. Indeed, for a better understanding of inter-Arab politics it might be more revealing to draw up a scenario, in which Baathism, whch has survived Nasserism, and the financial oligarchies on the Peninsula and in the Gulf are seen in contest with each other. It is th technocrats rather than the ideologies that have provided those regimes so far with an astonishingly long stability. This applies, in particular, to the Fertile Crsecent countris Iraq and Syria.

However, is there not a contradiction between what has so far been said about the era of the technocrats and the actual course of events? If one talks about progressive state-formation, social stratification, economic planning, regime stability etc. how is one to explain such counter-acting forces as express themselves in the long-drawn out wars in the Lebanon and between Iraq and Iran, or else in th resurgence of Islamism, but also of ethno-confessional provincialism or regionalism?

For the historian, the fact, that dissimilar things happen at the same time, must not necessarily be a contradiction. By profession, the historian has always been facinated by what in German is called — and that is very diffcult to translate accurately — die Gleichzeitigkeit des Ungleichzeitigen'. It is history in the making. It constitutes the uniqueness of an event or of an epoch — and the historian is out for this. Events would be contradictory only, if they violated laws. But lwas of history or in history are anathema to the true historian. Of course, Marxists would fundamentally disagree on this point.

But how do I assess the current tragic events¼ First, I should like to make two preliminary remarks., which are essential for my approach :

First : compared with Europe, which alone in the first half of the 20th Century has caused two world wars, the Middle East by itself could be regarded as a relatively peaceful region. But Europe has not only caused two world wars, but it also was unable to live in peace with its Jewish communitis. It created the Palestine problem and thereby has imposed upon the Middle East a succession of devastating wars. Since these wars have been sperimposed with the so-called East-West conflict (communism versus capitalism), they have assumed dimensions of global crisis. Until today, the Near East conflict or the Palestine problem proper is a kind of matrix for all other wars in the reigon.

Second : in the West it has become fashionable to prsent the Arab Middle East as a region ridden with permanent conflict because of

socialism, of Baathism and of the Free Officers Movement had instead began to spread. They compensated for the lack of an urgently required new 'contract social' and they were instrumental mainly in disciplining the masses. The rivalry between Baathism and Nasserism, which led to the socalled Arab Cold War in the 50s and 60s reflected the unsolved social and national questions in the Arab countries. More, the ideology of pan-Arabism was given priority to compensate for the dilemma. Indeed pan-Arabism in its Nasserist shape seems to me to have reflected last but not least the specific Egyptian dilemma of development without growth. In other words, Egypt can solve the social and economic repercussions of its demographic explosion only outside its territory.

While this may be Egypt's perennial problem, the era of mass movements and ideologies certainly has left a burden-some heritage of its own. It did not produce a constitution on a power sharing basis, that would have been concomitant with the unfolding of social classes or class differentiation. In other words the new social formtions were politically arrested. Paradoxically, the imperial democracies of the West, foremost the USA, had a hand in this as well. The American promotion of the military elite after the 2nd world war, as can be witnessed in Syria, in Egypt and in Iraq, sprang from three motives:

1. In replacing the British, who had struck alliances with the traditional elites, the new hegemonial American power had to raise its own counter parts.

2. In its containment policy towards the Soviet Union and against communism at large, American Middle East policy embarked upon a counter-revolutionary strategy, which precluded democratic experiments.

3. In pursuance of this policy, the United States adhered to the model, which had been set by Ataturk's benevolent dictatorship. Th new military elite, last not least because of its social origin, was considered to be capable of combining modernization with the maintenance of law and order. Democracy was considered to be something, that outside the West still had to be taught, but not practised.

I now come to the third and last pahse in may periodization and interpretation of the Arab history in the 20th Century. I have called it the Middle East under the direction of the technocrats. This may be the more controversial part of my overall interpretation.

To avoid any misunderstanding, this period should not be mixed up with a higher or rational stage of development for instance as in the sense of Auguste Comte's three-stage-law of the development of mankind. On the whole, my periodization therefore does not imply a linear development. The era of the technocrats, of the planning ministries and bureaucracies resulted from a fundamental change of the economy, society and rulership in the Arab world in the 1970s and 1980s. Compared with the previous changes in the 30s and 40s, ther was now a nex quality and also an unprecendented totality. At the bottom of it lay the evolution of the Arab Oil economy, as it took shape in the Organisation of Arab Oil Exporting Countries (OAPEC(. The financial and socio-economic effets of that oil economy were by no means confined to the oil rich Arab countries on the Gulf. Have- nots like Jordan, the Lebbanon and Jemen also felt the impact of the oil economy — largely by the export of labour and workers' remittances. However, it is not the new wealth and new consumption patterns, nor the new industries, which brought about the regimes of the technocrats. In my view the latter were largely the result of what I call over-sized economies. Oil development in countries such as Iraq, Kuwait or Saudi Arabia was not home-grown. It was imposed by the multinational oil companies and the huge demands in the world energy market ever since the end of the 2nd world war. Oil development was not geared to the development of local society and economy. The socio-economic development of the Arab oil sttes rather lagged behind. Good examples for this state of affairs in the first half of the 20th Century are Iraq egypt.

The incongruity between socio-economic development needs and actual oil output and export was hidden by the low oil-price. Once the oil price was raised dramatically, as happened in 1973, the immediate task of the planning ministries and technocrats was to harmonize the urgently needed socio-economic and agrarian as well as industrial development of their countries with the forces and demands of the world oil market. As we all know, both the oil producing and the oil consuming states at first were

30s and it ends with the decline or demise of Nasserism in the wake of the civil war in Yemen in the mid-60s.

The essential characteristics of this period maybe described as follows : an almost sudden impoverishment of the agrarian masses due to the sharp decline of the grain prices on the world market as well as to credit contraction. The erosion of the world prices of grain soon also entailed the prices of cotton, dates and olives. The migration from the country-side to the cities created an urban proletariate and social protest movements. The severe competition from Japanese textile goods and synthetics, their dumping practices threatened the infant textile industries in Syria-Lebanon and Iraq. Strikes by textile workers, transport — and port-workers were a common feature in the Fertile Crescent countries. Because of their mandatory status and subjection to an Open Door policy, these states could not protect their own products by raising customs tariffs. Only Egypt was capable of doing so. On the Peninsula, the effects of the world economic depression led to a dramatic decline of the pilgrimage, the bulk of which used to come from the agrarian population of Muslim India and Indonesia. They no longer could afford the travel expenses to Mekka. It was against this background that prince Faisal toured European capitals like Rome, Brussels, London, Berlin and Moscow to negotiate urgently needed loans. The shrinkage of Abdul 'Aziz budget possibly also played an indirect role in the revolt of the ikhwan against him. Their resumption of looting and raiding across the borders with Iraq and Jordan may be an indication for this.

In countries like Egypt and Iraq the state responded to the economic crisis by a quest for import substitution. At the same time land reform measures and a welfare programme for the impoverished masses were neglected. The socialist movement began to spread. In Iraq we see the emergence of the Ahali group, which propagated a kind of secular Arab — Islamic brand of socialism, called sabiyya. By striking and alliance with the military (think of the Bakr-Sidqi-putsch in 1936), it set a precedent for things to come. In Egypt the social protest movement led to a radicalisation of the labour movement and to an expansion of the Muslim Brotherhood as well as to a sever antagonism between both movements.

Summarily it can be stated, that a new kind of dischotomy developed between the toiling masses an the one side and the new bourgeoisy or state elite on th other side. This dichotomy or gap between the social classes dramatically windened during and in the wake of the 2nd world war.

To illustrate this fact I refer to Egypt's minister of finance, Makram Ubaid Pasha, when, in May 1945, he opened the debate on the new state budget. In his speech he drew a glooming picture of the conditins, under which the majority of the Egyptian population lived. The war had widened the gap between the social classes instead of narrowing it, as had happened in Britain and other European countries. He contrasted the cost-of-living index with the stagnation of the income of the rural and urban working class. Surely, he was also aware of the huge war profits, that had been accused by the landlord class and the small industrial bourgeoisy. I cannot go into detail here. However as concerns the interesting point about the diverse socio-economic effects of the 2nd world war on the Middle East and Europe, let me give you one exmaple. On the basis of the year 1939 the cost-of-living index in Egypt had by 1944/45 risen from 100 to 292. In Iraq and in Syria-Lebanon it had risen even more. In contrast, in Britain the cost-of-living index had risen from 100 to 131 only.

Unlike the depression years of the early 30s, the 2nd world war period did not allow for strikes, mass protests and revolutionary action. Local hunger revolts and political agitation could be quickly repressed by the allied powers, who had subjected the entire Middle East to a rigorous war-economy administration. By it the Arab countries reached food self-sufficiency and even produced a surplus for the allied forces, while the local population was kept on a bare subsistence level.

It was only after the war, that the pent-up social protest began to explode and ushered in an era of reovlutions, starting with the July 1952 revolution in Egypt.

As the socio-economic impacts of the depression years and of the 2nd world war on Middle Eastern societies had not produced new and solid political structures, the ideologies of Marxist and Islamic

Austrian Customs Union and its connection with the ideas of a Greater Germany. Furthermore the Balkanization of the Middle East looked anachronistic last not least, because of the failure of the so-called "concert diplomacy of European powers" and its replacement by the League of Nations, which set the parth for international government rather than for sovereign statelets.

State-formation in the heroic age of the Arab Movement was also the major event on the Arab Peninsula, although it here had a different connotation. Partly motivated by the Al Saud's dynastic ambitions, partly instigated by the religious zeal of the ikhwan movement, the Saudi state-formation was rather a process of expansion and integration. The Al Saud with the help of the British had by 1932 achieved within their own realm, what the European powers had denied to the General Syrian Congress and the Hasimite Federation scheme in the Fertile Crescent.

State-formation was also a major event in the Nile Valley. Here it was part and parcel of an anti-imperialist strategy, which had its roots in the Urabi Movement of the 1880s and which after the 1st. world war was continued by the Wafd and Egypts national bourgeoisy. The wellknown fact that Britain and Egypt were at logger heads over the future of the condominium over the Sudan, and the ultimate failure of the Egyptian inspired movement for the unity of the Nile Valley show that state formation in the Nile Valley was — like in the Fertile Crescent still subject to an alien policy of divide and rule.

State-formation — and more could be said about it — no doubt was the major event in this heroic age of the 20th Century Arab world. But the other two main processes i.e. the unfolding of social classes and the search for legitimacy of political power were also at work, although still less prominently.

As concerns the social classes, in the Fertile Crescent, as Samir Amin has shown the Ottoman-Arab administrative elite — the so-called notables — were already at the turn of the century gradually replaced by a trade oriented as well as agrarian based new bourgeoisy. The European commercial penetration of the Middle East, the rise of the coastal cities and the land reforms in the wake of the Tanzimat period in the 19th Century (think of Midhat Pasha in Mesopotamia) had engendered the emergence of a new merchant and landlord class. In the Nile Valley we can witness the emergency of a new elite 'that fought for an Egyptian national economy with an independent financial and industrial base. Their focal point was the Misr Bank group, led and inspired by Talaat Harb and later-on by Abdel Wahhab. On the Peninsula, the settlement policy of Abdul-Aziz as well as the contractual nature of his dynastic rule also had implications for a new social stratification and differentiation — although much more research is needed in order to be more precise.

As concerns our third and last major event: the search for legitimacy of political power, as see it at work in all three theatres of action under observation here. For the sake of brevity I only enumerate: Hussein bin Ali's ambition for an Arab Caliphate; Rasid Rida's performance as president of the General Syrian Congress; Abdul Aziz's exhortations of the ikhwan movement on strictly Wahhabi lines and his Islamic consultations at Mekka in 1926; the emergence of the Muslim Brotherhood in Egypt in 1928 and of the Muslim Young Men's Association at about the same time.

These latter events led European orientalists at the time to speak about a renaissance of Islam. Think of Gibb's book : Whither Islam, Oxford 1932. One may see in this an interesting parallel to present day events.

(II)

I conclude here my outline and comments regarding the heroic age of the Arab movement and I come to the second period, which I have called the era of mass movements and ideologies.

Of course, it could be argued, that the heroic age well extends into the 40s and 50s — if not the 80s — of this century (think of the Rashid Ali Gailani Movement in Iraq in 1941; of certain aspects of Nasserism; of the strategies of OPEC countries; of the Iraq-Iran war). No doubt, there are many overlappings. Nevetheless the era of massmovements and ideologies is clearly distinct before the middle of this century. It sets in with the local socio-economic and political impact of the World Econoomic Depression of the late 1920s and early

It goes without saying, that in such a comprehensive perspective — which is appropriate to the emergence of a world-wide communication system and a world society — the Arab history of the 20th Century can no longer be treated as an isolated phenomenon or an autistic event. Of course, there are specific and genuine internal developments and events in the Arab world, but largely due to the relentless expansion of a capitalist world system, they share components which also apply to the world at large.

From this broader perspective the Arab history of the 20th Century shows up three major processes or events :

1. the formation of nation-states (sometimes they appear as states without a nation e.g. Sudan, Lebanon)
2. the unfolding of social and, in particular, the emergence of a middle class.
3. the search or contest for legitimacy of political power or of the public sector.

As these processes are in each Arab country inextricably interwoven with varying regional forces and alliances as well as with world events, the 20th Century Arab world is marked by an extraordinary comnplexity and poli-centrism. In contrast, the 19th Century Middle East was largely a bi-polar world, that can be analysed from the opposite angles of Istanbul and Qahira.

Nevertheless, in dealing with the 20th Century Middle East, the historian may abstract three major theatres of action. They are :

1. The Fertile Crescent
2. The Arab Peninsula
3. The Nile Valley

If we locate the above mentioned three major processes of 20th Century Arab history (state formation, unfolding of social classes, search for political legitimacy (in these three centres, we arrive at the following periodization and interpretation of Arab history in the 20th Century. There is first :

1. The heroic age of the Arab Movement, it is followed by
2. The era of mass-movements and ideologies, and it is succeeded by what I call
3. The Middle East under the direction of the technocrats

I shall now elaborate and comment on each of these periods :

(I)

The heroic age of the Arab Movement covers the period from the turn of the century to the 1930 or so. I call it heroic, because it is characterized by Arab self-maintenance and struggle under the strenuous conditions of the Young Turk autocracy, of the defeat and partition of the Ottoman Empire, of the European mandate-colonialism and overall Anglo-French imperial dominance. The term 'heroic' is meant also to refer to the still predominant role of so-called "great persons" such as the Hasemite kings, the Arab-Ottoman officers, Abdul Aziz Al Saud on the Arab Peninsula and Sa'd Zaghlul in the Nile Valley.

Throughout this heroic age the above mentioned three major processes were at work, although with different connotations. Partly their roots can be traced back far into the 19th and 18th Century.

As concerns state-formation, the events in the Fertile Crescent were intrinsically linked up with the European imperial policies of divide and rule. In abstract terms the results were as follows :

The natural and by history and migration traditional South-North axis of the Arab World was by 45° turned into West-East axis, which was alien to Arab heritage and which primarily served Europe's commercial and imperial interests. Think of the railway and pipeline concessions and constructions. The age-old links of the Peninsula and of Egypt with the Fertile Crescent were separated by the British controlled Hasimite Kingdoms and the newly established Jewish or Zionist national home in Palestine. The Fertile Crescent itself and, in particular Greater Syria, were subjected to a policy of Balkanization, which spread the germs for many conflicts and wars to follow. This Balkanization was implemented at a time, when petty nation-states were becoming obsolete because world trade and industrialization required larger economic units. Think for instance of the Danube-Federation scheme or the German-

The Arab Middle East in the 20th Century :
HISTORICAL TURNING POINTS AND STRUCTURAL PROFILES

The history of the Middle East in the 20th century is not a mere chronological continuation of the history of the 19th century. Apart from the fundamental changes of the political map in the course of the 1st world war, the 20th century — in contrast to previous centuries — is still an unfinished epoch. This concerns not only its overall and specific characterization and distinction, but, strictly speaking, has also implications for the methodology of the researcher on contemporary history.

As is well known, any historical research on the 20th century is faced with the 30- and sometimes 50 years rule on state archives. This implies, that whereas the first half of this century can by and large be studied on the basis of hard facts and documentary evidence, the second half of the current century is less open to archival and historical research. For this period, the insights and judgements of the historian remain largely hypothetical. Real empirical research tends to become determined, if not replaced by judgement from hindsight. Often the historian turns to ideological or teleological interpretations. Historical facts and processes are manipulated to fit pre-conceived ideas or so-called laws in history.

In view of such problems, one might indeed doubt, that a historian of the 20th Century can reliably speak about historical turning points and structural profiles.

At least, his findings and interpretations remain open to debate and possibly to revision. Therefore I myself consider my presentation as a suggestion, of how the Arab history of the 20th Century might be interpreted. For the sake of a wider and joint discussion it might prove stimulating, I hope, that this suggestion comes from an outside observor, who is eager to learn from your comments. Since the various phases or sub-periods of 20th Century Arab history, as they are described and interpreted here, ultimately lead into an open future — or end in a still unfinished age, I shall take special precaution, not to argue from hind-sight, as is nowadays often done in the West. In other words, my periodization and interpretation will not be determined by the current antagonisms between socalled Islamic fundamentalism and secular Arabism. From hind-sight one might indeed argue and also find evidence, that this struggle has been one of the perennial issues of 20th Century Arab history. Nor shall I speak in terms of Arab or Islamic socialism, as is often done in order to bridge the gap. This would be an ideological compensation and as such preclude historical analysis in depth.

Nevertheless the dynamics between Arabism and Islamism will be dealt with lateron, although rather as a specific feature of what I call the current crisis of political culture in the Arab world, which again might be part of a more global crisis.

The structural profiles and historical turning points as I see them in a global perspective of the contemporary Arab world are primarily shaped by the fundamental socio-economic and socio-cultural changes of the last eighty years or so as well as by their impact on the inter-relationship between society and political power respectively. It is a matter of fact, that this interrelationship has always and sometimes dramatically been affected by factors of world economy and international politics.

(lecture held at Sanaa University, January 18th, 1987)

	expanded its area of interest further to include Southeast Asian countries as well, such as Indonesia, Malaysia and Burunei. This apparently was at least partially due to the continuing oil glut. Also, the Institute's membership list has grown to include 105 member firms.
Organization Name	Kokusaidaigaku Chutokenkyujo (The Institute of Middle Eastern Studies, International University of Japan.
Date Established	1985 (May 1)
Address	Yamato-machi, Minami-Uonuma-gun Niigata 972
Officers	Director : Toshio KURODA
Sponsor (s)	International University of Japan
Categories	Basic research, translation
Budget	? ? ? ?
Objectives	To facilitate basic research through the use of primary resources.
Activities	For this purpose, it seeks to purchase primary resource materials and encourage translation. It also publishes a journal and a newsletter.
Researchers (N)	? ? ? ?
Research Associates	? ? ? ?
Comments	The Institute is found within the University, where graduate students sent from firms for advanced studies in the region take part in Institute activities. It was created to overcome the problem of conducting original research on the region in view of the fact that Japan is so far behind the West in Study of the region..

	of special interest in depth, and 6) KENKYUCHOSA-HOKOKUDHO (Research Monograph Series), an occasional monograph series on various topics such as one on the Palestinian problem.
researchers (N)	28 (18 from enterprises and 10 professional researchers). One of the Institute members is stationed in Cairo and three at its Kuwait branch office.
Research Associates	? ? ? ?
Comments	The Institute was initially sponsored by the Economic Planning Agency but on July 7, 1976 it wa&s joined by the Ministry of International Trade and Industry, after which time both government agencies jointly promoted the development of the Institute. It was initially staffed by only 11 persons, of whom three were from government and enterprise. By 1984, there were 38 persons in the Institute. Of 38, 19 were from government and enterprise, e.g., 3 from the Economic Planning Agency, 2 from Tokyo Electric, one each from other enterprises such as the Bank of Japan, the Japan Development Bank, Fuji Bank, Sumitomo Bank, Arabian Oil, C. Ito Trading Company and Maruzen Oil. In 1980, the Institute established an overseas office in Kuwait, where three persons are regularly stationed. The number of enterprises supporting the Institute at the outset numbered about 30. The Institute was supported by 70 different enterprises by 1984. The Institute covers three linguistic areas: Arabic, Persian and Turkish. Thus in terms of geography it is concerned with the region stretching from Afghanistan in the east to Morocco in the west and Turkey in the north to Sudan in the south. Furthermore, the Institute does include non-West Asian areas, such as the oil-producing countries of Mexico and Nigeria, as priority demands. All Institute members are divided roughly into three groups: politics, energy (oil), and economics, and each one of them is expected to become familiar with one or two countries. From April of 1984, the Institute added an information management group in charge of data collection and management. (The above comments are taken largely from Shigeki Koyama's postscript to a recently published book entitled "Chutojy-osei to sekiyuno shorai" (The Middle East Trends and the Future of Oil) published by Toyokeizai shinposha in 1984, pp. 419-420. Since then in 1985, the Institute has

Organization Name	Chutokeizai kenkyujo (The Economic Research Institute for the Middle East/Renamed in 1985: The Japanese Institute of Middle Eastern Economies)
Date Established	1974 (September 10)
Address	25 Ichiban-cho, Chiyoda-ku, Tokyo 102. Telephone: (3) 264-3141 (2,3,4)
Officers	Chairman: Kiyoshi TSUCHIYA, President: Yukio MIYAKE
Sponsor (s)	Economic Planning Agency and the Ministry of International Trade and Industry. It should be noted that the JIMEE is entirely a separate organization from the Institute of Developing Economies.
Categories	Research
Budget	240,000,000 yen (1985)
Objectives	The primary objective is to assist business concerns in the region through "basic and comprehensive research."
Activities	Periodically, the Institute analyzes news, trends, and situational factors in order to provide reports for member companies interested in ascertaining risk factors involved in business activities. Its most recent and significant large-scale study is entitled CHUTOSHOKOKU NO SHIHAI TO SEISAKUKETTEIKATEI NO KENKYU (Ruling Structures and Policymaking Process in the Middle East), which took the Institute a year and half to complete. Its regular periodical publications include: 1) CHUTOKEIZAI NYUZU (Middle East Economic News), a monthly journal on economic and political news, 2) KIKAN CHUTOKEIZAIKENKYUJOHO (The Quarterly Journal of the Economic Research Institute for the Middle East), a quarterly journal reporting on happenings of the Middle East in depth, containing book reviews, chronicles, etc, 3) KANTORI RIPOTO (Country Report), an occasional publication focusing on a particular country examining its political stability and economic risk, 4) Special issues on significant events in th region, 5) CHUTOKEIZAICHOSA SHIRIZU (The Middle East Research Series), a series of reports on topics

Date Established	1973 (October 20)
Address	No. 33 Mori Bldg., 8th Floor, 8-21 Toranomon 3-schome, Minato-ku, Tokyo 105, Telephone: (3) 438-1811
Officers	Chairman: Keizo TAMAKI, President: Kokichi TAKA-HASHI
Sponsor (s)	The founding members consist of mostly businesses, including banks and organized business (zaikai) leaders, including those from "keidanren," "doyukai," and "Nihonshokokaigi") concerned with West Asia. The Center was established under the guidance of the Ministry of International Trade and Industry.
Categoeis	Business Promotional Activities
Budget	317,000,000 yen (1985-1986)
Objectives	317,000,000 yen (April, 1985-March, 1986)" to cooperate with West Asian countries in the development of their economies and trades, thereby promoting coopertion between Japan and West Asian countries."
Activities	Are designed to cooperate with West Asia in its efforts to develop its economy, to suply information needed for the development of West Asian economies and to assist those interested in doing business in the region. It holds conferences, conducts research activities, lecture series, and sends trade missions. It publishes a monthly bulletin entitled "Chutokyoryoku Senta Nyusu" (The Bulletin of Japan Cooperation Centre for the Middle East).
Researchers (N)	8 (All sent by enterprises at their expenses.)
Research Associates	0
Comments	The center is established primarily to assist businesses interested in West Asia. It appears to be interested in activities directly relevant to its clients' business concerns. Scholarly activities in the Institute are considered at a minimum.

Categories	Research, Training
Budget	? ? ?
Objectives	1. To conduct research on Asia and Africa, especially with respect to its languages and cultures. 2. To compile and publish dictionaries and other materials designed to facilitate Japanese acquisition of Asian and African languages. 3. To train language specialists.
Activities	1. Research, including a special project on the use of computers in foreign language acquisiton and translation. 2. Language training, 3. Field work abroad, 4. Library, 5. Publications. It publishes AJIA-AFURIKAGENGO BUNKA KENKYU (JOURNAL OF ASIAN AND AFRICAN STUDIES) and another periodical, AJIA-AFURIKAGENGO BUNKA KENKYUJYO TSUSHIN (The Institute Bulletin). Other publications include language textbooks, dictionaries, and research monographs and books.
Reserchers (N)	45 (1977)
Research Associates	There are a few foreign visiting research associates at the Institute. Some research associates at the Institute are from the Institute of Developing Economies.
Comments	An outside observer will note tht the Institute may be one of the most independent research institutes in the nation, striving to promote excellence in the study nation, striving to promote excellence in the study of Asian and African languages and cultures. It is unique in that this Institute is the only one among many which calls West Asia what it is, viz., West Asia. Second, its emphasis on the language dimension in learning about West Asia is commendable and perspective — no doubt this is a most academic and futuristic-oriented institute, dedicated to the study of West Asia, along with the Oriental Library.
Organization Name	Chuto Kyoryoku Senta (Japan Cooperation Center for the Middle East)

tute as a non-governmental entity was incorported to meet a national need to understand Asian economies better through the cooperation of government agencies, financial/economic sectors, and scholars. The Institute continues to rely on government agencies for 89% of its funds, which suggests the dominant role the government (mostly the MITI) seems to be playing in the operation of the Institute. Perhaps the role the government is playing in the Institute is both a weakness as well as its strength, making the Institute's management a challenging task indeed. The Institute's AJIKENNYUSU (Monthly Bulletin) focused on West Asia in its March 1986 issue (No. 66). The special issue suggests that the West Asia Section move toward more comprehensive and integrative research of West Asia as a resut of the West Asia Section's success in obtaining additional funding for this purpose in 1986. Takeshi Hayashi reports in the issue that there is an emerging need for the Institute to specialize within West Asian studies. Currently, he continues his research, one of the themes of his team of scholars being the ethnicity problem which relates closely to nation building. Such a study as this requires teamwork with scholars and businesses with the experience of living in the region, the cooperation of well-trained librarians, effective leadership, and efficient clerical help. The Institute is not directly related to the Japanese Institute of Middle Eastern Economies, although the MITI plays a part in the operation of both institutes. The Institute of Developing Economies is considered to be more acadamic and systematic in its approach to the region than the Japanese Institute of Middle Eastern Economies.

Organization Name — Ajia-Afurikagengo bunka kenkyujo, Tokyo Gaikokugo Daigaku (Institute for the Study of Languages and Cultures of Asia and Africa, Tokyo University of Foreign Studies)

Date Established — 1964 (April 1)

Address — 4-51-21 Nishighara, Kita-ku, Tokyo 114

Officers — ? ? ?

Sponsor (s) — Tokyo University of Foreign Studies (National Univesity)

length. The 1984 Publication Catalogue reports that the Institute has published 243 research volumes, 324 books on West Asia, 116 economic cooperation studies, 13 indigenous enterprise studies, 8 overseas investment studies, 65 Asian economy books, 45 statistical reports, 5 Southeast Asian trade materials, 28 translation series, 7 research report series, 30 reference materials, and 5 bibiliographic series (889 books: 1960-1984). The Institute's English language books include the following: 9 research report series, 8 symposium proceedings, 19 occasional papers, 12 special report series, and 45 statistical date series (93 books: 1960-1984). Of 982 books published from 1960 to 1984, 16 were on West Asia in general, 1 on Afghanistan, 1 on Saudi Arabia, 6 on Iran, 2 on Iraq, 1 on Syria, 2 on Turkey, 1 on Lebanon, and 4 on Egypt. 34 out of 982 books, or 3.5 %, focused on West Asia. The Institute's Annual Report (AJIA KZAIKEKY-OJYO NENPO, Showa 59-60) reporting on its activities of 1984-85 and published on June 20 1985 indicates a heightened interest in West Asia in recent years (since 1980). For example, its trend analysis division started to include West Asia as an area for trend risk analysis. More articles are included in its periodicals. Of 27 scholars sent abroad for various study missions as of March 31, 1985 (each one is sent abroad for a two-year period), 5 were West Asian specialists sent to Cairo, London, Turkey, Jersualem, and Sana'a (North Yemen). There were 21 researchers in the 1983-4 Japanese fiscal year period (March 1983-March 1984) from overseas, including one Chinese scholar who specialized in the Gulf region.

Researchers (N) Approximately 10 specialized on West Asia.

Research Associates ? ? ?

Comments Although Japan's relations with Asia have been close historically and geographically, there was a need to understand the Asian economy better in order to provide a basis for economic cooperation with Asian countries which led to the formation of the Institute. In order for Japan to make mutually beneficial decisions,l the need to obtain independent and reliable empirical data was of prime improtance. Companies operating in Asia have been conducting studies on their own. However, their effrots were often duplicated and inadequate. The insti-

	ducted by either active or retired foreign service officers, ambassadors and West Asian visitors, including scholars and journalists.
Organization Name	Ajiakeizai kenkyujo (The Institute of Developing Economies) (West Asia is an area covered by the Institute)
Date Established	1958
Address	42 Honmura-cho, Ichigaya, Shinjuku-ku, Tokyo 162
Officers	Chairman: Miyohei SHINOHARA, President: Hisatoshi MORISAKI
Sponsor (s)	Initially incorporated in 1958. Incorporated in 1960 under the jurisdiction of the Ministry of International Trade and Industry.
Categories	Economic research
Budget	3,082,518,000 yen (1984-5) (2,756,480,000 yen from the government of Japan: 89 %)
Objectives	To gather basic/comprehensive data on Asian economies and increase understanding of the region in order to expand Japan.s economy, which depends heavily on overseas trade, and to cooperte with and assist the development of Asian economies.
Activities	Conducting research, gathering data, sponsoring lectures and seminars, maintaining a library, and publishing periodicals and books. Publications include the following periodicals: AJIAKEIZAI (Asian Economy) (monthly, about 106 pages in length), AJIAKEIZAISHIRYOGEPPO (Montly Report on Asian Economic Data), (monthly, about 80 pages in length), AJIA TORENDO (Asian Trends) (Quarterly, 90 pages in length), AJIA-CHUTO DOKONENKAN, (Asian and Middle East Trends Annual), (Annual publication about 750 pages in length), and AJIKEN NYUSU. (Institute Bulletin), (Monthly News on the Institute's activities, about 32 pages in

Address	Mori Building No. 15, 8-10-2, Toranomon Minato-ku, Tokyo 105 Telephone: (3)-591-0955/591-0958
Officers	Chairman: Tatsuzo MIZUKAMI, Presdident: Yoshiro NAKAYAMA, Director: Nobuo ASAI
Sponsor (s)	Research Group and Ministry of Foreign Affairs
Categories	Research, Education and Friendship
Budget	About 70 million yen
Objectives	To promote research activities and disseminate results for the purpose of improving relations with West Asian countries, including North Africa.
Activiteis	Conduct research, collect data, maintain library resources, sponsor lectures, seminars, and conferences, and publish journals and books. Publications: CHUTO KENKYU (Journal of the Middle Eastern Studies) (bimontly), CHUTOSEIJI-KEIZAI NYUSU (The Middle Institute News) (bi-weekly), CHUTO-KITA-AFURIKA NENKAN (The Middle East and North African Annual), CHUTOKAN-TORIJYOHO (The Middle Eastern Country Report) (bi-weekly on eight major countries in the region — Saudi Arabia, Egypt, Algeria, Kuwait, iran, Iraq, UAR, and Oman).
Researchers (N)	5 (Sen-in kenkyuin)
Research Associates	8 (Ken-nin kenkyuin)
Comments	It started in the wake of the Suez Crisis in 1956, as a study group of Middle East and North African university specialists. Its members wrote reports for the Ministry of Foreign Affairs and others. Demand for such studies resulted in the establishment of the Middle East Institute of Japan, founded by the Ministry of Foreign Affairs on October 3, 1960. Although some original research projects are carried out through contracts and publication activities, most seminars, discussions and lectures are con-

Organization Name	The Toyo Bunko (The Oriental Library)
Date Established	1924
Address	28-21 Hon-komagome 2-chome, Bunkyo-ku, Tokyo 113
Officers	Director General: Kazuo Enoki
Sponsor (s)	? ? ?
Categories	Library, Research
Budget	150,000,000 yen
Objectives	To build and maintain library resources, conduct research, and publish relevant materials on the Orient.
Activities	Maintains a library and publishes about 10 books/reports per year. Recently, it compiled its collection of Arabic language materials. The 678-page volume was published in March 1986. It represents efforts made to collect Arabic/Islamic materials of the past 27 years. The current revised volume took the Library three years to complete under the able leadership of Professor Tsugitaka Sato. Its emphasis is on Central Asia, China, and Islam.
Researchers (N)	3 (Senmon kenkyuin) (Full time)
Reserch Associates	60 (Ken-nin kenkyuin) (Part-time)
Comments	Of the 63 researchers at the Library, about 10 are specialized on West Asia. What appears to be significant about the Library is members are part-time researchers who have full-time positions with universities and other institutions.

with universities and other institutions.

Organization Name	Chuto Chosakai (The Middle East Institute of Japan)
Date Established	1956

Shiba, Shiro. EJIMPUTO KINSEISHI (MODERN EGYPTIAN HISTORY).
Tokyo : Hachio shoten, 1889.

Shillony, Ben-Ami. "Japan and ISrael : A Special Relations," Ronald Morse, ed.
JAPAN AND THE MIDDLE EAST ALLIANCE POLITICS.
pp. 81-92 Washington, D.C. : University Press of America, 1986.

Shimizu, Jyohei, Yuzo Itagaki, Takatsugu Sato, eds. . .
ISURAMU JITEN (ISLAMIC LEXICON).
Tokyo : Heibonsha 1982.

Shimoda, Jyohei, Yuzo Itagaki, Takatsugu Sato.
ISURAMU JITEN (ISLAMIC LEXICON).
Tokyo : Heibonsha, 1982.

Tamura, Hideiji. ARABUGAIKO 55-NEN, GE (MY 55-YEARS OF ARAB DIPLOMACY, Vol. 2).
Tokyo : Keiso Shobo, 1983.

Yoshitsu, Michael M. . CAUGHT IN THE MIDDLE EAST.
Lexington, Massachusetts : Lexington Books, 1984.



Kanafani, Ghassen. Translated by Toshio Kuroda and Mustumei Ntuahara, TAIYO NO OTOKOTACHI/HAIHANI MODOTE
(MEN IN THE SUN/UPON MY RETURN TO HAIFA.
Tokyo: Kawaide Shobo Shinsha, 1978.

Kataoka, Kunio. "Narrow Options for a Pro-Arab Shift: Japan's REsponse to the Arab Oil Strategy in 1973m"
ANNALS OF JAPAN ASSOCIATION FOR MIDDLE EAST STUDIES.
No. 1, pp. 106-149 (1986).

Kokuritsu minzoku, hakubutsukan.
SHINPOJIAM: WAGAKUNI NI OKERU CHUTOCHIEKIKENKYU NI KANSURU GENJO TO TENBO — HOKOKU TO TORON NO KIROKU (SHO) (A SYMPOSIUM ON THE PRESENT STATUS AND THE PROSPECTS OF THE MIDDLE EAST STUDIES IN OUR COUNTRY: EXCEPTS FROM REPORTS AND DISCUSSIONS.
Tokyo: Kokuritsu minzokugaku hakubutsukan, 1979.

Kokusai koriyukikin (The Japan Foundation),.
CHUTO TO NO TAIWA — BUNKAKORIU O MEGUTTE (DIALOGUE ON THE MIDDLE EAST CONCERNING THE CULTURE EXHANGE).
Tokyo: The Japane Foundation, 1977.

Koyama, Shigeki. "Atogaki" (Poststript), Chutokeiwai Kenkyujo
(The Economic Research Institute for the Middle East) ed.
CHUTOJOSEI TO SEKIYU NO SHORAI (THE CURRENT TRENDS IN THE MIDDLE EAST AND THE FUTURE OF OIL.
pp. 419-420 Tokyo: Toyokeizaishinpo-sha, 1984.

Kuroda, Yasumasa. "-Al-rua al-Yabania Lilalam Al-Arabi: Tabiatehq waafaqhah"
(Japanese Perception of the Arab World: Their Nature and Scope), AL MUSTAQBAL AL-ARABI (THE ARAB FUTURE).
No. 82, pp. 74-93 (December, 1985).

MUSTAQBAL AL-ARABI (THE ARAB FUTURE).
NOo. 82, pp. 74-93 (December, 1985).

Kuroeda, Yasumasa. "The Oil Crsis and Japan's New Middle East Policy,"
ANNALS OF JAPAN ASSOCIATION FOR MIDDLE EAST STUDIES.
Vol. 1 pp. 150187 (1986).

Kurofda, Yasumasa, Fereidun Fesharaki, and Wendy Schultz.
(1986).

Maejima, Shinji. "Isuramu kenkyu buumu kotohajime"
(The Beginning of 'isramic Boom), Nihonarabukankei kokusaikyodokenkyu kokunai-iinakai (Japan-Arab Joint International STudy, Domestic Committee, NIHON TO ARABU (JAPAN AND THE ARABS).
pp. 3-21 (1980).

Miki, Wataru et. al.. ISURAMUSEKAINO HITO (PEOPLE IN THE ISLAMIC WORLD).
Tokyo : Toyokeizaishipo-sha, 1984.

Murata, Ryohei. CHUTO TO IU SEKAI (THE WORLD CALLED THE MIDDLE EAST).
Tokyo : Sekai no ugoki-sha, 1981.

Odaka, Masao. ARABU TO ARUITE 30-NEW (30-YEARS WITH TEH ARABS).
Tokyo : Kobundo, 1982.

Said, Edward W.. ORIENTALISM.
New York : Vintage Books, 1979.

6. REFERENCES

Kuroda and Asai — Friday July 18 1986. 11:12 am

Asai, Nobou. "Seisakushiko ni tsuymoi to Jaykuten"
(Strength and Weakness in Policy-Oriented Studies), CHUTOTSUHO (MIDDLE EAST BULETIN).
pp. 26-30 (January 1984).

Asai, Nobuo. CHUTO ENOSHIKAKU (VIEWS TOWARDS THE MIDDLE EAST).
Tokyo : Nihonhoso shuppqnkqi, (1986).

Congressional Quarterly,. THE MIDDLE EAST, Sixth Edition.
Washington, D.C.: Congressional Quarterly, Inc. 1986.

Findley, Paul. "Congressional Opinion on U.S. Middle East Policy," AMERICAN-ARAB AFFAIRS.
16, PP. 4/8 (Spring, 1986).

Green, Stephen. TAKING SIDES: AMERICA'S SECRET REALTIONS WITH A MILITANT ISREL.
New York: William Morrow and Company, 1984.

Hachoioshi, Makoto. "Kin, Gen-sei" (Modern/Contemporary Period), SHIGAKU ZASSHI (THE JOURNAL OF HISTORY).
Vol. 92, No. 5, pp. 264-266 (1983).

Haleh, Tawfic. AL-RIJAL FI AL-SHEM (TAIYO NO OTOKOTACHI) (MEN IN THE SUN)
(Movie). Syria, 1971.

Hamid, Riaf Abbas. "Arabic Studies in Japan", Shigeki Majima ed. A STUDY OF ARAB-JAPANESE MUTUAL IMAGES.
PP. 62/71 (1980). Tokyo: Japan National Committee for the Study of Arab-Japanese Relations.

Hayashi, Takeshi. "Ajiken no chotokenkyu" (Middle East Studies at the Institute of Developing Economies),
Ajiken Nyusu (The Institute of Developing Economies News). No. 66, pp. 2-3 (March 1986).

Hirokawa, Ryuichi. "Kabe o tataku-otokotachi" (Men Who Knock the Wall), SEKAI (THE ZORLD)
pp. 188-300 (January, 1986).

Ikeda, Osamu. "Arabic Teaching in Japan", Shinji Maeda, ed. A STUDY ON ARAB-JAPANESE MUTUAL IMAGES.
pp. 75-81 Tokyo: Japan National Committee for the Study of Arab-Japanese relations, 1980.

Itagaki, Yuzo. "Japan's Discovery of the Arab World; Basis of Cognizance and Future,
Shinji Maejima, ed. A STUDY ON ARAB-JAPANESE MUTUAL IMAGES.
pp. 55-61 Tokyo: Japan National Committee for the Study of Arab-Japanese reltions, 1980.

Itagaki, Yuzo. "Perception of Different Cultures:
The Islamic Civilization and Japan, The Japan Foundation. THE ISLAMIC WORLD AND AJAPAN: IN PURSUIT OF MUTUAL UNDERSTANDING.
pp. 139-150 Tokyo: The Japan Foudnation, 1981.

Itani, Kuzo. "Isuramu jidai" (Islamic Period), SHIGAKU ZASSHI (THE JOURNAL OF HISTORY).
Vol. 91, No. 5, pp. 279-282 (1982).

financing of its naval forces by a Jewish financier in New York (Ben-Ami Shilloni (1986). But, of course, then, Arabs as well as Jews were jsut beginning to wake up to modern nationalism. Arabs who admired the Japanese include such authors as Hafez Ibrahim, an Egyptian poet who depicts the dedication of "Japanese maidens" who accompanied their compatriot soldiers to the front as nurses in th Russo-Japanese war. Mustapha Kamel wrote a book on Japan to awaken the Egyptians to their nationalism as well (Murata (1981) p. 339, Odaka (1982) pp. 154-155).

6. There were only 15 publications on West Asia in 1950. By 1973, it rose to 193, or 13 times. For more detail, see Kuroda, (1985) p. 88.

7. For more detailed information on major organized research efforts in Japan, see Appendix. The list contained in the Appendix does not include research associations, but only reserch institutes/centers. We do not claim this list to be exhaustive, but only illustrative of the nature and scope of organized research activities on West Asia in Japan.

8. On how Japan faced the first energy crisis, see Katakura (1986), Kuroda (1986) and Yoshitsu (1984).

9. This portion of the presssent analysis relies heavily on Professor Takatsugu Sto's letter to Kuroda dated, April 9, 1986.

10. For more detail, see Findley (1986). For Asais' obsenvtion of the status of West Asian studies in the United States, see Asai (1984).

11. Kanafani (translated into Japanese by Toshio Kuroda) (1978). "Men In The Sun", a story of Palestinian struggle for freedom, is a moving novel designed to wake up Palestinians to their rights and the articulation of their interests, difficult as it may be. The alternative is the annihilation of Paletine in the hot sun. Although attempts were made by Japanese to translate these and other Arab authors in the 1970's, their works did not sell well in Japan.

12. Kanafani's "Men in the Sun" was made into a movie by Tawfic Saleh, (1971) who changed the ending slightly from the original text to show that in fact men "in the sun" did hit the wall like crazy to let the world know of their suffering, while some people in the world live in air-conditioned comfort. The film, made in Syria in 1971, was shown in Japan in 1985. The dying cries of the Palestinians went unheeded by the noise of the air conditioner which muffled their voices — powerful and thought-provoking ending that critically views the entire world for its systematic efforts to supress oppresed people. For an excellent commentry on this, see Hirokawa (1985).

Hirokawa, who heads the Palestinian and Jewish Study Committee, Japan, writes eloquently of Kanafani's novel and Saleh's movie, with eqaul compassion for the oppressed, in his article published in an intellectually influential journal (1986). The Palestinian driver who discovers three of his compatriots dead in the heated water-tank truck cries out, "Why didn't you knock the wall? Why? Why?" The voice echoes through the desert — WHY? WHY?. . . That is how the novel ends.

In 1971, when the novel was made into a movie directed by an Egyptian, Tawfic Saleh, some parts were modified, Perhaps the most crucial modification was made in the ending. The camera focuses on the water truck under the hot sun. The audience hears the noise of the three men frantically knocking the wall. The camera quickly leaves the scene to focus on the Immigration Office, where an air conditiner is running at maximum capacity to make the life of those who are inside comfortable. Alas, the noisy air conditioner muffles their cry for help. The world operates in a manner that makes it impossible for the Palestinians' voice to be heard. Saleh's ending may be prompted by the events of the early 1970's when Palestinian commandoes began jetline hijackings. The oppressed speak up, but the system has ubiquitously erected the thick wall so we may live in comfort. Yet even the West Asian desert sun cannot liminate the voice of the Palestinians. Kanafani was assassinaed, but his spirit lives on. However, the tragedy is tht the walls are getting thicker and thicker and the noise of air conditioner is getting louder and louder as recent events in the region attest. The words of Ambassador Donald McHenry echo the existence of the wall, so thick that the United States, a superpower, "is unable to pursue its own national interests in tht region."

ing noise muffling the voice crying out for justice in the wilderness as depicted by Tawfic Saleh in his movie version of Kanafani's "Men in the Sun". (12) In this sense, Japan may even be in a better poisition than many Arab states that do not allow the academic and political freedom needed to develop West Asian studies, debased by Western Orientalism.

We have pointed out areas of improvement that can be made to make West Asian studies in Japan a world-class area study. A last, but not the least point to be made here is a need to make the study of West Asia not simply more contemporary-oriented as business sectors would like to have it, but more future-oriented. Which may help to increase the number of students interested in West Asia. We need to teach the next generation of West Asian scholars not simply what the past wa slike nd what the present is like but what the future ought to be and is going to be like, for if we do not take part in th shaping of the future of the world, someone else will shape it for us. We need to teach what is relevant and useful to our students when they become professionally active. Let's we may be misunderstood it should be noted that so-called basic research needs to be emphasized withough any doubt, but tht is not enough for the next generation.

5. NOTES

The present paper is a joint product of the two of us. Asai provided much of the materils and notes used by Kuroda to draft the paper in English. Asai derived his notes largely from his encounters with many individuals in Japan and abroad, plus two written sources: Kokuritsu-minzokugaku hakubutsukan (National Museum of Ethnic Studies) ed., "Shinpojiam: wagakuniniokeru chutochiekikenkyu ni kansuru genjo to tenbo — hokoku to toron no kiroku" (sho). (A symposium on the Present Status and the Prospects of the Middle East Studies in Our Country: Excepts from Reports and Discussions." (1979). Kokusai koryukikin (The Japan Foundation). CHUTO TO NO TAIWA — BUNKAKORYU O MEGUTTE (DIALOGUE ON THE MIDDLE EAST CONCERNING THE CULTURAL EXCHANGE). Tokyo: Kokusai koryukikin (The Japan Foundation), (1977). Kuroda wishes to express his gratitude to Yuzo Itagaki and Takatsugu Sato of the University of Tokyo, Manabu Shimizu of the Institute of Developing Economies stationed in Cairo, and Yoshiki Hatanaka of the Japanese Institute of Middle Eastern Economies without burdening them with any responsibility for any part of the present article.

1. As cited in Maeda (1982) pp. 12-3. A slight modification was made in the English translation, without changing the meaning of the original Japanese text.

2. From where we are located in Hawaii and Tokyo, the loction of the region with which we are concerned makes more sense if we were to call the region West Asia rather than the Near East or the Middle East, a term developed by ethnocentric Europeans. We realize that the term is not used widely, but it is used by some, including some Japanese engged in West Asian research. In order to freshly review the status of Middle East studies, we have decided to employ the term 'West Asia,' at the insistence of one of the authors, Kuroda, with Asai's approval. In this frame of reference, Japan and China will be considered East Asia and Arab countries West Asia — a very simple and understandable concept to those without the burden of traditional learning. Asai reminds Kuroda that the Maghrib is an integral part of the Arb culture. Are we not being ethnocentric in our own way by calling North Africa a part of West Asia? Kuroda recognizes the limitation of the West Asian concept, but he concludes that its benefits outweigh its limitations.

3. Few Japanese paid attention to West Asia in earlier years. Nevertheless, Shiro Shiba describes what he learned from Arabi Pasha, an Egyptian nationalist in exile in Ceylon. Upon his return in 1888, he and Kanjo Tani, the minister of agriculture and commerce, helped to eliminate unequal treaties with foreign powers (Hamid (1980) p. 63 and Shiba, (1889).

4. The data for this are derived from figures in the Congressional Quarterly, 1986, p. 100. By comparison, non-Communist oil consumption as a whole increased 4.5 times, while that of the U.S. only multiplied 2.5 times, and European members of the OECD, 12 times during the same 25-year period.

5. There were Arabs who saluted the Japanese victory over Tzarist Russia. It is ironic that the Japanese victory was made possible through the

research work. Their works are largely derived from two sources: Western language matrials and direct reports from their own research staff in West Asia, plus other Japanese languge materials. The Japanese, from Prime Minister Nakasone on down, have been talking about the need for Japan to be internationalized. We agree this internationalization ought to be extended to include West Asian studies.

Furthermore, as in the case of other countries, businessmen, reporters, and diplomats often take condescending views toward scholars for their narrow views who in turn look down on businessmen, journalists, and diplomats for their shallowness. This problem is not unique to Japan to be sure, but it certainly stunts the study of West Asia as an area. What we need to keep in mind is that most scholars of West Asian studies in Japan today represent the first genertion of West Asian scholars, whose original field of training was not West Asia. They became interested in West Asia for a number of reasons. Many West Asian scholars in Japan today were businessmen, bankers, diplomats, and journalists.

Third a large number of scholars specialized in West Asia are historians, archeologists and other interested in Ancient and Medieval West Asia. Many of these scholars are members of the Japan Orientalist Association. As anticipated, they often and perhaps rightly take a dim view of some of the studies motivated by short-sighted economic interest. Some of them even go so far as to state that there was no need for the formation of the Japan Association for Middle East Studies in 1985. Although an increasingly large number of books on contemporary West Asia are published in Japanese, there has been relatively little work done on *policy analysis* Asai (1984). It took an American political scientist specialized in Japanese foreign policy to publish the first book on Japanese foreign policy toward West Asia (Yoshitsu (1984)). A constraint in this regard is the Japanese government, which does not release needed government documents for policy analysis. Perhaps what Japan at the nationa level needs is a *freedom of informtion act* such as the one enacted in the United States and of which such authors as Stephen Green have made extensive use in proving American Asian policymaking (Green 1982)).

Fourth, unlike the Unied States, Japan is relatively free from any political pressure group in formulating its West Asian policy as well as in promoting its West Asian studies. Such is not the case in the superpower United States, where a former U.S. ambassador to the United Nations, Donald McHenry, revealed to former Congressman Paul Findley, "Unfortunately, because of the lobby (Israeli), the United States is unable to pursue its own national interests in that region (West Asia)." (10)

However contraining the pressures that exist in the field of West Asian studies in Japan, it must be at a minimum, in relation to what exists in *the United States, where the government reportedly cannot pursue its own national interest.* It is our view that Japan is in a position to *develop world-class West Asian Scholarship with minimum political pressure and maximum freedom, if and only if it is willing to fund West Asian studies, for there is no wall such as the one Ghassan Kanafani so poignantly describes in his "Men in the Sun".(11). Japan should take advantage of this absence of domestic political pressure. The only enemy Japan has to fight is apathy. The University of Tokyo, which has a West Asian programme has only a few West Asian specialists and a few majors in the West Asian field.*

CONCLUSION

Kuroda and Asai

In Summary, we may be justified in generalizing that Japan started late in its study of West Asia and still has a long way to go to develop West Asian studies. However, it has its own advantages in two ways. First, it really had no tradition of "Orientalism" from which the West had suffered. Second it lacks domestic pressure against pursuing whatever West Asian specialists desire in their pursuit of knowledge.

Japan did pursue knowledge of Islam in the name of bringing a new imperialistic order to Asia. Following the war, it shed its military, political, and territorial dimensions. However, economic interest continues to dominate in affecting the nature and direction of West Asian studies to some extent, a phenomenon to which we do not object as long as certain conditions are met. *There is no air condition-*

Tokyo Bunko just published a catalogue of all books in Arabic contained in its library. It contains a 687-page list of books. The Toyo Bunko has the largest collection of books in Arabic in Japan. A similar version of books in Turkish was published a few years ago. In 1982, an Islamic lexicon was edited by Jyohei Shimada, Yuzo Itagaki, and Takatsugu Sato and published by Heibonsha (1982). The lexicon was written by approximately 100 contributors. ISURAMUSEKAINO HITOBITO (People in the Islamic World), edited by Wataru Miki and others at the Tokyo Univesity of Foreign Studies, consists of four volumes (1984). The project took over ten years to complete. These books are indicative of the level of Japanese scholarship on Islam, which has come a long way in a relatively short period of time in relation to the West.

Japanese scholars are begining to produce original articles of high quality that can be introduced to West Asian studies at large in the world today if they are written in English.(9) Toshihiko Izutsu, a noted authority on Islamic thought recognized for his scholarship, is one of the few shcolars who lectured on Islam in the West if not the only one at such places as McGill University. In the field of history, Koshi Morimoto's study of taxation history during the Umayyad and Abbasid dynasties, Takatsugu Sato's study of farming communities under the Mamluks and others by im, Yuzo Nagata's study of the Ottoman era, and Hiroshi Kato's study of farming communities in 19th century Egypt. Even in the field of West Asian history, where there are many studies, comparatively speaking, the field remains only unevenly devloped. There are hardly any historians interested in the history of Arab society under the Ottoman Empire, for example.

Let us enumerate what we consider problems and constraints facing West Asian studies in Japan.

First, there is a need for more independent academic study of West Asia. As noted earlier, West Asian studies in pre-war Japan were dominated by imperialism, while following the war, Japan's West Asian studies was led by economic concerns. Japanese pre-war imperialism was characterized as a replica of Western colonialism with its military, political, territorial, and economic expansionsim. Japan dropped all forms of imperialistic domination, except in the realm of economic expansionsim after the war. Of course, we see no wrong in economic expansionism as long as it also promotes the indigenous economic development of host countries in the tradition of democracy. Thus, we see nothing wrong with Japanese corportion promoting West Asian studies as long as such studies *equally* promote the interest of all parties concerned. In fact we would even go so far as to say that *the exchange of ideas between businessmen and scholars constitutes an important contributing basis in the development of creative culture* as the Ancient Greeks had proved long ago when they learned to use two of the most abstract constructs of the day, namely, money and written language from the ancient Syro-Palestinian travelers and businessmen. Having said that, we regret to note the decline in support of the Japan Cooperation Center for the Middle East as Japan faced the oil glut and the decline in the price of oil.

A serious constraint operating to discourage the business sector from providing more funds to the scholarly community for its needed research activities is the Japanese tax structure, which does not allow deductions to those who contribute to non-profit scholarly organizations. A tax reform in this regard is needed for West Asian studies to grow.

Second, a related point to be made at this juncture is the closed nature of Japanese society, which discourges persons moving in and out of the scholarly community. Not only did Japanese national universities prohibit foreign professors to be tenured faculty till a few years ago, but *none of the institutes for West Asian studies had any West Asian as a regular researcher,* a fact which struck one of the co-authors of the present paper, Kuroda. Of course, he was used to area studies centers in the United States, where indigenous scholars from abrod worked together with American colleagues. What Kuroda saw was that non-Japanese scholars were visitors only. This phenomenon is also manifested in the lack of citations from original West Asian language materials in works published by the organized research institutions. *Their publications have reached the point where they can no longer drastically improve quality without scholars with West Asian language skills and West Asian scholars themselves on their regular research staff.* Historians in this regard are more advanced than those who deal with the present and the future of West Asian in their

3. OBSERVATIONS AND ASSESSMENTS

We are in basic agreement with Raouf Abbas Hamid (1980), who categorized West Asian specialists in Japan into three groups by observing the state of Arab studies in the 1970's: 1) Western "Orientalist," 2) Japanese Islamic specialist, and 3) Modern West Asian specialist. The first group of scholars consists of those who not only depend on Western scholarship for information but also their entire orientation as well, without much attention paid to indigenous scholarly works in the region. The second group of scholars approaches the study of West Asia almost exclusively through the Islamic dimension. Some of these scholars are Buddhists interested in Islam for the purpose of comparing their religion with that of Islam. The last group, whose number seems to be on the increase, shows their rejectin of the "Orientalist" tradition without totally disregarding Western scholarship but demonstrates a willingness to expose themselves to indigenous scholarship in West Asia.

There have been reactions against Western scholarship and its "Orientalist" tradition (Itani (1982) p. 279), such as from the newly established Institute of Middle Eastern Studies at the International University of Japan, which has launched a series of translation projects from Arabic to Japanese. Obviously, no scholars do or should disregard Western scholarship altogether and embrace everything written by West Asians.

A cursory review of the contents of the first issue of the ANNALS OF JAPAN ASSOCIATION FOR MIDDLE EAST STUDIES indicates a clear trend toward the "Modern West Asian specialist" approach. Four out of nine articles were written by non-Japanese authors — an Egyptian scholar, an Abu Dhabi diplomat, a Muslim scholar, and an American scholar of Japanese origin. Languages used in the volume were Arabic, English, Japanese, and Russian, suggesting a multi-lingual international orientation unobserved in American journals specialized in West Asia. A great majority of the articles and research notes dealt with contemporary topics.

The formation of the Japan Association for Middle East Studies was welcome news to those concerned with the development of West Asian studies in Japan. Its bylaws explicitly state its intention to go beyond the ethnocentric "orientalism" of the West in its pursuit of knowledge through interdisciplinary cooperation among scholars from various disciplies such as *engineering and science* in addition to the traditional area studies' familiar disciplines of humanities and social science. Such a forward orientation should be saluted, for we are convinced that the future area study should incorporate all disciplines, including future studies, as should any discipline designed to fully understand any geographic area of the world.

A few trends to be observed here. Aside from the increased volume of works on West Asian studies done in recent years, there has also been an increase in the number of Japanese tourists whose destination is West Asia in general and Egypt and Turkey in particular. It used to be that most tourists stopped by West Asia either on their way to or from Europe. Mass media now cover more news on West Asia then ever before, as far as quantity is concerned, without any doubt, but there is little in the way of investigative Journalism delving into depth analysis of problems facing West Asia.

Are the Japanese masses interested in West Asia? First, the salience of West Asia in the minds of the Japanese masses probably reflects current events (Kuroda (1985) pp. 81-82). Second, the nature of interest seems to be structured in such a manner that what the masses desire to know is limited to an introductory level knowledge of West Asia, and not a scholarly level, as expected in any natin. For example, while most scholarly books or West Asis sell a few thousands copies over a period of severl years, Asia's introductory book on West Asia entitled "Chuto eno Shikaku" (Views toward the Middle East), written for the masses, sold 40,000 copies in its first month of publication (Asia, 1986). The book was written as a textbook for an educational television programme for Japan Broadcasting Corportion. He lectured on West Asia 12 times over the government television station from April through June. The size of the audience was around one million per lecture, which was considered large.

There are a couple of positive occurrences to be noted here at this time. First, there have been severl large comprehensive sutides on Islam in the last several years. They had taken a number of years to complete because of their size. For instance, the

researchers, about 20 in all, are from corporations. It is by far the largest research institute on West Asia in Japan. A cursory review of some of their publications indicates a relatively high level of scholarship, especially when one considers the fact these researchers represent the first generation of West Asian specialists in Japan and that they came from various occupational backgrounds prior to their specializing in West Asia. An increasingly large number of them are learning West Asian languages as well.

Despite the increased efforts made to understand West Asia, a number of areas remained behind in catching up with the dynamics of changing West Asia. Nowhere in the region was such a lack of knowlege demonstrated than in Iran, when Mitsui, in cooperation with other concerns and the government, had inititated a large scale petrochemical project in cooperation with Iran. The U.S., which depended heavily on the CIA and the SAVAK, of course, was equally kept misinformed, as were the Japanese, who may have received the same intelligence reports. In 1978, then-Prime Minister Takeo Fukuda visited Teheran, where he met with the Shah of Iran. A most significant event that impressed the prime minister was his encoutner with anti-Shah demonstration on his way to see the Shah. He was struck by the magnitude and seriousness of the anti-Shah feelings among Iranians, as well as his own ignorance of th situation in Iran. Of course, his ignorance meant that his government was equally in the dark about the dynamic of Iranian power relations. He lamented the lack of Japanese understanding of West Asia and instructed his officials to improve the quality of West Asian studies in Japan. Subsequently, a mission consisting largely of scholars was sent to the region to make appropriate recommendations to rectify this regretful state of affairs. One of the outcoms of the mission was a proposal to establish a national institute for the study of West Asia. The Ministry of Education, in its proposed budget for 1979-1980, incorporated the proposal necessary to develop such a center or institute. Unfortunately, however, it happened to coincide with the administration's reform efforts to cut the budget for just about every item, which resulted in the indefinite postponement of the project.

All is not lost, however, for there have been some new and positive developments designed to promote the study of West Asia. For example, since then the University of Tokyo and instituted an Islamic study programme, the International University of Japan had inititated the Institute of Middle Eastern Studies, and several universities began to teach courses on West Asia. And most importantly, the Japan Association for Middle Eastern Studies was formed in 1985, and its first annual was published in March of 1986. Also in 1984, SEINAN AJIA KENKYU (The Journal of West and South Asian Studies), renewed its publication after 13 years of doldrums.

For those interested in an annual review of historical works on West Asia and North Africa, SHIGAKU ZASSHI (The Journal of History), edited at the University of Tokyo, contains an annual review of all major historical works published each year related to Islam, West Asia and North Africa. It is an excellent source of information for those who desire a quick review and trend analysis of Japanese scholarships on West Asian history. The annual review on West Asia started in its review of works published in 1975 with its Vol. 85, No. 5. As noted by Makoto Hachioshi in his review of 1982, it reflects the growth of Japanese scholarship of West Asia in both quantity and quality (Hachioshi, 1982, pp. 831). Certainly, Kuroda's quantitive analysis of the quantity of publications on West Asia coincides with Hachio's observation (Kuroda (1985) p. 88). Hachioshi continues on to state that published works on contemporary West Asia relfect the nature of recent events such as the rise of Islam in the region.

Those interested in Japan's West Asian studies but who do not read Japanese will find at least nine periodicals in Western languages: ANNALS OF JAPAN ASSOCIATION FOR MIDDLE EAST STUDIES, BOOKS AND ARTICLES ON ORIENTAL SUBJECTS, BULLETIN OF THE SOCIETY FOR NEAR EASTERN STUDIES ON JAPAN, JOURNAL OF ASIAN AND AFRICAN STUDIES, MEDITERRANEUS, MEMOIRS OF THE RESEARCH DEPARTMENT OF THE TOYO BUNKO, MIDDLE EAST STUDIES, ORIENT, and THE WORLD OF ISLAM (Kuroda (1985) p. 87).

Institute of Developing Economies. Containing a section on West Asia, it was established in 1958 under the jurisdiction of the Ministry of International Trade and Industry (hereafter referred to as MITI). Both of these institutes appear to have been prompted by the Japanese government's need for knowledge in the region. However, the former has a different origin in relation to the latter in that it originally started as a university professors' study group concerned with West Asia and North Africa. The organization's development was a direct consequence of Nasser's successful effort to nationalize the Suez Canal in 1956. Some of its members, *e.g.*, the late Hajime Kobayashi, did research for the Ministry of Foreign Affairs' which led to the formation of the Middle East Institute of Japan in 1960 (Tamura (1983) pp. 263-264).

Writing in 1986, Takeshi Hayashi a recently retired (March 1986). Head of the West Asia section of the Institute of Developing Economies, comments on the need of each different institute in Japan to find its niche within West Asian studies. He defines what he considers the Institute's study of West Asia as being a discipline tht does not belong to any established discipline (1986) p. 3.). One of the current themes of its study is "ethnicity," which cuts across many disciplines, and which has bearing on a number of problems that face West Asian countries.

Another institute that came into existence during this period is the Institute of the Study of Languages and Cultures of Asia and Africa at the Tokyo (National) University of Foreign Studies. The Institute incorporates West Asia and North Africa in its scope of research activities, including Arabic, Farsi, and Turkish. It is the only institute which uses the term 'West Asia' to refer to the Middle East. Although the emphasis is on languages, the Institute goes beyond the linguistic subject to include cultural studies as well. The nature of the research is rather general, with special emphasis being placed on language.

In short the formation of organized research activities on West Asia remained rleatively inactive, despite Japan's significantly increased dependence on West Asia as its primary energy source.

2.3 Post-Energy Crisis Period (1975-)

Japan was force to face reality in the wake of the first energy crisis as predicted by King Faisal, who coordinated an uncommon unity among Arab nations in the fall of 1973.[8] A harbinger of the crisis was OPEC's decision to raise its oil prices in September, 1973, followed by the outbreak of the fourth Arab-Israeli war in October. As the Arab oil embargo went into effect, Japan, along with Western Europe, shifted its foreign policy toward the protracted crisis in the region.

What took place following the first energy crisis is a spectacular rise in the publication of articles and books on West Asia. Figure 1 demonstrates the dramatic surge of publications from 1973 (193 items) to 1974 (246) and 1975 (389). The number of Muslims also increased melodramatically — ten times from the first to the second energy crisis.

The Japan Cooperation Center for the Middle East, coming into existence on October 20, 1973 in the midst of the October War, could not have picked a better time to have its opening ceremonies. The Center had MITI's blessings, but Zaikai leaders such as Sohei Nakayama were the ones who really wanted to have this center established. Consequently, its emphasis is assisting enterprises in th region through orientation seminars and discussions with West Asian visitors.

Awakened by the energy crisis, MITI, in cooperation with the Economic Planning Agency as represented by Shigeki Koyama and other interested parties represented by Kiyoshi Tsuchiya, a noted economist-commentator, estalbished the Economic Research Institute for the Middle East on September 10, 1974 (Koyama (1984) pp. 419-420. Tamura (1983) pp. 263-264). The Institute changed its English name to the Japanese Institute of Middle Eastern Economies in 1985. The Institute seems to have been designed to be more academic than the Japan Cooperation Center for the Middle East, but not as much as the Institute of Developing Economies. The Institute's study is more basic and comprehensive in nature than that of the Japan Cooperation Center for the Middle East. The number of researchers ranges from about 30 to 40 and includes people from the Economic Planning Agency and MITI. The largest portion of the

5. **1939 : "Toa 'kenkyujo, Kaikyo Han" (The Islamic Group, The East Asian Institute)** (Ikeda (1980) p. 78 Itagaki (1981) p. 143). No other details available. (We hope to rectify the lack of information on these items in due time. One relevant source that needs to be consulted is an article written in 1942 by Shiro Nohara, who critically reviewed the status of Arabic/Islamic studies in a manner that is exmeplary of any scholar who strives for independent and critical thinking, particularly in the middle of the national emergency which certainly was facing Japan in 1942. Professor Yuzo Itagaki makes a reference to his article in (Itagaki (1981) "Perception of Different Cultures : The Islamic Civilization and Japan," THE ISLAMIC WORLD The Japan Foundation)).

6. **? :"Kaikyohan" (Islamic Study Group (Ministry of Foreign Affairs))** was established with in the Ministry of Foreign Affairs. It published a journal "Kaikyo Jijo" (The Islamic Affairs) (Itagaki (1981) o. 143).

7. **1940 : "Toa Keizai Chosakyoku" (The Research Bureau of East Asian Economic Affairs)** came into being within the Manchurian Railway Company to study Chinese Muslims in particular. (Itagaki (1981) p. 143 Ikeda (1980) p. 78).

8. **? :'Taiheiyo Kyokai" (The Institute for the Pacific Region Studies) (Itagaki (1981) p. 143).** No other details available.

The establishment of "Kaikyo-ken Kenkyujo" (Institute of Islamic Studies) in 1938 was indicative of Japan's territorial expansion in not only China but Southeast Asia as well. Perhaps there was a need for the military to understand what Islam was all about prior to its aggression against Asian neighbours, many of whom were followers of Islam. A more obvious case in point was the development of the Islamic research section within the "Mantetsu Toa Keizai Chosa-Kyoku" (Manchurian Railway East Asian Economic Research Division) in 1940. Thus, it appears as if Japan's research interest in West Asia was primarily motivated by its desire to understand Islam so that it can control its believers more effectively. However let us add hastily that the Japanaese efforts to understand West Asia and Islam were not totally derived from their colonial interest. The teaching of Arabic language at the college initiated in 1925 at the Osaka Foreign Language College (Now called the Osaka University of Foreign Studies), for example had less to do with Japan's pre-war colonialism than the research institutes that sprung up as Japan's imperialism grew in strength.

2.2 Post-WW II Period (1945-1973)

As was noted earlier in this volume, the level of research activities on West Asia plummeted to that of the late 19th century of a few works per year following the end of World War II. It did however start to rise again, once Japan's industrial recovery was achieved, and the rapid economic development period begun in Japan from the mid-1950's. This period also coincided with Japan's decision to switch its primary energy source from coal to oil (Fesharaki, Kuroda, and Schultz (1986). The level of research and publication took as did Japan's economy, however not at the rate of japan's appetite for oil, which increased 165 times, as noted earlier, from 1950 to 1973, but was much less impressive — less than 13 times during the same period.(6) Perhaps this is indicative of the fact that Japan took it for granted that oil is cheap and abundant as a successful result of the seven sisters' selling oil to japan as needed.

Although small in scale, at least one research institute specialized in West Asian Studies, and another institute with a West Asian section came into existence during his rapid economic growth period in Japan's post-WWII history. The former is the Middle East Institute of Japan. Sponsored by the Ministry of Foreign Affairs, it emerged in the wake of the Suez crisis in 1956 (7). The Ministry of Foreign Affairs' contribution accounts for only a few percent of the current budget. The other is the

(1) the Pre-WWII Period
(2) the Post-WWII Period and
(3) the Post-Energy Crisis Period.

The level of interest in West Asia increased gradually from the late 19th century to the 20's. Then there is a surge in the level of interest shown by the Japanese as Japan started its road to WWII. Then, there is a sudden drop in 1945 in particular when the war ended. After the end of WWII, another sudden surge occurred as Japan's economy grew rapidly in the mid-50's or about the time of the Suez Crisis. Japan consumed 31,000 barrels of oil per day in 1950. By 1975, Japan's oil consumption jumped 165 times to 5,123,000 barrels per day! (Congressional Qaurterly (1985) p. 100) Then after the first energy crisis, the consumption of oil in Japan declined while its publications on West Asia doubled.

2.1 Pre-WWII Period

During this first period of contact with West Asia, Japan gradually began to demonstrate interest in West Asia and Islam, led by its national/colonial interest in areas where there were Muslim populations, such as China. In other words, Japanese interest in West Asia and Islam was motivated by the expansionist/imperialistic tradition of the Occident a la Edward W. Said's Orientalism (1979), notwithstanding some Arab nationalists' admiration of Japan's victory over Tzarist Russia in 1905.(5)

To be more specific, Japan was strategically interested in three West Asian countries, *viz.*, Iran, Turkey, and Egypt. At least one of the reasons for Japan's interest in the first two nations lay in the collection and analysis of information to be gathered on the Soviet Union, which has contigeous boundaries with the two nations. Egypt was of strategic importance to Japan because of its position in the Arab world and the Suez Canal. Another reason for Japan's interest was the existence of al-Azhar University in Cairo, the center of Islamic learning.

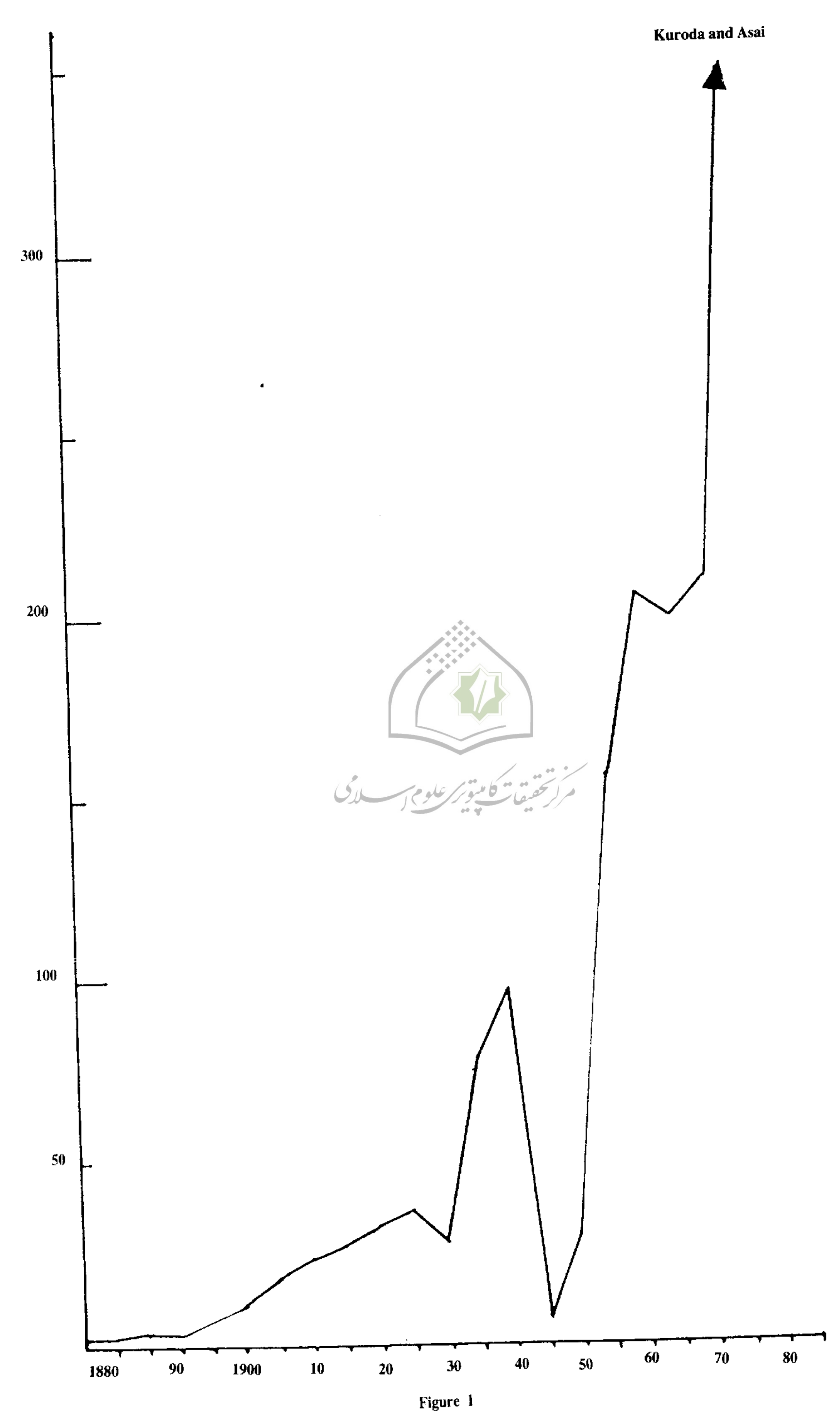
Let us list the development of organized research efforts prior to the end of WWII to see how and for what reasons they evolved :

1. 1932 : "Isuramu Bunka Kenkyujo" (The Institute of Islamic Studies)
developed by Professor Hajime KOBAYASHI. The first and last issue of a journal by the name of "Isuramu Bunka" was edited and published by him in November of 1932 (Maejima (1980) p. 11).

2. 1937 : "Isuramu Bunka Kyokai" (The Islamic Cultural Association)
Came into being as a result of the above Institute's decision to change its name and publish a new quarterly journal, "Isuramu" (Islam), which lasted for a couple of years (Maejima (1980) p. 13).

3. 1938 : "Kaikyoken Kenkyujo" (The Institute of Islamic World Studies)
was irganized with Professor Koji Okubo (Turkish specialist) as its president Professor Hajime Kobayashi (Arab specialist) as its research director and Mr. Toshio Matsuda as head of its research material section. It began to publication of its journal "Isuramuken" (The Islamic World), in July 1938. The journal contained war articles, suggesting the impact of the rise of militarism (Maejima (1980) pp. 15-16).

4. 1939 : "Dai-Nippon Kaikyo Kyokai" (The Association for Greater Japan Islam),
was organized and began publishing "Kaikyo Sekai" (The Islamic World) in April of 1939. The organization contained military officers and its first issue of the journal included an opening statement which clearly stated its intent to follow the war-time governmnet objective of using the knowledge for the advancement of Japan's cause toward the establishment of a new Asian order devoid of the Western colonial influence (Maejima(1980) p. 13). However it ought to be noted that the journal was not totally controlled by the military and its jingoists but contained some sincere Japanese Muslim interest in their religious pursuit of knowledge.


Kuroda and Asai
300
200
100
50
1880
90
1900
10
20
30
40
50
60
70
80
Figure 1

WEST ASIAN STUDIES IN JAPAN *

Yasumasa Kuroda
The University of Hawaii at Manoa U.S.A.

Nobuo Asai
The Middle East Institute of Japan Tokyo

1. Introduction

The level of Japanese understanding of West Asia is symbolized by a passage out of the first textbook that dealt with West Asia, published toward the end of the 19th century. Although Japan may be considered behind the West in the study of West Asia, we must keep in mind that Japan came a long way in understanding what West Asia is all about in the past one hundred years while the West has had a long history of contacts with West Asia from the time of the Ancient Greeks and Romans. In fact, the West owes much of the foundation of its civilization to the Orient.

The purpose of the present paper is to described and evaluate the status of West Asian studies in Japan in such a manner that will critically evalute its accomplishments as well as enhance the future of West Asian studies in Japan in particular and in the world in general.(2)

What follows is a brief history of West Asian studies in Japan, followed by our evaluation of the status of Japanese efforts to understans their fellow Asian who have been so near in some ways and yet so far in some other ways. The Appendix at the end of the paper is provided to describe major research organizations that specialize in West Asia.

2. West Asian Studies in Historical Perspective

Notwithstanding the sporadic contacts Japan has had with West Asia since the 8th century, it was not until the door to Japan was opened in 1868 that Japan made any meaningful contacts with the region. Even then, Japan's eyes were so focused on the West from which it was to learn that only a few Japanese had paid enough attention to learn from West Asia, much of which has experienced Western as well as Eastern colonialism in the recent part.(3)

Figure 1 entitled "Publications on West Asia by Year," is constructed to suggest the extent of Japan's demonstrated interest in West Asia, as manifested in the volume of publications consisting of articles, monographs dictionaries, and books on West Asia(4). The period covered in the figure stretches over a hundred years from 1875 through 1979. In the 1870's through the 1880's, only a few (no more than four per year) articles and books dealing with West Asia were published. By 1979 the total number of articles and books published reached 451 in one year.

A glance at the figure allows us to divide the period following the Meiji Restoration into three periods:

* The paper is prepared for delivery at an international conference on "The State of the Art of Middle Eastern Studies," held at the University of Calgary, Alberta, Canada on August 1-3, 1986.

Representing the Committee of writing up the History of the Nation. — Iraq.

g. Dr. M.T. Al-Jarrary.
Representing the conference for writing up the Arab Nation History. — Libya.

2. The Committee for Supporting and subsidizing Historical Publications :

1. Dr. F. Abdul Wahid. Chairman
2. Dr. H.F. Za'ain
3. Dr. R.H. Al-Khatab
4. Dr. S.T. Al-Sheikhly
5. Dr. F.O. Fawzi
6. Dr. H. Al-Tikriti
7. Dr. Y. Al-Shahiri
8. Dr. M.J.H. Al-Mesh hedani (Secretary).



PUBLICATIONS OF THE UNION OF ARAB HISTORIANS

(A) The Union of Arab Historians has issued the following works :

1. "Bussorah (Al-Basrah) Diaries."
   Dr. M.A. Al-Najar & A.M. Ameen
2. "A.J. Toynbee : A Presentation Volume". in English & Arabic.
   Dr. H. Al-Takriti & Dr. A. Susa
3. "The Zionist Movement in Tunis in the Period 1911-1927."
   Mr. Al-Taimomy — Beirut 1979.
4. "The Start of the Abadhian Movement"
   Dr. A. Khlaifat — Amman 1978.
5. "The Aspects of the Scientific Renaissance in Iraq in the Fourth & Fifth Centuries of Al-Hijra".
   Dr. M.H. Al-Zubaidy — Beirut 1980.
6. "Jawahir Al-Mulook Fi Madayih Al-Mulook" A Collection written by the Poet Hilal Ibn Sa'eed Ibn Araba Al-Omani
   Dr. D. Saloom — Beirut 1979.
7. "The Arab Tribes in the East during the Al-Amawi Reign".
   Dr. N. Hasan — Beirut 1980.
8. "Arab Civilization as a Substitute for Greek Civilization."
   Dr. S.S. Al-Ahmed — Beirut 1980.
9. "The Prince Maslama Ibn Abdul Malik Ibn Marwan."
   Dr. A.M. Al-Adhamy. (Beirut 1980).
10. "Introduction to the Study of the Resources of Omani History."
    Dr. Faruk A. Fawzy (Baghdad 1979).
11. "Introduction to the Jazre Languages"
    Dr. S.S. Al-Ahmed (Baghdad 1981).
12. "Studies in the Convention of Arab Nation Frontiers 1847-1980.
    Dr. M.A. Al Najar (Beirut 1981).
13. "Palestine : Its History and Civilization".
    Dr. A.A. Garbia (Beirut 1981).
14. "The Book of Al-Masudy as a Historian"
    Mr. A. Al-Azawi (Baghdad 1983).
15. "Introduction to Mysticism and its Reality".
    Al-Imam Abdul Rahman Al-Salamy
    verified by
    Dr. H. Ameen.
16. "Index to the Arab Historian Journal"
    Dr. M. J.H. Al-Mesh Hedani (Baghdad 1984).

(B) The Union Journal

The Union has issued a scientific journal concerned with history entitled :

'The Arab Historian"

It contains many original and scientific works of the Arab historians and researchers. The Union also intends to develop the journal and make it more convenient for advanced studies and scientific trends. Thirty two volumes have already been issued 33, 34, 35, 36, 37 and 38 are forthcoming and still in print.

THE UNION'S ACTIVITIES

The Union has formed the following committees :

1. The Higher Committee for writing up the History of Arab Nation.

   a. Dr. M.A. Al-Bukheet.
   Representing the project of the writing up of Al-Sham History — Jordan.

   b. Dr. A.A. Al-Timeemi.
   Representing the project of the writing up of the Ottoman History — Tunis.

   C. Dr. A.A. Al-Ansary.
   Representing the project of the writing up the Arab Peninsula history. — Saudi Arabia.

   d. Dr. N. Aaqil.
   Representative of the project of the writing up of Arab History — Syria.

   e. Dr. S.S. Al-Badri.
   Representing the project of writing up the History of the Nation. — Kuwait.

   f. Dr. S.A. Al-Ali.

14. The foreign trade in the Babylonian era.
    Dr. Taqi Abid Salim & Salah Nuaman Isa
    College of Management and economies
    Al Mustansiriya University.

Translated Historical papers :

15. Ibn Al-Jawzi School in the wriring of history.
    By the Hungarian Arabist Somogui.
    Translated By Dr. Jazeel Abdul Jabbar Al-Jomerd
    College of Education,
    University of Mosul.

16. Al-Madain Battle
    By the English writer Ronald Miller Translated By Fareed Dhia Sharara.

— AHistorian Biography
  Dr. Mohammed Adnan Al-Bukheet.

— The Symposium of this issue
  The Intellectual symposium on the international day of antiracism.
  Prepared by the committee of defending the resolution No. 3379 in collaboration with the centre of Palestinian Studies in Damascus.

— Documentation and manuscripts
  The General Guide for the Documentation of fine arts editedly by the department of the plastics arts — Ministry of culture and Information — Baghdad.

Book and Thesis Review :

— The History of the Conflicts and wars between Iraq and Iran.
  By Shakir Sabir Al-Dhabut, Reviewed by Muataz M. Abdul Hameed.

— Prince Abdul Qadir, the Pioneer of the Algerian Struggle
  By Yahya Bu Aziz, Reviewed by Kifah Al-Khazali.

— The war uniform of the Arab fighter till the end of the Abassid era
  By Ibrahim Sarhan Al-Shumari, Reviewed by Rafah Jassim Al-Samaraai

— The Manuscripts of history, translations and Biographies
  By Usama Nasir Al-Naqshabandi & Dhamiaa Mohammed Abbass.
  Reviewed by Nafi Minjal Shaheen.

CONTENTS



Consultative Committee of the Journal of The Arab Historian

Annual Subscription

	Inside Iraq	Outrside Iraq
1. Governmental and Semi-governmental offices	50 dinars	150 dollars
2. Historians	20 dinars	60 dollars
3. Students of history	10 dinars	30 dollars

All correspondence : to Editor-in-Chief
P.O. Box : 4085
Baghdad-Iraq
Union of Arab Historians
Tel : 4448006



Requirements of Publications

1. Papers should be truly academic.
2. Papers should be compatible with the aims of the Union.
3. Papers should not exceed 50 pages.
4. Papers should be original and not sent elsewhere.
5. Papers could cover any area in history and written either in Arabic or in English.
6. Titles should be typed on a separate sheet, with the name (s) of authors in full.
7. Papers should be typed in two copies on every other line, and properly numbered.
8. In case the paper is delivered at a conference, this should be foot - noted.
9. Foot-notes should be unified and correctly numbered.
10. All papers are referred before being accepted.
11. Papers are alphabetically ordeved.
12. Address and name of authors should be clearly written in English.



بسم الله الرحمن الرحیم

The Arab Historian

Al-Muarrikh Al-Arabi

Journal of Arab Historians
A quarterly issued by the Union of Arab Historians

Office of the General Secretary
Iraq — Baghdad P.O. Box : 4085
Cable : MOARKHEEN Baghdad

No. 35 1988 (1409 A.H)
Fourteenth year.

الجيش العربي وتأسيس
امارة شرق الأردن

د . سعد أبو دية

كلية الآداب ـ جامعة اليرموك

مقــدمة :

يتناول هذا البحث المرحلة التي سبقت قيام الامـارة والتي تلت استسلام جيوش الدولة العثمانية وظهور عهد جديد بسيطرة قوات الحلفاء على المنطقة .

ويبـين أيضا الـظروف السابقـة لقدوم الأمـير عبدالله وتتـابع الأحـداث في شرق الأردن ودور الجيش في هـذه المـرحلة ويسلط الضوء على الدبلوماسية التي اتبعها الجيش في نشر الأمن .

وكـانت تلك مهمة شـاقة تـطلبت من الجيش نوعـا معينا من الدبلوماسية .

ويبين هذا البحث الظروف التي ظهرت فيها نواة الجيش العربي . ويغطي جانبـا هامـا من نشوء إمـارة شرق الأردن إذ لا يمكن أن نتحدث عن تأسيس الجيش بدون الحديث عن نشوء الإمارة وأي حديث عن تأسيس الجيش هو عرض لـلأحداث التي ظهـرت قبل تأسيس الإمارة .

الجيش قبل ظهور الإمارة

من أبرز مزايـا الجيش العربي التي تجعله يتفـرد بين غيـره من جيوش العالم أنه قد بدأ عمله قبل تأسيس الإمارة ، وأنـه اضطلع بالمهام الجسام وقام بدور بارز في تأسيس الإمارة . وبعد قيام الإمارة أصبح أداتها في تحقيق الأمن والاستقرار .

إن نظرة لظروف البيئة المحيطة بشرق الأردن تعكس لنا حقيقة الانجازات التي حققها الجيش بعد سنوات قليلة من قيامه .

عند تأسيس الجيش كانت البلاد غير مستقرة داخليا والطامعون بخيراتها كثيرون ، كانت الصهيونية تتحرك بكل قوة ، وكانت فرنسا وبريطانيا طامعتين باقتسام المنطقة .

في خضم تلك الظروف كان لابد من توطيد الأمن في هذه البقعة والدفاع عن حدود شرق الأردن من غارات وغزوات خارجية .

وفي سبيل تحقيق ذلك فإن الجيش العربي سار في طريق محدد ودبلوماسية معينة لتحقيق الهدف الأول المتعلق بالأمن والاستقرار داخل المدن .

وستوضح الصفحات اللاحقة هذه الدبلوماسية التي اتبعها الجيش في تحقيق الأهداف التي ارتبطت بالأمن والاستقرار في مدن شرق الاردن . ويمكن أن نطلق على هذه الدبلوماسية التي حقق بها الجيش أهدافه (دبلوماسية المدن) . حيث إن الجيش اتبع اجراءات معينة استطاع أن يشق طريقه بها وتغلب بواسطتها على ما يعترضه من مصاعب داخلية وخارجية . واستطاع بواسطة تلك الدبلوماسية أن يوطد الأمن والاستقرار .

أنيطت مهام تحقيق الأمن والاستقرار بقوة الأمن . والواقع أننا لن نستطيع أن نتحدث عن هذه الدبلوماسية بدون الإلمام بتاريخ تأسيس إمارة شرق الاردن . صحيح أن هذا ليس مجالنا إذ أن هناك دراسات عديدة تتحدث عن الموضوع بحيث ينـطبق عليها قـول الشاعر « هل غادر الشعراء من متردم » غير أن مجالنا سيرتكز على تأسيس الجيش العربي في إطار تأسيس إمارة شرق الاردن .

الظروف السابقة لقيام إمارة شرق الاردن

مرت شرق الاردن بظروف معينة قبل قيام الإمارة على النحو التالي :

* في ١٩١٨/١٠/٥ شكل الأمير فيصل حكومة عسكرية في دمشق عهد برئاستها إلى الركابي[1]. في هذه الفترة كانت شرق الاردن تتبع الإدارة العسكرية في دمشق .

* في ١٩١٨/١٠/٣١ استسلمت القوات العثمانية للحلفاء واعتبرت شرق الاردن منطقة عدو مدارة من الحلفاء .

* في ١٩١٨/١١/٧ صدر تصريح فرنسي بريطاني تقام على أساسه حكومات وإدارات قومية . وبدأت تظهر نوايا الحلفاء الحقيقية تجاه العرب حيث نزلت الأعلام العربية من المدن العربية في طرابلس وبيروت بناء على أوامر فرنسية بريطانية . احتج الأمير فيصل غير أن « اللنبي » أكد له بأنها اجراءات مؤقتة[2].

الوضع العسكري

في كانون ثاني ١٩١٩ حلَّ جند بريطانيون محلَّ الجنود الأستراليين الموجودين في شرق الاردن ثم أستبدلوا بمشاة وفرسان هنود . خلال تلك الفترة كانت شرق الاردن تتبع الحكومة الفيصلية في الشام تحت إمرة الحاكم العسكري العام في دمشق رضا الركابي وكان في شرق الاردن قائد عسكريا عاما للقوات في المنطقة الممتدة من البلقاء وحتى تبوك . وفي عمان تولى رشيد المدفعي قيادة الفرقة الثانية . وفي باقي المقاطعات كان هناك حكام عسكريون ، وكانت هناك قوات عسكرية لفرض الأمن والنظام (مثلا في الكرك) كان عبدالله الدليمي حاكما عسكريا ومتصرفا عاما .

وساعد شيوخ البلاد بتوطيد الأمن كما حصل في الكرك عندما كان رفيفان المجالي يقوم بمهمة الجيش وتوطيد الأمن الخارجي ويتولى حسين الطراونه مهمة الأمن وتوطيد الأمن الداخلي[3] وبعد ذلك تم تأسيس ديوان الشورى الحربي في دمشق الذي أعاد تنظيم الجيش العربي وسرّح جيش الثورة وأصبح رشيد المدفعي محل جعفر العسكري حاكما عسكريا عاما .

وفيها بعد نقلت قيادة الفرقة إلى درعا .... وبقي لواء عسكري بقيادة القائمقام عبداللطيف نوري في عمان ، أما في الكرك فقد بقيت كتيبة مشاة من ذلك اللواء تساندها بطارية مدفعية[4].

في ١٥ أيلول ١٩١٩ أُلغيت التشكيلات العثمانية للمناطق وبرزت ثمانية ألوية ثلاثة منها في شرق الاردن ارتبطت مع الحاكم العسكري العام . وفي اليوم ذاته قاطعت بريطانيا وفرنسا تقرير اللجنة الصادر عن لجنة (كنج كرين) **King Crane** والتي كانت قد طافت بالمنطقة العربية خلال حزيران وتموز وأصدرت تقريرها في ١٩١٩/٨/٢٨ ، وتوصلت بريطانيا وفرنسا لاتفاق آخر كان ضمن ما نص عليه الاتفاق وضع شرق الاردن تحت الانتداب البريطاني ضمن أمور أخرى[5].

التجنيد الإجباري في الحكومة الفيصلية

في ١٩١٩/١٢/٢١ أقرت الحكومة الفيصلية نظام التجنيد

---

(١) الركابي : علي رضا الركابي من الذين أيدّوا الشريف حسين للقيام بالثورة . تولى مناصب عالية في الجيش العثماني . ثم تولى رئاسة الوزراء في العهد الفيصلي في الشام وفي شرق الأردن أصبح رئيساً للمستشارين . يلاحظ القاريء لمذكرات عودة القسوس أو خير الدين الزركلي أنه كان يأخذ جانباً كبيراً في حديثهم .

(٢) سليمان موسى ، المراسلات التاريخية ١٩١٩ الثورة العربية الكبرى ج ٢ (عمان ١٩٧٥) ص ١٢ .

واللنبي هو : الفيلد مارشال السير ادموند اللنبي (١٨٦١ ـ ١٩٣٦) كان مندوباً سامياً في مصر من عام ١٩١٧ وحتى ١٩١٩م ثم رئيساً لأركان الحملة المصرية انظر تراجم الشخصيات البريطانية التي ظهرت في الحرب وبعدها في كتاب :

(٣) انظر منيب الماضي ، تاريخ الأردن في القرن العشرين (عمان : ١٩٥٩) ص ٨٣ .

C. J. Jarvis, Arab Command The Biography F Lieutenant colonel F.G. peake pasha (London : Hutchinson & co.) PP. 65-66.

(٤) المصدر نفسه ص ٨٥ ، جعفر العسكري (١٨٨٥ ـ ١٩٣٦) قائد عسكري عراقي خريج المدرسة الحربية في الأستانة شارك في الثورة العربية الكبرى ولازم الملك فيصل وفي سوريا أصبح كبير المرافقين له وغادر سوريا معه . وفي العراق أصبح رئيساً للوزراء مرتين وقتل عام ١٩٣٦ في ثورة بكر صدقي (الاعلام ٢ : ١٢٥) ، خير الدين الزركلي ، الاعلام الجزء الثاني ص ١٢٥ .

(٥) علي محافظة ، تاريخ الأردن المعاصر عن الامارة (١٩٢١ ـ ١٩٤٦) (عمان : ١٩٧٣) ص ١٢ ، ١٣ .

الإجباري لمواجهة المواقف الفرنسية البريطانية الطامعة بالبلاد . كان إقبال الناس على التجنيد ضعيفا لخبرتهم السابقة من العهد العثماني حول هذا الموضوع[٦].

في ١٩٢٠/٣/٨ عقد المؤتمر السوري ونادى باستقلال سوريا الطبيعية وندد باتفاقيتي سايكس بيكو ووعد بلفور ورفض الانتداب البريطاني والفرنسي .

في ١٩٢٠/٥/٥ طعنت دول الحلفاء العرب طعنة ثالثة بقرارات سان ريمو **SAN REMO** التي وضعت شرق الاردن تحت الانتداب البريطاني .

انسحاب الإنجليز من شرق الاردن

بدأت الامور تتأزم وانسحب الانجليز من سوريا وتقدم الفرنسيون ليحلوا مكانهم وشكل فيصل في سوريا حكومة (تؤيد إعلان الحرب على فرنسا) برئاسة هاشم الأتاسي[٨]. وفي ١٤ تموز ١٩٢٠ بعث غورو[٩] **Gouraud** إنذاراً إلى الملك فيصل طالبه فيه بإلغاء التجنيد الإجباري وتسريح المجندين فورا . هاج الشعب في سوريا وعندما بدأت الحكومة تنفيذ ذلك رفض الشعب إنذار غورو ، وبالرغم من أن الحكومة قبلت الانذار ، فإن غورو هاجم دمشق ووقعت معركة ميسلون واستشهد فيها وزير الحربية وسقط (٢٠٠٠) ألفا شهيد وجريح[١٠].

في ٢٨ تموز ١٩٢٠ غادر الملك فيصل سوريا إلى المنفى في ايطاليا وتردى الوضع في شرق الاردن أمنيا واداريا وأصبحت شرق الاردن بلا قوة بريطانية أو قوة تابعة للحكومة الفيصلية[١١].

أصبح وضع الاردن في غاية الغموض ما هو مستقبله ؟ من سيحكمه ؟ ما هي حدوده ؟

غموض الموقف في شرق الاردن وأهداف هربرت صموئيل

بعد سقوط دمشق بفترة وجيزة بدت البلاد في حالة من الغموض سيطرت على مستقبلها من سيحكمها وما هو مصيرها ؟

وهنا أخذ « هربرت صموئيل »[١٢] المندوب السامي في فلسطين يسعى جاهدا لتحقيق أحد الهدفين :

١) ضم شرق الاردن لفلسطين .

٢) وضع شرق الاردن تحت الإدارة البريطانية مباشرة على صورة من الصور .

(٦) الماضي : مصدر سابق ص ٩٠.

(٧) أما أساس تسمية الاتفاقية بهذا الاسم فهو نسبة للموقعين عليها وهما :ـ

١ ـ مارك سايكس ، عضو مجلس العموم البريطاني عام ١٩١١ وممثل بريطانيا في مفاوضاتها مع فرنسا حول تقسيم الشرق الأوسط عام ١٩١٦ ومستشار مدني في وزارة الخارجية البريطانية لشؤون الشرق الأدنى . بدأ مارك حياته عسكرياً . توفي في عام ١٩١٩ عن ٤٠ عاماً.

٢ ـ جورج بيكو : كان قنصلاً عاماً لفرنسا خلال عام ١٩١٦/١٥ رافق الجنرال اللنبي في فلسطين عام ١٩١٧ وأصبح مندوباً سامياً لفرنسا في مفاوضاتها مع بريطانيا انظر *Klieman, op. lit P P. 13-30 6, 310.* انظر نص الاتفاقية (سليمان موسى ، مصدر سابق ١٦) ، *Sami Hadawi, The bitter Harvest palestine 1941-1967 (N. Y the new world press. 1967).*

(1) Jarvis, op. cit, P. 78.

يروي جارفس بان بريطانيا سحبت قواتها من شرق الأردن بسبب الغموض في وزارة الحرب البريطانية بالنسبة لجغرافية شرق الأردن وسوريا ولقد سبب انسحاب القوات البريطانية تردي الأمن وبقيت بلاد شرق الأردن في وضع صعب جداً.

(٩) هو *Gouraud General Henry* (١٨٦٧ ـ ١٩٤٥) قائداً للقوات السورية ومندوباً سامياً ١٩٢٠ ـ ١٩٢٢ في سوريا ثم حاكماً عسكرياً في باريس خلال ٢٣ ـ ١٩٣٧ راجع *Kliemar, op. cit p. 306.*

(١٠) محافظة ، مصدر سابق ص ١٤ ، غندما دخل غورو دمشق قال عبارته المشهورة على قبر صلاح الدين :ـ (ها قد عدنا يا صلاح الدين) ، أثار ذلك حفيظة الشاعر معروف الرصافي وقال قصيدة منها :

رويدك غورو أيها الجنرال لقد آلمتنا من خطابك أقوال

تيسير ظبيان ، الملك عبد الله كما عرفته (عمان : ١٩٦٧) ص ٨.

(١١) *(1) Jarvis, op. cit P P. 63-64*

(١٢) هربرت صموئيل (١٨٧٠ ـ ١٩٦٣) كان مندوباً سامياً على فلسطين خلال الأعوام ١٩٢٠ ـ ١٩٢٥ ثم رئيساً لحزب البرلمانيين الأحرار خلال الأعوام ١٩٣١ ـ ١٩٣٥ .

وحاول صموئيل إقناع بريطانيا بأن أهالي شرق الاردن يطالبون بحكم بريطاني . وبين « صموئيل » للحكومة البريطانية بأنها لن تكبد نفقات إذا احتلت شرق الاردن لأن شرق الاردن غنية بمواردها الزراعية التي تغطي النفقات العامة في فلسطين . كما بين بأن المنطقة يمكن أن تدار بعد قليل من المعاونين وبتنظيم عشائري تحت إشراف حاكمين بريطانيين[١٣].

وتوقع صموئيل إمكانية تأسيس (قوة شرطة) من أبناء القبائل في شرق الاردن تحت إمرة ضباط إنجليز . ويستدل من برقيته التي وجهها لوزير خارجية بريطانيا « كرزون » بأن البلاد ليست بحاجة إلا لعدد قليل من الجنود لأن القبائل في شرق الاردن ترغب بشكل مؤكد بالحكم البريطاني .

بيد أن وزير خارجية بريطانيا لم يتجاوب مع (صموئيل) فيما رمى إليه وبين له أن الاحتلال سوف يعطي نفس الصورة التي أعطاها الاحتلال الفرنسي لسوريا[١٤].

واقترح وزير خارجية بريطانيا ما يلي :

١) إرسال ضباط سياسيين ذوي كفاءة للكرك والسلط بدون حراسات عسكرية . وتقتصر واجبات الضباط على :

أ ـ المساعدة في تشكيل هيئات بلدية وادارية .

ب ـ تشجيع الحكم الذاتي المحلي وإعطاء الشورى للأهلين[١٥].

وظهر الحذر البريطاني من زيادة النفقات .

وفي سبيل المساعدة الإدارية لشرق الاردن التقى المندوب السامي البريطاني صموئيل بزعماء شرق الاردن في ٢١ آب ١٩٢٠ وحضر الاجتماع وجهاء شرق الاردن (باستثناء وجهاء أربد وعجلون الذين لم يحضروا بسبب خصومات بينهم وبين عشائر البلقاء) وفي خطاب صموئيل ركز على موضوع الأمن ومساعدة ضباط بريطانيين لأهل البلاد في تنظيم أمور الدفاع وتنظيم الدرك المحلي للمحافظة على الأمن والنظام وتنشيط التجارة مع فلسطين[١٦].

وركز صموئيل على موضوع عدم نزع السلاح وعدم التجنيد الإجباري وعدم نقل الأسلحة من فلسطين[١٧].

ولقد أبقى صموئيل ضابطين سياسيين هما كامب وبرانتون واثنى عشر شرطيا من شرطة فلسطين في السلط وطالب صموئيل بإرسال ضباط سياسيين حيث ستعطى لهم تعليمات بأن يعتمدوا على قواتهم الخاصة وعدم طلب مساعدات بريطانية وإذا تعرضوا لمضايقات أو اضطرابات فعليهم الانسحاب[١٨].

ولقد وافقت بريطانيا على إرسال أربعة ضباط سياسيين وكانت بريطانيا تتحرك في إطار استراتيجية عدم زيادة مسؤولياتها المالية . وفي برقية كرزون إلى صموئيل فإنه يبين ذلك ونص البرقية كما يلي :

« لا رغبة لحكومة جلالته في زيادة مسؤولياتها وتوسيعها في المناطق العربية ويجب أن تصر على الالتزام بالمساعدة المحدودة جدا التي نستطيع تقديمها إلى إدارة محلية في شرقي الاردن »[١٩].

الحكومات المحلية والضباط البريطانيون في شرق الاردن

وبعد زيارة هربرت صموئيل تمّ تعيين ضباط إنجليز في إطار توفير النفقات لأكبر قدر ممكن وهم :

الميجر سمرست **Sommerset**

الكابتن برنتون **Brunton**

الكابتن بيك **Peake**

الميجر كمب **Camp**

---

(١٣) سليمان موسى ، تأسيس الامارة الأردنية ١٩٢١ ـ ١٩٢٥ (حزيران / ١٩٧١) ص ١٨ ، ١٩ .

(١٤) المصدر نفسه ص ٢٢ .

(١٥) المصدر نفسه .

(١٦) المصدر نفسه ص ٢٧ .

(١٧) راجع خير الدين الزركلي ، عامان في عمان (القاهرة ١٩٢٦) ص ٣٨ ـ ٤٠ راجع وثيقة *F. O. 371 13748 884.*

(١٨) الموسى (١٩٧١) ص ٢٩ .

(١٩) المصدر نفسه .

في ١٩٢٠/٩/٢ إلتقى زعماء عجلون وأربد مع سمرست نائبا عن المندوب السامي وقدموا له مطالبهم ووافق على تأسيس حكومة في شرق الاردن لا علاقة لها بحكومة فلسطين واستعدت بريطانيا لتقديم السلاح لقاء الثمن ورأى سمرست ضرورة التنسيق مع الكرك والسلط بخصوص تأسيس جيش مشترك[٢٠].

وبعد ذلك تشكلت حكومة في أربد برئاسة القائمقام علي خلقي الشرايري وانشقت حكومات أخرى بسعي من المعتمد البريطاني وقامت حكومات هي :

١) حكومة دير يوسف برئاسة كليب الشريدة .

٢) حكومة عجلون برئاسة راشد الخزاعي .

٣) حكومة الوسطية برئاسة ناجي العزام .

٤) حكومة الرمثا برئاسة ناصر الفواز الزعبي .

٥) حكومة جرش برئاسة محمد علي المغربي .

ولقد اعتمد « سمرست » سياسة فرق تسد إذ سيطر على الوضع بدون أن يكون لديه موظفون أو رمال أو رجال شرطة ويقول « بيك » بأن الأمر بدا ساحرا جدا[٢١]. والحقيقة أن هذا يتوافق تماما مع سياسة بريطانيا في كبح جماح النفقات . ولقد يسّر المعتمدون الآخرون الأمر لقيام حكومات محلية ، فقامت حكومة موآب في الكرك وكان الضابط البريطاني هناك الرائد كلينفك **Klinfik** وحل محله بعد ذلك « اليك كيركبرايد » الذي انتخبه مجلس شيوخ حكومة موآب الوطنية رئيسا للمجلس واستمرت حكومة موآب الوطنية حتى آذار ١٩٢١[٢٢] في حين استمرت حكمات الشمال الآنفة الذكر حتى ١١ نيسان ١٩٢١[٢٣].

تعليق على وضع الحكومات السابقة

تميزت الأوضاع في عهد تلك الحكومات بما يلي :

١) هي ليست دولا بمعنى الدول وبأركانها الثلاثة حكومة ـ شعب ـ اقليم

كانت السلطة فيها ضعيفة جدا ولم تفرض أي من تلك الحكومات موآب والسلط وأربد سلطانها على العشائر القوية[٢٤].

٢) لم تدعم بريطانيا هذه الحكومات إذ أن اهتمام بريطانيا كان منصبا على إنشاء إدارة مدنية في فلسطين واعتبرت منطقة شرق الاردن ثانوية[٢٥].

٣) كان وضع القوات العسكرية على النحو التالي :

أ ـ في السلط وأربد كانت هناك قوة درك محلية تعاني من نقص في عددها وعتادها وكانت هناك قوة شرطة صغيرة أسست في السلط وعمان ومأدبا .

ب ـ كانت هناك قوة احتياط مركزها عمان أفرادها من الشركس وغيرهم من أهل المنطقة وقد تم تدريبهم وتجهيزهم وكان غرضهم الرئيسي الدفاع عن المدينة وسكانها وسميت هذه القوة بقوة دعم الحكومة : **Force behind the Goveronment** .

وكانت تحت سيطرة حكومة السلط وطلبت حكومة أربد وموآب الاستعانة بها[٢٦].

جـ ـ فكرت بريطانيا بإرسال قوة عسكرية محدودة لتوحيد الحكومات السابقة واعتقدت بأن الأمر سيكون مرغوبا فيه[٢٧] وبدأ

---

(٢٠) *Public Record office f. o. 371 5290 271, NOV. 10th, 1920.*

(٢١) بيك هو فردريك بيك ١٨٨٦ ـ ١٩٧٠ المفتش لقوات الدرك العام في الأردن عام ١٩٢١ ومدير الأمن العام عام ١٩٢٣ ، ساهم في تأسيس الجيش العربي عام ١٩٢٢ ،حل محله كلوب في عام ١٩٣٩ انظر . *Klieman, op, cit, P. 309* انظر محافظة مصدر سابق ص ١٨ والموسى (١٩٧١) مصدر سابق ص ٣٢ ، وانظر أيضاً *Jarvis, op. P. 66*.

(٢٢) *Aleck kirkbride. A Crackle of Thorns (London : 1956) P-27.* انظر ص ١٢ ـ ٢٧ حكومة موآب الوطنية .

اليك كيركبرايد : من الضباط الذين عينهم هربرت صموئيل في شرق الأردن في الفترة التي تلت العهد الفيصلي عمل في الكرك في عهد الحكومة الموآبية له مؤلفات عديدة عن الأردن منها (خشخشة الأشواك ، من الأجنحة) .

(٢٣) محافظة ، مصدر سابق ص ١٨ .

(٢٤) *Kirbride, op. cit, P. 24.*

(٢٥) *Ibid. P. 19.*

(٢٦) *Report Submitted to sir H Samuel, by the civilsecertary F. o. 371 5290-271.*

(٢٧) *Ibid.*

الاتجاه في زيادة قوة الاحتياط في عمان لتتمكن من :

١ ـ صد هجمات البدو .

٢ ـ ولتصبح احتياطا عاما لقوات الدرك المحلية في أرجاء المنطقة كافة .

وبدا أن أمر قوة الاحتياط من السكان المواطنين أمر ضروري حتى لو أرسلت القوة البريطانية لأن الإنجليز لن يتدخلوا ببساطة في شؤون السكان في الأمور ذات الطابع المحلي[٢٨].

أما من حيث نفقات هذه القوة وهذا ما يشغل بال بريطانيا فإن تحسن مستوى الدرك وتقدمه سيترتب عليه زيادة الواردات وأن الموضوعين يرتبطان ببعضها البعض وأن العلاقة بينهما طردية[٢٩].

وخير من وصف حالة الاردن في عهد تلك الحكومات المحلية هو خير الدين الزركلي يقول ...

« .... ولكن الفروق كانت كبيرة بين كل بلد أو قرية وأخرى فقانون مدني ونظام عسكري وقضاء عشائري وشرع وعرف واستبداد وشورى كلها شبكة واحدة وقعت في أسرها منطقة شرق الاردن المنكودة الحظ »[٣٠].

القوة السيارة

في أيلول ١٩٢٠ قام الضابط البريطاني (برنتون) بتأسيس قوة سيارة[٣١] ويبدو أن القوة عديمة الفعالية ، إذ أن آراء « بيك » تدل على أن الأمن في عمان عندما دخلها كان معدوما وأن الوضع كما وصفه تمثل بما يلي :

١ ـ شاهد اثنين يتشاجران بالسيوف في وسط عمان أمام الشرطي المناوب الذي لم يحرك ساكنا .

٢ ـ الشرطة معزولة عن الشعب وبعضها لم يتسلم راتبه منذ شهور وأن بها كل مساوىء عهد الأتراك[٣٢].

لا شك أن ذلك ظهر واضحا منذ أن عين هربرت صموئيل الضباط البريطانيين الذين اعتمدوا على قوتهم الذاتية فقط ويروي « كير كبرايد » عندما ذهب إلى الكرك بأنه كان الإنجليزي الوحيد هناك وأنه لا حول له ولا طول وأنه بعيد في منطقة معزولة وأن المواصلات غير متوفرة[٣٣].

وكانت السياسة البريطانية تقتضي ذلك وأن على الضباط البريطانيين أن يتدبروا أمرهم بأنفسهم وأن لا يطلبوا أي مساعدة من حكومة الانتداب وإذا حصلت اضطرابات فوق استطاعتهم فإن عليهم الانسحاب[٣٤].

دبلوماسية المدن

بدا واضحا أن الاولويات ترتكز على الأمن بالدرجة الاولى بخاصة انه لم يكن هناك تهديد على الحدود يستدعي تغيير هذه الاولويات كانت المدن تعاني من مشاكل مدنية تعيق الادارة عن انجاز أعمالها . ولذلك بدا من الضروري أن يتحقق الامن في المدن اولا وكان لا بد أن يتم ذلك في نطاق دبلوماسية معينة تستطع ان تحقق النجاح والاهداف المرجوة . ولقد تم ذلك في نطاق دبلوماسية اعتمدت على هذه الامور :ـ

١) توفير النفقات :ـ هذه من الامور التي اخذت بالاعتبار موضوع توفير النفقات . وفي سبيل تحقيق ذلك تم الاعتماد على السكان المحليين تحت قيادة ضباط بريطانيين . وتم استدعاء (بيك) قائد قوة الهجانة في مصر لبناء قوة الدرك في الاردن .[٣٥]

---

(٢٨) *Ibid.*

(٢٩) *Ibid.*

(٣٠) الزركلي ـ هو خير الدين محمود الزركلي الدمشقي (١٨٩٣ ـ ١٩٧٥) في سنة ١٩٢١ انتدبه الملك حسين لمساعدة الأمير عبد الله وهو في طريقه لشرق الأردن وأصبح مفتشاً للمعارف ثم رئيساً لديوان الحكومة ، استقر في السعودية وأصبح سفيراً لها في أكثر من بلد (الاعلام ١٠ : ٢٥٧ ـ ٢٥٩) . وانظر الزركلي ، مصدر سابق ص ٤١ .

(٣١) محافظة مصدر سابق ص ١٨ .

(٣٢) *Javis, op. cit, p. 68.*

(٣٣) *Kirbride, op. cit, p. 18.*

(٣٤) برقية (هربت صمونيل) رقم ٢٠٧ في سليمان موسى (٧١) ، مرجع سابق ص ٣٠ .

(٣٥) الموسى (٧١) ، مصدر سابق ص ١٩ ، *Paul cope Land, the land and people (Phila : cipp incof 1965) P. 78.* تم الاستدعاء بناء على رغبة (هربرت صمونيل) .

٢) عدن اثارة الحساسيات :ـ

ان تشكيل قوة من أبناء المدن سيمنع اثارة ردود الفعل عند السكان المحليين لأن هناك أمورا ذات طابع محلي لن يستطيع اجنبي التدخل فيها .

وقد تم التركيز على المزارعين وكان (بيك) يخشى كثيرا أن تقع القوة في يد البدو بخاصة اذا غادرت بريطانيا المنطقة . وهذا الأمر دفع (بيك) لتحقيق معادلة معينة تتعلق بالتركيز على المزارعين للدفاع عن المدن وان لا تصل القوة الى يد البدو أو شيوخهم وانه بدأ يقلق عندما جاء كلوب (بعد عشر سنوات لاحقة) اذ عكس الآية واخذ يقوي البادية وبدا أن الجيش في المدن أصبح قوة شرطة بدلا من قوة عسكرية .(٣٦)

ولقد شارك لورانس(٣٧) ـ الذي جاء للاردن بناء على توصية تشرشل بدراسة الوضع ـ بيك رأيه بضرورة الاعتماد على المزارعين ولقد أثرت هذه السياسة على موقف البدو .(٣٨)

ولكن مشكلة تجنيد المزارعين أثارت حساسية قديمة من التجنيد الذي أعاد للأذهان سياسة العثمانيين السابقة في التجنيد .(٣٩)

٣) هيبة الجيش :

لن يتحقق الأمن وتنفذ القوانين ما لم يكن هناك هيبة للجيش في نفوس الآخرين من المواطنين وهذا يتطلب مظهرا لائقا للجيش وسلاحا . وهذا يرتبط باقبال المواطنين على التجنيد وهناك عوائق تقف في طريق تجنيد المواطنين هي :ـ

١ ـ التخوف من التجربة العثمانية ، وسبقت الاشارة للموضوع .

٢ ـ اذا تمت الاستعانة بفلسطين فان ذلك أمر تكتنفه صعوبتان هما :ـ

أ ـ فلسطين تابعة لمصر عسكريا وان عدد الجيش فيها غير محدود وكانت هناك مطالبة بالاستقلال عن مصر عسكريا(٤٠) ولا شك اذن فان اعتماد (بيك) على فلسطين سيتناقض مع ما يريده بالاعتماد على السكان المحليين(٤١) اذ أن اعتماده على فلسطين سيقوده للاستعانة بمصر نفسها .

ب) ظهر في فلسطين نفسها اتجاه بالاعتماد على الشرطة بدلا من التجنيد الاجباري ، ومن جهة ثانية ظهر أن هناك من يفضل الدفع نقدا بدلا من التجنيد وظهرت مقالات في صحف فلسطين تندد بالجندية وموضوع تأسيس جيش وطني وذكر كاتب المقال بأن هذا هو السبب الذي أثار كراهية الناس ضد العثمانيين .(٤٢)

جـ) يضاف لما تقدم عدم وجود خطوط مواصلات جيدة داخل شرق الاردن وبين الاردن وفلسطين وقد استمر الأمر فترة حتى بعد ظهور الامارة مثلا عندما امتنع (بعض البدو) في الاردن عن دفع الضرائب فان ظرف صعوبة المواصلات بخاصة في فصل الشتاء حال دون اتصال الحكومة معهم لتسوية الأمر .(٤٣)

د) وبالرغم من كل ما تقدم فان (بيك) استعان في فترة لاحقة بـ (٢٥٠) عربيا من فلسطين ولكن تجربته مع كثير منهم لم تكن جيدة اذ اضطر ذات مرة لفصل عشرات منهم دفعة واحدة .(٤٤) واثبتت الأحداث بعد ذلك بأن الاعتماد على المحليين أمر في منتهى

---

(٣٦) *Jarvis, op. cit, p. 77.*

(٣٧) لورانس (توماس ادوارد) من أكثر الشخصيات البريطانية التي ارتبط اسمها بالعرب لدرجة سمي فيها لورانس العرب . وهو أيضاً من أكثر الشخصيات البريطانية التي كتب عنها بأقلام مختلفة عربية وأجنبية . وهناك مؤلف أردني كتب عنه هو الأستاذ (سليمان موسى) . شارك لورانس في الحرب العالمية الأولى وكان له دور معين في الصحراء العربية ولكنه أعطى نفسه دوراً أكثر مما عمل وللورانس مؤلفان حول الثورة هما : ثورة في الصحراء وأعمدة الحكمة السبعة .

(٣٨) *Ibid, p. 87.*

(٣٩) *Ibid.*

(٤٠) صحيفة فلسطين ١٢/١/٢١. ١٩ ، *Jarvis, op. cit, p. 76.*

(٤٢) صحيفة فلسطين ٩/٤/١٩٢٢ .

(٤٣) صحيفة فلسطين ٢٥/٩/١٩٢١ .

(٤٤) تصادف أن كانوا (٤٠) عسكرياً من مدينة نابلس بسبب تضامنهم مع زميل سجين رفض (بيك) الافراج عنه قبل العيد . *Javis, op. cit, p. 87,88*

الأهمية ليست للأسباب المتعلقة بالحساسية فقط ولكن لأمور أخرى ترتبط بضمان تعاون المحليين الذين كانوا يعتقدون بأن بريطانيا تمهد لاحتلال البلاد وان ضعف الجيش أمر مقصود بحد ذاته .(٤٥)

نواة الجيش العربي :ـ

بعد سقوط دمشق وانهيار الحكم الفيصلي ظهرت ثماني حكومات في شرق الاردن . زار هربرت صموئيل السلط وقابل أهالي المنطقة وعين ضباطا انجليز كان (بيك) من أبرز الضباط الذين عينهم هربرت صموئيل واستمر وجوده بعد ذلك لمدة (عقدين من الزمن) في شرق الاردن . وقد أسندت لبيك مهمة تشكيل قوة (البوليس) لضمان الأمن . ولقد لاحظ بيك بأن الوضع الأمني في شرق الاردن سيء جدا ويستعرض (بيك) حادثة تعكس الفوضى في شرق الأردن . تتلخص الحادثة بأنه عندما قام (بيك) بجولة في عمان شاهد اثنين يتبارزان في الشارع العام وأن احدهما قتل الآخر دون ان يتحرك الشرطي المكلف بالمحافظة على الأمن .

لاحظ ان الحادث تم أمام رجل الامن ، وان الشرطة بشكل عام معزولة عن الشعب ، وأن بها كل مساوىء العهد التركي وقد تكون معذورة لأن بعضا منها لم يتلق راتبا منذ شهور .(٤٦)

ولقد تصرف (بيك) بشكل ايجابي وفوري وسافر لفلسطين وطلب من هربرت صموئيل الموافقة على تجنيد (١٠٠) نفر وخمسة ضباط .

وفي تشرين الأول عام ١٩٢٠ تأسست نواة الجيش العربي من ذلك العدد على النحو التالي :ـ

خمسة ضباط

خمس وسبعون فارسا

خمس وعشرون قوة سيارة .

ولقد تمت زيادة العدد بعد شهرين الى (١٥٧) عسكريا (بواقع ضابطين وخمسين شخصا آخر) . أما من حيث الانفاق فقد تولت حكومة فلسطين الصرف على هذه القوة .(٤٧) خلال الأسابيع الاولى اثبتت القوة عدم جدواها في تحقيق هيبة الجيش التي كان يريدها (بيك) ذلك أن هذه القوة لأسباب عديدة ذكرناها سابقا كانت عديمة التأثير وأن مثقال الفايز اعتقل ذات مرة بيك باشا وأن القوة المؤلفة من ١٠٠ نفر لم تحقق الهيبة التي كان يرجوها بيك .(٤٨)

كانت أوضاع البلد سيئة جدا ولقد اثبتت الحكومات المحلية عدم جدواها وبعضها مثل حكومة الكرك أصبح عبئا على (بيك) في عمان . ونظرا لأن بريطانيا كانت تسعى بأن تغطي هذه الحكومات نفقاتها بنفسها من وارداتها الغنية على النحو الذي لا حظناه سابقا فان (بيك) فكر بارسال قوة (درك) للكرك من أجل جباية الضرائب وفرض السلطة . وفي البداية كان تفكير بيك منصبا على الاستعانة بالدرك من فلسطين ولكن هذا يتعارض مع ما تريده بريطانيا باعتماد الضباط على أنفسهم فقط ومن جهة أخرى فان (بيك) كان يعتمد على نفسه حتى لا تبدو الامور وكأنها أخفقت في شرق الأردن ولأن هذا دليل على الفشل في نظره .(٤٩)

تمت زيادة القوة الموجودة في شرق الأردن وأصبح عددها (١٥٧) عسكريا وأرسلت في ١٩٢٠/١٢/٩ الى الكرك وذهب (بيك ٪ بنفسه على رأس هذه القوة .(٥٠)

وهكذا فان الضباط الانجليز أثبتوا عدم مقدرتهم على تحقيق

---

(٤٥) *Ibid. pp. 86-88.*

(٤٦) *Ibid. pp. 66, 68, 79.*

(٤٧) *Ibid. pp. 66-68.*

(٤٨) *Ibid. pp. 74, 85-86-88.*

ملاحظة : ـ كان الجيش يستخدم الملابس البريطانية والمسدسات الألمانية بسبب قلة النفقات وطبعاً فان هيبة الجيش ترتبط بمظهره واناقته العسكرية و هندامه وسلاحه أيضاً وهذا ما لم يكن متوفراً لبيك ، بالاضافة الى الجنود غير المحليين وهذا يؤثر على موقفهم وتأثيرهم على السكان .

(٤٩) *Jarvis, op. cit, p. 76* ، كان الضباط الانجليز يعتمدون على سياسة فرق تسد على نحو لاحظناه في حكومة سمرست في عجلون .

(٥٠) *Public Record office E 16222/13556/44* هناك اشارة بان القوة المكونة من ٣٥ فرداً بقيادة القائد ابراهيم حقي انظر الماضي ص (٣٨) كان كير كبرايد قدذهب للقدس ولم يعد حتى حصل على وعد بدعمه في الكرك وعاد في ١٩٢٠/١١/٢١ الى الكرك ثم لحق به (بيك) وكان الأمير عبد الله قد وصل معان في يوم عودة كيراكبرايد للكرك .

سياسة بريطانيا العليا بضرورة الاعتماد على أنفسهم فقط وادارة البلاد بطريقة فرق تسد .

الوضع قبيل مجيء الأمير عبد الله

بدا الموقف قبيل ظهور الأمير عبد الله في معان كما يلي :ـ

١ ـ منذ مطلع شهر تشرين الثاني /١٩٢٠ كانت هناك اشاعات عن قدوم أبناء الحسين ابن علي ولقد أثر ذلك على مواقف الحكومات المحلية في الكرك وعجلون والسلط وعمان . ترددت اشاعات بان أبناء الشريف قادمون من الجنوب وانهم على اتصال مع شيوخ القبائل ولقد أثر هذا على الاستقرار في البلاد من جهة ، يضاف لذلك أن عاملا آخر كان يؤثر على الاستقرار يرتبط بالضرائب وصعوبة جمعها .

٢ ـ في ٢٦ /تشرين ثاني وصل الشريف محمد علي بديوي الى عمان بالقطار ومعه خمسون رجلا مسلحا وترددت أنباء بأن القوة المرافقة للأمير عبد الله الذي وصل الى معان في ٢١ ـ ١١ ـ ١٩٢٠ كانت تبلغ ١٥٠٠ رجل .....

أبلغ الممثلون الانجليز السكان المحليين بضرورة ابتعادهم عن الانضمام لأبناء الشريف الحسين بن علي .

زاد قلق الحكومة البريطانية بوجود الأمير عبد الله بن الحسين في معان ووصول ممثله لعمان بالرغم أن نواياه كانت موجهة أصلا للفرنسيين ولا تحمل نوايا عدوانية لبريطانيا .(٥١)

الأمير عبد الله في معان

وصل الأمير عبد الله معان يوم ١٩٢٠/١١/٢١ ـ ١١ ربيع الاول /١٣٣٩ هـ ويقول الأمير بأنه استأذن المغفور له الشريف حسين بأن يتحمل تبعات الحركة شخصيا وعن سبب قدومه كتب الأمير :ـ

« ثم حدثت حوادث الشام وخرقت فرنسا حرمة الحق والعهد بهجومها على سوريا وبالتسبب بخروج الملك فيصل منها . ثم حدث ما حدث للوزراء السوريين الموالين لفرنسا في درعا وطلب أهل الاخلاص من المشتغلين في القضية العربية في سوريا ارسال من ينوب عن الملك فيصل من الشخصيات الملكية في البيت الهاشمي »(٥٢)

وبعد أسبوعين أرسل الأمير عبد الله من معان رسالة الى السوريين أعلن فيها أن غايته الوحيدة نصرة سوريا ثم اجلاء المعتدين ودعا الامير ضباط الجيش السوري ومجنديه للحضور لمعان كما دعا أعضاء المؤتمر السوري ثم كتب للنواحي باسم ملك سوريا وفي ٢/أذار/١٩٢١ وصل الأمير عبد الله عمان ووصف الأمير عبد الله الموقف فيما بعد :

« .... وبعد أيام جرى احتلال المنطقة الاردنية بكاملها وكانت تصدر الأوامر عني في عمان وكان الناس في فترة لا يزور أحد أحداً فالبلقاء للبلقاء وعجلون ولواؤها لعجلون وأهله ، والكرك ألطفيلة كذلك فجمعنا كل هذه النواحي ووحدناها وزال الخلاف بينها » .(٥٣)

خلال هذه الفترة التي قضاها الأمير في معان فان الشريف على الحارثي استقر في عمان وحاول تجنيد جنود من قوة الاحتياط (مقابل ١٥ جنيها شهريا) وكان الموقف يتأزم ويؤدي لمواجهة بين الن كيركبرايد والحارثي حيث ان كيركبرايد قد كتب لحكومته معبرا عن ثقته بقوته الصغيرة في مواجهة واخراج على الحارثي والجيش الشريفي من عمان .(٥٤)

وتوجه الشريف الى السلط وأخذ يعمل ويتصرف بصفته نائبا عن الملك في سوريا (الأمير عبد الله) .

تطور الاحداث :

وبعد ذلك سارت الأمور على النحو التالي :ـ

١) كثفت بريطانيا نشاطاتها لمنع مواجهة فرنسية عربية باعتبار أن منطقة شرق الأردن منطقة نفوذ بريطانية وبالرغم من

---

(٥١) *Public Record office E 16222/13556/44* ، تلخيص الأحداث في شرق الأردن .

(٥٢) أمين أبو الشعر ، مذكرات الملك عبد الله (عمان : ١٩٦٥) ، نص الرسالة ص ١٥٣ ، ١٥٤ ، ١٥٥ .

(٥٣) المصدر نفسه ص ١٥٩ . *Public Record office F.O. 371 5290 271 Dec.*

(٥٤) *20 th, 1920.*

اعتبارها ان منطقة شرق الأردن منطقة نفوذ فانها ما كانت لتسأل لو ضربت فرنسا القوات العربية .[٥٥]

٢) في ٢٣/كانون الاول/١٩٢٠ تلقى الأمير فيصل تعليمات من الملك حسين بأن يتباحث مع بريطانيا حول القضايا التي تهم الحجاز وبريطانيا .

٣) في ١٤/٢/١٩٢١ ظهرت دائرة الشرق الأسط في بريطانيا تابعة لوزارة المستعمرات اذ انتقلت مسؤولية المناطق الخاضعة للانتداب من عهدة وزارة الخارجية الى عهدة وزارة المستعمرات . ضمت الدائرة المذكورة (لورانس ، يونغ ، بولارد ،ماينز ترهاجن) واستهدفت توجيه السياسة البريطانية في الشرق الأوسط ومن أبرز اعمالها مؤتمر الشرق الأوسط الذي عقد خلال الفترة من ٣/١٢ـ ٢٤/٣/١٩٢١ وتم فيه التوصل لأمور هامه منها الاتفاق مع الأمير عبد الله على حكم البلاد[٥٦]

٤) في ٢٨/آذار اجتمع الأمير عبد الله مع ونستون تشرتشل في القدس وفي ٣٠/آذار انتهت المفاوضات الى اتفاقية (مدتها ستة شهور) حيث تضمنت :ـ

« اقامة حكومة وطنية في شرق الأردن برئاسة الأمير عبد الله وتساعدها بريطانيا ماديا وتسترشد برأى مندوب بريطاني مقيم في عمان »[٥٨]



(٥٥) انظر برقية رقم ١٣٠٨ في كتاب الموسى (٧١) مصدر سابق ص ٧٠.

(٥٦) محافظة مصدر سابق ص ٢٢ ، ٢٣ ـ والموسى (٧١) ص ٧٣.

هيزبرت يونج : عمل في العراق خلال الأعوام ١٩١٥ ـ ١٩١٧ ثم في الخارجية البريطانية ثم دائرة الشرق الأوسط بالقاهرة . وعمل فيها بعد سفيراً في بغداد وحاكماً لنياسالاند وروديسيا وتريتداد ......

ريدربولارد : (١٨٨٥ ـ ؟) كان حاكماً في بغداد ثم عمل في دائرة الشرق الأوسط مع لورانس ويونغ أصبح قنصلاً في جدة ١٩٢٣ ـ ١٩٢٥ ثم سفيراً في طهران (١٩٣٩ـ ١٩٤٦) انظر *Klieman, op. cit, pp. 311, 304.*

(٥٧) ونستون تشرشل : ـ (١٨٧٤ ـ ١٩٦٥) كان وزيراً للمستعمرات البريطانية خلال الأعوام ٢١/١٩٢٢ ثم رئيساً لوزراء بريطانيا فيما بعد خلال الأعوام ١٩٤٠ـ ١٩٤٥ يعتبر تشرتشل من أبرز السياسيين البريطانيين الذين أثروا في مجريات الأحداث الخاصة في شرق الأردن وان أراءه في جلسات مجلس العموم البريطاني في مطلع العشرينات امتازت بالواقعية .

(٥٨) محافظة ص ٢٤ .

خاتمـــــة

تطرق الفصل على النحو الذي لاحظه القارىء لموضوع ظهور الجيش العربي وظروف نشأته ويلاحظ بان الجيش قام في ظل ظروف صعبة للغاية ، وأن الامكانات ضعيفة .

ولقد قام الجيش بدور كبير في محاولة توطيد الأمن داخل المدن اذ ان احداث الحدود لم تكن قد ظهرت . ولقد واجهت الجيش مصاعب جمة ارتبطت بما يلي :ـ

١) نوعية الجنود : كان هذا الموضوع في غاية الأهمية اذ ان الجنود المحليين كانوا أكثر فاعلية وتأثيرا ولكن هناك مشكلة تتعلق بتحضير هؤلاء المحليين الانضمام للجيش . أما اذا كان الجنود غير محليين فان الأمر سينعكس على حساسيات المحليين تجاه هؤلاء الغرباء .

٢) مسألة النفقات : برزت مشكلة تتعلق بنفقات الجيش ونظرا لأنه لم يكن هناك ادارة مستقرة بعد فان الجيش واجه المشكلة المالية وكان عليه أن يقوم بدور معاكس بأن يساعد الادارة على انجاز أعمالها لتتمكن من جباية الضرائب وكانت مشكلة في غاية الصعوبة .

٣) مسألة هيبة الجيش : يلاحظ أن هذه المسألة سببت ارباكا للجيش في البداية وانه لم يكن (لبيك) هيبة وقد وقعت له حوادث معينة عكست هيبة القوة السيارة التي يقودها (بيك) .

وبقيت قيادة (بيك) مركزة على القوة العددية ولم تستطيع تحقيق قوة نوعية حتى جاء الأمير عبد الله وبدأت الادارة تتأسس في شرق الاردن وكان لوجود الأمير عبد الله تأثير كبير في سد الثغرات ، وتحقيق القوة النوعية للجيش . ومنذ قدوم الأمير عبد الله لشرق الاردن وتأسيس الامارة فان القوة النوعية ارتبطت بوجوده .

وباختصار يمكن القول بأن الجيش سار على دبلوماسية معينة لتحقيق الأهداف المرتبطة بالأمن والاستقرار وان الانجازات انحصرت في مدينة عمان فقط تقريبا اي أن دبلوماسية الجيش لم تتعد حدود عمان وذلك لامكانات الجيش الضعيفة وضعف الموارد ورغبة بريطانيا في كبح جماح النفقات .

ولا يفوتنا القول بأن من أهم الأسباب هو غياب القيادة عن شرق الأردن وعدم الاستقرار اذ أن مصير شرق الأردن كان غامضا على نحو ما لا حظناه في مراسلات (صموئيل وكرزون) ومن أبرز سمات دبلوماسية المدن التي سار عليها الجيش في هذه الفترة هي التقرب من المزارعين والاعتماد عليهم في نواة الجيش وهذا ما كان يدور في ذهن (بيك) دائما . ويمكن اعتبار تلك السمة من أبرز السمات التي سارت عليها دبلوماسية المدن في تلك الفترة لأنها تحقق عدة فوائد فهي توفر في النفقات ومن جهة ثانية توفر كثيرا من المشاكل .

مراجع

أ) المراجع العربية

* كتـــب : ـ

١) أمين ابو الشعر ، مذكرات الملك عبد الله (عمان ـ ١٩٦٥)

٢) تيسير ظبيان ، الملك عبد الله كما عرفته (عمان ـ ١٩٦٧)

٣) خير الدين الزركلي ، عامان في عمان (القاهرة ١٩٢٦)

٤) الاعـلام .

٥) سليمان الموسى ، تأسيس الامارة الاردنيه (١٩٢١)

(جزيران : ١٩٧١)

٦) المراسلات الامـارة الاردنيه (١٩٢١ ـ

١٩٢٥ الكبرى ج ٢ (عمان : ١٩٧٥)

٧) علي محافظة ، تاريخ الاردن المعاصر : عهد الامـارة ١٩٢١ ـ

١٩٤٦ (عمان : ١٩٧٣)

٨) منيب الماضي ، سليمان موسى ، تاريخ الاردن في القرن العشرين

(عمان : ١٩٥٩)

* دوريات :

صحيفة فلسطين اعداد ١٩٢٢/١/١٢

١٩٢١/٤/٩

١٩٢١/٩/٢٥

ب) المراجع الأجنبية

وثائق وزارة الخارجية البريطانية .

Documents

1) F.O. 371 5290 271

NOV 10th, 1920

REPORT Submitted to

Sir H. Samuel by the Civil Secretary.

2) F.O. 371 5290 271

DEC. 20th, 1920

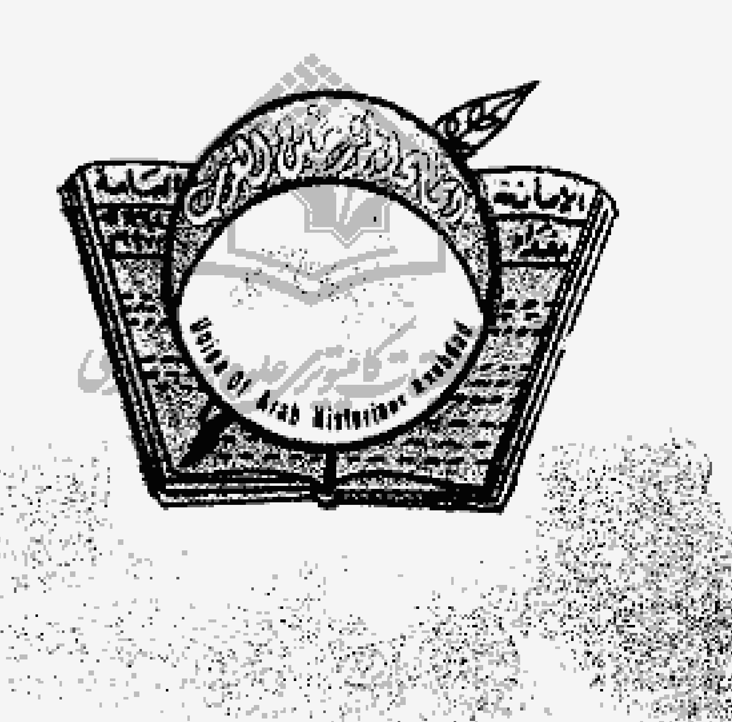
?) Public Record. office E ⅛162222 / 13556/44



The Arab Historian

Al-Muarrikh Al-Arabi

Journal of Arab Historians
A quarterly issued by the Union of Arab Historians



Office of the General Secretary
Iraq — Baghdad P.O. Box : 4085
Cable : MOARKHEEN Baghdad

No. 35 1988 (1409 A.H)
Fourteenth year.